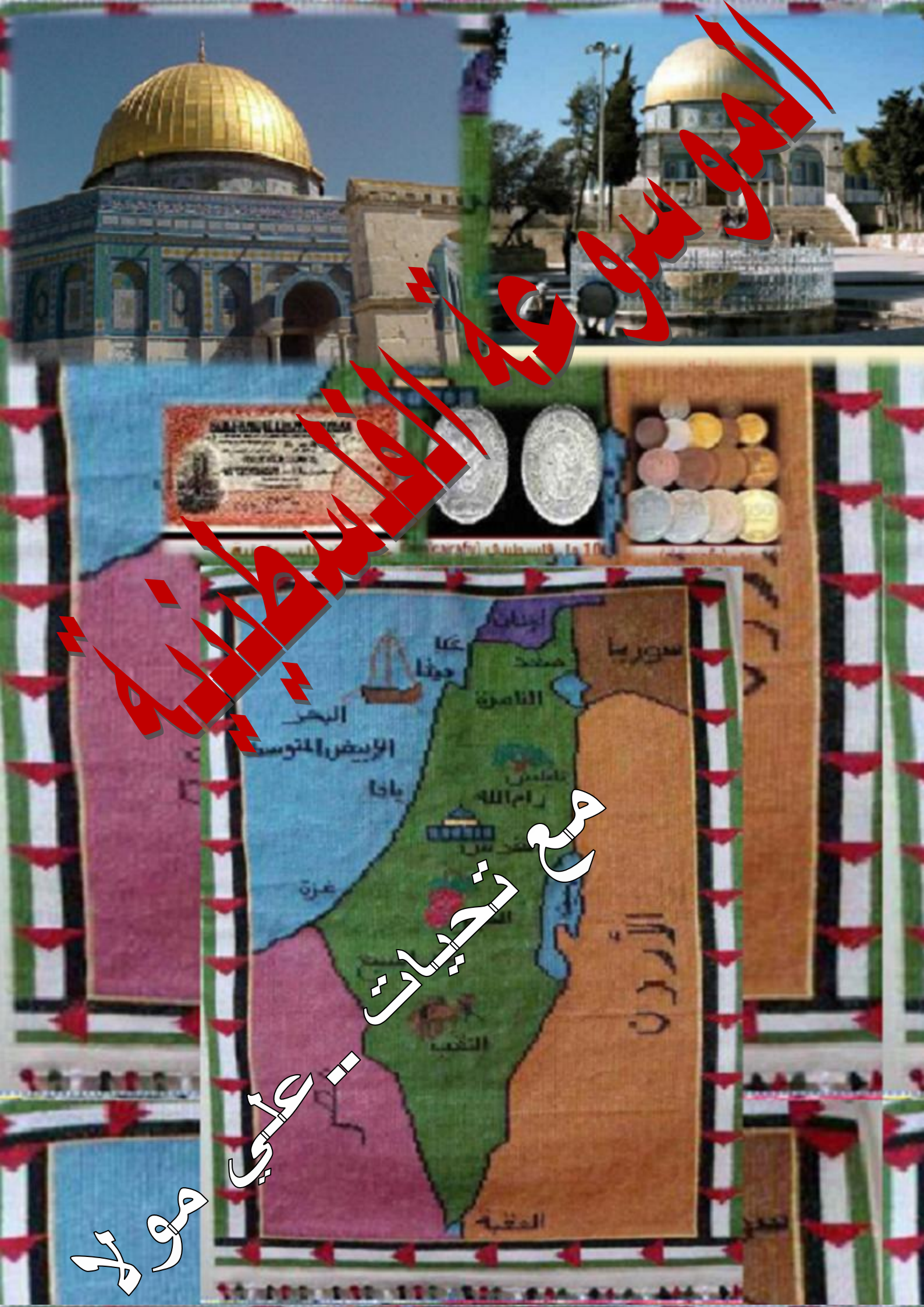
الموسوعة الأردنية
مع تحيات - علي موله
سوريا
لبنان
عكا
حيفا
الناصرة
البحر
الأبيض المتوسط
يافا
نابلس
رام الله
غزة
الخليل
النقب
الأردن

الموسوعة الفلسطينية

الموسوعة الفلسطينية

القسم العام
في اربعة مجلدات

المجلد الاول
(ا-ث)

الطبعة الاولى ١٩٨٤

اصـــدار
هيـئة الموسوعـة الفـلسطينية

احـمد المرعشـلي
رئيس مجلس الادارة

عبد الهـادي هـاشم
رئيس التحرير

انـيس صـايـغ
المســتشـار

جَميع الحقوق محفوظة لهيئـة الموسوعة الفلسطينية

دمشق
ص.ب: ٨٤٠٨

تصـديـر

الاستاذ الدكتور محيي الدين صابر
المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
(احد مؤسسي هيئة الموسوعة الفلسطينية)

الموسوعة الفلسطينية صورة من صور النضال القومي في مجال من اكثر المجالات أهمية هو مجال التاريخ الحضاري والسياسي . فالاغتصاب الصهيوني لارض فلسطين يقوم على فرية أسطورية ألبست ثياب التاريخ وفرضت بمختلف الاساليب الاعلامية والسياسية والاقتصادية على المحافل الدولية ، وحتى على المؤسسات العلمية ، شرقا وغربا ، حتى كاد يستقر في الاذهان أن فلسطين هي وطن اليهود المغتصب الذي لا تحرره إلا العقيدة الصهيونية العنصرية .

ومن هنا يصبح لهذه الموسوعة التاريخية العلمية دور أساسي في معركة تحرير فلسطين يتمثّل في عرض الحقائق التاريخية حولها أرضا وشعبا وحضارة وقضية لتكون وثيقة علمية تدحض الاساطير التي ظل يسوّج لها المستعمرون في ميدان انفردوا فيه واحتكروه فضللوا الرأي العام العالمي كما شاؤوا .

لقد بدأ المشروع - وقد أصبح اليوم عملا صالحا وأداة نضالية عربية بفضل عزيمة الرجال وقدرتهم وعطائهم - باتفاقية عقدت بين المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومنظمة التحرير (دائرة التربية والتعليم العالي) في العاشر من شهر كانون الاول عام ١٩٧٤ لاصدار هذه الموسوعة التي كان المؤتمر العام للمنظمة قد أقرّها في دورته الثالثة في العام نفسه .

وقد قامت هيئة الموسوعة الفلسطينية وانشىء لها مجلس استشاري ومجلس ادارة يتولى المدير العام للمنظمة ، طبقا للاتفاقية ، تسمية اعضائها بالتشاور مع دائرة التربية والتعليم العالي . هذا وقد كان من تمام العمل أن يقوم على هذا كله جهاز تنفيذي للشؤون الفنية والعلمية والادارية والمالية .

وبدأ العمل الدؤوب المنظم على منهجية علمية صارمة ، ولا سيما أن هذه الموسوعة هي أول التجارب التي تقوم في هذا الميدان من حيث الموضوع ، ومن حيث أسلوب التنفيذ . فقد تم بصورة قومية في التخطيط الفني والاداء العلمي والتمويل ، الأمر الذي يمثل في ذاته انجازا عربيا رائدا في هذا المجال .

ان الجوانب الفنية في هذا العمل الجليل ، منهجية وتنظيما وتحريرا واخراجا ، تولاها الزملاء تعريفا وتقديما .

وان من هي هنا أن أدير القول قصيرا عن المعنى القومي والفكري الذي ينطوي عليه هذا العمل ، وعما يمكن أن يعين به في الاعلام بالحق الفلسطيني عالميا ، وبخاصة حين تترجم الى اللغات الاجنبية ، وأن أعبر عن اعتزاز المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بتبنيها لهذه المبادرة الجليلة التي كانت ثمرة للتعاون الوثيق مع منظمة التحرير (دائرة التربية والتعليم العالي) ، وأن أشيد بالسعي القادر لهيئة الموسوعة الفلسطينية ومجالسها وأجهزتها في مجال العمل العربي المشترك والملتزم .

لقد كانت هذه الموسوعة تجربة عربية ناجحة ونافعة في أكثر من مجال . وكانت وراء هذا العمل قوى عربية فاعلة : دول ، ومؤسسات ، وأفراد ، وعلماء ، ومنظمون ، أعانوا فدعموا وأعطوا وأنجزوا ، والشكر المستحق هنا كثير ، ومجاله واسع . واني لأعلم أن هؤلاء وأولئك يجدرن في تحقيق هذا العمل كل الثواب والجزاء والتقدير لما بذلوا من فكر أو جهد ، أو انفقوا من مال .

ومهما يكن من أمر فإن من حق المؤتمر العام للمنظمة ومجلسها التنفيذي ورؤسائها وأعضائها في دوراتها المتعاقبة أن يسجل لهم دورهم الايجابي في كل مراحل هذا العمل . كما أن هيئة الموسوعة وأعضاء مجلسيها الاستشاري والتنفيذي والفني الذين أداروا المعركة اليومية لسنوات سعياً وبذلاً وأداء حتى أخرجوا الفكرة الى الوجود ليستوجبون بما صنعوا الاشادة والتقدير من وطنهم وأمتهم . وهيئة التحرير والعلماء والخبراء والمثقفون العرب المشاركين الذين كانوا في مستوى المسؤولية معرفة والتزاما البناء الباقي الذي يتكافأ مع ما أدوا من عمل فكري وعلمي وقومي باق وخالد .

واذا كان في هذا المقام متسع لتخصيص فانه لا بد من الاشادة بالدعم المالي السخي الذي أسهمت به المملكة العربية السعودية في اطار الدعم القومي الذي شاركت فيه الدول العربية والمؤسسات والافراد كرما ومسؤولية .

كذلك فإنه إذا كان بين أولئك النفر الكريم من العرب الذين أسهموا بقدرة وكفاية وعطاء وانتماء لهذا العمل الكبير من يجب التنويه بفضله فان للاستاذ أحمد المرعشلي ، رئيس مجلس ادارة الموسوعة ، ومدير دائرة التربية والتعليم العالي بمنظمة التحرير الفلسطينية ، وعضو المجلس التنفيذي للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم لأعوام طويلة ودورات متتابعة ، نصيباً كبيراً في هذا العمل فكرة ومتابعة وادارة . فقد انقطع له وطل يعطيه من ذات نفسه ، ومن اصواره ، حتى تحقق في هذه الصورة بين أيدينا . ومن حق الاستاذ عبد الهادي هاشم رئيس تحرير الموسوعة ومعاونيه أن يذكر لهم جهدهم وعطاؤهم وحسن بلائهم في هذا العمل الرائد .

واني حين أقدم الموسوعة الفلسطينية باعتزاز إلى الأمة العربية والرأي العام العالمي لأدرك أن عصرا من النضال يفتتح بها في مجال الفكر والسياسة والثقافة ، وانها أداة فاعلة من أدوات النصر في معركتنا العادلة من أجل فلسطين العربية أبداً لأنها تمثل انجاز الشعب العربي الفلسطيني وعطاءه ونضاله في بناء الحضارة العربية على أرضه عبر العصور .

والحمد لله رب العالمين .

تصدير
الأستاذ احمد المرعشلي
رئيس مجلس إدارة هيئة الموسوعة الفلسطينية

تشغل فلسطين اليوم بال العالم بأسره، وتطالعنا الصحف صباح مساء بأنبائها، وتتحدّث الإذاعات عمّا يجري على صعيدها وما يدبّر لها . وتؤلف الكتب لشرح جوانب من قضيتها أو تاريخها أو حاضرها أو مستقبلها .

ولكن لم يؤلف في العربية ، فيما نعلم ، كتاب جامع شامل يتحدث عن هذا البلد المجاهد من شتى الجوانب التي تهم طالب المعرفة . فقد يجوّد كتاب في ناحية هامة ، ولكنه لا يتعرض لنواح أخرى يشوق القارىء العربي الاطّلاع عليها . وقد يتخصص مصدر من المصادر الثقة بالتحدث عن هذا الجانب أو ذاك من حضارة شعب هذا البلد وماضيه ، أو إسهامه في موكب الفكر العالمي ، ولكنه لا يعنى بإبراز جوانب أخرى من ماضيه وحاضره ومنجزاته الفكرية والحضارية ، الأمر الذي يجعل القارىء المثقف المعاصر غير قادر على الوقوع على طلبته بيسر ، ويضطره للرجوع الى عدد كبير من المصادر التي تتحدث عن هذا الجانب أو ذاك .

إلى جانب ندرة المصادر الجامعة يحاول عدوّنا ، عدوّ الحق والصدق والعدل ، أن ينشر الأباطيل والأوهام حول حق العرب في بلدهم فلسطين ، ويشوّه صفحات ناصعة من تاريخهم فيدسّ فيها الأكاذيب ، وقد تنطلي حيناً على بعض من لم يُؤتوا القدرة على كشف تزييف الباطل وإحقاق الحق .

ومعركة العرب مع الصهيونية ومن ورائها معركة حضارية شاملة متعددة الجوانب والوجوه والساحات . وإذا كان ميدان القتال بالسلاح هو أكثر ما تتوجه إليه الأنظار فإن الميادين الحضارية أخطر وقعا وأبعد أثرا وأبقى على مرّ الزمن .

من أجل هذا كلّه لبّى نفر من علماء العرب ومجامعيهم دعوتنا لوضع موسوعة علمية تستوعب الحقائق المتصلة بهذا البلد الطيب وتجيب عن أسئلة القارىء حول ماضي فلسطين وحاضرها وإسهامها في مسيرة الحضارة الإنسانية . واستجابت منظمة التربية والثقافة والعلوم لدعوتنا ، دعوة منظمة التحرير الفلسطينية ، وكان من تعاون هاتين المنظمتين ونلبية نفر من العلماء الأجلاّء المتخصّصين هذه الموسوعة التي نطمع في أن تسد بعض العوز إلى المراجع الموثوقة في العربية . وأملنا أن تأتي بعد هذه الطبعة الأولى من القسم الأول طبعات وأقسام لاحقة أشمل وأكمل وأمثل تقدم للقارىء ما يطلب من المعلومات المنزّهة الموثوقة .

ويسعدني أن أزجي الشكر أجزله وأصفاه للدول والمنظمات العربية والاخوة الباحثين المشاركين الذين أمدونا بعونهم المادي والعلمي وسهروا على أن يحقق مشروع تأليف الموسوعة الغاية التي نصبو إلى تحقيقها ، وأن يجد القارىء العربي فيها إجابة عن أكثر تساؤلاته فيما يتعلق بفلسطين الغالية .

المقدمة

امتدّتْ اليوم رحاب المعرفةوترامت آفاقها واتّسعت جنباتها .وغدا الانسان عاجزاً في هذا العصر عن أن يحيط الاّ ببعض نواحيها . واما ما فوق ذلك فيلمّ به الماما رفيقا بالاطّلاع على ما تقوله الموسوعات والكتب الشاملة فيه . فاذا ما أوغل في ما وراء ذلك لجأ إلى الكتب التي تلخّص له زبدة ما هدى اليه البحث ودل عليه الفكر وأوعبته دراسات الباحثين المتمكّنين كل في مجال ما انفرد به وتخصّص . فكان من ذلك ما يسمّونه اليوم الموسوعات أو دوائر المعارف يضمّنونها خلاصة المعارف التي بلغ انسان هذا العصر اليها في كل جانب من جوانب المعرفة والعلم والفن .

وقد يقتصر الامر على شطر من آفاق المعرفة فتنصبّ العناية بما بلغ اليه علم العصر في زاوية من الزوايا او حقل من الحقول في التاريخ أو الجغرافية أو الادب أو العلم أو الطب أو الفلك ، من مثل دائرة المعارف الاسلامية أو موسوعة القانون الدولي أو موسوعة الفقه المقارن .

وقد عرفت العربية في أزهى عصورها أنموذجات من هذين النمطين في التأليف . ولكن عصرنا هذا لا يقنع بما تمّ صنعه في هذا الميدان ولا يرضى بأن تظل العربية عالة على غيرها من اللغات في دراسة ما يتصل بها وبأهليها عن قرب . ومن هنا جاء التفكير في تزويد العربية بموسوعات شاملة عامة محيطة ، وبموسوعات متخصّصة متعمّقة متمكنة .

وقد أصبحت فلسطين في العقود الأخيرة على كل لسان وفي كل قلب . تتحدّث عنها الصحف صباح مساء ، وتشير الاذاعات الى أحداثها مرات كل يوم ، ويعالج قضيتها وما حلّ بها من آلام كل مهتم بالعدالة والحقيقة ، وتهفو قلوب العرب في مشرق الوطن العربي ومغربه الى معرفة ما حلّ بهذه الأرض المقدّسة من مصائب ونوائب . وأصبح المواطن العربي يتلمس المراجع والمصادر التي تسعفه في وصف هذه الارض الغالية في ماضيها وحاضرها وفي حضارتها وشعبها وفي أفراحها ونكباتها في الغابر والحاضر .

ويلتمس القارىء في المكتبة العربية مراجع تسعفه في تبيّن ماضي هذه الأرض وحاضرها فيجد الكثير الكثير من الكتب والمجلاّت والمراجع التي تتعرّض لهذا الجانب أو ذاك ممّا له صلة بتاريخ هذه البقعة الأثيرة من الارض وحاضرها وأهلها ونصيبهم من مسيرة الحضارة الانسانية . ولكن القارىء العربي لا يظفر بمرجع واف كاف جامع شامل يتحدث عن الارض وما قام عليها من حضارات وما ساهم به أهلوها من دفع عجلة الحضارة الانسانية ، كما لا يجد مصدر ثقة عن هذا البلد في ماضيه وحاضره في الجوانب الحضارية والثقافية والسياسية وما ساهم به أهلوه في تراث الانسانية الثقافي وما كابد أبناء هذه البقعة من ضرّ على أيدي المعتدين الغاصبين .

لهذا تنادى نفر من المهتمين بفلسطين في ماضيها وحاضرها ومستقبلها كما يضعوا بين أيدي القارىء الطّلعة

مرجعا موثوقا يفي بتطلّعه الى معرفة الجوانب الاساسية المتّصلة بأرض فلسطين المقدسة ومن تعاقب عليها وحاول أن يردّ في الماضي والحاضر كيد الكائدين لها الطامعين فيها الذين جنّ الدهر فألفى فلسطين فريسة لهم . ولكن للباطل جولة ثم يضمحل ، ولا بد ان آجلا أو عاجلا من أن يعود الحق الى نصابه وأن يلقى العادون المعتدون جزاء عدوانهم وتعود الأرض المقدسة الى أصحابها الشرعيين .

واننا لنأمل صادقين مخلصين أن تسهم هذه الموسوعة الفلسطينية في امداد القارىء بما يلتمسه في معرفة ماضي هذا البلد وحاضره ونصيبه في مسيرة الحضارة الانسانية واسهامه في ركب التقدم بعد أن يخلص مما حلّ به من ضيم .

وهذه الموسوعة الفلسطينية ليست عمل فرد واحد أو جماعة صغيرة . فقد ساهم في كتابتها ، كل في جانب اختصاصه ، أكثر من مائتي باحث عالم توفروا على معالجة كل ما يتصل بفلسطين من القديم الى اليوم في الميادين كلها . ولئن أرجىء اثبات بعض المواد القليلة الى القسم الثاني من الموسوعة فذلك لان طبيعة بعض البحوث تقتضي الافاضة والتوثيق والتفصيل والشرح مما قد لا يتسع له القسم الهجائي وانما محله القسم الثاني من الموسوعة .

ان الموسوعات الفلسطينية بغير العربية كثيرة ضافية موسّعة . ولكنها لا تتسم جميعا بالتجرد عن الهوى والعصبية ولا تتصف بالعلمية المنزّهة عن الغرض . فقد كتب أكثرها قوم لا يبالون بالحقيقة العلمية ولا يلتزمون الموضوعية المجردة في أحكامهم بل ينساقون وراء أهوائهم وأغراضهم فيجعلون الحق باطلا والباطل حقا ويتحمّسون مع الباطل على الحق حتى ليغمّ الصواب على طالبي المعرفة من أبناء اللغات الاخرى .

واننا لنرجو أن تعقب هذه الطبعة العربية للموسوعة طبعات لجوانب من موسوعتنا هذه، بغير اللغة العربية تيسير السبيل أمام طالبي المعرفة الخفة مبسوطة ببعض اللغات الاجنبية الواسعة الانتشار .

ولا نزعم التجويد في كل ما كتبنا والاصابة في كل ما سردنا ولا الاحاطة في كل ما سقنا من أحكام وتفصيل وسرد ، ولكنها أول محاولة من نوعها فيما نعلم بالعربية تسعف من ينشد المعرفة الشاملة المنزّهة عن الهوى المعصومة من التحيّز . واننا لنرجو أن نكون قد وفقنا الى سد ثغرة ولو صغيرة في ميدان الدراسات الفلسطينية ، ونرجو أن نفتح الباب لدراسات آجلة أوسع وأوثق وأعمق في قضية تشغل كل مهتم باحقاق الحق وازهاق الباطل .

ولئن انصبت العناية في هذه الموسوعة على فلسطين وحدها فليس معنى ذلك انكار عروبتها والزعم بانفصال هذا البلد عن أشقائه وأقربائه . فما فلسطين الا واحد من البلاد العربية يصيبه ما يصيبها من خير أو ضر ولا

يختلف مصيره عن مصير البلاد العربية الأخرى . والكتابة عن فلسطين وتخصيص الموسوعة بها تمهيد لاخراج موسوعات عن بلاد عربية أخرى ، ثم لاخراج موسوعة واحدة شاملة لجميع الوطن العربي . واذا كانت الخطوة الاولى اصدار موسوعة عن فلسطين فلا شك أن خطوات تالية ستتفرّغ لاكمال السلسلة واصدار موسوعات عن البلاد العربية الاخرى . ونرجو أن يكون ما تم صنعه في الموسوعة الفلسطينية خطوة رائدة في هذا النهج تتلوها خطوات أوسع مدى وأكثر شمولا وأرحب أفقا . وأملنا أن يفيد من عملنا من سينهضون باتمام سلسلة الموسوعات العربية ويستدركون ما قد يكون في صنيعنا من نقص وقصور . فاذا استكملت السلسلة من الموسوعات العربية أمكن ضم بعضها الى بعض واستخراج موسوعة شاملة للوطن العربي كله في ماضيه وحاضره .

كان عملنا في وضع هذه الموسوعة الفلسطينية نتيجة دراسات فرعية متفرّقة متخصصة وفّرها لنا علماء كثيرون في مشرق الدنيا العربية ومغربها وفي جميع آفاق المعرفة . وكان عملنا في الجملة تنسيق هذه المعارف وتيسير الاطلاع عليها من أيسر السبل واختيار الارجح من الآراء والاسلم من الاحكام والاوثق من الروايات .

وقد شعر الكثيرون بالحاجة الماسة الى مرجع موثوق يجد فيه المطالع كل ما يهمه من أمر هذا البلد القدس . وكثرت المحاولات ولكنّها توقفت دون اخراج مثل هذا العمل الشامل . وهذا هو الذي حدا المسؤولين عن هذه الموسوعة الى الاقدام على محاولة سدّ هذه الثغرة في المكتبة العربية . ولعلّ القارىء لموسوعتنا هذه سيجد أنها محاولة رائدة أولى لتلافي هذا النقص في العربية . وأملنا أن الصواب فيها غالب وان ما قد يكون في عملنا الرائد هذا من خطأ أو نقص سيتلافى في طبعة الموسوعة القادمة .

وهذه الموسوعة أغراض كثيرة . وليست غايتها الاقتصار على ناحية معينة من فلسطين وانما اطلاع القارىء ايضا على حضارة هذا البلد في القديم والحديث ووصف طبيعته وأرضه . فلموسوعتنا أهداف كثيرة حضارية وعمرانية وثقافية وسياسية . ولا تتم الصورة اذا اقتصر عند الحديث عن فلسطين على جانب واحد من جوانب الكلام على هذا البلد الطيّب . ولهذا ضمت موسوعتنا بحوثا اضافية عن تاريخ فلسطين وحاضرها وعن حضارة هذا البلد وأهله وعن تاريخه النضالي على مر العصور .

ولن تقتصر هذه الموسوعة على الناحية النضالية في فلسطين ، ولن تقف عند حدود باب القضية . فالقضية امر طارىء ترجو أن يزول في القريب العاجل . وانما نود أن نضع بين أيدي القارىء العربي مرجعا موثوقا يدلّه في يسر وصدق ووضوح على مساهمة هذا البلد العربي في مسيرة الحضارة الانسانية ، وعلى نصيبه الاوفى في الحضارة العربية . فالاعتداء الغاشم عارض ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض ؛ ومعرفة فلسطين لا تكون بالاقتصار على معرفة جهادها ونضالها في هذا العصر ، ولا تتم الصورة الا بالاطلاع على جذور حضارة هذا البلد الطيب

وأهليه منذ القدم . ولهذا عالجت الموسوعة أبرز مظاهر حضارة هذا القطر منذ الماضي السحيق ، وعرضت لابنائه في مآتيهم الحضارية والنضالية منذ الماضي البعيد ؛ فالحاضر نتيجة الماضي ، والمستقبل وليد الحاضر ، والتاريخ حلقات مترابطة آخذ بعضها بحجز بعض . وليست الحضارة العربية التي نشأت في فلسطين بنت عصر واحد وانما هي حلقات متماسكة مترابطة متتابعة منذ أقدم العصور حتى يومنا هذا . وقد يعسر فهم الحاضر ان لم نعد الى الجذور والاعماق ، وقد يتعذر فهم حضارة الشعب الفلسطيني ان لم نلتمس جذورها في ما يجاوره من أبناء الشعب العربي ، ولم تكن فلسطين الا حلقة من حلقات هذه الامة العربية منذ أقدم العصور . ونرجو أن تنزاح عن فلسطين هذه الغمة التي نزلت بها منذ أربعين سنة حتى تعود هذه الأرض الطيبة الى مقاسمة اخواتها أفراحهم وأتراحهم وتشاركهم في المصير الواحد ، وإن الصبح لقريب .

وليست موسوعتنا هذه عملا دعائيا اعلاميا يعنى بابراز بعض الجوانب التي تهم القارىء المتعجل في فترة محددة من الزمن وانما نحاول في موسوعتنا ابراز الحقائق قديمها وحديثها متماسكة مترابطة على مر الزمن ناشىء بعضها عن بعض . وقد يجد القارىء المتعجل وفرة في المواد المتعلقة بماضي هذا البلد الطيب ، وقد يكتفي بقراءة مواد من الموسوعة موثوقة على فترة معينة من التاريخ . ولكنا أحببنا أن تكون الموسوعة مترابطة متماسكة تصل الحاضر بالماضي وتستشرف آفاق المستقبل ، وحاولنا أن نوعب الموسوعة كل ما يتصل بفلسطين .

ولقد أحس بالحاجة الى انجاز هذا العمل الضخم واخراج موسوعة فلسطينية شاملة متكاملة نفر من العلماء المخلصين المجاهدين شعروا بحاجة المواطن العربي الى مرجع علمي يثبت جميع الحقائق المتصلة بفلسطين ويلبي طلبة القارىء العربي الى معرفة ماضي هذا البلد وحاضره فكان ان استجابوا دعوة هذا العمل الكريم .

وكان قد صدر قرار بتأليف مجلس ادارة لهذا المشروع ، كما صدرت قرارات أخرى بتحديد الجهات المسؤولة عن انفاذه . ودعيت منظمة التحرير الفلسطينية ممثلة بالمدير العام لدائرة الشؤون التربوية والثقافية فيها والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ممثلة بمديرها العام وعقد اتفاق بين هاتين الادارتين الثقافيتين لاخراج هذه الموسوعة . والتف حول العاملين في هاتين المنظمتين نفر من العلماء والباحثين المخلصين فكان بنتيجة ذلك هذا المشروع .

وقد اضطلع بتحرير مواد الموسوعه أكثر من مائتي عالم عربي متخصص كل في المجال الذي يتقن ، وبمراجعة ما كتب نفر من المتخصصين الآخرين . كما عملت هيئة التحرير على تنسيق البحوث وتشذيبها وتحاشي التكرار فيها او تباين اتجاهاتها دون التدخل الكبير فيما كتبه هؤلاء المتخصصون من البحوث . وقد شاءت رئاسة التحرير أن يكون التدخل في صنيع المحررين ضيق الحدود بحيث تبقى البحوث من صنيع أصحابها في الجملة لا من عمل

هيئة التحرير ؛ فالعمل مشترك جماعي ، والتبعة موزعة بين الكتّاب أنفسهم ، وليس للجنة التحرير الا التنسيق والتوفيق وتوحيد المنهج بقدر ما يعين عليه الجهد وتبلغ اليه الطاقة .

ولعلنا لا نغلو البتة اذا زعمنا أن عملنا هو أول عمل في العربية ساهم فيه فعلا أكثر من مائتي عالم وباحث متخصص وانه حقق أمل الكثيرين في تزويد المكتبة العربية بمرجع ثقة عن أكثر ما يتعلق بفلسطين من حيث طبيعتها وتاريخها وحضارتها وقضيتها . ومع ذلك فاننا نطمح في أن تكون طبعات الموسوعة المقبلة أشمل وأحكم وأدق في المستقبل القريب ان شاء الله . وبحسبنا أننا لم نضن بجهد في سبيل تجويد العمل واتقانه وشموله ودقته .

ولعل القارىء يودّ أن يطّلع على بنية مشروع الموسوعة وانجازه . فنقول باختصار ان للموسوعة مجلسا استشاريا يضمّ نفرا من كبار رجال العلم والفكر والعقيدة اختيروا من العاملين في مجالات ثقافية ونضالية متعددة في البلاد العربية ولم يختص بهم قطر معين ولا اتجاه علمي محدّد، ويؤلفون في مجموعهم هيئة علمية متميزة عارفة بفلسطين في ماضيها وحاضرها من جميع الوجهات .

والى جانب هذا المجلس الاستشاري هناك مجلس اداري يضمّ عددا محدودا من كبار العلماء العارفين اختيروا من أكثر من بلد عربي واحد ويمثّلون ميادين الثقافة كلها ريضطلعون بعبء الاشراف على تحرير الموسوعة واخراجها وتحقيق ما اراده لها القائمون عليها من موضوعية وعلمية وشمولية وحسن اختيار لكل ما يتعلق بهذا الموضوع .

وإلى جانب هؤلاء جميعا هيئة تحرير تضمّ متخصصين بفلسطين من الناحية الحضارية والتاريخية والعلمية والسياسية تقع على عاتقهم تبعة مراجعة البحوث والايصاء بتجويدها وتنسيقها وترابطها وشمولها .

أما المسؤولية الكبرى فمن نصيب العشرات من الباحثين المتخصصين من مشرق الأمة العربية ومغربها العارفين بماضيها وحاضرها في جميع الحقول والميادين الذين يجد القارىء ثبتا باسمائهم واشارة موجزة الى ألقابهم العلمية .

وهناك جنود مجهولون يتعذر سرد أسمائهم أو يضنون بالاشارة الى صنيعهم . فقد عملوا في انجاز هذا المشروع وهم لا يريدون جزاء ولا شكورا وانما يودّون اداء واجب يرون الخير كل الخير في الوفاء به ويرضون أن يصدر العمل أقرب ما يكون الى الكمال دون أن ينسب اليهم شيء من الفضل فيه .

ولن ندخل في التفاصيل ، ولكن يحسننا أن نقول اننا مسؤولون عن هذا العمل المشترك وسنعمل على تدارك ما قد يكون فيه من زلل أو نقص اذا نبّهنا اليه أو تبيّن لنا مع الايام وجوب اصلاحه .

هذا وقد اقتصرنا على ذكر أسماء الاساتذة الباحثين المتخصصين الذين كتبوا للموسوعة ونشرت بحوثهم فيها ولم نحدّد البحوث التي أعدها كل منهم لان هيئة التحرير اضطرت الى بعض التعديل في المقالات لتناسب خط الموسوعة أو لتتجنب تكرار ما ورد في مواد أخرى أو لاختصار موضوعات مفصّلة أو تفصيل موضوعات موجزة . وهذا ، وتجنبا لتحميل كاتب البحث تبعةصدور البحث على شكل معين، اكتفينا باثبات قائمة بأسماء الاساتذة الباحثين الذين نشرت بحوثهم كما كتبوها أو كما عدّلتها هيئة التحرير . ونعتذر الى الاساتذة الباحثين الذين وافوا الموسوعة ببحوث مستقلة رأت هيئة التحرير ضمّها إلى بحوث اخرى أشمل وأكمل بحيث أصبحت مقالاتهم شطرا من مقالات أخرى أعمّ وأشمل . على أننا نؤكد أننا التمسنا في ذلك كله مصلحة القارىء وتيسير سبل المعرفة لطالبيها .

وشاء القائمون على الموسوعة أن تكون العناية باخراجها مكافئة للجهد الذي بذل في كتابتها وتأليفها ولم يضنّوا بأي جهد ممكن للوفاء بذلك . ولئن لم يحققوا كل ما صبوا اليه فانهم في الجملة راضون عن طباعة هذا الشطر من الموسوعة واخراجه على الشكل الذي يراه القارىء ، وان كانوا يأملون أن تأتي الطبعات المقبلة خيرا من هذه الطبعة التي انجزت في ظروف صعبة ، فما لا يدرك كله لا يترك جلّه ، واننا لنعد القارىء أن تكون طبعات الموسوعة في المستقبل أفضل مما استطعنا بلوغه برغم الجهد الذي بذلنا والنتيجة التي حققنا .

جعلنا الموسوعة بادىء ذي بدء في أبواب ثلاثة : باب الارض ، باب الشعب والحضارة ، باب القضية . واستخرجنا عناوين جميع الموضوعات التي يحسن أن تعالجها الموسوعة ثم ضممنا اليها جانبا يعرّف بالأعلام أولي الصلة بفلسطين في الماضي والحاضر حضاريا وعلميا وسياسيا . ثم قسّمنا كلا من هذه الابواب الى عناوين فرعية استخرجنا ما يضمّه كل منها من مواد وعهدنا الى عشرات من الباحثين المختارين الكتابة فيها. وقد روعي في اختيار مواد الموسوعة التركيز على فلسطين في مسيرة الحضارة الانسانية . ثم جمعنا هذه البحوث بعد مراجعتها وتدقيقها ورتّبناها ترتيباً هجائياً ووحّدنا بقدر الامكان اسلوب المعالجة فيها وتجنبنا التكرار فيها ما أمكن ، ثم حاولنا الاحالة في اكثر الموضوعات على الموضوعات الاخرى المتعلقة بها او المتصلة اتصالاً وثيقاً ببعض ما فيها حتى يتاح للقارىء ربط الموضوعات المتقاربة او المتجاورة بعضها ببعض . وأكثرنا من الاحالات، وعقّبنا على البحوث بالمراجع الموثوقة لمن اراد التوسع فيها ، وحاولنا تجنّب التكرار ودلالة القارىء على المراجع الاوفى اذا ما شاء المزيد من المعارف في الموضوعات التي يتخيرها . وقد لقينا في ذلك بعض العناء لقلّة المراجع في بعض موضوعات الموسوعة . وقد نحيل القارىء على مراجع قديمة اذا لم يغنِ عنها مرجع موثوق حديث متوفر بين ايدي ملتمسي المعرفة . على أننا لم نثقل الموسوعة بذكر كل المراجع ، فحسبك من القلادة ما أحاط بالعنق .

وتقع موسوعتنا في أقسام ثلاثة : أولها رتبت فيه المواد ترتيباً هجائياً بحسب عناوينها ، وثانيها يشتمل على بعض المواد الأساسية التي اختيرت من بين أكثر من ألفي عنوان وعولجت معالجة مطوّلة شاملة متأنية تمثل بحوثاً اختصاصية أساسية . وأما القسم الثالث من الموسوعة فيضم الاحصاءات والصور والخرائط وثبتاً بالمراجع الشاملة .

واذا كنا قد انجزنا الشطر الاول من الموسوعة ، القسم الهجائي العام ، ففي النيّة ان نشرع قريباً في إعداد قسمها الثاني الذي يضمّ الدراسات التخصصة المختارة في موضوعات رئيسة شاملة جاء الحديث عنها مقتضباً او كالمقتضب في الموسوعة في شطرها الاول . وسيختلف الحديث في هذا القسم عن الحديث في الموسوعة في شطرها الاول لان البحوث ستكون اكثر شمولاً واوسع أفقاً وأعمق دراسة وان كانت اقل عدداً . وسيرى القارىء في قسم الموسوعة الثالث الكثير من الخرائط والصور والجداول وكلها تكمّل هذا القسم الاول الذي يراه القارىء في الصفحات التالية .

ولم يكن باستطاعتنا ان نساير الاحداث التاريخية حتى يوم الطباعة . ولهذا آثرنا التوقف عند نهاية العام ١٩٨٢ ، وأملنا ان تشتمل الطبعات القادمة على ما يجدّ في مجال الموسوعة من حيث الاحداث التاريخية والنضالية والعلمية والثقافية والأعلام . ويلاحظ القارىء اننا لم نتعرّض في مجال الأعلام بترجمة مستقلة للمعاصرين الاحياء من الرجالات .كما ان هنالك مواد ارجأناها وكانت النية معقودة على ادراجها في الشطر الاول من الموسوعةالذي نقدمه الى القرّاء اليوم ، ولكننا سندرجه في القسم الثاني . وسبب ارجاء هذه الموضوعات على قلّتها الرغبة في الافاضة واعطاء البحوث حقها من التوسع والشمول .

وهنالك بعض الضوابط التفصيلية التي نودّ ان نلفت نظر القارىء اليها ، ومنها أننا لم ندرج في الموسوعة اسماء كل التجمعات العربية الفلسطينية وانما اكتفينا بالتحدث عن البلدان العربية الفلسطينية التي يجاوز عدد سكانها خمسة آلاف نسمة ، باستثناء القرى العربية الفلسطينية التي ازالها الصهيونيون من الوجود فقد ترجمنا لاكثرها . كما اننا عرّفنا بايجاز التجمعات الاسرائيلية الكبيرة التي يجاوز عدد سكانها عشرين الفاً ولم نتعرض للتحدث عن المستعمرات الصهيونية الاخرى التي اقامها الغاصبون على ارض الوطن .

هذا وقارىء موسوعتنا لا يعمّ عليه اسقاطنا كلمة « فلسطين » و « في فلسطين » من اكثر العناوين التفصيلية . فهو يعرف ان موضوعات موسوعتنا منصبّة على فلسطين واغفال ذكر ذلك في عناوين البحوث لا يوقع في اللبس ؛ على اننا أثبتنا هذه الكلمة « فلسطين » او « في فلسطين » عندما حسّنا اللبس في بعض العناوين .

ولا تفرّق الموسوعة بين كلمتي : (سنة) و (عام) بالرغم من قيام فارق لغوي بينهما في الاصل لم يأخذ به الاستعمال .

واذا وردت لفظة (اسرائيل) في بعض بحوث الموسوعة فلا يعني ذلك الاعتراف بها دولة شرعية ، ولكن قد ترد هذه اللفظة في أقوال مستشهديها أو نصوص واردة فيها ، هذا بالاضافة الى انها ترد للدلالة على فترة تاريخية قديمة معيّنة .

رتبنا المواد ترتيباً هجائياً ييسّر على مطالعي الموسوعة الوقوع على طلبتهم فيها . ولكننا اغفلنا (آل) التعريف مع مطالع الاسماء ، كما أغفلنا في بدايات الاعلام عند ترتيبها لفظة (ابن ، أبو ، بنت ، بنو ، أم ، آل) الاّ اذا اصبحت جزءاً من اسم العلم .

يرد الحرف المشدّد في التصنيف على انه حرف واحد لا حرفان . كما ترد الالف المقصورة وكأنها ياء .

درجنا في ترتيب المواد على اثبات المادة مرتبة وفق الكلمة الموصوفة . وأما اذا كان العنوان يشتمل على مضاف ومضاف اليه فقد التزمنا اثبات المادة مرتبة وفق المضاف اليه . وقد نضطر الى الخروج عن هذا المبدأ اذا كان المتضايفان قد أصبحا بمثابة كلمة واحدة .

وقد استكثرنا من اثبات الاسماء المتضايفة في مكانين في الموسوعة احدهما في الاسم المضاف اليه ليهتدي القارىء الى مكان وجود الترجمة حينما وردت .

كتبت الأعلام بحروف عربية مقاربة وفق ما درج عليه اكثر الكتّاب في العربية ، ولكننا حذفنا حرف المد الساكن اذا ما وليه حرف مسكّن فقد نحذف الالف والواو والياء المدّية الدالة على حركات اذا ما وليها حرف مسكّن . ولكننا لم نلتزم هذا الحكم اذا أدّى الالتزام به الى شيء من اللبس . ومع ذلك فقد كنّا نميل الى اثبات الرسم المشهور الذي اعتاده القارىء العربي دون التزام تام بقاعدة معينة فنحذف الواو بعد الدال ونثبتها بعد التاء في كلمة (دكتور) .

التزمنا التاريخ الميلادي الشمسي في مجمل الموسوعة بما في ذلك حيوات الأعلام . وكنا نضيف اليه التاريخ الهجري اذا كانت هذه الاضافة تزيد في الوضوح بحسب موضوع المقال .

أكثر بحوث الموسوعة مذيّلة بثبت أقرب الى الايجاز يشتمل على ما نقدّر انه أوثق المراجع للتوسع في المادة والتفصيل لما أجملته . ولم نستكثر من المراجع بغير العربية لان الموسوعات الاعجمية أولى بذكرها .

اعتمد النظام العشري في بيان الاطوال والمقاييس والمسافات والاحجام والاوزان والمساحات ومقاييس الحرائط المرفقة للبحوث . كما اعتمدت في مساحات الاراضي وحدة الدونم او الهكتار .

استكثرنا من الخرائط التي تدلّ على امكنة التجمعات السكانية ومواقعها كما أثبتنا خريطة موحّدة لكل قرية

فلسطينية تدلّ على موقعها بدائرة سوداء مطموسة وبجانبها اسم القرية ، وتظهر عليها سبع دوائر فارغة لأهم المدن الفلسطينية أُثبت الى جانبها الحروف الاولى من اسماء بعض المدن الشهيرة كما يلي : (ص : صفد ، ح : حيفا ، ي : يافا ، ق : القدس ، غ : غزة ، ب : بير السبع ، ا : ايلات) لتكون دليلاً ومرشداً في تحديد مواقع التجمع السكاني في فلسطين . كما زودت الخريطة الموحّدة هذه في هامشها بدرجات الطول والعرض وكذلك بمقياس خطي لتقدير المسافات .

اقتصرت جميع مواد باب الارض على المواقع والاماكن والتجمعات السكانية وغيرها التي تدخل في حدود فلسطين المعروفة بموجب صك الانتداب باستثناء منطقة الجولان الواقعة خارج حدود فلسطين .

أدخلت في الموسوعة :

أ ـ جميع القرى المندثرة على يد الصهيونيين مهما يكن حجمها وعدد سكانها باستثناء القليل منها الذي لا يتجاوز سكانه عشرة اشخاص .

ب ـ ضم الى الموسوعة بحث موحّد عن القرى العربية المندثرة قبل قيام الكيان الصهيوني ذكرت فيه اسماؤها ملحة في رسمها وردت في نهاية البحث .

جـ ـ جميع القرى العربية القائمة الآن ويقطنها سكانها العرب ويزيد عددهم عن ٥٠٠٠ نسمة حين صدور الموسوعة ترد فيها تحت تسمية بلدة .

د ـ يجوز ان تكون بعض القرى العربية القائمة حالياً في فلسطين لم تذكر في الموسوعة لان عدد سكانها لم يكن قد جاوز ٥٠٠٠ نسمة عند اعداد البحث ، ولكن قد اتسعت منذئذ وجاوز عدد السكان فيها هذا الحد ، ونثبت التعريف بها في الطبعات المقبلة .

هـ ـ التجمعات الصهيونية الكبيرة التي يجاوز عدد سكانها عشرين الفاً .

عند ذكر الاحداث النضالية والسياسية اكتفينا بالالماح الى الحوادث كما جرت دون ان نفيض في بيان أسبابها وتحليلها واستخراج النتائج منها ، فمكان هذا كله القسم الثاني الخاص من الموسوعة . أما القسم الاول العام فيشتمل على وصف الاحداث وسرد الوقائع دون الافاضة في التحليل والاستنتاج .

في سياق البحوث يجد القارىء أحياناً حرف الرّاء (رّ) متلوا بعنوان صغير ، والراء هذه هي فعل الامر من رأى يرى ، والمقصود احالة القارىء على مراجعة المادة المذكورة بعد الرّاء (رّ . . .) مثال ذلك عند الحديث عن صناعة المسوجات في المجدل وعسقلان يجد القارىء : (ر : النسيج ، صناعة ـ)، والمقصود ان يراجع القارىء للاستفاضة في البحث مادة صناعة النسيج في الموسوعة .

اذا ورد في تضاعيف البحث اشارة الى موضوع له مادة مستقلة في الموسوعة وضع فوق عنوانه نجمة ثمانيّة تدل على ان في الموسوعة مادة مستقلة بهذا العنوان .

حرصت الموسوعة على ذكر مؤلفات العلماء الأعلام الأساسية والتوسع في اظهار مكانتها في التراث العربي والانساني .

أدرج في الموسوعة عدد كبير من اسماء اعلام العرب الذين اسهموا في صنع تاريخ فلسطين العلمي والحضاري والفكري والنضالي . وقد رتبت هذه الاسماء تبعاً لاسمائهم الشخصية مع الاستكثار من الاحالات لمن اشتهروا بألقابهم أو كناهم . ومن هؤلاء الاعلام من نسب الى فلسطين وان لم يولدوا او يقيموا فيها بسبب الحروب والنكبات والاضطرابات السياسية .

هذا ونقول آخراً اننا جهدنا في ان يكون العمل الذي نقدمه في هذه الموسوعة بريئاً من الخطأ منزّهاً عن الزلل ، فاذا ما سهونا أو أخطأنا من حيث لا ندري في بعض ما سقنا من أحاديث وأحكام فليثق القارىء اننا حرصنا على تجويد العمل والاعتدال في الحكم والتنزّه عن الجور ، وأردنا ان تكون الموسوعة بحوثاً علمية بنجوة عن التحيز والهوى ، موضوعية في أحكامها واغراضها .

واذا ما فاتنا حيناً بعد حين الالتزام بما عقدنا العزم عليه فنلتمس من القارىء العذر ونعده بان نأخذ بكل رأي وملاحظة واقتراح وتصويب يرد الينا لتداركه في الطبعات المقبلة اذا تبيّن صوابه .

ولزام علينا في الختام ان نزجي الشكر أجزله وأوفاه لجميع الدول العربية والمنظمات التي آزرتنا ولكل من أسهم معنا في انجاز مهمتنا هذه . ونخص بالشكر الاخوة في منظمة التحرير الفلسطينية وفي المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وجميع من شارك في اعداد واصدار هذه الموسوعة ؛ والنصر والبقاء لفلسطين العربية .

عبد الهادي هاشم
رئيس التحرير

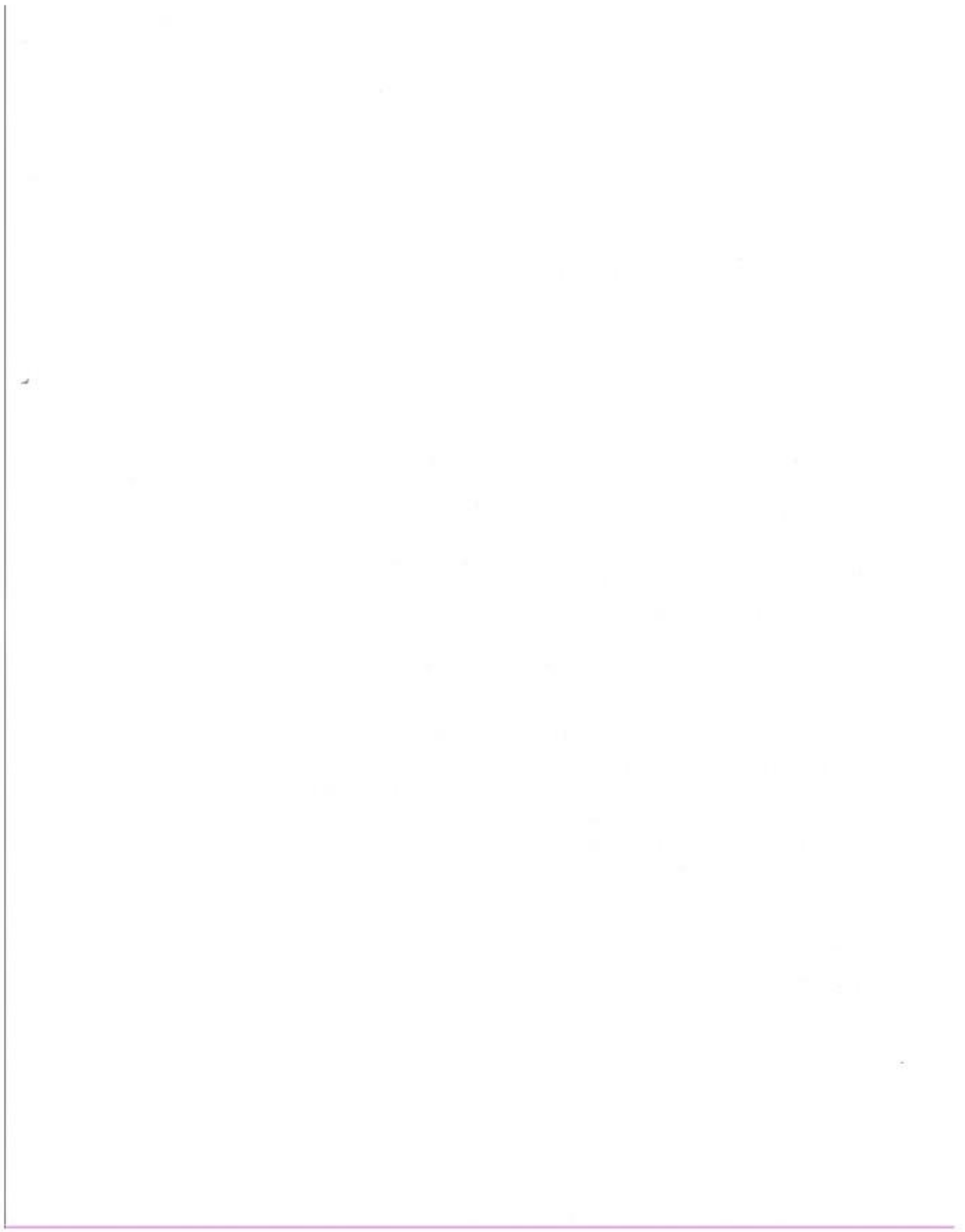

المجلس الاستشاري
لهيئة الموسوعة الفلسطينية

رئيس المجلس	**الأستاذ محمد مزالي**	الوزير الأول في الجمهورية التونسية .
النائب الأول لرئيس المجلس	**الأستاذ ذوقان الهنداوي**	عضو مجلس الأعيان الأردني ، وزير التربية والتعليم في المملكة الأردنية الهاشمية سابقاً .
النائب الثاني لرئيس المجلس	**الأستاذ الدكتور عبد الوهاب الكيالي (انتقل الى رحمة الله)**	عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية سابقاً .
المقرر	**الأستاذ طلال ناجي**	عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية .

الاعضاء

الأستاذ الدكتور احسان عباس	رئيس الدائرة العربية ، الجامعة الأمريكية - بيروت .
الأستاذ أحمد بهاء الدين	رئيس اتحاد الصحفيين العرب سابقاً .
الأستاذ أحمد خليفة السويدي	وزير خارجية دولة الإمارات العربية المتحدة سابقاً .
الأستاذ الدكتور أحمد طالب الابراهيمي	وزير خارجية الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية .
الأستاذ الدكتور أحمد عبد الستار الجواري	نقيب المعلمين العرب ، ووزير التربية والتعليم والأوقاف الأسبق في الجمهورية العراقية .

الأستاذ أحمد المرعشلي	رئيس مجلس ادارة هيئة الموسوعة الفلسطينية ، عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية سابقاً .
الأستاذ الدكتور جورج طعمة	أستاذ العلوم السياسية في جامعة الكويت ، وزير الاقتصاد الوطني في الجمهورية العربية السورية سابقاً .
الاستاذ الشيخ حسن عبد الله آل الشيخ	وزير التعليم العالي ، الرئيس الأعلى للجامعات في المملكة العربية السعودية .
الأستاذ الشاذلي القليبي	الأمين العام لجامعة الدول العربية .
الأستاذ الرئيس شارل حلو	رئيس الجمهورية اللبنانية سابقاً .
الأستاذ الدكتور شاكر الفحام	وزير التعليم العالي في الجمهورية العربية السورية سابقاً .
الأستاذ طارق عزيز	عضو مجلس قيادة الثورة العراقي ، نائب رئيس مجلس الوزراء ، وزير الخارجية في الجمهورية العراقية .
الأستاذ عبد العزيز حسين	وزير الدولة لشؤون مجلس الوزراء ورئيس المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب في دولة الكويت .
الاستاذ الشيخ عبد الوهاب أحمد عبد الواسع	وزير الحج والأوقاف في المملكة العربية السعودية .
الأستاذ الدكتور كمال ناجي	مستشار وزارة التربية والتعليم ورعاية الشباب بدولة قطر ، رئيس المجلس التنفيذي للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم سابقاً .

الأستاذ عبد المحسن أبو ميزر	عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية .
الأستاذ الدكتور محمد أحمد الشريف	أمين الدعوة الاسلامية في الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية وأمين التعليم والتربية الأسبق .
الأستاذ الحاج محمد باحنيني	وزير الدولة المكلف بالشؤون الثقافية في المملكة المغربية .
الاستاذ الشيخ محمد بن محمد آل ثاني	وزير التربية والتعليم ورعاية الشباب في دولة قطر .
الأستاذ الدكتور محمد الفرا	الأمين العام المساعد لجامعة الدول العربية .
الأستاذ الدكتور محي الدين صابر	المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .
الأستاذ الدكتور يوسف صايغ	عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، رئيس مجلس إدارة الصندوق القومي الفلسطيني ، وأستاذ الاقتصاد في الجامعة الأمريكية في بيروت ، سابقاً .

مجـــلس ادارة
هيـــئة الموسـوعـة الفلسطينية

الرئيس	الأستاذ أحمد المرعشلي	عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية سابقاً .
المقرر	د. أنيس صايغ	مستشار أمين عام جامعة الدول العربية ، مدير عام مركز الأبحاث الفلسطيني سابقاً .

الاعضـــاء

أ . إبراهيم الفلاح	نائب رئيس المجلس التنفيذي للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .
د. الطاهر قبقة	المدير العام المساعد لادارة الثقافة في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم سابقاً .
د. محمد صفي الدين أبو العز	الاستاذ في كلية الآداب ـ جامعة الكويت . وزير الشباب في الجمهورية العربية المتحدة سابقاً .
د. ناصر الدين الأسد	رئيس المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية ـ مؤسسة آل البيت في المملكة الأردنية الهاشمية .
د. نوري حمودي القيسي	رئيس معهد البحوث والدراسات العربية في بغداد .

اعضـاء مجـلس الادارة السـابقون

د. أحمد محمد علي	رئيس البنك الاسلامي للتنمية ـ المملكة العربية السعودية .
د. عصام عبد علي	وزير التعليم في الجمهورية العراقية سابقاً .

الباحثون المشاركون

ابراهيم الزقرطي	ماجستير في الآداب / جغرافية من جامعة القاهرة . مدير دائرة الأبحاث والدراسات في المركز الجغرافي الأردني .
ابراهيم السماقبن	دكتوراه في الآداب / اللغة العربية وآدابها من جامعة القاهرة . أستاذ في جامعة اليرموك في المملكة الأردنية الهاشمية .
ابراهيم شريف	دكتوراه في الآداب / جغرافية من جامعة الإسكندرية . أستاذ في كلية التربية بجامعة بغداد .
ابراهيم الكيلاني	دكتوراه في الآداب من جامعة السوربون بباريس، أستاذ في جامعة دمشق سابقا . عضو هيئة تحرير مجلة التراث العربي .
احسان شيشكلي	مدير العلاقات العامة في وزارة السياحة في الجمهورية العربية السورية .
احسان صالحة	عضو مجلس ادارة جمعية رعاية أسر شهداء ومجاهدي فلسطين .
أحمد بدر	دكتوراه في التاريخ من اسبانيا ، أستاذ في كلية الآداب بجامعة دمشق .
أحمد الحاج سعيد	دكتوراه في الكيمياء من جامعة برمنغهام في انكلترا . أستاذ في جامعة دمشق . مدير عام مساعد لادارة العلوم في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في جامعة الدول العربية .
أحمد طربين	دكتوراه في التاريخ العربي الحديث من جامعة عين شمس بالقاهرة . أستاذ في كلية الآداب بجامعة دمشق .
أحمد عبد الهادي	مدير عام الهيئة العامة للاجئين الفلسطينيين العرب في الجمهورية العربية السورية .

أحمد محمد الديسي	دكتوراه في الجغرافية . أستاذ في الجامعة الأردنية .
أحمد محمود الحصري	دكتوراه في الفيزياء النووية من جامعة بريستول في انكلترا . أستاذ في كلية الهندسة المدنية بجامعة دمشق . عضو في مجلس ادارة هيئة الطاقة الذرية السورية .
أحمد محمود دخل الله	بكالوريوس في الجغرافية من الجامعة الأردنية . مدرّس الجغرافية في ثانويات الأردن .
أحمد نسيم سوسة	دكتوراه في الهندسة من جامعة جونز هوبكنز في الولايات المتحدة الأمريكية . مدير عام دائرة المساحة في العراق سابقا .
أديب خوري	مهندس متخرج من الجامعة الأمريكية في بيروت ، مقاول .
أسامة المدلل	مدير مؤسسة مياه الشرب ـ عمان ، المملكة الأردنية الهاشمية .
اسحق موسى الحسيني	دكتوراه في اللغات السامية من جامعة لندن . عضو عامل في مجمع اللغة العربية في القاهرة وفي مجمع البحوث الاسلامية في الأزهر ، وفي المجمع العلمي العراقي .
أسعد عبد الرحمن	دكتوراه في العلوم السياسية من جامعة كالجري في البيرتا/كندا . أستاذ في جامعة الكويت . رئيس تحرير مجلة العلوم الاجتماعية (الكويت ـ جامعة الكويت) سابقا .
اسماعيل أحمد ياغي	دكتوراه في التاريخ الحديث من جامعة القاهرة . أستاذ في جامعة الامام محمد بن سعود في المملكة العربية السعودية .
أكرم زعيتر	عضو مجلس الأعيان الأردني . وزير وسفير في المملكة الأردنية الهاشمية سابقاً . عضو مجمع اللغة العربية بعمان . رئيس اللجنة الملكية لشؤون القدس . عضو المجمع الملكي لبحوث الحضارة الاسلامية (مؤسسة آل البيت) .

ألـــر بيرغـــر	حاخام أمريكي مناوىء للصهيونية .
الأب الياس زحـلاوي	عالم في اللاهـوت .
الياس فرح	دكتوراه في التربية من جامعة جنيف . استاذ في جـامعة دمشق سـابقا . متفـرغ للعمل الثقافي .
أمـــل قـــدورة	اجازة في الآداب / التاريخ من كلية الآداب بجامعة دمشق ، دبلوم في التربية . مـديرة ثانوية السيدة عائشة في حماة في الجمهورية العربية السورية .
إميـل الغـــوري	ماجستير في العلوم السياسية من جامعة سنسناتي في الولايات المتحدة الأمريكية . محام . عضو الهيئة العربية العليا لفلسطين . من قادة الحزب العربي الفلسطيني .
أميـن بـدر علـي الكـخن	دكتوراه في التربية من جامعة ولاية ميشيغان في الولايات المتحدة الأمـريكية . استاذ في الجامعة الأردنية .
أمين النفـوري	لواء ركن متقاعد ووزير سابق في الجمهورية العربية السورية .
أنيـس فـوزي قاسـم	دكتوراه في القانون من جامعة جورج واشـنطن في الولايـات المتحدة الأمريكيـة . ممثـل فلسطين في المحكمة الادارية لجامعة الدول العربية سابقا .
أنيـــس القاســـم	دكتوراه في الحقوق من جامعة لندن . محام ومؤلف .
أوجـين مخلـوف	دكتوراه في طب الأسنان . يعمل في حقل الخدمات الانسانية والاجتماعية والاغاثة .

برهان الدجاني	ماجستير في الاقتصاد من الجامعة الأمريكية في بيروت . أمين عام الاتحاد العام لغرف التجارة والصناعة والزراعة العربية .
بسام أبو شريف	عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين . رئيس تحرير مجلة الهدف .
بسام العسلي	مقدم في الجيش العربي السوري سابقاً . باحث وكاتب عسكري .
بشير زهدي	دبلوم معهد اللوفر في فرنسا في تاريخ الفن وعلم الآثار الشرقية وعلم المتاحف . الأمين الرئيس للمتحف الوطني بدمشق .
بشير شما	شهادة الهندسة الميكانيكية من القاهرة . مهندس ميكانيكي للمشاريع الكبرى في وزارة الأشغال العامة بالكويت .
بلال الحسن	عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية سابقا . رئيس تحرير مجلة شؤون فلسطينية .
بهجت أبو غربية	عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية سابقا .
تقي الدين الدباغ	دكتوراه في علم الآثار من جامعة هارفرد في الولايات المتحدة الأمريكية . أستاذ في كلية الآداب بجامعة بغداد ورئيس قسم الآثار فيها .
توفيق أبو بكر	مراسل مجلة شؤون عربية في الكويت . كاتب ومعلق سياسي في الاذاعة الكويتية وجريدة « الوطن » الكويتية .
جبرائيل بيطار	اجازة في الأدب الفرنسي من جامعة دمشق . لواء ركن سابق في الجيش العربي السوري .

جمال قدورة	دكتوراه في التاريخ من جامعة القديس يوسف (بيروت) .
جواد عبد الرحيم	عقيد متقاعد في الجيش العربي السوري .
جودة شحادة	دكتوراه في الآثار من جامعة برلين الحرة . محافظ متحف الطب والعلوم عند العرب في المتحف الوطني بدمشق .
جورج حبش	طبيب متخرج من الجامعة الأمريكية في بيروت . مؤسس حركة القوميين العرب . الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين .
الأب جورج سابا	عالم في اللاهوت ومتخصص بدراسة الكتاب المقدس والآثار المسيحية في فلسطين .
جورج طعمة	دكتوراه في العلوم السياسية . وزير الاقتصاد في الجمهورية العربية السورية سابقا . استاذ في جامعة الكويت .
حبيب قهوجي	أحد مؤسسي حركة الأرض في فلسطين . عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية سابقا . مدير مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية في دمشق .
حسان حلاق	دكتوراه في التاريخ . أستاذ في جامعة بيروت العربية .
حسن أحمد البدري	لواء ركن سابق في القوات المسلحة المصرية . مدير أكاديمية ناصر العسكرية العليا سابقا . رئيس تحرير مجلة الحرس الوطني السعودي .
حسن الخياط	دكتوراه في الجغرافية البشرية من جامعة بتسبرغ في الولايات المتحدة الأمريكية . أستاذ في جامعتي بغداد وقطر .

حسن ريّان	دكتوراه في التاريخ الحديث من جامعة القاهرة . رئيس شعبة الاجتماعيات في مديرية المناهج بوزارة التربية والتعليم الأردنية .
حسن عبد القادر صالح	دكتوراه في الجغرافية من جامعة درم بانكلترا . أستاذ في الجامعة الأردنية . رئيس قسم الجغرافية .
حسن مصطفى	عميد ركن متقاعد في الجيش العراقي . خريج كلية الأركان العراقية .
حسين عمر حمادة	ماجستير في التربية من جامعة دمشق . باحث في الشؤون الفلسطينية .
خالد أبو خالد	عضو الاتحاد العام للكتّاب والصحفيين الفلسطينيين .
خالد الفاهوم	عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية سابقاً . رئيس المجلس الوطني الفلسطيني .
خالد القشطيني	محرر مجلة « عراق منتلي » الصادرة في لندن . كاتب وناقد .
خليل السواحري	اجازة في الدراسات الفلسفية والاجتماعية من جامعة دمشق . محرر الشؤون الثقافية وشؤون الأرض المحتلة في جريدة الدستور الأردنية . أمين سر رابطة الكتّاب الأردنيين .
خليل يوسف صابات	دكتوراه في الصحافة . أستاذ في جامعة القاهرة ورئيس قسم الصحافة والنشر في كلية الإعلام سابقا . عضو في المجلس الأعلى للصحافة في مصر .
خليل محمد الخالدي	اجازة في الآداب/ الجغرافية من جامعة القاهرة ودبلوم التربية العام من جامعة الكويت . مدرّس أول للاجتماعيات في ثانويات الكويت .

خيـري الدين أبو الجبين	مدير مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في الكويت سابقا . مراقب للتنظيم الاداري بوزارة التربية في الكويت .
خيربـة قاسمية	دكتوراه في التاريخ من جامعة القاهرة . أستاذة في جامعة دمشق .
ديمتري برامكي	دكتوراه في الآثار من جامعة لندن . أستاذ في الجامعة الأمريكية في بيروت ، مدير المتحف الفلسطيني في القدس ومتحف الجامعة الأمريكية في بيروت ، سابقا .
ربحـي الحسـن	دكتوراه في الادارة العامة من جامعة جنوب كاليفورنيا في الولايات المتحدة الأمريكية . أستاذ في الجامعة الأردنية .
رجـاء دويـدري	دكتوراه في الجغرافية من جمهورية مصر العربية . أستاذة في جامعة دمشق .
رشـاد السـيد	دكتوراه في القانون الدولي العام من جامعة عين شمس في القاهرة . أستاذ في الجامعة الأردنية .
رشـاد الناظـور	دكتوراه في علم النبات من جامعة فلوريدا في الولايات المتحدة الأمريكية . أستاذ في الجامعة الأردنية .
رشيـد الخالـدي	دكتوراه في التاريخ من الولايات المتحدة الأمريكية . أستاذ في الجامعة الأمريكية في بيروت .
رضـوان السـيد	دكتوراه في الفلسفة من ألمانيا الاتحادية . أستاذ في الجامعة اللبنانية . رئيس تحرير مجلة الفكر العربي .
رفيـق جويجـاتي	دكتوراه في العلوم السياسية من جامعة نيوسكول ـ نيويورك في الولايات المتحدة الأمريكية . سفير الجمهورية العربية السورية في واشنطن .

روحي الخطيب	أمين القدس
زياد النرك	باحث في مؤسسة الدراسات الفلسطينية .
زياد خالد عبد علي	بكالوريوس في العلوم السياسية من جامعة بغداد .
زياد القطب	دكتوراه في العلوم/ فيزيولوجيا حيوانية من جامعة أوترخت في هولندا . أستاذ في جامعة دمشق .
سالم الحسيني	بكالوريوس علوم من الجامعة الأمريكية في بيروت . خبير آثار سابق في فلسطين وليبيا .
سالم الكسواني	دكتوراه في الحقوق من جامعة القاهرة . وكيل وزارة الداخلية الأردنية سابقا . محاضر في الجامعة الأردنية .
سامي سعيد الأحمد	دكتوراه في التاريخ من جامعة ميشيغان في الولايات المتحدة الأمريكية . أستاذ في جامعة بغداد .
سعيد حمود	دكتوراه في الاقتصاد من ألمانيا الاتحادية . نائب مدير مركز التخطيط الفلسطيني، ومدير عام صندوق الطلبة الفلسطيني ، سابقا .
سعيد عبد الفتاح عاشور	دكتوراه في التاريخ من جامعة القاهرة . أستاذ في جامعة الكويت .
سلافة حجاوي	بكالوريوس في الأدب الإنكليزي من جامعة بغداد . سكرتيرة تحرير مجلة مركز الدراسات الفلسطينية في جامعة بغداد .

سلمى سامي حداد	ماجستير في العلوم السياسية من الجامعة الأمريكية في بيروت . مسؤولة الأرشيف في مركز التوثيق والمعلومات في الأمانة العامة لجامعة الدول العربية .
سمر القطب	باحثة في مؤسسة الدراسات الفلسطينية .
سميح شبيب	ماجستير في التاريخ من جامعة القديس يوسف في بيروت . رئيس قسم الأرشيف بمركز الأبحاث الفلسطيني في بيروت .
سمير جبور	ماجستير في الادارة العامة من الجامعة الأمريكية في بيروت . رئيس قسم الترجمة وباحث في مؤسسة الدراسات الفلسطينية .
سمير جريس	باحث في مؤسسة الدراسات الفلسطينية وفي مركز الأبحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية .
سمير شما	محام . عضو مجلس ادارة الصندوق القومي الفلسطيني .
سهيل زكار	دكتوراه في التاريخ من انكلترا . أستاذ في جامعة دمشق .
سهيلة الريماوي	دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر من جامعة عين شمس في القاهرة . أستاذة في الجامعة الأردنية .
شاكر مصطفى	دكتوراه في التاريخ من سويسرا . أستاذ في جامعة الكويت وأمين عام لجنة التخطيط الشامل للثقافة العربية . وزير الإعلام في الجمهورية العربية السورية سابقاً .
شفيق عبد الرزاق السامرائي	دكتوراه في القانون من جامعة مونبليه في فرنسا . المستشار الثقافي في السفارة العراقية في باريس .

شكري ليصيل	دكتوراه في الآداب / اللغة العربية من جامعة القاهرة. أستاذ سابق في جامعة دمشق . عضو مجمع اللغة العربية في دمشق .
شوقي شعث	دكتوراه في الآثار الشرقية القديمة من ايطاليا . مدير متحف حلب . مستشار للآثار والتراث لدى منظمة التحرير الفلسطينية .
صالح خصاونة	دكتوراه في الاقتصاد والاحصاء من جامعة تكساس الفنية في الولايات المتحدة الأمريكية . أستاذ في الجامعة الأردنية .
صالح عبد الله غنيمات	بكالوريوس في الجغرافية من الجامعة الأردنية . رئيس قسم الأندية والنقابات العمالية في الضفة الغربية في وزارة شؤون الأرض المحتلة في الأردن .
صبحي السعيد	محاضر بقسم الجغرافية في كلية الآداب ـ جامعة الرياض في المملكة العربية السعودية .
صبحي القاسم	دكتوراه في أمراض النبات والوراثة من جامعة مينسوتا في الولايات المتحدة الأمريكية . عميد كلية العلوم في الجامعة الأردنية .
صبحي كمالة	ماجستير في الهندسة المدنية من جامعة ايلنوي في الولايات المتحدة الأمريكية . المدير العام لهيئة استغلال مياه نهر الأردن وروافده ، وزير الريّ في الجمهورية العربية السورية ، سابقا .
صدقي خضر	دكتوراه في علوم الأراضي من جامعة هوهنهايم في المانيا الاتحادية . استاذ في الجامعة الأردنية .
صلاح دهني	شهادة مخرج سينمائي من معهد الدراسات السينمائية العالية في باريس . ناقد ومخرج سينمائي . محاضر في كلية الفنون الجميلة بجامعة دمشق .

صـــلاح الـــدين الطيـــي	اجازة في الاقتصاد . مدير لمكتب مدير الجمـارك العام في دمشق سابقا .
صـــلاح الدين عبد الله بحيري	دكتوراه في الجغرافية من جامعة كاليفـورنيا في الـولايات المتحـدة الأمريكيـة . أستاذ في جامعة الكويت .
طـريف الخـالـدي	دكتوراه في التاريخ من جامعة شيكاغو في الولايات المتحدة الأمريكية . أستاذ في الجامعة الأمريكية في بيروت .
طـلال نـاجي	عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية والأمين المساعد للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ـ القيادة العامة .
ظـافـر القاسمـي	نقيب المحامين في الجمهورية العربية السورية سابقا .
عـادل الجـادر	ماجستير في القضية الفلسطينية من معهد البحوث والدراسـات العربيـة . رئيس مركـز الدراسات الفلسطينية في جامعة بغداد .
عـادل حمـدان الجرجـاوي	ليسانس في الآداب / الجغرافية من جامعة القاهرة . موجّه اجتمـاعيات في وزارة التربية بالكويت .
عـادل عبـد الســلام	دكتوراه في الجغرافية من برلين الغربية . أستاذ في جامعة دمشق .
عـائدة النجـــار	دكتوراه في الصحافة من الولايات المتحدة الأمريكية . خبيـرة في بعثة الأمم المتحـدة في عدن .
عبد الاله يوسف أبو عياش	دكتوراه في الجغرافية الحضرية من جامعة بفالو ـ نيويورك في الولايات المتحدة الأمريكية . أستاذ في جامعة الكويت .

عبد الجليل حسن عبد المهدي	دكتوراه في الآداب من جامعة القاهرة . استاذ في الجامعة الأردنية .
عبد الحليم خلدون الكتاني	دكتوراه في الآداب من جامعة لندن . مدير مكتب رابطة العالم الاسلامي في باريس .
عبد الحميد أحمد زايد	دكتوراه في التاريخ القديم من جامعة عين شمس في القاهرة . أستاذ في جامعة الكويت .
عبد الحميد السائح	وزير الأوقاف والشؤون والمقدسات الاسلامية في المملكة الأردنية الهاشمية سابقا . سكرتير عام المجلس الاسلامي الأعلى في فلسطين . رئيس الهيئة الاسلامية العليا في القدس .
عبد الرحمن أبو عرفة	باحث في جمعية الدراسات بالقدس .
عبد الرحمن الشريف	دكتوراه في الآداب . أستاذ في جامعة الرياض بالمملكة العربية السعودية .
عبد الرحمن ياغي	دكتوراه في الآداب / اللغة العربية من جامعة القاهرة . أستاذ في الجامعة الأردنية .
عبد الرحيم أحمد	عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية . أمين عام جبهة التحرير العربية .
عبد الرحيم أحمد حسين	دكتوراه في التاريخ الحديث من جامعة عين شمس في القاهرة . مسؤول المكتب الفني للجنة التخطيط الشامل للثقافة العربية .
عبد العزيز محمد عوض	دكتوراه في الآداب/ التاريخ من جامعة عين شمس في القاهرة . أستاذ في جامعة اليرموك في المملكة الأردنية الهاشمية .
عبد القادر محمد عابد	دكتوراه في الجغرافية من بريطانيا . أستاذ في الجامعة الأردنية .

عبد القادر ياسين	مدير تحرير مجلة «المصير الديمقراطي» سابقا . باحث في الشؤون الفلسطينية .
عبد الكريم رافق	دكتوراه في التاريخ من جامعة لندن . أستاذ في جامعة دمشق .
عبد اللطيف البرغوثي	دكتوراه في التربية من جامعة لندن . نائب رئيس الشؤون الأكاديمية في جامعة بير زيت .
عبد اللطيف طيباوي	دكتوراه في التاريخ من بريطانيا . أستاذ في عدد من الجامعات البريطانية والأمريكية سابقا .
عبد الله حبيشي	لواء ركن في الجيش العربي السوري . يعمل حاليا في مركز الدراسات والبحوث العسكرية بدمشق .
عبد الله حمادنة	ماجستير في الجغرافيا . محاضر سابق في الجامعة الأردنية . ويعمل حاليا في وزارة الخارجية الأردنية .
عبد الله سعادة	طبيب متخرج من الجامعة الأمريكية في بيروت . رئيس الحزب السوري القومي الاجتماعي سابقا . عضو الأمانة الدائمة لمؤتمر الشعب العربي .
عبد المجيد شومان	المدير العام للبنك العربي . عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، رئيس مجلس ادارة الصندوق القومي الفلسطيني ، سابقا .
عبد المنعم الرفاعي	رئيس الوزراء في المملكة الأردنية الهاشمية سابقا .
عبد المنعم ماجد	دكتوراه في التاريخ الإسلامي من جامعة باريس . أستاذ في جامعة القاهرة . رئيس قسم التاريخ .

عبد الوهاب المسيري	دكتوراه في الأدب الانكليزي من الولايات المتحدة الأمريكية . أستاذ في جامعة عين شمس بالقاهرة ، مستشار ثقافي لوفد الجامعة العربية لدى الأمم المتحدة سابقا .
عبد الوهاب وهب الله	ماجستير في الأدب العبري من جامعة القاهرة . باحث في مؤسسة الدراسات الفلسطينية .
عدنان أبو غزالة	دكتوراه في التاريخ من جامعة نيويورك في الولايات المتحدة الأمريكية . أستاذ في جامعة بلاتسبورغ في الولايات المتحدة الأمريكية .
عدنان البني	دكتوراه في التاريخ والآثار من فرنسا . مدير التنقيب والدراسات الأثرية في مديرية الآثار والمتاحف في الجمهورية العربية السورية .
عدنان حسن العمد	دكتوراه في السياسة والاقتصاد والقانون الدولي من جامعة كولون في ألمانيا الاتحادية . مدير العلاقات الاعلامية الخارجية في دولة قطر .
عدنان شابة	دبلوم دراسات عليا في القانون الدولي وفي الاقتصاد السياسي من الجامعة اليسوعية في بيروت . سفير في وزارة الخارجية السورية .
عزت طنوس	طبيب متخرج من الجامعة الأمريكية في بيروت . أمين عام بيت المال العربي في فلسطين . مدير المكتب العربي في نيويورك سابقا .
حسام القاضي	الأمين العام لنظمة طلائع حرب التحرير الشعبية ـ قوات الصاعقة .
عطية عودة أبو سرحان	دكتوراه في التاريخ الاسلامي من جامعة الأزهر . محاضر في الجامعة الأردنية .

عفيف البزري	فريق متقاعد . رئيس الأركان العامة والقائد العام للقوات المسلحة السورية سابقا .
علي الدجاني	بكالوريوس علوم من الجامعة الأمريكية في بيروت ودبلوم العلوم المالية من القدس . مدير غرفة صناعة عمان .
علي الدين هلال	دكتوراه في العلوم السياسية من كندا . أستاذ في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية في جامعة القاهرة .
علي كاشف الغطاء	ماجستير في العلاقات الدولية والاقتصاد من جامعة دنفر في الولايات المتحدة الأمريكية . دبلوماسي وأستاذ في الجامعة المستنصرية في بغداد سابقا .
علي سعود عطية	دكتوراه في التاريخ من الجامعة الأمريكية في بيروت . باحث في جمعية الدراسات في القدس .
عماد أحمد الجواهري	ماجستير في التاريخ الحديث من جامعة بغداد . مدرّس في كلية الآداب بجامعة الموصل .
عمر ابراهيم الخطيب	دكتوراه في العلوم السياسية من جامعة السوربون . رئيس مركز الخليج للدراسات العربية .
عمر كمال توفيق	دكتوراه في التاريخ . أستاذ في جامعة الكويت .
غانم هنا	دكتوراه في الفلسفة من جامعة ميونيخ . أستاذ في جامعة دمشق .
غسان العطية	دكتوراه في العلوم السياسية من جامعة أدنبره في اسكتلندا . أستاذ في جامعة بغداد . مدير ادارة الإعلام في جامعة الدول العربية ورئيس تحرير مجلة شؤون عربية سابقاً .

فـــاروق البـــاشـــا	دكتوراه في الحقوق من فرنسا . أستاذ في جامعة دمشق .
فـاروق عمـر فـــوزي	دكتوراه في التاريخ العربي الاسلامي من جامعة لندن . رئيس قسم التاريخ في كلية الآداب بجامعة بغداد .
فاضـــل حســـين	دكتوراه في التاريخ من جامعة انديانا في الولايات المتحدة الأمريكية . أستاذ في جامعة بغداد .
فـاطمـــة فضـــل الســـعـــدي	ماجستير في اللغة العربية من الجامعة الأردنية . مدرّسة في معهد المعلمات في وكالة الغوث بعمّان .
فاطمـــة المـانـــع	باحثة في مؤسسة الدراسات الفلسطينية .
فتحـــي قـــدورة	ماجستير في التربية من جامعة لندن . مساعد المدير العام للبنـــك العـــربـــي
فـرانـــك مـــاربـــا	كاتب عربي الأصل يقيم في الولايات المتحدة .
فريـــد ابـــراهيـــم صالـــح	مشرف اداري في جمعية الشبان المسيحية في فلسطين سابقاً .
فـــلاح سعيـــد جبـــر	دكتوراه في الاقتصاد الجيولوجي . أمين عام الاتحاد العربي للصناعات الغذائية ومسؤول قسم العلم والتكنولوجيا في مجلة النفط والتنمية .
فـــوزي عبـد المجيد الأســدي	دكتوراه في الجغرافية من جامعة ميشيغان في الولايات المتحدة الأمريكية . أستاذ في جامعة بنغازي في الجماهيرية الليبية .

فيصل الحسيني	رئيس جمعية الدراسات في القدس .
فيصل الحوراني	مدير تحرير مجلة شؤون فلسطينية .
فيصل الوائلي	دكتوراه في التاريخ من جامعة شيكاغو في الولايات المتحدة الأمريكية . أستاذ في جامعة الكويت .
قاسم الريماوي	رئيس الوزراء في المملكة الأردنية الهاشمية سابقا .
نسطنطين خمّار	دبلوم تربية من فلسطين . مدير التعليم العام في وكالة الغوث في لبنان سابقا . ومدير دائرة التربية والتعليم العالي في لبنان في م . ت . ف .
نسطنطين زريق	دكتوراه في الفلسفة من جامعة برنستون في الولايات المتحدة الأمريكية . رئيس الجامعة السورية سابقا . رئيس الجامعة الأمريكية في بيروت بالوكالة سابقا . أستاذ شرف في التاريخ في الجامعة الأمريكية في بيروت .
كامل العسلي	دكتوراه في الفلسفة من جامعة هومبولت في المانيا الديمقراطية . مدير مكتبة الجامعة الأردنية .
كايد أبو صبحة	باحث في الشؤون الفلسطينية .
لطفي خليل	دكتوراه في الآثار من جامعة لندن . أستاذ في الجامعة الأردنية .
لوسيا حجازي	مفتشة في وكالة غوث اللاجئين ، دمشق .

ليلى الصباغ	دكتوراه في التاريخ من جامعة القاهرة . أستاذة في جامعة دمشق .
ماهر الشريف	دكتوراه في الآداب والعلوم الانسانية من جامعة باريس / السوربون .
عجوب عمر	مستشار مركز التخطيط في منظمة التحرير الفلسطينية .
محمد رشيد الفيل	دكتوراه في الجغرافية من جامعة ردنج ببريطانيا . أستاذ في جامعة الكويت .
محمد ضيف الله بطاينة	دكتوراه في التاريخ الاسلامي من جامعة الأزهر . أستاذ في جامعة اليرموك في المملكة الأردنية الهاشمية .
محمد عزة دروزة	مؤرخ . أحد أوائل العاملين في القضية العربية والفلسطينية ومن مؤسسي حزب الاستقلال العربي في فلسطين .
محمد عزيز شكري	دكتوراه في الحقوق من جامعة كولومبيا في الولايات المتحدة الأمريكية . أستاذ في جامعة دمشق .
محمد علي عمر الفرّا	دكتوراه في الجغرافية الاقتصادية من جامعة نيوكاسل في انكلترا . أستاذ في جامعة الكويت .
محمد عوّاد حسين	أستاذ في كلية الآداب ـ قسم التاريخ في جامعة الكويت .
محمد الفاسي	دكتوراه في الآداب من باريس . وزير التعليم العالي في المملكة المغربية سابقا . عضو في مجمع اللغة العربية في القاهرة . رئيس مركز التنسيق بين اللجان الوطنية العربية لليونسكو .

محمد فايز عبد اسعيد	دكتوراه في العلوم السياسية والاجتماع والتاريخ المعاصر من جامعة ريجنبورغ في المانيا الاتحادية . أستاذ في الجامعة الأردنية .
محمد الفرا	دكتوراه في القانون من الولايات المتحدة الامريكية . أمين عام مساعد لجامعة الدول العربية . سفير في وزارة الخارجية الاردنية سابقا .
محمد كامل عيّاد	دكتوراه في الفلسفة من جامعة برلين . أستاذ سابق في جامعة دمشق . عضو مجمع اللغة العربية بدمشق .
محمد المجذوب	دكتوراه في القانون العام من فرنسا . أستاذ في الجامعة اللبنانية . عضو المكتب الدائم لاتحاد الحقوقيين العرب .
محمد محمود ابراهيم الديب	دكتوراه في الجغرافية من انكلترا . استاذ في جامعة عين شمس بالقاهرة .
محمد يوسف علوان	دكتوراه في القانون من جامعة باريس . أستاذ في الجامعة الأردنية .
محمود صبح	دكتوراه في الفلسفة والآداب من جامعة مدريد . أستاذ في جامعة مدريد .
محمود شريح	بكالوريوس في اللغة الانكليزية من الجامعة الأمريكية في بيروت . أستاذ اللغة الانكليزية ـ قسم البرامج الخاصة ـ في الجامعة الأمريكية في بيروت .
محمود العابدي	المستشار الثقافي لأمانة العاصمة في عمّان سابقا .
محمود علي عطا الله	مدرّس في عمّان .

محمـــود فلاحـــة	اجازة في الآداب / لغة عربية من جامعة دمشق . عضو في مكتب الدراسات في رئاسة الجمهورية العربية السورية .
مـــروان بحيـــري	دكتوراه في التاريخ من جامعة برنستون في الولايات المتحدة الأمريكية . استاذ في الجامعة الأمريكية في بيروت .
سعـــود الخـــونـــد	اجازة في العلوم السياسية والادارية من الجامعة اللبنانية . مدرّس في وزارة التربية الوطنية في لبنان . محرر في « الموسوعة السياسية » .
مصطـفى درويش عـــادي	باحث في الشؤون الفلسطينية .
مصطفى معروف سعـد	مهندس متخرج من الاتحاد السوفييتي . أحد قادة الحركة الوطنية في لبنان .
مضـــر مرعشـــلي	بكالوريوس في العلوم السياسية من جامعة بغداد . محرر في مجلة شؤون عربية سابقا .
مطـــاع الطرابيشـــي	اجازة في آداب اللغة العربية من جامعة دمشق . منتدب لمجمع اللغة العربية في دمشق .
معـاويـة محمـود إبراهيم	دكتوراه في الآثار من جامعة برلين الحرة . عميد كلية الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية بجامعة اليرموك في الاردن .
مفيـد راتـب العابـد	دكتوراه في التاريخ القديم من جامعة عين شمس في القاهرة . أستاذ في جامعة دمشق .
نكـي حبيـب المؤمـن	أستاذ في جامعة بغداد سابقا .
موسـى أبو حوسـة	أستاذ في قسم علم الاجتماع ـ كلية الآداب في الجامعة الأردنية .

موسى عبود سمحة	دكتوراه في علم السكان من جامعة دورهام في إنكلترا . أستاذ في الجامعة الأردنية .
موفق شخاشيرو	دكتوراه في الكيمياء التحليلية من جامعة أوريغون في الولايات المتحدة الامريكية . أستاذ في جامعة دمشق .
الأب ميشيل صباح	دكتوراه في فقه اللغة العربية من جامعة السوربون في باريس . رئيس جامعة بيت لحم .
مينار راتب	باحثة في مؤسسة الدراسات الفلسطينية .
ناجي علوش	أمين عام اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين سابقا . باحث له العديد من الكتب في القضية الفلسطينية .
نافع أيوب	عميد ركن في الجيش العربي السوري .
نبيه عاقل	دكتوراه في التاريخ الاسلامي من جامعة لندن . أستاذ في جامعة دمشق . وكيل جامعة دمشق للشؤون العلمية .
نجلاء نصير بشور	ماجستير في التربية من الجامعة الامريكية في بيروت . باحثة في مركز التخطيط الفلسطيني .
نسيم برهم	دكتوراه في الجغرافية من جامعة هانوفر في المانيا الاتحادية . أستاذ في الجامعة الاردنية .
نصري الجوزي	دبلوم في الصحافة من بريطانيا . مترجم ومؤلف مسرحي .

نصير عاروري	دكتوراه في العلوم السياسية والعلاقات الدولية من جامعة ماساشوستس في الولايات المتحدة الأمريكية . أستاذ في جامعة ماساشوستس .
نقولا زيادة	دكتوراه في التاريخ الاسلامي من جامعة لندن . أستاذ شرف في الجامعة الامريكية في بيروت .
نمر سرحان	اجازة في الآداب / التاريخ من جامعة دمشق . باحث في الفولكلور الفلسطيني .
نمر المصري	عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية سابقا . عضو مجلس التخطيط الفلسطيني .
هاد أبو غربية	مدير الكلية الابراهيمية في القدس ، ورئيس مجلس أمنائها . عضو مجلس أمانة القدس .
هارون هاشم رشيد	شاعر فلسطيني . مدير تحرير مجلة شؤون عربية . مندوب فلسطين الدائم في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في جامعة الدول العربية .
هاشم ياغي	دكتوراه في الآداب / اللغة العربية من جامعة القاهرة . أستاذ في الجامعة الاردنية .
هشام نشابة	دكتوراه في التربية . مدير التعليم في جمعية المقاصد الاسلامية . أستاذ في الجامعة الامريكية في بيروت .
هيثم كيلاني	دكتوراه في التاريخ المعاصر من جامعة لايبزغ في المانيا الديمقراطية . سفير في وزارة الخارجية السورية .

وليد أسعد الجعفري	اجازة في التربية وعلم النفس من الجامعة الاردنية . باحث في مركز الأبحاث الفلسطيني .
وليد جنبلاط	رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي . رئيس المجلس السياسي المركزي للحركة الوطنية اللبنانية .
وليد سعيد مصطفى	دكتوراه في الجغرافية من الاتحاد السوفييتي . عضو رابطة الكتاب الاردنيين .
وليد عيسى الشريف	دكتوراه في الفلسفة من جامعة واشنطن في الولايات المتحدة الامريكية . مساعد مدير ادارة الإعلام والعلاقات الدولية في منظمة الاقطار العربية المصدّرة للبترول .
وليد القمحاوي	عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ،رئيس مجلس ادارة الصندوق القومي الفلسطيني ، سابقا .
ياسر عمرو	محام . عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية سابقا .
يسر قلق	ماجستير في فن المكتبات من فرنسا . مسؤولة قسم الاستشارات في مركز التوثيق والمعلومات التابع للامانة العامة لجامعة الدول العربية .
يسرى جوهرية مرتيطة	أستاذة لمادة التاريخ الموسيقي في فرع الفنون في الجامعة اللبنانية .
يوسف حداد	ماجستير في الآداب من الجامعة اللبنانية . يعمل بالتدريس في ثانويات لبنان ، مؤلف .
يوسف رجب الرضيعي	ماجستير في التاريخ من الجامعة الامريكية في بيروت . مدير مكتب ارتباط منظمة التحرير الفلسطينية بلبنان .

يوسف شبل	دكتوراه في الاقتصاد من الولايات المتحدة الامريكية . مستشار اقتصادي في دار الهندسة في بيروت .
يوسف غوانمة	دكتوراه في التاريخ من جامعة الاسكندرية . أستاذ في جامعة اليرموك في المملكة الاردنية الهاشمية .
يوسف كموش	لواء ركن في الجيش العربي الأردني سابقا . باحث عسكري .
يوسف اليوسف	اجازة في اللغة الانكليزية ودبلوم عام في التربية من جامعة دمشق . يدرّس في الاونروا .

مؤسّسات البحث العلمي

جمعية الدراسات بالقدس

مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية

مؤسسة الدراسات الفلسطينية

لجنة تحرير الموسوعة الفلسطينية

رئيس التحرير	أ. عبد الهادي هاشم	عضو مجمع اللغة العربية في دمشق ، وكيل وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية سابقاً .

اعضاء لجنة التحرير

د. ابراهيم الكيلاني	أستاذ في كلية الآداب بجامعة دمشق سابقاً .
د. حسن عبد القادر صالح	أستاذ في كلية الآداب ـ قسم الجغرافية في الجامعة الأردنية .
د . عادل عبد السلام	أستاذ في كلية الآداب ـ قسم الجغرافية بجامعة دمشق .
د. محمد عزيز شكري	أستاذ في كلية الحقوق بجامعة دمشق .
د. محمد كامل عياد	عضو مجمع اللغة العربية في دمشق ، أستاذ في جامعة دمشق سابقاً .
د. هيثم كيلاني	سفير في وزارة الخارجية السورية ، ممثل سورية الدائم في هيئة الأمم المتحدة سابقاً .

الاعضاء المؤازرون للجنة التحرير

أ. محمود فلاحة	عضو في مكتب الدراسات في رئاسة الجمهورية العربية السورية .
أ. مضر مرعشلي	محرر في مجلة شؤون عربية سابقاً .

لجنة تحرير الموسوعة الفلسطينية

رئيس التحرير	أ. عبد الهادي هاشم	عضو مجمع اللغة العربية في دمشق ، وكيل وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية سابقاً .

اعضاء لجنة التحرير

د. ابراهيم الكيلاني	أستاذ في كلية الآداب بجامعة دمشق سابقاً .
د. حسن عبد القادر صالح	أستاذ في كلية الآداب ـ قسم الجغرافية في الجامعة الأردنية .
د. عادل عبد السلام	أستاذ في كلية الآداب ـ قسم الجغرافية بجامعة دمشق .
د. محمد عزيز شكري	أستاذ في كلية الحقوق بجامعة دمشق .
د. محمد كامل عياد	عضو مجمع اللغة العربية في دمشق ، أستاذ في جامعة دمشق سابقاً .
د. هيثم كيلاني	سفير في وزارة الخارجية السورية ، ممثل سورية الدائم في هيئة الأمم المتحدة سابقاً .

الاعضاء الموازرون للجنة التحرير

أ. محمود فلاحة	عضو في مكتب الدراسات في رئاسة الجمهورية العربية السورية .
أ. مضر مرعشلي	محرر في مجلة شؤون عربية سابقاً .

كبار العـــاملين
في هيـــئة الموسـوعة الفلسطينية

الاستاذ عيسى الدجاني	رئيس قسم الشؤون الإدارية والمالية .
الأستاذ عبد الستار هدايا	أمين الموسوعة .
الأستاذ أحمد قاسمية	المدقق اللغوي ، محرر مساعد في هيئة الموسوعة الفلسطينية .
الآنسة بوران شما	أمينة سر رئاسة مجلس الادارة .

المـراســلون العــلميون للموسـوعة الفلسـطينيـة

الدكتور حسن عبد القادر صالح	المملكة الأردنية الهاشمية .
الدكتورة خيرية قاسمية	جمهورية مصر العربية .
الأستاذة سلافة حجاوي	الجمهورية العراقية .
الدكتور شاكر مصطفى	دولة الكويت .
الأستاذ قسطنطين خمار	الجمهورية اللبنانية .

الاشـــراف الطبـاعي

ضبط اللغة والمراجع	د. عفيف دمشقية ، د. نقولا زيادة.
التدقيق والمراقبة	فارس اشتي ، صقر أبو فخر ، بشير قبطي .
تصحيح الطباعة	محمود شريح ، قسطنطين خمار ، سعد حداد ، محمود بركات .
الاخراج والاشراف الفني	محمود داورجي .
المراجعة النهائية والاشراف العام	د. أنيس صايغ .

ط ط

بعض المصطلحات في الموسوعة الفلسطينية

في قطاع القضية

الأراضي الفلسطينية والعربية المحتلة : هي الأجزاء التي احتلتها القوات الصهيونية من أرض فلسطين وأراضي دول عربية مجاورة في عدوان حزيران ١٩٦٧ .

الإسرائيلي : يطلق هذا المصطلح على اليهودي حامل الجنسية الإسرائيلية ، أما العرب الذين يحملون هذه الجنسية فيسمون عرب الأرض المحتلة .

الصهيوني (ج الصهيونيون) : يمكن استعمال هذا المصطلح :

(أ) للدلالة على من يدين بمبادىء الحركة الصهيونية ، وحين التحدث عن منشأ ومطامع هذه الحركة منذ نشوئها حتى الآن ، وعن الأعمال التي ارتبطت بتحقيق هدف الصهيونية بإقامة (إسرائيل) سواء قبل ١٩٤٨ أو بعدها . ويمكن أن يكون الصهيوني غير يهودي وأن يكون اليهودي غير صهيوني فلا ترادف بين اللفظين .

(ب) عند الحديث عمّا قامت به العصابات الصهيونية الغازية قبل عام ١٩٤٨ كما يمكن أن تربط أعمال (إسرائيل) بالصهيونية وتوصف بها وبخاصة اذا تعلق الأمر بتحقيق أهداف الصهيونية في الاحتلال والتوسع واقتلاع الشعب الفلسطيني من وطنه وإنكار حقوقه .

العبري (أو العبراني) : يستعمل هذا المصطلح في الكلام على اللغة وعلى العبرانيين القدامى في التاريخ .

فلسطين : هي فلسطين القطر العربي بحدوده الجغرافية الدولية في عهد الانتداب البريطاني .

فلسطين المحتلة : هي فلسطين بحدودها الدولية التي احتلتها القوات الصهيونية خلال الفترة من ١٩٤٨/٥/١٥ وأثناء وبعد عدوان حزيران ١٩٦٧ . وقد يستعمل مصطلح فلسطين المحتلة للدلالة على الأراضي التي احتلها الكيان الصهيوني قبل ١٩٦٧/٦/٤ .

الكيان الصهيوني : هو الكيان الذي أقامته القوات الصهيونية على ذلك الجزء المغتصب من الأرض الفلسطينية بين ١٩٤٨/٥/١٥ و ١٩٦٧/٦/٤ .

اليهودي (واحد اليهود) : يحسن استعمال هذا المصطلح للدلالة على متبع الديانة اليهودية سواء أقام في فلسطين أم خارجها كما يطلق على ما يتعلق بهذه الديانة من معابد وأعياد وطقوس . أما أعمال المهاجرين وشراؤهم وسلبهم الأراضي واعتداءاتهم وغير ذلك من أعمالهم فتقرن بالصهيونية وتوصف بها ، سواء كان ذلك قبل ١٩٤٨ أو بعدها .

في قطاع الارض

الانحدار : مصطلح يستعمل لقياس وتعريف السطوح والمنحدرات الطبوغرافية .

الاندساس : صخر يندس في صخور أخرى على شكل ألسنة وأساقين أو عروق .

الانقاض : الأحجار والمواد الخشنة ذات الحافات والزوايا التي تحملها السيول والأمطار مسافات قصيرة لا تكفي لتكويرها وتنعيمها .

الانقلاب البنائي : او الانقلاب التضريسي ـ البنائي . انقلاب ما كان مرتفعاً عالياً الى منخفض وما كان منخفضاً الى مرتفع نتيجة الأعمال البنائية (التكتونية) وحدها (ر : الانقلاب التضريسي) .

الانقلاب التضريسي : تحوّل ما كان مرتفعاً بارزاً من التضاريس الى منخفض وما كان منخفضاً الى مرتفع نتيجة أعمال الحت والتفريغ والحفر .

الانقلاب الحراري : تزايد الحرارة بالارتفاع في الجو ، وهذا عكس الوضع الطبيعي الذي تقل فيه الحرارة مع الارتفاع . وسببه الخسارة المتزايدة للاشعاع الأرضي مما يسبب تبرد الجو وهبوط الهواء البارد خاصة في الأودية والمنخفضات وقد يحدث عندما تكون السماء صافية .

البئر الكفرية : وهي البئر الرومانية او البئر القديمة عموماً .

البناء : مجموع الاعمال والحركات التي تعرضت وتتعرض لها الأرض وصخورها أثناء بناء تضاريسها وتكوين قاراتها وقيعان بحارها ومحيطاتها . ويقابل مصطلح البناء ـ مصطلح التكتونيك باللغات الأجنبية .

البوص : ويعرف في فلسطين بـ (القصّب) ، نبات عيدانه مجوّفة تستخدم لسقف المنازل والبيوت .

البوليـة : (ر : الدارة) .

البيّارة : اسم يطلق في فلسطين خاصة على بساتين الفواكه والثمار والحمضيات التي تروى بمياه الآبار .

التحلل الكارستي : عملية كيميائية تقوم فيها المياه المحملة بحامض الفحم بتحليل الصخور الكلسية (الفحمائية) فتنشأ ثقوب وخدوش وحفر ومغاور وخفوس في هذه الصخور التي تكون نهايتها الزوال باستمرار العملية .

الترافرتان : (او الترافيرتين) ترسبات ناعمة من كاربونات الكالسيوم في المياه الجوفية والسطحية خاصة عند مخارج الينابيع والعيون ، تتماسك وتتصلب على شكل أحجار كثيرة الثقوب .

التكتونيك : (ر : البناء) .

تيرا روزا : وترد (تيرا روسا) أحياناً : التربة الوردية او الحمراء ، وتعرف بتربة البحر المتوسط أيضاً . وتنشأ نتيجة تحلل الصخور الكلسية في البقاع المتوسطية والشبيهة بها في العالم .

الجوبة : شكل من أشكال التحلل الكارستي ، عبارة عن حفرة مخروطية على شكل قمع مفتوح نحو السماء لها شكل دائري او بيضي ، مغلقة ، أبعادها بضعة أمتار حتى بضعة عشرات الأمتار عرضاً وعمقاً (ر : الدولين) .

الجير : الجص او الجبس ، ويطلق خطأ على الصخور الكلسية والكلس .

الحقبة : تعني فترة زمنية جيولوجية طويلة من عمر الأرض تضم العصور والفترات الأقصر وتعرف الحقبة بـ (الزمن او الدور) أيضاً ، كالحقبة الثانية والثالثة مثلاً .

الخواري : الطباشيري أيضاً . صفة للحوّار من الصخور ، يطلق أيضاً على فترة زمنية جيولوجية من الحقبة الثانية هي الفترة الكريتاسية .

الخفس : وتعني الخسف ، هبوط الأرض وخسفها ، والجمع خفوس .

خط تقسيم المياه : (منطقة تقسيم المياه ، مقسم المياه) هو خط القمم في الجبال والمرتفعات ، الفاصل بين حوضين مائيين ، تتوزع عنده المياه باتجاهها .

الخور : تقابل كلمة (لاغون *Lagoon*) الأجنبية ، مستنقع ساحلي ضحل ينقلب بحيرة ساحلية مع المد والموج العالي .

الدارة : منخفض كبير من الأرض نشأ نتيجة تحلل الصخور الكلسية والعوامل البنائية (التكتونية) . أرضه منبسطة سهلية ، جوانبه شديدة الانحدار قد يكون مغلقاً او مفتوحاً من جهة واحدة ، يعرف بـ (البوليه) بالأجنبية .

الدولوميت : مركب من الكالسيوم والمغنزيوم بشكل صخراً قاسياً يعرف بنفس الاسم . وقد يسمى (الحجر الكلسي المغنيزي) أحياناً .

الدولين : (ر : الجورة) .

الدونم : مقياس للأرض مساحته (٩١٣) او (٩٩٥) او (١٠٠٠) متر مربع والشائع هو الـ (١٠٠٠م٢) .

الرمية : فرق الارتفاع الحاصل نتيجة حدوث حركة صدع عمودية في طبقات صخرية ارتفع قسم منها وانخفض الآخر او بقي على حاله .

الريس : فترة جيولوجية ، قبل الأخيرة من العصر البلايستوسيني من الحقبة الرابعة ، ساد فيها زحف جليدي .

الزراعة البعلية : الزراعة المعتمدة على الأمطار ، ونرد مترجمة عن الانكليزية (الزراعة الجافة) أيضاً .

الزور : الشريط المنبسط المساير لضفاف النهر مباشرة ، ويعرف بالسهل الفيضي لتعرضه لطغيان مياه فيضانات النهر عليه .

السماقي : صفة لنسيج خاص ببعض الصخور النارية ذات البلورات الكبيرة نسبياً ، تقابلها (بورفيري) بالأجنبية .

السنام : او الطية او المحدب ، تقبب التوائي طولاني بارز فوق السطح بصبب الطبقات الصخرية الرسوبية مكوّناً الجبال والسلاسل الالتوائية . وترد تحت اسم (سنام التوائي وطيّة التوائية) أيضاً .

السهل الفيضي : (رَ : السزور) .

السهب : وهي السهب الروسية الأصل . وتعني الفيافي المنبسطة ذات الغطاء العشبي الفقير نسبياً والخالية من الأشجار . ونجدها في فلسطين والبلاد العربية في النطاق شبه الصحراوي .

الصخر المتحول : يرد (الصخر الاستحالي) أحياناً . وهو صخر متحول عن صخر رسوبي أو ناري - باطني بالحرارة والضغط .

الصدع : ويرد (الانكسار والفالق) أيضاً . حادث بنائي - حركي يصيب الصخور والطبقات فيكسرها على امتداد خط الصدع ومستواه ، وتتحرك الصخور والطبقات على جانبي مستوى الصدع رأسياً او أفقياً او بشكل مائل .

الطف : نوع من الرسوبيات والصخور ، بعضها تكوينات كلسية تترسب حول الينابيع المعدنية ، ومنها طف من أصل بركاني .

الطفل : تربة خصبة مكونة من الرمل والغضار والطمي بنسب متقاربة الى حد ما .

الطمي : رواسب ناعمة جداً ، قطر حباتها بين (٠,٠٠٢ - ٠,٠٠٢) ملم ، تخلّفها المياه الجارية عادة .

الطيّة : (رَ : السنام) .

ظل المطر : السفوح الجبلية الواقعة بمنأى عن الرياح المحمّلة بالرطوبة والجالبة للأمطار التي تضرب السفوح المواجهة للرياح المذكورة . وسفوح ظل المطر قليلة الأمطار نسبياً .

الظهير : ترجمة لمصطلح (*Hinterland*) وهو المنطقة والأراضي الواقعة وراء ميناء او مدينة تتبعها وترتبط مصالحها بها فتخدمها وتؤثر في بنائها وتطورها .

العصر : وحدة زمنية جيولوجية من عمر الأرض أقصر من الحقبة التي تضم عصوراً عديدة . كالعصر الكريتاسي من الحقبة الجيولوجية الثانية . وتعرف بـ (الزمن أو الفترة) أحياناً .

الغنايس : نوع من الصخور المتحولة يرد في بعض الكتب العربية (النيس) أحياناً . أجنبيها (*Gneiss*) .

الغور : ويقابل (*Graben*) الأجنبية ، أرض انخفضت نتيجة حركة صدعية ـ انهدامية رأسية ، تقع بين مرتفعين يطلّان عليها . غالباً ما تكون الأغوار طولانية على شكل أودية كبيرة .

الفترة : وحدة زمنية جيولوجية أقصر من العصر الذي يضم فترات عديدة ، كفترة السينوماني من العصر الكريتاسي .

القاطع : ويقابل (*Dyke*) الأجنبية . اندساس من الصخور الاندفاعية بين صخور أخرى يقطعها .

الكتار : يقابلها مصطلح الأراضي الرديئة (*Bad Lands*) الأجنبي . مفردها الكتر ، تلال مخروطية صغيرة محددة الجوانب صخورها طرية سهلة التخدد بمياه الأمطار والسيول في المناطق شبه الجافة والقليلة الأمطار .

الكوع النهري : وهي الـ (*Meander*) ترد في بعض الكتب المترجمة الى العربية (منادر) وتعني تعرجات الأنهار والتفافاتها ، خاصة في المناطق السهلية والأنهار الكبرى . تعرف بالأكواع الحرة . لكنها قد تظهر في الهضاب والمناطق الصخرية حيث تعرف بالأكواع المقيدة .

اللابة : وهي (*Lava*) الأجنبية . تسمية عامة للحمم البركانية ـ الاندفاعية .

اللَّبن : خليط مجفف من الطين والقش اليابس مصنوع على شكل متوازي مستطيلات ومستخدم لبناء جدران المنازل ، يعرف في مصر بـ (الطوب) .

اللحقيات : الترسبات التي تخلفها المياه الجارية وتتكون من تربة ناعمة من الطمي والغرين والحصى .

اللوس : رواسب من التربة الناعمة المنقولة بالرياح ، ذراتها دقيقة جداً مائلة للصفرة مؤلفة من حبّات الكلس منفذة للمياه مما يجعل السطح جافاً .

المارن : وترد (المارل) أيضاً . صخر طيني خليط من الغضار والكلس .

مارن اللسان : ترسبات مارنية بحيرية الأصل ، رباعية العمر ، توضعت في غور الأردن والبحر الميت ، نسبت الى شبه جزيرة اللسان في البحر الميت .

مخروط الانصباب : تكدس للرسوبيات اللحقية على شكل مخروط يتكون عند مخارج الأنهار من الجبال او المرتفعات الى السهول . وان تشكل المخروط على ساحل بحر أو بحيرة فهو دلتا ، ويعرف بـ (مروحة فيضية) أيضاً .

مروحة فيضية : (رَ : مخروط الانصباب) .

المصطبة : شريط من الأرض المنبسطة المستوية يساير جوانب الأنهار ، يعلوها بحافة او درجة واضحة على الضفتين او ضفة واحدة فوق مستوى الزور . وقد تتعدد المصاطب . وهناك مصاطب اصطناعية على سفوح الجبال وجوانب الأودية لمنع انجراف التربة ، تشتهر بها جبال فلسطين الوسطى وتعرف بـ (حبايل) .

المقعر : عكس السنام او الطيّة . انخفاض وواد التوائي طولاني في الطبقات الصخرية الرسوبية يرد تحت (مقعر التوائي) أحياناً .

منحنى التسوية : هو ما يعرف في بعض المراجع بـ (الكونتور) وهو خط الارتفاعات المتساوية فوق سطح البحر على الخرائط الطبوغرافية .

المهل : ويقابل مصطلح (*Magma*) الأجنبي ، وهو الصهير أيضاً ، ويطلق على الصخور والمعادن الذائبة والمصهورة في باطن الأرض ، والتي قد تصل الى السطح وتخترقه على شكل اندفاعات بركانية او أغشية وطفوح من الحمم واللابات .

الميل : مصطلح خاص بقياس وتعريف ميل الطبقات الصخرية ، لا يصح استعماله في قياس انحدار السطوح الطبوغرافية (رَ : الانحدار) .

النجد :	ويقابل (*Horch*) الأجنبي ، وهو عكس الغور أرض ارتفعت ونهضت نتيجة حركة صدعية ـ انهدامية رأسية على امتداد خطين من الصدوع .
الوادي الانهدامي :	الغور الممتد مسافات طويلة ، ويعرف بـ (الوادي الأخدودي) أحياناً .
الوشاح الأرض :	الغلاف الواقع بين القشرة الأرضية والنواة الأرضية .
الوهدة :	منخفض أرضي كبير يغطي مساحات واسعة ، ينشأ نتيجة الحركات البانية ويصبح مكاناً لتجمع الرسوبيات او طغيان البحار عليها في الفترات الجيولوجية المختلفة .

في قطاع الشعب والحضارة

الأبرشية :	ما كان تحت ولاية (أسقف) من أماكن وأشخاص من تنظيمات الكنيسة .
الأتابك :	(أتا = أب ، بك = أمير) : لقب كان يطلق في عصر المماليك على قائد الجيش العام وقد تعني الكلمة الوصي او رئيس الوزارة .
الاسطرلاب :	آلة فلكية قديمة لقياس ارتفاع الشمس .
الأسكلة :	ميناء .
الأقنان (جمع قن) :	عبد الأرض .
الأقنوم :	(الشخص : شخصية المسيح التي تجمع الطبيعتين الالهية والبشرية) .
الانكشاري :	من يكي ـ جرى أي العسكر الجديد وتطلق على الجيش النظامي الذي أنشأه العثمانيون .
الأوليغارشية :	(من اليونانية) حكم الأقلية .
الأيقونة :	صورة مقدسة .
الباب العالي :	مقر الصدر الأعظم (رئيس الوزارة) في عهد الحكومة العثمانية .

الباسيليكا :	كنيسة متميزة .
الباشا :	لقب مأخوذ من الكلمة الفارسية (بادیشاه) أي حاكم أعلى وكانت تطلق في الدولة العثمانية على (الوالي) .
باشبوزق :	(باشي بوزق) كلمة تركية تعني الرأس الفارغ او المختل كانت تطلق على جنود غير نظاميين في المملكة العثمانية اشتهروا بالوحشية وإثارة القلاقل .
البروتوكول :	(المسودة الأصلية ، ملحق معاهدة ، نظام التشريفات الدبلوماسية والعسكرية) .
البسطامية :	الطريقة الصوفية التي أسسها ابو يزيد البسطامي المتوفى سنة ٢٩٤ هـ .
البكتاشية :	احدى الطرق الصوفية التي أسسها (حاجي بكتاش ولي) المولود في نيسابور (أوائل القرن الثامن) والذي بارك تأسيس الجيش الانكشاري فانتشرت طريقته بين الانكشاريين .
التكية :	دار تقدم فيها المساعدات الغذائية للفقراء والمتصوفين .
التيمار (أو زعامت) :	اقطاع من أراضي الدولة يمنحه السلطان العثماني للجنود .
الجربدة :	حملة عسكرية يجردها الحاكم بسرعة .
الجزية :	ضريبة مفروضة على رأس ، شخص .
الحوليات :	كتب التاريخ المرتبة حسب تتابع السنين .
الخاصكية :	قسم من المماليك السلطانية يختارون من الأجلاب الذين دخلوا الخدمة صغاراً ويؤلف منهم الحرس الخاص .
الخان :	نزل للقوافل . أمير او ملك عند الأتراك .
الخانقاه :	رباط الصوفية . محل للتعبد والزهد والابتعاد عن الناس .
الخراج :	ضريبة على الأرض .

الحشداشية :	رابطة الأخوة بين المماليك الذين اشتروا ودُرّسوا واعتقوا سوية .
الخلوتية :	تنسب الى الشيخ أيوب بن أحمد الخلوتي (٩٩٤ ـ ١٠٧١ هـ) وهي طريقة تركية ازدهرت بمصر إبّان القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين وتنسب في مصر الى الشيخ مصطفى كمال الدين البكري المتوفى سنة ١١٦٢ هـ . ولها فروع كثيرة مثل الدمرداشية والمغازية والضيفية والبهوتية والسمانية والعلوانية .
الدالاتية :	فرقة من الانكشارية ، جنود مرتزقة ، اشتق اسمهم من كلمة (دلي) أي مجنون وقد اطلق عليهم نظراً لطيشهم .
الدفتردار :	الموظف المالي في الدوائر التركية .
الدوادار :	مؤلفة من (دواه) و (دار) بمعنى يمسك أي الكاتب في عهد المماليك .
الرباط :	الدار التي يسكنها جماعة من الصوفية كذلك الخانقاه الخاصة بالنساء المتعبدات وكانت في الأصل المكان المحصن الذي يرابط فيه المجاهدون .
الرفاعية :	من أشهر الطرق الصوفية التي انتشرت في فلسطين أسسها الشيخ احمد بن علي الرفاعي ٥١٢ ـ ٥٧٨هـ .
الرواقية :	مذهب الفلاسفة الرواقيين في أثينا .
السباهية :	فرسان اقطاعيون في الجيش العثماني .
السكبان :	جنود مرتزقة أطلق عليهم هذا الاسم ومعناه الذي يقود الكلاب ويسير مع الأمير الى الصيد . ومن هذه الكلمة حرّفت كلمة (سقمان) التركية التي كانت تطلق على فرقة من المشاة في الجيش العثماني .
السنجق :	لواء ، محافظة .
الشاذلية :	طريقة صوفية أسسها الشيخ أبو الحسن علي الشاذلي الحسني المتوفى سنة ٦٥٦ هـ .
الغنوصية :	العرفانية ، نظرية المعرفة الروحية .

الفرمان :	أمر ، مرسوم سلطاني .
القادرية :	طريقة صوفية أسسها الشيخ عبد القادر الجيلاني المتوفى ٥٦١ هـ .
القائمقام (نائب الحاكم) :	في التقسيمات الإدارية العثمانية الذي يتولى ادارة الأقضية ضمن المحافظة (أو المتصرفية) .
القرانصة :	أجلاب السلطان السابقون ، والأجلاب تعني المماليك الذين يشتريهم أو يجلبهم الأمير .
الكورة :	البقعة التي تجتمع فيها المساكن والقرى .
المتسلم :	الجابي الذي يجمع الضرائب .
المتصرفية :	في النظام الإداري العثماني المقاطعة التي يحكمها (متصرف) تقابل محافظة اليوم .
المجوس :	عبّاد النار او الشمس .
المحصل :	الموظف المسؤول عن جمع الضرائب .
المدوّنة :	مجموعة قوانين .
المقام :	بناء على ضريح أحد الأمراء المجاهدين او العلماء الصالحين .
مقامات :	مقامات موسيقية = درجات .
الملتزم :	الجابي الذي يلتزم جمع الضرائب .
المهمندار :	الذي يتصدى لتلقي الرسل والعربان الواردين على السلطان وينزلهم دار الضيافة .
المولوية :	من أشهر الطرق الصوفية وهي قائمة على تعاليم جلال الدين الرومي المتوفى سنة ٦٧٢ هـ وقد أتمّ تأسيسها ابنه (سلطان ولد) .
الميري :	أملاك الدولة .
الناووس :	تابوت حجري .

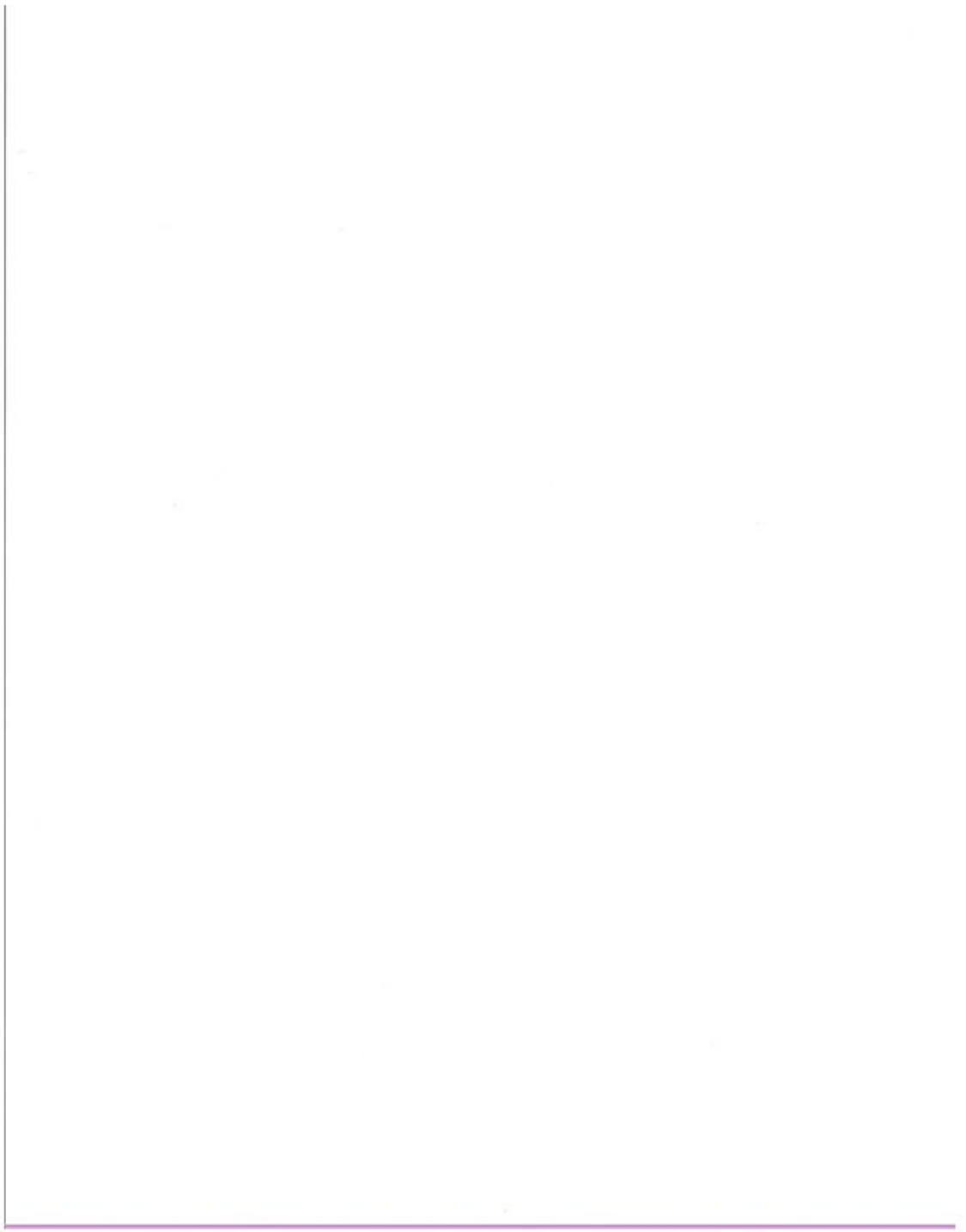

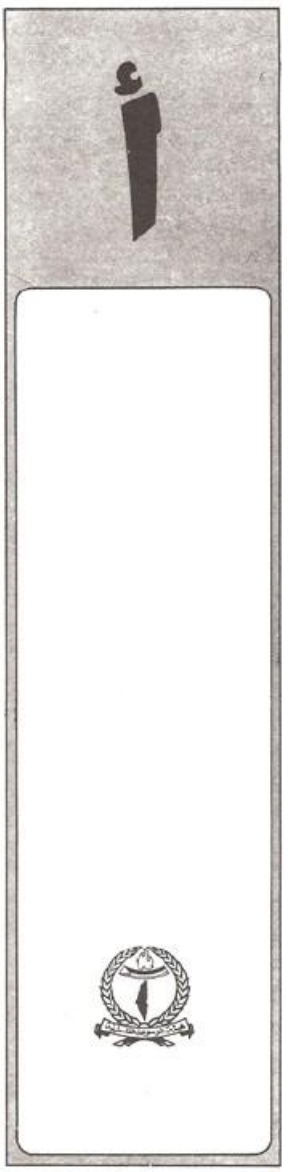

الآبـــار :

يرتبط الحديث عن الآبار في فلسطين بموضوعين هامّين ، هما المياه الجوفية والصخور * الحاملة للمياه من جهة ، والمناخ * السائد في المنطقة من جهة ثانية . ففي جميع أنحاء فلسطين تقريباً تسود درجات حرارة سنوية عالية نسبياً ، تسبّب عجزاً في الفائض المائي والموازنة المائية السطحية ، نتيجة انخفاض كمّيات الأمطار السنوية ، وارتفاع مقادير التبخر والنتح السنويين .

إن الأجزاء المطيرة من القطر ، وهي المرتفعات الجبلية في الجليل * خاصة ، والكرمل * ومرتفعات نابلس * والقدس * والخليل * بصورة عامة ، فقيرة بالمياه السطحية الجارية على مدار العام ، بسبب انتشار الصخور الكلسية ومثيلاتها من الصخور المنفذة للمياه التي تغذي المياه الجوفية . ويعود قسم من هذه المياه فيظهر على شكل ينابيع وعيون متفرقة في الأقسام الوسطى والغربية من فلسطين ، لكنها ينابيع وعيون قليلة الأهمية ، عدا نبعي رأس العين * والكابري * وعيون أخرى أصغر (رَ : عيون الماء) . لذا اضطر الإنسان الفلسطيني منذ العصور التاريخية القديمة إلى البحث عن المياه بحفر الآبار (رَ : العصور القديمة) ،ومع تطوّر وسائل الحفر والوصول إلى المياه الجوفية إزداد عدد الآبار فأصبحت تعدّ بالآلاف في الوقت الحاضر ، معظمها تؤخذ المياه منها بالمضخات الآلية . وقد دفع إزدياد طلب المياه إلى حفر آبار عميقة تصل الى طبقات صخرية بعيدة حاملة للمياه . ويجري ذلك في الجزء المحتل منذ عام ١٩٤٨ ، وفي الضفة الغربية وقطاع غزة أيضاً .

يراوح عمق الآبار في فلسطين بين المتر الواحد ، كما في آبار البساتين الساحلية في غزة * وخان يونس * ، المعروفة بالمواصي (أو المواسي) ، وبين أكثر من ٥٠٠ م ، كما في معظم آبار منطقة القدس ، وهكذا يتزايد عمق الآبار في فلسطين مع الابتعاد عن السهل الساحلي * والاتجاه نحو الشرق الجبلي ـ الهضبي . ففي السهل الساحلي تراوح الأعماق خارج بساتين المواصي بين ٢٠ و ٣٠م أو ٣٠ و ٤٠م وتصل الأعماق إلى ٦٠ ـ ٧٠م في مناطق التلال * وأقدام جبال فلسطين الغربية . وتزيد حتى ١٠٠ ـ ٢٥٠م في السفوح الغربية للجبال المذكورة . أما في الجبال نفسها فتراوح الأعماق بين ٢٠٠ و٥٠٠ م أو أكثر . وليست هذه هي القاعدة العامة في الأعماق نظراً لاختلاف طوغرافية السطح وفروق الارتفاع في تضاريس فلسطين ، إذ توجد آبار قليلة العمق في المرتفعات والجبال ، كما هي الحال في آبار منطقة الخليل ، فعمق بئر بلدية الخليل ٥٧م فقط . وبشكل عام فإن آبار الأودية أو السهول أقل عمقاً من آبار المرتفعات .

توجد المياه الباطنية في فلسطين في طابقين ، الأول هو طابق الصخور البليوسينية ـ البلايستوسينية المنتشرة في السهل الساحلي الفلسطيني (رَ : البنية والبناء الجيولوجي) . ويرتفع مستوى مياه هذا الطابق من الصفر على ساحل البحر ، حتى ١٥٠ ـ ٢٠٠م عند التلال وأقدام الجبال في الشرق ، وتزيد على ذلك في الجبال . وتعتمد آبار فلسطين الواقعة غربي خط تقسيم المياه العام بين البحر المتوسط من جهة وغور الأردن ووادي عربة * من جهة أخرى ، إعتماداً أساسياً على مياه هذا الطابق ، لقلة أعمائه بالقياس إلى الطابق الثاني ، ولانخفاض نسبة الملوحة في مياهه ، تلك الملوحة التي تتزايد بالاتجاه غرباً والاقتراب من ساحل البحر المتوسط ، فتصل في بعض مناطق الساحل إلى نسبة عالية تقدر بنحو ٦٠٠ ـ ١٠٠٠ مغ أملاح في اللتر الواحد ، كما هي الحال في منطقة مجمع يافا ـ تل أبيب السكاني وأطرافه .

أما الطابق الثاني فيقع أسفل الطابق الأول ، ومياهه محمولة في صخور التوروني ـ السينوماني . ومياه هذا الطابق قليلة الغزارة إذا ما قورنت بمياه الطابق الأعلى . لذا فإن الآبار التي تعتمد عليها قليلة الأهمية وعميقة ، ومنها آبار المرتفعات الفلسطينية ، وآبار الجناح الشرقي الواقع بين خط تقسيم المياه العام وأطراف غور الانهدام .

يقل عدد الآبار المُستغلة في فلسطين جنوبي منطقة الخليل وغزة ، فلا يتجاوز عددها في جنوب البلاد والنقب ١٠٠ بئر ، لأن المنطقة صحراوية قليلة الأمطار ، فلا تغذية كافية للمياه الجوفية ، ولا تجديد لما استنزف منها . يضاف إلى ذلك عمقها وارتفاع نسبة الأملاح في معظمها . وأكثر آبار الجنوب الفلسطيني قديمة حفرت على امتداد طرق القوافل ، أو في بطون بعض الأودية ، وأهمها آبار بير السبع (٢٤ بئراً) ، وآبار العوجا * (٥ آبار) ، وعسلوج * (٣ آبار) .

تعرّضت آبار فلسطين ،وما زالت تتعرض لانخفاض في مستوى مياهها ، بل لجفاف قسم كبير منها ، بسبب الاستنزاف الكبير للمياه الجوفية التي تغذيها (رَ : الجفاف) ، إذ انتشرت زراعة الأشجار المثمرة والخضر * المروية مع انتشار الاستيطان الاستعماري الصهيوني في شتى أنحاء فلسطين . إضافة إلى ازدياد الطلب على المياه العذبة للاستعمالات المنزلية والصناعات المختلفة ، مما يهدّد المخزون المائي الباطني لفلسطين . وبالرغم من تعويض الكيان الصهيوني النقص في المياه بجرّ مياه الينابيع والأنهار بأقنية موزعة ، فإن سياسته المائية لم تتغير في مجال استغلال ثروات فلسطين المائية الجوفية والسطحية ، وهذا ما يدفع الكيان الصهيوني للبحث عن مصادر مياه تقع خارج حدود فلسطين ، كما هي الحال بالنسبة إلى منابع الأردن في لبنان وسورية ، مع ما يرافق ذلك من سياسات توسّعية عدوانية .

ومما يؤكد اعتماد الكيان الصهيوني على المياه الجوفية ، ارتفاع كمية مصادر المياه الجوفية إلى ١,٠٠٠ مليون م^3 عام ١٩٨٠ من أصل مجموع مياه مصادر الكيان في العام نفسه ، والبالغ ١,٨١٠ ملايين م^3 . علماً بأن هذا الرقم يشتمل على ما يكرر من مياه البحر ، وعلى ما يعاد تكريره من مياه المجاري الخارجة من المدن . ولا تزلف مصادر مياه نهر الأردن * وبقية الأنهار والينابيع سوى ٧٠٠ مليون م^3 . وهذا يعني أن قرابة ٦٠٪ من مياه فلسطين هي من مصدر باطني .

كان استهلاك الكمية المائية المذكورة عام ١٩٨٠ موزعاً على الشكل التالي :

١,٢٦٠ مليون م^3	للأغراض الزراعية
٠٤٠٠ مليون م^3	للاستهلاك المنزلي
٠١٥٠ مليون م^3	للأغراض الصناعية
١,٨١٠ مليون م^3	المجموع

ويتزايد استهلاك الكيان الصهيوني من المياه ، ويقدّر له أن يصل عام ١٩٨٥ إلى ما بين ٢,٠٠٠ و ٢,١٠٠ مليون م^3 . مما سيدفع هذا الكيان إلى البحث عن مصادر مائية أخرى خارج حدود فلسطين . وقد عمل الكيان على استغلال هذه المصادر استغلالاً تاماً ، حتى في الضفة الغربية التي احتلها عام ١٩٦٧ ، إذ حفر فيها الآبار الكثيرة وأقام عليها مضخات عالية الطاقة ، مما أضرّ بالزراعة العربية نتيجة الانخفاض السريع والمستمر لمنسوب المياه الباطنية ، ولانخفاض تصريف الينابيع ، فجفّت ١٦ بئراً و ١١ينبوعاً في منطقة بردلة وحدها ، وأصيبت منطقة العوجا في وادي الأردن شمالي أريحا * بكارثة حقيقية ، ورحل ثلاثة أرباع السكان منها بسبب حفر المستوطنين الصهيونيين ثلاث آبار قرب نبع القرية (نبع العوجا وتصريفه السنوي حوالي ٥,٧ مليون م^3) ، وأدّى ذلك إلى انخفاض تصريفه أولاً ، ثم جفافه التام عام ١٩٧٩ . وكان من نتائج هذا النوع من الاحتلال الصهيوني للأرض وللماء جفاف ١,٣٠٠ دونم من مزارع الموز * و ١٥٠ دونماً من الحمضيات * وتقلّص زراعة الخضر العربية بمقدار ٢,٠٠٠ دونم .

وأخيراً هناك نوع من الآبار في فلسطين ، يسمى آبار الجمع . وهي منتشرة في فلسطين وقراها العربية منذ أقدم العصور . وتجمع فيها مياه أمطار الشتاء وتخزّن لاستعمالها في شتى الأغراض خلال فصل الجفاف * . فهي آبار لا تعتمد على المياه الباطنية ، بل على

الأمطار والسيول السطحية . وبالرغم من أهمية هذا المصدر المائي فإن الإهمال وعدم العناية أخذان بالتسرب إلى هذه الآبار التي يقدر عددها بنحو ٨٠٠٠ بئر .

المراجع :

ـ الخريطة الجيولوجية لفلسطين : مقياس ١ : ٢٥٠,٠٠٠ .

ـ الصندوق القومي الفلسطيني : تقرير الموارد والسباسات المائية في الضفة الغربية (دون تاريخ ومكان) .

— Blake, G.S. and Goldschmidt, M.J.: **Geology and Water Resources of Palestine,** Jerusalem 1947.

— Government of Palestine, Dapartment of Land Settlement and Water Comissioner: **Chemical Analysis of Water from Rivers, Springs, Wadis and Wells,** Jeruselem 1948.

آبار النقب (وادي ـ) :

ويعرف أحياناً باسم « وادي آبار » فقط . وهو من أهم روافد وادي جرافي * الكبير ، إذ يلتقي به شمالي موقع بئر عادة (أو ابن عودة) ، وسط هضبة النقب .ويبلغ طوله ٣٢ كم تقريباً .

تتجمع الخيوط الأولى لهذا الوادي وبداياته في حوض منخفض من أرض النقب قريب من الحدود الفلسطينية ـ المصرية ، يحاط بمرتفعات وجبال هضبية ، هي جبل سماوي في الغرب ، الذي تصل قمته إلى ارتفاع ١,٠٠٦ م ، وجبل عديد في الشرق ، وأعلى قممه ٨٤٧م . وتغلق مرتفعات صغيرة في جبل دبّه الحوض المذكور من الجنوب الغربي .

تنحدر من هذه المرتفعات وحافاتها الحوفية السيول التي حفرت طريقها ضمن صخور الأيوسين الكلسية لتجتمع في واد واحد ، هو المجرى الأعلى لوادي آبار النقب ، الذي يجز مجراه في ترسباته

بئر الخلّصة

وأنقاضه اللينة من الحقبة الرابعة الجيولوجية . ويكون اتجاه الوادي شمالاً ، شمالاً شرقياً مسافة ١٣ كم . وقبيل التقاء وادي آبار النقب بأهم روافده ، وهو وادي أم بريك الذي يصرف مياه سيول جبل المغارة وسفوح جبل سماوي الشمالية ، يمر وادي آبار النقب ببئر عديد الواقعة مقابل مخرج وادي أم بريك عبر ممر سماوي . وبعد أن يقطع الوادي المسافة المذكورة ينعطف جهة شرق الجنوب الشرقي

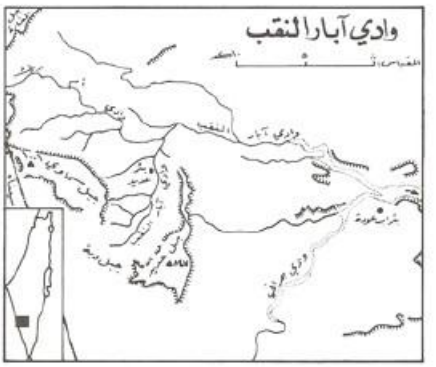

بزاوية واضحة في مجراه ، ليساير خط صدوع له المحور نفسه . ويكون مقطع الوادي ضيقاً نسبياً وعميقاً ضمن صخور الأيوسين والكامبان الحوارية ـ الكلسية قبل هذه الزاوية بنحو ٣ كم وبعدها بنحو ٥ كم . ثم ينبسط إلى عرض ٢٠٠ ـ ٣٠٠م ويصل الى ٤٥٠م عند مصبه في وادي جرافي . وتشرف على هذا القطاع من الوادي جروف صخرية ، مرة عن يمينه ، وأخرى عن يساره ، وثالثة على جانبيه . ويحفر الوادي مجراه هنا في اللحقيات والأنقاض التي رسبها ، أو انحدرت إليه من الجانبين ، وهي ترسبات رباعية العمر .

أما نظام الجريان في وادي آبار النقب فهو سيلي غير منتظم ، مرتبط بهطول الأمطار القليلة التي تراوح كمياتها السنوية الوسطية بين ٥٠ و ١٠٠ مم في منطقة يقرب متوسط درجة حرارتها السنوية من ٢٤° ، ويزيد مقدار التبخر السنوي على ١,٩٠٠ مم . وتكاد منطقة الوادي تخلو من السكان والنشاط الاقتصادي ، عدا نزول أفراد قبيلتي العزازمة والسعيدين بأغنامهم وإبلهم فيها في مواسم الكلأ .

المرجع :

ـ خريطة فلسطين مقياس : ١ : ١٠٠,٠٠٠ ، لوحة بئر معين .

آبـلُ الـزيت :

اسم لعدة مواضع ، يقع أحدها في فلسطين . نسبت إليها غـزوة بجعلها المؤرخ الواقدي الخامسة منذ ظهور الإسلام * ، وهي دومة الجندل ، ومؤتة ، وتبوك ، وبني ، ثم آبل الزيت التي ترتبط بمؤتة بالذات عام ٨ هـ / ٦٢٩ م إذ قتل في هذه الأخيرة ثلاثة من كبار الصحابة ، مما جعل المسلمين ينسحبون ، لما تأكدوا من عدم التكافؤ بينهم وبين أعدائهم . فأعدّ النبي ﷺ سريّة أخرى ، تعتبر آخر البعوث النبوية ، أمّر عليها أسامة بن زيد الذي كان أبوه أحد القواد الذين قتلوا في مؤتة . فطلب منه النبي أن يسير إلى ابل الزيت للانتقام ممن قتلوا أباه ، وأن يوطئها بالغارة ، وكان أسامة ابناً بالتبني للنبي ، مع أنه عبد أسود ، من أم حبشية أعتقها النبي ، لحق به في موقعة أحُد ، إلاّ أنه ردّه لصغر سنّه ، ولما فتحت مكة دخل معه الكعبة ، فكان أحب الناس إليه ، حتى عرف باسم حبّ ابن حب رسول الله . ولما طعن بعض المغرضين في تأمير أسامة لصغر سنه ، خرج النبي لهم في وجعه الأخير ، وقد عصب رأسه من الصداع ، وقال لهم ثلاث مرات « أنفذوا بعث أسامة » ، وأشار بأنه خليق بالإمارة مثل أبيه ، إذ كان يقدّر شجاعته في وقعة حنين . فجهزه النبي بثلاثة آلاف ، منهم سبعمائة من المهاجرين والأنصار ، وعقد له بيده ، ودعا له . فعسكر أسامة شمالي المدينة بالجرف ، إلاّ أن وفاة النبي فجأة ، جعلته يعود الى المدينة ،ويغرز لواءه عند بيت رسول الله ﷺ .

ولما بويع أبوبكر بالخلافة أعيد اللواء إلى بيت أسامة ، ليمضي لوجهته ، تنفيذاً لرغبة النبي ، فودعه أبو بكر بنفسه ، وكان يمشي وأسامة راكب على فرس أبيه « سبحة » . وقد أوصاه ووعظه ، وحدد له مهمته في أن يتفادى الاشتباك مع الروم ، وأن يبسط نفوذ الإسلام في شمال الحجاز على بطون قضاعة * وبعض اليهود ، فبدأ أسامة بالغارة في وادي القرى ، الذي لا يعتبر من الحجاز ، ويقع في طريق الشام ، فأغار فيه على قرى ومزارع واسعة ، مثل ذي المروة . ووصل إلى أرض السّراة من صحراء نخوم البلقاء شرقي الأردن ، وهاجم الداروم ، وهي بليدة قرب غزة * ، ثم هاجم بني الضبيب من جذام * ، وبني سليل من لخم * . ووصل إلى الحمقتين وآبل الزيت ، وتمكّن في هذه الأخيرة من أن يقتل قاتل أبيه ، في عام ١١ هـ / ٦٣٢ م . وقد بقي أسامة يغزو في هذه النواحي أربعين يوماً ـ وقيل سبعين ـ حتى قدمت جيوش الفتح إلى الشام ، فرجع بسريته إلى المدينة ، فخرج أبو بكر في أهلها يتلقونهم ، واللواء أمامه يحمله بريدة بن الحصين ، من أكابر الصحابة . ودخل أسامة مسجد النبي وصلى فيه ركعتين .

كان إرسال بعث أسامة إلى آبل الزيت ، من أعظم الأمور نفعاً للمسلمين ، لأنه مهّد لفتح الشام . حتى أن هرقل * لما بلغه ما فعله أسامة ـ وكان بحمص ـ بعث بتجريدة لتأديب هؤلاء الذين أصبحوا يجولون ويصولون على حدود الروم . كما أن بعث أسامة قد تسبب أيضاً في إضعاف معنويات المرتدين بالحجاز الذين قالوا لو لم يكن بالمسلمين قوة لما أرسلوه ، مما أوهنهم وقوّى معنويات المسلمين . وقد توفي أسامة في أيام معاوية * ودفن بالمدينة عام ٥٤ هـ / ٧٦٤ م .

المراجـع :

ـ ابن هشام : السيرة النبوية ، بيروت ١٩٧١ .
ـ ابن سعد : الطبقات الكبرى ، بيروت ١٩٥٧ .
ـ الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، القاهرة ١٩٦٠ .
ـ الذهبي : تاريخ الإسلام .
ـ ياقوت : معجم البلدان ، طهران ١٩٦٥ .

آبـل القمح (قـريـة ـ) :

آبل كلمة سامية مشتركة ، تعني المرج ، وسميت بذلك لجودة القمح * الذي تنتجه هذه القرية . كما أطلق عليها « آبل المياه » لوفرة المياه في السهول المحيطة بها .

يعتقد ان آبل القمح تقوم في مكانْ البلدة الكنعانية « آبل بيت معكة » التي غزاها الأشوريون * ، وسبوا سكانها في عام ٧٣٤ق.م.

كانت آبل القمح تتبع لبنان حتى عام ١٩٢٣ ، عندما فصلت عنه ، وضمت الى فلسطين .

تقع هذه القرية العربية شمال الشمال الشرقي لصفد * ، وتربطها بصفد طريق معبدة طولها نحو ٤٣كم . وتبعد القرية قرابة كيلومتر واحد عن الحدود اللبنانية ـ الفلسطينية .

أنشئت آبل القمح فوق الجزء الأوسط من تلّ يمتد طولياً من الشمال الى الجنوب ، على ارتفاع ٣٩٠م فوق سطح البحر، ويزداد ارتفاع التل في شمال القرية ليصل الى ٤١٤م فوق سطح البحر . وتتميز سفوح هذا التل بشدة انحدارها . ولقد أكسبت السهول الخصبة المحيطة بالتل هذه القرية شهرتها بالزراعة . ويمر على بعد نصف كيلومتر غرب القرية وادي البريغيث (وادي الدردارة كما يطلق عليه في لبنان) ، وهو أحد روافد نهر الأردن * العليا . أما نهر

الحاصباني الذي يعتبر أحد أهم روافد نهر الأردن ، فيمر على بعد ٤كم إلى الشرق منها .

تشبه القرية في شكلها العام مثلثاً رأسه في الجنوب ، وقد اتجه توسع القرية العمراني نحو الجنوب ، متفقاً مع امتداد التل الذي تقع عليه القرية . وفي أواخر القرن الماضي كان في القرية ٤٥ مسكناً ، أصبح عددها في عام ١٩٣١ نحو ٥٨ مسكناً بنيت من الحجارة والإسمنت أو الحجارة والطين ، أو الإسمنت المسلح . وفي عام ١٩٤٥ بلغت مساحة القرية ١٣ دونماً وبلغت مساحة أراضيها ٤,٦١٥ دونماً ، ملك الصهيونيون ١,٣٢٧ دونماً منها ، أي ٢٨,٨٪ .

كان في آبل القمح ٢٢٩ نسمة من العرب في عام ١٩٣١ ، ارتفع عددهم الى ٣٣٠ نسمة في عام ١٩٤٥ .

لم يكن في القرية أي نوع من الخدمات ، واعتمد اقتصادها على الزراعة * وتربية المواشي . وأهم المزروعات فيها الحبوب * وهي نقيرة الى الأشجار المثمرة ، ففي موسم ١٩٤٣/٤٢ لم يكن فيها سوى ستة دونمات مزروعة زيتوناً * .

شرّد الصهيونيون سكان القرية العرب ، ودمروها في عام ١٩٤٨ . وأسسوا على أراضيها عام ١٩٥٢ موشاف « يوفال » مقابل دان وتل القاضي .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، في ديار الخليل ، جند الأردن ، ج ٦ ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٢٥,٠٠٠ ، لوحة المطلة .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة برجعيون .

آبـل الميـاه : ز : آبـل القمح (قرية ـ)

الآثـار (علمـاء) :

كانت فلسطين موضع اهتمام ودراسة عدد كبير من العلماء الأجانب منذ وقت مبكر . ويرجع ذلك إلى أسباب عدة ، منها مكانة فلسطين لكونها الأرض المقدسة ، والحروب الصليبية التي جرت على أرضها ، إذ عاد بعدها الغزاة إلى مواطنهم الأصلية يتحدثون عن خيرات البلاد المقدسة وجمالها ، والاكتشافات الجغرافية التي جاءت بالكثير من الجديد إلى الشعوب الأوربية ، مما نمّى حب الاستكشاف لدى الكثيرين منهم .

هذه الأسباب دفعت المكتشفين والرواد الأوائل إلى الذهاب إلى فلسطين للتعرف على مدنها وقراها وطبيعة سكانها وعاداتهم وتقاليدهم وحضارتهم وتاريخهم ، وعلى نباتها وطبيعة أرضها .

وبقي الأمر مقصوراً على العلماء الأجانب وقتاً طويلاً ، ولم يتسنّ للعرب الفلسطينيين ، كما هي الحال في سائر البلاد العربية ، الإسهام في البحوث الأثرية في فلسطين إلاّ إسهاماً ضئيلاً يكاد يكون معدوماً . ومردّ ذلك إلى الجهل والتخلف ، مما أدّى إلى عدم وجود الاختصاصيين في هذا الميدان ، إضافة إلى عدم رغبة الباحثين الأجانب في إشراك الفلسطينيين وإطلاعهم على ما يقومون به من أبحاث .

أ ـ علماء الآثار الأجانب : كان في طليعتهم الباحث الدومنيكي السويسري فلكس شميت فابري *Felix Schmid Fabri* الذي جاء إلى فلسطين ، وقام بعدة رحلات في الفترة ما بين ١٤٨٠ و١٤٨٣م وكتب وصفاً عاماً نشر بعد نحو خمسة وسبعين عاماً . وجاء بعده في عام ١٥٧٥م العالم الهولندي ليونهارد راوخ وولف *Leonhard Rauchwolff* ، وكتب ملاحظاته حول العلوم الطبيعية والجغرافية ، ولا سيما علم النبات . وفي نهاية القرن السادس عشر الميلادي قام عالمان ، أحدهما بلجيكي اسمه جوهان زولارت *Johann Zuallart* ، والآخر هولندي اسمه جوهان فان كوتفيش *Johann Van Kootwych* ، بوضع دراسات ورسوم معمارية للآثار الفلسطينية .

ويلاحظ بعد ذلك ، وخلال القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين أن الاهتمام بالآثار الفلسطينية دخل مرحلة أكثر جدية ، وازدادت حركة النشر حولها . ويبدو أن ذلك راجع لاهتمام العلماء المتخصصين بالدراسات اللاهوتية أمثال قواريسميوس *Quaresmius* الذي قام بدراسات عن الأماكن الدينية بفلسطين عام ١٦٣٩م ، وبيترو ديلا فالي الإيطالي *Pietro Della Valle* الذي قدم وصفاً للرحلات التي قام بها في فلسطين ، والفرنسي اليسوعي ميخائيل ناو *Michael Nau* الذي نشر عام ١٦٧٩م ، مجموعة من آرائه وتجاربه التي دوّنها خلال رحلاته . وفي عام ١٧٠٣م قدّم القس البروتستانتي هنري موندريل *H. Maundrell* مزيداً من المعلومات الفنية الغنية بالمواد الأثرية التي جمعها نتيجة لجولاته في فلسطين . ثم اتبعه الهولندي أدريان ريلاند *A. Reland* يتقفد الدارسين اللاهوتيين الذين سبقوه في مؤلفه الهام « فلسطين من خلال معالمها الأثرية » ، الذي صدر عام ١٧٠٩م . وفي عام ١٧٣٨م قام الأسقف بوكوك *Pocock* برحلة إلى فلسطين نسخ خلالها مجموعة من النقوش الأثرية ، ونشرها مع خرائط ورسوم أخرى .

وقد ازداد عدد أولئك العلماء الذين اتجهوا للبحث والدراسة في

فلسطين وآثارها ومعالمها الحضارية في النصف الأول من القرن التاسع عشر ، وأخذ أسلوب البحث ينهج نهجاً أكثر دقة . ومن هؤلاء العلماء الألماني أورليخ يسبر سيتزن *Ulrich Jasper Seetzen* الذي شملت أبحاثه وتقاريره المفصلة ما يعرف اليوم بشرقي الأردن ، والرحالة السويسري يوهان لودفيج بوركهارت *Johann Ludwig Burckhardt* الذي اكتشف البتراء * ، وكان بذلك أول رحالة غربي يُعرِّف الشعوب الأوربية بالبتراء عاصمة الأنباط * .

لم يكن إسهام العلماء الإنكليز ، وإن جاء متأخراً ، بأقل من إسهام زملائهم الألمان والهولنديين والإيطاليين والفرنسيين والسويسريين . فقد أرادوا أن يدلوا بدلوهم على غرار زملائهم الأوربيين ، فظهرت أسماء إنكليزية ، أول مرة في الفترة ما بين ١٨١٧ و١٨١٨م ، مثل إربي *Irby* ، وجيمس مانجلر *James Mangler* .

ولم يتأخر العلماء الامريكان طويلاً عن الركب ، فقد قام بعد الإنكليز ببضع سنوات (١٨٢٨م) اللاهوتي الامريكي إدوارد روبنسن *Edward Robinson* بصحبة تلميذه إيلي سميث *Eli Smith* بجولات متعددة ، شملت فلسطين والمناطق المتاخمة لها من لبنان وسورية وسيناء ، محاولاً تثبيت وتسجيل المواقع التي ورد ذكرها في التوراة . وقد نشر نتيجة أبحاثه هذه في كتاب في ثلاثة مجلدات عنوانه « فلسطين : جبل سيناء والبتراء العربية » *Palestine: Mount Sinai and Arabia Petraea* . وعلى ضوء ذلك قام ف. دو ساولسي *F. de Saulcy* في الأعوام ١٨٥٠ و ١٨٥١ و ١٨٦٣م بدراسات مشابهة ، أتبعها بتنقيبات أثرية مبكرة في عدد من المواقع . لكنه لم يستطع ربط تنقيباته تلك بالنصوص التوراتية . ولم يخف من خيبة أمله إلاّ بعض المكتشفات الأثرية التي حملها معه إلى متحف اللوفر . وقد عرف ساولسي هذا بأنه أول منقّب أثري في فلسطين .

شهد الربع الثالث من القرن التاسع عشر أهم مؤسستين كان لهما دور بارز في دراسة الآثار الفلسطينية عن طريق استقطاب العلماء ودفعهم للقيام بأبحاثهم الأثرية في ظل رعايتها . وقد بدا لأول وهلة أن هاتين المؤسستين كانتا تهدفان إلى دراسة آثار ، وطوبوغرافية ، وجيولوجية فلسطين ، بالإضافة إلى دراسة تاريخها الطبيعي وعادات سكانها وتقاليدهم دراسة علمية تختلف عن تلك الدراسات التي سبقتها . لكن الواقع أثبت أنهما أكملتا ما بدأه الآخرون . والمؤسسة الأولى ، وهي « صندوق استكشاف فلسطين *Palestine Exploration Fund* » ، تأسست في لندن عام ١٨٦٥م . أما المؤسسة الثانية فهي « جمعية الاستكشاف الامريكية *The American Exploration Society* » وتأسست عام ١٨٧٠م في نيويورك على غرار المؤسسة الأولى (رَ : الآثار : مدارس ومؤسسات بحث) .

ولقد رافق ظهور هاتين المؤسستين وغيرهما من الجمعيات الأثرية نشاط كبير في حقل الآثار الفلسطينية . فقد قام كثير من العلماء ، برعاية تلك الجمعيات وبإشرافها ، بأعمال التنقيب والمسح الأثريين .

وكان هدف الجميع المعلن في تلك المرحلة إثبات صحة ما ورد في التوراة * من حوادث تاريخية وأسماء أماكن ، وذلك بالقيام بتنقيبات أثرية في أماكن يعتقد أن أسماءها مطابقة لتلك التي وردت في التوراة .

ولكن مسألة التنقيب عن الآثار واستكشاف فلسطين كانت في حقيقتها ذات غايات سياسية بالنسبة إلى بريطانيا خاصة . فقد أخذ اهتمامها بالشرق العربي ، ولا سيما بفلسطين ، يزداد بسبب تجارتها مع الهند . وقام صندوق استكشاف فلسطين بدور كبير في هذا المجال ، إذ تعدّت أعماله الغايات الدينية العلمية إلى الأهداف العسكرية السياسية الاستعمارية ، بدليل أن معظم الذين تولّوا بعثات هذا الصندوق الاستكشافية كانوا من وزارة الحربية البريطانية ، ومن سلاح الهندسة الملكية بخاصة ، من أمثال كوندر *C.R. Conder* ، وبالمر (اللورد) وكتشنر *H.H. Kitchener* ، وولي ، ولورنس ، وبدليل ازدياد نشاط هؤلاء الضباط في الكشف عن جنوب فلسطين بعد أن ظهرت إلى الوجود مشكلة الحدود الشرقية لمصر ، والدفاع عن قناة السويس سنة ١٩٠٦ .

وقد أكد نشاط صندوق استكشاف فلسطين الصلة القوية بين بريطانيا ومشاريع الاستيطان اليهودي في فلسطين تحت الحماية البريطانية . وكانت تذكر دائماً في اجتماعات لجنة الصندوق مسألة « عودة اليهود » ، وشجعت أعمال الصندوق عملية الاستيطان لأنها قدمت صورة مفصلة عن فلسطين . فقد وضع لورنس أوليفانت *L. Oliphant* مشروعاً لحلّ المسألة الشرقية بدعوة اليهود في أوربا إلى الاستيطان في الجانب الشرقي للأردن حتى ينمّوا موارده الإمبراطورية العثمانية . ورأى كتشنر أن فلسطين هي الأرض التي تخصّ الشعب اليهودي ، ونسب كوندر الفضل في هجرة اليهود إلى فلسطين وتزايد أعدادهم فيها ، ولا سيما في القدس ، إلى ما كتبه من مقالات وبحوث .

حتى من الجانب الديني البحت ، وقع الساعون لإثبات صحة ما ورد في التوراة من هؤلاء المنقبين في أخطاء كثيرة لا يزال علم الآثار الفلسطينية يعاني منها إلى اليوم ، وسيظل يعاني ردحاً طويلاً من الزمن . ومن أمثلة ذلك أن الكولونيل تشارلز وورن *Charles Warren* قام ، برعاية صندوق الاستكشافات الفلسطينية ، بحفريات في القدس عام ١٨٦٧م ، ولكن أعماله تلك لم تكن مرضية بسبب عجزه عن تحديد تاريخ دقيق للمباني والفخار الذي عثر عليه . وقام

س. كوندر وكتشنر في الفترة ما بين ١٨٧٢ و ١٨٧٨م بعمليات مسح أثرية مفصلة ، تخدم المصالح الأثرية والعسكرية بآن واحد . وقد نشرت اعمالها في عدة مجلدات، تضم معلومات تفصيلية كثيرة ومركزة عن طوبوغرافية فلسطين ومدنها وقراها ومواقعها الأثرية . وبعد ذلك جاء فلندرز بيتري *Flinders Petrie* ، الذي أطلق عليه بعضهم لقب أبي الآثار الفلسطينية ، وكان تابعاً للمدرسة البريطانية للآثار في مصر ، وأجرى تنقيبات أثرية في تل الحسي عام ١٨٩٠م ، وحاول من خلال تلك التنقيبات التمييز بين المراحل السكنية معتمداً على البقايا المعمارية المتعاقبة ، كما لجأ إلى تصنيف المكتشفات الفخارية على أساس أشكالها . وقد اعتبر هذا تطوراً كبيراً في علم الآثار . وفي عام ١٩٢٧ عاد بيتري مرة ثانية إلى فلسطين ليقوم هذه المرة بتنقيبات في تل العجول (غزة القديمة) إلى جانب تنقيبات في تل حجة إلى الجنوب من غزة * ، وتل الفارعة في منطقة بير السبع . وخلف بيتري في تل الحسي الأمريكي بليس *F.J. Bliss* لمدة ثلاث سنوات ، متبعاً طريقته في التأريخ مع بعض التعديلات . كما اشترك بليس مع مساعده مكالستر *R.A. Macalister* في تنقيب مواقع أخرى في جنوب فلسطين ، مثل تل الصافي * وتل زكريا وتل جديدة . لكنهما على الرغم من سيرهما على طريقة بيتري في التنقيب والتصنيف ، صنّفا مكتشفاتهما تبعاً للعصور التوراتية التقليدية التي كانت رائجة حتى عام ١٩٠٢ ، مثل :

١) عصر ما قبل الإسرائيليين المبكر : حتى عام ١٥٠٠ ق.م.
٢) عصر ما قبل الإسرائيليين المتأخر : بين عامي ١٥٠٠ و ٨٠٠ ق.م.
٣) العصر اليهودي : بين عامي ٨٠٠ و ٣٠٠ ق.م.
٤) العصر السلوقي : بدءاً من ٣٠٠ ق.م.

إلاّ أن مكالستر عدّل هذه المصطلحات بعد تنقيباته في تل الجزر في جنوب شرق يافا * في الفترة ما بين ١٨٩٢ و ١٩٠٩ ، فقسمها إلى : سامي أول ، وسامي ثان ، وسامي ثالث وسامي رابع .

وفي عام ١٩٠٩ قام دونكان مكنزي *Duncan Mackenzie* بتنقيبات في تل الرميلة برعاية صندوق الاستكشافات البريطانية . لكن العمل توقف بعد ثلاثة أسابيع بسبب شحّ الإمكانات المادية . وفي عام ١٩١٨ قام جورج ريسنر *G. Reisner*، بتخويل من جامعة هارفرد الأمريكية ، بتنقيبات أثرية في أريحا * وسبسطية * . وكان معه فريق مدرّب ساعده كثيراً في تنقيباته . وقد خلفه في هذه التنقيبات فيشر *C.S. Fisher* ونشرت نتائج أعمال البعثة في سبسطية في عدة مجلدات عام ١٩٢٤ .

أما أعمال العلماء الألمان والنمساويين الذين نشطوا بعد تحسين العلاقات السياسية مع تركيا صاحبة السيادة السياسية على فلسطين يومئذٍ ، فتركزت غالباً في تل تعنك وأريحا وتل المتسلم (مجدو) * . ففي عام ١٩٠١ قام البحّاثة أرنست سيللين *Ernest Sellin* بحملة أثرية للتنقيب في تعنك إلى الجنوب الشرقي من تل المتسلم (مجدو) ، وتوصل خلالها إلى اكتشافات هامة ، أبرزها اكتشاف اثني عشر رقيماً مسمارياً تعود إلى القرن السادس عشر أو الخامس عشر قبل الميلاد .

وفي الفترة ما بين ١٩٠٣ و ١٩٠٥ ترأس شوماخر *Schumacher* الذي سبق أن عمل مع سيللين بعثة أثرية في تل المتسلم (مجدو) . لكنه وقع في أخطاء جسيمة . وفي عام ١٩٠٧ تألفت بعثة ألمانية نمساوية مشتركة للتنقيب في أريحا برئاسة سيللين وكارل فانزنغر *C. Wanzinger* ، وضمت عدداً من المهندسين المعماريين ، وظلت تعمل حتى سنة ١٩٠٩ . ورغم ما بذله أفراد هذه البعثة من جهد في توثيق المكتشفات الأثرية ، وقعوا في الأخطاء التي وقع فيها من سبقهم فيما يتعلق بتفسير الآثار وتسميات العصور (رَ : العصور القديمة) .

بعد ان انتهت الحرب العالمية الأولى بانتصار الحلفاء خضعت فلسطين للانتداب البريطاني الذي بدأ ، تنفيذاً لوعد بلفور * ، بسترضي الصهيونية * العالمية . فأراد تأكيد « الوعد الإلهي » بدعم تاريخي يؤكد صحة الوعد ، أي حق الصهيونيين في فلسطين . وقد بادر أول مدير لدائرة الآثار الفلسطينية ، جون جارستانغ *John Garstang* ، فور تعيينه سنة ١٩٢٠ إلى تشجيع المؤسسات الدينية والكنسية والجمعيات الأثرية ، وحثّها على الاستمرار في عملها وفي النهج التقليدي . كما أنشأ مجلساً استشارياً أعضاؤه كلهم من الأوربيين ، ومن بينهم الصهيوني جوزيف كلاوسنر *Joseph Klausner* . ولم يضم إلى ذلك المجلس أي عضو عربي . وكان من نتائج السياسة البريطانية نشاط الصهيونيين للوصول إلى الأهداف التي سبق ذكرها . وكان من أهمهم ، إضافة إلى جوزيف كلاوسنر ، إليعيزر بن يهودا *Eliezer Ben Yehuda* ، وإليعيزر سوكنيك *Eliezer Sukenik* ، وابنه ييغال يادين *Yigal Yadin* ، وبنيامين مازار *Benjamin Mazar* ، والصهيوني الامريكي المعروف نيلسون كلوك *N. Glueck* ، والأمريكي أولبرايت *W.F. Albright* ، وليون مايير *L. Mayer* ، وميسلر *B. Maisler* وغيرهم . وقام ميسلر ، بإشراف جمعية الاستكشافات اليهودية ، بتنقيبات أثرية في موقع الشيخ بريك * قرب مدينة الناصرة * ، كما عمل في سبسطية بالاشتراك مع صندوق الاستكشافات البريطاني الخاص بفلسطين والمدرسة الأمريكية للأبحاث الشرقية في القدس .

ومن أخطر العلماء الذين ساعدوا الصهيونيين بحماسة وليام أولبرايت ، وكان، من خلال عمله مديراً لمدرسة الأبحاث الشرقية

الأمريكية ، ينصح ويوجه ويشجع الأعمال الصهيونية خلال خمسة عشر عاماً قضاها في إدارة المدرسة ، بل تعدّى النصح والإرشاد ، فاستقبل صهاينة في مدرسته ويسّر الإقامة والبحث لهم وأطرى أعمالهم وامتدحهم . وقد خصص الصهيونيون ، اعترافاً بجهوده ، العدد رقم ١٩ من مجلة (أرض إسرائيل) إحياء لذكراه بعد وفاته .

بدأ حوّل الصهيونيون علم الآثار من علم إنساني ينشد الحقيقة ، ويبحث في الإنسان وعلاقاته الاجتماعية ، هادفاً إلى تقريب المسافات بين الشعوب ، إلى علم سياسي عرقي . فأعدّوا من أجل الوصول إلى هدفهم ذلك جيشاً من الباحثين ، كان من أنشطهم في الآونة الأخيرة بيغال يادين الذي نقب في مسعدة وحازور ، وبنيامين مازار ، ورافي يونان وغيرهم ، موزعين بين الجامعة العبرية في القدس ، وجامعة بار إيلان في تل أبيب ، ودائرة الآثار والمتاحف .

ومن المهم هنا أن نُذكر عالمة الآثار البريطانية كاثلين كنيون *Kathleen Kenyon* التي قامت بالتنقيب في أريحا ، وكان لها نشاط بارز في حقل الآثار الفلسطينية . فقد تميّزت بدقة العمل التنقيبي ، وكانت تحذر باستمرار من مغبّة خطأ الربط بين نتائج التنقيبات الأثرية والحوادث التوراتية . وكان لتحذيرها أثر بالغ في تلامذتها الذين لا يزالون يعملون في هذا المجال ، ومن أهم هؤلاء هنريكوس فرانكين الذي خالف بجرأة أسلوب البحث التوراتي الصهيوني ، وبنى ، كما بنت كاثلين ، تفسيراته على الشواهد والوثائق الأثرية المكتشفة . ومن مظاهر الاحتجاج على الصهيونيين التي أبدتها كاثلين توقفها عن التنقيب الأثري في فلسطين بعد حرب ١٩٦٧ * .

وهناك كثير من العلماء الذين عملوا في مجال التنقيب والبحث الأثري في فلسطين ، منهم : جيمس بريتشارد *JamesPrichard*، وكريستال بنيت *K. Bennet* وجين برو *Gean Perrot* ، وبيتر بار *Peter Parr* ، وكيلسو *J.L. Kelso* ، ودونسكومب كرلت *Dunscombe Colt* ، وكولين بالي *T.J. Coüin Baly* ، وأليكس مالون *Alexis Mallon* ، وكالاوي *J. Callaway* ، وعشرات غيرهم .

ومن حسن حظ علم الآثار أن تقدم العلوم الطبيعية وتطبيقها في البحث الأثري ساعدا في تطوير أساليبه ، وبالتالي ساعدا في تفهّم نتائجه وتفسيرها تفسيراً علمياً منطقياً ، بعد أن كان يخضع لمفاهيم عتيقة ، ويستند إلى روايات لا تخرج عن كونها أساطير في أكثر الأحيان . وتبدّد أمام هذه الأبحاث العلمية المنهجية كثير من الزعم الذي استند إلى معلومات توراتية بهدف إثبات حق سياسي مزعوم . فالتنقيبات الأثرية التي جرت في الضفة الغربية من نهر الأردن بعد عام ١٩٥٢ أكدت أنه لم يعثر على آثار عبرانية تعود إلى الدور الأول من العصر الحديدي (ر : العصور القديمة) ، كما أكدت كاثلين كنيون ، من خلال تنقيباتها في القدس (١٩٦١ - ١٩٦٧) ، أنه لا توجد آثار معمارية يمكن نسبتها إلى داود أو سليمان ، وأن البرج والجزء من السور اللذين أعادهما مكالستر سابقاً إلى عهد داود ، بنتيجة تنقيباته التي قام بها في الثلاثينات من هذا القرن ، إنما يعودان إلى الفترة الهلنيستية . أما ما عرف باصطبلات سليمان في تل المتسلم (مجدو) ، فقد أثبتت الدراسات الحديثة أنها ليست اصطبلات ، ولا تعود إلى زمن سليمان . هذا إلى جانب كثير من الحوادث التوراتية التي أثبتت التنقيبات الأثرية بطلانها . ومن أمثلة ذلك حادثة تدمير أريحا التي تقول كاثلين كنيون فيها : " يستحيل على المرء أن يقرن تدمير أريحا بتاريخ خروج الإسرائيليين في القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، فتدمير المدينة يمكن أن يكون بنتيجة هجوم جماعة أخرى من العبريين الذين يتميز تاريخهم بالتعقيد ، كما نعرف . وعليه فالحكاية المثيرة التي ترويها التوراة عن حصار أريحا وسقوطها ليست إلاّ تعليلاً خيالياً لمظاهر التخريب فيها " . كذلك تتحدث جوديث ماركيت كراوس عن رواية تدمير مدينة العاي (عي) فتقول : " إن الفصلين السابع والثامن من سفر يشوع واللذين يعتبران تاريخين لا يخرجان عن كونها أسطورة " . وحول المسألة نفسها يتحدث ج . كالاوي معتمداً على الشواهد التاريخية التي حصل عليها خلال تنقيباته الأثرية في تل العاي ، فيقول : " إننا لا نستطيع بعد هذا أن نصدق أن تدمير بتيل وتل الدوير وتل بيت مرسيم أو تل القاضي في العصر البرونزي المتأخر نتيجة غزو الإسرائيليين لأرض كنعان " . وهذا الرأي يخالف روايات التوراة .

أما جيمس بريتشارد فيؤكد ، بعد تنقيبه في مدينة الجيب *Gibeon* ، وبناء على البراهين التي توافرت لديه ، أنه لم يكن في الجيب مدينة ذات أهمية زمن يشوع ، ويقول : " إن التناقضات الواضحة التي كشفت عنها نتائج التنقيب الأثري في أريحا وعي والجيب ، وهي المدن التي تحدث عنها سفر يشوع ، تدل على أننا نسير في طريق مسدود في محاولة العثور على شواهد أثرية لإثبات الروايات التقليدية عن الفتوحات الإسرائيلية "

ويحسم فرانكلن الموضوع بالقول : " لولا روايات التوراة التقليدية لما وجد الأثريون التوراتيون أي تغيير عرقي يذكر في نهاية العصر البرونزي المتأخر " .

ويمكن تصنيف علماء الآثار الفلسطينية بعد هذا العرض كما يلي :

١) علماء التاريخ والعلوم الطبيعية الأخرى مثل الجغرافية والنبات . وكان هدفهم دراسة طبيعة الأرض المقدسة أمثال لينهارد روخولف .

٢) علماء التوراة الذين هدفوا من وراء البحث في الآثار الفلسطينية إلى إثبات تاريخية الحوادث والأسماء التي وردت في التوراة . ويمكن أن يقسم هؤلاء إلى فريقين : الأول هدفه بحثي محض كالأب دوثو ، ولاب ، وديمر . والثاني سخّر نفسه لخدمة الأغراض الصهيونية والتجسسية أمثال : أولبرايت ، ونيلسون كلوك ، وكوندر .

٣) العلماء الصهيونيون الذين كان هدفهم إضفاء الشرعية التاريخية على الكيان الصهيوني من خلال البحث الأثري ، ومنهم ييغال يادين ونيامين مازار ، وميسلو ، وأوهارون ورث أميران وغيرهم .

٤) العلماء الأثريون الذين فصلوا البحث الأثري عن روايات التوراة ، أمثال كاثلين كينون ، وهنريكوس فرانكين .

ب ـ علماء الآثار العرب الفلسطينيون : حين تأسست دائرة الآثار الفلسطينية في ظل الانتداب البريطاني ، في أوائل العشرينات ، تمكن بعض الفلسطينيين مع الزمن ، وهم قلة ، من الالتحاق بتلك الدائرة موظفين عاديين . ولكن نباهتهم مكّنتهم من الولوج تدريجياً في العمل الأثري ، ومن هؤلاء ديمتري براميكي ويوسف سعد وسالم الحسيني . وقد عمل الأول في البداية مساعداً لمفتش الآثار ، وارتقى حتى أصبح مفتشاً للآثار ، ومشاركاً في أعمال التنقيب العرضي والموسمي . ثم صار يعهد إليه ، بعد أن أثبت مقدرته ، إجراء بعض التنقيبات العرضية التي تعقب عادة الاكتشافات الطارئة . وقد قام بالتنقيب عن مدفن في بلدة الظاهرية * يعود إلى العصر الحديدي الباكر ، ونشر نتائج تنقيبه في فصلية دائرة الآثار ، ونقب عن كنيسة من القرن المسيحي الباكر في عين الحنية ، وعن كنيسة من العهد البيزنطي الباكر بالقرب من تل السلطان عند أريحا . ونقب كذلك عن خزان قديم للمياه في باحة قصر الحكومة بالقدس ، وعن مدفن في وعر أبو الصفا بالقرب من القدس . هذا بالإضافة الى اشتراكه في عدة مواسم تنقيبية في خربة المفجر * . ونشر نتائج دراساته في عدة مقالات في فصلية دائرة الآثار الفلسطينية .

كما نشر ديمتري براميكي دليلاً صغيراً للقصر الأموي في خربة المفجر ، قامت بطبعه دائرة الآثار الفلسطينية عام ١٩٤٧ .وكانت اعماله في خربة المفجر من أهم الأعمال التي قام بها في فلسطين ، واستطاع ، مستعيناً بها ، أن يعد أطروحته حول ثقافة العصر الأموي بفلسطين . والتحق بعد النكبة بالجامعة الأمريكية في بيروت ، ثم أصبح أميناً لمتحفها ، وأستاذاً للآثار فيها . ونشر آنذاك عدة كتب منها : « الفينيقيون » ، و « النقود الأموية في متحف الجامعة الأمريكية » ، و « الفن والعمارة القديمة في فلسطين » ، وغيرها . وبقي ديمتري براميكي أميناً لمتحف الجامعة الأمريكية وأستاذاً للآثار فيها حتى تقاعده . وثابر على العمل في الحقل الأثري ، فترأس بعثة أثرية فلسطينية إلى العراق لإنقاذ آثار سد حمرين ، ودرّس في الجامعة اللبنانية .

أما سالم الحسيني فقد قام بعدة تنقيبات طارئة في فلسطين ، منها التنقيب عن مدفن صخري في عين يبرود . ونشر نتائجه في فصلية دائرة الآثار الفلسطينية . وقام بمشاركة هاملتون بالتنقيب عن مدفن آخر اكتشف عند تنفيذ الطريق المؤدي من القدس الى نابلس .

أما يوسف سعد فقد بدأ عمله موظفاً صغيراً ، وتدرج في عمله حتى أصبح أميناً للمتحف الفلسطيني (متحف روكفلر سابقاً) بعد إلحاقه بالمتاحف الأردنية . وبقي في وظيفته حتى الاحتلال الصهيوني للضفة الغربية عام ١٩٦٧ . ونشر بعض الأبحاث الأثرية .

هؤلاء هم أبرز الباحثين الأثريين الفلسطينيين في فترة الانتداب البريطاني . والملاحظ أن عملهم كان من خلال دائرة الآثار الفلسطينية التي كانت تابعة للسلطات الانتداب ، لانه لم تكن هناك مؤسسات عربية فلسطينية تعنى بشؤون البحث الأثري في فلسطين ، على غرار ما كان موجوداً لدى الصهيونيين .

وبعد نكبة ١٩٤٨ ، تابعت البعثات الأثرية الأجنبية نشاطها في الضفة الغربية بإشراف دائرة الآثار الأردنية ، وبالتعاون مع عدد قليل من أبناء البلاد ، ولم تقم أية بعثة عربية بالتنقيب في الضفة الغربية . أما في قطاع غزة فلم تكن هناك أية بعثة أثرية، عربية كانت أو أجنبية ، كما أنه لم يكن هناك قسم أو دائرة ترعى شؤون الآثار في القطاع ، وبالتالي لم يكن هناك باحثون عرب .

في مطلع الخمسينات أقبل الشباب العربي الفلسطيني ، ولا سيما أولئك المقيمون في الضفة الغربية أو في شرقي الأردن ، على دراسة الآثار والعمل في دائرة الآثار الأردنية أو في الجامعة الأردنية . ويوجد اليوم عدد من الأثريين الفلسطينيين موزعين في البلاد العربية وفي البلاد الأجنبية . ويعمل أكثر الأثريين الفلسطينيين في الأردن وهم موزعون بين دائرة الآثار وجامعتي عمان وإربد . وكان من أبرزهم الدكتور عوني الدجاني ، الذي أصبح مديراً عاماً للآثار في الأردن قبل وفاته ، وقد عمل مع الباحثة الإنكليزية كينيون في أريحا وتابع دراسته في لندن . ومنهم الدكتور معاوية إبراهيم الذي درس الآثار في ألمانيا الاتحادية ، وعمل فترة في دائرة الآثار الأردنية ، واشترك في التنقيب الأثري في عدة مواقع ، منها سحاب ، ودير علا ، وقام بعدة دراسات أثرية نشرها في مجلة الحوليات الأردنية وفي عدد من الدوريات الأجنبية .والدكتور محمد خير ياسين الذي درس الآثار في الولايات المتحدة الأمريكية وعمل مدرساً في الجامعة الأردنية ، ونقب في تل المزار في الغور . وقد نشر مجموعة من المقالات باللغتين

العربية والإنكليزية في الدوريات المختلفة . ومنهم أيضاً الدكتور نبيل الخيري الذي درس الآثار في جامعة لندن ، ويدرس في الجامعة الأردنية ، وقام بتنقيبات أثرية في البتراء . والدكتور عاصم البرغوثي دارس الآثار في الولايات المتحدة الأمريكية . وهو يعمل مدرساً للآثار في الجامعة الأردنية ، وقد نقب في موقع جرش .

وهناك محمود العابدي * (توفي سنة ١٩٧٨) الذي عمل في دائرة الآثار الأردنية منسّقاً للآثار ، ثم مساعداً للمدير العام ، ونشر عدداً من الكتب والمقالات التي تناولت الآثار الفلسطينية والأردنية بالبحث ، وكان له الفضل في تشجيع عدد من الشبان الفلسطينيين على دراسة الآثار .

ومن الأثريين الفلسطينيين في الأردن الدكتور عدنان الحديدي ، مدير دائرة الآثار الأردنية العام ، والدكتور غازي بيشة ، مساعد المدير العام لدائرة الآثار الأردنية .

هذا بالإضافة الى عدد آخر،منهم : محمد المرقطن ، وحفظي حداد ، ومحمد الجمرّة ، ونبيل القاضي ، ومحمد العوج .

وهناك قسم أو برنامج للآثار في جامعة بير زيت * يقوم بدراسات ميدانية في حقل الآثار الفلسطينية ، وبإلقاء المحاضرات ويوجد متحف للآثار الإسلامية في المسجد الأقصى * يقوم على إدارته مروان أبو خلف . كما أن هناك مفتشاً للآثار في القدس هو يوسف التتشة . وثمة عدد كبير من المهتمين بصيانة وحماية المباني التاريخية في القدس منهم : إبراهيم دقاق ، وعصام عواد، وكامل العسلي ، وجمال بدران .

وفي سورية يعمل الدكتور شوقي شعث الذي درس الآثار في جامعة روما ، وعمل مديراً للمتحف الوطني بحلب ومديراً لآثار ومتاحف المنطقة الشمالية ، ونقب في عدد من المواقع الأثرية السورية ، منها تل الفري في حوض الفرات ، وتل دينيت في محافظة إدلب ، ونشر عدداً من الأبحاث الأثرية في الحوليات الأثرية السورية . كما يعمل محمد قدور الذي درس علم تقاليد الشعوب في ألمانيا الديمقراطية ، ورافق عدداً من البعثات الأثرية الأجنبية ، وانشغل في متحف التقاليد الشعبية والصناعات الوطنية بدمشق (نصر العظم) . وفي سورية أيضاً محمد ونا الدجاني (متوفى) الذي درس الفنون التطبيقية في مصر ، وعمل ملحقاً فنياً في المديرية العامة للآثار والمتاحف ، وساهم في عرض كثير من المعارض والتنقيبات الأثرية ، ورافق عدداً من البعثات الأثرية ، واشتهر بصنع التماثيل المقولبة .

وعمل زمناً في المملكة العربية السعودية كل من الدكتور إبراهيم قواسمة وعادل عياش . ثم انتقل الأول إلى إحدى البلدان العربية ، وأما الثاني فقد هاجر إلى كندا .

ومن الأثريين الفلسطينيين الدكتور إبراهيم أبو غوش الذي درس الآثار في تركيا ، وعمل فترة من الزمن في مركز التخطيط * بمنظمة التحرير الفلسطينية * ، كما اشترك في البعثة الأثرية الفلسطينية إلى العراق للتنقيب في سد حمرين وعمل في جامعة الرياض . والدكتور أحمد البحيصي الذي درس الآثار في جامعة وارسو ببولونيا ، وانشغل في العراق ثم في جامعة الرياض .

المراجع :

ـ عدنان حديدي : الآثار في خدمة السياسة ، حولية دائرة الآثار الأردنية ، العدد ٢٢ .

ـ محمد أبو طالب : آثار الأردن وفلسطين في العصور القديمة ، أضواء جديدة (١٩٥٢ ـ ١٩٧٧) ، عمان ١٩٧٨ .

ـ شوقي شعث : الآثار وخطرها على القضية الفلسطينية ، حلب ١٩٧٦ .

ـ دائرة الآثار الفلسطينية : فصلية دائرة الآثار الفلسطينية QDAP .

ـ المديرية العامة للآثار والمتاحف : الحوليات السورية ، دمشق .

ـ دائرة الآثار العامة : الحوليات الأردنية ، عمان .

— Albright, W.F.: **The Archaeology of Palestine,** Penguin 1960.

— Callaway,J.: New Evidence of Al **Journal of biblical literature 87.**

— Dever, W.: **Archaeology and Biblical Studies, Retrospects and Prospects,** 1972.

— Franken, H.J. and Franken - Buttershill, C.A.: **A Primer of Old Testament Archaeology,** Leiden 1968.

— Kenyon, K.: **Excavation Methods in Palestine,** PEQ 1939.

— Lapp, P.: **Biblical Archaeology and History,** New York 1969.

— Thompson, H.O.: **Archaeology and Archaeologists, An histerical review with focus on the ancient Near East,** The University of Jordan 1970.

الآثار (مدارس ومؤسسات بحث ـ) .

بدأت الاستكشافات الأثرية في فلسطين مبكرة بالنسبة إلى غيرها من بلدان الشرق العربي ، وذلك لعدة أسباب منها :

١) أن فلسطين هي الأرض المقدسة لدى الديانات السماوية الثلاث : الإسلام * ، والمسيحية * ، واليهودية .

٢) لأنها نقطة وصل هامة بين القارات الثلاث : آسيا وأوربا وإفريقيا .

فمنذ العهد البيزنطي ، وأثناء العصور الوسطى ، تملّكت الأوربيين رغبة في التعرف على تاريخ فلسطين ، وعلى المواقع القديمة التي ورد ذكرها في الكتاب المقدس . ومع تطور وسائل السفر والاستكشاف تطورت وسائل البحث والتحرّي ، فالصورة التي بدأت تتكوّن منذ العصور الوسطى أخذت تكتمل وتنمو تدريجياً .

تنوعت وتوزعت اهتمامات المكتشفين والروّاد الأوائل من

مختلف الجنسيات ؛ فمنهم من كان عالماً بالتاريخ يصبو إلى معرفة الخلفية التاريخية التي سبقت نشوء الديانات السماوية ، ومنهم من كان يحاول ربط التاريخ الأوربي بنظيره التاريخ الشرقي بهدف المقارنة ، ومنهم من كان يسعى إلى معرفة الآثار الفلسطينية والمكونات الحضارية للثقافات التي نمت وعاشت في فلسطين ، وفريق رابع كان هدفه دينياً محضاً وهو إثبات أن ما ورد في التوراة * من حوادث وأسماء أماكن وأشخاص كان صحيحاً . أما الفريق الخامس ، وهو الذي استغل الجهود السابقة ومجاء متأخراً ، وهو أخطرها على الإطلاق ، فقوامه العلماء الصهيونيون أو الذين يدورون في فلكهم ، وكان هدف هؤلاء خدمة الأفكار السياسية الصهيونية بتقديم وثائق علمية مستخلصة من التنقيبات الأثرية ـ على حدّ تعبيرهم ـ لإثبات أن فلسطين هي أرض الميعاد ، التي وعد بها الرب الشعب اليهودي للعيش فيها بسلام » .

ساهمت كثير من المدارس والمعاهد والجمعيات في دراسة آثار وحضارة وجغرافية فلسطين ، وأخذ العلماء من كل دولة يتبارون في ذلك . وهذا تلخيص لأهم تلك الجهود مرتبة حسب الدول :

أ ـ فرنسا : قام الرواد الفرنسيون بعدّة رحلات استكشافية في فلسطين في القرن الثامن عشر ، ومن أهمهم فيليسيان دو سولسي *Félicien de Saulcy* ، ومـاركيـز دو فـوغـوي *Marquis de Vogüé* ، ودوق لين *Luynes* ، وف . غيران *V. Guérin* .

بعد ذلك أسس الفرنسيون المدرسة التوراتية في القدس برعاية معهد الدراسات العليا اللاهوتية الذي تأسس في باريس عام ١٨٩٢ . وافتتحت في عام ١٩٢٠ المدرسة الأثرية الفرنسية بالقدس . وكان من أهم الأعمال الفرنسية في مجال الدراسات الفلسطينية : إصدار المجلة التوراتية في عام ١٨٩٣ في باريس ، ومن أهم كتّابها الآباء : لاغرانج *Lagrange* وفنسان *Vincent* ، وسافنياك *Savignac* ، وأبيل *Abel* ، وباروا *Barrois* . واتجهت الموضوعات التي تناولوها إلى البحث في الآثار والجغرافية والنصوص القديمة واللغات في فلسطين . وهناك عدة دراسات أخرى صدرت مثل « كنعان » للأب فنسان ، و « جغرافية فلسطين » للأب أبيل ، وهو في جزئين صدرا في باريس في الفترة ما بين ١٩٣٤ و١٩٣٦ ، و « القدس » للأبوين فنسان وأبيل ، وصدر في باريس سنة ١٩١٢ ، و « بيت لحم » (باريس ١٩١٤) ، و « كنيسة عمواس وتاريخها » لفنسان وأبيل ومكاي *Mackay* (باريس ١٩٣٢) . كذلك صدر في سنة ١٩٢٣ كتاب عن الخليل ـ حرم الخليل ـ لسافنياك والأب جوسّن *P. Jaussen* .

وقامت المدرسة الأثرية الفرنسية بعدة تنقيبات أثرية في القدس ، أجرتها في عين دبوك وبيت جبرين * وعمواس . هذا إلى جانب عدة رحلات استكشافية في فلسطين ، خاصة في النقب * وفي شبه جزيرة سيناء .

وإلى جانب المدرسة الأثرية الفرنسية في القدس ساهمت معاهد دينية فرنسية أخرى في أعمال الكشف والتنقيب في فلسطين ، وقتنت كثيراً من الآثار الفلسطينية ، مثل الآباء الأغوستين والآباء البيض .

ب ـ ألمانيا : بالإضافة إلى الرحلات الاستكشافية والدراسات الأخرى التي تمّت في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، أسس الألمان عدة معاهد وروابط علمية لدراسة فلسطين ، منها :

١) الجمعية الألمانية لدراسة فلسطين *Deutcher Verein zur Erforschung Palästinas* : تأسست في لايبزغ عام ١٨٧٧ ، وأصدرت مجلة بعنوان : *Zeitscharft des deutschen Palästina - Vereins* . كذلك أصدرت الجمعية مجموعة من المطبوعات أهمها : نشرة إخبارية عن الجمعية ونشاطها الأثري ، وخريطة مادبا ، وخريطة لشرقي الأردن .

٢) الجمعية الألمانية الشرقية : تأسست عام ١٨٩٨ ، وأصدرت مطبوعاتها تحت عنوان : المنشورات العلمية للجمعية الشرقية الألمانية ، نشرات إخبارية حوليات *Wissenschafiliche Veröffentichungen der Deut. Orient Gesell., Schriften, Mitteilungen, Jahresberichte* .

وقامت بتنقيبات أثرية في لاكيش (تل الدوير *) وأريحا * .

٣) المعهد الألماني البروتستانتي لآثار الأرض المقدسة بالقدس : أسسه عام ١٩٠٠ البروتستانت الألمان ، وأصدر حولية فلسطين منذ عام ١٩٠٤ .

٤) المعهد الشرقي لجمعية غورز ـ بالقدس : أسسه عام ١٩٠٨ في القدس الكاثوليك الألمان ، وقام بتنقيبات أثرية في رامات الخليل وعين الطابغة (طبرية) .

٥) معهد غوستاف ـ دالمان للأبحاث الفلسطينية .

٦) الجمعية الألمانية للدراسات المصرية والشرق أوسطية : شاركت في حفريات بلاطة .

٧) جمعية الإنقاذ الألمانية : تأسست بعد الحرب العالمية الأولى ، وتركزت أعمالها على دراسة وإنقاذ الآثار الفلسطينية .

٨) اللجنة الألمانية ـ التركية لحماية الآثار الفلسطينية : تأسست أثناء الحرب الأولى من أجل حماية ودراسة المباني القديمة الموجودة في فلسطين .

جـ ـ النمسا : أما النمساويون فقد شاركوا في التنقيبات الأثرية في تعنّك وبلاطة وأريحا برعاية الأكاديمية الإمبراطورية في فيينا ، ووزارة المعارف النمساوية .

هذا إلى جانب عدة مجلات ودراسات صدرت باللغة الألمانية فيها .

د ـ الولايات المتحدة الأمريكية :

١) المدرسة الأمريكية للأبحاث الشرقية في القدس : تأسست عام ١٩٠٠ ، وأصدرت منذ عام ١٩١٩ مجلة : *Bulletin of the American Schools of Oriental Research (BASOR)* كما أصدرت عام ١٩٢٠ حوليّة : *Annuals of the American Schools of Oriental Research (AASOR)*. وقامت هذه المدرسة بعدة تنقيبات أثرية في تل الفول والمالحة وتل النصبة (بالتعاون مع مدرسة المحيط الهادىء الدينية) وتل بيت مرسيم وبيتين وبيت شمس وجرش وبيت صور أو بيت صاوير (تربة البعة) والحمة * على نهر اليرموك وغيرها .

كذلك قامت بحملتين استكشافيتين في سيناء في عامي ١٩٢٣ و١٩٢٧ ، وحملة إلى الجنوب من البحر الميت * عام ١٩٢٤ ، إلى جانب عدد كبير من الرحلات في شرقي الأردن ، في عمون ومأب (١٩٣٢ ـ ١٩٣٤) .

٢) المعهد الشرقي التابع لجامعة شيكاغو : قام بتنقيبات في مجدّو * (تل المتسلم) .

٣) متحف جامعة بنسلفانيا (فيلادلفيا) : قام بتنقيبات في بيسان * (تل الحصن) ، وأصدر قسم فلسطين في المتحف مجموعة من المطبوعات .

٤) مدرسة بتزسبورغ اللاهوتية *Pittsburg - Xenia* : في عام ١٩٢٤ قام الدكتور م.ج. كيل *M.G. Kyle* مدير المدرسة ، بمشاركة المدرسة الأمريكية للأبحاث الشرقية بالقدس ، برحلة استكشافية إلى جنوب البحر الميت . وقد شاركه أولبرايت في تنقيباته في تل بيت مرسيم وبيتين منذ عام ١٩٢٦ حتى مونه عام ١٩٣٢ .

٥) مدرسة المحيط الهادىء الدينية ـ معهد فلسطين بيركلي ـ كاليفورنيا : قام *W.F. Badé* منذ عام ١٩٢٦ ، وبرعاية هذه المؤسسة ، وبالتعاون مع المدرسة الأمريكية للأبحاث الشرقية في القدس ، بتنقيبات في تل النصبة . وأهم مطبوعاتها : المجلة ، ومراسلات معهد فلسطين .

٦) كلية هيرفورد : أجرت تنقيبات أثرية في فلسطين بيت شمس منذ عام ١٩٢٨ بالتعاون مع المدرسة الأمريكية للأبحاث الشرقية . وقد أودعت نتائج أعمالها وتنقيباتها في المونع المذكور عدة مجلدات أثرية .

٧) جامعة هارفرد: أجرت تنقيبات أثرية في سبسطية * ونشرت نتائج أعمالها .

٨) المدرسة اللاهوتية بشيكاغو : قامت بتنقيبات في خربة الطّيقة بالتعاون مع المدرسة الأمريكية للأبحاث الشرقية .

٩) المدرسة الأمريكية لأبحاث ما قبل التاريخ : قامت باستكشاف ودراسة كهوف ما قبل التاريخ في فلسطين بالتعاون مع المدرسة البريطانية للآثار بالقدس .

إضافة إلى ما سبق أنشئت عام ١٨٧٠ الجمعية الأمريكية لاستكشاف فلسطين ، *The American Exploration Society* ، على نمط صندوق استكشاف فلسطين البريطاني . وقد حاولت القيام بمسح طبوغرافي للمنطقة الشرقية لنهر الأردن إتماماً للمسح الذي قام به الإنكليز في فلسطين . وكان هدف هذه الجمعية الدفاع عن التوراة ، إذ بدأت مخاطبة القراء بالكلمات التالية : " سوف تروق أعمال جمعيتنا لعواطف المسيحيين واليهود ، وسوف تكون مهمتها إيضاح التوراة والدفاع عنها ، لأن النقد الحديث يهاجمها . وتشعر الجمعية بأنها قد تعهدت بخدمة مقدسة من أجل العلم والدين " .

هـ ـ بريطانيا :

١) صندوق استكشاف فلسطين *Palestine Exploration Fund* : تأسس في لندن عام ١٨٦٥ ، وبتأسيس هذا الصندوق بدأت الأعمال الاستكشافية المنهجية في فلسطين . وكانت هذه المؤسسة برئاسة رئيس أساقفة يورك . وقد حددت أهدافها بأنها أهداف علمية دينية فحسب ، لكن الغاية الاستعمارية كانت من بين غاياتها ، إن لم تكن على رأسها . فقد كان من العاملين في المسح الجغرافي والتنقيب الأثري لصالح هذا الصندوق عدد من رجال المخابرات البريطانية الذين سيكون لهم فيما بعد شأن في الاستعمار البريطاني لفلسطين ، والتمهيد للاحتلال الصهيوني . ومن هؤلاء كوندور ، ولورنس وكتشنر . وقد قام صندوق الاستكشاف بتمويل التنقيبات الأثرية وأعمال الاستكشاف في مناطق كثيرة في فلسطين وشرقي الأردن ولا سيما في النقب ووادي عربة * . وأصدر في لندن ، منذ عام ١٨٦٩ مجلة فصلية هي *Palestine Exploration Fund Quarterly Statement* إلى جانب عدد من المطبوعات كانت المؤسسة تعلن عنها في نهاية كل عدد من أعداد مجلتها الفصلية .

٢) المدرسة الأثرية البريطانية بالقدس : تأسست في القدس عام ١٩١٩ / ١٩٢٠ ، وقامت بإدارة كل من ج. غارستانغ *J. Garstang* ، وج. و. كروفوت *J.W. Crowfoot* بدور نشيط في استكشاف فلسطين . وقامت بالتنقيبات الأثرية في عسقلان ، وتل الحريجة ، وتل عمر ، وتل قيس ، وجرش ، والطنطورة * ، وكهوف ما قبل التاريخ بفلسطين ، ورهبانية القدس وغيرها . وأصدرت مجلتها الفصلية : *Bulletin of the British School of Archaeology in Jerusalem* .

٣) المدرسة البريطانية للآثار في مصر : مقرّها القاهرة ، ولكنها قامت أثناء إدارة فلندرز بتري *Flinders Petrie* بتنقيبات أثرية في تل جمّة وتل الفارعة وتل العجول ووادي غزة بجنوب فلسطين .

و ـ الدانمارك : برعاية المتحف الملكي في كوبنهاغن . قامت بعثة دانمركية بثلاث حملات استكشافية في أعوام ١٩٢٦ ، و ١٩٢٩ ، و ١٩٣٢ ، في موقع خربة سَبْلون الواقعة إلى الشمال من القدس بمسافة ٤٠ كم .

إلى جانب هذه المدارس والهيئات الأجنبية كانت في فلسطين دائرة للآثار الفلسطينية تأسست عام ١٩٢٠ ، مع بداية الانتداب البريطاني . وقد قامت هذه الدائرة بمراقبة المواقع القديمة والتنقيبات الأثرية ، وأجرت تنقيبات أثرية في وادي المغارة وخربة كرزة ، وجبل الكرمل * ، والنبي روبين * ، وعتليت * ، وتل أبو حوّام ، والقدس ، وأصدرت مجلة فصلية ، كانت تنشر فيها نتائج تنقيبها وأوجه نشاطها .

وتأسس في القدس متحف للآثار ، ضمّ الآثار المكتشفة في فلسطين ، وأصدر مجلة خاصة به منذ عام ١٩٢٤ .

كذلك تأسست عام ١٩٢٠ الجمعية الشرقية الفلسطينية الأكاديمية الدولية التي ساهمت في أعمال البحث الأثري في فلسطين مع الجمعيات والمؤسسات الأخرى ، وأصدرت عام ١٩٢١ مجلة مختصة بالآثار .

وقامت بعض المعاهد الدينية التابعة للرهبانيات المسيحية بحفريات أثرية ، ومن هذه المعاهد المعهد البابوي التوراتي الذي افتتح في عام ١٩٢٧ ، وأجرى حفريات في تليلات الغسول * وفي بعض مواقع ما قبل التاريخ . ومنها رعوية الأرض المقدسة التي أجرت تنقيبات في صفورية * وجبل الطور * وكفر ناحوم .

واليوم ، تهتم دائرة التربية والتعليم العالي في منظمة التحرير الفلسطينية * ببحث التراث الأثري الفلسطيني ، والاشتراك في المؤتمرات الأثرية العلمية العربية والدولية . وقد أنشأت حديثاً مركزاً للآثار الفلسطينية والتراث الفلسطيني في دمشق . وهي في ذلك كله تسعى للحفاظ على هذا التراث الغني ، وإبرازه على وجهه العلمي الصحيح ، بعيداً عن محاولات المؤسسات الصهيونية وبعض المؤسسات الأجنبية طمسه ، وتشويهه ، واستغلاله لصالح حق مزعوم تدّعيه في فلسطين العربية .

المراجع :

ـ محمود أبو طالب : آثار الأردن وفلسطين في العصور القديمة ، أضواء جديدة (١٩٥٢ ـ ١٩٧٧) ، عمان ١٩٧٨ .

— Albright, W.F.: **The Archaeology of Palestine,** Penguin 1960.

— Baramki, D: **The Art and Architecture of Ancient Palestine,** Beirut 1969.

— Bartois, A.G.: **Manuel d'Archéologie Biblique,** Paris 1939.

— Thompson, H.O.: **Archaeology and Archaeologists, an historical review with focus on the ancient Near East,** Amman 1970.

آثـــار : ر : الحرب والأماكن الأثرية
ر : القدس (المباني الأثرية والتاريخية في ـ)
ر : الهيئة العلمية لشؤون الآثار

آثـــار العصـــور القديمـــة :

أ ـ العصر الحجري القديم الأدنى *Lower Palaeolithic* : تشير الأدلة الأثرية إلى أن الإنسان ظهر في فلسطين لأول مرة في هذا العصر ، أي قبل حوالي نصف مليون سنة . ولم يعثر على عظام أو جماجم لهذا الإنسان ، ولكن عثر في فلسطين على الأدوات الظرانية التي كان يستعملها هذا النوع من البشر . فهنالك فؤوس يدوية ليس لها شكل معين ، ولكنها مشطوبة ومكيفة ليسهل استعمالها . تدعى هذه الفؤوس (ابفيلين) نسبة إلى (أبفيل *Abbeville*) في فرنسا ، حيث عثر عليها لأول مرة . اكتشفت هذه الأدوات في المستعمرة اليوناتية جنوب غربي القدس * ، وفي السهل الذي يقع عند الكيلومتر ١٨ من طريق رام الله . وقد دام استعمال هذه الأدوات مدة طويلة من الزمن تبلغ ٣٠٠ ٠٠٠ سنة على وجه التقريب . ومنذ مئتي ألف سنة ظهرت فؤوس يدوية أخرى ، شكلها مثلث ورأسها حاد، ومشطوبة على الجانبين . تدعى هذه « أشولين » نسبة إلى *St. Acheule* في فرنسا . ودامت هذه الفؤوس مدة ١٢٠ ٠٠٠ سنة . والعنصر البشري الذي استعملها يدعى « الإنسان المنتصب *Homo Erectus* » ، تبلغ سعة جمجمته ٩٠٠ سم٣ . وبجانب هذه الفؤوس ظهرت عرضاً قشرات تدعى القشرات الكلَكْتونية نسبة إلى « كلكتون *Clacton* » في إنكلترا ، حيث عثر عليها لأول مرة .

وفي هذا العصر كان الإنسان يقطن السهول وضفاف الأنهر ، وربما أوى إلى أعالي الأشجار ليتّقي شر الحيوانات الضارية . وكان يقتات من صيده الحيوانات البرية مثل الغزلان والفيلة ذات الشعر الطويل التي تدعى « مموث *Mammoth* » .

ومنذ حوالي ٨٠ ٠٠٠ إلى ٦٠ ٠٠٠ سنة ظهر في فلسطين عنصر جديد من البشر ، كان في الماضي يدعى « الإنسان النياندرتالي » ، وأصبح الآن يدعى « الإنسان العاقل *Homo*

Sapiens » ، تبلغ سعة جمجمته ١,٥٠٠ سم٣ ، وعظمتا جفونه بارزتان ، وقفته منكمشة . ظهر هذا الإنسان في أواخر العصر الجليدي الثالث ، وكان يسكن الكهوف والمغاور . وعثر على القسم الأعلى من جمجمة هذا الإنسان في كهف الزطّية * على شاطىء بحيرة طبرية * ، كما وجدت أقسام هياكل عظمية وجماجم في مغارة الطابون في جبل الكرمل * . وأدخل هذا الإنسان نوعاً جديداً من الأدوات تدعى « القلوا ـ مستيريه » ، نسبة إلى *La Maustere-Levallois* في فرنسا . وكان هذا الإنسان يحضر قطعة كبيرة من الظّران أو الصوان ثم يضرب طرفها لِيشطب قشرة منها يهذبها فيما بعد لاستعمالها إما سكيناً وإما رأس رمح وإما رأس نبل . وقرب المكان الذي انسلخت منه القشرة تتوه واضح يدعى بصيلة النقر *Percussion Bulb* ، كما تظهر تموجات على وجه القشرة عند انسلاخها من العقدة الأم . وقد وجدت أدوات هذا النوع من البشر في مغاور وكهوف كثيرة ، بالإضافة إلى المغارتين المذكورتين .

ولهذا الإنسان الفضل في استعمال النار لشيّ لحوم الحيوانات التي كان يقتنصها ، أو لإشعالها أمام مغارته ليصدّ الحيوانات الضارية . وزيادة على لحوم الحيوانات البرية كان هذا الإنسان يقتات الأعشاب والفواكه البرية ، ويُدعى عصره « العصر الحجري القديم الأوسط *Middle Palaeolithic* ». ومنذ حوالي ٤٠,٠٠٠ سنة ظهر الإنسان العاقل العاقل، الذي يسمى من قبل « الإنسان العاقل» ظل هذا الإنسان يسكن الملاجىء والمغاور الصخرية حتى دنوّ العصر الجليدي الرابع . ومشى في صنع أدواته في خطى سلفه بعد أن غيّر شكلها ، وتفنن في صنع أشكالها ؛ فطريقة صنعها كانت طريقة الشلخ والانسلاخ ، لكن العقدة الأم اكتسبت شكلا أسطوانيا قبل الشلخ ، ولذلك أصبحت الشفرات الآن مستطيلة لا مثلثة ، ولها طرفان حادّان . وصنع هذا الإنسان المقاشط على نوعين : مقاشط جانبية *Side Scrapers* ، ومقاشط طرفية *End Scrapers* . كما صنع أيضاً الحفارات والمخارز وهلم جرا . وتختلف شفرات هذا العصر عن شفرات العصر السابق بكونها أصغر حجما . وقد اقتات هذا الإنسان من صيد الحيوانات ،وجمع الأعشاب والفواكه البرية ، وكان يكثر من أكل الحلزون . ويدعى هذا العصر بالعصر « البليوليثي الأعلى *Upper Palaeolithic* » ، ووجدت بقايا منه في مغارة الطابون بجبل الكرمل ، وفي جبل القفزة قرب الناصرة ، وفي وادي خريطون قرب بيت لحم * .

ب ـ العصر المسوليثي *Mesolithic* أي العصر الحجري المتوسط (٨,٠٠٠ ـ ٦,٠٠٠ ق.م.) : قبل حوالي ١٠,٠٠٠ سنة ، وبانتهاء العصر الجليدي الرابع تبدلت حياة الإنسان في فلسطين وفي كثير من أنحاء المعمورة تبدلا كبيرا ، إذ اهتدى إلى الزراعة * .

وهكذا أصبح يتج قوته بدلا من أن يكون عالة على الطبيعة كسابق عهده . والمظنون أن المرأة ، أثناء غياب زوجها طلبا للصيد والقنص ، أخذت تجرب زراعة الحبوب خارج مغارتها . واكتفى الإنسان في بادىء الأمر بزراعة البقعة الصغيرة من الأرض أمام مغارته .

عثر على أنقاض هذه الحضارة في مغارة شقبة في وادي النطوف قرب الرملة*، ولذلك سميت حضارته بالحضارة النطوفية (ر : العصور القديمة) . ولكن فيما بعد عثر على بقايا أغنى منها بكثير في مغارة الواد في جبل الكرمل . والأدوات النطوفية صغيرة جدا ، ولذلك سميت الصناعة النطوفية « ميكرولثيك *Microlithic* » . وأغلب هذه الأدوات تشبه الأهِلّة ، وكانت توضع في أيد خشبية وعظمية ، الواحدة بجانب الأخرى . كما عثر على حفارات ومخارز صغيرة . وكانوا يصنعون المناجل بوضع صف من هذه القطع الصوانية بفك الحيوانات والعظام ، تزخرف في بعض الأحيان بشكل عجول . وكانوا يجرشون القمح * والشعير بجواريش من الحجر البازلتي .

كان الإنسان النطوفي في بادىء الأمر يسكن المغاور كما في مغارة شقبة/ مغارة الواد في جبل الكرمل. ولكن عندما شعر بمزايا الزراعة انتقل إلى السهول يفلح ويزرع أرضاً أوسع . ووجدت بقايا نطوفية في أسفل الطبقات الأثرية في أريحا* ، وفي عين ملاحة قرب بحيرة الحولة * . وربما ابتدأت في هذا العصر المعتقدات الدينية ، لأن النطوفيين كانوا يعتنون بموتاهم ويدفنونهم مع جميع ممتلكاتهم في قبر تحت الأرض .

وكان الإنسان النطوفي أنيقاً يهتم بتزيين نفسه ، إذ عثر في مغارة الواد على جثة مزيّن رأسها بخرز مصنوع من الدنتاليا (نوع من الصدف المستطيل الأسطواني الشكل) . كما عثر على كمية من الخرز المصنوع من الفيروز وعظام الحيوانات . وعثر أيضاً في عين الملّاحة على خرز من الدنتاليا . وكان أيضاً يعرف الخياطة ، إذ عثر على إبر ودبابيس مصنوعة من العظام في مغارة الواد وعين الملّاحة . وفي هذا العصر أخذ الإنسان يدّجن الحيوانات ، وأولها الكلب .

جـ ـ العصر النيوليثي *Neolithic* أو العصر الحجري الحديث : أدّى اكتشاف الزراعة في العصر السابق إلى تقدم كبير وسريع في حياة الإنسان ، مما حدا بالعلماء إلى وصفه بالثورة النيوليثية . من مزايا هذا العصر انتشار الزراعة على نطاق واسع ، وظهور القرى ، وازدهار الصناعة * على نطاق ضيق ، وظهور هندسة بدائية ، وتدجين الحيوانات على نطاق واسع من معز وبقر وهلم جرا . فاعتماد الإنسان على الزراعة أرغمه على بناء أكواخ قرب مزروعاته ليقيها من الحيوانات . وأخذت الحيوانات البرية

تقترب من الحقول لتقتات من بقايا الحصيد ، فيأخذها الإنسان ويدجنها . وأخذ ينسج من صوفها الثياب ، ويصنع من جلدها القرب ، كما أخذ يصنع السلال من القصب . وكان يقتات من حليب الحيوانات الداجنة ومن لحومها . فانتشرت في فلسطين قرى كثيرة ، مثل قرية أريحا وغيرها . وحصل تبديل في صنع الأدوات ، فعادت هذه إلى حجمها الكبير المألوف في العصر البليوليثي الأدنى ، ولكنها كانت مصقولة صقلا لمّاعاً ، لأن الإنسان النيوليثي اهتدى إلى صناعة الأيدي الكبيرة من أغصان الأشجار السميكة ، فصنع رؤوس الهُرُوس والقداديم كما صنع رؤوس الرماح ، ورؤوس النبل ، والمناشير والسكاكين والمخارز الخ . وزيادة على ذلك أخذ الإنسان النيوليثي يصنع الأدوات والطلاسم من حجر السربنتين الأخضر المرقط . وكانت القرى تقام حول معبد صغير قرب ينبوع من الماء ، وكانت الأكواخ تبنى من اللبن ، وكانت مستطيلة لتسهيل

جماجم محنّطة من اريحا من العصر الحجري الحديث

سقفها ، إذ لم يكن بمقدور النيوليثيين قطع أشجار سميكة ، واكتفوا بقطع الأغصان الصغيرة لسقف أكواخهم .

وكانوا في بادىء الأمر يخزنون محصولاتهم في قرب مصنوعة من جلد الحيوان ، ولكنهم اهتدوا فيما بعد إلى صناعة الخزف الشوي الذي كان يصنع بالأيدي ، وفي كثير من الأحيان يصقلون الأواني الخزفية ويزخرفونها بحزوز أو بألوان ، واكتفوا بصنع الجرار والأطباق والأكواب .

وتكونت معتقدات دينية ذات صلة مباشرة بالزراعة . فجعلوا للرعود والبرق إلها لأنه يروي الزرع ، وجعلوا من الأرض إلاهة ، هي الإلاهة الخصب التي تجعل الزرع ينمو ويترعرع . وصنعوا تماثيل من الطين لهذه الألهة بشكل البشر . كما أنهم كانوا يعبدون الأسلاف ، إذ عثر في أريحا على تسع جماجم زيد عليها طين أبيض لتمثيل سحنة الميت .

وكانوا يدفنون موتاهم بعناية ، ويضعون في القبر أواني تحتوي على مأكولات ومرطبات لاستعمال الميت في الآخرة ، إذ كانوا يعتقدون بحياة بعد الموت .

وقلما كانوا يحصّنون قراهم ، إلاّ أن أريحا شذّت عن القاعدة ، فأقيم سور حول هذه القرية في أواخر العصر النيوليثي ، فيه برج مستدير .

د ـ العصر الكلكوليثي *Chalcolithic* : أمّ فلسطين في أوائل الألف الرابع قبل الميلاد أقوام جاؤوا من أماكن كانوا فيها يسكنون خياماً مصنوعة من جلود الحيوانات ، وأنشأوا حضارة منبثقة من حضارتهم ومن الحضارة التي وجدوها في وطنهم الجديد . أمست هذه الأقوام قرى في أماكن كثيرة في فلسطين مثل مجدّو* ، وتل أبو مطر قرب بير السبع* ، وبيسان* ، ووادي غزة* ، وتل الفارعة بجوار نابلس* ، وتل الجزر* ، قرب الرملة ، وأريحا وتليلات الغسول* في شرقي الأردن . تتميز صناعة الخزف في هذا العصر بأشكالها الجديدة . فقد عثر في المقابر في وادي غزة والطبقة الأثرية الثامنة في أريحا على أوان بشكل الطيور وشكل قرون الحيوانات . ويظن أن سكان وادي غزة في هذا العصر كانوا يمارسون الزراعة ، ويتزحون بعد الحصاد . أما في أبو مطر فكانت الأقوام تسكن المغاور في بادىء الأمر ، ثم انتقلت إلى أكواخ صغيرة . وربما كانوا أول الأقوام الذين عملوا في صناعة النحاس ، إذ وجدت كمية من الدبابيس والأقراط ورؤوس النبابيت بكميات صغيرة . وفي حظيرة وجدت نماذج بيوت ذات سقف مروّس ، وفي بيسان وجد خزف رمادي اللون مصنوع بالأيدي . كما أن البيوت كانت تبنى على شكل مستدير مثل البيوت الكلكوليثية في مدينة جبيل ، وعثر في تل الفارعة على خزف من هذا النوع أيضاً . وبعض الأواني ذات قاعدة عالية . والأباريق ذات قعر مستدير وأعناق عريضة ومقابض تنحطى حافة الإبريق . وكانت الأواني تزخرف بالحزز وبالألوان وبانطباع الأصابع .

هـ ـ العصر البرونزي (٣,٠٠٠ ـ ٢,٣٠٠ ق.م.) : يمكن القول إن هذا العصر كان عصر الحضارة والمدنية ، إذ أخذت تظهر المدن المحصنة في أماكن كثيرة من فلسطين ، مثل مدينة عاي* قرب رام الله* ، وتل بيت مرسيم في جبل الخليل ، وبيسان ، وتل الدوير* ، ووادي غزة ، وتل الفارعة ، وتل الجزر ، وأريحا ، ومجدو ، وتل النّصبة . فالقرى القديمة توسعت ، وتحولت إلى مدن محصنة بأسوار متينة . وفي بادىء الأمر كانت الأسوار* تقام على مرحلتين : في المرحلة الأولى كان يبنى حائط قائم ، وفي المرحلة الثانية يضاف إليه حائطان آخران مائلان من الداخل والخارج . وهذه الحيطان كانت تبنى من الطوب على أسس من الحجارة

المبعثرة في الحقول . وكثيرا ما كانت هذه الأسوار محصنة بأبراج ويخندق يحيط بها من الخارج . وفيما بعد اعتاضوا عن هذا بسور مبني بحجارة ضخمة ، مائل من الخارج ، يملؤه حائط من الطوب . وفي كل مدينة من مدن فلسطين قصر ومعبد واحد أو أكثر . وقد وجد معبد في عاي مستطيل الشكل يؤدي إليه باب في أحد الحيطان الطويلة ، وأقيم مذبح في وسط الحائط المقابل . بني هذا المعبد من حجارة صغيرة ، وكان مسقوفا بسقف خشبي يرتكز على دعامات خشبية قائمة في وسطه وجدت قاعدتها الحجرية في مكانها الأصلي . ووجد معبد على هذا الشكل في مجدّو .

أما بيوت السكن فكانت تبنى على ذات النمط ، لكنها كانت أصغر من المعابد والقصور . والأسس والمداميك السفلى كانت تبنى من الحجارة . أما المداميك العليا فكانت من اللبن الطوب غير المشوي ، وكان بيت السكن يحتوي على غرفتين في طابق واحد ، وكان السقف يرتكز على دعائم خشبية تقوم فوق الحجارة الموضوعة وسط الغرفة وعلى أطرافها ، تعلوها الأخشاب بشكل مثلث ، ثم يوضع عليها القصب بشكل محكم ، ويغطى بالطين . وما الفرق بين بيوت السكن والقصور إلا في الحجم .

وتفنن أهل هذا العصر بصناعة الخزف ، إذ صنعوا الجرار والأباريق بأحجام مختلفة والأطباق وهلم جرا . كما أنهم كانوا يصنعون جراراً صغيرة مزدوجة لحفظ العقاقير ، وكانوا يدهنون بعض أوانيهم بأشكال هندسية باللون الأحمر ، وفيما بعد كانوا يطلونها بطلاء أحمر ، ويصقلونها بالحصى صقلاً عمودياً . وفي أواخر هذا العصر ظهر في شمال فلسطين ، خصوصاً في خربة الكرك ، نوع من الخزف المطلي باللون الأسود أو اللون الأحمر أو اللونين معاً . كان يُزخرف بالأصابع ، ثم يُصقل صقلاً لماعاً .

وازدهرت الصناعة إلى حد ما في العصر البرونزي . فأخذوا يصنعون الخناجر ورؤوس الفؤوس والقداديم من النحاس . وكانوا يصنعون تماثيل للآلهة ، خصوصاً آلهة الخصب . فكانت هذه التماثيل مؤلفة من رأس بشكل رأس البوم ، يعتمر تاجاً مزخرفاً بالريش ، وكان باقي الجسم أسطواني الشكل ، عدا الذراعين اللذين كانا يوضعان على الصدر ، كما أنهم كانوا يصنعون تماثيل بدائية من النحاس .

وفي هذا العصر درج صنع الأختام ، ولكن الصنع المحلي كان بدائياً للغاية . أما بعض الأختام الأسطوانية السومرية فقد استوردت من العراق .

وكانوا يستعملون الحلي ، فيلبسون القلائد المصنوعة من الخرز ومن حجارة كريمة كالكورنلين والعقيق . كما أنهم كانوا يلبسون الأقراط النحاسية والفضية والذهبية في بعض الأحيان .

وفي أواخر الألف الثالث قبل الميلاد ندم أقوام من الصحراء شنوا حملة على المدن الفلسطينية والسورية والفينيقية ، ودمروها شر تدمير ، وفتكوا بسكانها . تدعى هذه الأقوام الأقوام العمورية ، أو مارتو ، أو أموريين (ر : العموريون) . ففي المقبريات الأثرية التي أجريت حتى الآن وجدت طبقة كثيفة من الرماد الذي تركه العموريون " وراءهم . وقد عادت البلاد معهم إلى حال الهمجية ، فلا سلطان ولا رادع . وبقيت على هذه الحال مدة مئتي سنة . وبعد ذلك أخذ العموريون يتحضرون شيئاً فشيئاً ، وابتدأوا يبنون البيوت البسيطة لسكناهم بدلا من خيامهم . وفي أواخر القرن الحادي والعشرين أو أوائل القرن العشرين قبل الميلاد قامت أقوام من الشمال يجيدون صناعة النحاس ، فاختلطوا بالعموريين ومدّنوهم شيئاً فشيئاً .

ولكن كان العموريون لا يكترثون بمساكنهم ، فإنهم كانوا

قبر من العصر الحجري الوسيط

يعيرون موتاهم العناية الخاصة ، فكانوا يدفنونهم في قبور محفورة في الصخر ، ومعهم كمية وافرة من الطعام موضوعة في أوان خزفية . وقد وجدت لهم مقابر في مجدو ، وتل العجول ، وأريحا وغيرها من المواقع الفلسطينية الأثرية ، وكانوا يستعملون القبر مرة واحدة فقط .

وتذكر النصوص المصرية بعض أعمال العموريين الهمجية في المخطوطات المعروفة بنصوص اللعنات *Execration Texts* التي كانت تلعن أشخاصاً من العموريين على تماثيل صغيرة كانت تكسر فيما بعد ليصيب هذا الكسر صاحب الاسم المكتوب على التمثال .

أدخل العموريون نوعا جديدا من الخزف يختلف عما سبقه كليا ، وكانوا أول من صنع السّرج ، كما أدخلوا خنجراً مربعاً وسيفاً طويلاً .

أمّت فلسطين في أواخر القرن الحادي والعشرين قبل الميلاد

أقوام من الشمال يدعوهم العالم الأثري شيفر *Schaeffer* بحملة الأطواق . وكان هؤلاء ماهرين في صناعة النحاس ، فكانوا يصنعون منه ومن الفضة معه الأطواق ورؤوس الفؤوس الحربية المثقوبة المروّسة والأشكال الحلزونية والخرز والأساور والتماثيل . وكان قدومهم قبيل نشوء الأسرة الثانية عشرة في مصر . وكان ذلك بادرة خير ، إذ ساد النظام في البلاد ، وأنشئت مدن جديدة على أنقاض مدن العصر البرونزي القديم ، وأكبر منها ، وعادت الحياة الطبيعية إلى سابق عهدها ، فازدهرت الصناعة والتجارة * والزراعة ، وصيغ العموريون البلاد بالعنصر السامي ، بعد أن كان سكان البلاد ينتمون إلى عناصر مختلفة .

و ـ العصر البرونزي المتوسط : أدت النهضة التي ظهرت في مصر في عهد الأسرة الثانية عشرة إلى الاستقرار في فلسطين . فقامت مدن جديدة ، ونشطت الزراعة وازدهرت التجارة والصناعة . فالحفريات التي جرت في تل العجول وتل بيت مرسيم وبيسان ومجدّو وتل الدوير وتل فارة وتل الفارعة وتل الجزر وتل القاضي (حاصور * قديماً) وأريحا وبلاطة * تشير إلى ازدهار ورخاء لا مثيل لهما . فأسوار المدن كانت مبنية بحجارة ضخمة ، وكانت مائلة من الخارج ، في أسفلها ، وكان اللبن في أعلاها . كانت الأسوار محصنة بأبراج كثيرة ، ومزودة ببوابة كبيرة لها ثلاثة أبواب وأربع غرف للحرس ، وكان سور المدينة عريضاً ، حتى إنه يمكن بناء بيت في أعلاه . وأصبحت القصور تبنى حول صحن داخلي تحيط به الأواوين والغرف من جهاته الأربع . أما المعابد فكانت تحتوي على غرفة مزودة بمذبح في الطرف المقابل للباب ، وأمامها صحن مفتوح إلى الفضاء .

وكان أهل هذا العصر يدفنون موتاهم في مقابر مصنوعة خارج السور . وكان القبر غنياً بالتحف والأواني والأسلحة والأدوات الأخرى . وفي أغلب الأحيان كان القبر يستعمل مرات كثيرة ، ويحتوي على عدد كبير من الجثث والهياكل العظمية ، بعكس العصر السابق .

بلغت صناعة الخزف أوجها في هذا الزمن . فكانوا يصنعون الخزف على دولاب سريع ثم يطلونه في بادىء الأمر بالطلاء الأحمر ، وفيما بعد بالطلاء العاجي ، ويدهنونه بألوان كثيرة ، ويصقلونه صقلاً لماعاً ويغلب عليه الشكل الإجاصي . وقد صنعوا العلاسات والأباريق الكبيرة والصغيرة والمكاييل والجرار على هذا الشكل . وفي عهد الهكسوس * ظهرت أباريق أسطوانية وعلاسات مجاجأة (أي على شكل جؤجؤ ، وهو صدر السفينة) وكثرت في هذا العصر صناعة العلاسات من الذهب والفضة والنحاس ، كما أن صناعة الأدوات والأسلحة البرونزية ازدهرت في هذا العصر . فهنالك خناجر ورؤوس فؤوس ورؤوس بلطات حربية ورؤوس رماح . كما ظهرت أيضاً دبابيس برأس مكبر وأشكال حلزونية لتصفيف الشعر والاستعمال كأساور . وعثر في تل العجول على كمية من الأشكال الحلزونية مصنوعة من الفضة ، كما عثر على أساور فضية .

وفي عهد الهكسوس اكتشف عدد كبير من الجعلان المصنوعة من حجر الستاتيت . وكان سكان هذا العصر يتلهّون بألعاب مثل « الداما » .

ويظهر ازدهار التجارة جليًا في الصور الملونة التي وجدت في بني حسن ، حيث تُشاهد جماعة من التجار الفلسطينيين يسيرون بقافلة تحمل الكحل والمنافيخ ، مما يدل على انهم كانوا تجارا ونحاسين .

ز ـ العصر البرونزي المتأخر (١٦٠٠ ـ ١٢٠٠ ق.م.) : تعرضت المدن الفلسطينية في هذا العصر إلى هجمات من الفراعنة * المصريين الذين ينتمون إلى الأسرة الثامنة عشرة . فأحمس الأول دمر مدينة شروحين (تل فارعة حاليا) ، كما أن تحوتمس الثالث * دمر مجدّو وبيسان وأريحا وتل بيت مرسيم وحاصور . ثم أعيد بناء بعض هذه المدن ، مثل مجدو وحاصور وبيسان ، وظل بعضها الآخر ، مثل أريحا وتل بيت مرسيم ، مهدوماً إلى ما بعد سنة ١٤٠٠ ق.م .

والمدن التي نجت من حملات المصريين تهدمت عندما هاجمها الحابيرو * في عهد العمارنة بين ١٣٧٥ و١٣٤٠ ق.م. والمدن التي نجت من هجمات الحابيرو هدمها الفرعون سيتي الأول في أواخر القرن الرابع عشر ، والفرعون مرنبتاح في أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد .

تأثرت المدنية في فلسطين بالحضارة المصرية في هذا العصر إلى حد بعيد ، لكن الضرائب * التي فرضتها مصر أفقرت البلاد . ويلاحظ ذلك من فقر محتويات القبور التي ترقى إلى هذا العصر .

أما في الهندسة فلا فرق بين هذا العصر والعصر السابق إلاّ في الأسلوب ؛ فالحجارة لم تنحت بتلك الدقة المألوفة في العصر السابق ، وطريقة البناء كانت غير متقنة . وبالرغم من ذلك وجد في مجدّو معبد فوق معبد من العصر السابق ، كما وجد أيضاً معبد في خندق السور في تل الدوير . والمعبد في مجدّو إيوان واسع ، في مؤخرته محراب صغير في الحائط لوضع تمثال الإله ، وفي مقدمته غرفتان للكهنة . والمعبد في تل الدوير إيوان مستطيل ، في مؤخرته مذبح ، وعلى جانبه غرفة للكهنة . وقد وجد في المعبد تمثال للإله رشف * الكنعاني . وفي مجدو وجد قصر طوله ٥٠م وعرضه ٢٥م ، وهو إيوان تحيط به الغرف من ثلاثة جوانب . وعثر في هذا القصر على كمية كبيرة من الحلي تشمل القلائد الذهبية والحوانم ، وكمية من الخرز من الحجر اللازوردي والزجاج * ، وجواهر أخرى .

وقد أثّر الانحطاط الذي أصاب الحضارة في هذا العصر في

صناعة الخزف ؛ فالأواني التي عرضت في العصر السابق ما زالت تصنع في هذا العصر ، ولكنها لم تعد دقيقة الصنع والزخرفة ، وانعدم الصقل تماماً . وفي منتصف هذا العصر (حوالي سنة ١٤٠٠ ق .م.) استوردت أوانٍ من قبرص ومن منطقة البحر الإيجي .

إن جميع الأدوات والأسلحة في هذا العصر كانت تصنع من البرونز ، وقد ظهرت فؤوس ورؤوس رماح جديدة تختلف عن شبيهتها في العصر السابق ، وظهر لأول مرة في التاريخ رؤوس نبل من البرونز .

أما الحليّ فقلّ الخرز المصنوع من الحجارة الكريمة عند العامة ، واستعيض عنه بخرز من معجون الزجاج الأزرق . وكثر استعمال الجعلان المصرية والأختام الأسطوانية البابلية والأختام الحثّية . أما الأثرياء فما فتئوا يستعملون المجوهرات المصنوعة من الذهب والفضة والكورنالين (العقيق الأحمر) والعقيق والحوائم والأقراط الذهبية . وكثرت صناعة التماثيل البرونزية ، فعثر على تماثيل للإله رشف في تل أبو حوام وتل الدوير ومجدّو ، كما كثر استعمال تماثيل آلهة الخصب المصنوعة من الطين المشوي بقوالب حجرية . كما شاعت صناعة تماثيل الحيوانات مثل الثيران والمعز والكلاب . وفي هذا العصر حدثت تجارب للكتابة بالأحرف الهجائية بدلا من الكتابة بالمقاطع كما كان شائعاً في مصر والعراق. فظهرت كتابة أبجدية في سرابيط الخادم في سيناء ، وعثر في تل الدوير على جرة ظهرت عليها بعض الأحرف الأبجدية .

واستوردت المدن الفلسطينية من مصر بعض الأواني المصنوعة من الألاباستر .

وفن النحت نادر في فلسطين . وبالرغم من هذا عثر في تل بيت مرسيم على نصب بشكل امرأة يلتف حولها ثعبان . ولكن استوردت فلسطين من البلاد المجاورة بعض الأنصاب المنحوتة ، مثل نصب الفرعون سنّي الذي وجد في بيسان ، ونصب الأسد الذي وجد في المكان ذاته . كما عثر في مجدّو على عدد من الأنصاب المستوردة من مصر .

أما طريقة دفن الموتى فلم تختلف عن طريقة العصر السابق .

ح ـ العصر الحديدي (١٢٠٠ ـ ٦٠٠ ق.م.) : منذ القرن الرابع عشر حتى القرن الثاني عشر قبل الميلاد أصبحت فلسطين عرضة لهجمات من الشرق والغرب . ففي عهد العمارنة ، أي في زمن أخناتون * ، ضعفت شوكة مصر ، فاستغل الخابيرو هذا الضعف ، وشنّوا حملات على سورية وفينيقية وفلسطين ، ودمّروا الأرياف والقرى ، ولكنهم لم يتمكنوا من فتح المدن ، إلاّ مدينة أريحا .

وظلوا يسرحون ويمرحون في الأرياف حتى جاء الفلسطيّون * من الغرب ، وفرضوا سلطانهم عليهم ، كما فرضوا الجزية على المدن . ففي القسم الأول من العصر الحديدي كان الفلسطيّون مسيطرين على البلاد . وتشير الدلائل إلى أنهم هم الذين أدخلوا صناعة الحديد واحتفظوا بها ، مرغمين جميع سكان البلاد على الهبوط إلى مدنهم لشحذ أدواتهم المصنوعة من الحديد .

نشأ في فلسطين في أوائل العصر الحديدي ثلاث طرق لصنع الخزف : فهنالك الخزف الفلسطيّ الذي انتشر على الساحل والهضاب الواطية ، وصناعة الخزف الكنعاني الذي استعمل في المدن ، وصناعة الخزف الإسرائيلي الذي انتشر في القرى التي سكنوها . وكانت كل صناعة تختلف عن الأخرى ؛ فصناعة الفلسطيّين منبثقة من الصناعة الإيجية ، والصناعة الكنعانية منبثقة

من صناعة الخزف في العصر البرونزي المتأخر . أما صناعة الإسرائيليين فصناعة بدائية يتسم معظمها بالأيدي .

وكان الفلسطيّون يزيّنون خزفهم بصور مدهونة باللون الأحمر تمثل إوزة تنظف ظهرها بمنقارها ، أو صليباً ، أو شجر النخيل . وقليلا كان الخزف الكنعاني يدهن ألا بحزوز أفقية ، أما الخزف الإسرائيلي فلم يدهن بتاتاً، وحل محل الدبابيس القديمة المعروفة عند العامة بدبابيس فقل التي كانت تصنع من البرونز .

أما الهندسة فأصابها شلل كبير ، وقد استعان هؤلاء بالمهندسين والبنائين الفينيقيين، واتبعوا في هندستهم تصميم البيت الهيلاني. وكانت القصور تحتوي على رواق يؤدي إلى غرفة العرش ، وهي محاطة بغرف كثيرة ، منها غرف نوم ومكاتب ومخازن ، ومن زخارف هذا العصر صور أسود مجنحة لها رأس إنسان .

ووجد في مجدّو قصر وإسطبلات ترقى إلى هذا العصر . كما عثر على قصر الملك شاؤول في تل الفول ، على بعد خمسة كيلومترات شمالي القدس . وعثر على مصنع للنحاس في تل خليفة (عصيون جابر* قديماً) ،وعلى عدد كبير من المقابر التي ترقى إلى هذا العصر في تل الجزر ومجدّو ، وتل الدوير ، وتل النصبة ، وغيرها . وجرت العادة أن يقبر الموتى في كهوف يحفرها الانسان ، وكانوا يدفنون مع الموتى أغلب ممتلكات الميت ، ويضعون في المقابر المأكولات والمشروبات في أوان خزفية . وفي أغلب الأحيان كان الفلسطيّون يدفنون موتاهم بتوابيت مصنوعة من الخزف ، وينحتون على الغطاء صورة الميت .

ووجدت في مجدّو مجموعة كبيرة من العاج المحفور ، من بينها صندوق صغير مربع محفور على جهاته الأربع أسود وحيوانات ميثولوجية مجنحة . وهنالك تمثال صغير لامرأة ، وعصا سحر محفور عليها منظر ملك جالس على عرش يستقبل قائداً منتصراً واقفاً على عربة تجرها الخيل . ومما يجدر الانتباه إليه أن العرش على هذه الصورة يشبه تماما العرش المحفور على تابوت أحيرام الذي وجد في جبيل .

وكثر حفر الآبار* في هذا العصر لخزن المياه . وبعد انقسام الدولة الإسرائيلية إلى قسمين أصاب صناعة الخزف شيء من الانحطاط بسبب إنتاجها بكثرة ولعدم الاكتراث بشكلها . وكان الأثرياء يستوردون الخزف من فينيقية ،حيث كانت الصناعة أتقن إحكاماً وأجمل تزييناً . ورغم توبيخ الأنبياء ظل الإسرائيليون في الشمال ، واليهود في الجنوب ، يصنعون تماثيل الهة الخصب .

وكانت ممارسة الفن منذ القرن التاسع معدومة ، وإن وجدت ضروب من الفن فقد كانت من صنع أجنبي ، كالعاج الذي وجد في السامرة ، فهو من صنع فينيقي متأثر بالفن المصري .

وكثر استعمال الأختام نقلا عن الجملان المصرية ، وكانت في العادة تزخرف بأسد حول كتابة ترمز إلى صاحب الختم باللغة العبرية . كما وجدت في السامرة (سبسطية* حاليا) قطع فخّار مكتوب عليها تعليمات وإرشادات إدارية . ووجدت في تل الدوير رسائل بين قادة القلاع المجاورة أثناء حملة نبوخذ نصر على الدولة اليهودية .

واكتشفت أبنية كثيرة ترقى إلى هذا العصر . فهنالك قصر آخاب في السامرة الذي بناه الفينيقيون* . واستعمل الإسرائيليون في هذا العصر الطراز البرونزي الوني . والحجارة في البناء ، عدا حجارة قصرآخاب، لم تكن منحوتة نحتا أنيقا . وأغلب المدن كانت محصنة بأسوار ، والبوابة مزدوجة ، وعلى كل من جانبيها غرفة للحرس .

ويمكن القول ان القسم الثاني من العصر الحديدي (٩٠٠ - ٦٠٠ ق.م.) هو عصر انحطاط إذا ما قورن بما كان يجري في البلاد المجاورة .

المراجع :

— Albright, W.F.: **Archaeology of Palestine,** London 1931.
— **A S O R XII, XIII, XVII and XXI, XXII.**
— Banamki, D.: **Art and Architecture of Ancient Palestine,** Beirut 1969
— Kenyon, K.: **Archaeology in the Holy Land,** London 1960.
— Marquet, Y.: **Les Fouilles de Ay,** Beyrouth 1935.
— Rowe, A.: **Beth—Shan I,** London 1930.
— Tityserald G.M.: **The Four Canaanite Temples of Beth Shan,** 1930.
— Tufnell,O.: **Lachish II,III,IV,** Oxford 1940, 1953, 1957.

آدم بن عبد الرحمن بن محمد (- ٢٢٠ هـ)

(- ٨٣٥ م) :

أبو الحسن ، ابن أبي إياس العسقلاني . أصله من خراسان حيث ولد . وكان ينتمي بالولاء إلى بني تميم هناك . ويبدو أنه بدأ دراسته للقرآن والحديث في بلاده . وكانت خراسان في تلك الفترة هي الإقليم البارز لدى العباسيين ، وأبناؤه هم ركيزة الخلافة العباسية . ولهذا توطدت العلاقات السياسية والعسكرية والفكرية بين خراسان والعراق . وصارت بغداد (بعد إنشائها) مقصد الخراسانيين . وقد رحل ابن أبي إياس إليها ، ونشأ فيها ، وطلب العلم . ثم رحل إلى عدد من كبار علماء الحديث في الحجاز ومصر وفارس والشام ، وصحب شعبة بن الحجاج في البصرة ، وابن أبي

ذئب ، وقعد للتدريس في بغداد ، وهناك تتلمذ عليه الإمام البخاري وغيره وأخذوا عنه .

ويبدو أن اضطراب بغداد أيام الفتنة بين الأمين والمأمون اضطر ابن إياس إلى الخروج منها ، ولم يكن يريد العودة إلى خراسان ، حيث يحكم المأمون ، فانصرف إلى الشام ، ونزل عسقلان ، وكانت ذات مركز تجاري وعلمي متزايد الشأن في تلك الفترة ما بين مصر والشام والحجاز ، فاستقر فيها سنين طويلة ، حتى عرف بالعسقلاني ، كما عرف بالزهد والثقة والصدق في الدين . ويجعله بعض الناس من الأولياء الأبدال ، ويذكرون أنه ختم القرآن وهو في فترة النزع .

توفي بعد ستين من موت المأمون .

المراجع :

- الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد .
- الصفدي : الوافي بالوفيات ، إستانبول ١٩٣١ .
- ابن الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، القاهرة ١٩٣١ .
- إسماعيل البغدادي : هدية العارفين ـ أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، إستانبول ١٩٥١ .

آرام دمشق : ر : الآراميون

آرام معكة :

دويلة آرامية صغيرة تقع على حدود فلسطين الشمالية ، في شمال شرقي بحيرة الحولة * . وكانت تمثل ، على ما يرى أغلب المؤرخين ، أقصى امتداد سياسي حققه الآراميون * من ناحية الجنوب . وهناك ما يشير إلى احتمال امتداد دويلة معكة من الناحية الغربية إلى مدينة آبل التي كان يطلق عليها اسم « آبل بيت ـ معكة » أي : آبل التابعة لدولة معكة . ويعتقد أيضاً أن لسكان معكة ارتباطاً بسكان جشور *Geshur* ، حتى أن ملك هذه المدينة « تامل» أطلق على ابنته اسم « معكة» ، وكانت من زوجات الملك داود . وذكرت معكة عدة مرات في التوراة * . ومما ورد عنها أنها وقفت إلى جانب الآراميين والعمونيين في حروبهم مع الملك داود . وذكر في التوراة أن العمونيين أرسلوا ألف قنطار من الفضة إلى كل من مملكة صوبة في لبنان ، وآرام النهرين وآرام معكة ثمناً للخيول والعربات التي قدمتها هذه الدويلات في الحرب ، كما استأجروا ألف رجل من ملك معكة . إلا أن داود انتصر على الآراميين ، مما دفعهم إلى الإستسلام لحكمه .

المراجع :

- التوراة : أخبار الأيام الأول ١٩ : ٦ ، صموئيل الثاني ١٠ : ٦ ، ١٣ : ٣٧ ، العدد ٣ : ١٤ ، يشوع ١٢ : ٥ ، ١٣ : ١١ ، ١٣ .
- O'Callaghan, R. T. : Aram Naharain, 1948.

الآرامية :

الآرامية إحدى اللغات السامية الشمالية الغربية التي بدأت في الانتشار في الشرق الأدنى مع ظهور الأقوام الآرامية في الربع الأخير من الألف الثاني قبل الميلاد . ثم شاع استعمالها بين شعوب كثيرة ، وحلت محل الكثير من اللغات السامية الأخرى . ومما ساعد على انتشارها الواسع تبني الدولة الفارسية الأخمينية لها ، حتى أصبحت اللغة الرسمية في عهد داريوس الأول (٥٢١ ـ ٤٨٦ ق.م.) في مختلف أنحاء الإمبراطورية التي امتدت من الهند إلى الحبشة .

انقسمت اللغة الآرامية إلى شرقية وغربية ، وانتشرت الغربية في فلسطين والمناطق الغربية ، وشاع استعمالها بين الناس حتى تغلبت أخيراً على اللغة العبرانية ، وحلت محلها . وأصبحت للآرامية في فلسطين منزلة رفيعة ، حتى بات تعلمها من مستلزمات الوصول إلى المراكز العليا في البلاد ، وكان الملوك ووزراؤهم ومستشاروهم وكبار رجال الدولة يقبلون على تعلّمها . وظهر أثر اللغة الآرامية واضحاً في أسفار التوراة * ، ولا سيما في أسفار حزقيال ودانيال وعزرا ونحميا . وتأثر بها كتاب الأمثال ونشيد الأنشاد . كما ترجمت أجزاء من هذه الأسفار إلى الآرامية . ولعل من أشهر ما دُوّن باللغة الآرامية « الترجوم » الذي يضم أجزاء كثيرة من التوراة . ويبدو أثر الآرامية في التوراة العبرية واضحاً في المفردات وفي الصرف وصياغة الجمل ، وفي عدد من الصيغ الشعرية . وصاحب استعمال اللغة الآرامية استخدام الخط الآرامي الذي حل محل الحروف الفينيقية القديمة في تدوين أسفار التوراة .

وتنقسم اللغة الآرامية عادة إلى قديمة ، تعود إلى ما قبل القرن الثامن قبل الميلاد ، ووسطى بدأت حوالي سنة ٣٠٠ ق.م. وظلت مستعملة إلى أوائل العصر الميلادي . واكتشفت كتابات مدونة بهذه اللغة في مدينة القدس * ، ودونت بها أغلب ترجمات التوراة ومخطوطات البحر الميت * . أما اللهجة الثالثة فهي الآرامية المتأخرة التي أصبحت لغة السيد المسيح وأتباعه النصارى ، وكتبت بها الأناجيل على ما يرجح . وانتشرت هذه اللهجة في مناطق حماة وتدمر

والأنباط ، ثم توارت بعد ذلك بسبب انتشار اللغة العربية . أما الآرامية الشرقية فقد شملت اللهجات السريانية والمندائية والآرامية التي دوّن بها التلمود * البابلي . وكانت السريانية أهم هذه اللهجات ، إذ صارت لغة الكنائس في سورية ولبنان والعراق ، ودون بها أدب جم ، واستمر استعمالها إلى القرن الثالث عشر للميلاد ، عندما حلت اللغة العربية محلها .

المراجع :

ـ فيليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، (مترجم) ، بيروت ١٩٥٨ .
— Charles, C.T.: Our Translated Gospels, New York 1936.
— Encyclopeadia Britannica.

الآراميـــون :

يطلق اسم الآراميين على مجموعة القبائل الناطقة باللغة الآرامية * التي هي إحدى اللهجات السامية الشمالية ـ الغربية ، مثل الكنعانية والعبرية ، واللغة العربية التي تشابه الآرامية في نواح كثيرة ، الأمر الذي دفع الباحثين إلى القول إن أصل الآراميين يرجع إلى جزيرة العرب ، أو أنهم على الأقل قد عاشوا فيها مدة من الزمن قبل النزوح إلى ما بين النهرين وبلاد الشام .

عند دراسة الشعوب التي انتقلت من البداوة إلى الحضارة ، نصعب معرفة الموطن الأصلي وتحديد أوقات الهجرة والاستقرار . إلاّ ان جميع الظواهر تدل على أن الآراميين قد جاؤوا من بادية الشام ، وانتشروا في بلاد الهلال الخصيب بين بابل وحوض الخابور والفرات وشمالي سورية حتى فلسطين .

وقد استقيت المعلومات التي جمعها الباحثون حتى الآن عن الآراميين من ثلاثة مصادر :

١) العهد القديم .
٢) النقوش والسجلات الأشورية .
٣) بعض الكتابات والآثار الآرامية .

تتضمن التوراة * كثيراً من الأخبار عن الآراميين ، سواء عن علاقات النسب بينهم وبين الآباء العبرانيين في القديم ، أم عن الحروب بين الحكام الآراميين واليهود وملوك أشور منذ القرن الحادي عشر حتى القرن الثامن قبل الميلاد .

تذكر التوارة اسم « آرام » بين أبناء سام بن نوح وتعدّد أبناء آرام : عوص وحول وجاثر وماش (سفر التكوين ١٠/٢٢ - ٢٣) . ثم تشير إلى بلاد « آرام النهرين » وهو فدان ـ آرام » (سفر التكوين ٢٤/١٠) وآرام دمشق ، وآرام صوبة (سفر صموئيل الثاني ٨/٥) . كما تتحدث عن انتقال إبراهيم الخليل * من أور الكلدانيين إلى حرّان في البداية ، ثم هجرة يعقوب * بن إسحق بن إبراهيم من فدان ـ آرام إلى أرض كنعان * بعد أن صاهر خاله «لابان الآرامي» وخدعه بالهرب مع نسائه ومواشيه . وقد تحدث يعقوب هذا عن نفسه وعن أبيه بقوله : « آرامياً تائهاً كان أبي » (سفر التثنية ٢٦/٥) .

وتسردي التوراة حوادث الحروب التي نشبت بين الآراميين واليهود واستمرت مدة طويلة منذ عهد الملوك شاول (طالوت) حوالي سنة ١٠٢٠ ق.م. وداود (٩٦٣ ق.م.) وسليمان (٩٢٣ ق.م.) إلى زمن أحاز ملك يهوذا (٧٢٠ ق.م.) .

أما النقوش الأشورية فإن أول مرة يذكر فيها اسم الآراميين هي كتابة من عهد الملك تغلات فلاسر الأول (١١١٥ - ١٠٧٧ ق.م.) ،جاء فيها هذا الاسم مضافاً إلى اسم « أخلامو » الذي يفيد معنى الرفاق أو الأحلاف . تقول الكتابة إن تغلات فلاسر الأول أرغم « الأخلامو ـ الآراميين » على التراجع إلى ما وراء الفرات ، وتعقبهم حتى معاقلهم في جبال بشري ، ثم يضيف الملك قائلا : " لقد حاربت الأخلامو ـ الآراميين ثماني وعشرين مرة ، بل اجتزت الفرات مرتين في سنة واحدة ، وطردتهم من تدمر في بلاد آمورو ، وغنمت أموالهم وأتيت بها إلى بلدي أشور " .

يستدل من هذه الوثيقة التاريخية أن الأخلامو هم قبائل بدوية كانوا يعيشون في بادية الشام وحوض الفرات ، ويهاجمون المدن ، أو يجندون مرتزقة في مختلف الجيوش .

وقبل هذه الكتابة ورد ذكر الأخلامو في واحدة من رسائل تل العمارنة يرجع تاريخها إلى حوالي سنة ١٣٧٥ ق.م. في معرض الشكوى من تعدياتهم على الحضر . وفي سجلات الملك الأشوري شلمانصر الأول (١٢٧٤ ـ ١٢٤٥ ق.م.) أنه حارب الحوريين * وحلفاءهم الحثّيين * والمرتزقة الأخلامو في الجزيرة وهزمهم .

يبدو أن الآراميين كانوا يؤلفون جزءاً هاماً من هؤلاء الأخلامو الذين اختفى ذكرهم تدريجياً من الحوليات الأشورية، وبرز عوضاً عنه اسم الآراميين فقط .

وقد سنحت الفرصة للآراميين في الاستقرار بالجزيرة وبلاد الشام منذ القرن الحادي عشر قبل الميلاد ، عندما ضعفت مملكة أشور * من جهة ، وانهارت الإمبراطورية الحثّية من جهة ثانية .

فإنه بعد مقتل تغلات فلاسر الأول سنة ١٠٧٧ ق.م. ، انتقلت بلاد أشور إلى فترة من الفوضى والاضطراب والحروب الأهلية والكوارث دامت ١٦٦ عاماً قبل أن يعتلي العرش الملك اداد نيراري الثاني في سنة ٩١١ ق.م. ، وهو الذي أنقذ المملكة من الأخطار المحدقة بها ، فانتعشت واستعادت قوتها .

في هذه الحقبة أخذت القبائل الآرامية تتدفق من بادية الشام إلى

الجزيرة ، واستطاعت أن تجتاز نهر الخابور وتتقدم نحو نهر دجلة فوصلت شمالاً إلى نصيبين ، وبسطت نفوذها في الجنوب حتى أن أحد الزعماء الآراميين تمكن من الاستيلاء على عرش بابل باسم اداد ـ ابال الدين (١٠٦٧ ـ ١٠٤٦ ق.م.). ويبدو أن الأشوريين أنفسهم قد ساعدوه على ذلك أملا في إبعاد التيار الآرامي عن أشور .

وقد أسّس الآراميون في هذه الفترة عدة ممالك أو إمارات إلى الشرق من الفرات مثل « بيت عدن » وعاصمتها « تل بارسيب » ، و« آرام النهرين » التي كانت عاصمتها « غوزانا » أي تل حلف ، و« مملكة « ندان ـ آرام » وعاصمتها مدينة « حرّان » التي كانت من أهم مراكز الحضارة الآرامية .

أما في بلاد الشام ، فقد استفادت القبائل الآرامية من انهيار الإمبراطورية الحثية التي اجتاحتها جحافل شعوب البحر الآتية من الشمال والزاحفة على شواطىء آسيا الصغرى وسورية حوالي سنة ١٢٠٠ ق.م . ولما تمكن الفرعون رعمسيس الثاني من هزيمة هؤلاء الغزاة في البر والبحر ، وردّهم عن مصر سنة ١١٧٤ ق.م . استقر قسم منهم ، هم الفلسطيّون*، في سواحل بلاد كنعان التي عرفت منذ ذلك الوقت باسمهم أي « فلسطين » ، في حين التحق القسم الآخر مرتزقة بجيوش فرعون .

وانتهز الآراميون أيضاً فرصة ضعف المملكة الآشورية لتأسيس عدة ممالك صغيرة إلى الشرق من الفرات ، كذلك استغلوا الفراغ الذي نشأ من انهيار الحثيين ، فشيّدوا بعض الممالك والإمارات غربيّ الفرات وفي بلاد الشام بدءاً من سفوح جبال أمانوس ، حيث قامت مملكة سمأل (شمال) وعاصمتها في موقع « زنجرلي » ، ثم إمارة « بيت آغوشي » في منطقة حلب وعاصمتها « أرباض ـ تل رفعت » ، ثم مملكة « حماة » على العاصي وقد اشتهر ملكها « زكير » صاحب النقش المحرر بالآرامية الذي عثر عليه إلى الجنوب من حلب ؛ ثم « آرام ـ صوبه » في البقاع التي ربما كانت تؤلف مملكة واحدة مع « بيت رحوب » على نهر اللبطاني ، ومع « بيت معكة » و« جشور » في شرقي الجليل . وأخيراً أسس الآراميون مملكة « آرام ـ دمشق » التي كانت أشهر الممالك الآرامية وأهمها والتي تولت زعامة الآراميين مدة من الزمن .

وهنا تجدر الإشارة إلى أن الآراميين الذين أسسوا إمارات كثيرة لم يتوصلوا إلى جمع القبائل المتفرقة ودمجها في دولة واحدة قوية . فقد ظلت الدويلات الآرامية منفصلة ، متنازعة في الغالب ، وإن قامت أحياناً محاولات لتأليف اتحاد منها في سبيل مقاومة الخطر الخارجي .

تذكر التوراة مثلاً أن « حدد عزر » ملك آرام ـ صوبه أقدم على تكوين اتحاد من الإمارات الآرامية في ما بين النهرين وبلاد الشام ، ومن العمونيين والمآبيين والإيدوميين * في فلسطين وشرقي الأردن لمقاومة توسع العبرانيين * وتعدياتهم على سكان البلاد والجيران . وقد استطاع الملك داود (١٠٠٤ ـ ٩٦٣ ق.م.) أن يتغلب على الآراميين وحلفائهم هؤلاء . ولكن ملك دمشق رصين الأول استأنف محاربة الإسرائيليين في عهد سليمان (٩٦٣ ـ ٩٢٣ ق.م.) وفرض سيطرته على أكثر الدويلات الآرامية من حماة حتى شرقي الأردن . ثم قام ملك دمشق بن حدد الأول (حوالي ٨٧٩ ـ ٨٤٣ ق.م.) واستغلّ انقسام المملكة العبرانية بعد موت سليمان ، فاتفق مع ملك « يهودا » لمهاجمة ملك « إسرائيل » وانتزع منطقة جلعاد في شرقي الأردن ، وأجزاء من الجليل من العبرانيين . ولما تقدم شلمانصر الثالث ملك أشور لاحتلال بلاد الشام نجح بن حدد الأول في تجهيز جيش كبير باشتراك ١٢ من الملوك معه لمواجهة الأشوريين في معركة قرقر على العاصي سنة ٨٥٣ ق.م. التي انتهت بدون نتيجة حاسمة .

بلغت مملكة آرام ـ دمشق أوج قوتها في عهد الملك حزائيل (٨٤٢ ـ ٧٩٦ ق.م.) الذي حارب الإسرائيليين وضربهم في جميع تخومهم من الأردن حتى وادي أرنون ، وهدد أورشليم .

ولكن المملكة أخذت تضعف في عهد خلفائه وتتعرض إلى هجمات الأشوريين حتى تمكن الملك الأشوري تغلات فلاسر الثالث من الاستيلاء على دمشق سنة ٧٣٢ ق.م. ولما حاول السكان الثورة جاء الملك الأشوري صارغون الثاني سنة ٧٢٠ ق.م. وحطّم المقاومة في حماة ، ونفى السكان إلى أماكن أخرى ، وقضى نهائياً على استقلال الآراميين .

إذا كان الآراميون لم يكتب لهم النجاح في الميدانين السياسي والعسكري بسبب اختلافهم وانشقاقهم إلى دويلات منعزلة ، فإنهم على نقيض ذلك ، استطاعوا أن يحتلوا مقاماً رفيعاً في تاريخ الحضارة البشرية .

كان الآراميون في الأصل من البدو الجفاة الذين عاشوا منعزلين في بادية الشام ، منهمكين في الغزو والحرب . وكانت الدول القوية حولهم ، من أكاديين وبابليين وأشوريين وحثّيين ، تحاصرهم وتمنعهم من الانتشار والاستقرار في البلاد المجاورة من الهلال الخصيب . فلما ضعفت تلك الدول ، وتمكن الآراميون من الانتقال إلى المناطق المتحضرة ، وأسسوا الممالك والإمارات، تأثروا بأساليب المعيشة والتفكير السائدة بين السكان ، كما كان لهم بالمقابل تأثير كبير في تطور الشعوب التي احتكّوا بها .

ولا شك في أن أهم ناحية برع فيها الآراميون هي التجارة التي أكسبتهم شهرة واسعة ومكانة مرموقة في تاريخ الحضارة .

إن القبائل الآرامية البدوية كانت تسيطر على طرق المواصلات

بين جميع مناطق الهلال الخصيب ، وكانت قوافلهم تنتقل من بلاد الشام إلى ما بين النهرين وإلى الأناضول وهي تحمل الأرجوان من فينيقية ، والمنسوجات والمطرزات من دمشق ، والكتان والنحاس والأبنوس والعاج من إفريقيا . وبفضل تبادل المنتوجات والمصنوعات ازدادت الثروة ، وتقدمت الزراعة والصناعة ، وتحسنت العلاقات بين الشعوب .

ولعل أهم نتيجة مباشرة لنشاط الآراميين التجاري واختلاطهم هي انتشار لغتهم التي امتازت بسهولة كتابتها الأبجدية ، والتي أصبحت اللغة السائدة في فلسطين وسائر بلاد الشرق الأدنى (لغة الآرامية) .

أما فيما يتعلق بديانة الآراميين فإنها تتألف من عناصر مختلفة ، مقتبسة عن الشعوب الأخرى . إذ يستدل من كتاباتهم وأسمائهم أنهم كانوا يعبدون آلهة سومرية ـ أكادية ، وحثيّة ، وكنعانية ، وفينيقية وغيرها . إن أهم آلهتهم هو « حدد » الذي يرد في النورة باسم « هدد » أو « رمون » وقد مزجوا بينه وبين « تشوب » ، إله الزوابع والرعد لدى الحوريين . وأكبر معبد له كان في مدينة هيرابوليس (منبج في شمالي سورية) ، كما كان له معبد كبير في دمشق . وقد أقام أحد ملوك سمال تمثالاً ضخماً له في عاصمته .

وكانت تعبد مع حدد زوجته « آتارغاتيس » التي كان اسمها مشتقاً من اسمي الإلاهتين الفينيقيتين عشتاروت وعناة . وهي إلاهة الخصب والأمومة ، وقد انتشرت عبادتها بين اليونان والرومان الذين كانوا يسمونها الإلاهة السورية *Dea Syria* .

كذلك كان الآراميون يعبدون إله القمر عند البابليين « سين » ، وإله الشمس الأشوري « شمش » ، وإله العاصفة والحرب الفينيقي « رشف » ، والآلهة الكنعانية « ايل وبعل وبعل شمين » .

وفي الفنون الجميلة أيضاً تأثر الآراميون بالشعوب المعاصرة التي اختلطوا بها في بلاد الشام وما بين النهرين ، فكانوا يستخدمون النحاتين والنقاشين الكنعانيين ، ويتبعون أساليب الحوريين والبابليين والحثيين في العمارة والنحت والنقش والزخرفة . وقد كشفت التنقيبات الأثرية في تل حلف عن قصر آرامي يبدو عليه مظهر التقليد في طراز البناء وبساطة الزخرفة . وبين آثار آرسلان طاش بالقرب من عين العرب ، حيث كانت تقوم مدينة «حداتو» الأشورية عُثر على قطع زخرفية من العاج كانت ترصع سرير الملك حزائيل مع بعض التحف الفنية التي كان الأشوريون قد غنموها من دمشق ، ونقلوها إلى بلادهم .

ويتبين من هذه الآثار أيضاً أن الآراميين ظلوا يتبعون تقاليد الشعوب السابقة ، ولم يبلغوا مستوى الأصالة في الإبداع الفني .

وبذلك اقتصرت مكانتهم التاريخية على التقريب بين الأمم ، والمزج بين الحضارات القديمة ، وحفظ تراثها .

المراجع :

ـ قاموس الكتاب المقدس ، بيروت ١٩٧١ .
ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ١ ق ١ ، بيروت ١٩٧٣ .
— Dupont-Sommer, A: **Les Araméens**, Paris 1949.
— Dusseud, R.: **La pénétration des Arbres en Syrie avant l'Islam**, Paris 1955.
— **Encyclopaedia Universalis.**

الأريوسية :

مذهب ديني مسيحي ، ينسب إلى منشئه الكاهن المصري آريوس (٢٥٦ ـ ٣٣٦ م) . وقد ذهب هذا الكاهن في تعاليمه مذهباً يخالف تعاليم الكنيسة فيما يختص بشخصية السيد المسيح ، تلك التعاليم التي تقررت في مجمع نيقية عام ٣٢٥م . فعلى حين قالت هذه التعاليم إن يسوع المسيح أقنوم الكلمة وابن الله ، وهو مساوٍ للآب في الجوهر ، ذهب آريوس إلى أنه غير مساوٍ للآب في الجوهر ، وإلى أن البحث في العقيدة المسيحية يجب أن يكون على أساس فكرة الثالوث الأقدس : الآب والإبن ، والروح القدس .

حُرم مطران الإسكندرية آريوس من كنيسته ، فلجأ إلى يوسيبوس رئيس أساقفة قيسارية في فلسطين فآواه ، وأخذ بآرائه . وبدأ آريوس نشاطه في فلسطين ، وبعث الرسائل إلى الأساقفة في الأصقاع المختلفة . وما لبث أن أصبح له مؤيّدون كثيرون في فلسطين وخارجها ، وانتشرت تعاليمه في أنحاء الإمبراطورية ، ولا سيما في قسمها الشرقي .

وقد تزعم يوسيبوس الآريوسية في فلسطين ، وكان علاّمة مؤرخاً ، مقرّباً من الإمبراطور قسطنطين* ، ذا شخصية قوية . فاستطاع أن ينشر المذهب بقوة ، ويوصله إلى ذروة الازدهار في مجمع صور عام ٣٣٥ ، ثم في مجمع القدس ، الذي عقد في العام نفسه ، عام الاحتفال بالذكرى الثلاثين لتولّي الإمبراطور قسطنطين الحكم ، وعام تدشين كنيسة القبر المقدس . وغدت فلسطين بذلك قلعة الآريوسية .

عقدت المجامع الكنسية في الإمبراطورية للبت في أمر الآريوسية ، وقد تركز بسببها الانشقاق بين الغرب والشرق . وتدخل الأباطرة في هذه القضية الدينية ، وتبنّى الآريوسية الإمبراطور كونستانسيوس (ابن قسطنطين) ، وأجبر الأساقفة على الموافقة على المبادىء الآريوسية ، واضطهد ونفى كل من يرفضها . وكاد النصر يتم لها لولا موت هذا الإمبراطور عام ٣٥٦م ، إذ أفلتت الكنيسة من

قبضة السلطة المدنية ، واستطاع خصوم الآريوسية أن يزعموها في مجمع القسطنطينية الثاني عام ٣٨١م ، وأن يعودوا إلى تحديد العقيدة المسيحية كما سبق أن حددها مجمع نيقية عام ٣٢٥م .

انحصر تاريخ الآريوسية في المدة الواقعة بين مجمعي نيقية (٣٢٥م) والقسطنطينية الثاني (٣٨١م) ، ونمت وتطورت إلى الأوج ، ثم تراجعت ، إلى أن توقفت داخل حدود الإمبراطورية ، ولم يبق منها إلاّ آثار لا تكاد تذكر . وقد لجأت الآريوسية الى الأراضي المحيطة بالإمبراطورية ، وانتشرت بين الشعوب التي أطلق اليونان عليها اسم البرابرة ، أي الشعوب التي بقيت خارج الحضارة اليونانية .

المراجع :

— Gwatjin, H.M.: **Studies of Arianism,** Cambridge 1890.
— Meslin,M.: **Les Arieas d'Occident,** Paris 1967.
— Opitz,H.G.: **Urkunder Zur Geschichte des Arianischen Streites,** Berlin 1934.
— Simonette, M.: **Studi Sull Arianisme,** Rome 1965.

الآلات (صناعة ــ) : رَ : الصناعة

الآلات الموسيقية :

لم تكن الآلات الموسيقية في نشأتها غير أدوات ينبعث منها دويّ وضجيج ، استخدمها الإنسان الفطري للوقاية من ظواهر تخيفه وترعبه ، مثل الأرواح الشريرة والأمراض والموت ، أو لاستجلاب العوامل الخيّرة ، مثل هطول المطر بعد انحباسه ، أو جلب البنين ووفرة المحصول وغيرها .

وقد رافقت الآلات الموسيقية الإنسان المتأثر بتيارات الحضارات البشرية في مسيرته عبر التاريخ ، فهي إذن جزء من الحضارات العامة ومرجع تاريخي في التدليل على ما قطعته الشعوب في مسيرتها الحضارية .

كانت الآلات الموسيقية ترتقي وتتعدد ، وتتعقد تركيبها تبعا لارتقاء الفن الموسيقي ، وبالتالي تعدّد أفانينه ومتطلباته .

إن فلسطين ، تلك البقعة من الأرض التي تؤلف مع جيرانها العقدة الجغرافية التي تربط بين آسيا وأوربا وإفريقيا ، كانت منذ القدم ملتقى شعوب كثيرة اجتمعت فيها وكان لتفاعلها أثر في تكوين الحضارة .

إن علم المأثورات ، بالرغم من أنه لا يزال في بدء رحلته في هذه المنطقة ، يقدم من اكتشافاته الأثرية التي تزداد يوماً بعد يوم صوراً لآلات موسيقية ومشاهد احتفالات ترجع إلى العصور التي شاهدت مولد التاريخ وبناء الحضارة .

وقد وجدت أقدم الآثار التي تتكلم عن الغناء والعزف على الآلات الموسيقية بين خرائب مدن سومر والجزيرة والشاطىء الفينيقي .

كما أن المنقبين عن الآثار في هذه المنطقة اكتشفوا صوراً كثيرة وأوصافاً مسهبة لمختلف الآلات الموسيقية التي استعملت منذ ٣٥٠٠ ق.م. في سومر وبابل وأشور * وكنعان * وآرام . وقد اكتشفت في فلسطين في بقايا مجدّو صورة لامرأة تعزف على القيثارة . وتعود هذه الصورة إلى ما يقارب الألفي سنة قبل عصر داود .

لم تقم الآلات الموسيقية بمهمة تأريخ المأثورات بتحديد عصر معين أو زمن بالذات ، شأن التماثيل أو النقوش أو المسكوكات التي يمكن بها ترتيب أزمنة التاريخ وتعاقب عصوره ، إنما وقفت الآلات الموسيقية عند حد الإعلام بتنظيمها وترتيب حلقات تطورها فيما ظهر منها قبل التاريخ ، إذ لم يبق منها إلاّ ما كان متصلاً بالأصوات التي تجسّدها هذه الآلات .

إن ندرة الرسوم والنقوش والمسكوكات التي وجدت في فلسطين ، لا تساعد على كشف تاريخ وخصائص الآلات الموسيقية فيها ، بعكس ما كشفته الرسوم في مصر مثلاً ، ولعل الكتب الدينية من توراة * وإنجيل أقدم مرجع تاريخي بين الأيدي ، فهي المصدر الوحيد المفصل الذي يقدم فكرة عامة عما كانت عليه الآلات الموسيقية في ذلك الزمن ؛ عن شكلها ، ومميزاتها ، وصنعها ، والمناسبات التي كانت تستعمل فيها ، ومعظمها ديني .

كما تذكر أن فلسطين وطن الكنعانيين ، وأن الدولة اليهودية استعارت جميع مظاهر الملك من الكنعانيين ، من لغة ، وعبادات وبعض الفنون . وقد جاء الملك داود بالمغنين الكنعانيين لكي يعلّموا خدّام الهيكل العزف والغناء .

وقد ذكر أولبرايت في كتابه « علم الآثار والدين الإسرائيلي » أن الاحتفالات الموسيقية في الهيكل ، المذكورة في التوراة ، مشتقة من أصل كنعاني ، وقد كان المغنون كنعانيين ، كذلك كان عازفو الآلات . وفي أيام داود وسليمان أنشئت الفرق الموسيقية العبرانية على أصل كنعاني ، ويظهر ذلك في أسماء المغنين المشهورين المذكورين في التوراة ، فإنها تدل على أصول كنعانية ، كما تدل على ذلك أيضاً أسماء الآلات الموسيقية في التوراة .

من الآلات الوترية التي كانت تستعمل في فلسطين قديماً :

١) القيثارة : وقد اقتبسها العبرانيون * من كنعان ، وسموها « كنور » وأصل الكلمة « كنر » . ويعني أحدث صوتاً كبيرا وصريرا

كرنين الوتر عندما يضرب . ولعلها تشبه القيثارة المعروفة باللير *Lyre* . جاء ذكرها في المزامير ، وكانت تستخدم لمرافقة الأصوات .

٢) النّبل *Nevel* : يظهر أن هذه الآلة صنعت بإتقان أكثر من الكنور . قال ستينور : " لذلك كان لها إمكانية أكبر بالنسبة إلى الصوت وإلى ارتفاع درجته " . أما يوسيفوس فيقول : " إن للنبل اثني عشر وتراً ، وكانت تضرب (تنقر) بالأصابع وليس بالمضرب " . ومن المحتمل أنه كان هناك أحجام وأنواع مختلفة من هذه الآلة .

٣) السبكة : لها ثلاثة أو أربعة أوتار على وجه التقدير ، وهي صغيرة الحجم تشبه القيثارة المصرية ، وكانت تحدث أصواتاً عالية الدرجة .

٤) الجتيت : قد يدل اسمها على أنها استوردت من « جت » ، وعلى أنها من فصيلة القيثارات . جاء ذكرها في المزامير .

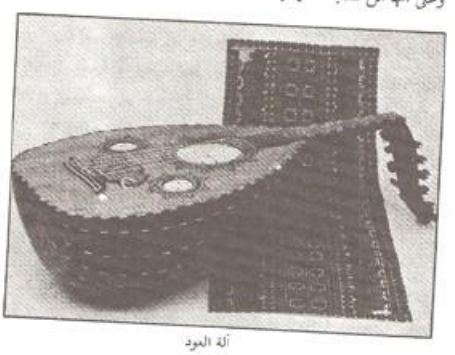

آلة العود

٥) الفيترس : احد أفراد عائلة القيثار ، مع اختلاف في الشكل ، وفي عدد الأوتار . ومنها ما يحمل ويعلق بالرقبة .

ويمكن ، بالرغم من عدم التثبت من شكل وحجم تلك الآلات ، أن يستخلص أنها كانت تتألف من ثلاثة أجزاء رئيسة ، هي الصندوق المصوّت ، والرقبة ، والأوتار . وتختلف عن سائر الآلات الوترية في أن أوتارها تنزل عمودية على صندوقها المصوّت ، بينما تكون الأوتار في بقية الآلات الوترية الأخرى موازية للصندوق . وهناك فارق آخر بينها وبين باقي الآلات الوترية التي انحدرت منها ، كالقانون والسنطور والمارب الحديث ، وهو أنها ذات أوتار مطلقة ، أي يخصص كل وتر فيها لدرجة صوتية واحدة من درجات السلم .

ومن الآلات النافخة :

١) العوجاب : ربما كان من أقدم الآلات النافخة التي ذكرت في سفر التكوين ، وقد ترجمت بكلمة « مزمار » . ولعلها مشتقة من كلمة « عجب » التي تعني : تنفّس أو نفخ ، ومن الممكن أنها كانت مزمارا مؤلفاً من قصبتين ، أو من عدة قصبات .

٢) الناي : عرفت بالحليل ، وتعرف اليوم « بالشبّابة » . ولا يزال استعمالها شائعاً في الأوساط الشعبية في فلسطين . جاء ذكرها في العهد الجديد أيضاً .

٣) المشروقية (المجوز) : وسيأتي حديث عنها عند ذكر الآلات المستعملة الآن .

٤) القرن أو الشوفار : ولا تزال تستعمل في أثناء ممارسة شعائر أحد الأيام اليهودية المقدسة . وهي متخذة من قرن الكبش ، وتصنع الآن من المعدن .

٥) البوق : آلة موسيقية على هيئة القرن ، كانوا ينفخون فيها في الأعياد وعند إعطاء علامة الحرب . وكانت أبواق الكهنة من الفضة ، وتختلف شكلاً عن البوق المعروف اليوم ، فهو مستقيم ذو فتحة أسطوانية ، بعكس الشوفار الذي يتميز بالشكل الطبيعي للقرن .

وعرف قديماً من آلات الإيقاع :

١) الدف : من أقدم آلات النقر .

٢) الصنّوج آلة عرفت بالمنعنع (من الفعل نوع) ، ومعناها إحناء الرأس إلى الأمام ، أو ميل الجسم من جهة إلى جهة ، أو الهز . ولعلها من أنواع الجلاجل التي تحدث رنينا عند تحريكها .

ويستعمل الشعب الفلسطيني في حياته اليومية الآلات الإيقاعية ، والآلات النافخة ، والآلات الوترية . وقد استعمل الفلسطيني هذه الآلات ، أو بعضها لتصاحبه في احتفالاته الشعبية والدينية ، ولترافقه في أثناء غنائه ورقصه . لكن يلاحظ ندرة استعمال هذه الآلات ، أو عدم استعمالها في أثناء تأدية المراسيم الدينية ، يظهر ذلك جلياً عند المسلمين والمسيحيين أيضاً . وقد تستعمل أحياناً بعض الدفوف والدايات في احتفالات الأذكار والموالد عند المسلمين . والآلات بجميع أشكالها وأنواعها محرم استعمالها في طقوس الطائفة الأرثوذوكسية " التي تؤلف أكبر طائفة مسيحية في فلسطين .

أ ـ الآلات الإيقاعية : لعل أول آلة استعملها الإنسان للإيقاع كانت يَدَيْه حين أراد إحداث صوت بنم بإيقاعه على انفعاله ، فيرتاح إلى جرسه المنتظم ، ويطرب إلى وقعه . فإن التصفيق المنتظم الذي يصاحب إيقاع اللحن وتوابعه ظاهرة فنية في فلسطين ، تتبعها النسوة والأحداث أثناء احتفالات الزفاف والرقص ، ويتداولها الرجال في أثناء السحجة " والدبكة " والسامر " .

١) الفقّاشات (أو الكاستانيت) : أعطى المستشرق جورج

فارمر تفسيرين لتسمية الكاستانيت : إما لكونها مصنوعة من خشب الكستنة ، وإما تحريف « كاستان » مثنّى كاسة .

كانت « الفقاشات » أو « الصناجات » تعرف بأخشاب الرقص، لأنها كانت تصنع من خشبتين ، أو عظمتين مجوفتين تلبسان في الأصبع الثالثة والإبهام من كل يد . وتستعمل النساء الفقاشات بهذه الطريقة ، ويلاحظ أن النسوة ، وغالباً محترفات الرقص ، هن اللواتي يستعملن الفقاشات في الرقص .

يعود تاريخ ظهورها الأول في الجنوب الغربي من آسيا ، إلى الدولة المصرية القديمة . أما في العصر المدني فقد أصبحت تصنع من حديد أو معدن ، وكثر استعمالها في الكنيسة القبطية ، ثم انتشرت في البلدان المجاورة ، وقد نقلها الإسبان عن عرب الأندلس في القرن الحادي عشر الميلادي .

٢) الطبل : عرفت الممالك القديمة في الشرق أنواعاً مختلفة من الطبول ، وقد انتقلت إلى أوربا في القرن الثالث عشر الميلادي عن طريق العرب في الحروب الصليبية . وكانت هذه الطبول تستخدم في الشرق في الحروب ، وفي بلاطات الملوك والحكام لأداء إشارات التعظيم في نوبات معينة .

تصنع الطبول المستعملة في فلسطين من إطار خشبي يبلغ قطره خمسة وأربعين سنتمترا ، يشدّ على كلا جانبيه جلد مربوط بحبال ، ويضرب بعصويْن ، وأحياناً بعصا واحدة ، فيهتز الجلد محركا الهواء الذي يحيط به فينطلق إلى الآذان .

ويستعمل أهل فلسطين الطبول عادة في المواسم والأعياد . فالمواكب الشعبية التي كانت تقام في أثناء أعياد ستنا مريم وسيت النور والنبي موسى والنبي صالح وغيرها تتصدرها الفرق الموسيقية التي يؤلف الطبل فيها عنصراً أساسياً .

٣) الدّف : وهو دائرة من الخشب ، ملصق عليها رقّ غزال أو أرنب أو سمك أو ما يشبهه ، وتُحلّى تلك الدائرة بالنقوش والصدف ، وأما الصنوج فتصنع عادة من المعدن . يمسك الدف باليد اليسرى ، ويضرب باليد اليمنى . وتكون الضربة الخفيفة على طرف الرق أو على الصنوج ، وتعرف « بالتك » ، أما الضربة القوية في وسط الدف فاسمها « الدم » . ومن البديهي أن الصوت المتأتي من الضرب على الدف يتلاشى بسرعة ، وهو أسرع إلى التلاشي كلما صغر حجم الدف ، فإذا أريد استمرار الصوت وجب الضرب على الدف ضربا متلاحقا .

وهناك دف كبير يكبر الدف السابق ذكره بأربع أو خمس مرات ، تعلق على دائرته الخشبية حلقات من حديد تهتز عند تحريكه ، ويعرف هذا بالمزهر . ويستعمل المزهر في حفلات الأعراس ، وفي الحفلات الدينية ، وأهمها الزار .

وهناك مزهر تشدّ في داخله أوتار رفيعة تساعد على إطالة زمن التذبذب ، وبالتالي إطالة زمن الصوت ، ويعرف بالبندر . وجميع هذه الآلات أي الدف والمزهر والبندر ذات رنين مشدود على جانب واحد منها فقط .

٤) النقّارة : مكوّنة من كاستين خشبيتين ، أو من فخار ، أو صلصال مجوّف ، وعليها جلدتان مشدودتان . توضع هذه الآلة على ركيزة سطحية الشكل أمام العازف الذي يضربها بعصويين (بعودين من خشب) . ثم صارت الكاستان تصنعان من المعدن .

كان العرب يضعونها على ظهور الجمال . وأول من أتى على ذكر هذه الآلة عند العرب هم إخوان الصفا ، وذلك في القرن العاشر الميلادي .

ظهرت هذه الآلة في أوربا في القرن الرابع عشر ،بعد الحروب الصليبية ، وبقيت محتفظة باسمها الشرقي . تعرف عند الفرنسيين باسم نكير *Nacair* ، وعند الإيطاليين باسم نكروني *Nachroni* وعند الإنكليز باسم نيكرس *Nakers* .

ومما تجدر الإشارة إليه حجم هاتين الآلتين ، إذ نكبر إحداهما الأخرى بنسبة معروفة ، تعطي صوتاً إذا ما ضرب عليها يملو صوت الأخرى بخمس درجات .

٥) الدربكة : وهي شكل مخالف للطبل ؛ فهي أنبوب ينتهي بما يشبه البوق ، يُشدّ عليها رق . تصنع الدربكة من طين (فخار) أو معدن نحاس ، وينقر عليها باليدين وأحياناً بالإبهام والخنصر فقط ، غير أن هنالك طرقا أخرى يتفنّن العازف بتكوينها والإبداع بأدائها .

يكثر أهل فلسطين من استعمال الدربكة ، ولا يخلو حفل شعبي أو عائلي من الدربكة . ويظهر أن للدربكة عند نساء فلسطين منزلة محبّبة ، ولعلها الآلة الوحيدة التي تتقنها القروية والمدنية على السواء . وتظهر الفلسطينية تماوياً كبيراً مع الإيقاع ، وهي تشجع أخواتها على ممارسة الضرب على الدربكة . وكثيراً ما يشاهدن متجاوبات بعزف إيقاعي منتظم ومطوّر على الدربكة .

إن المرأة العربية العادية في فلسطين لا تزاول العزف على أي من الآلات الوترية أو النافخة ، باستثناء عدد قليل من نساء المدن اللواتي يمارسن العزف على العود .

وتتساهى بعض العائلات الميسورة باقتناء طبلات نحاسية مزخرفة ذات نقوش جميلة ، كما أن هناك ما يستورد من سورية ، وهو من الخشب المطعّم بالصدف .

٦) البازة : وهي نوع من أنواع النقارات تشبهها شكلاً ، غير أنها تختلف عنها بصغر حجمها ، وفي أن لها مقبضاً في جامع بوقها يمسك به . إن صوتها غير موسيقي يفتقر إلى الرنّة والجمال ، يطرق

عليها المسحّرون بسوط من الجلد لإيقاظ النائمين ودعوتهم إلى السحور والصلاة .

ب ـ الآلات الوترية : تخضع جميعها لمبدأ واحد ، وإن كانت طريقة تركيب أجزاء بعضها تختلف عن الأخرى .

١) الرّباب : لعلها أكثر الآلات شعبية في فلسطين ، بل لعلها أخلص ما يخدم الموسيقى الشعبية فيها . ويؤكد وجود هذه الآلة عند العرب كل من الفارابي وإخوان الصفا ومحمد بن أحمد الكتبي ، ويجمعون على أنها عربية الأصل . وكان الفرس يكثرون من استعمالها ويدعونها « كمان » بمعنى قوس . وقد امتاز العرب من جميع الأمم باستعمالهم الرباب ، وجبهم إيّاها ، وتوجد عندهم على أنواع كثيرة ؛ منها ذات العنق الطويل والصندوق الجلدي المصوت المربع ، ويعرف برباب الشاعر ، ويسمى أيضاً برباب أبي زيد ، لأن رواة قصص أبي زيد كانوا يكثرون من ذكره . ومنها ذات العنق القصير والصندوق الخشبي المستدير ، ويعرف بكمنجة العجوز . وجميعها ذات ثلاثة أوتار فقط ؛ وتجر بقوس . وأما الرباب التركي ، وهو النوع الثاني المذكور من قبل ، فيسميه المصريون « الأرنبة » .

ويستعمل أهل فلسطين رباب الشاعر البسيط ، ويصنعونها بأنفسهم . وهي مكونة من صندوق جلدي متساوي الجوانب ، لها وتر واحد ، وتجر بقوس مصنوع من ذنب الحصان .

ونرافق الرباب المغني في أغلب أغانيه الشعبية : العتابا ، والميجانا ، ودلعونة الخ . . كذلك في السير الشعبية والأقاصيص . وتستثنى غالباً من مصاحبة حلقات الدبكة * ، ويفضل عليها المجوز والناي .

ومما يدل على تأثير الرباب في طريقة أداء المغني ، ما يلاحظ من قفلات غريبة يقوم بها المغني محاولاً تقليد جر القوس على الرباب ، وهناك صعوبة كبيرة في « تنويعه» مثل هذه القفلات .

٢) العود : هو عماد التخت الشرقي ، وقد اختلف المؤرخون في المكان الذي ظهر فيه أول مرة ؛ فمن قائل إنه في العراق منذ زمن بعيد ، ومن قائل إنه ظهر عند الأشوريين ، وهذا يناقض قول من ذهب إلى أن المصريين مخترعوه . ويقال إن العود وجد في القرن الثالث للميلاد في أيام الملك شابو ملك الفرس . ويناقض هذا القول المؤرخ المعاصر كورت زاكس ، إذ يدّعي أن العود وجد في أوركسترا الصين بين عامي ٢٥٦ ق.م. و٢٧٠ ب.م.

انتقل العود من الممالك القديمة إلى العرب في العصور الوسطى ، واحتضنته المدنيات العربية في عصورها الزاهرة ، وأدخل العرب عليه تحسينات في الأندلس ، فكبروا صندوقه ، وفتحوا فيه فتحة تدعى الشمسية تساعد في رنين الصوت ، وزاد زرياب الموسيقي الكبير عل العود وتراً خامساً ، واستعمل في الضرب على أوتاره ريشة نسر . وانتقل العود من الأندلس إلى شمال إفريقيا ، وإلى أوربا ، حيث أطلقوا عليه اسم لوت *Lute* ، وبقي هناك مدة لا تقل عن ثلاثة قرون . وله مركز مرموق بين الآلات الأوربية ، وهو أول آلة كتب لها الموسيقيون مقطوعات آلية منفردة بالمعنى الفني الصحيح .

ويتكون العود المستعمل في الوقت الحاضر من صندوق مصوّت من الخشب ، مغطّى بغطاء من الخشب فيه فتحات لإخراج الصوت منه ، عنقه قصير مشدود عليه أوتار خمسة من حرير أو من مصران (ومزاحراً من نايلون) تكوّن مجامع ثنائية ، كل منها من نوع وتر واحد ، ما عدا الوتر الأول .

وبلغ من ولع العرب بالعود درجة تشخيص أجزائه ، تسميها بالصدر ، والظهر ، والرقبة ، والعيون ، والأذان والأنف والمنابض .

كان الفلسطينيون يستوردون الأعواد من مصر ومن سورية ، خصوصاً إنتاج أسرة نحّات الشهيرة ، غير أن ذلك لم يحُلْ دون صناعته المحلية . ولعل أسرة القرعة في القدس هي أشهر من احترف هذه الصناعة في فلسطين . وقد برع فنانون فلسطينيون بالعزف على هذه الآلة .

٣) القانون : وهو من الآلات الوترية التي استعملها العرب منذ القدم . ويختلف عن العود والطنبور في عدم وجود عنق له ، ويختلف عنه أيضاً في كثرة الأوتار المشدودة عليه ليحدث أصوات السلم التي تستطيع الأصابع إخراجها على الوتر الواحد في العود .

اختلف المؤرخون في زمن ظهور القانون ومكانه ، كما اختلفوا في كثير من الآلات الشرقية القديمة ؛ فمن قائل إنه اخترع في أسيا الصغرى قبل الميلاد ، ومن قائل إن اليونان هم مبتدعوه .

ويرجّح أن العرب استعملوا القانون قبل الإسلام بأمد بعيد ، مع أن روائعهم لم يذكروه أو يصفوه باسم القانون . ولعل « المعزف » هو أقرب موصوف يشبه آلة القانون ، وقد ذكره الليث بن نصر والفارابي الذي قال ما معناه ان العرب كانوا يستعملون آلة كثيرة الأوتار من التي ينفرد كل وتر منها بإصدار صوت من أصوات السلم ، بخلاف العود الذي تصدر منه الأصوات بوضع الأصابع على الأوتار لتقصيرها وإطالتها وإصدار أصوات مختلفة على وتر واحد ، وجعل « المعزف » مثالاً لتلك الآلات . وهذا الوصف يطابق القانون . وينسب ابن خلكان إلى الفارابي ابتداع هذه الآلة ، لكن الفارابي لم يذكر شيئاً عن هذا في كتابه الموسيقي . وذكرت هذه الآلة باسمها ، أي القانون ، في قصة علي بن بكر وشمس النهار وعمر بن نعمان وابنه في قصص ألف ليلة وليلة . ولما دخل العرب

الأندلس أخذوا القانون معهم . ويخبر الشقندي الكاتب الأندلسي أن القانون كان من أهم الآلات في الأندلس وكان يصنع في سوق صناعة الآلات الموسيقية هناك .

تطوّر شكل هذه الآلة مع الزمن حتى وصل إلى هذا الشكل الذي يعرف اليوم ، فهو مكوّن من صندوق مربّع منحرف ، مشدودة عليه أوتار عددها ستة وعشرون ، أو ثمانية وسبعون وترا ، لان كل ثلاثة أوتار تعطي نغمة واحدة . وثمر هذه الأوتار موازية للصندوق ، وتربط في الجهة اليمنى على جلد سمك لزيادة رنين الصوت ، يدعى الرقّ ، وله مفاتيح من الجهة اليسرى . وترفع هذه الأوتار عن الصندوق بخشبة تعرف بالفرس ، وبجوار هذه المفاتيح قطع صغيرة من المعدن تفتح وتقفل كالمفصّلات ، وتسمى « العرب » ، ومفردها عربة . ويضرب أو ينقر على أوتاره بأجزاء من قرون خروف أو ما يشابهها . ويكون العزف على القانون بإصبعي السبّابة ، فتعزف النغمة الواحدة وجوابها مرة واحدة ، وهذا ما يميزه من باقي الآلات ، ويجعله أغناها .

٤) الكنارة أو السمسمية : آلة وترية مصنوعة من الخشب ، أو قطعة من المعدن مغطّاة برقم . وهي قطعة من الجلد الرقيق تلصق بوجه الآلة تحت موضع الضرب ، مستوى أوتارها مواز للصندوق المصوّت ، ومثبتة أوتارها في إطار خشبي قد يكون أحيانا غير منتظم الأضلاع . وطريقة استعمالها أن تحمل معلقة أفقية أو رأسية أمام الصدر وتنبر اليد اليسرى عادة الأوتار من خلف الآلة ، وتضرب عليها اليد اليمنى من جهة الأمام بمضراب ، وقد تحمل تلك الآلة رأسية أمام الصدر . وهي ذات خمسة أوتار وطابع حماسي .

جـ ـ آلات النفخ : من أقدم الآلات الموسيقية ، عرفتها مصر قبل العصر الفرعوني ، وهي :

١) الناي : في اللغة الأكادية « نايو » ، ومعناه النذب والحزن ، ففي أسطورة « عشتار وتموز » تندب إلاهة الحب عشيقها القتيل قائلة : " لقد أصبح قلبي كالناي الحزين " . وفي التوراة يرثي ارميا خراب مآب قائلاً : " إن قلبي يبكي على مآب كالقصب " . ولم يقتصر استعمال الناي فقط على النواح والبكاء ، فقد جاء ذكره في وصف الاحتفالات المدنية المرحة ، لمصاحبة الغناء والرقص وغير ذلك من الأعياد العامة .

ويتكون الناي من أنبوب من القصب ، فيه ثقوب على مسافة معيّنة تعطي سلّما موسيقيا معلوما ، لذلك فإن العازف إذا أراد أن ينتقل من مقام إلى آخر وجب عليه تبديل الأصابع من ثقب إلى آخر ، لأن المسافات بين ثقوبه تعطيه المقام المرغوب فيه . وتوضع آلة الناي أثناء العزف على حافة الشفة بشكل عمودي . وللناي صوت شجيّ عذب ، لم تستطع الاختراعات التي أتت فيما بعد تقليده ، وإن سهلت طرق العزف عليه .

ولا شك في أن عدم وجود صفارة في فم الناي تقيّد كمية الهواء فيه يساعد في تكييف الصوت وإظهار عواطف العازف .

والناي في فلسطين مؤنس الراعي في وحدته ، يخفف عنه آلامه وهواجسه ومشقة عمله ، وتطرب له المواشي وتستأنس . كما أن الناي خير مصاحب لحلقات الدبكة ، ولكثير من الأغاني الشعبية ذات الإيقاعات المختلفة .

٢) اليارغول : آلة ذات لسان واحد ، تكون إما يارغولا منفردا ، أو يارغولا مزدوجاً . ويتكون المفرد منه من قصبة ذات ثقوب يكون في الجزء الملامس للفم منها لسان ملصق طرفه الأعلى بالقصبة ، فإذا نفخ فيه اهتز اللسان محركا الهواء ،ويتكون اليارغول أو الأرغول المزدوج من قصبتين من هذا النوع ، غير أن القصبة الثانية غير مثقوبة ، ولها من الطول ضعف الأولى تقريباً . وقد اشتق من هذه الآلة الكلارينيت *Clarinette* والكسية وما يماثلها ، والأولى مصنوعة من الخشب والثانية من المعدن .

٣) المزمار : يصدر الصوت منه باهتزاز لسانين في الجزء الملامس للفم فيه . والمزمار البلدي من هذا النوع ، غير أن طرف بوقه يكون في تجويفه ، بخلاف الكلارينيت إذ يكون طرف بوقها خارجاً بما يشبه الإطار . ووصل تحسين الصناعة في المزمار إلى آلتي الأوبوا والباسون بأنواعها .

٤) المجوز : هو الآلة النفخية الأكثر شيوعاً في فلسطين . وما هو إلاّ مزمار مثنى ، غير أن فتحته مستديرة وليست مخروطية كالمزمار . ولا يخلو النفخ في هذه الآلة من صعوبة لما تتطلبه من مواصلة التنفس من الأنف فقط ، ويكون الفم مخزناً للهواء ، يمدّ الآلة بتيار هوائي متواصل . وبالنظر إلى صعوبة النفخ في هذه الآلة ، يتعذر التلاعب في مرونة الصوت ، والتغيير من درجات شدته ، فتصدر الأنغام على وتيرة واحدة من الشدّة ، غير أنها تلائم تماما موسيقى الدبكة .

ومما يسترعي النظر كثرة الأمثال العامية الفلسطينية التي ذكرت الآلات الموسيقية ، يستشفّ منها ، بالإضافة إلى معانيها الاجتماعية ، وسخريتها اللاذعة ، وحكمها وتشابيهها التي تكون شاهدا مخلصا على أحاسيس الفلسطيني وعلى مزاياه الخلقية ومفهومه لمجتمعه، يستشف تجاوبه الموسيقي :

ما بتسلمش سر شاعر وبإيده ربابة .
بوت الزمار وأصبعه يلعب .
بقّ الطبل ماشت كل مجنونة .
صوت الطبل بوني لبعيد .
الطبل ما بيندق تحت بساط .
اللي بطبّل لك زنر له .

حرقنا الدف وبطّلنا الغنائي .
بلحق ع القارتين .
زاد في الطنبور نغم .
زمار وطبال ، يلما يشوفوا ليالي طوال .
الزمار بيعرف دار الطبال .
ما بيطلع من دار المطبلين غير مزمرين .
جهازك كما أنزف برتيه وخلق دف .
وقت عرسك غيري دفك .
مثل الطبل ، بالليل تعايق وبالنهار تخيط .
طبل ورزة والعروس عمشا .
ع كل دف بيرقص .
مثل الدف بين اللطامات .
من غير دف بيرقص .
منفوخ مثل الطبل .
الناي في كمه واخوا في ثمه .
الطبل منعوّدها اللطم .
لا كف ولا دف ولا نغم طرّب .
دق الطبل عالتلّة ، ركضت كل مختلّة .
طبل عند أطرش .
شكيت لابن عمي حل ربابتي وراح .

المراجع :

ـ محمود أحمد الحفني : علم الآلات الموسيقية .
ـ حسني حداد : في الموسيقى السورية .
— Curt Sachs: **History of Musical Instruments.** New York 1940.
— Curt Sachs: **The Rise of Music in the Ancient World,** East and West. New York 1943.
— Clair Polin: **Music of the Ancient Near East,** New York 1954.
— Farmer, H. G: **A History of Arabian Music to the 13th century** London, 1929.
— Mckinnay and Anderson: **Music in History,** New York 1954.
— Paul Lang: **Music in Western Civilization.** New York 1941.

آلـون (مشروع —) :

طرح الوزير الإسرائيلي يغال آلون على حكومته في شهر تموز عام ١٩٦٧ مشروعاً يتعلق بالمناطق المحتلة من فلسطين ، أي الضفة الغربية وقطاع غزة . وهو أول وزير إسرائيلي يطرح " تصوراً " للتسوية في المنطقة من وجهة نظر إسرائيلية . لكنه لم يطرح تصوره هذا على أنه مشروع رسمي للحكومة الإسرائيلية آنذاك ، رغم أن مشروعه هذا ظل أساساً لسياسة حكومة المعراخ * (التجمع) في المناطق المحتلة ، وورقة عمل رئيسة في مناقشات الحكومة بشأن المناطق وقضايا الاستيطان وغيرها .

ولعل ما دفع آلون إلى وضع مشروعه أنه كان يطمح إلى استغلال مركز (إسرائيل) القوي بعد حرب ١٩٦٧ * لإنجاز تسوية تضمن لها " الحد الأقصى من الأرض والحد الأدنى من العرب " . كما كان يرى الحاجة إلى وجود مشروع للتسوية تطرحه (إسرائيل) أساساً للمفاوضات في اتفاق سلام شامل أو جزئي ، ويتحمل الجانب العربي المسؤولية في حال رفضه أو فشل المفاوضات .

وفي أيلول ١٩٧٦ نشر آلون في مجلة « فورين أفيرز *Foreign Affairs* » الأمريكية الفصلية دراسة بعنوان " إسرائيل : حدود دفاعية " يمكن أن تعتبر تطويراً وتكملة لمشروعه الأول الذي اقتصر على تناول مصير الضفة الغربية وقطاع غزة ، بينما تناولت الدراسة الجديدة جميع الأراضي العربية المحتلة بعد عام ١٩٦٧ ، والعلاقات مع البلدان العربية المعنية .

ينصّ مشروع آلون الأساسي على النقاط التالية :

١) تصرّ (إسرائيل) على أن حدودها الشرقية يجب أن تكون نهر الأردن * ، وخطاً يقطع البحر الميت * بكل طوله ، في حين تبقى حدود الانتداب ، على طول وادي عربة * كما كانت قبل « حرب الأيام الستة » .

٢) من أجل إنشاء نظام دفاعي متين من جهة ، وتحقيق وحدة أراضي البلاد وتأمينها من ناحية جغرافية استراتيجية من جهة أخرى ، تضم (إسرائيل) إلى سيادتها المناطق التالية :

(١) شريطاً يتراوح عرضه بين ١٠ و ١٥ كم تقريباً على امتداد غور الأردن ، من غور بيسان وحتى شمالي البحر الميت ، على أن يشمل حداً أدنى من السكان العرب .

(٢) شريطاً عرضه بضعة كيلومترات ، تجري دراسته على الطبيعة ، من شمالي طريق المواصلات بين القدس* والبحر الميت ، بحيث يتصل في مكان ما مع المنطقة الواقعة شمالي طريق عطروت ـ بيت حورون ـ اللطرون ، بما في ذلك منطقة اللطرون .

(٣) بالنسبة الى جبل الخليل وصحراء يهودا يجب دراسة احتمالين : إما ضم جبل الخليل بسكانه وإما ضم صحراء يهودا ، على الأقل من مشارف الخليل الشرقية حتى البحر الميت والنقب * .

(٤) ومن أجل تجنب ضم عدد كبير من السكان العرب يجب النظر في إمكان الاكتفاء بضم صحراء يهودا فقط مع تعديلات أقل في الحدود .

٣) يجب أن تقام في تلك المناطق ، مستعمرات ريفية ومدنية وقواعد عسكرية دائمة وفق متطلبات الأمن .

٤) يجب أن تقام شرقي القدس ضواح بلدية مأهولة بالسكان اليهود ، بالإضافة إلى الإسراع في إعادة تعمير الحي اليهودي في البلدة القديمة وتأهيله .

٥) تبادر (إسرائيل) إلى إقامة روابط مع زعماء وشخصيات من سكان الضفة الغربية كي تطلع على مدى استعدادهم لاقامة إطار حكم ذاتي في الأراضي التي تكون تحت سيادة (إسرائيل) . وقد يكون إطار الحكم الذاتي هذا مرتبطاً (بإسرائيل) . ويمكن أن يتمثل هذا الارتباط بوجود إطار اقتصادي مشترك ، ومعاهدة دفاع مشترك ، وتعاون تقني وعلمي ، واتفاقات ثقافية ، وإيجاد حل مشترك لتوطين لاجئي قطاع غزة في الضفة الغربية .

ومن الواضح أنه سيترتب على الحكومة أن تبادر إلى إعداد خطة عامة وشاملة وبعيدة المدى لحل مشكلة اللاجئين التي هي مشكلة مؤلمة وغير قابلة لحل كامل إلاّ على أساس تعاون إقليمي يحظى بمساعدات دولية . وإلى أن يتم التوصل إلى التعاون الكامل ، يتوجب على حكومة (إسرائيل) أن تقدم على إقامة عدة قرى نموذجية للاجئين في الضفة الغربية ، وربما في سيناء أيضاً . وهذا الأمر ضروري من أجل التعلم من التجربة ، ومن أجل إظهار حسن النية والتدليل على استعداد (إسرائيل) للالتزام بحل المشكلة بطريقة بنّاءة . ولا بد من اتخاذ هذا التدبير لأسباب إنسانية وأسباب سياسية معاً .

٦) يتوجب على (إسرائيل) أن تضم قطاع غزة بسكانه الأصليين ، أي أولئك الذين كانوا يعيشون فيه قبل عام ١٩٤٨ . أما بالنسبة إلى اللاجئين الذين لم يتم استيعابهم في قطاع غزة لأسباب اقتصادية واجتماعية وغيرها فيجب توطينهم في الضفة الغربية وفي منطقة العريش وفق اختيارهم . ويتوجب على الأمم المتحدة العناية باللاجئين ، في حين تتولى (إسرائيل) المعالجة الكاملة لشؤون السكان الدائمين . وسيحتاج تنفيذ مثل هذا المشروع الى وقت كاف . ولذلك لا يُضم القطاع إلى (الدولة) في هذه الفترة بصورة قانونية .

٧) إن وضع خطوط الحدود الدقيقة ، يتم بالطبع بعد سماع رأي رئيس هيئة الأركان .

٨) ويجب أن تقام ، وبأسرع وقت ممكن ، سلطة عليا لمعالجة مشكلات المناطق المحتفظ بها واللاجئين في نطاق دائرة رئيس الحكومة .

أما مشروع آلون الموسع لعام ١٩٧٦ فقد انطلق من الفرضيات الأولية التي ترى أن حرب ١٩٧٣ * أكدت مدى حاجة (إسرائيل) إلى حدود دفاعية ، وأن التقدم التكنولوجي لا يلغي أهمية الحدود الدفاعية والعوائق الطبيعية . كما أن الضمانات الدولية السياسية لأمن (إسرائيل) خالية من أية قدرة على الردع .

أما قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ فلا ينص في رأي آلون على الانسحاب من كل الأراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧ . ويرى آلون أن على (إسرائيل) أن تتنازل ، بموجب اتفاقية سلام ، عن الغالبية العظمى من الأراضي العربية التي تحتلها منذ ١٩٦٧ لأنها في غنى عن أن تلحق بها عرباً إضافيين .

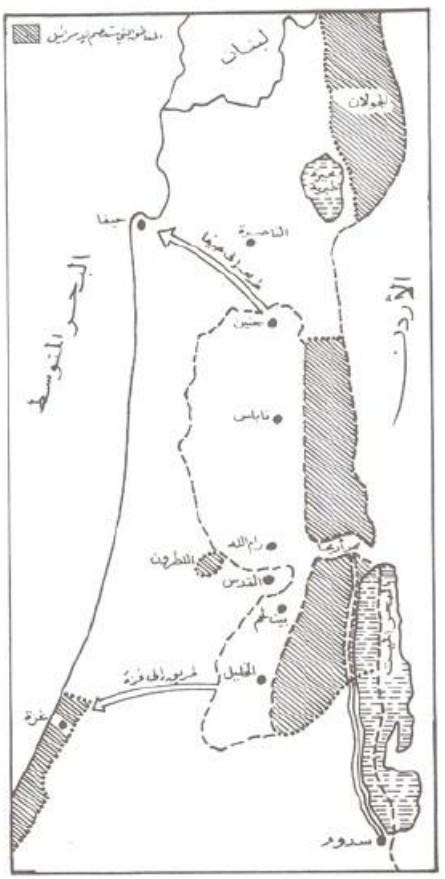

وينتقل آلون بعد هذه الفرضيات الأساسية ، إلى تحديد الحدود التي يراها كفيلة بتوفير الأمن والعمق الاستراتيجي (لإسرائيل) ، فيقرر أن العمق الاستراتيجي والعقبات الطوبوغرافية كانت غائبة كليا في القطاع الأوسط من (إسرائيل) في خطوط ما قبل عام ١٩٦٧ . ولا يكفي لذلك تحريك الحدود في هذا القطاع (المواجهة للضفة الغربية) نحو الشرق ، بل إن من الضروري ، بالإضافة إلى بعض التعديلات التكتيكية على طول القطاع الغربي من الخط الأخضر ، سيطرة (إسرائيل) على القطاع الشرقي الواقع إلى الشرق من التجمع العربي المتمركز على قمم جبال الخليل * والقدس * ونابلس * وسفوحها الغربية ، أي القطاع الجاف الواقع بين نهر الأردن في الشرق والسلسلة الشرقية لجبال " يهودا والسامرة " في الغرب ، وبين جبال فقوعة (الجبال المطلة على غور بيسان) في الشمال ، والنقب في الجنوب . ويُعطى للعرب ممر عبر هذا القطاع لكي يبقى الاتصال مستمرا بين الضفتين الشرقية والغربية . وسوف يترك هذا الحل جميع الفلسطينيين في الضفة الغربية تقريباً تحت الحكم العربي . وبالنسبة إلى قطاع غزة يقترح آلون أن تشكل المدينة وضواحيها المزدحمة بالسكان جزءاً من الدولة الفلسطينية ـ الأردنية التي يقترحها لحل المشكلة الفلسطينية ، بحيث تصبح غزة * ميناء تلك الدولة على البحر المتوسط . وحتى يتحقق الاتصال البري بين غزة وبقية أجزاء الدولة الفلسطينية ـ الأردنية ،يخصص ممر برّي ، لا يشكل جزءاً من تلك الدولة وإنما يكون تحت السيادة الإسرائيلية . وينبغي أن تستمر (إسرائيل) في السيطرة على القطاع الصحراوي الاستراتيجي الممتد من جنوب قطاع غزة حتى التلال الرملية الواقعة على المداخل الشرقية لمدينة العريش،لأن هذا القطاع يمكن أن يسد " الطريق التاريخي للغزو ، المار بمحاذاة البحر ، والذي عبره العديد من الغزاة عبر التاريخ " .

وبالنسبة إلى القدس يرفض آلون إعادة تقسيمها ، ويصر على أنها يجب أن تظل موحدة وعاصمة (لإسرائيل) ، ويقرر أن القدس لم تكن في يوم من الأيام عاصمة لأية دولة عربية أو إسلامية ، ولكنها كانت دائما عاصمة ومركزا للشعب اليهودي . ولكن وضع القدس ومكانتها الدينية العالمية وتركيب سكانها تدفع إلى إيجاد حل لوضع المصالح الدينية فيها على أساس ديني ، لا على أساس سياسي . والحل هو إعطاء وضع خاص لممثلي مختلف الديانات في الأماكن المقدسة لديها . ومن الممكن أن تقسم المدينة إلى أحياء يراعى فيها التركيب السكاني والديني ، وأن تقام مجالس هذه الأحياء ، مع بلدية مركزية .

وأما الحل الواقعي الوحيد لمشكلة الهوية الفلسطينية فهو إقامة دولة أردنية ـ فلسطينية . ومرد ذلك إلى أن سكان الضفتين في غالبيتهم من الفلسطينيين . كما أن كثيرا من الفلسطينيين يحملون جوازات سفر أردنية .

ويرى آلون أن للجولان * أهمية كبيرة بالنسبة إلى أمن (إسرائيل) لأنه يشرف على وادي الحولة وسهل بيسان والجليل الشرقي . ولذلك فإن (إسرائيل) بحاجة إلى خط دفاعي في الجولان لسبب تكتيكي ، هو منع السوريين من قصف المستعمرات الإسرائيلية ، ولسببين استراتيجيين هما : الحيلولة دون تسلط السوريين على مصادر المياه الإسرائيلية ، ومنع أي هجوم ضد الجليل . وبعبارة أخرى يقترح آلون ضم معظم الجولان إلى (إسرائيل) ، حيث يسير الخط الدفاعي الذي يقترح بموازاة خط وقف إطلاق النار ، ولا يبعد عنه سوى مسافة محدودة .

ويرى آلون أن من الضروري إجراء عدد من التعديلات الحدودية في المناطق الحساسة على خط الهدنة بين (إسرائيل) ومصر . ويجب أن يتم ذلك بشكل يسمح بسيطرة إسرائيلية كاملة في عدد من القطاعات ذات الأهمية الحاسمة لدفاع (إسرائيل) ، والتي " لا أهمية لها بالنسبة إلى أمن مصر " ، ويقصد بذلك المساحات المحيطة بأبو عجيلة والقسيمة والكونتيلا التي تشكل مناطق تقاطع محاور الطرق الرئيسة الممارة من الصحراء إلى بير السبع . كذلك فإن منطقة شرم الشيخ حساسة جداً (لإسرائيل) لأن الاستيلاء عليها يهدد حرية الملاحة الإسرائيلية . ولذلك يجب أن تسيطر (إسرائيل) على الطريق الواصلة بينها وبين إيلات * بشكل أو بآخر . وفي رأي آلون أن هذه التعديلات غير نابعة من رغبة (إسرائيل) في التوسع أو إلحاق أراض بها ، ولا من اعتبارات ودوافع تاريخية أو ايديولوجية ، بل من اعتبارات أمنية فقط .

وإلى جانب هذه التعديلات لا بد من وضع ترتيبات أمن فعّالة لمنع الهجوم المفاجيء من طرف ضد آخر ، أو على الأقل تقليله إلى أدنى حد ممكن .

والمقصود بهذه الترتيبات إيجاد " مناطق مجردة كلياً أو جزئياً من السلاح تحت إشراف عربي ـ إسرائيلي مشترك ، بالإضافة إلى ضمان عنصر دولي إنْ أمكن ، وإقامة أجهزة إنذار مبكر كتلك المقامة بمقتضى اتفاقية سيناء " .

المراجع :

— Yigal Allon : Israel: The case of the defensible borders, **Foriegn Affairs**, October 1976.

أبان بن صالح بن عمير بن عبيد (٦٠ - ١١٥ هـ) (٦٧٩ - ٧٣٣ م) :

محدّث عاش في دولة بني أمية . كنيته أبو بكر ، وينتسب إلى قريش ولاء . قتل أبوه صالح بن عمير في واقعة مع الأزارقة زمن الحجاج .

كان ورعاً تقياً . وكان من المحدّثين الثقات . شهد بذلك إمام الحفّاظ والمحدّثين يحيى بن معين ، والعجلي ، ويعقوب بن شيبة ، وأبو زرعة ، وحاتم الأصم ، كما ذكره ابن حبان القرطبي في الثقات . وعلق الإمام ابن حجر على قول ابن عبد البرّ في التمهيد " أبان بن صالح ضعيف " ، وعلى قول ابن حزم في المحلّى بأنه " ليس بالمشهور " بقوله : " وهذه غفلة منهما ، فلم يضعّف أباناً هذا أحد قبلهما . ويكفي فيه قول ابن معين ومن تقدم معه " . روى أبان عن أنس ، ومجاهد ، وعطاء ، والحسن بن محمد بن علي ، والحسن البصري ، والحكم بن عتيبة ، وقبيصة بن ذؤيب وغيرهم .

مات بمدينة عسقلان .

المراجع :

- ابن حجر العسقلاني : تقريب التهذيب ، المدينة المنورة .
- ابن حجر العسقلاني : تهذيب التهذيب ، بيروت .
- ابن عبد البرّ : التمهيد ، الرباط ١٩٦٧ .
- ابن النذر التميمي الحنظلي الرازي : كتاب الجرح والتعديل ، حيدر آباد الدكن ١٩٥٢ .

الأبحاث (مركز ــ) :

تأسس مركز الأبحاث في بيروت ، في شباط ١٩٦٥ ، بقرار من اللجنة التنفيذية الأولى لمنظمة التحرير الفلسطينية * ، بعد وقت قصير من إعلان قيام المنظمة في أيار ١٩٦٤ . واعتبر قرار اللجنة التنفيذية المركز مؤسسة من مؤسسات منظمة التحرير ، يديرها مدير عام يتبع مباشرة رئيس اللجنة التنفيذية . وتطبق في المركز الأنظمة والإجراءات المالية والإدارية النافذة في المنظمة . ويشرف الصندوق القومي الفلسطيني * على حساباته . ويتمتع المركز منذ تأسيسه باستقلال كبير فيما يتصل بنشاطه في المجالات التي أنشىء من أجلها .

أ ـ أهداف المركز : غاية المركز تغطية الصراع العربي ـ الصهيوني بالدراسات العلمية ، وتوفير المعلومات الصحيحة حول القضية الفلسطينية . وقد تحددت أهدافه في هذا المجال بما يلي :

١) تغذية أجهزة منظمة التحرير ومؤسساتها المختلفة بالآراء والمعلومات التي تفيدها في مختلف أنواع نشاطها السياسي والإعلامي وتساعد في تحليل المواقف ، ووضع الخطط والبرامج ، واستكمال المعلومات وتدقيقها ، واستخدام المعلومات .

٢) جمع الوثائق القديمة والمعاصرة المتصلة بالصراع العربي ـ الصهيوني ، ومتابعة جمع ما يستجدّ منها ، وتنظيم سبل الاستفادة من هذه الوثائق .

٣) جمع الكتب والدراسات التي تقع في دائرة اهتمامات المركز ، وإنشاء مكتبة متخصصة لهذا الغرض .

٤) إعداد الدراسات والأبحاث الميدانية حول القضية الفلسطينية وجوانب الصراع العربي ـ الصهيوني كلها ، ونشرها لتكون مراجع يستفيد منها القرّاء والدارسون والمختصون .

٥) متابعة وقائع الأحداث والدراسات المتصلة بالقضية الفلسطينية ، وتنظيم الاستفادة منها .

٦) نشر المعرفة بالعدو الإسرائيلي في الأوساط الفلسطينية والعربية ، وتوفير المعلومات الدقيقة عن الشؤون الإسرائيلية .

ويلتزم المركز في عمله لتحقيق أهدافه بالسياسة العامة لمنظمة التحرير ، ويسترشد بالخطط والبرامج التي تقررها مؤسسات المنظمة . وفيما عدا هذا يضع المركز نفسه خطط عمله وإنتاجه ونظمه الداخلية . ويتمتع المركز بقسط كبير من حرية النشاط والرأي والحوار والتعبير عن المواقف المتعددة ووجهات النظر المختلفة المطروحة على الساحة الفلسطينية . كما يتمتع بالحرية في دراسة نشاط خصوم منظمة التحرير ومواقفهم ووجهات نظرهم . ويتبع المركز في هذا كله مناهج البحث العلمي المعتمدة ، ولا يخضع نفسه لأية عوامل سياسية أو إعلامية قد تتعارض مع هذا كله .

ب ـ تطور العمل البحثي والتنظيم الإداري : عيّنت اللجنة التنفيذية الدكتور فايز صايغ * ليتولى مسؤولية تأسيس المركز ، والإشراف على عمله . وظل يحمل هذه المسؤولية إلى أن خلفه في آب ١٩٦٦ الدكتور أنيس صايغ الذي عيّن في هذا التاريخ مديراً عاماً للمركز . وخلال وجوده في هذا المنصب تولّى أيضاً مسؤولية رئاسة تحرير مجلة « شؤون فلسطينية » * منذ إصدارها في شباط ١٩٧١ . وبعد استقالة الدكتور أنيس صايغ في نيسان ١٩٧٧ عيّن الشاعر محمود درويش مديراً عاماً ، حتى تموز ١٩٧٨ ، ثم خلفه صبري جريس منذ هذا التاريخ .

يعتمد المركز في تغطية نفقاته على مصدر أساسي ، هو الميزانية السنوية التي تخصصها له اللجنة التنفيذية للمنظمة ، ويصادق عليها المجلس الوطني الفلسطيني * . ويعتمد أيضاً على المساعدات التي تقررها اللجنة في الحالات الاستثنائية . وقد بقيت منظمة التحرير

المصدر الوحيد لتمويل المركز حتى عام ١٩٧٢ ، حين قرر مجلس جامعة الدول العربية تقديم معونة سنوية تضاف إلى ميزانية المركز السنوية .

يعتمد المركز في بحوثه ونشاطه الفكري أسلوب العرض الموضوعي الموثق للقضايا التي تتناولها دراساته وكتبه ونشراته الدورية ، ويعتمد مناهج البحث العلمي المتبعة في العلوم السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

وقد قضى التوجه العام للمركز ، منذ تأسيسه ، أن يعرّف القارىء العربي بمختلف جوانب الحياة في (إسرائيل) في وقت كانت المكتبة العربية تفتقر فيه إلى الدراسات الرصينة في هذا المجال . وفي مرحلة لاحقة ، أولى المركز عناية أكبر لدراسة أحوال الشعب الفلسطيني ومؤسساته ، إلى جانب متابعة الشؤون الإسرائيلية . ومنذ عام ١٩٦٧ عني المركز عناية خاصة بشؤون المناطق التي احتلتها (إسرائيل) في حرب ١٩٦٧ * ، بالإضافة إلى عنايته بشؤون العرب الذين يعيشون في ظل السلطة الإسرائيلية منذ عام ١٩٤٨ ، ومتابعته مشكلاتهم الاجتماعية ونضالهم القومي . واتجه المركز ، ولا سيّما بعد عام ١٩٦٧ ، إلى تغطية المواقف الدولية والنشاط العالمي المتصل بقضية فلسطين ، وواكبت دراساته وبحوثه وتقاريره وندواته تطور العمل الفلسطيني ، ودور منظمة التحرير الفلسطينية الذي شهد انطلاقته الكبيرة بعد ١٩٦٧ .

وبالإجمال ، احتل المركز منذ تأسيسه ، ومع تطوره ، مكانة علمية مرموقة بوصفه المؤسسة العلمية الفلسطينية الأولى المعنيّة بالدراسات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية ، وحظي بشهرة واسعة وثقة كبيرة في هذا المجال .

جـ - أقسام المركز : تأسست في المركز ، وتطورت ، الأقسام والشعب التالية :

١) المكتبة : أنشأ المركز منذ تأسيسه مكتبة متخصصة . وتوالت الجهود ، بمضي السنين ، لتوسيعها وتحسين مستوى مقتنياتها باتجاه مزيد من التخصص . وهو يقوم باقتناء الكتب التي تتناول الشؤون الفلسطينية والشؤون الإسرائيلية وشؤون الصراع العربي - الصهيوني وقضايا الشرق الأوسط ، وأية قضايا أخرى هامة ، والتي تصدر باللغات العربية والعبرية والإنكليزية والفرنسية . وتقتني المكتبة المرسوعات والمعاجم والأطالس والدراسات والبحوث والمراجع الأخرى التي تصدر باللغات الأربع في المجالات الرئيسة . وتضم في الوقت الراهن أكثر من عشرين ألف مجلد ، منها خمسة آلاف باللغة العربية ، وثلاثة آلاف بالعبرية وأحد عشر ألفاً بالإنكليزية ، بالإضافة إلى المجلات الشهرية والفصلية التي تصدر باللغات الأربع المعتمدة . ويوزع المركز على الجهات المعنية فهرساً دورياً بمقتنيات مكتبته . وتشترك مكتبة المركز في نحو ١٦٠ دورية باللغة العربية ، و٤٩ بالعبرية ، و٢٥٠ بالإنكليزية ، و٦٣ بالفرنسية . وفي مكتبة المركز الدوريات التي تصدرها الجهات الفلسطينية كافة .

٢) قسم الأرشيف : يضم جميع الوثائق المنشورة عن القضية . ويسعى باستمرار لاقتناء الوثائق غير المنشورة ، ويصنّفها . ويتابع هذا القسم ما تنشره ٨٠ صحيفة ودورية بمختلف اللغات ، ويصنف موادها الواقعة في مجال اختصاصه . ويقوم بتصوير مقتنيات أرشيفه بالميكروفيلم ، ويعمل على اقتناء الوثائق التاريخية التي يتم نشرها بعد مضيّ عدد من السنين ، ومنها الوثائق الإنكليزية والعبرية . ويصدر القسم مجلداً شهرياً يتضمّن ملخصاً للأحداث الجارية في كل شهر ، مبوّبا حسب الموضوعات ، بحيث تسهل العودة إليه واستخدامه كمصدر للمعلومات في أي وقت . ويوزع هذا المجلد على الجهات المعنيّة .

ويضع المركز مقتنيات مكتبته ووثائقه في خدمة باحثيه وزواره من الدارسين والباحثين الذين يمكنهم أن يستفيدوا من هذه المقتنيات أثناء أوقات عمل المركز ، أو أن يحصلوا على نسخ مصورة للمراجع التي يحتاجون إليها ، وذلك تقريباً دون مقابل . كذلك يقدم المركز خدمات مماثلة لمن يطلبون معونته بالمراسلة ، فيمدّهم بالمشورة بشأن الدراسات ، ويساعدهم على معرفة ما هو متيسّر من مراجع تعوزهم في دراساتهم .

٣) قسم اليوميات الفلسطينية : يسجّل هذا القسم الوقائع اليومية المتصلة بالقضية الفلسطينية . ويستقي هذه الوقائع من جميع المصادر التي يتلقاها ، سواء باللغة العربية أو باللغات الثلاث الأخرى ، فضلاً عن المصادر المباشرة . ويصدر المركز حصيلة عمل هذا القسم في مجلّدات يتضمن كل منها وقائع نصف عام . وتزود هذه المجلدات نصف السنوية بالجداول والفهارس المختلفة لتسهيل الاستفادة منها . وقد صدر حتى نهاية عام ١٩٨١ ثلاثة وعشرون مجلداً تضمنت الوقائع الفلسطينية من بداية عام ١٩٦٥ إلى منتصف عام ١٩٧٦ .

٤) نشرة رصد إذاعة (إسرائيل) : يتولى قسم خاص رصد وتسجيل ما تبثّه إذاعة البرنامج العبري العام وإذاعة الجيش والتلفزيون في (إسرائيل) من مواد لها صلة بالصراع العربي - الصهيوني ، أو بالقضايا الإسرائيلية الداخلية الهامة . ويقوم مترجمون مختصون بنقل هذه المواد إلى اللغة العربية ، وتصدر في نشرة يومية اسمها نشرة « رصد إذاعة إسرائيل - ر . إ . إ . » ، وتصل المادة إلى القرّاء قبل مضي أربع وعشرين ساعة على إذاعتها . وتوزع هذه النشرة توزيعاً محدوداً يشمل الهيئات المعنية والمختصين فقط . وقد

ظهرت هذه النشرة منذ عام ١٩٧١ ، وصدر منها ٢،٥٢٣ عدداً حتى نهاية ١٩٨١ .

والى هذا يقوم المركز ، في أحوال خاصة ، بتقديم نشرات غير دورية تتضمن ترجمات كاملة لمواد هامة في الصحف الإسرائيلية .

٥) مجلة شؤون فلسطينية : وهي مجلة شهرية تعدّ الأولى من نوعها باللغة العربية ، وتختص بنشر المقالات والدراسات والأبحاث والتقارير الشهرية والطارئة التي تشمل المجالات المختلفة المتصلة بالشؤون الفلسطينية والإسرائيلية وغيرها من الشؤون الهامة . ويُعدّ مواد هذه المجلة باحثو المركز والكتّاب الآخرون الفلسطينيون والعرب والأجانب الذين يتفق معهم هذا الغرض ، أو الذين يُؤثرون نشر إنتاجهم فيها . وقد انتظم صدور مجلة شؤون فلسطينية منذ آذار ١٩٧١ حتى اليوم ، وفي السنة الأولى من عمر المجلة صدرت الأعداد الستة الأولى بمعدل عدد كل شهرين ، ثم أصبحت المجلة شهرية .

وحتى نهاية عام ١٩٨١ صدر من المجلة ١٢١ عدداً . وقد نشرت المجلة في عددها رقم ١١١ (شباط ١٩٨١) فهرساً شاملاً ضم أسماء الكتّاب الذين أسهموا في إنشاء موادها في السنوات العشر الأولى ، وأرقام الأعداد التي كتب فيها كل واحد منهم ، وضم أيضاً تبويباً لعناوين المواد التي نشرت في هذه السنوات ، وتعريفاً موجزاً بها .

٦) القسم الفني : يضم شعبة للمحررين المختصين الذين يقومون بتحرير مختلف المواد التي ينشرها المركز ، فيضبطون صياغتها ولغتها ، ويدققون مصادرها . كما يضم شعبة الطباعة التي تشرف على عمليات طباعة تلك المواد من إخراج وتصحيح وتنفيذ ونسخ وغيرها .

٧) قسم التوزيع والاشتراكات : يتولى الإشراف على توزيع نشرات المركز ، إما مباشرة ، أو بالبريد ، أو عن طريق تنظيم العقود مع شركات التوزيع في البلاد المختلفة . ويتولى القسم أيضاً تسجيل الاشتراكات وتأمين وصول المواد إلى المشتركين .

٨) القسم المالي : يضطلع بمسؤولية الشؤون المالية في المركز ، وضبط عقود الواردات والنفقات وفق الأنظمة المالية ، ويشكّل حلقة الوصل ، بالنسبة إلى هذه الشؤون ، بين إدارة المركز والصندوق القومي الفلسطيني .

٩) شعبة الشؤون الإدارية : تتولى مسؤولية الشؤون الإدارية ، والتحقق من مطابقتها للأنظمة والإجراءات المعتمدة في منظمة التحرير الفلسطينية ، أو المعتمدة في المركز .

١٠) الأقسام البحثية : وهي أهم الأقسام العاملة في المركز ، فهي التي تنتج المواد الخاصة بالمركز ، أو تشرف على إنتاج المواد التي يقدمها كتّاب من خارجه .

د ـ التنظيم البحثي : تعددت الأقسام البحثية في المركز وتنوعت بين فترة وأخرى وفق الحاجات والظروف المتفاوتة . ثم استقر الأمر على ثلاثة أقسام :

١) قسم الدراسات الفلسطينية .

٢) قسم الدراسات الإسرائيلية .

٣) قسم الدراسات الدولية .

ويتولى الباحثون في هذه الأقسام ، كل وفق اختصاصه ، إعداد الدراسات والأبحاث الميدانية والتقارير المتنوعة التي تنشرها مجلة « شؤون فلسطينية» أو التي ينشرها المركز في كتب مستقلة ، أو التي تستخدم لأغراض أخرى ، ولا سيما لتغطية حاجات مؤسسات منظمة التحرير . كذلك تتولى هذه الأقسام تقديم الاقتراحات بشأن الكتب الأخرى التي يتفق المركز بشأنها مع الكتّاب ، والبتّ بنشر أو بعدم نشر المخطوطات التي يعرضها كتّاب آخرون على المركز .

هـ ـ إصدارات المركز : أصدر المركز حتى عام ١٩٨١ ـ ٣٤٠ كتابا ، منها ٢١٧ كتابا باللغة العربية ، بينها ٢٦ كتابا وزّعت توزيعا محدوداً على الهيئات المعنية والباحثين المختصين . ومنها أيضاً ٨٧ بالإنكليزية و٢١ بالفرنسية ، فضلاً عن كتب كثيرة بلغات أخرى . وقد عالج نحو ١٣٠ كتاباً الشؤون الفلسطينية ، و١٤٠ كتابا الشؤون الإسرائيلية في حين بحثت الكتب الأخرى في موضوعات وقضايا مختلفة تتصل بأغراض المركز .

وقد صدرت معظم هذه الكتب في سلاسل ، فضمت سلسلة « كتب فلسطينية» ٨١ كتاباً ، وسلسلة « دراسات فلسطينية » ١٠٤ كتب ، وسلسلة « حقائق وأرقام » ٥٣ كتابا ، وسلسلة « أبحاث فلسطينية » ٤٨ كتاباً ، وسلسلة « خرائط وصور فلسطينية » ١٨ كتاباً .

وقد توقف المركز مؤخراً عن إصدار كتبه في سلاسل مرقمة .

و ـ جوانب النشاط الأخرى : يقوم المركز بألوان نشاط أخرى متعددة ، ضمن إمكاناته ، فينظم بين وقت وآخر دورات لتعليم اللغة العبرية يدرس فيها عاملون في المركز أو آخرون ممن ترشحهم المؤسسات الفلسطينية . وينظم المركز ومجلته الشهرية ندوات يسهم فيها قادة ومختصون . وتعقد بعض هذه الندوات بغرض التحاور مع العاملين في المركز ومناقشة شؤون النشر . من ناحية أخرى ، يسهم المختصون في المركز في نشاط عدد من المؤسسات ، وفي اللقاءات الثقافية والعلمية الفلسطينية والعربية والدولية ، ويلبّون الدعوة للكثير من الندوات التي تعقد لمناقشة الموضوعات الواقعة ضمن دائرة اهتمام المركز ، ويعدّون الدراسات والمداخلات لتلك

الندوات . والمركز عضو دائم في المجلس الفلسطيني الأعلى للتربية والثقافة والعلوم ، وعضو دائم في اجتماع « الاتحادات المهنية والمؤسسات العربية الممارسة لمهام إعلامية» الذي ينعقد دورياً بإشراف الأمانة العامة لجامعة الدول العربية ـ إدارة الإعلام ، وعضو مراقب في اللجنة الدائمة للإعلام العربي ، واجتماعات مجلس وزراء الإعلام العرب ، وهو عضو أيضاً في عدد من الهيئات والاجتماعات الدولية العالمية ذات الطبيعة العلمية . ويقيم المركز علاقات منتظمة أو شبه منتظمة مع عدد من المكتبات الكبرى في العالم .

ز ـ خاتمة : يقوم المركز بهذا النشاط الواسع في ظل ظروف ليست مواتية كلها ، كما أن موارده المالية ، مع حرصه على عدم الارتباط بتلقّي أية معونات من غير جامعة الدول العربية ، تجعل مشاريعه أقل من طموح العاملين فيه . وعلى الرغم من ذلك تمكّن المركز من التمسك بإنجاز المهام التي اضطلع بها ، ومن إحداث بعض التوسع فيها . وبالنسبة إلى المستقبل يعمل المركز من أجل مزيد من التوسّع ، ولا سيما في مجالات تنمية مقتنيات المكتبة والأرشيف وتغطية الفترة الزمنية التي توقف فيها العمل في قسم اليوميات الفلسطينية لظروف خارجة عن إرادته ، فالمركز يخطط لاصدار ثلاثة مجلدات من اليوميات الفلسطينية في العام الواحد ، بدل اثنين ، حتى يتم تدارك ذلك النقص . وفي ميدان إصدار الكتب ، يتجه المركز إلى تعميق التخصص ، بحيث يمدّ ويصدر الكتب التي تشكل مراجع في الحقول التي تناولها . وفي خطط المركز إصدار عدد من المراجع عن المؤسسات الفلسطينية المعاصرة ، وإصدار مرجع كبير عن المؤسسات السياسية والاجتماعية الإسرائيلية . والقصد من هذه المراجع أن توّسع وتكمل المعلومات التي تضمنتها الكتب التي أصدرها المركز في سنوات سابقة . ويعدّ المركز كذلك لتوسيع نشرة « رصد إذاعة إسرائيل » حتى تتضمن ترجمات كاملة دورية للمواد الهامة في الصحف الإسرائيلية . ويعمل المركز على توسيع حضوره ومساهماته في المنظمات والاجتماعات والندوات العلمية والثقافة الفلسطينية والعربية والدولية ، ويحضّر لعدد من مشاريع البحث الخاصة .

الأبراج : ر : القلاع والأبراج

أبراهام : ر : ميثاق أبراهام

إبراهيم باشا : ر : الحكم المصري

إبراهيم (مشهد) : ر : مكفيلة (مغارة ـ)

إبراهيم أبو ديّة (١٩١٩ ـ ١٩٥١) :

مجاهد فلسطيني ، وأحد قادة قوات الجهاد المقدس (ر : جيش الجهاد المقدس) . ولد في قرية صوريف * من قضاء الخليل .

بدأ يناضل الاحتلال البريطاني والحركة الصهيونية في سن مبكرة ؛ فقد عمل وهو في الثالثة عشرة من عمره حلقة وصل بين الثوار في منطقتي الخليل والقدس سنة ١٩٣٢ . وفي سنة ١٩٣٤ انضم إلى قوات الجهاد المقدس ، وشارك في معارك الثورة من ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ ، (ر : ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩) .

انضم إلى الحرب العربي الفلسطيني * عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية ، وعمل مع القائد عبد القادر الحسيني * في جمع الأسلحة ونقلها من مصر إلى فلسطين ، وتوزيعها على المجاهدين ، تمهيداً لمتابعة الثورة ضد أعداء الشعب الفلسطيني : البريطانيين والصهيونيين .

شارك مشاركة فعالة في الكثير من معارك ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨ ؛ فقد تولى قيادة مجموعة من قوات الجهاد المقدس في معركة القسطل * التي جرت في ١٩٤٨/٤/٧ ، وكانت مجموعته أولى المجموعات التي دخلت قرية القسطل * . وقد أصيب بجراح في هذه المعركة .

وفي ١٩٤٨/٥/١ قاد قوات الجهاد المقدس في هجوم على حي القطمون ، في مدينة القدس ، لاسترداده . لكن القوات البريطانية منعته من تحقيق ذلك (ر : القطمون ، معركة) .

كان له دور كبير في معارك كفار عصيون * وصوريف ، وقد لمع اسمه خلالها . وكانت معركة مستعمرة « رامات راحيل » جنوبي القدس (أيار ١٩٤٨) آخر معاركه ، فقد أصيب أثناءها بجراح أدّت إلى شلل في جسمه ، ثم نقل إلى بيروت حيث توفي .

المراجع :

ـ محمد فائز القصري : حرب فلسطين عام ١٩٤٨ ، ج ٢ ، دمشق ١٩٦٢ .

إبراهيم بن أحمد بن ناصر الباعوني

(٧٧٧ ـ ٨٧٠ هـ)
(١٣٧٥ ـ ١٤٦٥ م) :

برهان الدين الباعوني ، الصفدي . أديب ، فقيه ، لغوي . ولد في صفد * ، ونشأ فيها ، ودرس التصوّف والفقه على كبار علماء زمانه كشيخ الإسلام البلقيني (ر : عمر بن رسلان) والشرف العزي والنور الأبياري والكمال الدميري . جاء الباعوني دمشق

وولّي خطابة الجامع الأموي ووظيفة قضاء الشافعية ، كما تولّى مشيخة الخانقاه الباسطية التي أنشأها في الجسر الأبيض (بدمشق) القاضي زين الدين عبد الباسط بن خليل ناظر الجيوش الإسلامية زمن السلطان المملوكي سيف الدين برسباي (٨٢٥ هـ / ١٤٤٢ م) . له مؤلفات منها : مجموعة خطب ، وديوان شعر ، واختصار معجم الصحاح للجوهري ، و « منحة اللبيب في سيرة الحبيب » ، و « الغيث الهاتن في وصف العذار الفاتن » .

توفي الباعوني بدمشق ، ودفن بسفح قاسيون .

المراجع :

ـ محمد بن طولون : القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية ، دمشق ١٩٤٩ .
ـ السخاوي : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، القاهرة ١٣٥٣ هـ .
ـ جلال الدين السيوطي : نظم العقيان في أعيان الأعيان ، نيويورك ١٩٢٧ .

إبراهيم بن حبيب الصباغ (١١٢٧ ـ ١١٩٠ هـ) (١٧١٥ ـ ١٧٧٦ م) :

طبيب مشهور من أهل عكا كان من أبرز أعوان ظاهر العمر الزيداني *.أصله من كسروان (لبنان) ، استقر أبوه وعمه في عكا * سنة ١٧٠٠ م .

تعلّم إبراهيم الطب العربي من راهب في أحد الأديرة في الشوير (لبنان) حيث ذهب للدراسة . وقد برع فيه .

أقام في عكا سنوات طويلة يطبب ، حتى طار صيته بالبراعة وحسن المعالجة ، كما صار من كبار الأغنياء ، وشارك في الأعمال التجارية . ولم يكن بدوره السياسي بعد ذلك أقل من دوريه في العلم وفي التجارة . فقد اختاره ظاهر العمر طبيباً خاصاً له ، ثم كسب ثقته ، فأضحى المستشار لأمواله في التجارة ، ومستشاره أيضاً في الإدارة . وابتنى إبراهيم داراً فخمة في عكا ومصبنة كبيرة ، وجاءه التكريم من البابا . ولكنه كان شديد الإمساك والحب للمال ، فلمّا حوصرت عكا سنة ١٧٧٥م على ظاهر العمر ، وطالبته الدولة بخراج سبع سنين ، أصر إبراهيم الصباغ ، وكانت بيده جميع أموال الوالي ، على الرفض ، وحرّضه على المقاومة ، فانتهى الأمر بسقوط عكا ومصرع ظاهر العمر غيلة ، وقبض على إبراهيم الصباغ . وقيل إن مجموع ما آل من أموال ظاهر العمر وأولاده وإبراهيم الصباغ إلى خزينة السلطان بلغ خمسة ملايين ليرة ذهبية ، وخمسة وعشرين مليون فرنك ذهبي ، عدا ما اختلسه الذين عملوا في المصادرة .

وكان نقولا بن إبراهيم يعمل معه في الطب والحكومة . ويبدو أنه هاجر إلى دمشق مع أولاده بعد نكبة أبيه ، ومنهم ميخائيل * وعبود الذي لا يعلم عنه شيء سوى أنه ألّف كتاب « الروض الزاهر في تاريخ الظاهر » ، وتوجد منه نسخة خطية في باريس .

نقل إبراهيم الصباغ سجيناً إلى الآستانة حيث قتل .

المراجع :

ـ حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، استانبول ١٩٤١
ـ عيسى إسكندر المعلوف : تاريخ الشيخ ظاهر العمر الزيداني .
ـ ميخائيل الصباغ : تاريخ ظاهر العمر الزيداني .
ـ محمد كرد علي : خطط الشام ، دمشق ١٩٢٨ .

إبراهيم الخليل (النبي) :

هو الأب الروحي للديانات السماوية الثلاث : اليهودية والمسيحية * والإسلام * . فاليهود يرجعون نسبهم إلى الآباء العبرانيين الأولين : إبراهيم وإسحق * ويعقوب * (الذي سمي إسرائيل) . وقد حرص الكتبة اليهود الذين دوّنوا التوراة * في عهد متأخر على أن يربطوا بين أتباع موسى * وديانته وبين إبراهيم الخليل وما جاء به من الوحي وعقيدة التوحيد .

ويبدأ إنجيل متّى بذكر سلسلة النسب من إبراهيم حتى يسوع المسيح . لكن التقاليد المسيحية لا تهتم بهذه الناحية ، بل تؤكد الصلة الروحية تبعاً لما جاء في رسالة بولس * إلى أهل رومية (٤ : ١٦ ـ ١٧) ، إذ يقول : " إبراهيم الذي هو أب لجميعنا " . كذلك يقول بولس في رسالته الى أهل غلاطية (٣ : ٨ ـ ٩) :

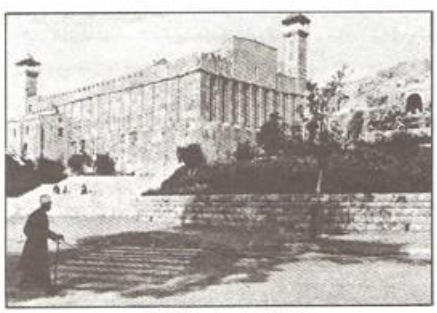

الحرم الابراهيمي في مدينة الخليل

" فبشر إبراهيم أن فيك تتبارك جميع الأمم إذا الذين هم من الإيمان يتباركون مع إبراهيم المؤمن " .

أما في الإسلام فقد ورد اسم إبراهيم في سور كثيرة من القرآن الكريم ، تمجّد عقيدته الحنيفية ، مثل قوله تعالى : " إن إبراهيم كان أمّة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين " (النحل : ١٢٠) . وقوله تعالى : " ثم أوحينا إليك أن اتّبع ملّة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين " (النحل : ١٢٣) . وكذلك قوله تعالى : " ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتّبع ملّة إبراهيم حنيفاً واتّخذ الله إبراهيم خليلاً " (النساء : ١٢٥) .

ويشير القرآن الكريم إلى الجدل الذي احتدم حول عقيدة إبراهيم قائلاً : " يا أهل الكتاب ، لِمَ تحاجّون في إبراهيم وما أُنزلت التوراة والإنجيل إلاّ من بعده أفلا تعقلون " (آل عمران : ٦٥) ، " ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً ، وما كان من المشركين " (آل عمران : ٦٧) .

ولا تقتصر صلة المسلمين بإبراهيم على أنه المبشّر الأول بعقيدة التوحيد ، بل هم يعرفون أيضاً أن إبراهيم هو الذي وضع الأساس للكعبة . قال الله تعالى : " إن أول بيت وضع للناس للذي ببكّة مباركاً وهدى للعالمين ، فيه آيات بيّنات مقام إبراهيم ، ومن دخله كان آمناً " (آل عمران: ٩٦ - ٩٧). كما قال تعالى: " واتّخذوا من مقام إبراهيم مصلّى ، وعهدنا إلى إبراهيم واسماعيل أنْ طَهّرا بيتي للطائفين والعاكفين والرّكّع السجود " (البقرة : ١٢٥) ، " وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ، ربنا تقبّل منا ، انك أنت السميع العليم " (البقرة : ١٢٧) .

وتروي التوراة كيف أن سارة زوج إبراهيم ألحّت عليه ، بعد ان ولدت إسحق في آخر عمرها ، بأن يبعد عنه جاريتها هاجر وولدها إسماعيل * ، فذهب بهما إلى البادية . وقد جاء في القرآن الكريم : " وإذ قال إبراهيم ربّ اجعل هذا البلد آمنا . . . ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرّم ، ربنا ليقيموا الصلاة ، فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون " (إبراهيم : ٣٥ - ٣٧) .

وهكذا يبدو أنّ ذرية إبراهيم من إسماعيل الذي تزوج من قبيلة جرهم قد عاشوا في الحجاز واستعربوا . وهم الذين عرفوا بالعدنانيين ، ومنهم انحدرت أسرة الرسول محمد ﷺ .

تذكر التوراة نسب إبراهيم ، فهو إبرام بن تارح بن ناحور بن سروج بن رعو بن فالج بن عابر بن شالح بن أرفكشاد بن سام بن نوح . وجاء في القرآن الكريم قوله تعالى : " وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناماً آلهة " (الأنعام : ٧٤) . وقد تعرض بعض المفسرين إلى الخلاف في اسم الأب ، فقال البيضاوي إن تارح هو الاسم العلم ، وآزر هو الاسم الوصفي .

ولد إبراهيم في أور الكلدانيين ، ثم انتقلت أسرته إلى حرّان ، حيث عاش مدة من الزمن قبل أن يرحل مع ابن أخيه لوط وأهله إلى أرض كنعان * عن طريق تدمر ، فدمشق ، حتى وصل إلى شكيم ، وبيت ايل ، وأورشليم ، حيث استقبله كاهنها الأعظم ، ملكي صادق ، وباركه . وكان إبراهيم في كل مكان يؤسس المعابد ، ويقيم المحاريب لعبادة الإله الواحد . ثم ظل يتنقل بين فلسطين ومصر والحجاز ، واتخذ مقراً في حبرون ، وهي مدينة الخليل * ، وهناك اشترى من أحد الحثّيين * الحقل الذي تقع فيه مغارة المكفيلة * ، حيث دفن زوجته سارة وأفراد أسرته ، ثم دفن هو أيضاً بعد ان بلغ عمره مائة وخمساً وسبعين سنة .

يبدو من القصص التي ترويها التوراة عن سيرة إبراهيم أنه كان شخصية مرموقة اشتهر بالنزاهة والعدالة والإخلاص والكرم والشجاعة والتقوى وعبادة الله وإطاعة أوامره . وقد أراد الله امتحانه فأمره في الرؤيا بأن يضحّي بولده ، فلم يتردّد في الامتثال للأمر . ولكن الله افتدى الولد في اللحظة الأخيرة بكبش عظيم . واختلفت الآراء حول الذبيح ، هل هو إسحق أم إسماعيل ؟ وقد اتّبع الطبري رواية التوراة التي تقول : " خذ ابنك ، وحيدك الذي تحبه ، إسحق " (سفر التكوين : ٢/٢٢) . إلاّ أن المفسرين المحدثين ، مثل عبد الوهاب النجار يذهبون إلى أن اسم إسحق هنا قد أقحم فيما بعد ، لأن أمر التضحية قد جاء في وقت لم يكن فيه لإبراهيم سوى ولد واحد ، هو إسماعيل ، ولأن إسحق لا تنطبق عليه بالتالي صفة « الوحيد » . كذلك يدل سياق الكلام في القرآن الكريم على أن البشرى بإسحق كانت بعد حادثة الفدية مباشرة (الصافات : ١١٢ - ١١٣) .

كان اسم ابراهيم في باديء الأمر «إبرام» الذي يعني «الأب الرفيع» أو «الأب المكرم» ، ولكن اسمه هذا تغير بعد أن رزق ذرية . تقول التوراة : " ولمّا كان إبرام ابن تسع وتسعين سنة ظهر الأب لإبرام ، وقال له : أنا الله القدير . . . فلا يدعى اسمك بعد إبرام ، بل يكون اسمك إبراهيم لأني أجعلك أبا لجمهور من الأمم وأثمرك كثيراً جداً وأجعلك أمماً ، وملوك منك يخرجون " (سفر التكوين : ١٧/١ - ٦) .

يستدل من قصص التوراة ومن مجرى الحوادث التاريخية أن إبراهيم الخليل قد ظهر حوالي سنة ١٨٥٠ق.م. ، وأنه كان مع أهله يعيش في الخيام حياة البدو الرعاة ، وينتقل من مكان إلى آخر في أعقاب قبائل العموريين * وغيرهم من الأقوام السامية التي هاجرت

في تلك العصور من بلاد ما بين النهرين وجزيرة العرب إلى سورية وفلسطين .

وتذكر النقوش الكتابية التي عثر عليها في بابل أسماء تشبه اسم إبراهيم كانت شائعة في هذه الصيغ : « إبرامو » و « إبرام » و « إبراما » . كما ترد في نصوص مدينة ماري أسماء عمورية معروفة مثل يعقوب وإسحق وإسماعيل ويوسف * وبنيامين التي تصادف في ذرّية إبراهيم .

المراجع :

ـ احمد سوسة : العرب واليهود في التاريخ ، دمشق ١٩٧٥ .
ـ عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ، القاهرة ١٩٥٣ .
ـ عباس محمود العقاد : إبراهيم أبو الأنبياء .
— De Vaux, R.: Les Patriarches herbreux et les decouvertes modernes, **Revue Biblique** 1946-1949.
— Parrot, A.: **Abraham et son temps**, 1962.

إبراهيم بن سعد الله بن جماعة (٥٩٦ ـ ٦٧٦ هـ) (١١٩٩ ـ ١٢٧٧ م) :

برهان الدين ، أبو إسحق ، الكناني ، الحموي ، الشافعي ، ولد في حماة ، ونشأ يتيماً . ثم انتقل إلى دمشق ، واشتغل بالعلم فيها ، ففرأ الفقه والحديث . وذُكر أنه " تفقه على الشيخ أبي منصور ابن عساكر ، فخر الدين عبد الرحمن بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي المتوفى سنة ٦٢٠هـ / ١٢٢٢م " . ثم اشتغل بالحديث ، وبقي ملازماً للاشتغال به .

كان برهان الدين عارفاً بعلم أهل الطريق ، وكان للناس اعتقاد فيه .

توجه ابن جماعة هذا إلى مكة حاجّاً أكثر من مرة ، وكانت آخر حجة سنة ٦٧٥هـ / ١٢٧٥م . وفي العام نفسه قدم إلى بيت المقدس واستوطنه . وكان أول من استوطن من بني جماعة هناك . ولكنه لم يحظ بالإقامة طويلاً فيه ، فقد ذكر أنه لم يقم في بيت المقدس إلاّ أياماً قليلة توفي بعدها ، وصلي عليه بالمسجد الأقصى * ، ودفن بمقبرة مامِلا في بيت المقدس . وروى مجير الدين العليمي الحنبلي أن الشيخ برهان الدين بن جماعة كان قد استصحب معه كفنه ، وودع أهل بلده ، وأخبرهم أنه سيموت في بيت المقدس ، فكان ذلك .

المراجع :

ـ مجير الدين الحنبلي : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، النجف ١٩٦٨ .
ـ عبد القادر العيمي : الدارس في أخبار المدارس ، دمشق ١٣٦٧ ـ ١٣٧٠ هـ .
ـ تاج الدين السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، القاهرة ١٣٢٤ هـ .

إبراهيم الشنطي (١٩١٠ ـ ١٩٧٩) :

صحفي فلسطيني ولد في مدينة يافا * ، وتلقى دراسته الابتدائية في مدرسة دار العلوم فيها . أنهى دراسته في الجامعة الأمريكية ببيروت ، ونال الإجازة في العلوم السياسية سنة ١٩٣٢ ، وكان في أثناء دراسته الجامعية عضواً في « العروة الوثقى » .

انضم إلى حزب الاستقلال * بعد عودته إلى فلسطين ، وأخذ ينشر المقالات في جريدة الجامعة الإسلامية تحت عنوان : حديث الشباب .

أصدر في شهر شباط سنة ١٩٣٤ جريدة الدفاع * . وقد ركز فيها على مهاجمة الاستعمار البريطاني ، وعدّه أصل البلاء الذي تعاني منه فلسطين ، أما الصهيونية فهي الفرع . وكان هذا في وقت توجه فيه العداء إلى اليهود ، وانتشرت فكرة حياد بريطانية بين طرفي الصراع ، العرب واليهود .

وقد بادر إبراهيم الشنطي ، على أثر إعلان الاضراب العام في فلسطين سنة ١٩٣٦ ، إلى تأسيس الحرس الوطني . فاعتقلته سلطات الاحتلال البريطاني ، وأودعته سجن عوجاء الحفير * في النقب . وعندما اندلعت نيران الحرب العالمية الثانية لزمت جريدة الدفاع جانب الحياد تجاه الأطراف المتحاربة .

استقر في القاهرة بعد نكبة فلسطين سنة ١٩٤٨ ، وأصدر مع أسعد داغر جريدة القاهرة سنة ١٩٥٣ . وقد استمرت في الصدور حتى سنة ١٩٥٧ ، حين عاد إلى القدس * ليتابع الكتابة في جريدة الدفاع ، التي كانت قد عادت إلى الصدور في القدس منذ سنة ١٩٥٠ .

وفي سنة ١٩٥٨ غادر القدس على أثر الصراع السياسي في الأردن ، ثم عاد إليها . لكنه تركها بعد عدوان سنة ١٩٦٧ (ر : حرب ١٩٦٧) إلى عمان ، حيث أعاد إصدار جريدة الدفاع للمرة الثالثة . ثم انتخب في ١٩٦٩/٣/١٤ نقيباً للصحفيين الأردنيين .

توقفت جريدة الدفاع عن الصدور في حزيران سنة ١٩٧١ بقرار من الحكومة الأردنية .

توفي إبراهيم الشنطي في عمان في ١٩٧٩/٤/١٥ ، ودفن فيها .

المراجع :

ـ يعقوب العودات : أعلام الفكر والأدب في فلسطين ، عمان ١٩٧٦ .
ـ مجلة الكاتب الفلسطيني : العدد ٨ ، نيسان ١٩٧٩ .

أبو إبراهيم الصغير : ر : توفيق إبراهيم

إبراهيم طوقان (١٩٠٥ - ١٩٤١) :

شاعر وأديب فلسطيني ، ولد في نابلس * ، في بيت عرف بالعلم والأدب ، وتلقى تعليمه الابتدائي فيها ، ثم انتقل إلى مدرسة المطران (سانت جورج) في القدس ، حيث تفتحت عيناه على كنوز الأدب العربي ، وبدأ يحاول قرض الشعر . وفي سنة ١٩٢٣ انتقل إلى الجامعة الامريكيّة في بيروت ، فكانت أخصب مراحله الدراسية ، وأكثرها وعداً بالعطاء . نشر سنة ١٩٢٤ قصيدة « ملائكة الرحمة » التي لفتت إليه الأنظار ، ثم توالى نتاجه الشعري الوطني والإنساني الجيد ، ولقبته الصحف اللبنانية بشاعر الجامعة . وقد نال شهادته الجامعية سنة ١٩٢٩ وعاد إلى نابلس .

عمل مدرساً في مدرسة النجاح * الوطنية بنابلس ، وبقي فيها عاماً واحداً شهدت فلسطين خلاله ثورة ١٩٢٩ * ، فكان إبراهيم طوقان ينظم الشعر الوطني صرخات حافزة وناراً مشتعلة . ومن أشهر قصائده آنئذ « الثلاثاء الحمراء » التي ألقاها في احتفال مدرسة النجاح السنوي ، ولم يكن قد مضى أكثر من عشرة أيام على إعدام الشهداء فؤاد حجازي * ومحمد جمجوم * وعطا الزير * يوم الثلاثاء ١٧ / ٦ / ١٩٣٠ ، ومطلعها :

لما تعرّض نجمك المنحوس ... وترنّحت بحرى الخيل رؤوس
ناح الأذان وأعول الناقوس ... فالليل أكدر والنهار عبوس
طفقت تثور عواصف ... وعواطف
والموت حينا طائف ... أو خائف
والعول الأبدي يمن في الثرى ... ليسرّهم في قبلها المتحجر

وعرض على الشاعر التدريس في قسم الأدب العربي في الجامعة الأمريكية ببيروت ، فقبل ، ودرّس فيه عامين ، عاد بعدهما مدرساً في المدرسة الرشيدية * في القدس . ولكن المرض الذي أصيب به في معدته منذ أن كان طالباً في مدرسة المطران ، اشتد عليه ، فأجريت له عملية ناجحة ترك التدريس بعدها وعاد إلى نابلس ليعمل سنتين في دائرة البلدية ، نظم خلالهما القصائد الوطنية التي صور فيها وضع فلسطين آنئذ تصويراً صادقاً .

وعندما تأسست إذاعة القدس سنة ١٩٣٦ ، وقع الاختيار على إبراهيم طوقان ليكون مراقباً للقسم العربي فيها ، فبقي فيه أربع سنوات . وقد منح هذا القسم جهده ونشاطه ، وجعل البرامج العربية مرآة تنعكس فيها آماله وأمانيه وذوق أهل البلاد وآراؤهم . وكان يكتب للإذاعة الأحاديث الأدبية والقصص والروايات التمثيلية ، وينظم الأناشيد للبرامج الخاصة .

تصدى أثناء عمله في الإذاعة لفئة غير عربية كانت تسعى سعيا حثيثا لتنشيط اللهجة العامية ، وجعلها الغالبة على الأحاديث المذاعة ، واستطاع أن يهزمها . ولكن الصهيونيين والمستعمرين أضمروا له الشر ، فاتهموا البرنامج العربي الذي يشرف عليه بأنه مسخّر للتحريض . وعندما كتب قصة « عقد اللؤلؤ » أو « جزاء الأمانة » التي اقتبسها من كتاب « الاعتبار » لأسامة بن منقذ ، وقدمها في أحد برامج الأطفال ، ادّعى أعداؤه أنها ترمي إلى تحريض العربي على المستعمر ، فأقيل من عمله في أواخر سنة ١٩٤٠ .

غادر طوقان فلسطين إلى العراق ، ليزاول مهنة التعليم في دار المعلمين الريفية في الرستمية ، لكنه وقع بعد شهرين فريسة للمرض ، فعاد إلى نابلس ، ثم أدخل المستشفى الفرنسي في القدس ، حيث أصيب بنزيف حاد قضى على أثره في ٢ / ٥ / ١٩٤١ ، ودفن في مدينة نابلس .

خلف إبراهيم طوقان وراءه ديوان شعر جمعه قبل وفاته ، ونشرته شقيقته الشاعرة فدوى . وهو بحق سجلّ لما كان يجيش به صدره ، وصدور أقرانه من ثورة وحمية للوطن وتضحية في سبيله .

تحدث عن الأرض ، وهاجم من يبيعها ، وحيّا الثوار والشهداء في « ثلاثائه الحمراء » ، وفي « الشهيد » التي قال فيها :

نفسه طوع همّة ... وحنت دونها الهمم
تلتقي في مزاجها ... بالاعاصير والحمم
تطمح الماتح المحطّم إلى الراسخ الأشم
رهي من عنصر الغدا ... ومن جوهر الكرم
رمس المجد جدّوا ... لفحمها حرّر الأمم

وكان يحزن ويضويه خمود العزائم عند بعض حاملي عبء القضية الوطنية ، ووقوفهم عند تقديم البيانات والاحتجاجات ، ويؤلمه عدم مجابهة الخصمين : المستعمر البريطاني والصهيوني الغاصب :

لنا خصمان ذو حول وطول ... وآخر ذو احتيال واقتناص
تواصوا بينهم .. فأتى وبالاً ... وإذلالاً لنا ذاك التواصي
مناهج للإبادة .. واضحات ... وساحتي نقد والرصاص

ولطالما نقد الخلافات الحزبية وأصحابها ، ودعا إلى استنهاض الهمم ، وبذل الدم من أجل الوطن ، لأن الكلام لم يعد يجدي :

وطن يباع ويشترى ... وتصيح " فليحي الوطن "
لو كنت تبغي حيره ... لبذلت من دمك الثمن
ولقمت تعصمه جرحه ... لو كنت من أهل الفطن

فاز ابراهيم طوقان بلقب شاعر الوطن وشاعر فلسطين ، وسجل قضية بلاده في شعره القوي الذي يمتاز بذلك الطابع

الفلسطيني الخاص ، ويحس به كل من عاش ويعيش الأخطار التي تتعرض لها الأوطان .

المرجع :

- إبراهيم عبد الفتاح طوقان : ديوان إبراهيم ، بيروت ١٩٥٥ .

إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن جماعة
(٧٠٨ - ٧٦٤ هـ)

(١٣٠٨ - ١٣٦٢ م) :

برهان الدين ، أبو إسحق ، ابن جماعة ، الكناني الشافعي . وهو حموي الأصل مقدسيّ الإقامة . اشتغل بالعلم ، وتبرأ على شيوخ عصره ، وسمع من شرف الدين أحمد بن هبة الله بن أحمد بن عساكر المتوفى سنة ٦٩٩ هـ / ١٢٩٩ م ، وغيره من العلماء .

توجه برهان الدين إلى مكة ، وسمع فيها من عز الدين بن أبي بكر بن خليل ، وتفرد عنه .

ذكر ابن حجر العسقلاني أن شيخه مجد الدين الفيروز أبادي حدّث عن برهان الدين بن جماعة ، وحدّث عنه غيره . وذكر أن العلائي خرّج له مشيخة . وروى عنه ولده إسماعيل ، والحسيني ، وابن سند ، وغيرهم .

كان الشيخ برهان الدين متصوفا ، وذكر أنه " كان يلبس الخرقة عن والده ، عن جده ، عن عمه أبي الفتح نصر الله بن جماعة ، عن محمد ابن الفرات ، عن أبي البيان ، وكان يقول : لا ألبسها من يحضر السماع " .

وكان منقطعاً ، ووصف بأنه كان زاهد وقته . جاور بالمساجد الثلاثة زمانا .

اشتغل الشيخ برهان الدين بن جماعة بالخطابة ، فقد ولي الخطابة في المسجد الأقصى * نيابة ، وخطب فيه زمانا

المراجع :

- ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، حيدر أباد ١٩٤٥ - ١٩٥٠ .
- مجير الدين الحنبلي : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، النجف ١٩٦٨ .
- عبد القادر النعيمي : الدارس في أخبار المدارس ، دمشق ١٣١٧ - ١٣٧٠ هـ .

إبراهيم بن عبد الرحيم بن جماعة (٧٢٥ - ٧٩٠ هـ)

(١٣٢٤ - ١٣٨٨ م) :

قاضي القضاة ، شيخ الإسلام ، برهان الدين ، أبو إسحق ، ابن جماعة الكناني ، الحموي ، المقدسي . ولد في مصر ، ونشأ فيها ، وتلقى العلم على جده ، وأهل طبقته . ذكر ابن العماد الحنبلي أن برهان الدين " أحضر على جده ، وسمع من أبيه وعمه ، وطلب بنفسه " ، وسمع من بعض الشيوخ في مصر .

توجه برهان الدين إلى الشام ، طالبا العلم ، فأخذ عن علمائها ولازم جمال الدين عبد الرحمن بن يوسف المزّي الدمشقي المتوفى سنة ٧٤٢ هـ / ١٣٤٠ م ، والذهبي ، ودرس الحديث والفقه والعربية وغيرها من العلوم ، وتفوق في دراسته .

اشتغل برهان الدين في الخطابة * ، وكان والده قد توفي في سنة ٧٣٩ هـ / ١٣٣٧ م ، وكتب خطابة القدس باسمه ، فباشرها غيره نيابة ، لصغر سنه ، ثم باشرها برهان الدين بنفسه ، وانقطع لذلك ببيت المقدس . ثم أضيف إليه التدريس بالمدرسة الصلاحية في بيت المقدس ، في سنة ٧٦١ هـ / ١٣٥٩ م ، وجمع بين الخطابة في المسجد الأقصى * ، والتدريس في المدرسة الصلاحية . روى أحمد ابن حجر العسقلاني * أن برهان الدين كان يقول : " ما وليت طالبا ولا معيدا ، وكل التدريس وليته بغير سؤال " ، واستمر برهان الدين يدرس بالمدرسة الصلاحية حتى سنة ٧٧٣ هـ / ١٣٧١ م . وكان برهان الدين مجيداً في تدريسه ، حسن الإلقاء .

وفي سنة ٧٧٣ هـ / ١٣٧١ م ، ولي برهان الدين القضاء في مصر ، وباشره بنزاهة ، وعفة ، ومهابة ، وحرمة . وبقي كذلك حتى سنة ٧٧٧ هـ / ١٣٧٥ م . وكان قد عزل نفسه ، فترضاه السلطان ، ثم عزل نفسه في هذا العام نفسه . وعاد إلى بيت المقدس ، وباشر الخطابة بالمسجد الأقصى ، والتدريس بالمدرسة الصلاحية .

وفي سنة ٧٨١ هـ / ١٣٧٩ م ، باشر برهان الدين القضاء بمصر ثانية ، ثم عزل نفسه في سنة ٧٨٤ هـ / ١٣٨٢ م ، وعاد إلى بيت المقدس ، وباشر التدريس والخطابة أيضاً .

وفي أواخر سنة ٧٨٥ هـ / ١٣٨٣ م ، ولي برهان الدين القضاء والخطابة في دمشق ، ثم أضيفت إليه مشيخة الشيوخ فيها ، في السنة التالية . واستمر كذلك إلى أن توفي فيها .

درّس برهان الدين العلوم الشرعية ، والعلوم اللغوية ، فقد درّس الفقه ، وحدّث ، وعني بالتفسير ، وجمع تفسيراً في عشر مجلدات كتبه بخطه كما يقول ابن حجر العسقلاني . وله مجاميع وفوائد كتبها بخطه .

وكان برهان الدين ذا مشاركة جيدة في العلوم ، وقد " انتهت إليه رياسة العلماء في زمانه " . ووصف بأنه " كبير طائفة الفقهاء ، وبقية رؤساء الزمان " . وكان يحب الحديث وأهله ، ويحب الآداب ، ويكثر البذل للشعراء . وكان مغرماً بالكتب واقتنائها ، فقد ذكر ابن حجر أنه " اقتنى من الكتب النفيسة ، بخطوط مصنفيها وغيرهم ، ما لم ينهأ لغيره " . وكان إلى جانب هذا كله ، يتحلّى بخلال حميدة ، فقد كان واسع الصدر ، كثير البذل ، صادعا بالحق ، عاملاً على قمع أهل الفساد . وذكر أنه هو الذي عمر المنبر الرخام بالصخرة الشريفة ، في بيت المقدس ، وكان قبل ذلك من خشب .

وله نظم روى قليلا منه ابن حجر العسقلاني

المراجع :

ـ ابن حجر العسقلاني : إنباء الغمر بأبناء العمر ، دمشق ٣٩٩ هـ .
ـ ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، حيدر آباد ١٩٤٥ ـ ١٩٥٠ .
ـ ابن تغري بردي : المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ، القاهرة ١٩٥٦ .
ـ مجير الدين الحنبلي : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، النجف ١٩٦٨ .
ـ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، القاهرة ١٩٣١ .
ـ عبد القادر النعيمي : الدارس في أخبار المدارس ، دمشق ١٣٦٧ ـ ١٣٧٠ هـ .

إبراهيم بن عثمان بن محمد الغزّي
(٤٤١ ـ ٥٢٤ هـ)
(٤٩ ـ ١٠ ـ ١١٢٩ م) :

أبو إسحق ، الكلبي ، الأشهبي الغزي . ونجعله بعض المصادر ابن عباس ، أو ابن عياش .

شاعر كبير ، ولد بغزة * ونشأ بها ، ثم سافر إلى دمشق ، وسمع من الفقيه نصر المقدسي سنة ٤٨١ هـ / ١٠٨٨ م . ورحل إلى بغداد ، وأقام بالمدرسة النظامية سنين كثيرة . ثم جاب البلاد وتغرّب في أقطار آسيا . وقد نزل خراسان ، ورثى ومدح غير واحد من مدرّسيها وأعيانها . كما زار كرمان ، ومدح وزيرها مكرم ابن العلاء . وزار أصفهان وخوزستان وغيرهما . وتوفي ما بين مرو وبلخ من بلاد خراسان ، ودفن في بلخ . ونقل عنه أنه كان يقول لمّا حضرته الوفاة : " أرجو أن يغفر لي ربي لثلاثة أشياء : كوني من بلد الإمام الشافعي ، وأني شيخ كبير ، وأني غريب " .

الغزي شاعر مجيد يعدّ في الفحول ، ومن أعظم من أنجبت فلسطين من الشعراء . وصفه ابن العماد الحنبلي بأنه : " شاعر العصر ، وحامل لواء القريض ، وشعره كثير سائر متنقل في بلد الجبال وخراسان " . وقال ابن عساكر عنه : " كان أحد فضلاء الدهر ، ومن يضرب به المثل في صناعة الشعر " . وقال ابن خلكان : " وله من القصائد المطولات كل بديع " . وقد استشهد علماء البلاغة بالكثير من شعره .

وشعر الغزي متعدد الأغراض جيد السبك ، وألفاظه منتقاة وصناعته متقنة . وممن تنبه له في العصر الحديث الشاعر محمود سامي البارودي فأورد له في مختاراته لفحول الشعراء ١,٠١٥ بيتاً . وله ديوان لم يحقق حتى الآن ، ومنه ، نسخة في الخزانة التيمورية فيها نحو ٥,٥٠٠ بيت . وهناك نسخة أخرى بدار الكتب المصرية (رقمها ١٢٢ في قسم الأدب) وكان لدى العلامة محمد بهجة الأثري ، والعلامة محمد راغب الطباخ نسخة من ديوانه المخطوط .

المراجع :

ـ ابن الجوزي : المنتظم ، حيدر آباد ١٣٥٨ هـ .
ـ العماد الأصفهاني : الخريدة (القسم العراقي) ، ج ١ ، بغداد ١٩٥٥ .
ـ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، القاهرة ١٣٥٠ هـ .
ـ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، بيروت ١٩٦٨ .
ـ ابن عساكر : التاريخ الكبير ، مجلد ٢ (روضة الشام) ، دمشق ١٣٣٠ هـ .
ـ محمد راغب الطباخ : ديوان الغزّي ، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، ١٩٤١ .

إبراهيم بن عمر الجعبري (٦٤٠ ـ ٧٣٢ هـ)
(١٢٤٢ ـ ١٣٣٢ م) :

الخليلي ، برهان الدين ، ابن السراج ، شيخ الخليل . شيخ القرّاء في زمانه . ولد بقلعة جعبر (على الفرات بين بالس والرقة) في حدود سنة ٦٤٠ هـ / ١٢٤٢ م ، فنسب اليها . نشأ وتعلم فيها ، وسمع من قاضيها جمال الدين محمد بن سالم المنبجي . ثم رحل إلى بغداد بعد سنة ٦٦٠ هـ / ١٢٦٢ م ، فسمع فيها من علمائها ، وأخذ عنهم ، وتلا بالقراءات السبع ، والقراءات العشر ، وروى الشاطبية بالإجازة . وقرأ الفقه على تاج الدين بن يونس الموصلي . ثم توجه إلى دمشق ، ونزل بالخانقاه السُّمَيساطية ، وأعاد بالغزالية ، وسمع من جماعة العلماء ، وباحث ، وناظر ، وأقام مدة في دمشق . ثم ولي مشيخة الحرم بالخليل ، وأقام فيها أربعين عاماً . وقد علا صيته وطارت شهرته فقصده طالبو العلم ، ورووا عنه ، ومنهم السبكي ، والذهبي . وقرأ عليه ثانيهما كتاب « نزهة

البررة في القراءات العشرة » . وسمع منه صلاح الدين الصفدي ، وغيرهم .

وصنف برهان الدين هذا مصنفات كثيرة ، معظمها مختصر ومخطوط ، أربت على المائة ، وهي في القراءات ، والحديث ، والفقه ، والأصول ، والعربية ، والتاريخ . ومنها ، « نزهة البررة في القراءات العشرة » ، و« عقود الجمان في تجويد القرآن » ، و« الاهتداء في الوقف والابتداء » ، و« حدود الإتقان في تجويد القرآن » ، و« كنز المعاني في شرح حرز الأماني » ، وهو شرح كبير للشاطبية ، و« تحفة أرباب المقاصد » ، وهو شرح لرائية الشاطبي في رسم المصحف ، و« رسوم التحديث في علوم الحديث » ، و« روضة الطرائف في رسم المصاحف » و« رسالة في أسماء الرواة المذكورين في الشاطبية » ، و« مناقب الشافعي » و« المناسك » ، و« مختصر منتهى السؤل والأمل في علمي الأصول والجدل » لابن الحاجب و« مختصر مقدمة ابن الحاجب في النحو » و« الإفهام والإصابة في مصطلح الكتابة » و« السبل الأحد إلى علم الخليل بن أحمد » ، و« الترصيع في علم البديع » ، وغيرها . وله شعر في ديوان طبع بمصر سنة ١٨٢٤ م . وذكر ابن حجر العسقلاني ، وابن شاكر الكتبي ، وابن تغري بردي والباقاني شيئاً منه .

توفي ودفن بظاهر الخليل .

المراجع :

ـ ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، حيدر آباد ١٩٤٥ ـ ١٩٥٠ .
ـ تاج الدين السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، القاهرة ١٣٢٤ هـ .
ـ ابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ، القاهرة ١٢٩٩ هـ .
ـ الصلاح الصفدي : الوافي بالوفيات ، الآستانة ١٩٣١ .
ـ ابن كثير : البداية والنهاية ، القاهرة ١٣٥١ ـ ١٣٥٨ هـ .
ـ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة ١٣٧٥هـ .
ـ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، القاهرة ١٩٣١ .
ـ جلال الدين السيوطي : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، القاهرة ١٣٢٦ هـ .
ـ مجير الدين الحنبلي : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، القاهرة ١٢٨٣ هـ .
ـ ابن تغري بردي : المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ، القاهرة ١٩٥٦ .
ـ حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، القاهرة ١٩٣٩ .

أبو إبراهيم الكبير : ر : خليل محمد عيسى

إبراهيم لاما : ر : بدر لاما

إبراهيم بن محمد بن أبي بكر بن علي

(٨٣٦ ـ ٩٢٣ هـ)

(١٤٣٢ ـ ١٥١٧ م) :

شيخ الإسلام برهان الدين أبو إسحق ، ابن أبي شريف المري ، المقدسي ، المصري ، الشافعي .

الإمام ، العلاّمة ، قاضي قضاة الشافعية في مصر . ولد في القدس * ونشأ بها ، ودرس على أخيه الكمال وحفظ القرآن وهو ابن سبع ، ولازم سراج الدين الرومي ويعقوب الرومي ، والتقى القلقشندي من شيوخ بيت المقدس . ثم انتقل إلى القاهرة فقرأ على عدد من شيوخها ، منهم جلال الدين المحلي وشيخ الإسلام ابن حجر وعلم الدين البلقيني والونيحي والأشبهي وأبي الفضل المغربي وسعد الديري . وفي سنة ٨٥٣هـ / ١٤٤٩م أدّى فريضة الحج ، وسمع من مشايخ مكة والمدينة ، وأذنوا له بالإفتاء والإقراء .

بقي برهان الدين في القاهرة ، واستقر فيها طوال حياته . وتولى المناصب الجليلة ، من بينها تدريس التفسير في جامع ابن طولون ، والتدريس في عدة مدارس ، منها الزهرية والمؤيدية والحجازية . وفي سنة ٩٠٦ هـ فوّض إليه قضاء مصر ، فبقي فيه أربع سنوات . ثم ولاّه السلطان الغوري مشيخة قبته الغورية ، واستمر في المشيخة سنوات ، إلى ان عرضت حادثة وقف فيها بشجاعة يعارض رأي السلطان ، فعزل ولزم بيته لا يتردد على أحد من الولاة أبداً ، والناس يقصدونه للأخذ عنه والاشتغال عليه في العلوم العقلية والنقلية . وصار عالم مصر ، وعليه المدار في الفتيا . وكان يتقرّب من معبنة له بالقدس ، ولا يأكل من معاليم مشيخة الإسلام شيئاً .

وضع شيخ الإسلام برهان الدين كثيراً من المصنفات ، منها « شرح قواعد الإعراب » لابن هشام ، و« منظومة في القراءات » ، و« نظم النخبة » ، و« شرح المنهاج » ، و« شرح الحاوي » ، وكتاب في « الآيات التي فيها الناسخ والمنسوخ » ، وغير ذلك كثير ، نظماً ونثراً .

وكانت وفاته في القاهرة ، ودفن بجوار ضريح الإمام الشافعي .

المراجع :

ـ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، القاهرة ١٣٥١ هـ .
ـ مجير الدين الحنبلي : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، عمان ١٩٧٣ .
ـ السخاوي : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، القاهرة ١٣٥٣ هـ .

ـ جلال الدين السيوطي : نظم العقيان في أعيان الأعيان ، نيويورك ١٩٢٧ .
ـ محمد بن علي الشوكاني : البدر الطالع بمحاسن مَنْ بعد القرن السابع ، القاهرة ١٣٢٨ هـ .
ـ نجم الدين الغزي : الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة ، بيروت ١٩٤٥ .

إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن مفلح

(٨١٦ ـ ٨٨٤ هـ)

(١٤١٣ ـ ١٤٧٩ م) :

القاضي برهان الدين المقدسي ، ثم الصالحي الحنبلي .

من كبار علماء الحنبلية وقضائهم ، وعلم بارز من أسرة بني مفلح ، بيت الرياسة والعلم في الشام ، الذين وردوا في الأصل من قرية رامين ، بين نابلس * وطولكرم * ، ونزلوا الصالحية بدمشق . ويعرف كأسلافه بابن مفلح ، وهم جميعاً يعرفون بالمقادسة .

ولد بدمشق ، ونشأ بها . فحفظ القرآن وكتبا منها « المقنع في المذاهب » ، وألفية بن مالك ، والشاطبية والرّائية . وسمع على جماعة من العلماء منهم فقيه الشافعية تقي الدين الأسدي الشهير بابن قاضي شهبة ، وقاضي الحنابلة عز الدين البغدادي ، وروى عن جماعة . وبرع في الفقه وأصوله ، وانتفع به الفضلاء . وقد عمل في التدريس والقضاء والتأليف ، فدرّس بمدرسة الشيخ أبي عمر بالصالحية شرقي دير الحنابلة ، ودار الحديث الأشرفية بسفح قاسيون ، والحنبلية والمُسمارية في محلة القيمرية ، والجوزية بالقرب من الجامع الأموي ، والجامع المظفري أو جامع الحنابلة بسفح قاسيون في حي الأكراد . وولي قضاء دمشق غير مرة ، فقام بمهامه خير قيام . وطلب لقضاء مصر فاعتذر . وانتهت إليه رياسة الحنابلة ، وصار مرجع الفقهاء والناس والمعوّل عليه في الأمور .

اشتغل بالتأليف فوضع مصنفات في الفقه والأصول والطبقات منها : شرح المقنع في الفقه الحنبلي وسماه « المبدع » ، و« الآداب الشرعية لمصالح الرعية » في مجلدين ، و« المقصد لأرشد في ترجمة أصحاب الإمام أحمد » في طبقات الحنابلة ، وهو مرتب على حروف المعجم . وله كتاب في الأصول .

توفي القاضي برهان الدين بمنزله بدار الحديث الأشرفية بدمشق ، وحضر جنازته نائب الشام وخلق كثير ، ودفن بالروضة في الصالحية ، عند أبيه وأجداده .

المراجع :

ـ إسماعيل الباباني البغدادي : إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ، حيدر آباد الدكن ، ١٩٤٥م .
ـ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، القاهرة ١٩٣١
ـ السخاوي : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، القاهرة ١٣٥٣ .
ـ عبد القادر النعيمي : الدارس في تاريخ المدارس ، دمشق ١٩٥١ .

إبراهيم بن محمد بن محمد بن جماعة

(٨٠٥ ـ ٨٧٢ هـ)

(١٤٠٢ ـ ١٤٦٧ م) :

قاضي القضاة برهان الدين ، أبو إسحق ، ابن جماعة الكناني ، الشافعي ، المقدسي . ولد في بيت المقدس ، ونشأ فيه ، وأخذ عن العلماء فيه ، وقرأ على مشايخ عصره . وذكر السخاوي أنه حفظ القرآن ، وسمع صحيح مسلم على جده لأمه ، وحصل على الإجازة ، وقد استجيز ببعض الاستدعاءات ، كما ذكر السخاوي .

اشتغل برهان الدين بالخطابة * ، والتدريس ، والقضاء * . فقد ولي الخطابة في المسجد الأقصى * نيابة عن والده . وذكر أنه كان « يخطب من إنشائه بفصاحة لفظ ، وصوت عال صقيل » . وكان يلقب بخطيب الخطباء .

وولي التدريس بالمدرسة الدوادارية في بيت المقدس . وولي القضاء نيابة عن والده ، ثم وليه استقلالاً بعد وفاة القاضي علاء الدين بن السائح ، في عهد الملك الأشرف إينال ، وكان ذلك في السادس عشر من شهر شعبان سنة ٨٥٧هـ / ١٤٥٢م . وباشر القضاء « بشهامة ، وحرمة زائدة ، وحشمة وافرة » .

حظي برهان الدين بمكانة مرموقة ، وعلت كلمته ، ونفذ أمره . واستمر مشتغلاً بالقضاء وغيره ، في بيت المقدس ، إلى ان توفي ، ودفن في تربة ماملا .

المراجع :

ـ ابن حجر العسقلاني : إنباء الغمر بأبناء العمر ، دمشق ١٣٩٩هـ .
ـ السخاوي : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، القاهرة ١٣٥٣ ـ ١٣٥٥هـ .
ـ مجير الدين الحنبلي : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، النجف ١٩٦٨م .

إبراهيم بن محمد بن مفلح الراميني

(٧٤٩ ـ ٨٠٣ هـ)

(١٣٤٨ ـ ١٤٠٠ م) :

برهان الدين ، أو تقي الدين ، أبو إسحاق ، الراميي الأصل ، المقدسي ، ثم الدمشقي .

إمام علاّمة ، فقيه ، رئيس الحنابلة بدمشق وقاضي قضاتهم . وهو من بني مفلح الحنابلة الشهورين بالعلم الذين نزحوا إلى الصالحية من قرية رامين قرب نابلس * . أخذ عن جماعة من العلماء ، منهم والده وجدّه قاضي القضاة جمال الدين المرداوي . وقرأ على بهاء الدين السبكي . ثم اشتغل بالعلم والفتوى والتدريس والتأليف والمناظرة ، فشاع اسمه واشتهر ذكره ، وأخذ عنه جماعة منهم ابن حجر العسقلاني * . وقد تسلم طائفة من المناصب العلمية ، منها التدريس بدار الحديث الأشرفية ومدرسة الصاحبة وغيرهما ، كما تولى قضاء دمشق نيابة ، ثم استقلالاً . وانتهت إليه في آخر عمره مشيخة الحنابلة . وكان له « ميعاد » بمحراب الحنابلة بالجامع الأموي بكرة يوم السبت (الميعاد : التدريس غير المتواصل ، أي مرة أو مرتين في الأسبوع) . ولما جاء تيمورلنك بقي في دمشق ، وكان من ضمن الوفد الذي خرج للقاء تيمورلنك ظاهر دمشق . ويظهر أنه تحادث مع الزعيم التتري بشأن الصلح ، فأجابه إلى ذلك ، ثم غدر تيمورلنك ، فألم ابنُ مفلح ، وحصل له تشويش في بدنه إلى أن توفي ودفن عند رجلي والده بالروضة بدمشق .

صنّف الإمام ابن مفلح كتباً كثيرة منها : « فضل الصلاة على النبي ﷺ » ، و « كتاب الملائكة » ، و « شرح المقنع » . وقد تلف معظمها عندما اجتاح تيمورلنك دمشق . وله أيضاً « الذيل على طبقات الحنبلية للفرّاء » ، وقد احترق غالبه .

المراجع :

ـ إسماعيل الباباني البغدادي : إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ، حيدر آباد الدكن ١٩٤٥ .
ـ حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، حيدر آباد ١٩٤٣
ـ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، مصر ١٣٥١هـ .
ـ محمد بن علي ابن طولون : القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية ، دمشق ١٩٤١ .
ـ عبد القادر النعيمي : الدارس في تاريخ المدارس ، دمشق ١٩٥١ .

إبراهيم مصطفى الدباغ (١٨٨٠ ـ ١٩٤٦) :

شاعر ، صحافي ، ولد في مدينة يافا * ، ودرس في كتاتيبها ، ثم اشتغل خياطاً وحداداً . ولقي عبد الله نديم خطيب الثورة العرابيّة عندما نفي إلى يافا سنة ١٨٩٢ ، فشجعه على الدرس ، فانتسب إلى الأزهر ، وقضى فيه عشر سنوات حصل في نهايتها على شهادة العالمية . وفي القاهرة أصبح له أصدقاء ومعارف من مختلف الطبقات : من رجال السياسة والحكم والأحزاب ، ومن الصحفيين والشعراء والكتّاب . وكان من أساتذته الشيخ محمد عبده ، وسيد علي المرصفي ، والشيخ محمد المهدي ، والشيخ حسن الطويل . ومن أدباء المنفلوطي ، وأحمد نسيم ، وعبد العزيز جاويش ، وولي الدين يكن ، وأحمد محرم . والتحق بندوات عبد الخالق السادات والبارودي وآل تيمور وشيرين . ووصفه صديقه أحمد تيمور بقوله : " كان ذلق اللسان ، عذب الكلام ، فكه الروح . كان آية عصره في قوة الذاكرة وحضور البديهة وسعة الاطلاع " .

أخذ الدباغ ينظم الشعر وهو في الثالثة عشرة من عمره وقد أسعفته ذاكرته على حفظ ما نظمه فحول الشعراء القدامى والمحدثين ، فجاء شعره فيما بعد « ناصع الديباجة محكم النسج » . وقد أجمع الشعراء والنقاد وذوو البصر بالأدب على امتداح شاعرية الدباغ ، حتى قال أحدهم : " امتاز شعر الدباغ بالقوة ثم بالعاطفة في أبهى وجوهها " . وقال آخر : " إنه شاعر الإنشائية" . وقال ثالث : " كان شاعراً عصريّ المعاني والموضوعات ، تجيش نفسه بما يدور حوله من أحداث سياسية وحوادث اجتماعية ، فيستمد منها الوحي ، ولذا جاء شعره كثير المناحي متعدّد الجوانب " .

عمل الدباغ في الصحافة * فترأس تحرير عدد من الجرائد والصحف ، مثل : « العهد القديم » و « التمثيل والمسرح » و « القاهرة » ، وأنشأ مجلة « الإنسانية » من ١٩٠٣ ـ ١٩١١ . انضم إلى الحزب الوطني ، وتوثقت صلته بزعمائه ، وقد عرف عنه عشقه للحرية ، وتمسكه بكبريائه . ولم ينس بلده في شعره فندّد بالهجرة الصهيونية وحذّر من الأطماع اليهودية .

توفي الدباغ في القاهرة أعمى فقيراً بعد أن عانى المرض طويلاً . ومن آثاره :

١) ديوان « الطليعة » : وهو جزءان ، نشرهما سنتي ١٩٢٦ و ١٩٣٨ ، وضمنهما قصائده الوطنية عن مصر وفلسطين . وقد مدح في أكثرها شيوخه في الأزهر ، وقصائد أخرى هنّأ فيها السلطان عبد الحميد بن عبد المجيد * وخديوي مصر (مطبوع) .

٢) حديث الصومعة : رسائل في الأدب والفكاهة والنقد (مطبوع) .

٣) في ظلال الحرية : رسائل ومقالات في الأدب والنقد والتاريخ والسياسة والاجتماع .

٤) شهد وعلقم : مقالات وقصائد منوعة .

٥) الشعراء قديماً وحديثاً في الميزان .

٦) تاريخ الحرية والعالم .

٧) رسالة في التصوف وأبي العلاء .

٨) أربعة دواوين شعرية تشمل شعر الصبا .
وقد فقدت الكتب الخمسة الأخيرة .

المراجع :

ـ ناصر الدين الأسد : محاضرات في الشعر الحديث في فلسطين والأردن ، القاهرة ١٩٦٠ ـ ١٩٦١ .
ـ يعقوب العودات : من أعلام الفكر والأدب في فلسطين ، عمان ١٩٧٦ .

إبعـــاد : ر : النفي والإبعاد من فلسطين (سياسة ـ)

الأبقـــار : ر : الحيوانات الأليفة

أبلعـــام : ر : بلعام

أبنـاء البلد (حركة ـ) :

شكل بروز حركة المقاومة الفلسطينية كحركة تحرر وطني ، انعطافاً تاريخياً هاماً في مسيرة النضال العربي عامة ، والفلسطيني خاصة ، وترافق ذلك مع هزيمة الخامس من حزيران ١٩٦٧ (ر : حرب ١٩٦٧) ونتائجها والمعطيات التي أفرزتها على الساحة العربية مما كان له انعكاساته على الشعب الفلسطيني في الأرض المحتلة سنة ١٩٤٨ ، إضافة إلى الحالة الاجتماعية والاقتصادية السيئة التي يعاني منها في ظل الاحتلال الصهيوني وممارساته العنصرية ، ومحاولاته المستمرة لإذابة الشخصية الفلسطينية .

وأدت هذه العوامل مجتمعة إلى بروز الوعي الوطني الذي عبرت عنه حركة أبناء البلد . وقد بدأت الحركة نشاطها في بلدة أم الفحم * ، من قضاء جنين سنة ١٩٧٢ بهدف تعبئة وتنظيم الشباب الفلسطيني في الأراضي المحتلة سنة ١٩٤٨ ، من خلال تنظيم وطني يقود النضال الفلسطيني في مواجهة الاحتلال الصهيوني .

كان عام ١٩٧٥ نقطة مهمة في مسيرة الحركة ، فقد وجدت في الحركة الطلابية الفلسطينية في الجامعات الإسرائيلية حليفاً طبيعياً لها ، ولا سيما في الجامعة العبرية بالقدس التي يدرس بها أكثر من ٥٠٠ طالب فلسطيني، إضافة إلى ١,٥٠٠ طالب فلسطيني في الجامعات الخمس الأخرى ، مما عزز نضال الحركة وأوجد لها قاعدة شعبية واسعة ، وأصبح الكثيرون من فلسطيني الداخل مستعدين للانضواء تحت لوائها .

وامتد نشاط الحركة إلى القرى الأخرى في المثلث والجليل حيث نشطت في قرى عديدة منها : كابول وسخنين وكفر كنا " ونحف والطيبة " وعارة وجت . واستطاعت الحركة ايصال أحد أعضائها إلى عضوية المجلس المحلي لأم الفحم سنة ١٩٧٤ ، وإنجاح مرشحها لرئاسة المجلس المحلي في قرية كابول .

ومع تطور حركة أبناء البلد ، وتكثيف نضالها وامتداده ، تم وضع نظام داخلي لها سنة ١٩٧٦ تحددت بموجبه مؤسساتها التنظيمية ، وهي :

١) المؤتمر العام : وهو أعلى سلطة للحركة ، وقراراته ملزمة للأعضاء والهيئات ، ويعقد مرة كل سنة ، إلاّ إذا دعت الضرورة إلى عقده ، ومهمته تقرير الخط العام للحركة بين مؤتمر وآخر .

٢) الهيئة الإدارية : وتتألف من خمسة أعضاء ينتخبهم المؤتمر العام . وهي التي تدير وتوجه نشاط الحركة بين فترات انعقاد المؤتمر العام ، وتعين لها لجاناً فرعية .

٣) لجنة الرقابة : مهمتها مراقبة جميع مؤسسات الحركة وأعضائها ضمن الصلاحيات المنوطة بها .

٤) لجنة المالية : وتتولى جمع اشتراكات الأعضاء الشهرية ، وتنظيم الحملات والتبرعات المالية . وإلى أن تتم إقامة هذه المؤسسات ، شكلت الحركة " لجنة التنسيق " كمرحلة انتقالية .

وتعتمد حركة أبناء البلد من حيث تنظيم أعضائها على خلايا تقام في التجمعات السكنية والجامعات ، وخلايا للأشبال والزهرات والفتيات . ويتعرض أعضاء الحركة إلى ملاحقة واضطهاد السلطات الصهيونية واعتقالهم .

وفي بداية سنة ١٩٧٩ قدمت حركة أبناء البلد في قرية أم الفحم مشروع برنامج سياسي عرضته على لجنة التنسيق ليكون برنامجاً سياسياً " للحركة الوطنية التقدمية في البلاد " التي تشكل " أبناء البلد " عمودها الفقري . ويتكون البرنامج من سبعة أبواب يضم كل منها عدة بنود :

يتناول الباب الأول قضية الشعب العربي الفلسطيني منذ بداية نضاله ضد الانتداب البريطاني والاستيطان الصهيوني ، مؤكداً وحدة الشعب العربي الفلسطيني ، وأن الحركة جزء لا يتجزأ من هذا الشعب ، وأن أي حل للقضية الفلسطينية يجب أن يأخذ بعين الاعتبار العرب الفلسطينيين الباقين في أرضهم منذ عام ١٩٤٨ . وترى الحركة أنه لا بد من أن يمارس الشعب العربي الفلسطيني حقه

في تقرير مصيره بنفسه على أرض وطنه . وتؤمن بأن منظمة التحرير الفلسطينية * هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب العربي الفلسطيني .

ويتحدث الباب الثاني عن الصهيونية * وممارساتها الاستيطانية في فلسطين ، ويبين أن الصهيونية حركة استيطانية استعمارية عنصرية ترمي إلى بناء وجودها على أنقاض الشعب الفلسطيني ، وهي مرتبطة مصيرياً بالاستعمار العالمي ، فالصهيونية وأداتها (إسرائيل) عدوتان للشعب الفلسطيني والأمة العربية .

ويتطرق الباب الثالث إلى المسألة اليهودية . وتقترح الحركة على الشعب العربي الفلسطيني وعلى اليهود في البلاد أن يمارسوا حقهم في تقرير المصير في إطار مجتمع علماني ديمقراطي اشتراكي ، وفي نطاق وحدوي تقدمي مع الوطن العربي تضمن فيه جميع الحقوق القومية والدينية والحضارية لمختلف الأقليات القومية والدينية .

وتحدد الحركة في الباب الرابع نضال الجماهير الفلسطينية التي تعيش تحت الاحتلال الصهيوني منذ ١٩٤٨ ، وتراه جزءاً من نضال الشعب العربي الفلسطيني ومن حركة التحرر الوطني والقومي العالمية ضد الاستعمار والرجعية .

وتتبنى الحركة في الباب الخامس الاشتراكية العلمية حل المسألة الاقتصادية والاجتماعية ، مع الأخذ بعين الاعتبار الخصائص والظروف الموضوعية التي يعيشها الشعب العربي الفلسطيني والأمة العربية . وتؤكد أن النضال في الأساس تحرري وطني بناء على المرحلة التاريخية التي يمر بها الشعب العربي الفلسطيني .

ويتطرق الباب السادس إلى النضالات اليومية للجماهير الفلسطينية مصوراً مظاهر التمييز العنصري والقهر القومي الذي تمارسه سلطات الاحتلال الصهيوني ضد جماهير الشعب العربي الفلسطيني .

وتتحدث الحركة في الباب السابع عن أسلوب نضالها ، وتقرر أنه نضال سياسي واجتماعي وتربوي وحضاري يهدف إلى تنظيم وتعبئة الجماهير لأجل تحقيق أهداف الحركة .

وترفض الحركة جميع التسويات السياسية ، الجزئية منها والشاملة وخاصة قراري مجلس الأمن رقم ٢٤٢ و٣٣٨ (ر : حرب ١٩٧٣) ، انطلاقاً من إيمانها بعدم إمكانية استرجاع حقوق الشعب الفلسطيني القومية عن طريق الجهود السياسية .

المراجع :

ـ محمود محارب : حركة أبناء البلد في فلسطين المحتلة ، مجلة الدستور ، العددان ٤٣٦ و٤٤١ ، ١٩٧٩ .

ـ مجلة آفاق عربية : السنة الرابعة ، العدد ١٢ ، آب ١٩٧٩ ، بغداد .

ـ مجلة الهدف : الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، الأعداد : ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٧ ، ٤٣٠ ، ٤٣٤ ، ٤٣٩ ، لعام ١٩٧٩ ، بيروت .

أبناء موسى (جمعية ـ) : ر : أحباء صهيون

ابن عامر (مرج ـ) : ر : مرج ابن عامر (سهل ـ)

ابن هنّوم (وادي ـ) :

يقع هذا الوادي في الجنوب والغرب من مدينة القدس * . ورد في التوراة * باسم وادي هنوم (يش ١٥ : ٨ ونح ١١ : ٣٠) ووادي ابن هنوم (يش ١٥ : ٨ ونح ١٨ : ١٦) ، ووادي بني هنوم (٢مل ٢٣ : ١٠) . وهو واد ينحدر من باب الخليل إلى البئر المسماة بئر أيوب ، ويفصل جبل صهيون عن تل أبي ثور . ويسمى الجزء الجنوبي الشرقي منه ثوفة ، أو وادي القتل . ويسمى اليوم وادي ربابة . يلتقي وادي هنوم مع وادي قدرون في جنوب القدس ، وبذلك يحيط هو ووادي قدرون بالمدينة من الجهات الثلاث ، الشرق والغرب والجنوب (ر : النار ، وادي) .

أجاز آحاز ومنسى أولادهما في هذا الوادي بالنار على عادة أهل كنعان . وهذا يدل على أن اليهود ، أثناء إقامتهم بفلسطين ، عبدوا الآلهة الكنعانية ، آلهة البلاد الأصليين ، وعندما انحرف اليهود عن ديانتهم ، وتبعوا ديانة الكنعانيين ، جاء يوشيا وأبطل هذه العبادة بتنجيسه الوادي والمرتفعات بعظام الأموات وأشياء أخرى دنسة ، وبتكسيره التماثيل ، ثم صار منغوطا تصبّ إليه مجاري البلد ، ومرمى كناساتها . وبالنظر إلى ما تنجس به هذا الوادي بالنيران المستعملة لإحراق الكناسات والأوساخ سماه اليهود وادي جهنم ، وجعلوه علماً لموضع عذاب الخطاة والنار الأبدية ، وبهذا المعنى وردت لفظة جهنم في العهد الجديد ، (مت ٥ : ٢٢ و١٠ : ٢٨ و٢٣ : ١٥) .

المراجع :

ـ أحمد سوسة : العرب واليهود في التاريخ ، دمشق ١٩٧٣ .

ـ جورج بوست : قاموس الكتاب المقدس ، بيروت ١٩٧١ .

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٩ ق ٢ ، بيروت ١٩٧٥ .

أبو زُرَيق (قرية ـ) :

قرية عربية أخذ اسمها من اسم الطائر المعروف . تقع على بعد ٢٣ كم جنوبي شرق حيفا * . وتمر بشوقها طريق حيفا ـ جنين ، وتربطها بها طريق غير معبدة طولها نصف كيلومتر .

أنشئت أبو زريق على السفح الشمالي الشرقي لجبل الكرمل * ، على ارتفاع ١٢٠ م فوق سطح البحر ، ويمر بشمالها الشرقي نهر المقطع * على بعد ٣ كم ، في حين يمر وادي القصب ، رافد نهر المقطع ، بجنوبها على بعد بقل عن الكيلومتر . ومن شرقها يبدأ وادي الجنب الذي يتحد مع الوادي الذي تجري به مياه عيون البقر وعين المجربة ليكوّنا معاً وادي أبو زريق رافد نهر المقطع . وللقرية ينابيع عدة منها ، عين المجربة في حافة مرج ابن عامر إلى الشمال من القرية ، وعيون البراك في شمالها الشرقي ، وعيون البقر ، وعين الجنب في شرقها . وأما بئر أبو زريق التي تشرب منها القرية فهي بئر كفرية (رومانية) تقع في شرق القرية على بعد قرابة ربع كيلومتر ، قرب طريق حيفا ـ جنين .

كانت منازل القرية تنتشر متباعدة ، بامتداد عام من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي ، فوق حافة جبل الكرمل المطلة على مرج ابن عامر * ، ويتفق هذا مع توزع الملكيات الزراعية . وقد بنيت مساكن القرية من الحجارة والإسمنت ، أو الحجارة والطين ، أو الإسمنت المسلح ، وسقف قسم منها بالأخشاب والقش والطين . وفي عام ١٩٤٥ كانت مساحة أراضي القرية ٦,٤٩٣ دونماً لا يملك الصهيونيون منها شيئاً . ويقع نصف هذه المساحة تقريباً في جبل الكرمل ، ويقع الباقي في مرج ابن عامر .

عاش في أبو زريق ٤٠٦ نسمات من العرب في عام ١٩٣٨ ، ارتفع عددهم إلى ٥٥٠ نسمة في عام ١٩٤٥ وكان في القرية جامع ومدرسة ابتدائية للبنين يدرس بها أيضاً أطفال قرية أبو شوشة المجاورة .

اعتمد اقتصاد القرية على الزراعة * وتربية المواشي . وأهم المزروعات الحبوب *بأنواعها. وفي موسم ١٩٤٣/٤٢ كان فيها ١٠٠ دونم مزروعة زيتوناً * مثمراً . وزرعت أنواع أخرى من الأشجار المثمرة في مساحات صغيرة ، وزرع البرتقال في دونم واحد فقط . وتركزت بساتين الأشجار المثمرة في شمال شرق القرية وفي جنوبها . وقد زرعت الخضر * ريًا في مساحات قليلة .

شرد الصهيونيون سكان القرية العرب ، ودمروها في عام ١٩٤٨ .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٧ ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤ .
ـ خارطة فلسطين : مقياس ١ : ٢٥,٠٠٠ ، لوحة مجدو .
ـ خارطة فلسطين : مقياس ١: ٥٠,٠٠٠ ، لوحة مجدو .

أبو زينة (قرية ـ) : ر : خربة أبو زينة (قرية ـ)

أبو شوشة (قرية ـ) :

يوجد في فلسطين عدد من القرى بهذا الإسم منها :

أ ـ أبو شوشة / قضاء الرملة : قرية عربية تقع على بعد نحو ٨ كم إلى الجنوب الشرقي من مدينة الرملة * . لموقعها الجغرافي منذ القديم أهمية كبيرة من الناحيتين التجارية والعسكرية ، لأن القرية كانت واقعة على الطريق القديم بين المنطقة الجبلية والسهل الساحلي ، ولأنها نشأت فوق تل الجزر ذي الأهمية الاستراتيجية .

قامت أبو شوشة على بقعة مدينة جازر الفلسطينية التي تعود بتاريخها إلى العصر الحجري الحديث (ر : العصور القديمة) . وفي العهد الروماني ذكرت باسم « جازار » من أعمال عمواس ، وذكرتها مصادر الإفرنج باسم « مونت جيزارد » ، أي جبل جيزارد . وقد يكون اسمها تحريفاً لكلمة « شوشا » السريانية بمعنى السائس . ويرتفع موضعها الذي قامت عليه أكثر من ٢٠٠ م فوق سطح البحر ، وقمتها المحيطة بها ذات أراض متموجة تقترب من أقدام المرتفعات الجبلية ، لوجودها في القسم الطرف الشرقي للسهل الساحلي .

بلغت مساحة القرية ٢٤ دونماً ، وكانت بيوتها المندمجة تتألف من الطوب واللبن والحجر . وقد صممت القرية مسجداً وبعض الحوانيت ، ومدرسة ابتدائية صغيرة بلغ عدد طلابها في عام ١٩٤٧ نحو ٣٣ طالبا وتحيط بها آثار كثيرة إلى جانب الآثار الموجودة داخل القرية نفسها . وتشتمل هذه الآثار على الآبار والقاعات والقبور المنقورة في الصخر والأبنية والمغاور (ر : الخرب والأماكن الأثرية) . وتتوافر

المياه الجوفية في المنطقة المحيطة بالقرية ، وبخاصة مياه الآبار . أما الأمطار فإنها تهطل بكميات كافية لزراعة المحاصيل الزراعية ولنمو الأعشاب الطبيعية الصالحة للرعي .

بلغت مساحة أراضي أبو شوشة ٩,٤٢٥ دونماً ، منها ١٩٢ دونماً للطرق والأودية ، و ٦,٣٣٧ دونماً تسربت إلى الصهيونيين الذين أنشأوا في ١٩٤٥/٣/١٣ مستعمرة « جزره » ظاهر تل الجزر الشمالي . وأهم زراعات أبو شوشة الحبوب * والأشجار المثمرة ، وبخاصة الزيتون * .

بلغ عدد سكانها عام ١٩٢٢ نحو ٦٠٣ نسمات ، زاد عددهم إلى ٦٢٧ نسمة عام ١٩٣١ ، وإلى ٨٧٠ نسمة عام ١٩٤٥ . وكان معظم سكانها يعملون في الزراعة * وتربية المواشي . وفي عام ١٩٤٨ قام الصهيونيون بطرد هؤلاء السكان العرب وتدمير قريتهم التي أصبحت أثراً تاريخياً . وقد أنشأوا في عام ١٩٥٢ مستعمرة « بتاحيا » في ظاهر أبو شوشة الجنوبي الغربي ، وأنشأوا في عام ١٩٥٥ مستعمرة « بيت عزيل » في ظاهر أبو شوشة الغربي .

ب ـ أبو شوشة / قضاء طبرية : قرية عربية تقع إلى الشمال الغربي من مدينة طبرية * . وتبعد قليلا عن ساحل بحيرة طبرية * الغربي . تربطها طريق ثانوية بطريق طبرية ـ صفد الرئيسة ، وتتفرع منها عدة دروب ترابية ، يصلها أحدها بقرية ياقوق * . وتصلها الطريق الرئيسة المذكورة بقرية الطابغة * .

نشأت أبو شوشة في غور أبو شوشة ، وهو سهل انهدامي ـ غوري يمتد إلى الجنوب من سهل الشوبر . وتنخفض القرية ١٧٥ م عن سطح البحر ، ويمرّ بالقرب منها وادي الربضيّة من الجهة الجنوبية ، في حين يخترق وادي العمود * الجزء الشمالي من القرية . وقد أقيمت أبو شوشة عند بداية منحوط انصباب (مروحة فيضية) شكّله وادي الربضية أسفل الحافة الغربية لغور أبو شوشة حيث تبدأ التلال بالارتفاع التدريجي نحو الغرب .

وتوجد بعض ينابيع الماء في القرية تزوّد سكانها بمياه الشرب ، كذلك توجد ينابيع أخرى قريبة من شاطىء بحيرة طبريّة .

مساحة القرية ستة دونمات ، ومساحة الأراضي التابعة للقرية ١١,٠٩٨ دونما ، منها ٥٠ دونما للطرق والأودية . وغرس البرتقال في ٢٠٠ دونم منها . وقد أقيمت مزارع البرتقال حول القرية في الجهات الغربية والشمالية والجنوبية ، وامتدت بساتين الخضر * في الجهة الشرقية . وتحيط بأراضي أبو شوشة أراضي الطابغة وياقوق والقديرية * والغار * والمجدل * .

بلغ عدد سكان أبو شوشة في عام ١٩٤٥ قرابة ١,٢٤٠ نسمة . وقد أخرجهم الصهيونيون من ديارهم في عام ١٩٤٨ ، وأقاموا مستعمرة « جينوسار » على الشاطىء الغربي لبحيرة طبرية ، أمام قرية أبو شوشة ، وعلى بعد كيلومترين إلى الشمال من المجدل .

جـ ـ أبو شوشة / قضاء حيفا : قرية عربية تقع على بعد ٢٥ كم جنوب شرق حيفا * ، وتمر طريق حيفا ـ جنين المعبدة بشمال القرية الشرقي ، وترتبط بها بطرين غير معبدة طولها نصف كيلومتر .

أنشئت أبو شوشة على السفح الشمالي الشرقي لجبل الكرمل * ، وهي بذلك تطل على مرج ابن عامر * ، وترتفع ١٢٥ م عن سطح البحر . يمر نهر المقطّع * بشمالها على بعد ٤ كم تقريبا ، وهو الحد الشمالي لأراضيها . ومن الأودية الأخرى التي تبدأ من أراضي القرية أو تمر بها وادي عين التينة الذي ينتهي في نهر المقطع ، ووادي القصب الذي يمر بغربها ثم يتجه نحو الشمال الشرقي ليرفد نهر المقطع ، وهو الحد الفاصل بين أراضيها وأراضي قرية أبو زريق * الواقعة في شمالها الغربي ، وأخيرا وادي أبو شوشة ، ويبدأ من جنوب غرب القرية ، ويتجه نحو الشمال الشرقي ماراً بشرقيها مباشرة ، ثم تنتهي مياهه في نهر المنطع .

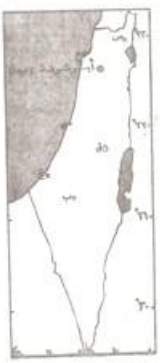

تشتهر القرية بكثرة ينابيعها ، ففي شمالها تقع عين التينة التي اعتمد عليها السكان في الشرب والأغراض المنزلية ، وعين الصّنع وعيون وادي القصب ، وفي جنوبها توجد عين أبو شوشة ، وفي جنوبها الغربي توجد عين الكرع ، وبير بيت داس ، وأخيراً في غربها توجد عين الباشا ، وعين زهية (زَ : عيون الماء) .

وأبو شوشة من القرى المبشرة المخطط ، وتتأثر مساكنها على امتداد سفح جبل الكرمل تبعا للملكيات الزراعية . وفي عام ١٩٣١ كان فيها ١٥٥ مسكنا بنيت من الحجارة والإسمنت ، أو الحجارة والطين ، أو الإسمنت المسلح ، وسقف بعضها بالأخشاب والقش والطين . وفي عام ١٩٤٥ كانت مساحة أراضي القرية ٨,٩٦٠ دونماً لا يملك الصهيونيون منها شيئا . وتقع نصف هذه المساحة تقريبا في مرج ابن عامر ، والباقي في جبل الكرمل .

كان في أبو شوشة ١٢ عربيا فقط في عام ١٩٢٢ ، ارتفع عددهم إلى ٨٣١ نسمة في عام ١٩٣١ ، إذ ضم هذا العدد عرب الشقيرات وعرب العايدة (بلغ عدد عرب الشقيرات ٤٠٣ نسمات في تعداد ١٩٢٢) ، وأصبح عددهم ٧٢٠ نسمة في عام ١٩٤٥ .

كان في القرية مطحنة للحبوب وجامع ومدرسة ابتدائية خاصة ، وكان قسم من أطفالها يدرسون في مدرسة قرية أبو زريق المجاورة . اعتمد اقتصاد القرية على الزراعة * وتربية المواشي ، وأهم المزروعات الحبوب * بأنواعها . وزرعت الأشجار المثمرة في مساحات صغيرة ، في حين بلغت المساحة المزروعة زيتوناً قرابة ٦٠٠ دونم تركزت بصورة عامة على طول حافة جبل الكرمل المطلة على مرج ابن عامر . وزرع التبغ والخضر * ريًا من مياه عين التينة .

شرد الصهيونيون سكان القرية العرب ، ودمروها تدميراً تاماً في عام ١٩٤٨ ، وأصبحت أراضيها تابعة لمستعمرة « مشمر هاعمق » التي قامت بالقرب منها منذ عام ١٩٢٦ .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٧ ق ٢ وج٤ ق٢ ، وج٦ ق٢ ، بيروت ١٩٧٢ ، ١٩٧٤ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٢٥,٠٠٠ ، لوحة جدو .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ١٠٠,٠٠٠ ، لوحا صفد والرملة .

أبـو غـوش :

قرية تقع على بعد ١٣ كم غربي القدس * بلغ عدد سكانها عام ١٩٤٥ قرابة ٨٦٠ نسمة . ويظن أنها بنيت في موقع « يعاريم » الكنعانية . وقد تكون هي المدينة التي ورد ذكرها في رسائل تل العمارنة * باسم « بيشوبيلو » ، أي « بيت بعل » . وفي العهد الروماني أقام القائد تيتوس عند عين ماء بالقرية قلعة منيعة .

عرفت أبو غوش في العهود العربية الإسلامية باسم « قرية العنب » ، أو « حصن العنب » . وفي القرنين الثاني والثالث الهجريين / الثامن والتاسع الميلاديين حوّلت القلعة الرومانية إلى نزل للتجار والمسافرين . يذكر الرحالة ناصر خسرو قرية العنب عندما زارها في عام ٤٣٩ هـ / ١٠٤٧ م بقوله : " بلغْتُ قرية تسمى خاتون (اللطرون) سرتُ منها إلى قرية أخرى تسمى قرية العنب . . وقد رأيت في هذه القرية عين ماء تخرج من الصخر . وقد بنيت هناك أحواض وعمارات " . ويقول عنها ياقوت في معجمه : " حصن العنب من نواحي فلسطين بالشام من أرض بيت المقدس " .

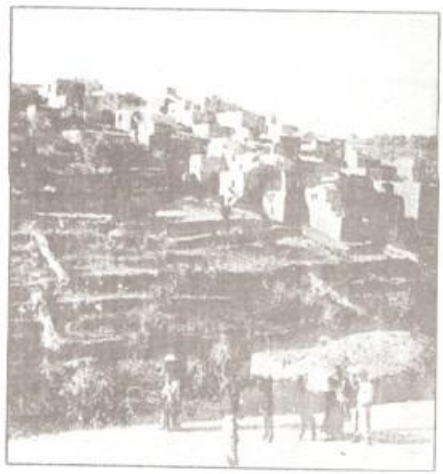

بنى الصليبيون في القرية كنيسة عام ١١٤١ م ، وما زالت بعض بقاياها ظاهرة . وفي مطلع العهد العثماني نزلت قرية العنب عائلة شركسية مصرية ، هي عائلة أبو غوش فغلب اسمها على اسم القرية .

جرت في أبو غوش تنقيبات أثرية انتهت إلى اكتشافات تدل على أن المدينة ظلت عامرة في مختلف العصور . ومن أهم المكتشفات : رأس فخاري يعود إلى العصر الكنعاني اكتشف عام ١٩٠٦ ، ونقود بطلمية ورومانية وعربية . وفي عام ١٩٠٧ اكتشف دي بيلا *M. de. Piellat* بقايا كنيسة تعود إلى العصر البيزنطي بلغت أطوالها ٣٠ × ٢٠ م .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج٨ ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤ .
— Abel, F.M.: Découverte d'un tombeau antique Abou Ghouch, RB, 1921.
— De Vaux, R.: Fouilles autour de l'Eglise medievale d'Abou Gosh, RB, 1946.
— Moreau, A. Mémoire sur les fouilles dAbu Ghoush Palestine, Sens 1901.

أبـو الفَضْـل (قرية ـ) :

تقع بيوت عرب أبو الفضل ، والأصح عرب الفضل ، في ظاهر الرملة * الشمالي الغربي ، وعلى مسافة نحو ٣ كم منها . وتنتشر هذه البيوت متناثرة على الجانب الغربي لطريق الرملة ـ يافا ، وعلى الجانب الشمالي لخط سكة حديد رفح ـ حيفا . وأقرب القرى العربية إليها قرى صرفند العمار * وصرفند الخراب * وبير سالم * ، وهي تجاور مدينة اللد * من الناحية الغربية . ويعرف هذا الموقع أيضاً باسم عرب السّطرية نسبة إلى موقع السّطر قرب مدينة خان يونس * ، الذي نزح عنه هؤلاء البدو المستقرون .

أقيمت قرية أبو الفضل فوق رقعة منبسطة من أرض السهل الساحلي الفلسطيني * الأوسط وترتفع نحو ٧٥ م عن سطح البحر وتتألف من مجموعة بيوت متناثرة في وسط الأراضي الزراعية ، وكانت تخلو من المرافق والخدمات العامة ، لاعتمادها في توفير حاجات سكانها على مدينتي اللد والرملة المجاورتين لها .

بلغت مساحة أراضي عرب الفضل ٢،٨٧٠ دونما ، منها ١٥٣ دونماً للطرق والأودية ، ولا يملك الصهيونيون فيها شيئا . وتعدّ هذه الأراضي من أوقاف الصحابي الجليل الفضل بن العباس ابن عم الرسول ، وإليه نسبت القرية . وهي من بين أجود الأراضي في فلسطين لانبساطها وخصوبة تربتها وتوافر مياهها الجوفية . وتعتمد الزراعة * على الأمطار وعلى مياه الآبار . وأهم المحاصيل الزراعية التي كانت تنتجها القرية الحمضيات * والزيتون * والخضر * والحبوب * بأنواعها المختلفة . وقد غرست أشجار الحمضيات في مساحة تزيد على ٨١٨ دونما ، حيث تجود زراعتها في تربة البحر المتوسط الطفلية الحمراء .

كان معظم السكان يعملون في الزراعة التي وجد إنتاجها طريقه إلى التصدير إلى الأسواق المحلية في المدن المجاورة . وتربى المواشي والدواجن في المزارع المحيطة ببيوت القرية للانتفاع بها في أعمال الزراعة من جهة ، وللحصول على منتجات ألبانها ولحومها من جهة ثانية .

بلغ عدد سكان أبي الفضل في عام ١٩٣١ نحو ١٥٦٥ نسمة ، انخفض عددهم في عام ١٩٤٥ إلى ٥١٠ نسمات بسبب هجرة بعض العائلات للاستقرار في المدن المجاورة حيث تتوافر الخدمات وفرص العمل ، خاصة أن قسماً كبيراً من السكان كان مستأجراً للأرض لا مالكاً لها . وفي عام ١٩٤٨ طرد الصهيونيون سكان أبي الفضل من ديارهم ، ودمروا بيوتهم وأزالوا مضاربهم ، وأنشأوا على هذه البيوت مستعمرة « تلمي ننشه » ، وأقاموا على أراضي القرية مستعمرتي « نحلت يهودا » و« نيتاعم » .

المراجـع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج٤ ، ق١ ، بيروت ١٩٧٢ .
ـ خارطة فلسطين : مقياس ١ : ٢٥٠،٠٠٠ ، لوسة اللد .

أبو فُطْـرُس (مجزرة ـ) :

وكلمة " أبي فطرس " مأخوذة من اسم مدينة رومانية قديمة بناها هيرودوس تخليداً لذكرى أبيه أنتيباترس *Antipatris* . وقد عرف نهر أبي فطرس (أو نهر العوجا * اليوم) في التاريخ الوسيط بسبب المجزرة التي قتل فيها عبد الله بن علي بن عبد الله * عم الخليفة أبي العباس مجموعة من الأمراء الأمويين في قلعة رومانية قديمة على ضواطىء هذا النهر .

بعد أن احتل عبد الله بن علي دمشق هرب مروان بن محمد باتجاه فلسطين يريد مصر . فتعقبه عبد الله بن علي ، فنزل نهر الكسوة ، ثم بيسان * ، ثم مرج الروم ، حتى أتى نهر أبي فطرس . فأعلن هناك العفو عن الأمويين ، وبذل الأمان لهم . فقدم إليه من أكابر بني أمية وخيارهم ثلاثة وثمانون رجلاً ، وفي جملتهم عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك . ويروي البلاذري أن عبد الله بن علي دعاهم إلى وليمة ، ثم منحهم جوائز ثمينة ، ثم أمر جنده ، فقتلوهم عن آخرهم . " ومسحوا فطرحت عليهم البسط ، وجلس عليها ، ودعا بالطعام ، فأكل وجماعته ، وما زال بعض القتلى يئن " . وكان ذلك سنة ١٣٢ هـ / ٧٤٩ ـ ٧٥٠ م .

وتؤكد الروايات الكثيرة قسوة العباسيين وشدتهم في معاملة الأمويين ، والانتقام منهم . لكن المؤرخين يختلفون في عدد ضحايا مجزرة أبي فطرس ، وكثر منهم يجعل العدد أقل من ثمانين أمويا .

وقد ندمت القبائل العربية في بلاد الشام على سقوط الخلافة الأموية ، وثارت ، أكثر من مرة ، على الوالي عبد الله بن علي العباسي الذي اتبع سياسة الشدة والعنف ، حتى ان الخليفة أبا العباس عبد الله ، حين سمع بمجزرة أبي فطرس ، كتب إلى عبد الله بن علي يأمره بألاّ يقتل أمويا إلاّ بإذن منه .

المراجـع :

ـ البلاذري : أنساب الأشراف ، ١٨٨٣ و١٩٣٦ و١٩٣٨ .

– فاروق عمر فوزي : العباسيون الأوائل ، ج١ ، بيروت ١٩٧٠ .
– محمد كرد علي : خطط الشام ، دمشق ١٩٢٥ ـ ١٩٢٦ .

أبـو قُطْـرس (نهـر ـ) : رَ : العوجا (نهر ـ)

أبـو كشـك (قـريـة ـ) : رَ : عرب أبو كشك (قرية ـ)

الإبـيـونيـون :

طـائفـة من الفقـراء والـدراويش اليهـود اعتنقت المسيحيـة * وبالغت في التفسير اليهودي لها . وهم يعتبرون بولس * رسولاً زائفاً عندما جعل المسيحية رسالة عالمية ، لأنهم كانوا يقولون إنها يجب أن تكون لليهود فقط . ويبدو أن الذي دفعهم إلى هذا القول هو ما كان عليه اليهود من فساد عندما بشّر السيد المسيح برسالته . عثر على أول ذكر للإيبونيين في حوالي عام ١٨٥م . ويـذكر بعض الكتّاب المتأخرين أن مؤسس الإيبونية شخص يـدعى إيبون *Ebion* كـان يعتقد أن يسوع أصبح المخلّص ، لأنه أطاع القانون اليهودي . وفي القرن الثالث أو الرابع الميلادي كان الإيبونيون يصفون يسوع بـأنه ابن الإنسان ، وأنه نبي حقيقي ، وأزالوا ما اعتبروه دسّاً أو إقحاماً في العهد القديم ورفضوا الأضحيات والمعبد اليهودي .

ومعظم ملامح التشريع الإيبوني في مخطوطات البحر الميت * . ويبدو أن هذه الطائفة تكوّنت بعد خراب الهيكل عام ٧٠م . تمسّك الإيبونيون باليهودية المحافظة . وفي النهـايـة وجدوا أن إنجيل متّى أيضاً غير كاف بعد ان كـانوا يـأخذون بـه فطوّروا تعـاليمهم وفيها أناجيل الإيبونيين والناصريين .

ذكـر العـالم الإنكليـزي تيخـر *J.L. Teichier* في دراسـة لمخطوطات البحر الميت أن المخطوطات لم تكن لطائفة يهودية وإنما هي لطائفة مسيحية معروفة باسم الإيبونيين . ويضيف " أن معلم الحق الذي ورد ذكره في بعض المخطوطات هو يسوع المسيح الذي يسميه الإيبونيون نبي الحق " . وحدث فعلاً أن طائفة مسيحية يهودية هجرت بيت المقدس إلى شرق الأردن ، واعتزلت كنائس اليهود ، وربما أقامت في جرش . وظلّت زمناً من الزمن ، لا هي يهودية خالصة ، ولا هي مسيحية خالصة ، ثم انتهى أمرها ، ولم يبق لها نصيب في تاريخ اليهودية ، ولا في تاريخ المسيحية .

المراجـع :

– محمود العابدي : مخطوطات البحر الميت ، عمان .
— Encyclopaedia Britannica.
— Catholicisme: hier, aujour hui, demain, III, Paris 1952.

اتحـــاد :

ر : الجامعيين العرب في إسرائيل
رَ : الحقوقيين العرب
ر : الطلاب العالمي
رَ : غرف التجارة والصناعة والزراعة العربية

الاتحـاد (صحيـفة ـ) : ر : التحرر الوطني (عصبة ـ)

الاتحـاد (صحيـفة ـ) : رَ : الصحافة الإسرائيلية

الاتحـاد الأنكـلو - يهودي : رَ : بلفور (وعـد ـ)

الاتحـاد البرلماني الـدولي :

مؤسسة دولية قديمة ، نشأت عام ١٨٨٩ ، وتطورت حتى أصبحت تضم أكثر من ٧٥ دولة . وقد درج الاتحاد في مؤتمراته العامة ودورات مجلسه على معالجة القضايا الإنسانية الكبرى بشكل عام وبروح نصالحية .

بدأ الاتحاد دراسة قضية الصراع العربي ـ الصهيوني ، أو ما أسماه بمشكلة الشرق الأوسط ، منذ عام ١٩٦٨ . ويلاحظ أن الاتحاد ، في معالجته هذه القضية ، انتقل بالتدرج ، من خلال قراراته ومواقفه ، من موقع الاطمئنان إلى الصيغ العامة المبهمة إلى موقع الاعتراف بالوجود الفلسطيني وبالحق العربي ، وإلى إدانة (إسرائيل) .

أصدر الاتحاد أول قرار له بشأن مشكلة الشرق الأوسط حين عقد مجلسه الدورة ١٠٢ في داكار (السنغال) في نيسان ١٩٦٨ . واستند القرار بجملته وتفصيله إلى قرار مجلس الأمن ٢٤٢ الصادر في ١٩٦٧/١١/٢٢ ، دون أية إضافة عليه .

غلبت الصيغ العامة الحيادية على قرارات الاتحاد منذ ذلك الحين ، حتى ظهر شيء من التغير باتجاه التمييز بين المعتدي والمُعتدى عليه في الدورة ١١٣ التي عقدها مجلس الاتحاد في جنيف (سويسرا) من ٢٠ إلى ١٩٧٣/١٠/٢٣ ، ثم تصاعد هذا التغير حتى بلغ درجة عالية في المؤتمر العام الثاني والستين الذي عقد في لندن في أيلول ١٩٧٥ . وكان على هذا المؤتمر أن يناقش موضوعي قبول المجلس الوطني الفلسطيني * عضواً مراقباً ، ومشكلة الشرق الأوسط .

لم تكن أنظمة الاتحاد تسمح بمنح صفة « عضو مراقب » لحركات التحرير ، مما دعا المؤتمر إلى إدخال تعديل على تلك

الأنظمة أدى إلى قبول انتساب المجلس الوطني الفلسطيني إلى الاتحاد عضواً مراقباً . وكان لهذه الخطوة مغزى سياسي عام ، إذ دلّت على تحول جذري في الاتجاه السياسي للرأي العام البرلماني الدولي ، وكان إحدى نتائجه تعديل أنظمة الاتحاد .

درس مؤتمر لندن القضية الفلسطينية وفروعها دراسة تميّزت بالشمول والتفصيل ، وأصدر قراراً دعا فيه إلى تنفيذ قرارات الأمم المتحدة بشأن الشرق الأوسط ، ولا سيما انسحاب (إسرائيل) الكامل من جميع الأراضي العربية المحتلة . وطلب من جميع برلمانات العالم أن تتخذ خطوات « لدى حكوماتها وشعوبها لارغام إسرائيل على تطبيق قرارات الأمم المتحدة » . وأكد القرار من جديد « أن الشعب الفلسطيني ، ممثلاً بمنظمة التحرير الفلسطينية * ، هو طرف رئيسي في إقامة سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط » . واعترف بالحقوق الوطنية الثابتة للشعب الفلسطيني ، وبخاصة حقه في العودة وتقرير المصير ، والاستقلال والسيادة الوطنية .

تلا مؤتمر لندن مؤتمران عقدهما الإتحاد في صوفيا (المؤتمر ٦٤ في أيلول ١٩٧٧) وفي بون (المؤتمر ٦٥ في أيلول ١٩٧٨) ونالت فيهما قضية فلسطين ومشكلة الشرق الأوسط اهتماماً ملحوظاً وأصدر المؤتمران قرارات تؤكد المبادىء والمفاهيم التي تبناها الاتحاد في مؤتمراته السابقة . أما المؤتمر السادس والستون الذي عقده في كراكاس عاصمة فنزويلا (أيلول ١٩٧٩) فقد نادى بحق الشعب الفلسطيني في إقامة دولته المستقلة ، وبأن يكون حل القضية شاملاً تشارك في البحث فيه جميع الأطراف المعنية ، وفيها منظمة التحرير الفلسطينية .

عقد الاتحاد مؤتمره السابع والستين في برلين (ألمانيا الديموقراطية) ، في الفترة من ١٥ إلى ١٩٨٠/٩/٢٤ ، وأصدر قراراً بشأن « مشكلة الشرق الأوسط وقضية فلسطين » ضمّنه ما ورد في القرارات السابقة ، وأكّد فيه « أن السلام العادل والدائم لا يمكن أن يقام في الشرق الأوسط بدون الانسحاب الإسرائيلي الكامل من كافة الأراضي العربية المحتلة ، وفيها القدس العربية ومرتفعات الجولان » ، وأكد أيضاً « أن حلاً عادلاً لا بد من إيجاده أخيراً لقضية فلسطين التي هي ليست مشكلة لاجئين بسيطة » . وثبّت المؤتمر « حق الفلسطينيين في العودة واستعادة أرضهم وممتلكاتهم » ، ورحّب المبادرة الانفرادية الإسرائيلية الهادفة إلى « تغيير وضع القدس » و« الممارسات الإسرائيلية في الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلّين ، مثل مصادرات الأراضي ، وإقامة المستعمرات ، وتوقيف الأشخاص الأبرياء ، وإصدار أحكام جائرة عليهم وإبعاد رؤساء البلديات ورفض التحقيق في محاولات اغتيالهم ، وتغيير التركيب الطبيعي والسكاني للأراضي العربية المحتلة» ودان المؤتمر « أعمال العدوان والفظائع التي يرتكبها إسرائيل ، بشكل متكرر ، ضد لبنان ، مهما كانت أسبابها » .

الاتحاد السوري (حزب ــ) :

ر : اللامركزية الإدارية (حزب ـ العثماني)

الاتحاد السوفييتي :

كانت فلسطين التي تؤلف جزءاً من الوطن العربي ومن منطقة جغرافية تدعى « الشرق الأوسط » ، هدفاً لتطلعات الدول الكبرى ونافسها منذ زمن طويل . فالمصالح الروسية في هذه المنطقة تشكلت بفعل العوامل الجغرافية التي أثرت في السياسة الروسية في عهود القياصرة . وكانت تصورات مدّ الامبراطورية الروسية جنوباً دافعاً دائماً في السياسة الخارجية القيصرية منذ عهد بطرس الاكبر (١٦٨٢ ـ ١٧٢٥) ، وكاترين (١٧٦٢ ـ ١٧٩٦) ، وحتى عهد نيقولا الثاني (١٨٩٤ ـ ١٩١٧) . ففي القرن التاسع عشر اندلعت حرب القرم (١٨٥٤ ـ ١٨٥٦) ، وكان أحد أسبابها النزاع الروسي الفرنسي حول السيطرة على الأماكن المقدسة في فلسطين ، اذ اعتبر القيصر الروسي نفسه حامياً للكنائس المسيحية الأرثوذوكسية ، في حين ادّعى الامبراطور نابليون الثالث الفرنسي أنه صاحب السطرة على الأماكن المقدسة ذاتها لصالح الكنائس المسيحية اللاتينية . لكن بريطانيا وفرنسا تمكنتا في مطلع القرن العشرين من احتواء التهديد الروسي باتجاه الجنوب إلى الشرق الأوسط على نحو فعّال .

في ظل النظام البلشفي اتخذت السياسة السوفييتية شكلاً آخر ، فبعد ثورة تشرين الكبرى عام ١٩١٧ أعلنت الحكومة السوفييتية أنها حليفة للشعوب العربية المضطهدة والمستعمرة ضد الاستعمار البريطاني . وانعقد مؤتمر باكو لشعوب الشرق في عام ١٩٢٠ برعاية الحزب الشيوعي السوفييتي ، مبتدئاً الحملة الإيديولوجية السوفييتية الجديدة ، في محاولة لكسب القوة في الشرق الأوسط كحليف للشعوب العربية المستعمرة والمضطهدة . وبالتالي ، كان الهدف الأساسي للسياسة السوفييتية تجاه الشرق الأوسط هو تقويض النفوذ البريطاني والفرنسي ، أي النفوذ الغربي في المنطقة ، وبخاصة إيقاف السيطرة البريطانية على المنطقة بأي ثمن . ومن ثم كان الهدف النهائي تجاه فلسطين يتمثل في سرعة إنهاء الانتداب البريطاني الحديث العهد .

بدأت المشكلة الفلسطينية ، كما نعرف في الوقت الحاضر ، بقدوم الصهيونية كحركة سياسية منظّمة على مسرح الشرق الأوسط

السياسي تتطلع إلى امتلاك فلسطين على أنه حق لها ، وإلى أن فلسطين هي الوطن القومي اليهودي الوحيد . وكان الموقف السوفييتي تجاه الصهيونية ، كفلسفة سياسية ، عدائياً على نحو سافر ، ودون مواربة . ففي الاتحاد السوفييتي ، حيث وجدت الصهيونية أرضاً خصبة بين ثلاثة ملايين يهودي سوفييتي ، وصفت الصهيونية بأنها إيديولوجية شوفينية وبورجوازية متحالفة مع الاستعمار الغربي . كما نعتت الصهيونية ، وأي شكل آخر من أشكال القومية اليهودية ، بأنها مناهضة للثورة ، وأدوات في أيدي الاستعمار البريطاني . وخلال السنوات الأولى من الثورة لم تكن الفئات اليهودية داخل الحزب الشيوعي معادية للصهيونية على نحو قوي ، ورافق ذلك عدم مبالاة على صعيد الحكومة السوفييتية الرسمي في بادىء الأمر . غير أن الحكومة السوفييتية وافقت خلال شهر نيسان ١٩٢١ على الحملة على الصهيونية والقومية اليهودية . وجرت عملية دمج ثقافي ،وكان على اليهود السوفييت ، مثلهم في ذلك مثل الأقليات الأخرى ، أن يسيروا في مجرى المجتمع السوفييتي الحديث ، وأن يذوبوا لغوياً وثقافياً في قالب الإنسان السوفييتي البروليتاري الجديد .

أما موقف الصهيونية في فلسطين فقد دعا الحزب الشيوعي في عام ١٩٣٤ إلى شن " حملة نشطة ومستمرة ضد عزل العمال العرب من قبل الصهيونيين " ، ودعا في الوقت ذاته إلى إنشاء جبهة متحدة من العمال العرب واليهود " للنضال ضد الاغتصاب الصهيوني واستغلال المستعمرين وكبار المزارعين ومشاريعهم " . وقال الحزب في بيانه :

" إن من الخطأ اعتبار الاستعمار والصهيونية والسكان اليهود وحدة عضوية واحدة، كما تنظر إليها الجماهير العربية في الوقت الحاضر . فالاستعماريون مهتمون بالامتيازات ، وبنسبة الأقلية اليهودية ، غير أنهم لا يرغبون في إنشاء دولة يهودية . وهنا يوجد نزاع بين مطالب البورجوازية اليهودية التي تريد أن تذهب إلى أبعد الحدود وبين الاستعمار البريطاني ".وتظهر هذه التصريحات ان الاتحاد السوفييتي يفهم على نحو واضح ما تكنّه الصهيونية بالنسبة إلى الشعب العربي الفلسطيني ، وهو الاغتصاب والاستغلال .

غير ان الاتحاد السوفييتي ، رغم شجبه للصهيونية ، ساند في عام ١٩٤٧ قضيتها وتطلعاتها لإنشاء دولة يهودية في فلسطين . فالدعم السوفييتي لخطة التقسيم التي دعت إليها الأمم المتحدة والتي ترمي لإقامة دولة يهودية في فلسطين ، جاء إنعكاساً لمبدأ التعايش السلمي الذي يشكل أحد ركائز سياسة الاتحاد السوفييتي الخارجية ، إضافة إلى عوامل أخرى (ر : تقسيم فلسطين) .

أظهر الصهيونيون في فلسطين أنهم منظّمون تنظيماً عالياً ، وأنهم القوة الأكثر فعالية ضد البريطانيين في فلسطين . ولما أدرك الاتحاد السوفييتي أن انسحاب البريطانيين وشيك ، بدا له أن التقسيم أفضل خيار لتجنب خطة وصاية برعاية الأمم المتحدة كانت ستديرها دون شك القوات العسكرية الغربية . وبذلك بقي أحد دوافع الدعم السوفييتي (لإسرائيل) يتمثل في الرغبة في إنهاء السيطرة الغربية في المنطقة ، لأن إنشاء الدولة اليهودية كان يعني ، للوهلة الأولى ، تحييد المنطقة ، وإحداث القطيعة بين الدول العربية والولايات المتحدة التي كانت تربطها بالدول العربية في عهد روزفلت صداقة قوية أثارت خوف السوفييت ، والتي مال الميزان الإستراتيجي العالمي بعد الحرب العالمية الثانية إلى صالحها ، بسبب ظهور الأسطول السادس الأميركي كرمز دائم ومحسوس لتصميم الغرب على استبعاد النفوذ السوفييتي من الشرق الأوسط . وبغية مواجهة هذه المخططات الغربية لم يكتف الاتحاد السوفييتي بأن يكون ثالث دولة تعترف (بإسرائيل) اعترافاً قانونياً ، بل ذهب إلى أبعد من ذلك ، فشجب بغضب دخول القوات العربية إلى فلسطين الذي تلا إعلان إنشاء (الدولة اليهودية) . وبادرت الكتلة السوفييتية إلى ارسال الأسلحة (لإسرائيل) أثناء الحرب العربية ـ الإسرائيلية الأولى ، مما كان له أهمية كبرى ، وربما حاسمة ، في استمرار بقاء الدولة الصهيونية الجديدة (ر : حرب ١٩٤٨) .

لكن هذه المرحلة الأولى من السياسة السوفييتية تجاه فلسطين انتهت عام ١٩٥١ ، وبدأ التركيز ينتقل بصورة متزايدة من الاعتبارات الإيديولوجية إلى الدوافع الإستراتيجية . فعندما وقفت مصر في عهد جمال عبد الناصر * في مواجهة حلف بغداد استحقّت بالتأكيد امتنان الكرملين الذي ترجم ذلك في شكل صفقة الأسلحة عن طريق تشيكوسلوفاكيا في عام ١٩٥٥ . ومنذ ذلك الوقت أصبحت السياسة السوفييتية تجاه فلسطين متداخلة مع السياسة العربية عموماً ، وبالتالي بدأت العلاقات السوفييتية ـ الإسرائيلية تتصف بالتدهور المستمر ، وتبلور ذلك في قطع العلاقات الدبلوماسية في ١٩٥٣/٢/٢١ . وما لبثت هذه العلاقات أن استؤنفت عقب موت ستالين في ١٩٥٣/٧/٢١ ، بعد أن التزمت (إسرائيل) بعدم الانضمام إلى حلف أو معاهدة أو تنظيم معادٍ للسوفييت . ونفّذ الاتحاد السوفييتي سياسة مزدوجة تجاه فلسطين حتى عام ١٩٦٧ ، فحاول أن يتودد إلى البلدان العربية ، ولا سيما مصر وسورية ، وأن يحافظ في الوقت ذاته على علاقاته مع (إسرائيل) ، بل سعى إلى تحسينها . وفي هذا الصدد قام الاتحاد السوفييتي في شهر كانون الأول ١٩٥٣ بدور فعّال في مساعدة (إسرائيل) على الوقوف في وجه المقاطعة الاقتصادية العربية ، عندما أبرم مع (إسرائيل) اتفاقية تجارية لمبادلة النفط السوفييتي

بالحمضيات الإسرائيلية . لكن موسكو ألغت هذه الاتفاقية إثر العدوان الثلاثي على مصر ١٩٥٦ * .

وقد تُرك الشعب الفلسطيني خارج إطار السياسة السوفييتية الخاصة بالشرق الأوسط حتى عام ١٩٥٨ . بل إن المندوب السوفييتي في الأمم المتحدة ، جاكوب مالك ، صرّح أمام مجلس الأمن في ١٩٤٨/٨/١٨ ، بأن المشكلة الفلسطينية هي مشكلة لاجئين خلقها البريطانيون . وقد استمرت هذه الفكرة سائدة إلى ما بعد حرب السويس في عام ١٩٥٦ ، عندما اعتبر أن (إسرائيل) تتحرك إلى داخل المعسكر الغربي . في هذا الوقت تقريباً نشط التحالف الفرنسي ـ الإسرائيلي ، والتعاون العسكري الإسرائيلي مع ألمانيا الغربية ، وتأييد (إسرائيل) المشروط لمبدأ ايزنهاور . وفي ١٩٥٦/٤/١٧ أصدر الاتحاد السوفييتي بياناً قال فيه إن المشكلة الفلسطينية يجب أن تحلّ " على أساس مقبول بصورة متبادلة " . غير أنه بعد حرب السويس ، وفي شهر تشرين الثاني ١٩٥٦، ازداد تأييداً للعرب ، فرأى في شحن الأسلحة إلى الدول العربية مساهمة في دفاع هذه الدول عن نفسها ضد « العدوان الإسرائيلي » .

وجاء هذا التحوّل الملحوظ في الموقف السوفييتي إعمالاً لمبدأ ثان يعتبر من ركائز سياسة موسكو الخارجية ، وهو مبدأ محاربة الاستعمار ودعم حركات التحرر الوطني .

كذلك تقدّم موقف الاتحاد السوفييتي بالنسبة إلى القضية الفلسطينية عندما أبدى استعداده ، أثناء زيارة عبد الناصر لموسكو في عام ١٩٥٨ ، أن يشمل البيان الختامي « الحقوق المشروعة للفلسطينيين العرب » . وأثناء زيارة خروشوف لمصر في عام ١٩٦٤ اعترف الاتحاد السوفييتي « بالحقوق الثابتة والمشروعة للفلسطينيين العرب » . ورغم ذلك كان الضوء ما زال متركّزاً على « لاجئين » بدلاً من « حركة تحرير وطني » ، إضافة إلى عدم المبالاة بتأسيس منظمة التحرير الفلسطينية * في ذلك العام .

بعد الحرب العربية ـ الإسرائيلية في عام ١٩٦٧ (ر : حرب ١٩٦٧) ، أظهر الاتحاد السوفييتي تأييده المتزايد لحق الفلسطينيين في إقامة دولة لهم . لكن التزام السوفييت بشأن إقامة دولة فلسطينية بقي مبهماً حتى حرب ١٩٧٣ * . وتعود الأسباب الرئيسة لإعادة توجيه السياسة السوفييتية بشأن المشكلة الفلسطينية في هذا الصدد إلى :

١) تقارب مصر وتعاونها مع الجهة الكبرى في منظمة التحرير الفلسطينية ، وهي منظمة فتح .

٢) تزايد النفوذ الصيني بين الفلسطينيين .

٣) تزايد نشاط منظمة التحرير الفلسطينية بحيث حازت اهتماماً كبيراً في الشرق الأوسط عموماً .

وفي شهر تموز ١٩٦٨ ، قام ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية للمنظمة بمرافقة عبد الناصر في زيارته الرسمية للاتحاد السوفييتي . وفي شباط ١٩٧٠ ، ترأس عرفات وفداً فلسطينياً خاصاً إلى موسكو بدعوة من لجنة التضامن السوفييتية ـ الإفريقية ـ الآسيوية . وقد دلت هاتان المناسبتان بوضوح على ارتفاع مركز منظمة التحرير الفلسطينية . وسرعان ما بدأت صحيفة برافدا تشير إلى الفلسطينيين بأنهم « شعب فلسطين العربي » ، وفي ذلك دلالة على الاعتراف السوفييتي بالتطلعات القومية الفلسطينية . وقد هدفت السياسة السوفييتية بعد حرب ١٩٦٧ بصورة أساسية إلى تحقيق تسوية للنزاع العربي ـ الإسرائيلي تتجلى أهم مقوماتها في إعادة الأراضي التي احتلتها (إسرائيل) في عام ١٩٦٧ وفقاً لقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ . وقد تضمنت المعادلة السوفييتية لإحلال السلام تأكيد واستمرار الحاجة إلى ضمان استقلال ، وسيادة ، ووحدة أراضي جميع الدول في المنطقة ، بما في ذلك (إسرائيل) .

وأمام مؤتمر السلام للشرق الأوسط * الذي عقد في جنيف خلال شهر كانون الأول ١٩٧٣ ، تجاهل وزير الخارجية السوفييتية غروميكو في خطابه قضية الدولة الفلسطينية ، وجعل القضية الفلسطينية تحتل مكاناً بين « العديد من الجوانب الأخرى للتسوية » التي تُحلّ إذا حُلّت « العقدة الرئيسية » ، وهي الاحتلال الإسرائيلي للأراضي العربية . وفي عام ١٩٧٤ بدأ السوفييت يتحدثون بانتظام عن « الحقوق القومية المشروعة للفلسطينيين » . وقد أشير رسمياً وبصورة علنية إلى الدولة الفلسطينية للمرة الأولى في ١٩٧٤/٩/٨ ، عندما تحدث الرئيس السوفييتي بودغورني عن حق الفلسطينيين " في إقامة دولة لهم بشكل او بآخر " . وكرّر بودغورني هذا التصريح باسم المكتب السياسي للحزب الشيوعي السوفييتي في برقية إلى الرئيس الجزائري هواري بومدين ، أذيع نصها في ١٩٧٤/١٠/٤ . وفي الحادي عشر من الشهر ذاته تحدث الأمين العام للحزب الشيوعي السوفييتي بريجنيف في كيشنيف ، لأول مرة ، عن حق الفلسطينيين في إقامة « وطن قومي » .

وقد يكون هذا التوجّه السوفييتي علاقة بمؤتمر القمة العربي * الذي انعقد في الرباط في أواخر تشرين الأول من ذلك العام ، وبتدهور العلاقات السوفييتية ـ المصرية . ولعلّ قبول الرئيس المصري أنور السادات لسياسة « الخطوة خطوة » التي جاء بها كيسنجر بدلاً من الاقتراح السوفييتي القاضي بتفضيل مؤتمر جنيف هو الذي دفع السوفييت إلى اتخاذ هذا الموقف الجديد . غير أن المشكلة بالنسبة إلى هذا الموقف السوفييتي بشأن الدولة الفلسطينية هو مكان هذه الدولة . ففي حين تحدثت منظمة التحرير الفلسطينية عن إقامة « دولة ديمقراطية علمانية » في عموم فلسطين ، شمل التصور

السوفيتي دولة بجانب (إسرائيل) ، ويعني ذلك « دولة صغيرة » في الضفة الغربية وقطاع غزة . كذلك ، عبّر الاتحاد السوفيتي في عدة مناسبات عن استعداده لتقديم « أقوى الضمانات » لاستمرار وجود وطن (إسرائيل) ، كما ورد في خطاب غروميكو في نيسان ١٩٧٥ ، تكريماً لوزير الخارجية السوري عبد الحليم خدام أثناء زيارته للاتحاد السوفيتي .

لقد أدّت اتفاقيات كامب ديفيد * في أيلول ١٩٧٨ ومعاهدة الصلح المصرية ـ الإسرائيلية * في آذار ١٩٧٩ إلى جعل الولايات المتحدة شريكاً مهيمناً داخل محور ثلاثي جديد في المنطقة ، وإلى تفويض مركز الاتحاد السوفيتي كشريك على قدم المساواة في أي تسوية سلمية في المستقبل . ولذلك اعتبر الاتحاد السوفيتي اتفاقيات كامب ديفيد " السلاح السياسي الرئيسي للتغلغل الأمريكي في الشرق الأوسط ، كما انها تمثّل تحدياً صريحاً لمركز وسياسة الاتحاد السوفيتي " .

وفي الوقت الراهن تطابقت وجهات نظر منظمة التحرير الفلسطينية والاتحاد السوفيتي في تحليلهما للموقف . فأثناء لقاء عرفات بغروميكو في دمشق في ١٩٧٩/٣/٢٥ اتفقا على ان معاهدة السلام المصرية ـ الإسرائيلية " تنطوي على العداء لحقوق ومصالح الشعب الفلسطيني " . وتلا ذلك أن عزز الاتحاد السوفيتي علاقته بمنظمة التحرير . وتبلور هذا الموقف في اعترافه الرسمي بأن منظمة التحرير هي « الممثل الشرعي الوحيد للشعب العربي الفلسطيني » . وكان الاتحاد السوفيتي قبل ذلك ، وحتى تشرين الأول ١٩٧٨ ، ممتنعاً عن إلزام نفسه بالاعتراف بهذا التمثيل الوحيد الذي تنادي به منظمة التحرير . غير أنه في أعقاب مؤتمر القمة لأطراف اتفاقيات كامب ديفيد زار موسكو وفد من منظمة التحرير في تشرين الأول ١٩٧٨ ، ووصف البيان المشترك عن الزيارة المنظمة بأنها « الممثل الشرعي الوحيد للشعب العربي الفلسطيني » . وفي عام ١٩٨١ منح الاتحاد السوفيتي مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في موسكو الصفة الدبلوماسية الكاملة .

وهكذا يتبين أن السياسة السوفيتية تجاه فلسطين منذ عام ١٩٧٩ قطعت شوطاً بعيداً في الاتجاه المعاكس لسياسة عام ١٩٤٧ ، وبخاصة خلال فترة ما بعد ١٩٧٣ . فقد تبدلت السياسة السوفيتية خلال هذه الفترة الزمنية من سياسة مؤيدة لإنشاء دولة (إسرائيل) مع تجاهل للشعب الفلسطيني ووجوده وحقوقه ، إلى تحرك محدود تجاه القضية الفلسطينية على أساس أنها مشكلة لاجئين ، وأخيراً إلى إعلان التأييد المتزايد للحقوق الوطنية الفلسطينية في إقامة دولة . ويستنتج من هذا التغير في سياسة الاتحاد السوفيتي أن السياسة السوفيتية تجاه فلسطين تابعة لسياسته العالمية ، وهي إدراكه لميزان القوى بين الدول العظمى ، وعلاقاته مع الولايات المتحدة بوجه خاص ، وفوق كل ذلك سياسته في الشرق الأوسط بصورة عامة . ومن هنا فإن سياسة الاتحاد السوفيتي بشأن فلسطين تخضع للمتغيرات ، وتقبل التعديل وإعادة التعديل عندما يستدعي ذلك تحقيق الأهداف العليا وهي الانفراج الدولي والعلاقات السوفيتية ـ الغربية بصورة عامة . وبالتالي يمكن تقسيم سياسة الاتحاد السوفيتي تجاه القضية الفلسطينية إلى المراحل التالية :

١) المرحلة الصهيونية ١٩٤٧ ـ ١٩٥٣ : وفيها أيّدت موسكو (إسرائيل) بشكل قاطع ، واعتبرت المشكلة الفلسطينية مشكلة لاجئين وحسب .

٢) سياسة بدء الاقتراب من العرب ١٩٥٣ ـ ١٩٥٦ : وطابعها تأييد (إسرائيل) وبدء تأييد العرب ، دون تصوّر وفهم لحقوق الفلسطينيين .

٣) الاقتراب من الموقف العربي ١٩٥٦ ـ ١٩٦٧ : واتصفت بتدهور العلاقات السوفيتية ـ الإسرائيلية تدريجياً نتيجة انفتاح الدول العربية على موسكو من جهة ، وإدراك هذه من جهة أخرى أن (إسرائيل) بدأت تشكل خطراً حقيقياً على المصالح السوفيتية في المنطقة باعتبارها رأس حربة للولايات المتحدة الأمريكية .

٤) سياسة مؤيدة للعرب ١٩٦٧ ـ ١٩٧٣ : وخلالها أيد الاتحاد السوفيتي قضية إعادة جميع الأراضي العربية المحتلة في عام ١٩٦٧ ، مع القبول المتباطىء للحقوق الفلسطينية .

٥) تأييد الحقوق الفلسطينية ١٩٧٣ ـ ١٩٧٨ : وفيها توجهت السياسة السوفيتية نفسها إلى تأييد قضية الحقوق الفلسطينية والدولة الفلسطينية ، مع استمرار موقفها من مبدأ الانسحاب الإسرائيلي الشامل من كل الأراضي العربية المحتلة وضرورة تسوية النزاع الشرق ـ أوسطي تحت مظلة الأمم المتحدة .

٦) الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية ١٩٧٨ ـ ١٩٨٢ : وخلالها اعترف الاتحاد السوفيتي رسمياً بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني ، ثم منحها الميزات الدبلوماسية مع تصلبه تجاه سياسات (إسرائيل) والولايات المتحدة ، وخاصة بعد انفضاح نوايا الطرفين في اتفاقيتي كامب ديفيد .

المراجع :

ـ صلاح الدين دباغ : الاتحاد السوفيتي وقضية فلسطين ، بيروت ١٩٦٨ .
ـ رشيد خالدي : السياسة السوفيتية في الشرق الأوسط في أعقاب اتفاقيات كامب ديفيد ، بيروت ١٩٧٩ .
ـ جاليا جولن Galia Golan : يوم عيد الغفران وما بعده ، الاتحاد السوفيتي وأزمة الشرق الأوسط ، لندن ١٩٧٧ .

– والتر ليكير Walter Laqueur : الاتحاد السوفيتي والشرق الأوسط . نيويورك ١٩٥٩ .

– والتر ليكير Walter Laqueur : النضال لأجل الشرق الأوسط ، الاتحاد السوفيتي في البحر المتوسط ١٩٥٨ - ١٩٦٩ ، نيويورك ١٩٦٩ .

– جورج لنسوسكي George Lenczowski : التقدم السوفيتي في الشرق الأوسط ، واشنطن ١٩٦٩ .

– ستيفن بيج Stephen Page : الاتحاد السوفييتي والعرب - الأبعاد الأيديولوجية ، نيويورك ١٩٧٣ .

– يأسوف روي Yaasov Roi : حدود القوى ، السياسة السوفييتية في الشرق الأوسط ، لندن ١٩٧٩ .

– يفغيني بريماكوف : الولايات المتحدة والقضية الفلسطينية ، بيروت ١٩٨١ .

الاتحاد الشيوعي الثوري : ر : ماتسبن (منظمة –)

الاتحاد الصهيوني التصحيحي :

ر : المنظمة الصهيونية الجديدة

الاتحاد العام للأطباء والصيادلة الفلسطينيين :

تأسس الاتحاد سنة ١٩٦٨ في القاهرة بمبادرة مجموعة من الأطباء والصيادلة الفلسطينيين المقيمين في بعض الدول العربية . ووضعت آنذاك أسس دستور وخطة عمل لتجميع الأطباء والصيادلة الفلسطينيين وتجنيد طاقاتهم ليؤدوا رسالة الطب والصيدلة في حل المشكلات الصحية لأفراد الشعب الفلسطيني في مناطق وجوده الرئيسة وبخاصة في الأراضي المحتلة .

وتم انتخاب مكتب تنفيذي للدعوة إلى مؤتمر تأسيسي عقد في عمان عام ١٩٦٩ ، وتلاه المؤتمر الأول للاتحاد في القاهرة عام ١٩٧٠ ، وأخيراً المؤتمر الثالث في بيروت في الفترة من ٢٩ / ١١ / ٢ / ١٢ / ١٩٧٤ الذي أقر توصيات ومقررات اللجان السياسية والعلمية والدستورية . شددّت القرارات على أهمية تدعيم مركز الاتحاد ، وتشجيع الانضمام إلى عضويته ، ليتمكن من أداء الدور المطلوب منه في جميع المستويات وعلى كافة الأصعدة . وفي نهاية المؤتمر الثالث تم انتخاب المكتب التنفيذي الجديد للاتحاد .

وقد حضر المؤتمر الثالث مندوبون عن ثلاثة آلاف طبيب وصيدلي فلسطيني من الدول التالية : سورية ولبنان والكويت ومصر وتطر وليبيا والجزائر والسعودية ودول الخليج العربي وأوربا .

وأصدر المؤتمر قرارات سياسية أكد فيها أن منظمة التحرير الفلسطينية * هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني ، وأيد خطوات المنظمة من أجل الحصول على الاعتراف الدولي ، وعبر عن إيمانه بأن الحرب الشعبية الطويلة الأمد هي الطريق الوحيد لتحرير التراب الفلسطيني بكامله ، وإقامة الدولة الديمقراطية ، وأعلن تأييده لبرنامج المنظمة المرحلي الذي ينص على إقامة السلطة الوطنية الثورية فوق أي جزء يتم تحريره .

وأصدر المكتب السياسي للاتحاد في نهاية أيلول ١٩٧٥ بياناً سياسياً رفض فيه اتفاقية فصل القوات الثانية بين مصر وإسرائيل * وأدانها ، ورفض الحلول والتسويات المطروحة كافة ، وأكد ضرورة تعزيز التلاحم مع الجماهير العربية ، وتعزيز التحالف مع الدول الاشتراكية والصديقة وحركات التحرر العالمية ، كما حيّا نضال الشعب الفلسطيني وانتفاضاته الثورية ضد الاحتلال ، وحيّا صمود الأطباء والصيادلة الفلسطينيين في الأراضي المحتلة .

وقد أكد الاتحاد منذ نشأته ، انطلاقا من مبدأ وحدة الثورة ، إيمانه بضرورة توحيد الخدمات الطبية وتقديمها إلى الجميع دون تمييز أو استثناء عن طريق الهلال الأحمر الفلسطيني * ، حيث تنحصر جميع جهود الاتحاد الطبية والصيدلانية .

أ ـ دستور الاتحاد : يؤكد دستور الاتحاد إيمانه :

١) بأن التنظيم الشعبي الثوري الديمقراطي لكل قطاع من قطاعات الشعب الفلسطيني هو الأسلوب العلمي لإبراز كيان هذا الشعب المناضل وتجميع طاقاته في تحركه نحو الثورة الشعبية الشاملة .

٢) وبأن الطريق لإظهار الشخصية الفلسطينية لتأكيد الوجود الفلسطيني عربيا ودوليا هو دعامة أساسية لنضال الشعب الفلسطيني في ثورته لتحرير أرضه وإقامة الدولة الفلسطينية الديمقراطية اللاعنصرية .

ولذلك قرر الأطباء والصيادلة الفلسطينيون تأسيس الاتحاد العام ليكون قاعدة من قواعد التنظيم الشعبي في منظمة التحرير الفلسطينية ، وليخدم الشعب والثورة الفلسطينية بكافة الوسائل وللاتحاد ضمن إطار المنظمة شخصيته المستقلة التي تحافظ عليه حتى يتمكن من أداء دوره الهام في كل المجالات ، وعلى الصعيدين العربي والدولي .

ب ـ أهدافه :

١) تجنيد طاقات جميع الأطباء والصيادلة ليؤدوا رسالة الطب والصيدلة ، من أجل حل المشكلات الصحية لمقاتلي وأفراد الشعب الفلسطيني كافة ، بحيث تصبح الرعاية الصحية ، وقاية وعلاجا ، حقا لكل المقاتلين وأفراد الشعب .

٢) إجراء مسح طبي شامل للأمراض الشائعة في تجمعات

الشعب الفلسطيني ، ووضع البرامج الوقائية والعلاجية للقضاء على تلك الأمراض .

٣) توثيق العلاقات بالمنظمات الشعبية الفلسطينية ، والتعاون لإبراز الوجود الفلسطيني ، وتوطيد العلاقة مع المنظمات الصحية العربية والعالمية .

٤) تأكيد المفهوم الثوري لدى الفلسطينيين ، وتعميق ارتباطهم بالحركة الثورية الفلسطينية والعربية والعالمية .

٥) تنظيم العلاقة بين أعضاء الاتحاد والعاملين بالمهن الطبية الأخرى وتنمية روح التعاون والتجاوب العلمي والفني بينهم .

٦) تقديم كافة التسهيلات للنهوض بالمستوى العلمي لأعضاء الاتحاد وللعاملين بالمهن الطبية ، وذلك بتشجيع الأبحاث وإصدار النشرات الدورية .

٧) الدفاع عن المصالح الاجتماعية والثقافية والمادية لأعضاء الاتحاد .

٨) تنوير الرأي العام بالقضية الفلسطينية عن طريق الاتصال بالأطباء والصيادلة والعاملين في المهن الطبية والتجمعات الطبية العالمية بواسطة الندوات والنشرات وبأي وسيلة أخرى .

٩) دعم جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني بصفتها الجهاز الطبي المعتمد من المجلس الوطني الفلسطيني * لتقديم الخدمات الطبية والاجتماعية للمقاتلين وللشعب الفلسطيني ، وإمدادها بالأطباء والصيادلة .

جـ ـ المقر : تكون القدس * المقر الدائم للاتحاد ، على أن تكون القاهرة ، أو أي مكان آخر يراه المكتب التنفيذي مناسباً ، مقراً مؤقتاً . هذا وقد أصبح مقر المكتب التنفيذي في بيروت منذ ١٩٧٤ .

د ـ العضوية : حق العضوية مكفول :

١) لكل فلسطيني الجنسية أو الأصل يعمل بالمهن الطبية التالية : الطب البشري والصيدلة وطب الأسنان والطب البطري .

٢) لكل طبيب أو صيدلي عربي يعمل بالثورة الفلسطينية ، ويلتزم بأهداف الثورة الفلسطينية المنصوص عليها في الميثاق الوطني الفلسطيني * .

هـ ـ التشكيلات المركزية في الاتحاد حسب الدستور :

١) المؤتمر العام : وهو السلطة العليا للاتحاد ، ويتكون من ممثلي الفروع المنتخبين للمؤتمر ، بالإضافة إلى أعضاء المكتب التنفيذي إذا منحوا الثقة من المؤتمر بعد مناقشة التقرير المالي والإداري . وينعقد كل سنتين ، ويختص برسم سياسة الاتحاد العامة ، ومناقشة التقارير المقدمة عن وضع الاتحاد ، وإصدار اللائحة الداخلية ، وانتخاب المكتب التنفيذي .

٢) المجلس الإداري : وهو السلطة العليا للاتحاد بين المؤتمرين . ويتكون من أعضاء المكتب التنفيذي بالإضافة إلى رؤساء الفروع المنتخبين . وينعقد مرة كل ستة أشهر ، ويقوم بوضع الخطط والبرامج لتنفيذ قرارات المؤتمر العام .

٣) المكتب التنفيذي : وهو السلطة العليا اليومية للاتحاد . ويتكون من أحد عشر عضوا ينتخبهم المؤتمر العام . ويجتمع مرة كل شهرين على الأقل .

٤) الجمعيات العمومية (المؤتمرات في الفروع) وهي السلطة العليا للفرع .

٥) الهيئات الإدارية المنوط بها إدارة العمل في كل فرع على حدة .

ويمكن تأسيس فرع للاتحاد في كل إقليم يزيد عدد الأعضاء فيه عن عشرين شخصا . وتنتخب الجمعية العمومية (مؤتمر الفروع) الهيئة الإدارية التابعة لها والمنفذة لمقرراتها ومقررات المكتب التنفيذي .

الاتحاد العام للحقوقيين الفلسطينيين :

أ ـ تأسيس الاتحاد ومؤتمراته : عقد ممثلو الحقوقيين الفلسطينيين المؤتمر التأسيسي للاتحاد العام للحقوقيين الفلسطينيين في القاهرة في الفترة الواقعة بين ٢٢ و٢٥ / ١١ / ١٩٧١ ، وذلك بحضور أعضاء الهيئات الإدارية لثلاثة فروع شكلت خلال سنة ١٩٧١ في كل من مصر وسورية والكويت . وقد انتخب المجتمعون في المؤتمر أمانة عامة للاتحاد ، وتم خلاله أيضاً إقرار النظام الأساسي (الدستور) للاتحاد . ثم عقد الاتحاد مؤتمره الثاني في الجزائر بين ٢٥ و٢٩ / ٥ / ١٩٧٤ . وحضره مندوبون عن ستة فروع للاتحاد . وقد ناقش المجتمعون خلاله التقارير السياسية والمالية المقدمة إليه ، وانتخبوا أمانة عامة جديدة له . كما حضر المؤتمر ممثلون عن الاتحاد الدولي للحقوقيين الديمقراطيين ، وأمين اتحاد المحامين العرب العام ، وعدد من ممثلي الاتحادات الحقوقية الدولية والعربية . واتخذ المؤتمر في نهاية جلساته المقررات التالية :

١) حق الشعب الفلسطيني في وطنه واضح وصريح ، تؤكده جميع الأعراف والمواثيق الدولية .

٢) نضال الشعب الفلسطيني بكافة الوسائل من أجل تحرير أرضه والعودة نضال مشروع .

٣) الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني تعني تصفية الكيان

الصهيوني وتحرير كامل التراب الفلسطيني ، وعودة الشعب الفلسطيني وممارسة حقه في تقرير المصير في وطنه ، ووسيلة تحقيق ذلك هي الكفاح المسلح .

٤) العمل على تحطيم أية تسوية لا تكون لمصلحة الشعب الفلسطيني .

٥) توجيه تحية إلى الدول المساندة للثورة الفلسطينية ، ومناشدة جميع الحقوقيين في العالم مساندة هذه الثورة والشعب الفلسطيني .

وقد انعقد المؤتمر الثالث للاتحاد في تونس في الفترة بين ٩ و١٢ / ٧ / ١٩٧٧ . وحضر المؤتمر ممثلو الفروع السبعة العاملة التي تضم ما يقارب ألف عضو منتسب إليها ، وهي : مصر وسورية ولبنان وليبيا والجزائر والكويت وإمارات الخليج العربي (قطر ودولة الإمارات العربية) . وقد تمت مناقشة التقارير السياسية وعدد من الأبحاث القانونية عن نضال الشعب الفلسطيني ضد الصهيونية والإمبريالية ، والمؤامرات التي تستهدف الشعب الفلسطيني ، ودرست أوضاع الاتحاد والثورة . وتم انتخاب أمانة عامة جديدة ، كما تم تشكيل لجان عمل تقوم بدراسة أوضاع المعتقلين في الأراضي المحتلة ، منها اللجنة القانونية ، واللجنة السياسية واللجنة المالية . وقد أوصت اللجنة السياسية بتشكيل لجنة فلسطينية عربية دولية للدفاع عن حقوق المعتقلين في سجون العدو ، وفضح سياسته . كذلك أقر المؤتمر إجراء تعديلات على النظام الأساسي ، منها انتخاب مجلس إداري للاتحاد ، يتكون من ١٨ عضوا من ضمنهم الأعضاء الخمسة المكونون للأمانة العامة . وقد تم انتخاب هذا المجلس لأول مرة ، وتقرر أن يجتمع كل ٣ أشهر ، كما تقرر عقد المؤتمر العام مرة كل ٣ سنوات لا كل سنتين . وأصدر المؤتمر في نهاية أعماله بيانا سياسيا يؤكد دعم الاتحاد الكامل لمنظمة التحرير الفلسطينية * ، والخذ قرارات وتوصيات هامة من روح الإعلان السياسي للمجلس الوطني الفلسطيني * في دورته الثالثة عشرة (آذار ١٩٧٧) . وأصدر كذلك إعلانا سياسيا حدد فيه موقفه من التسوية السلمية والأحداث اللبنانية .

ب ـ دستور الاتحاد : يؤكد دستور الاتحاد :

١) أن الاتحاد العام للحقوقيين الفلسطينيين تنظيم شعبي نقابي يمثل كافة الحقوقيين الفلسطينيين في العالم .

٢) وأن الاتحاد قاعدة من قواعد منظمة التحرير الفلسطينية . وهو في خدمة الثورة ويلتزم بالميثاق الوطني الفلسطيني * .

٣) وأن شعار الاتحاد : حق ، وحدة وطنية ، تحرير .

جـ ـ المقر : مقر الاتحاد الدائم القدس ، ويتخذ له مقراً مؤقتاً في القاهرة . ومنذ عام ١٩٧٧ أصبح مقر الاتحاد في دمشق .

د ـ أهداف الاتحاد :

١) العمل على استعادة الشعب العربي الفلسطيني جميع أراضيه وحقوقه بالتعاون مع جميع القوى التحررية في العالم .

٢) تأييد ودعم النضال العادل الذي يخوضه الشعب العربي الفلسطيني والأمة العربية لطرد المحتل الغاصب .

٣) العمل لمصلحة الوطن العربي في سبيل تحريره وتحقيق أهدافه القومية .

٤) تأييد ودعم حركات التحرر الوطنية في جميع أنحاء العالم .

٥) رفع مستوى الحقوقيين الفلسطينيين مهنيا وثقافيا واجتماعياً .

٦) العمل على توثيق التعاون بين المنظمات والاتحادات الشعبية الفلسطينية لتجسيد الوحدة الوطنية .

٧) الدفاع عن الثوار الفلسطينيين وكل من يساندهم في حال اعتقالهم .

٨) فضح أساليب العدو الصهيوني ، والأسس التي يقوم عليها الكيان العدواني ، باعتبارها مخالفة لميثاق الأمم المتحدة وإعلان حقوق الإنسان .

هـ ـ هيئات الاتحاد المركزية حسب الدستور :

١) المؤتمر العام : ويتكون من الهيئات الإدارية للفروع وأعضاء الأمانة العامة ، وهو أعلى سلطة في الاتحاد . ويعقد دورة عادية مرة كل ٣ سنوات . وهو الذي يضع السياسة العامة للاتحاد ، ويتخب المجلس الإداري .

٢) الأمانة العامة: وتنتخب من بين أعضاء المجلس الإداري ومدتها ٣ سنوات ، وتجتمع مرة كل ٣ أشهر ، وهي التي تقوم بتنفيذ مقررات المجلس الإداري ، ومتابعة المهام اليومية للاتحاد .

٣) الهيئات الإدارية للفروع : يؤسس فرع للاتحاد في كل قطر عربي يبلغ عدد الحقوقيين الفلسطينيين فيه ٣٠ حقوقيا على الأقل . وللفرع هيئة إدارية من تسعة أعضاء تنتخب كل ثلاث سنوات ، وهي السلطة العليا للفرع .

والاتحاد العام للحقوقيين الفلسطينيين عضو في اتحاد الحقوقيين العرب ومجلس السلم العالمي * ومؤتمرات حقوق الإنسان في جنيف .

الاتحاد العام للصحفيين العرب :

في ١٩٦٤/٢/٢١ ، صدر في القاهرة دستور الاتحاد العام للصحفيين العرب، وقانونه الأساسي .

أ ـ المؤتمر الأول للاتحاد (١٩٦٥) : عقد الاتحاد العام للصحفيين العرب مؤتمره الأول في الكويت من ٨ إلى

١٩٦٥/٢/١٣ ، وضم وفوداً من الصحفيين العرب والمنظمات الصحفية في كل من الأردن وتونس والجزائر والسودان والسعودية وسورية ومصر واليمن والعراق والكويت ولبنان وليبيا والمغرب وفلسطين .

ويتعامل الاتحاد منذ تأسيسه مع القضية الفلسطينية على أنها القضية المركزية للأمة العربية في نطاق البيانات التي يصدرها والمواقف التي يتخذها ، على حد سواء .

وقد دعا المؤتمر الأول وسائل الإعلام العربية جميعها إلى إحلال مصطلح « العائدين » محل « اللاجئين » ، و« الاحتلال الاستعماري الصهيوني » محل « السيطرة الإسرائيلية » و« فلسطين المحتلة » بدلاً من (إسرائيل) . واعتبر المؤتمر مشكلة الوجود الصهيوني في فلسطين " مشكلة احتلال استعماري لجزء من الوطن العربي يجب تصفيته من جذوره والقضاء على جميع مظاهره ، وتحرير هذا الجزء من الاحتلال الصهيوني ، وأن السبيل إلى ذلك يكون في توفير الشروط الموضوعية للثورة على هذا الاحتلال بكل الوسائل والإمكانيات ، وبأسرع وقت ، وتوفير الشروط الموضوعية التي تمكّن أبناء فلسطين من القيام بدورهم الطليعي في معركة العودة " . وطالب المؤتمر الصحافة العربية بمساعدة الشعب الفلسطيني " في إحقاق حقه المشروع في حرية العمل السياسي الفلسطيني " . وناشد الحكومات العربية " إصدار عفو عام عن جميع اللاجئين السياسيين والمنفيّين والمعتقلين من أبناء فلسطين " . كما حيّا المؤتمر أبناء فلسطين الذين يعيشون في الأراضي المحتلة ، وقدّر كفاحهم البطولي ، ودعا الصحافة العربية إلى إيلاء قضيتهم كل اهتمام ، وإلى مواصلة " دعم وتأييد منظمة التحرير الفلسطينية * ، باعتبارها ناطقة رسمية شعبية باسم الشعب العربي الفلسطيني " . واعتبر المؤتمر مؤتمرات القمة العربية * غير كافية " وحدها لحل قضايانا القومية ، وفي مقدمتها قضية فلسطين ، حلا جذريا شاملا " . وطالب الدول العربية بتنفيذ مقرراتها الخاصة " بإعادة النظر في علاقات الأقطار العربية مع الدول الأجنبية على ضوء مواقفها من قضايا التحرر العربي ، وفي طليعتها القضية العربية في فلسطين " . وناشد المؤتمر الدول العربية " اتخاذ موقف عملي حازم من الاستعمار الغربي ، وعلى رأسه أميركا " . ورجا الصحافة العربية " أن تضغط ، بكل وسائلها ، كي ينقلب كل معسكر من معسكرات العائدين إلى ثكنة عسكرية ، يمارس فيها الشباب الفلسطيني عمليات التدريب الحربي ، كي يستطيعوا تأدية واجبهم المقدس في معركة التحرير " . وطالب الدول العربية بالإشراف التام على شؤون وكالة غوث اللاجئين " بشكل يفوّت عليها أية خطة لتصفية العائدين " . وأوصى حكومات الدول العربية برصد ميزانية سنوية لجيش التحرير الفلسطيني * ، وتوقف موحد من ألمانيا الغربية التي قررت تزويد (إسرائيل) بالأسلحة وبالأموال . وطالب المؤتمر العرب بالنضال من أجل منع (إسرائيل) من تحويل مياه نهر الأردن . وتمنّى أن تدعم الصحافة العربية المشروع الذي قدمته منظمة التحرير الفلسطينية إلى مؤتمر القمة العربي بشأن تنظيم الجباية الشعبية لتمويل معركة التحرير الفلسطينية .

ب ـ المؤتمر الثاني للاتحاد (١٩٦٨) : تأخر انعقاد المؤتمر الثاني للاتحاد إلى ما بعد الخامس من حزيران ١٩٦٧ ، وانعقد في القاهرة ، في ما بين ١٠ و١٩٦٨/٢/١٤ . ورأى في حرب ١٩٦٧ * " القمة لتصاعد العدوان الاستعماري الصهيوني ضد الوطن العربي " . وأشار إلى أن المؤامرات الاستعمارية تهدف إلى " منع الأمة العربية من تحقيق أهدافها في التحرر ، والتخلص من الاستغلال ، والتجزئة ، والتخلف " . وأعاد المؤتمر نكسة حزيران إلى :

١) عزل الشعب العربي الفلسطيني عن قضيته .
٢) عدم حماية العمل الفدائي .
٣) عدم إتاحة الفرصة الكاملة للجماهير العربية للمشاركة في قضيتها المصيرية .
٤) تغلغل الوجود الإمبريالي إلى كثير من حقول العمل العربي .
٥) أوضاع التجزئة ، وعدم التخلص من النفوذ الاستعماري ، واستمرار التسلط والقهر .
٦) عدم التقييم العلمي للعدو .
٧) عدم التخطيط والاستعداد الجدي .

ولذلك قرر المؤتمر رفض " كل محاولة لتصفية قضية فلسطين " . ورأى " أن إزالة آثار العدوان يجب أن تكون جزءاً من إستراتيجية تحرير فلسطين " . وسجل " بكل إكبار ، صمود شعب فلسطين المناضل بالأرض المحتلة " . ومجّد " المقاومة الفلسطينية المسلحة " . وأكد " ضرورة المحافظة على الكيان الفلسطيني ، وعلى الكفاح المسلح " . وشارك المؤتمر الجماهير العربية تطلعها إلى توحيد قوى الكفاح الفلسطيني المسلح ، وطالب " التنظيمات الشعبية والحكومات العربية بمساندة حركة المقاومة الفلسطينية " . ودعا حكومات العرب إلى " رفع القوانين الاحترازية والأنظمة التعسفية المفروضة عليهم " . وطالبها " بتعبئة طاقاتها وإمكانياتها ، ووضع سياساتها الداخلية والخارجية في خدمة موقف الصمود " . وحثّها على التصفية الفعلية والسريعة لجميع مظاهر النفوذ الاستعماري ، وفسح المجال أمام المنظمات الشعبية في الوطن العربي لكي تؤدّي دورها الفعّال في تعبئة وقيادة الجماهير . وطلب المؤتمر من الصحف العربية " بيان خطورة المرحلة والمعركة ، دون تهويل أو تهوين " ،

و " طرح القضية الفلسطينية في الصعيد العالمي على حقيقتها ، كقضية تحرر واسترداد وطن " لشعب يرفض الفكرة الصهيونية ، ويفرّق بين الديانة اليهودية والحركة الصهيونية العنصرية الفاشية الاستعمارية . ورأى المؤتمر " أن السماح بهجرة ، أو تهجير اليهود من بلادهم الأصلية، في أي مكان في العالم الى (إسرائيل)، يعدُّ موقفاً معادياً لحركة التحرر الوطني والسلام في الشرق الأوسط " .

جـ ـ المكتب الدائم للاتحاد (١٩٧٢) : وفي ما بين ١٠ و١٤/٢/١٩٧٢ ، عقد المكتب الدائم لاتحاد الصحفيين العرب اجتماعاً في عدن ، وتضمنت مقرراته " شجب محاولات الصهيونيين لإجراء الانتخابات المزيفة للمجالس البلدية بالضفة الغربية " .

د ـ المؤتمر الثالث للاتحاد (١٩٧٢) :

عقد الاتحاد مؤتمره الثالث في بغداد بين ١٧ و٢٠/٤/١٩٧٢ ، واخذت « لجنة فلسطين » المنبثقة عن المؤتمر التوصيات التالية :

١) إن حركة المقاومة الممثلة في منظمة التحرير الفلسطينية ، هي الجهة الشرعية الرسمية والثورية الوحيدة التي تملك حق تجسيد إرادة شعب فلسطين .

٢) تلاحم ودمج النضال الشعبي في جبهة وطنية أردنية ـ فلسطينية .

٣) رفض كل محاولة لتصفية القضية الفلسطينية .

٤) ضرورة النضال ضد كل المحاولات التي تتخذ لعزل الشعب الفلسطيني عن قضيته ولورثه ، والمطالبة بحق الثورة الفلسطينية في الوجود الكامل فوق الأرض العربية ، والمطالبة بانضمام الشباب العربي إلى حركة المقاومة الفلسطينية ، لتأكيد قومية العمل الفدائي .

٥) تصفية الوجود الإمبريالي وركائزه في الوطن العربي ، وإزالة كل مظاهر وجوده ، لأن ذلك هو المدخل الأساسي الذي يمكّن من خوض معركة ظافرة مع العدو الصهيوني .

٦)تحرير ثروات العرب الطبيعية ، وفي مقدمتها الثروة النفطية ، من سيطرة الاحتكارات الإمبريالية ، وانتهاج سياسة اقتصاد حربي .

٧) تعزيز النضال من أجل إقامة وحدة عربية تقدمية .

٨) هذه الوحدة وتحرير الوطن العربي يقتضيان من القوى الوطنية والتقدمية والديمقراطية أن تعمل على توحيد قواها .

٩) لا تحرير بدون الحرب الشعبية الشاملة ، مع ضرورة التمسك الدائم بالهدف النهائي للنضال الفلسطيني والعربي ، وهو إزالة الكيان الصهيوني وإقامة الدولة الفلسطينية التقدمية الديمقراطية .

١٠) أهمية قيام ودعم « الجبهة العربية التقدمية المشاركة» في دعم الثورة الفلسطينية .

١١) الاعتماد على قوى العرب الذاتية .

١٢) السعي إلى تقوية الإعلام العربي في الخارج .

١٣) التوصية بأن يصدر اتحاد الصحفيين العرب مجلة ، بمختلف اللغات ، للدعاية للقضايا العربية ، وفي مقدمتها قضية فلسطين .

١٤) توصية منظمة التحرير الفلسطينية بالإسراع بتوحيد الإعلام الفلسطيني .

هـ ـ المؤتمر الرابع للاتحاد (١٩٧٤) : انعقد المؤتمر الرابع لاتحاد الصحفيين العرب في دمشق بين ٣٠/٧ و٢/٨/١٩٧٤ . وحول حرب ١٩٧٣ * جاء في البيان الختامي للمؤتمر أن هذه الحرب نقلت الثورة العربية من مواقع الدفاع إلى مواقع الهجوم . كما نوّه هذا البيان بالدور الكبير الذي قام به حظر النفط "في التأثير على كثير من المواقف العالمية " . وأشاد بدعم الاتحاد السوفيتي وبقية البلدان الاشتراكية للعرب في هذه الحرب . ورأى المؤتمر أن هذه الحرب أسقطت نظرية الأمن الإسرائيلي ، وأرقفت طموحات البناء الاقتصادي الإسرائيلي الموسع ، وفرضت على الإمبريالية العالمية إعادة النظر في حجم ودور (إسرائيل) في المخطط الإمبريالي العالمي .

وأشار المؤتمر إلى أن حرب تشرين لم تنته بعد ، وهي لن تنتهي إلّا بتحقيق الانسحاب الكامل من الأراضي العربية واستعادة حقوق الشعب العربي الفلسطيني ، وذلك برسم إستراتيجية عربية ، ومواصلة بناء الجيوش العربية . وأكد المؤتمر أن "صراعنا مع العدو الصهيوني في هذه المرحلة يتقدّم على العديد من الصراعات التي تواجهها الأمة العربية " ، ودعا إلى تعزيز التضامن الوطني العربي ، معلناً رفضه لأي سلام مع الذل وهدر الحق .

وفيما يخص القضية الفلسطينية ، حذّر المؤتمر من خطر حركة الالتفاف الأميركية على إنجازات حرب تشرين وروحها الوطنية العظيمة . ورأى أن مما يزيد من تأجيج هذه الأحاسيس محاولات محاصرة الثورة الفلسطينية ، واندفاع بعض الأوساط العربية على طريق التسوية ، واعتماد سياسة الانفتاح على الولايات المتحدة الامريكية ، وتدهور سياسة التضامن العربي . ودعا المؤتمر إلى استمرار الصراع مع (إسرائيل) والإمبريالية العالمية ، وحشد كل قوى الأمة العربية وطاقاتها لمعركة التحرير والوحدة والتقدم .

و ـ المكتب الدائم للاتحاد (١٩٧٥) : عقد المكتب الدائم للاتحاد اجتماعاً استثنائيا في بيروت بين ٢٤ و٢٧/٣/١٩٧٥ ، أكد فيه " حق الأمة العربية في استخدام السلاح لتحرير أراضيها " .

وشجب المجتمعون "كل الحلول الاستسلامية التي لا طائل من ورائها سوى إرباك الجهود العربية وبلبلة الرأي العام العربي" ، وندّد الاجتماع بالمقالات التي ظهرت في بعض الصحف العربية تتحدث عن التعايش مع العدو . وقرر المكتب الدائم " إسقاط عضوية أي صحفي ينادي بالتعايش مع العدو " ، كما دعا " النقابات العربية إلى شطب هؤلاء من جداول عضويتها " . وأكد تضامن الصحفيين العرب الكامل وتأييدهم الحازم لنضال الصحفيين الفلسطينيين ، ولا سيما أولئك الرازحين تحت نير الاحتلال الصهيوني . وحيّا المكتب الصحفيين المعتقلين في سجون الاحتلال الصهيوني ، ودعا إلى تنظيم حملات احتجاج واسعة من أجل الإفراج عنهم ، وناشد الدول العربية تقديم الدعم المادي للصحفيين في الأرض المحتلة ، وانتهى المكتب إلى تخصيص يوم باسم « يوم الصحفي الفلسطيني» .

ز ـ المكتب الدائم للاتحاد (١٩٧٥) : في إثر توقيع معاهدة سيناء الثانية ، عقد المكتب الدائم للاتحاد اجتماعاً في طرابلس بليبيا ، بين ٢٩/١١ و١/١٢/١٩٧٥ ، وقرر " إدانة هذه الاتفاقية ، ورفض السياسة المادنة إلى تجزئة القضية ، وافراغ النضال العربي من مضمونه ، وإعطاء مكاسب حقيقية للعدو " ، وأكد أن المعركة مع العدو مستمرة . ودعا الأمة العربية إلى المزيد من التلاحم والحشد العسكري والاقتصادي . وتمنى أن تعقد المنظمات الشعبية العربية مؤتمراً شعبياً لتحديد موقفها من هذه الإتفاقية وغيرها من المشاريع الاستسلامية ، ولرسم إستراتيجية جديدة . وحدّد المكتب إدانة الصحفيين العرب لسياسة التوجه نحو الولايات المتحدة ، وندّد بكل المحاولات الرامية إلى عزل شعب مصر عن نضال الأمة العربية . واعتبر المكتب " أن المهمة الرئيسية ، الآن ، أمام الصحفيين العرب هي النضال ، بكل الأشكال ، لإسقاط الخط السياسي الاستسلامي " ، ودعا إلى العمل من أجل وحدة كل القوى الوطنية التقدمية في الوطن العربي ، وطالب كلاً من العراق وسورية بإقامة الجبهة الشرقية .

وقدّر المكتب " الانتصارات التي حقّقها نضال الشعب الفلسطيني ، على الصعيدين العربي والدولي " ، وحيّا " الانتفاضة العظيمة لجماهير الأرض المحتلة " ، ودعا " لزيادة فعالية الجبهة العربية المشاركة في الثورة الفلسطينية " ، و " إلى فتح جميع الجبهات أمام الثورة الفلسطينية " ، كما دعا " فصائل الثورة الفلسطينية لتعزيز وحدتها " ، وطالب بفضح " اتجاهات التسوية " و " العمل بكل الوسائل والسبل لدعم العمل الوحدوي في الوطن العربي " ، واستنكر المكتب إغلاق إذاعة الثورة الفلسطينية في القاهرة . وكلف الأمانة العامة لاتحاد الكتّاب والصحفيين الفلسطينيين الإعداد لندوة عالمية ، تقام في بلد عربي ، حول قرار الجمعية العمومية للأمم المتحدة الذي عرّف الصهيونية بأنها حركة عنصرية (ر : العنصرية والصهيونية) .

وفي ما يخص الوضع المتأزم في لبنان ، ناشد المكتب الرأي العام اللبناني العمل من أجل وقف المعركة الدائرة على الأرض اللبنانية .

ح ـ المؤتمر الخامس للاتحاد (١٩٧٦) : انعقد المؤتمر الخامس للاتحاد في مدينة الجزائر بين ١٣ و١٦/١٢/١٩٧٦ ، وقد حيّا هذا المؤتمر استمرار المقاومة الفلسطينية ، ورأى أن استمرارها يتطلب : توفير كل أسباب الحماية والتأييد ، وحشد المقاتلين ، وإزالة العقبات من طريقهم ، ووقف محاولات التصفية والتمزيق وشق صفوف المقاومة ، مع إحباط كل محاولات التسوية الاستسلامية . ونفذ المؤتمر بالاتجاه الذي أخذ يبرز ، عربياً ، ويدعو إلى التعايش مع العدو ، وإنقاذ حركة المقاومة الفلسطينية استقلالها . وأكّد المؤتمر أن منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني ، وناشد المنظمات الفلسطينية التمسك بالميثاق الوطني الفلسطيني * ، ومواصلة الكفاح المسلح . وترحيد الجبهة الوطنية الفلسطينية ، ورضح البرامج اللازمة للتعبئة القومية الشاملة ، والإلحاح على الحوار الديمقراطي لحل الخلافات في الرأي . وأوصى المؤتمر بتخصيص منابر وأركان لها في الصحف العربية للقضية الفلسطينية ، وبتنظيم لقاءات بين الصحفيين الأجانب والعرب " قصد إقناعهم بعدالة قضيتنا " .

ط ـ المكتب الدائم للاتحاد (١٩٧٧) : بعد أن أقدم الرئيس المصري أنور السادات على مبادرته وزار (إسرائيل) عقد المكتب الدائم للاتحاد اجتماعاً طارئاً في بغداد ، في ٢٩/١١/١٩٧٧ . وصدر عن هذا الاجتماع بيان سياسي دان الزيارة ، واعتبرها محصّلة حتمية لنهج التسوية الاستسلامية ، ونتيجة طبيعية لتسميم التيار السياسي العربي ، وما رافق ذلك من قمع للحريات داخل مصر نفسها ، وتحطيم مكتسبات الشعب المصري ، تحت دعاوى الانفتاح والارتباط بالاقتصاد الإمبريالي العالمي . ورأى الاجتماع أن هذه الزيارة تضفي الشرعية على الكيان الصهيوني " وتشكل إقراراً من جانب النظام المصري بالمفهوم الصهيوني ـ الإمبريالي لطبيعة السلام ، وخيانة صارخة لعروبة القدس " . ورأى المكتب الدائم " أن تشكيل الجبهة العربية المناهضة للتسوية هو ، الآن ، الأشد إلحاحاً " . وكرر المكتب مطالب اتحاد الصحفيين العرب السابقة ، والخاصة بدعم المقاومة الفلسطينية ، وفتح الحدود أمام مقاتليها ومحاربة الدعوات الاستسلامية . كما طالب باتخاذ موقف صلب من عملاء الولايات المتحدة في المنطقة . وأشار المكتب إلى خطر العلاقات التي تقيمها القوى الرجعية في لبنان مع العدو الصهيوني .

ي ـ المؤتمر السادس للاتحاد (١٩٧٩) : انعقد المؤتمر السادس للصحفيين العرب في الحيانية (العراق) بين ١/ و١٩٧٩/٤/٣ . وقد ندد باتفاقيات كامب ديفيد التي وقعها الرئيس السادات مع (إسرائيل) ، ورأى أنها " تعرض الأمن القومي للخطر ، وتفرّط بالحقوق القومية العربية " . وانتهى المؤتمر إلى المطالبة بحشد طاقات الجماهير الشعبية العربية ، ووحدة القوى الوطنية والتقدمية العربية كلها ، ووضع الثروات العربية في خدمة المعركة ، واعتبار أي تعامل مع العدو الصهيوني خيانة ، والإمبريالية الأمريكية عدواً رئيساً ، وكل خطوط المواجهة مع العدو الصهيوني مناطق قتال وفتحها أمام المقاومة ، ومطالبة جميع الأنظمة العربية بالتطبيق الفوري والكامل لمقررات قمة بغداد (ر : القمة العربية ، مؤتمرات) .

ك ـ الأمانة العامة للاتحاد (١٩٧٩) : عقدت الأمانة العامة للاتحاد اجتماعاً لها بين ١ و١٩٧٩/٧/٣ ، في تونس ، أشادت فيه بالإعلان السياسي عن تشكيل القيادة الموحدة بين القطرين العراقي والسوري ، وطالبت بالإسراع في الوحدة بين القطرين . وحذّرت من مؤامرة الحكم الذاتي الفلسطيني ، وقدّرت موقف سلاح الجو السوري في التصدي للاعتداءات الصهيونية على لبنان ، وطالبت بتشديد عزلة الرئيس السادات ونظامه ، وحيّت الشعب المصري وطلائعه الوطنية والتقدمية .

ل ـ الأمانة العامة للاتحاد (١٩٧٩) : عقدت الأمانة العامة للاتحاد اجتماعاً استثنائياً ، في بيروت ، بين ٢٥ و١٩٧٩/٩/٢٦ ، خصصته لبحث قضية الجنوب اللبناني ، وحيّت فيه أبناء الجنوب ، ورأت أن " أي طرح يربط بين وجود المقاومة الفلسطينية واستمرار العدوان الصهيوني إنما يصبّ ، في النتيجة ، في نفس المخطط الرامي لتصفية القضية وإنهاء الكفاح المسلح " . وأكدت الأمانة العامة دعمها للشرعية اللبنانية ولسيادة لبنان ووحدته . ودعت إلى فتح الحدود العربية الأخرى لمجابهة العدوان .

م ـ مؤتمر اتحادات الأدباء والصحفيين والإذاعات ووكالات الأنباء (١٩٨٠) : عقدت اتحادات الأدباء والصحفيين والإذاعات ووكالات الأنباء العربية اجتماعاً مشتركاً في بغداد بين ١٢ و١٩٨٠/١/١٣ ، بدعوة من الأمانة العامة لاتحاد الصحفيين العرب ، من أجل تحقيق الخطة الإعلامية بشأن الجنوب اللبناني . واعتمدت هذه الخطة على أن ما يجري في الجنوب اللبناني هو جزء من مخطط فرض التسوية الاستسلامية على المنطقة ، وجزء من مخطط التوسع الإسرائيلي . وأوضح الاجتماع أن التصدي للعدوان الصهيوني لا يكون بتقديم التنازلات له . وأكد حق لبنان في السيادة على أراضيه ، وحق الشعب الفلسطيني في النضال لتحرير أرضه عبر جميع الجبهات العربية . واتخذ المؤتمر قرارات لتنفيذ عدد من الأعمال والخطوات الإعلامية بشأن الجنوب اللبناني ودعم المقاومة .

ن ـ ندوة بغداد (١٩٨٠) : انعقدت ندوة بغداد للحوار العربي ـ الأوربي للصحفيين بإشراف اتحاد الصحفيين العرب بين ٢٦ و١٩٨٠/١/٢٩ . وقد صدر عن هذه الندوة بيان أوضح أن " بعض أجهزة الإعلام في أوربا ما زالت واقعة تحت تأثير مصالح رأسمالية ورواسب عقلية استعمارية تجد من الصهيونية حليفاً لها " . وسجّل المشاركون في الندوة أن قضية فلسطين قضية إنسانية تزداد تأزماً ، ولا يمكن أن تأخذ طريقها إلى الحل الشامل والعادل إلاّ بالاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني الثابتة (ر : الحقوق الثابتة للشعب الفلسطيني) . وأشاروا إلى أن ثمة حقائق موضوعية لا تصل إلى الرأي الأوربي ، فمعظمه لا يزال يجهل حقائق المشكلة . ورأى المشاركون " أن القضية الفلسطينية يجب أن تخرج من إطار المحاولات المستمرة لتصفيتها " .

س ـ الأمانة العامة للاتحاد (١٩٨٠) : عقدت الأمانة العامة للاتحاد اجتماعاً في عمّان بين ١٣ و١٩٨٠/٥/١٥ . وكان الموضوع الرئيسي على جدول أعمال الاجتماع هو بحث وسائل دعم انتفاضة فلسطين المحتلة . واستمع الحاضرون إلى المناضلين الثلاثة المعدين : فهد القواسمة ، ومحمد ملحم ، والشيخ رجب التميمي .

ع ـ المكتب الدائم للاتحاد (١٩٨١) : عقد المكتب الدائم للاتحاد اجتماعاً في تونس بين ٢٨ و١٩٨١/٤/٣٠ . وقد أشار البيان السياسي الصادر عن الاجتماع إلى " حرب الإبادة التي يتعرض لها الشعبان اللبناني والفلسطيني " ، وإلى " إقامة القواعد العسكرية وتجهيز الجيوش الأجنبية للتدخل وإثارة الفتن الطائفية والحروب الأهلية وتمزيق صفوف الأمة العربية ، وضرب الحريات الديمقراطية " . وطالب البيان بحشد كل الطاقات العربية " من أجل خوض معركة تحرير فلسطين " . ودان المكتب " كل محاولة للاتصال بالعدو الصهيوني " . وأكد " أن الإمبريالية الأمريكية هي العدو الرئيسي للأمة العربية " . ورفض " كافة المبادرات الهادفة إلى تجميل كامب ديفيد " . وأشاد بمقاومة الشعب المصري لكامب ديفيد وتطبيع العلاقات بين مصر وإ إسرائيل) . وناشد المكتب الدائم الدول العربية " دعم اللبنانيين في نضالهم العادل للدفاع عن سيادة وطنهم ، واستقلالهم ، ووحدتهم ضد العدوان الإسرائيلي الدائم وأدواته " .

ف ـ ندوة تونس (١٩٨١) : بمبادرة من الاتحاد ، انعقدت ندوة الحوار العربي ـ الإنريقي ، في تونس ، في ما بين ٤ و١٩٨١/٥/٦ . وصدر عنها بيان سياسي رأى أن ولادة الكيان

الصهيوني في فلسطين ، بدعم من الغرب ، جاء ليحقق " أحد أهم الأهداف الاستعمارية بتكريس عملية الفصل بين آسيا وإفريقيا ، وتطويق أي تواصل " ، وقد شكّل الدور الإسرائيلي ، كامتداد للأدوار الاستعمارية " أحد أهم التحديات الرئيسية التي يواجهها العرب والأفارقة ، معاً " ، وأكّد البيان أن " العلاقات بين (إسرائيل) وجنوب إفريقيا تتميز بخصوصية يفرضها تقاطع الصهيونية والعنصرية " . وأشار بيان الندوة الى أن حرب ١٩٦٧ جاءت " بمثابة الصدمة الكهربائية الثانية ، بعد عدوان ١٩٥٦ (أو : حرب ١٩٥٦) ، منبهة لترابط الأدوار الصهيونية ـ الاستعمارية ، وخطورتها على وحدة وفعالية حركات التحرر ، ونهوضها الاستقلالي " ، الأمر الذي أدّى إلى تعزيز العلاقات العربية ـ الإفريقية ، فقطعت تسع دول إفريقية علاقاتها مع (إسرائيل) ، ثم ارتفع عددها إلى ٢٩ دولة ، بعد حرب تشرين الأول ١٩٧٣ . وأيد مجلس وزراء منظمة الوحدة الإفريقية ، في ١٩٧٣/١١/٢١ ، النضال العربي ، ودان (إسرائيل) بشدة . والشيء نفسه فعله مؤتمر وزراء خارجية دول شرق ووسط إفريقيا ، في الفترة نفسها ، وتلا ذلك انعقاد أول مؤتمر قمة عربي ـ إفريقي ، في القاهرة ، سنة ١٩٧٧ .

الاتحاد العام لطلبة فلسطين :

يعود تاريخ الحركة الطلابية الفلسطينية إلى الفترة التي واجه فيها الشعب الفلسطيني الانتداب البريطاني . وقد عمل الطلبة في المؤسسات التعليمية خلال تلك الفترة على تشكيل جمعيات أسموها "جمعيات الخطابة " ، وأخذوا من خلالها يدعون إلى تشكيل اتحاد طلابي لتجميع الطاقات الطلابية والوقوف في وجه مخططات المستعمرين . وفي عام ١٩٣٦ انعقد المؤتمر الطلابي الأول في مدينة يافا * ، وحضره ممثلون من مختلف المدارس الفلسطينية . وناقش المؤتمر القضية المركزية ، وهي مواجهة الاحتلال البريطاني من أجل الاستقلال . كما نبّه المؤتمر إلى المؤامرات التي تحاك بالاشتراك مع سلطات الانتداب للسيطرة على فلسطين . ودعا إلى مواجهة الهجرة الصهيونية * باعتبارها مؤامرة استعمارية لتسليم فلسطين للصهيونيين تنفيذاً لوعد بلفور * . وانتخب المؤتمر الأول قيادة الاتحاد لمتابعة الاحداث ، وتنظيم الحركة الطلابية . كما شارك الاتحاد في الدعوة إلى الإضراب العام سنة ١٩٣٦ ، وساهم في إنجاحه ، وفضح الأهداف الصهيونية .

ومن ناحية أخرى تشكلت في القاهرة رابطة الطلبة الفلسطينيين في جامعة الملك فؤاد (القاهرة حالياً) ، حيث كانت تقوم بالتعريف بظروف الشعب الفلسطيني ، والمخاطر التي تهدد الأمة العربية .

وبعد وقوع النكبة ١٩٤٨ شهدت الحركة الطلابية الفلسطينية تطورات متسارعة . وكانت الانطلاقة الأولى باتجاه تنظيم قوى الشعب ، فبدأت الأطر الطلابية تسعى إلى خلق أشكال نضالية طلابية موحدة ومنظمة . وقد سميت المرحلة الممتدة من النكبة حتى عام ١٩٥٦ ، على صعيد الحركة الطلابية مرحلة الروابط الطلابية . ففي عام ١٩٥٢ وسّعت رابطة القاهرة قاعدتها لتشمل أعداداً كبيرة من الجامعيين الفلسطينيين ، وأخذت دورها في طرح القضية الفلسطينية والمشكلات الطلابية ، وحصلت على اعتراف جامعة الدول العربية بها . وتم ذلك عند تولي ياسر عرفات رئاسة الرابطة . ثم تشكلت روابط أخرى في الإسكندرية وأسيوط ودمشق وبيروت . ودعيت رابطة القاهرة في عام ١٩٥٦ إلى حضور مؤتمر اتحاد الطلاب العالمي كعضو مراقب ، وقد تشكلت هيئة إدارية عام ١٩٥٨ من رابطتي القاهرة والإسكندرية . أصدرت آنذاك مجلة " صوت فلسطين " .

أ ـ تأسيس الاتحاد وتطوره : بعد الاتصالات التي أجرتها اللجنة التحضيرية خلال سنة ١٩٥٩ ، وجهت الدعوة لعقد أول مؤتمر للطلاب الفلسطينيين في القاهرة ، وقد انعقد المؤتمر فعلاً في ١٩٥٩/١١/٢٩ ، أي في ذكرى تقسيم فلسطين * ، تأكيداً على إبراز الشخصية الفلسطينية المستقلة . وحضر المؤتمر ممثلون عن طلبة فلسطين في القاهرة ودمشق ولبنان ،وممثلو الاتحادات الطلابية العربية والأجنبية . ووضع المؤتمر دستور الاتحاد ولائحته التنظيمية . واعتبر مهمته الأساسية خلق الإنسان الثوري القادر على المشاركة في معركة التحرير والإعداد للمعركة وتوعية الشباب الفلسطيني .

وشهدت مرحلة ما بعد ولادة الاتحاد حالة متميزة من المد الوطني لدور القطاع الطلابي الفلسطيني ، فقد مثل الاتحاد عملياً الشعب الفلسطيني على الصعيد الدولي في مناسبات عدة وأخذ على عاتقه مهمة إبراز شخصيته المستقلة ، مما ساعد على توسيع إطاراته في مناطق متعددة .

عقد الاتحاد فيما بين عامي ١٩٥٩ و١٩٧٨ ثمانية مؤتمرات عامة . وكان أولها مؤتمر القاهرة سنة ١٩٥٩ ، وفيه انتخبت أول هيئة تنفيذية للاتحاد . وانعقد المؤتمر الثاني في مدينة غزة * سنة ١٩٦١، وفيها انعقد المؤتمر الثالث أيضاً سنة ١٩٦٣، وهناك تشكلت هيئة تنفيذية مؤقتة تولت تسيير أعمال الاتحاد . وفي المؤتمر الرابع الذي انعقد في القاهرة سنة ١٩٦٥ برز الخلاف حول انتخاب الهيئة التنفيذية الجديدة ، مما أدى إلى تشكيل هيئتين تنفيذيتين للاتحاد . ثم انتهى هذا الخلاف العارض بعد شهر من انعقاد المؤتمر ، وتشكلت هيئة تنفيذية واحدة . أما مؤتمر عمان سنة ١٩٦٩ فقد تم فيه

انتخاب مجلس إداري من ٢٥ عضواً لرسم الخطة المناسبة لتطبيق قرارات المؤتمر ، والإشراف عليها ، ولانتخاب هيئة تنفيذية في أول اجتماع له .

وعقد المؤتمران السادس والسابع في الجزائر . وجرى عقد أولهما في ١٩٧١/٨/١٥ ، والثاني في ١٩٧٤/٨/١٦ . وحضرهما ممثلو الفروع العديدة في الوطن العربي وفي العالم . وقد تم فيهما انتخاب المجلس الإداري من ٢٧ عضواً وكان هذا المجلس ينتخب الهيئة التنفيذية الجديدة في كل مرة .

وتم عقد المؤتمر الثامن في بيروت بين ١٨ و١٩٧٨/١٢/٢٦ . وقد انتخب المجلس الإداري من ٣٣ عضواً ، والهيئة التنفيذية الجديدة . تمثلت في الهيئة والمجلس أهم التنظيمات الفلسطينية . وقد صدر عن المؤتمر بيان سياسي شدد على ضرورة التصدي لكل محاولات الاحتواء والوصاية والتبعية ، وضرورة الحفاظ على استقلالية الإرادة الفلسطينية . وأكد وجوب التصدي لمشاريع التسوية المطروحة وفي مقدمتها اتفاقات كامب ديفيد * ، ورفض جميع محاولات تجاوز الشعب الفلسطيني ، وأكد حقه في العودة وتقرير المصير وبناء دولته المستقلة ، وحيّا المؤتمر في بيانه نضال الشعب الفلسطيني في الأراضي المحتلة والتلاحم الفلسطيني اللبناني ، والجبهة القومية للصمود والتصدي * .

ب ـ أهداف الاتحاد : الاتحاد العام لطلبة فلسطين هو المؤسسة النقابية الطلابية الفلسطينية الوحيدة . وهو يسعى إلى :

١) الدفاع عن المصالح المادية والأدبية والثقافية لأعضائه .

٢) تحسين الظروف المعيشية والمادية لأعضائه .

٣) ضمان مختلف الوسائل لتشجيع الطلبة في دراستهم .

٤) توفير سبل العلم للطالب الفلسطيني بمختلف مراحله الابتدائية والإعدادية والثانوية والجامعية .

كما يسعى الاتحاد ، كمنظمة تضم جزءا من الطليعة الواعية من شعب فلسطين ، إلى :

١) إعداد الشباب العربي لمعركة التحرير .

٢) فضح المؤامرات الامبريالية والصهيونية والرجعية الرامية إلى تصفية القضية الفلسطينية ، والعمل على حماية الثورة من كل ما تتعرض له من مؤامرات في شتى المجالات .

٣) تنمية وعي الشعب الفلسطيني حول أسس التنظيم الشعبي السليم .

٤) توثيق الروابط بين الاتحاد والمنظمات الشعبية الفلسطينية .

ويسعى الاتحاد كمنظمة طلابية إلى :

١) وحدة الحركة الطلابية العربية وتدعيمها .

٢) توثيق العلاقات بالمنظمات الطلابية العربية والآسيوية والإفريقية ، وبالمنظمات الطلابية الوطنية الأخرى .

٣) تمثيل طلبة فلسطين في مختلف المجالات الطلابية والدولية .

جـ ـ مبادىء الاتحاد : يؤمن اتحاد طلبة فلسطين :

١) بأن التنظيم الشعبي الطلابي هو القاعدة الأساسية للثورة الفلسطينية التي هي الطريق الوحيد إلى التحرير الكامل .

٢) بأن الاعتراف بالشخصية الفلسطينية المستقلة دعامة أساسية لنضال شعب فلسطين في سبيل التحرير .

٣) بأن كفاح شعب فلسطين هو طريق الوحدة العربية الجماهيرية وأن وحدة الجماهير العربية هي خطوة أساسية للتحرير .

٤) بالدور الطليعي الذي يجب على الطالب الفلسطيني أن يقوم به في قيادة شعبه .

ويؤكد دستور الاتحاد أن الاتحاد قاعدة من قواعد الثورة الفلسطينية يعمل من أجل تحرير فلسطين بكافة الوسائل ، وهو يمثل طلبة فلسطين في جميع أنحاء العالم .

أما المقر الدائم للاتحاد فهو مدينة القدس * . واختيرت بيروت مقراً مؤقتاً له .

يحق لكل طالب (وطالبة) من أصل فلسطيني أن يكون عضوا في الاتحاد . وتنقسم العضوية إلى عضوية عامة ، وعضوية مراقبة ، وعضوية شرف . ويحق لكل الطلاب المنتسبين إلى الكليات والجامعات والمعاهد العليا الترشح للعضوية العاملة .

د ـ البناء التنظيمي للاتحاد :

١) المؤتمر الوطني العام : يضم ممثلي الفروع المنتخبين من جمعياتها العامة على أساس اللائحة الداخلية الخاصة بانتخابات المؤتمر . ينعقد المؤتمر الوطني العام مرة كل سنتين ، فيناقش التقارير المقدمة من الهيئة التنفيذية ، ويضع خطة عمل للاتحاد للفترة القادمة . وهو أعلى سلطة في الاتحاد ، ومن حقه تعديل الدستور واللوائح التنظيمية . كما يقوم بانتخاب المجلس الإداري .

٢) المجلس الإداري : أعلى سلطة في غياب المؤتمر ، ويتكون من ٣٣ عضواً . ينتخب الهيئة التنفيذية للاتحاد ، ويعقد دورة كل ستة أشهر لمتابعة أعمال الهيئة التنفيذية في تنفيذ مقررات المؤتمر الوطني العام .

٣) الهيئة التنفيذية : وهي أعلى سلطة في غياب المؤتمر العام والمجلس الإداري ، وتعتبر القيادة اليومية للاتحاد . وتشكل من تسعة أعضاء وتصدر نشرة اسمها « جبل الزيتون» .

٤) الهيئة الإدارية : وهي القيادة اليومية لفرع الاتحاد . ويجري انتخابها من قبل الجمعية العامة للفرع في اجتماعها السنوي حسب اللائحة الداخلية .

يشارك الاتحاد في عضوية المجلس الوطني الفلسطيني * بسبعة ممثلين وله ممثل في المجلس المركزي لمنظمة التحرير الفلسطينية *

وتنتشر فروع الاتحاد في مصر وسورية ولبنان والعراق والكويت والسودان وليبيا والجزائر وتونس والمغرب واليمن الديمقراطي والاتحاد السوفييتي ورومانيا وبلغاريا وبولندا والمجر وألمانيا الديمقراطية ويوغسلافيا والهند والباكستان وإسبانيا وفرنسا وإيطاليا وألمانيا الاتحادية وبلجيكا واليونان وتشيكوسلوفاكيا وتركيا . ولمعظم الفروع نشراتها الخاصة التي تشرح قضية الشعب الفلسطيني وحركته التحررية .

هـ - من نشاطات الاتحاد : أسهم الاتحاد العام لطلبة فلسطين في القضية الوطنية الفلسطينية بجهد ملحوظ . فمنذ البداية عقد العديد من الندوات والمؤتمرات الشعبية والمحلية ، منذ وقوع النكبة وطوال الخمسينات ، ولعبت هذه الندوات والمؤتمرات دوراً تحريضياً في هذا الصدد . ثم كانت ندوة فلسطين العالمية * الأولى التي دعا الاتحاد العام لطلبة فلسطين إلى عقدها في القاهرة ، وانعقدت فعلا في آذار ١٩٦٥ ، ثم ندوة فلسطين العالمية الثانية التي عقد الجزء الأول منها في عمان خلال أيلول ١٩٧٠ واستكمل الجزء الثاني من الندوة نفسها في الكويت في شباط من السنة التالية . وشارك في الندوتين الأولى والثانية ، بحوثهما ، باحثون ومفكرون عرب وأجانب ، بهدف إغناء القضية الفلسطينية بحثاً ودراسة .

وفضلا عن أن أبرز قادة المقاومة الفلسطينية هم من القادة السابقين للحركة الطلابية الفلسطينية ورؤساء هذا الاتحاد وسلفه رابطة الطلبة الفلسطينيين في القاهرة (ياسر عرفات ، صلاح خلف ، فاروق القدومي ، تيسير قبعة ، هايل عبد الحميد) فقد أسهم الاتحاد العام لطلبة فلسطين في العمل الفدائي إذ انخرط الكثيرون من أعضائه في المنظمات الفدائية الفلسطينية المختلفة . وقدموا العديد من الشهداء وسقط آخرون منهم جرحى في اشتباكات مع القوات الإسرائيلية .

وخلال حرب ١٩٦٧ * ، انطلقت قيادة فرع الاتحاد في لبنان (أسعد عبد الرحمن ، توفيق الطيراوي ، حسن الجعبي) على رأس نحو ١٢٠ طالباً من أعضاء فرع لبنان إلى سورية حيث أجرى لهم جيش التحرير الفلسطيني * تدريباً عسكرياً سريعاً وزودهم بالأسلحة وتوجهوا إلى عمان وهناك علموا بسقوط الضفة الغربية في أيدي القوات الإسرائيلية ، فعادوا أدراجهم ، عدا أسعد عبد الرحمن الذي دخل إلى الضفة الغربية سراً ، واشترك مع زملاء له في تنظيم المقاومة السرية للمحتل الإسرائيلي هناك ، إلى أن وقع أسيراً في أيدي القوات الإسرائيلية ، بعد أسابيع قليلة من وصوله إلى الضفة الغربية .

ومنذ العام ١٩٦٨ دأب الاتحاد العام لطلبة فلسطين على إقامة معسكر مرة كل سنة ، خلال الإجازة الصيفية ، يجري فيه تدريب وتثقيف الطلبة الملتحقين بهذا المعسكر .

وتحمل فرع لبنان مسؤولية إبراز الوجه الفلسطيني في لبنان ، منذ حرب ١٩٦٧ وحتى صدامات نيسان ١٩٦٩ . وقام بتنظيم المظاهرات الاحتجاجية والمؤيدة للمقاومة الفلسطينية .

وحين انفجرت الحرب الأهلية اللبنانية ، منذ نيسان ١٩٧٥ ، شكل فرع لبنان " الكتيبة الطلابية " وضمت أعضاء من فتح فقط ، ومنها سقط شهداء كثيرون ، مثل نائدها سعد جرادات (نائب رئيس الاتحاد في لبنان) ، وأيمن أبو عبد الله ، وفهيم البرغوثي .

وثمة نشاط اجتماعي للاتحاد العام لطلبة فلسطين ، يتمثل في خدمات ملموسة لأعضائه في فروع شتى . وهي الخدمات التي تقدم من خلال فروع الاتحاد ، وفق خطة تضعها الهيئة التنفيذية للاتحاد . وهذه الخدمات تتمثل في تقديم المساعدات المادية لبعض الطلاب المحتاجين ، ولبعض الفروع التي تعاني عجزا مالياً ، وفي تقديم منح دراسية ، وفي تبني الاتحاد للطلاب المطرودين من كلياتهم لأسباب سياسية .

هذا وتعطى الأفضلية في المنح والمساعدات المالية لذوي الشهداء ، فذوي الأسرى ، فالمقاتلين ، فالمنتمين إلى حركة المقاومة ، وأخيراً المحتاجين اجتماعياً . وعلى سبيل المثال ، فقد أعفي بواسطة مساعي الاتحاد - في العام ١٩٨٠ وحده - ٥٥٠ طالباً في جامعة بيروت العربية من دفع الرسوم . وبلغت جملة مبالغ الإعفاء نحو ١٦٠ ألف ليرة لبنانية تنازلت عنها إدارة الجامعة المذكورة .

ويمتلك الاتحاد العام لطلبة فلسطين سنويا منحاً دراسية في عدة دول صديقة يخصصها للطلاب الفلسطينيين كما يستفيد من المنح التي يقدمها إليه اتحاد الطلاب العالمي . ويساهم الاتحاد العام لطلبة فلسطين في المحالين العربي والدولي . ففضلا عن مشاركته في معظم المؤتمرات الطلابية العربية والدولية ، فإنه يحتل مقعد نائب رئيس اتحاد الطلاب العالمي كما يشغل مقعد رئيس اتحاد الطلاب العرب ، وله مقعد في اللجنة التنفيذية لاتحاد الشباب العرب ، كما أن الاتحاد عضو مراقب - منذ العام ١٩٨٠ - في المكتب الطلابي للأمم المتحدة ، وعضو في اتحاد الشباب الديمقراطي العالمي .

الاتحاد العام لعمال فلسطين :

أ - لمحة تاريخية : ظهرت فكرة تنظيم عمال فلسطين العرب ضمن إطار نقابي في أوائل العشرينات من هذا القرن ، إثر

إحساس عمال فلسطين بالأخطار الناجمة عن الانتداب البريطاني من جهة ، وإثر ازدياد الهجرة الصهيونية إلى فلسطين * ، وبدء تكتل العمال الصهيونيين ضمن إطار نقابي من جهة ثانية .

وقد ظهرت الفكرة خاصة بين صفوف عمال سكك الحديد في حيفا حيث كانوا يشكلون قوة عمالية لها ثقلها الكبير بالقارنة مع اليد العاملة الإجمالية في فلسطين . وتمكنت الحركة العمالية الفلسطينية بعد نضال طويل من انتزاع الصفة الشرعية الرسمية لوجودها في ١٩٢٥/٣/٢١ ، وشكلت جمعية العمال العربية الفلسطينية ، وكانت هذه نقطة الانطلاق (رَ : العمال والحركة العمالية) .

كان للجمعية دور بارز في تنظيم الإضراب العام الذي استمر ستة أشهر متتالية سنة ١٩٣٦ (رَ : ثورة ١٩٣٦ - ١٩٣٩) . وقد عقدت الجمعية خلال فترة نشاطها ثلاثة مؤتمرات في أعوام ١٩٣٠ و ١٩٤٦ و ١٩٤٧ .

وقد فتر نشاط الجمعية العلني بعد قرار تقسيم فلسطين * إذ أدت الحرب إلى مقتل الكثير من قادتها وأعضائها الفاعلين ، إضافة الى هجرة أعداد كبيرة من العمال الفلسطينيين إلى دول عربية وعالمية مختلفة . لكن المحاولات السرية لإعادة تنظيم العمال الفلسطينيين بقيت مستمرة ، حتى تكللت بالنجاح في ١٩٦٣/٨/٣ ، وتم الإعلان عن تأسيس الاتحاد العام لعمال فلسطين واتخذ مقراً له في مدينة غزة .

ب - العلاقة بين الاتحاد ومنظمة التحرير الفلسطينية : وجّهت اللجنة التنفيذية لاتحاد عمال فلسطين في ١٩٦٤/٨/٣٠ رسالة إلى أول لجنة تنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية * تبلغها فيها قرارها اعتبار الاتحاد قاعدة من قواعد المنظمة . وثبّت الاتحاد موقفه هذا في مؤتمره الأول المنعقد في مدينة غزة عام ١٩٦٥ إذ حدد في دستوره ، بشكل رسمي ، علاقته بالمنظمة .

وقد تحددت العلاقة بالمنظمة في بندين رئيسين من بنود برنامج العمل الذي وضعه الاتحاد عام ١٩٦٦ ينصّان على :

١) تشكيل لجنة في كل فرع من فروع الاتحاد في الأقطار العربية للتنسيق مع مكتب منظمة التحرير في ذلك القطر ، على أن تكون هذه اللجنة من أعضاء الهيئة الإدارية للفرع .

٢) توصية اللجنة التنفيذية للمنظمة بتوضيح العلاقة بين الاتحاد وبينها ، عن طريق دائرة التنظيم الشعبي .

وتقرر في البرنامج ذاته أن يتولى الاتحاد العام تجاه منظمة التحرير الفلسطينية المهمات التالية :

١) القيام بدور إيجابي في تحقيق الوحدة الوطنية الفلسطينية .

٢) إقامة ندوات التوعية الوطنية باستمرار .

٣) المساهمة في الجباية ، وحملة « أسبوع فلسطين » ، وكافة النشاطات الأخرى التي يُطلب من الاتحاد المشاركة فيها .

٤) توعية العمال الفلسطينيين ، وحثهم على الانضمام إلى معسكرات التدريب الشعبية .

٥) تعبئة العمال نفسياً ومعنوياً ليكونوا مهيئين لمساندة منظمة التحرير بصدد مطالبها ، وبصدد نضالها ضد كافة أشكال القوى الاستعمارية والرجعية .

وبالمقابل تقوم منظمة التحرير تجاه الاتحاد العام لعمال فلسطين بأعمال منها :

١) وضع خطة إعلامية متكاملة من قبل المنظمة ، والقيام بتعميمها على كافة فروع الاتحاد لتوعية الجماهير الفلسطينية .

٢) مراعاة تفريغ منظمين لكل فرع من فروع الاتحاد .

٣) تعميم الجباية المالية من أجل فلسطين ، في كل البلاد العربية .

٤) الإسراع في تشكيل مكاتب عمالية فلسطينية موزعة في أنحاء العالم ، مع إيجاد ملحق عمالي في كل مكتب .

جـ - أهداف الاتحاد العام لعمال فلسطين .

١) يناضل الاتحاد العام لعمال فلسطين ، كتنظيم نقابي وعمالي ، في سبيل الدفاع عن مصالح وحقوق عمال فلسطين ، مادياً وأدبياً وثقافياً . كما يسعى إلى تحسين ظروفهم المعيشية مادياً واجتماعياً . ويعمل ، من خلال تمثيل عمال فلسطين في مختلف المجالات العربية والعالمية ، على إبراز الشخصية الفلسطينية المستقلة .

٢) يناضل الاتحاد العام لعمال فلسطين ، كتنظيم ثوري فلسطيني شعبي ، في سبيل :

(١) المساهمة في دعم الثورة الفلسطينية وحمايتها وتعبئة الطاقات العمالية الفلسطينية لخوض معركة التحرير .

(٢) توثيق العلاقات مع التنظيمات الشعبية الفلسطينية ، والتعاون الكامل معها من أجل خدمة الثورة الفلسطينية وتحقيق أهدافها .

(٣) تنمية الوعي القومي لدى العمال الفلسطينيين ، وتعميق فهمهم الكامل لأبعاد القضية الفلسطينية في مقاومة المطامع الاستعمارية والصهيونية العالمية .

(٤) دعم القضايا العربية ، والعمل في سبيل تحقيق الوحدة العربية .

٣) يناضل الاتحاد العام لعمال فلسطين ، كمنظمة عمالية عربية ، في سبيل :

(١) العمل على وحدة الحركة العمالية العربية ، ودعمها ،

وتعبئة طاقاتها من أجل تأكيد دورها النضالي في تحرير فلسطين وكافة الأراضي العربية المحتلة ، وحلق المجتمع العربي الاشتراكي الموحّد .

(٢) تعميق التحالف مع الاتحادات العمالية في بلدان المعسكر الاشتراكي وآسيا وإفريقيا ودول أمريكا اللاتينية وجميع الاتحادات العمالية المؤيدة للقضية الفلسطينية بشكل خاص ، والقضية العربية بشكل عام .

(٣) إعلاء شأن الطبقة العاملة ، وتأكيد دورها القيادي في الدفاع عن مصالح الشعوب ، وتحقيق استقلالها وسيطرتها على ثرواتها ، وإرساء دعائم السلم العالمي .

(٤) مقاومة التمييز العنصري والتعصب العرقي والمذهبي والطائفي .

(٥) مساندة حركات التحرر الوطني في العالم في نضالها العادل من أجل الحرية والاستقلال وحق تقرير المصير .

د ـ هيئات الاتحاد العام لعمال فلسطين :

١) المؤتمر العام : هو السلطة العليا للاتحاد ، ويضم ممثلي فروع الاتحاد المنتخبين من قبل فروعهم . ويعقد المؤتمر دوراته الاعتيادية مرة كل ثلاث سنوات بناء على دعوة المجلس الأعلى ، وفي المكان الذي يحدده المجلس . ويجوز عقد دورة غير عادية للمؤتمر بناء على طلب مسبق من ثلثي أعضاء الفروع . وعلى المجلس الأعلى في هذه الحال دعوة المؤتمر للانعقاد خلال ثلاثة أشهر من تاريخ تقديم الطلب . ومن صلاحيات المؤتمر العام :

(١) انتخاب رئيس المؤتمر ونائبيه .

(٢) مناقشة تقرير الأمانة العامة المقدم إلى المؤتمر .

(٣) إقرار الميزانية العامة للاتحاد .

(٤) انتخاب أعضاء المجلس الأعلى والأمين العام والأمناء المساعدين للاتحاد .

(٥) إقرار تعديل دستور الاتحاد ولائحة النظام الداخلي . ويتم إقرار تعديل الدستور بموافقة ثلثي الأعضاء العاملين في المؤتمر .

(٦) التصديق على قبول عضو أو فصله من عضوية الاتحاد .

(٧) رسم سياسة الاتحاد العامة .

(٨) إقرار أو تعديل الأنظمة الداخلية للفروع والنقابات .

ويتألف المؤتمر العام من مندوبي الفروع الأعضاء وفقاً للنسب التالية :

(١) يمثل الفرع الذي يضم ٥٠ عضواً ممثل واحد .

(٢) يمثل الفرع الذي يضم ١٠٠ عضو ممثلان .

(٣) لكل مئة عضو بعد ذلك حتى ٥٠٠ عضو ممثل واحد .

(٤) لكل ٢٥٠ عضواً بعد ذلك حتى ١,٥٠٠ عضو ممثل واحد .

(٥) لكل ٥٠٠ عضو بعد ذلك حتى ٤,٠٠٠ عضو ممثل واحد .

(٦) لكل ١,٠٠٠ عضو بعد ذلك حتى ٧,٠٠٠ عضو ممثل واحد .

(٧) لا ينبغي أن يزيد ممثلو أي فرع لعضوية المؤتمر عن ١٥ ممثلاً . وتقوم الفروع بتبليغ الأمانة العامة للاتحاد أسماء مندوبيها ومستشاريها قبل انعقاد المؤتمر بأسبوعين على الأقل .

يتم النصاب في جلسات المؤتمر العام بحضور ثلثي الأعضاء العاملين ، وإذا لم يكتمل النصاب يعقد الاجتماع قانونياً بحضور نصف الأعضاء العاملين بعد ٣ أيام من الموعد الأول للاجتماع ، وإذا لم يكتمل النصاب المحدد يؤجل المؤتمر ، وتعطى الأمانة العامة حق تحديد موعد آخر لانعقاده .

٢) المجلس الأعلى :

(١) المجلس الأعلى هو السلطة العليا للاتحاد خلال المدة الواقعة بين دورات انعقاد المؤتمر العادية أو الاستثنائية ، ومهمته الإشراف على تنفيذ قرارات المؤتمر العام ، ورسم الخطة المناسبة لتطبيقها ، ومحاسبة اللجنة التنفيذية التي ينتخبها من بين أعضائه .

(٢) يجتمع المجلس الأعلى في دورة عادية مرة في السنة . ويمكنه عقد اجتماعات استثنائية بناء على دعوة اللجنة التنفيذية ، أو بطلب من نصف أعضاء المجلس زائداً واحداً على الأقل . ولا تكون اجتماعات المجلس قانونية إلا بحضور ثلثي الأعضاء . أما قراراته فتؤخذ بالأغلبية النسبية للحضور .

(٣) يحق للمجلس الأعلى سحب الثقة من أحد أعضائه ، أو أحد أعضاء اللجنة التنفيذية ، وانتخاب بديل عنه بأكثرية الثلثين في جلسة رسمية . وإذا عبر المجلس بأغلبية ثلثي أصواته عن عدم الثقة باللجنة التنفيذية تعدّ مقالة وينتخب المجلس بديلاً عنها .

٣) اللجنة التنفيذية :

(١) تتكون اللجنة التنفيذية من الأمين العام للاتحاد ، والأمناء العامين المساعدين المنتخبين من المؤتمر العام ، ومن ممثلي الفروع المعتمدين من المجلس الأعلى .

(٢) تتمتع اللجنة التنفيذية بسلطات المجلس الأعلى وصلاحياته في حال عدم انعقاده ، وتنفذ قرارات المجلس الأعلى والمؤتمر العام ، وتنسق أعمال الفروع وتشرف عليها . ويكتمل النصاب لكافة اجتماعاتها بحضور ثلثي الأعضاء على الأقل . وتجتمع اللجنة التنفيذية مرة كل ستة أشهر .

٤) الأمانة العامة :

(١) تتكون الأمانة العامة من الأمين العام للاتحاد وأربعة أمناء عامين مساعدين للشؤون الخارجية وللشؤون الداخلية وللتوجيه والإعلام وللشؤون المالية .

(٢) ينطق الأمين العام باسم الاتحاد ، ويمثله في جميع الأعمال المدنية والقضائية وكافة الأعمال الرسمية ، ويشرف على تنفيذ قرارات اللجنة التنفيذية ، وعلى أعمال أعضاء الأمانة العامة . كما يرأس اجتماعات اللجنة التنفيذية والمجلس الأعلى .

(٣) يعتبر أعضاء الأمانة العامة أعضاء طبيعيين في المؤتمر العام ، ولهم الحق في الترشيح والتصويت .

(٤) تتولى الأمانة العامة مهمة جمع وتنظيم المعلومات عن المسائل المتصلة بالشؤون العمالية العربية خاصة ، والقيام بما تراه مناسباً من أبحاث ودراسات .

(٥) يقوم مكتب الأمانة العامة ببحث الموضوعات المقترح عرضها على المؤتمر العام أو المجلس الأعلى او اللجنة التنفيذية . كما يقوم بتحضير الوثائق والتقارير الخاصة بمختلف البنود التي تدرج في جدول أعمال دورات انعقاد الهيئات المشار إليها .

(٦) تقع على عاتق مكتب الأمانة العامة مسؤولية تقديم المساعدات للفروع والأعضاء في الاتحاد ، وعقد حلقات دراسية ، وتنظيم دورات تدريبية لأعضاء الاتحاد ، ونشر وتنمية الوعي بالمشكلات العمالية ، ومحاولة إيجاد حلول لها في إطار متجانس موحّد .

(٧) يتولى مكتب الأمانة ترجمة ونشر المطبوعات التي تتناول مشكلات الصناعة والاستخدام والتنظيم النقابي وغيرها من المشاكل المتعلقة بالقضية الفلسطينية لوضعها أمام الرأي العام العمالي ، العربي والعالمي .

هـ ـ فروع الاتحاد :

١) مع نشأة الاتحاد العام لعمال فلسطين عام ١٩٦٣ ، قام الاتحاد بتأسيس فروع له في كل من لبنان ومصر وألمانيا الديمقراطية ، إضافة إلى مركزه الأساسي الذي كان آنذاك في غزة . ثم أقر الاتحاد ، بعد مؤتمره الأول عام ١٩٦٤ ، تأسيس فرعين جديدين له في كل من العراق والكويت . وفي أواخر عام ١٩٦٥ تم افتتاح فرع جديد له في سورية أصبح في عام ١٩٧١ مركزاً للاتحاد . وقد بلغ عدد فروع الاتحاد العام لعمال فلسطين في سنة انعقاد مؤتمره السادس عام ١٩٧٨ ، ١٣ فرعاً ، بعد تأسيس فروع له في ليبيا والسويد والدنمارك وأستراليا وبلجيكا ودول الخليج العربي .

٢) يشارك كل فرع من فروع الاتحاد بنسبة ١٥٪ من دخله في ميزانية الاتحاد العامة ، باستثناء فرعي الكويت ودول الخليج العربي اللذين يساهمان بنسبة ٣٠٪ من دخليهما .

٣) يتمتع كل فرع من فروع الاتحاد بحقه في إرساء أسس نظامه الداخلي بما ينسجم مع ظروف القطر الموجود فيه بشرط عدم الخروج عن الدستور العام للاتحاد . كما يتمتع الفرع بحقه في إجراء انتخابات أي هيئة إدارية في أي فرع أو مجلس نقابات أو نقابة أو رابطة أو لجنة عمالية ، وبحقه في الاستقلال المالي ، بشرط تقديم تقرير مالي إلى اللجنة التنفيذية والمجلس الأعلى للاتحاد كل ثلاثة أشهر .

٤) يشترط على كل فرع من فروع الاتحاد التقيد بقرارات المؤتمر العام والمجلس الأعلى واللجنة التنفيذية . وفي حال مخالفتها يحق للجنة التنفيذية اتخاذ ما تراه مناسباً من إجراءات بموافقة خطية من ثلثي أعضائها بعد ان تنال موافقة المجلس الأعلى على قرارها .

و ـ مؤتمرات الاتحاد : عقد الاتحاد العام لعمال فلسطين ستة مؤتمرات تمت في الأمكنة والأزمنة التالية :

١) المؤتمر الأول في غزة في ١٤/٤/١٩٦٥ .
٢) المؤتمر الثاني في القاهرة في ١٥/٤/١٩٦٧ .
٣) المؤتمر الثالث في القاهرة في ٢٠/٧/١٩٦٩ .
٤) المؤتمر الرابع في دمشق في ٢٠/٨/١٩٧١ .
٥) المؤتمر الخامس في دمشق في أواخر عام ١٩٧٤ .
٦) المؤتمر السادس في دمشق في تشرين الثاني سنة ١٩٧٨ .

ومن أهم التوصيات التي أقرها المجلس الأعلى للاتحاد العام لعمال فلسطين في المؤتمر العام السادس :

١) العمل على تقوية العلاقات وترابطها بين مكتب الأمانة العامة وفروع الاتحاد ، وتبليغ الفروع أهم وأبرز نشاطات الأمانة العامة وآخر المؤتمرات العربية والدولية والحملات التضامنية مع القضية الفلسطينية .

٢) إلزام فروع الاتحاد بتزويد الأمانة العامة بتقارير دورية دقيقة ومفصلة عن كافة نشاطاتها .

٣) العمل على إقامة وتجهيز معهد للثقافة العمالية ، ومتابعة البعثات النقابية والدراسية والدورات الثقافية العمالية .

٤) العمل على تعزيز النشاط الإعلامي للاتحاد على المستويين العربي والدولي ، بإصدار (مجلة ، نشرة) بشكل دوري ، تعبّر عن رأي الاتحاد في كافة القضايا المطروحة .

٥) الاهتمام بمتابعة أوضاع العمال الفلسطينيين في الوطن المحتل ، ووضع الخطة الكفيلة بتوثيق الاتصال معهم ، والوقوف على مشاكلهم ، والعمل على حلها قدر الإمكان .

٦) الاهتمام بأوضاع العمال الفلسطينيين في المهجر ، والعمل

على تنظيمهم في إطار الاتحاد العام لعمال فلسطين ، وبناء جسور منتظمة بين الأمانة العامة وتجمعاتهم النقابية ، لتزويدهم بكل جديد على الساحة الفلسطينية ليكونوا سفراء للقضية الفلسطينية في أماكن وجودهم .

ز ـ نشاطات الاتحاد العام لعمال فلسطين :

١) على صعيد النشاطات الداخلية : يحرص الاتحاد على متابعة وتطوير الأمور التالية :

(١) دعم البنيان النقابي والتنظيمي للاتحاد ، عن طريق توسيع قاعدته بحيث يضم المزيد من العمال الفلسطينيين في كافة أرجاء العالم ، إضافة إلى تنظيم العلاقة بين مكتب الأمانة العامة وفروع الاتحاد .

(٢) تهيئة وبناء كوادر عمالية نقابية ومهنية ، من خلال الدورات النقابية والمنح الدراسية والعلاجية التي تقدم من الاتحادات العمالية الصديقة ، وخاصة اتحادات دول المعسكر الاشتراكي . كما يستفيد الاتحاد من الدورات التي ينظمها الاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب ومنظمة العمل العربية ومؤسسات الثقافة العمالية العربية .

(٣) متابعة فروع الاتحاد من جهة أوضاعها التنظيمية وإنجازاتها وانتخاباتها الدورية .

٢) على الصعيد العربي :

(١) يرتبط الاتحاد العام لعمال فلسطين بروابط وعلاقات تعاون جيدة مع معظم الاتحادات العمالية العربية باستثناء اتحاد عمال مصر الذي جمدت العلا ـ ه عام ١٩٧٧ إثر لقاء رئيس اتحاد عمال مصر بسكرتير الهستدروت * (نقابة العمال الإسرائيلية) .

(٢) يشارك الاتحاد العام لعمال فلسطين في المؤتمرات العمالية العربية الشعبية منها والقطرية ، كما يحرص على الإسهام المستمر في أعمال الاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب ومنظمة العمل العربية .

٣) على الصعيد الدولي : ترتكز علاقات الاتحاد العام لعمال فلسطين الدولية على ما يلي :

(١) العمل المتواصل في سبيل كسب المزيد من الأصدقاء والأنصار في الساحة الدولية ، وتضييق ساحة الخصم وتحييد بعض القوى كنقطة بداية لكسبهم مستقبلاً .

(٢) اتخاذ مواقف موضوعية وعلمية في وجه الدعاية الصهيونية والإمبريالية الأمريكية في أنحاء العالم .

(٣) ترسيخ الشخصية الفلسطينية في الساحة الدولية .

(٤) بذل المزيد من الجهود للحصول على المزيد من الدعم المادي والسياسي والثقافي والإعلامي .

(٥) العمل على توسيع قاعدة الصداقة العمالية وتوثيق علاقات الاتحاد العمالية مع الاتحادات الصديقة ، خاصة في بلدان المعسكر الاشتراكي ، وفي مقدمتها الاتحاد السوفيتي والدول الإفريقية والقوى النقابية التقدمية في العالم .

المراجع :

ـ حسني صالح الحفش : مذكرات حول تاريخ الحركة العمالية العربية الفلسطينية ، بيروت ١٩٧٣ .

ـ دستور الاتحاد العام لعمال فلسطين المقر في المؤتمر الرابع ، دمشق .

ـ تقرير الأمانة العامة لاتحاد عمال فلسطين المقدم للمؤتمر السادس .

الاتحاد العام للعمال اليهود في أرض إسرائيل :

ر : الهستدروت

الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين :

عقد أول مؤتمر لكتاب فلسطين ، في مدينة غزة ، في ١٩٦٦/١١/٢٩ . وشاركت فيه قلة صغيرة من الكتاب ، رغم أن الدعوة للمؤتمر كانت قد وجهت إلى نحو مائة كاتب .

وبعد عام ١٩٦٧ ، ونتيجة للمدّ الجماهيري الذي رافق تصاعد النضال الفلسطيني ، وجد ضرورياً حشد طاقات الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ليأخذوا دورهم النضالي ، بما يتناسب ومسيرة الثورة الفلسطينية . وبدأ التفكير بشكل جدي في بلورة هذا الهدف ابتداء من سنة ١٩٦٩ حين عقد مؤتمر يهدف إلى وضع خطة عمل جديدة ، وإلى الإعداد لمؤتمر عام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين . إلا أن الظروف الصعبة التي مرت بها الثورة الفلسطينية في ذلك الحين حالت دون تحقيق أية خطوة إيجابية في هذا السبيل .

وفي سنة ١٩٧٢ تداعت مجموعة من الكتاب والصحفيين لعقد لقاءات تمخضت عن تشكيل لجنة تحضيرية نالت تأييد اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية * . وقد أشرف على هذه اللجنة الشهيد كمال ناصر * ، وكان من أعضائها الشهيد غسان كنفاني * . ومن المهام الأولى التي حملت مسؤوليتها اللجنة التحضيرية الإعداد للمؤتمر العام ، والعمل على حشد طاقات الكتاب والصحفيين الفلسطينيين من خلال اتحاد واحد يمثلهم .

وفي الفترة من ٦ إلى ١٩٧٢/٩/٩ انعقد المؤتمر العام للاتحاد في بيروت ، باشتراك ٣٣٠ كاتباً وصحفياً فلسطينيا يقيمون في مختلف

الأقطار العربية . واعتبر هذا المؤتمر الأول للاتحاد ، لأنه مؤتمر العمل الحقيقي . وقد أقرّ المؤتمر نظامه الداخلي ، وانتخب أمانة عامة له من خمسة عشر عضوا ، وجعل مقره في القدس ، وأقامه مؤقتاً في بيروت .

حدد الاتحاد أهدافه ، ومنها :

١) جمع ورعاية العاملين في حقل التأليف والكتابة والصحافة والإعلام .

٢) إيجاد منظمة فعالة من الكتاب والإعلاميين الفلسطينيين تستطيع أن تؤثر في وسائل الإعلام المختلفة فلسطينيا وعربيا ودوليا .

٣) الدفاع عن الثورة الفلسطينية ، والمشاركة في النضال من أجل قضية التحرير .

٤) القيام بنشر ، وتعميم ، وحماية إنتاج أعضاء الاتحاد ، والدفاع عن حقوقهم .

أما هيئات الاتحاد فتتألف من :

١) المؤتمر العام : ويضم أعضاء الأمانة العامة ، وممثلي الفروع للمؤتمر العام ، وضباط الاتصال في كل قطر لا يقل عدد المنتسبين للاتحاد فيه عن عشرة أعضاء . ويجتمع المؤتمر العام مرة واحدة كل عامين ، وتجوز دعوته إلى دورة استثنائية في حال طلب ثلثي أعضاء الأمانة العامة ، أو ثلث أعضاء المؤتمر العام .

٢) الأمانة العامة : وهي أعلى سلطة في الاتحاد في حال عدم انعقاد المؤتمر . وتتألف من خمسة عشر عضوا يجري انتخابهم بالاقتراع السري . ومن مهام الأمانة العامة متابعة تنفيذ قرارات المؤتمر العام ، ورسم الخطط المرحلية لسياسات الأمانة العامة ، واتخاذ قرارات جديدة لا تتعارض مع قرارات المؤتمر العام .

٣) السكرتارية : وهي السلطة الإدارية التي تدير شؤون الاتحاد وتقوم بأعمال الأمانة العامة في غياب المؤتمر العام والأمانة العامة . وتتألف من الأعضاء المنتخبين من الأمانة العامة . ومن مهامها تمثيل الاتحاد والإشراف على تنفيذ أهدافه ، وإعداد التقارير السنوية عن نشاط الاتحاد واختيار ممثليه في المؤتمرات الدولية والعربية .

٤) أمانات الفروع : تنتخب الجمعيات العمومية لفروع الاتحاد الأمانات الفرعية (الإقليمية) ومهمتها إدارة شؤون الفروع .

استطاع الاتحاد أن ينشىء فروعاً له في لبنان وسوريا والعراق والكويت ومصر وليبيا . كما شكلت لجنة تحضيرية لكل من اتحادات دولة الإمارات العربية المتحدة والجزائر . أما في الأردن والأرض المحتلة فإن الظروف السياسية حالت دون ذلك .

عقد المؤتمر العام الثاني للاتحاد في تونس بين ٤ و٧/٣/١٩٧٧ ، وضمّ ما يزيد على ١٣٠ مندوبا يمثلون فروع الاتحاد . وكان تظاهرة عالمية من أجل فلسطين . وقد حضره ممثلون عن الاتحادات المماثلة العربية والصديقة . وتم فيه بعض التعديل للنظام الداخلي ، وانتخبت أمانة عامة جديدة ، وأقر برنامج عمل واسع في المرحلة القادمة ، من أبرز ثمراته إصدار مجلة الكاتب الفلسطيني * التي ظهر أول اعدادها في شباط ١٩٧٨ .

عقد الاتحاد مؤتمره الثالث في بيروت من ١٩ إلى ٢٤/٤/١٩٨٠ ، وجرى فيه انتخاب أمانة عامة جديدة ، وتم تعديل النظام الداخلي ، فأنشىء منصب « رئيس الاتحاد » ، ووضعت خطة عمل الاتحاد في المرحلة المقبلة .

الاتحاد العام للمعلمين الفلسطينيين :

بدأ الإعداد لإقامة الاتحاد العام للمعلمين الفلسطينيين في عام ١٩٦٩. وقد عينت دائرة التنظيم الشعبي التابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية * لجاناً تحضيرية من المعلمين الفلسطينيين في سورية ولبنان والكويت والعراق ومصر والجزائر والمغرب وليبيا مهمتها دعوة المعلمين الفلسطينيين إلى الانتساب إلى الاتحاد تمهيداً لعقد المؤتمر الأول له ، بعد إجراء انتخابات الروابط المحلية والفروع . ومن الجدير بالذكر أن المعلمين الفلسطينيين الذين اشتركوا في المؤتمر السادس للمعلمين العرب في الإسكندرية (١٦ - ١٩٦٩/٨/٢١) استصدروا منه قرارا بموافقة المؤتمر على عضوية الاتحاد الفلسطيني - الذي كان ما يزال في طور التكوين - في الاتحاد العام للمعلمين العرب ، وذلك بعد أن عينت دائرة التنظيم الشعبي هيئة رئاسة مؤقتة للاتحاد .

عقد المؤتمر الوطني الأول للاتحاد العام للمعلمين الفلسطينيين في دمشق من تاريخ ٥ - ١٩٧٢/٧/٨ ، أي بعد انقضاء ثلاث سنوات على تأسيس الاتحاد . وقد تأخر عقد المؤتمر حتى ذلك الحين بسبب صعوبة الظروف التي مرت بها الثورة الفلسطينية منذ عام ١٩٧٠ ، وبسبب الأوضاع الخاصة بالمعلمين الفلسطينيين ، فهم يتوزعون في عدد كبير من الدول العربية ، ويعملون في قطاعات مختلفة مثل وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين * ، والمدارس الرسمية الحكومية والخاصة ، وما يعني ذلك من تباين في أوضاع العمل ، وفي قدرة المعلمين على الحركة .

بلغ عدد أعضاء المؤتمر ٤٨ عضوا ، حضر منهم ٤٠ عضوا ، يمثلون فروع : المغرب والجزائر وليبيا ومصر ولبنان وسورية والعراق والكويت .

انتخب المؤتمر أمانة عامة من سبعة أعضاء ، وأصدر بيانا سياسيا في ختام أعماله أكد فيه التزام الاتحاد بالبرنامج السياسي

للثورة الفلسطينية . أما على الصعيد النقابي فقد أكد المؤتمر " ضرورة بذل أقصى الجهود من أجل تنمية البنية الذاتية في كل المجالات " . كما قرر تشكيل صناديق للضمان الاجتماعي في كل الفروع ، واتخذ قرارات تتعلق بحماية المعلم الفلسطيني وتحسين وضعه ورفع مستوى الاتحاد النقابي . واعتبر الاتحاد نفسه جزءاً من الطبقة العاملة الفلسطينية . وقرر الاتصال بالمنظمات الفلسطينية الشعبية الأخرى من أجل إقامة التنظيم النقابي الفلسطيني الموحد في إطار منظمة التحرير الفلسطينية . وقرر المؤتمر أيضاً توثيق صلته عربياً بالاتحاد العام للمعلمين العرب ، ودولياً بالاتحاد العالمي للمعلمين (الفيز) ، الذي يضم النقابات التقدمية في العالم .

عقد الاتحاد مؤتمره الثاني فيما بين ٢٥ و٢٩/٧/١٩٧٥ في تونس ، وحضره مندوبون عن كل من سورية ولبنان والأردن والعراق والكويت ومصر وليبيا والجزائر والمغرب والخليج العربي واليمن الجنوبية وفروع فلسطين المحتلة . وتم في هذا المؤتمر انتخاب الأمانة العامة . وصدر عنه بيان سياسي يؤكد دعم الاتحاد للقيادة الفلسطينية في نضالها ضد المؤامرة الامبريالية والصهيونية . كما أكد إيمان المعلمين الفلسطينيين بقضيتهم ، واستعدادهم للبذل والعطاء من أجل تحقيق المبادىء والأهداف التي انطلقت الثورة من أجلها .

أ ـ دستور الاتحاد : الاتحاد العام للمعلمين الفلسطينيين مؤسسة شعبية ، وقاعدة من قواعد الثورة الفلسطينية .

ب ـ مبادىء الاتحاد :

١) يلتزم الاتحاد بالميثاق الوطني الفلسطيني " الصادر عن المجلس الوطني الفلسطيني " عام ١٩٦٨ .

٢) يؤمن الاتحاد بأن تحرير فلسطين لا يتم إلاّ بالكفاح المسلح ويسهم بكل طاقاته لتحقيق هذا الهدف .

٣) يؤمن الاتحاد بضرورة تعميق مفهوم الوحدة الوطنية بين الجماهير العربية الفلسطينية .

٤) يلتزم الاتحاد بالمساهمة في التعبئة القومية لتعميق مشاركة الجماهير العربية في الثورة الفلسطينية .

٥) يلتزم الاتحاد بتنشئة الأجيال العربية الفلسطينية تنشئة ثورية ، ينمي فيها حب الجماهير والوطن والكفاح من أجل تحرير كامل التراب الفلسطيني .

٦) يلتزم الاتحاد بحماية أعضائه ماديا وأدبيا وسياسيا في حدود طاقاته .

جـ ـ مهام الاتحاد وأهداف : في المجال الفلسطيني يعمل الاتحاد على :

١) تنمية روح التعاون والعمل الجماعي بين صفوف المعلمين وتعميق الوعي النقابي والثوري بينهم .

٢) تحسين الظروف المعيشية والمهنية للمعلمين .

٣) المساهمة في تطوير المستوى الثقافي والاجتماعي والاقتصادي للشعب الفلسطيني .

٤) إبراز الشخصية النضالية للشعب الفلسطيني .

٥) توفير فرص التعليم لأبناء الشعب الفلسطيني ومكافحة الأمية بين الفلسطينيين .

٦) مقاومة الاحتلال الصهيوني وما يفرضه من مناهج تربوية وتعليمية في الأرض المحتلة .

في المجال العربي : يعمل الاتحاد على :

١) تعبئة الجماهير العربية للمساهمة في الثورة الفلسطينية وحمايتها .

٢) المساهمة في مكافحة الأمية بين الجماهير العربية .

٣) تحقيق تلاحم المعلمين الفلسطينيين مع الجماهير العربية وتوعيتها بأهداف الثورة الفلسطينية .

٤) التعاون الوثيق مع المعلمين العرب في جميع المجالات لخدمة القضية الفلسطينية والقضايا العربية .

٥) الاشتراك مع الجماهير العربية في إحباط المخططات التآمرية والحلول التصفوية التي تستهدف تصفية القضية والثورة الفلسطينية .

في المجال العالمي : يعمل الاتحاد على :

١) توثيق العلاقات مع الاتحادات والنقابات الصديقة لمقاومة الصهيونية والامبريالية العالمية .

٢) كسب النقابات في جميع أنحاء العالم إلى جانب القضية والثورة الفلسطينية .

٣) التضامن مع جميع الاتحادات والنقابات التي تخوض نضالها معارك تحرير .

د ـ البناء التنظيمي للاتحاد : يتم بناء الهيكل التنظيمي على النحو التالي :

١) المدرسة هي الوحدة الأساسية في بنيان الاتحاد .

٢) الدائرة : تتكون الدائرة من مجموعة وحدات .

٣) المنطقة : تتكون المنطقة من مجموعة دوائر .

٤) الرابطة : مجموع المناطق في القطر يكون رابطة المعلمين الفلسطينيين في ذلك القطر .

٥) الاتحاد العام : مجموعة الروابط تشكل الاتحاد العام للمعلمين الفلسطينيين .

هـ ـ هيئات الاتحاد :

١) المؤتمر العام : وهو أعلى سلطة تشريعية في الاتحاد ، ينعقد مرة كل ٣ سنوات ، ومهامه تقرير السياسة العامة للاتحاد ، ووضع

الخطة لتحقيق أهداف الاتحاد الوطنية والمهنية ، وانتخاب أعضاء الامانة العامة .

٢) الأمانة العامة : السلطة اليومية للاتحاد ، وتشرف على تنفيذ الخطة الموضوعة في المؤتمر العام .

٣) المؤتمر القطري : أعلى سلطة في الرابطة ، ينعقد مرة كل سنة ، ويقرر سياسة الرابطة السنوية بما لا يتعارض مع مقررات المؤتمر العام . ويضع خطة لتحقيق أهداف الرابطة ، وينتخب اللجنة التنفيذية للرابطة .

٤) اللجنة التنفيذية للرابطة : السلطة اليومية للرابطة ، ومهمتها تنفيذ الخطة الموضوعة من قبل المؤتمر القطري لتحقيق أهداف الرابطة .

و ـ المقر الرئيسي للاتحاد في دمشق ، وله فروع في معظم الدول العربية .

ز ـ يشارك الاتحاد في عضوية المجلس الوطني الفلسطيني ، ويلتزم ببرامج وقرارات المجلس المذكور .

الاتحاد العام للمهندسين الفلسطينيين :

انعقد المؤتمر التأسيسي للاتحاد في بغداد من ٦ ـ ١٢/١٢/١٩٧٣ بحضور مندوبين عن الروابط الهندسية الفلسطينية المكونة في العراق وسورية وليبيا والجزائر والكويت ، وممثلين عن المهندسين الفلسطينيين في مصر ولبنان ودول الخليج العربي والأردن وألمانيا الاتحادية . وكان شعار المؤتمر " بالعلم والبندقية تستمر الثورة المسلحة في فلسطين " . وصدر عن المؤتمر الدستور العام للاتحاد كما تم انتخاب أمانته العامة .

باشرت الأمانة العامة للاتحاد مهامها بعقد اجتماعين دوريين في الكويت (١٩٧٤) وبغداد (١٩٧٦) وضعت خلالها خطة عمل الاتحاد وبرامج تنفيذها .

وعقد الاتحاد العام مؤتمره الأول في طرابلس (ليبيا) من ٢٨/٥ ـ ١٩٧٧/٦/٣ ، وانبثق عنه انتخاب المجلس الأعلى لقيادة الاتحاد وانتخاب المكتب التنفيذي . وقد صدر عن المؤتمر برنامج عمل الاتحاد في المرحلة القادمة ، وبيان سياسي يؤكد رفض مشاريع التسوية المطروحة والإصرار على التمسك بالبندقية والكفاح المسلح من أجل تحرير فلسطين .

وتم عقد المؤتمر العام الثاني للاتحاد في دمشق (حزيران ١٩٧٩) بحضور الهيئات الهندسية الفلسطينية المنتخبة في كل من العراق والكويت وسورية والإمارات العربية وقطر والجماهيرية الليبية والجزائر . وصدر عن المؤتمر بيان سياسي يحدد مسيرة الاتحاد السياسية ، كذلك تم تقييم مسيرة عمله خلال الفترة بين مؤتمري الاتحاد ، وتشكيل الأمانة العامة بدلا من المكتب التنفيذي واعتماد بيروت مقراً مؤقتاً للاتحاد بدلا من بغداد .

أ ـ دستور الاتحاد : ينص دستور الاتحاد على المبادىء التالية :

١) الاسم والمقر : الاتحاد العام للمهندسين الفلسطينيين تنظيم شعبي نقابي يمثل كافة المهندسين الفلسطينيين في العالم ، تكون مدينة القدس * المقر الدائم للاتحاد ، ومدينة بغداد هي المقر المؤقت .

٢) المنطلقات العامة : استجابة لنداء الواجب تجاه الشعب العربي الفلسطيني ، وإيمانا بأن في الاتحاد قوة لشرعية الثورة الفلسطينية ، وانطلاقاً من الميثاق الوطني الفلسطيني * الذي ينص على أن منظمة التحرير الفلسطينية * هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب العربي الفلسطيني بمختلف منظماته المقاتلة والسياسية ، وبجميع هيئاته واتحاداته وجمعياته ، يعلن المهندسون الفلسطينيون عن تأسيس الاتحاد العام للمهندسين الفلسطينيين ليكون الإطار العام الذي يجمع كافة الطاقات والإمكانيات العملية والمادية والمعنوية للمهندسين الفلسطينيين من أجل خدمة الثورة الفلسطينية في تحرير كامل التراب الفلسطيني .

ب ـ أهداف الاتحاد :

١) العمل على المستوى النقابي من أجل :

(١) رفع مستوى المهندسين الفلسطينيين اجتماعياً وادبياً ، والارتفاع بمستوى كفاءاتهم العلمية والمهنية .

(٢) رفع شأن مهنة الهندسة ، والنهوض بمستواها العلمي لتفي بمتطلبات النهضة العربية .

(٣) السعي لتجميع الطاقات الهندسية الفلسطينية ، والمساعدة في تأمين العمل للأعضاء ، والدفاع عن مصالحهم .

(٤) تأمين البعثات والدورات في الدول العربية والأجنبية لرفع كفاءة المهندسين .

(٥) تشجيع البحوث العلمية ، وترسيخ التفكير العلمي في الثورة الفلسطينية .

(٦) العمل على إيجاد صندوق الضمان الاجتماعي للمهندسين الفلسطينيين .

(٧) تبني المشاريع الإنتاجية لخدمة الثورة الفلسطينية ولتنمية موارد الاتحاد .

٢) العمل على المستوى الشعبي الفلسطيني من أجل :

(١) تجميع إمكانيات المهندسين الفلسطينيين ، وتكريس جهودهم لخدمة القضية الفلسطينية .

(٢) المساهمة في دعم منظمة التحرير الفلسطينية ، باعتبارها

الإطار القادر على تنظيم قوى الجماهير الفلسطينية العاملة ، والتعاون مع التنظيمات الشعبية الفلسطينية الأخرى .

(٣) تنمية الوعي الوطني والقومي لدى الأعضاء لمقاومة جميع المشاريع الامبريالية والصهيونية .

(٤) تنمية القدرة الهندسية العسكرية لدعم الثورة الفلسطينية .

٣) العمل على المستوى العربي والدولي من أجل :

(١) توطيد العلاقة والتعاون مع كافة المؤسسات النقابية الهندسية والمنظمات الشعبية والنقابية العربية والدولية وحضور الندوات والمؤتمرات .

(٢) العمل على تنمية الحركة الهندسية العربية وتعبئة طاقاتها للقيام بدورها في خدمة المجتمع .

(٣) إبراز الشخصية الهندسية الفلسطينية في المحافل الدولية ، وتوضيح حقيقة القضية الفلسطينية للمهندسين في العالم .

جـ - العضوية في الاتحاد : تتكون من عضوية عاملة وعضوية شرف . ويشترط للحصول على العضوية أن يكون المرشح فلسطينياً حائزاً على شهادة في الهندسة أو الجيولوجيا او الزراعة ، أو شهادة من المعاهد العلمية الهندسية المعترف بها .

د - هيئات الاتحاد :

١) المؤتمر : وهو السلطة العليا للاتحاد ، ويتكون من أعضاء الأمانة العامة وأعضاء الهيئات الإدارية للفروع ، بالإضافة إلى ثلاثة أعضاء تنتخبهم الهيئة العامة في كل فرع . ويعقد دورته كل سنتين وهو الذي ينتخب أعضاء المجلس الأعلى ، ويقوم برسم السياسة العامة للاتحاد ومناقشة التقارير المقدمة إليه ، ومناقشة الميزانية ، وإقرار النظام الداخلي وتعديلاته ، ووضع برنامج العمل للفترة بين المؤتمرين .

٢) المجلس الأعلى : وهو السلطة المشرفة على الاتحاد في غياب المؤتمر ، ويتكون من أعضاء في الفروع الممثلة في المجلس ، وعضوين منتخبين من قبل المؤتمر ، وأعضاء المكتب التنفيذي . يجتمع مرة كل ستة أشهر . ومهماته الإشراف على تنفيذ قرارات المؤتمر ورسم الخطة المناسبة لتنفيذها ، وانتخاب المكتب التنفيذي .

٣) المكتب التنفيذي : يتكون من تسعة أعضاء . مدته سنتان ، ويجتمع مرة كل ثلاثة أشهر ويتمتع بالسلطة الضرورية لتنفيذ مقررات المجلس الأعلى والمؤتمر وتنسيق أعمال الفروع ، وتمثيل الاتحاد في مختلف المجالات ، والإشراف على المشاريع الإنشائية التابعة للاتحاد .

٤) الهيئات الإدارية للفروع : يؤسس فرع للاتحاد في كل قطر يبلغ فيه عدد المهندسين ٣٠ مهندسا فأكثر وتلتزم الفروع بالنظام الأساسي للاتحاد وبقرارات المؤتمر والمجلس الأعلى والمكتب التنفيذي .

٥) الجمعيات العمومية للفروع : وتتكون من الأعضاء المسجلين في الفروع .

هـ - من نشاطات الاتحاد وأعماله : قام الاتحاد بالعديد من النشاطات والانجازات منذ انعقاد مؤتمره التأسيسي ، فعلى الصعيد العلمي أصدر مجلة علمية هندسية متخصصة ، وعلى الصعيد الفلسطيني تم الاتصال مع القيادة السياسية الفلسطينية لتشكيل لجان فنية تخدم متطلبات الثورة الفلسطينية . وتم إعداد خمسة وعشرين ألف استمارة إحصائية في محاولة شاملة لحصر الكوادر الهندسية الفلسطينية المنتشرة في العالم ، وإنشاء فروع جديدة للاتحاد ، والدفاع عن حقوق المهندسين الفلسطينيين في مناطق وجودهم ، كما تم الإشراف على تحصين مخيمات الفلسطينيين في لبنان . وساهم ممثلو الاتحاد في المجلس الوطني الفلسطيني " والمجلس المركزي لمنظمة التحرير الفلسطينية .

وعلى الصعيد العربي ، اعتبر الاتحاد عضواً عاملاً في اتحاد المهندسين العرب واتحاد الجيولوجيين العرب واتحاد المهندسين الزراعيين العرب ، وانتخب الأمين العام للاتحاد رئيساً لاتحاد المهندسين العرب واتحاد الجيولوجيين العرب . كما عقد الاتحاد أول مؤتمر عربي هندسي بعنوان " دور المهندسين العرب في معركة الصمود " (بغداد ١٩٧٥) . وساهم في كافة أوجه نشاط الاتحادات العربية الهندسية .

وعلى الصعيد الدولي قبل الاتحاد عضواً كامل العضوية في الاتحاد الدولي للمنظمات الهندسية سنة ١٩٧٥ ، وساهم في معظم النشاطات العلمية الهندسية للاتحاد . كما تم تبادل الزيارات بين الاتحاد والعديد من الهيئات الهندسية في الدول الصديقة ووقعت بينه وبين هذه الهيئات اتفاقيات تعاون مهني . كذلك حصل الاتحاد على بعض البعثات الهندسية للدراسات العليا في بعض الدول الأجنبية الصديقة .

الاتحاد العربي :

في ١٩٥٨/٢/١٤ تم الاتفاق بين المملكة الاردنية الهاشمية والمملكة العراقية على إقامة اتحاد بين البلدين ، أطلق عليه اسم « الاتحاد العربي » . وقد قام هذا الاتحاد بين قطرين عربيين يحكمهما ملكان من أبناء الأسرة الهاشمية ، من أحفاد الشريف حسين بن علي .

وضعت شروط الاتفاق المنشىء للاتحاد شكله العام على النحو التالي :

١) تحتفظ كل من الدولتين بشخصيتها الدولية المستقلة ، وبسيادتها على أراضيها ، وبنظام الحكم القائم فيها .

٢) تكون المعاهدات والمواثيق والاتفاقات الدولية التي سبق أن ارتبطت بها كل من الدولتين ، قبل قيام الاتحاد بينهما ، مرعية بالنسبة إلى الدولة التي عقدتها ، وغير ملزمة للدولة الأخرى . أما المعاهدات والمواثيق والاتفاقات الدولية التي ستعقد بعد قيام الاتحاد ، والتي تدخل ضمن موضوعات الاتحاد فتكون من اختصاص وسلطة حكومة الاتحاد .

٣) اعتباراً من تاريخ الإعلان الرسمي لقيام الاتحاد تنفذ إجراءات الوحدة الكاملة بين دولتي الاتحاد في الأمور التالية :

(١) وحدة السياسة الخارجية والتمثيل السياسي .

(٢) وحدة الجيش الأردني والعراقي باسم الجيش العربي .

(٣) إزالة الحواجز الجمركية بين الدولتين ، وتوحيد القوانين الجمركية .

(٤) توحيد مناهج التعليم .

٤) يتفق الطرفان بأسرع وقت ممكن على اتخاذ الإجراءات اللازمة لتوحيد النقد ، وتنسيق السياسة المالية والاقتصادية بين الدولتين .

٥) (١) تتولى شؤون الاتحاد حكومة اتحادية مؤلفة من مجلس تشريعي وسلطة تنفيذية .

(٢) ينتخب كل من مجلسي الأمة الأردني والعراقي أعضاء المجلس التشريعي من بين أعضائهما بعدد متساو من كل من الدولتين .

(٣) يتم تعيين أعضاء السلطة التنفيذية وفق أحكام دستور الاتحاد ليتولى الأمور التي تدخل حال اختصاص حكومة الاتحاد .

٦) ملك العراق هو رئيس حكومة الاتحاد . وفي حال غيابه لأي سبب من الأسباب يكون ملك الأردن رئيس حكومة الاتحاد . ويحتفظ كل من الملكين بسلطته الدستورية في مملكته . وعند انضمام دولة أخرى إلى الاتحاد يُعاد النظر في وضع رئاسة الاتحاد حسب مقتضيات الأحوال . وقد أرسى دستور الاتحاد العربي الصادر في ١٩٥٨/٣/١٩ هذه الأسس .

أحاط محللون سياسيون هذا الاتحاد بالشك والريبة ، ورأوا فيه رد فعل لوحدة الشعب المصري والسوري التي تجسدت في إعلان الجمهورية العربية المتحدة في ١٩٥٨/٢/٢٢ ، والتي قضت على آمال البعض في تحقيق مشروعي الهلال الخصيب وسورية الكبرى . كما غذت شوكة في حلق الامبريالية والاستعمار ، وخاصة البريطاني ، وفوّتت عليها أي فرصة لتوسيع نفوذهما في المنطقة . كذلك يمكن القول ان الفصد من إقامة هذا الاتحاد كان جر الأردن إلى حلف بغداد * بطريقة غير معلنة ؛ صحيح أن العراق وحده كان ، آنذاك ، الطرف الوحيد المنضم إلى حلف بغداد ، لكن توحيد القوات العسكرية للبلدين ، والربط بين أمنها الداخلي والخارجي توجب ميثاق الاتحاد العربي جعلا آثار الحلف تمتد إلى الأردن من الناحية الفعلية .

ولا غرابة ، والحالة هذه، أن تستقبل الجماهير العربية قيام هذا الاتحاد ببرود ظاهر . فقد رأت فيه محاولة واضحة لإحباط آمالها في التصدي لأعداء الأمة العربية وركيزتهم (إسرائيل) ، على عكس قيام الجمهورية العربية المتحدة الذي أثار حماسة هذه الجماهير لما مثّله من تجسيد للطموح العربي في التصدي للاستعمار و(إسرائيل) في الوطن العربي .

وعلى أي حال ، فإن هذا الاتحاد لم يدم طويلاً ، فبعد ستة أشهر من قيامه اندلعت في بغداد ثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ ، وأطاحت بالعرش الهاشمي والنظام الملكي في العراق ، وأعلنت الجمهورية العراقية . وتبع ذلك عمليا حلّ الاتحاد .

المراجع :

– محمد طلعة الغنيمي : نظرات في العلاقات الدولية العربية ، الإسكندرية ١٩٦٥ .

الاتحاد العربي (صحيفة –) :

ظهرت جريدة الاتحاد العربي سنة ١٩٢٥ لنشر سياسة حزب الاستقلال العربي القديم في فلسطين (رَ : العربية الفتاة ، جمعية) وكانت أول جريدة في طولكرم *، شعارها " باسم العرب نحيا وباسم العرب نموت " (رَ : الصحافة) . أسسها سليم عبد الرحمن الحاج إبراهيم ، أحد زعماء الحركة الوطنية في طولكرم وكان من أعضاء جمعية العربية الفتاة * ومن أنصار الثورة العربية . دافعت الجريدة عن العمال والفلاحين الذين طردوا من أراضيهم لبناء المستعمرات الصهيونية . وكشفت عن سوء الأحوال الاقتصادية التي تدنت بسبب تأثير الهجرة الصهيونية إلى فلسطين * والتي بلغت أوجها سنة ١٩٢٥ وقدّرت بنحو ٣٤,٣٨٦ مهاجراً . استمرت جريدة الاتحاد العربي بالصدور حتى عام ١٩٢٧ ، حين توقفت بسبب الأزمة الاقتصادية التي لحقت بفلسطين .

المراجع :

– يوسف خوري : الصحافة العربية في فلسطين ١٨٧٦ – ١٩٤٨ ، بيروت ١٩٧٦ .

ـ أحمد خليل العقاد : الصحافة العربية في فلسطين ، دمشق ١٩٦٧ .

الاتحاد القطري للجان الطلبة العرب :

ر : الطلبة العرب في الجامعات العبرية (لجان ـ)

الاتحاد القومي العربي الفلسطيني :

ر : الإدارة المصرية لقطاع غزة

الاتحاد القومي للعمل : ر : المنظمة الصهيونية الجديدة

الاتحاد النسائي العربي الفلسطيني :

هو التنظيم النسائي الفلسطيني الذي بدأ نشاطه منذ عام ١٩٥٢ في لبنان . وقد تمّ تأسيسه بمبادرة من السيدة وديعة قدّورة خرطبيل التي دعت إلى اجتماع عقد في مقر الهيئة العربية العليا لفلسطين * ببيروت ، وضم زهاء ١٥٠ سيدة فلسطينية . وانتخب الاجتماع الهيئة الإدارية التي ترأستها السيدة خرطبيل .

بذل الاتحاد نشاطه في المجالات الاجتماعية والسياسية والثقافية والصحية . وحدد أهدافه فيما يلي :

١) الدفاع عن مصالح عرب فلسطين وقضيتهم .

٢) الاهتمام بخدمة اللاجئين ، خصوصاً في النواحي العلمية والثقافية والصحية والاجتماعية ورفع معنوياتهم .

٣) إرشاد اللاجئين ، وتوجيههم توجيهاً وطنياً صحيحاً ، وضرورة إعدادهم لاستعادة فلسطين .

٤) الدعاية للقضية الفلسطينية .

٥) إسعاف اللاجئين وإيجاد أعمال لهم .

وقد شكل الاتحاد لجنة للخدمة الاجتماعية ضمّت عشر سيدات .

في عام ١٩٥٦ انبثقت من هذا الاتحاد مؤسسة « مبرّة إسعاد الطفولة » ، وافتتح مقرها في سوق الغرب (لبنان) ، في ١٩٥٧/٤/١٥ ، لتحسين صحة أبناء المصدورين الفلسطينيين . وبعد نكسة ١٩٦٧ غدا اسم المبرّة « بيت إسعاد الطفولة * » ، وتخصص في تربية أبناء شهداء الثورة الفلسطينية .

انعقد اجتماع عام للاتحاد في مقرّه ببيروت في شباط ١٩٥٧ ، وانتخبت هيئة إدارية جديدة .

شارك الاتحاد النسائي في مؤتمر الخبراء العرب الذي أعدته جامعة الدول العربية في صوفر (لبنان) سنة ١٩٥٩ لمناقشة مشروع مارشولد * .

تمثل الاتحاد في مؤتمر الاتحاد النسائي العالمي في سيلان في أيلول ١٩٥٥ وفازت وديعة خرطبيل بعضوية الهيئة الإدارية للاتحاد ، ممثلة عن فلسطين ، في حين أخفقت منذوبة (إسرائيل) في الفوز بعضوية هذه الهيئة . وتمثل الاتحاد ايضاً في المؤتمر النسائي الآسيوي ـ الأفريقي ، المنعقد في القاهرة في كانون الثاني ١٩٦٠ ، وانتخبت وديعة خرطبيل عضواً في الهيئة الإدارية لهذا الاتحاد . وشارك الاتحاد في مؤتمر الاتحاد النسائي الدولي المنعقد في طهران في تموز ١٩٦٠ ، وتمثل في مؤتمر التضامن الآسيوي ـ الأفريقي ، المنعقد في القاهرة في كانون الثاني ١٩٦١ ، وفي المؤتمر النسائي بأمريكا في تموز ١٩٦٢ ، وفي المؤتمر الخامس للاتحاد النسائي العربي المنعقد في لبنان في تشرين الثاني ١٩٦٢ . وحضر الاتحاد مؤتمرات هذا الاتحاد المنعقدة سنوات ١٩٥٤ و ١٩٥٦ و ١٩٥٧ و ١٩٦٤ .

وفيما بين ٢٦ و ١٩٦٣/٦/٢٧ ، وبمبادرة من الاتحاد ، انعقد في بيروت أول اجتماع للمرأة الفلسطينية منذ نكبة ١٩٤٨ .

ودعي الاتحاد للمشاركة في اجتماعات الدورة الأولى للمجلس الوطني الفلسطيني التي عقدت في القدس سنة ١٩٦٤ . (ر : المجلس الوطني الفلسطيني) .

دعا الاتحاد المرأة العربية إلى الاعتصام والصيام ، احتجاجاً على الإرهاب الإسرائيلي في الأرض المحتلة . ونفذ الاتحاد الاعتصام في ١٩٦٩/٢/٦ .

المراجع :

ـ الاتحاد النسائي العربي الفلسطيني بلبنان : بيان الاتحاد عن سنوات ١٩٥٤ و ١٩٥٥ و ١٩٥٦ .

ـ الاتحاد النسائي العربي الفلسطيني : بيت إسعاد الطفولة ، ١٩٦٠ ـ ١٩٦٥ ، بيروت .

الاتحاد الهاشمي : ر : الاتحاد العربي

الاتحاد والترقي (جمعية ـ) :

هي أحد شقي « جمعية تركيا الفتاة » . وتركيا الفتاة هذه هي إحدى الفئات التي عارضت حكم السلطان عبد الحميد بن عبد المجيد * أواخر القرن التاسع عشر ، وطالبت بالإصلاح ، وسعت إلى إقامة حكومة دستورية تدخل النظم الحديثة في الإدارة والجيش وتحقق الحرية والمساواة ، وتوقف تدخل الدول الأوربية في شؤون

الدولة العثمانية . وكان للجمعية فروع داخل الدولة وخارجها . وأبرز هذه الفروع وأخطرها الفرع الذي تأسس في سالونيك ، لموقعه الجغرافي القريب من العاصمة ، ولانضمام قسم كبير من ضباط الجيش التركي هناك إليه .

عقدت تركيا الفتاة عام ١٩٠٢ أول مؤتمر لها في باريس . وقد حدث فيه خلاف حول أسلوب العمل انقسم المؤتمرون بنتيجته إلى تيارين : الأول يمثله الوفد التركي الذي قال بتغيير النظام الإداري وجعله وحدة مترابطة حرصاً على عدم تفكك الدولة ، والتيار الثاني تمثله الأقليات الناقمة ، وهدفه تغيير النظام وإصلاحه عن طريق اللامركزية . وقد انفصل ممثلو التيار الثاني فنظموا أنفسهم في جمعية عرفت باسم « رابطة الأحرار » .

غدت جمعية الاتحاد والترقي القوة الدافعة في أوساط تركيا الفتاة ، وأصدرت في باريس مجلة « مشورت » للدعوة إلى أفكار الثورة والإصلاح . وكانت الجمعية خليطاً من أجناس وأديان مختلفة ، إلاّ أن الكثرة الغالبة كانت من الأتراك ، وكان العسكريون هم أصحاب النفوذ فيها . وقد تسنى لجمعية الاتحاد والترقي انتزاع القيادة شيئاً فشيئاً ، وساعدها على ذلك تتالي الأحداث الخطيرة في الدولة بين عامي ١٩٠٥ و ١٩٠٨ . وفي عام ١٩٠٧ كانت الجمعية قد أعادت تنظيم صفوفها لتشمل جميع الفئات التي ضمتها « تركيا الفتاة » ، وبدأت ، من فروعها في سالونيك ، تستعد لإعلان ثورة عسكرية على السلطان عبد الحميد .

في ١٩٠٨/٧/٢٥ أجبر السلطان على إعادة دستور ١٨٧٦ وأجريت الانتخابات لأول مجلس نواب (المعبوثان) . ورغم أن الأكثرية البرلمانية كانت للاتحاديين ، لم يستلموا السلطة ، إلى أن حاول السلطان عبد الحميد في ١٩٠٩/٤/١٣ القيام بثورة مضادة للتخلص من الجمعية ، ومن الدستور ، ومن مجلس المبعوثان * . عندئذٍ زحف الجيش من سالونيك إلى الآستانة ، وأعاد إلى جمعية الاتحاد والترقي نفوذها ، وخلع السلطان ، ونفاه إلى سالونيك ، ونصّب أخاه محمد رشاد سلطاناً باسم محمد الخامس في ١٩٠٩/٤/١٧ . وبذلك أصبحت السيطرة المطلقة في الدولة لجمعية الاتحاد والترقي .

عقد العرب آمالهم على العهد الجديد ، وشارك كثيرون منهم في نشاطات الاتحاد والترقي ، وأيدوها بعد ارتقائها السلطة . لكن زمن التعاون والتفاهم لم يدم طويلاً ، لأن الاتحاديين اتجهوا نحو تطبيق سياسة مركزية شديدة أساسها سيادة العنصر التركي ، فأثار ذلك استياء العرب ، وتهيأت بذلك التربة الصالحة كي تنمو بذور الحركة العربية وترتفع .

بدأ العرب يفكرون في مستقبل بلادهم ، وأخذ زعماؤهم يبدون مخاوفهم من الجمعية . وكان أحد أسباب الشك في الجمعية وتوجيه الاتهام إليها هو دور اليهود والدونمة الفعال في الإعداد لحركة سالونيك ، والنفوذ الكبير الذي احتلوه فيما بعد في أوساط الاتحاديين . والدونمة هؤلاء ، أو كما يسمون أحياناً « اليهود المتنصرون » ، هم من أتباع شبتاي زفي رهو يهودي من أزمير ادعى عام ١٦٦٦م أنه المسيح المنتظر ، وكسب كثيراً من الأنصار ، فخيّره السلطان بين القتل واعتناق الإسلام ، فاختار الحل الثاني وتبعه آلاف من أتباعه الذين تظاهروا باعتناق الإسلام في حين بقوا على يهوديتهم سراً . وقد عاضد الصهيونيون الاتحاديين بأموالهم ونفوذهم وصحفهم وتبادلوا معهم المنافع وخاصة في فلسطين . لهذا التقى الصهيونيون والاتحاديون على الإطاحة بنظام حكم عبد الحميد الذي كان متمسكاً برفض مبدأ الهجرة اليهودية غير المفيدة إلى الدولة العثمانية ، وبخاصة فلسطين ، رغم الإغراءات الكثيرة .

لعب اليهود وجماعة الدونمة دوراً هاماً في مجالس الاتحاد والترقي في سالونيك (عدد اليهود في المدينة ٢٠,٠٠٠ ، الدونمة ٨٠,٠٠٠ ، من أصل مجموع السكان وهو ١٤٠,٠٠٠)، عن طريق مباشر أو عن طريق المحفل الماسوني هناك ، ورئيسه المحامي اليهودي والنائب في البعوثان عمانويل قره صو . وكان عدد غير قليل من اليهود والدونمة من بين المتطوعين الزاحفين إلى الآستانة ، بل إن أحد أعضاء الوفد الذي أبلغ السلطان عبد الحميد قرار خلعه هو قره صو نفسه . وقد سجن عبد الحميد في منزل أحد يهود سالونيك الأغنياء . وهللت الصحف اليهودية في سالونيك للتخلص من مضطهد (إسرائيل) الذي فرض الجواز الأحمر وأعاق تحقيق أهداف الصهيونية في فلسطين .

أصبح لليهود والدونمة تأثير كبير في دوائر جمعية الاتحاد والترقي ، فقره صو كان أحد الأدمغة المفكرة البارزة في الجمعية ، وجاويد بيه (من الدونمة) أصبح وزيراً للمالية كبير النفوذ في الحكومة ، وكان رئيس مكتب الصحافة يهودياً من سالونيك . وكان منصب يتيح له إيقاف أي صحيفة وتقديم المسؤول فيها للمحاكمة ، كذلك كان رئيس دوائر الشرطة ومستشار وزارة العدل يهوديين .

وقد خدمت البرامج الاقتصادية التي وضعتها حكومة الاتحاديين مكاناً للممولين اليهود بكثير من السيطرة الاقتصادية . وكان أمل المنظمة الصهيونية من وراء السيطرة اليهودية الاقتصادية أن يتيح نظام الحكم الجديد ظروفاً مواتية للعمل الصهيوني ، بعد أن تبع خلع عبد الحميد انتعاش الآمال الصهيونية بحيوية ظاهرة قوية .

نشط وكلاء المنظمة الصهيونية * على المسرح العثماني الجديد فوصل فيكتور جاكوبسون إلى الآستانة للإشراف على الدعاية (وهو زعيم صهيوني اشتهر بفن الدبلوماسية وبممارسة أي بديل لفلسطين

كوطن قومي لليهود) ، كما رصلها فلا بير جابوتنسكي (الذي عاش من ١٨٨٠ ـ ١٩٤٠ وكان من عتاة الحركة الصهيونية وقاد ما عرف بحركة الصهيونيين التصحيحيين) للإشراف على شبكة الصحف التي تديرها الصهيونية . وقد ركز الإعلام الصهيوني على إبداء مشاعر الود تجاه الحاكم الجديد ، وعلى أن الصهيونية لا تهدف إلى فصل فلسطين عن الدولة العثمانية . وتوقع المؤتمر الصهيوني * التاسع في هامبورغ (١٩٠٩/١٢/٢٦) أن تطوّر الدولة العثمانية الهجرة اليهودية من أجل مصالحها . وتركزت المساعي الصهيونية لدى الحكومة الجديدة على إزالة الإجراءات القانونية التي تحدّ من الهجرة (الجواز الأحمر الذي لا يسمح لحامله اليهودي بالهجرة الى فلسطين ، وملكية الأراضي) . واتخذ زعماء جمعية الاتحاد والترقي مواقف متعاطفة مع الهجرة اليهودية إلى الأقاليم العثمانية .

وعلى الرغم من ذلك كله لم يقدم حكام الدولة الجدد على إزالة القيود التي وضعها النظام السابق ، وظلت الحكومة الاتحادية حذرة فيما يتعلق بدعم النشاط الصهيوني بشكل مفتوح ، فهي من جهة لم تكن ترغب في أن تكون فلسطين هدف الهجرة الوحيد ، ومن جهة أخرى كان لا يمكنها تجاهل الرأي العام العربي ، خاصة بعد ازدياد النفور من الاتحاديين وازدياد نشاط حزب « الحرية والائتلاف » المعارض . وقد بدأ خصوم الاتحاديين يوجهون إليهم الاتهامات . وأخذت الصحف العربية تربط بين الهجوم على الاتحاديين والحملة ضد الصهيونية ، وبرز شكري العسلي * (من كبار الإئتلافيين) في مواقفه المعارضة منذ كان قائمقاماً في الناصرة * إلى أن أصبح عضواً في مجلس المبعوثان .

بدأت الجماهير التركية نفسها تلاحظ مدى النفوذ الذي يتمتع به اليهود والدونمة ، وأخذت الصحافة التركية المعارضة تناقش موضوع الصهيونية علناً لأول مرة منذ إعلان الدستور . كما أن بعض أعضاء جمعية الاتحاد والترقي أخذوا يبدون تخوفهم من الصهيونية . وقد أجبر وزير المالية « جاويد بيه » على الاستقالة بعد اجتماع حزب الاتحاد والترقي البرلماني الذي اتهم فيه بالارتباط مع اليهود ، كذلك نفى الصدر الأعظم المخطط الصهيوني في بيان رسمي ألقاه باسم الوزارة في مناقشة المبعوثان للمسألة الصهيونية ، ونفاه « طلعة بيه » باسم جمعية الاتحاد والترقي . وحاول بعض النواب أثناء المناقشة الثانية للمسألة الصهيونية في المبعوثان أن يهوّن من شأن الصهيونية .

شعرت المنظمة الصهيونية بعد مناقشات المبعوثان وتعليقات الصحف أن جمعية الاتحاد والترقي غير قادرة على تغيير نظرة الشك في الحركة الصهيونية ، فكان لا بد من اتباع خط دعائي آخر ينفي الأغراض السياسية للحركة ويؤكد المصلحة المشتركة ، مستغلاً الحرب الإيطالية ـ الليبية . لكن هذا الخط الجديد لم يُزل الشكوك .

ولمّا تسلم الإئتلافيون الحكم بعد انقلاب عسكري (تموز ١٩١٢) انتهز الرأي العام العثماني فرصة إزاحة الاتحاديين ليوجه إليهم الاتهام الصريح عن ارتباطهم بالصهيونيين وشن حملة على اليهود والصهيونية والماسونية في المساجد والصحف ودوائر الحكومة . لكن ذلك لم يغير من مواقف السلطات المحلية في فلسطين التي كانت تتصرف وفق أهواء المتصرفين بعيداً عن رقابة الحكم المركزي ، وتوافق على العديد من بيوع الأراضي .

ولما عاد الاتحاديون إلى الحكم إثر انقلابهم في ١٩١٣/١/٢٣ ضمت وزارتهم ثلاثة وزراء يهوداً ، هم وزير التجارة والزراعة ووزير المالية وناظر النافعة . واستغلت الصهيونية ظروف الحرب اللقائية الصعبة ، وحاجة الدولة إلى المال للحصول على تنازلات من جانب حكومة الاتحاد والترقي فيما يتعلق بالجواز الأحمر والهجرة وبيع الأراضي .

وقد ظل الرأي العام العربي على حاله إزاء الاتحاديين وصلتهم بالصهيونيين . ودعت صحف فلسطين الاتحاديين أن يتعلموا من الأغلاط السابقة ، فلا يسمحوا بسقوط فلسطين في أيدي الأجانب الطامعين فيها . واشتدت حملة الصحف العربية خارج فلسطين على الوزارة الاتحادية الجديدة ، واتهمتها بموالاة الصهيونية . وقد وصف صحفي عربي في الآستانة جمعية الاتحاد والترقي بأنها عصابة لصوص يؤيدها اليهود الصهيونيون ، وأن جريدة « جون ترك » الاتحادية ، ووكالة « الأجانس أوتومان » الاتحادية ، صهيونيتان ، واتهم الاتحاديين باتفاقهم مع المنظمة الصهيونية على بيع أراضي السلطان عبد الحميد الواسعة في فلسطين . وسمّى محمد رشيد رضا جمعية الاتحاد والترقي « جمعية الأحرين : الدم والذهب » . وبيّن أن في الوزارة الاتحادية ثلاثة وكلاء من قبل الجمعية الصهيونية بيدهم ينابيع الثروة في البلاد .

وعلى الرغم من تخوف الأتراك الاتحاديين من معارضة العرب ، كانت الظروف تدفع الحكومة العثمانية إلى التقارب مع الصهيونية بسبب القوة المالية التي تملكها ، وبسبب وجود شخصيات صهيونية كانت تلعب دورها في دوائر الاتحاديين ، وتوجه سياسة الدولة . وبعد تردد طويل ، ونتيجة لمساعي الحاخام باشي ، أصدرت الحكومة العثمانية قراراً بإلغاء الجواز الأحمر ، فحصل الصهيونيون بذلك على غايتهم في الهجرة غير المحددة لليهود في فلسطين ، وقد شجع تحسّن الموقف الرسمي تجاه الصهيونيين على أن يواصل هؤلاء الجهود لإلغاء جميع القيود، ولا سيما قيود شراء الأراضي . وكانت المفاوضات مع الباب العالي تتقدم بطريقة ودية ، وكان التساهل عاماً وعمليات شراء الأراضي تتسارع .

بعد نشوب الحرب العالمية الأولى وجهت الدولة العثمانية [illegible]

كبيراً من اهتمامها إلى أوضاع اليهود في فلسطين ، بسبب ما يحيط بوجودهم من ملابسات دولية ولتمتع معظمهم بالحماية الأجنبية . ومع إلغاء الدولة نظام الامتيازات سهلت إجراءات الحصول على الجنسية العثمانية لليهود بشكل جماعي .

وقد عُين جمال باشا ، أحد أقطاب الاتحاديين ، قائداً عاماً للجيش الرابع في الشام مع صلاحيات مطلقة . فاتبع سياسة قمع وإرهاب لحق اليهود شيء منها . لكن ذلك لم يدم طويلاً ، إذ سرعان ما لاقى اليهود عطف جمال باشا ، وعيّن بعض زعمائهم في مراكز حكومية مسؤولة ، كما زار جمال باشا نفسه المؤسسات والمستعمرات الصهيونية ، ومنح اليهود بعض أراضي الدولة . وكان مدير مركز التجارب الزراعية في عتليت ، آرون آرونسون ، من الأصدقاء المقرّبين اليه . ويذكر ان مفاوضات جرت في صيف ١٩١٥ بين جمال باشا ووفد صهيوني في القدس من أجل إقامة وطن لليهود في منطقة من فلسطين تعينها الحكومة العثمانية ، على أن يخضع اليهود فيها لقوانين البلاد مع تمتعهم بالاستقلال في الإدارة البلدية مقابل تعهد اليهود بمساعدة الدولة العثمانية في تسديد ديونها وتقديم القرض اللازم لذلك .

وكان هذا الوضع المتصاعد في اتجاه صالح الصهيونية نتيجة تدخل دولتين كبيرتين لدى الاتحاديين ، بالإضافة إلى الضغط الصهيوني في الآستانة ، وهاتان الدولتان هما الولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا . فقد تولت الولايات المتحدة (الحيادية آنذاك) القيام بأعلى الاتصالات لصلحة اليهود مع وزراء الباب العالي ، وعلى رأسهم طلعة باشا وزير الداخلية ، والصديق الشخصي للسفير الأمريكي مورغنثو (اليهودي) . وسعى مورغنثو بعد انتهاء سفارته للعودة إلى الدولة العثمانية (١٩١٧) لإقناع الأتراك الاتحاديين بقطع تحالفهم مع الألمان والتوصل إلى صلح منفرد يكون مقبولاً لدى الصهيونيين والحلفاء ، عن طريق تأثيره على شخصية طلعة باشا صاحب الشعبية بين الجماهير . لكن فكرة الصلح المنفرد لم تكن تلائم الخطط البريطانية الصهيونية ، إذ دخلت القضية الصهيونية مرحلة جديدة التقت فيها المصالح البريطانية والمصالح الصهيونية لنقل فلسطين إلى منطقة النفوذ البريطاني ، تمهيداً لتحقيق المطامع الصهيونية . وقد تولى وايزمان إحباط المشروع بتوجيه من الحكومة البريطانية .

ومن جهة ثانية سعى زعماء الصهيونية إلى ضمان دعم النفوذ الألماني لحماية المستعمرات الصهيونية ، وللتأثير على الأتراك الاتحاديين لإصدار تصريح موات للصهيونية شبيه بما كان الجناح الصهيوني في معسكر الحلفاء يركز جهوده من أجل إصداره . ويبدو أن الاتحاديين كانوا لا يزالون يترددون في اتخاذ أية خطوة نحو هذا التقارب ، خوفاً من إثارة عداء العرب . لكن إعلان الثورة العربية دفع الأتراك والألمان إلى الاعتقاد بأن جزيرة يهودية في فلسطين قد تقف في وجه المطامع الإنكليزية والتحالف البريطاني ـ العربي . وقد دارت المحادثات بين الطرفين في الآستانة وبرلين . وإذا كانت المساعي الألمانية في إقناع الاتحاديين بتبني موقف موال للصهيونية محدودة النجاح ، فإنها ساعدت على تخفيف الإجراءات المقيدة لليهود في فلسطين .

وتحول الموقف الألماني والتركي تجاه الصهيونية بعد وعد بلفور * (١٩١٧) ، فسعى زعماء الصهيونية في ألمانيا إلى دفع الحكومة الألمانية للضغط على تركيا من أجل الحصول على امتيازات كبيرة للصهيونية على نفس المبادىء التي تضمنها تصريح بلفور . وكان الوضع العسكري المتدهور قد دفع الأتراك الاتحاديين إلى الاستنتاج بأنه لن يضير شيء بالموافقة على بعض المطالب الصهيونية . لكن المحادثات التركية ـ الصهيونية المنقطعة لم تصل إلى نتيجة محسوسة ، في الوقت الذي كان فيه الطرف الآخر في المنظمة الصهيونية في لندن يتولى مفاوضات مدروسة ومحكمة .

وأصدر الصدر الأعظم طلعة باشا في ١٩١٨/١/٢ تصريحاً عن عزم الحكومة العثمانية ، نظراً لصداقتها الطويلة لليهود ، على ان تساعد الاستيطان اليهودي بالسماح بالهجرة الحرة ، والاستيطان ضمن حدود مقدرة البلاد على الاستيعاب ، ومنح الحكم الذاتي طبقاً لقوانين الدولة ، والتطور الحر للثقافة اليهودية . وعبّر تصريح ألماني عن دعم ألمانيا للأماني الصهيونية .

لكن ممثلي الحركة الصهيونية في فلسطين رفضوا العروض التركية بحجة أنها تجعل الاستيطان ضمن حدود قدرة البلاد على الاستيعاب والتي ستحددها الحكومة التركية نفسها . وفي خطوة أبعد تولى طلعة باشا نفسه في برلين بحث مسألتي تنظيم الهجرة والاستيطان اليهوديين مع لجنة من اليهود الألمان ، ووافق على اقتراح تشكيل شركة ذات امتيازات مقرها الآستانة تكون وسيطاً بين الحكومة التركية والطائفة اليهودية ، وبالتالي تكون الأداة والإطار لتنظيم الهجرة والاستيطان ، وتفوّض بمنح الحكم الذاتي البلدي الموسّع للطوائف اليهودية في فلسطين وفي جميع أنحاء الدولة العثمانية .

وتجددت المفاوضات في الآستانة بمبادرة الحكومة التركية ، ودعا طلعة باشا إليها عدداً من المنظمات اليهودية في ألمانيا والنمسا ، بينها المنظمة الصهيونية . ثم توقفت هذه المفاوضات لعدم الاتفاق حول مطالب الحكم الذاتي ، رغم استعداد الدولة لإصدار تصريح بدعم الصهيونية ، والمفاوضة حول شركة الاستيطان . وفي شهر آب

١٩١٨ جرت محاولة أخيرة لتشكيل لجنة لحل الخلافات ، لكن الدولة العثمانية إنهارت قبل عقد الاجتماع .

المراجع :

ـ محمد روحي الخالدي : أسباب الانقلاب العثماني وتركيا الفتاة ، القاهرة ١٩٠٩ .
ـ ساطع الحصري : البلاد العربية والدولة العثمانية ، بيروت ١٩٦٥ .
ـ خيرية قاسمية : النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه ١٩٠٨ ـ ١٩١٨ ، بيروت ١٩٧٣ .
ـ وثائق وزارة الخارجية البريطانية في Public Record Office تحت رقم F.O. 371 .
ـ الأهرام (١٩٠٨ ـ ١٩١٨) ، المقطم (١٩٠٨ ـ ١٩١٨) ، المنار (١٩٠٨ ـ ١٩١٤) ، الكرمل (١٩١٢ ـ ١٩١٤) ، فلسطين (١٩١٢ ـ ١٩١٤) .
— Ahmad, F. : **The Young Turks**, Oxford 1971.
— Antonius, G : **The Arab Awakening**, London 1939.
— Aaronsohn, A.: **With the Turks in Palestine**, London 1917.
— Mandel, N.: **Turks, Arabs and Jewish Immigration into Palestine 1882 - 1914**, Oxford 1978.
— Ziene N. Zeine: **Arab Turkish Relations and the Emergence of Arab Nationalism**, Beirut 1956.

أتسز بن أوق الخوارزمي (ـ ٤٧١ هـ) (ـ ١٠٧٩ م) :

معين الدين أتسز ، أو أطسز . من مشاهير زعماء التركمان بعد الفتح السلجوقي لبلاد الشام (ر : السلجوقيون) . وقد لقب نفسه « الملك المعظم » ، ويسميه المؤرخ المقريزي مقدم الأتراك . حاول سنة ٤٦٣ هـ / ١٠٧١ م احتلال دمشق ، فحاصرها ، وقطع الميرة عنها دون جدوى . لذلك سار نحو فلسطين ، وفتح الرملة * ، ثم حاصر القدس * التي اعتصمت فيها القوات المصرية الفاطمية . واستولى على المناطق المجاورة للقدس ، ما عدا عسقلان ، وفتح طبرية * . وقد سهلت له الانتصارات إعادة الكرّة على القدس ، ففتحها ، وجعلها مركزا له . وأقام في فلسطين الدعوة للخلافة العباسية والسلطان السلجوقي بدل الدعوة الفاطمية .

وفي سنة ٤٦٧ هـ / ١٠٧٥ م فتح أتسز مدينة عكا * ، وطرد أميرها شكلي بن أوق الذي استنجد بابن عم السلطان ألب أرسلان ، وحثّه على قتال أتسز . وعندئذ تحرك أتسز من القدس لقتالها في طبرية ، وقضى على حركتها .

وبعد أن غدا أتسز حاكما لفلسطين وجنوبي بلاد الشام دون منازع اعترف بنفوذه السلطان السلجوقي ملك شاه ، وأرسل إليه تجلدات عسكرية لمساعدته في فتح دمشق التي كانت تعاني من سوء الإدارة والأزمة الاقتصادية على يد الوالي الفاطمي ، فكانت فرصة نادرة استغلها أتسز للانقضاض عليها فاستسلمت المدينة سنة ٤٦٨ هـ / ١٠٧٦ م بعد حصار شديد .

بدأ أتسز يتطلع إلى ضمّ مصر إليه والقضاء على النفوذ الفاطمي فيها . وقد شجعه على ذلك هرب عدد من القادة مع عساكرهم لاختلافهم مع أمير الجيوش الفاطمي بدر الجمالي . وقد بدأ أتسز زحفه إلى مصر سنة ٤٦٩ هـ / ١٠٧٦ م ، ومعه قرابة عشرين ألفا من التركمان والأكراد والعرب . ودارت معركة حاسمة انتهت بهزيمة أتسز الذي تراجع نحو فلسطين تتبعه الجيوش المصرية الفاطمية حتى الرملة ، حيث قتلت عدداً كبيراً من أتباعه . كما ثار عليه أهل غزة والرملة ودمشق .

وحين عاد أتسز إلى القدس مركز إدارته اعتصم سكان المدينة بزعامة القاضي في المدينة ، ومنعوه من الدخول رغم مراسلته لهم . ولكن أتسز استطاع اقتحام المدينة ، وقتل حوالي ثلاثة آلاف إنسان ، واحتمى الكثيرون بالصخرة والجامع . ثم سار إلى الرملة ، فلم ير فيها أحداً لأن أهلها هجروها ، وقتل عالية سكان غزة ، ثم حاصر يافا * ، وهدم أسوارها قبل أن يعود إلى دمشق .

لم يهمل بدر الجمالي أمير الجيوش المصرية أتسز الخوارزمي ، بل أعدّ جيشاً كبيراً ، وأرسله إلى بلاد الشام سنة ٤٧٠ هـ / ١٠٧٨ م . وقد استولى هذا الجيش على فلسطين وأعمال دمشق ، ثم ضرب حصارا شديداً على دمشق نفسها . وقد اضطرت هذه الأزمة أتسز إلى الاستنجاد بتاج الدولة تتش بن ألب أرسلان ، فانتهز هذه الفرصة واحتل دمشق . ثم قرر أن ينفرد هو بحكم دمشق ، فاعتقل أتسز ، ثم خنقه حتى مات .

المراجع :

ـ ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، بيروت ١٩٠٨ .
ـ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، القاهرة ١٣٠٢ هـ .
ـ جمال الدين سرور : النفوة الفاطمي في بلاد الشام والعراق ، القاهرة ١٩٦٤ .
ـ سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية ، القاهرة ١٩٦٣ .
ـ السيد الباز العريني : مؤرخو الحروب الصليبية ، القاهرة ١٩٦٢ .
ـ سهيل زكار : مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية ، بيروت ١٩٧٢
— Atiya, A.S. : **The Crusades, Historiography and Bibliography**, Bloomington 1962.

الاتفاق الأنكلو ـ أمريكي (١٩٢٤) :

على الرغم من قبول الولايات المتحدة لوعد بلفور * ، ظل

الرئيس ويلسن متردداً بشأن إخضاع فلسطين وسورية ككل إلى حكم الدول الاستعمارية ، ولو عن طريق الانتداب . ولم تبد حكومته اهتماماً بفكرة منح الانتداب إلى الولايات المتحدة منفردة أو بالاشتراك مع إنكلترا . وبعد إغفال تقرير لجنة كينغ ـ كرين * ، وتمنع فرنسا وإنكلترا عن القبول بحق تقرير المصير الذي أعلنه ولسن ، تقلص اهتمام الولايات المتحدة إلى صيانة المصالح الأمريكية في المنطقة . فدخلت عام ١٩٢٢ في مفاوضات مع الحكومة البريطانية بشأن فلسطين انتهت بما يعرف بالاتفاق الأنكلو ـ أمريكي لسنة ١٩٢٤ .

ونص هذا الاتفاق على اعتراف الولايات المتحدة بالانتداب البريطاني على فلسطين ، مقابل ضمان إنكلترا للمصالح التجارية الأمريكية في هذا القطر العربي ، وعلى الأخص امتياز البحث عن النفط من قبل شركة ستاندارد أويل الأميركية في منطقة النقب . وكانت الحرب العالمية الأولى قد أوقفت نشاط الشركة الذي بدأ في عام ١٩١١ .

ومما يلفت النظر في هذا الاتفاق أن الولايات المتحدة عارضت إدخال وعد بلفور في مقدمة الوثيقة كما أرادت إنكلترا ، ولكنها سمحت فيما بعد بإدخال نص وثيقة الانتداب التي احتوت على الوعد .

المراجع :

— **Diplomatic Correspondence on Mandate for Palestine**, Washington 1927.
— John. R. and Hadawi, S : **Palestine Diary**, Beirut 1970.
— **Treaty Series**, No 24, CMD 2559. 1925.

اتفاقيـــة :

ر : سايكس بيكو
ر : فصل القوات بين مصر وإسرائيل (١٩٧٤)
ر : فصل القوات بين مصر وإسرائيل (١٩٧٥)
ر : فصل القوات على الجبهة السورية (١٩٧٤)
ر : هاداساه (١٩٤٨)
ر : الهدنة الأولى والهدنة الثانية بين الدول العربية وإسرائيل
ر : الهدنة الدائمة بين الأردن وإسرائيل
ر : الهدنة الدائمة بين سورية وإسرائيل
ر : الهدنة الدائمة بين لبنان وإسرائيل
ر : الهدنة الدائمة بين مصر وإسرائيل

الأثاث (صناعة ـ) ر : الخشب (صناعة ـ)
ر : الصناعة

أجـــاز : ر : المؤسسة الأمريكية اليهودية لبدائل الصهيونية

اجتمـــاع : ر : السيدات العربيات
ر : عاليه
ر : عمان ودمشق
ر : القدس

إجريشـــة (قـــرية ـ) : ر : جريشة (قرية ـ)

إجْـــزم (قـــرية ـ) :

قرية عربية تقع على بعد ٢٨ كم جنوبي حيفا ، أنشئت في القسم الغربي من جبل الكرمل * ، على ارتفاع ١٠٠م فوق سطح البحر . يقع في شرقها جبل المقوّرة ، وفي غربها جبل المغيّر ، ويوجد في شمالها الشرقي سهل صغير يدعى وادي الحمام . ينتهي قرب القرية وادي المسْطَبل ، ويمر بشمالها وادي المغارة الذي يصب في البحر المتوسط إلى الجنوب من عتليت . والقرية غنية بينابيعها وآبارها ، ففي شرقها عين المقوّرة ، وآبار المقوّرة ، وفي جنوبها الشرقي عين العجلة ، وعين الصفصافة ، وعين الحاج عبيد ، وعين الشقّاق وعين الصوانية ، وفي غربها بئرا خربة المنارة ، وتقع البئر الغربية قرب البلدة . وآبار القرية كلها من الآبار الكفرية (الرومانية) .

الامتداد العام للقرية هو من الشمال إلى الجنوب . وفي عام ١٩٣١ كان فيها ٤٤٢ مسكناً ، بُني معظمها من الحجارة والإسمنت ، وبُني الباقي من الحجارة والطين . وفي عام ١٩٤٥ كانت مساحة القرية ٩١ دونماً ، وهي بذلك في المرتبة الثانية في قضاء حيفا . أما مساحة الأراضي التابعة لها فقد بلغت في العام نفسه ٤٦,٩٠٥ دونمات ، وهي أيضاً الثانية في قضاء حيفا فيما تملكه من أراضٍ ، ولم يكن الصهيونيون يملكون من أراضيها شيئاً .

كان في إجزم ١,٠١٩ نسمة من العرب في عام ١٩٢٢ ، ارتفع

عددهم إلى ٢,٢٦٠ نسمة في عام ١٩٣١ . ويدخل في هذا العدد سكان المغارة والمزار * والشيخ بريك والوشاهية ونمبازة . بلغ عدد سكان القرية عام ١٩٤٥ نحو ٢,٩٧٠ نسمة ، فكانت الرابعة في قضاء حيفا عدد سكان . ينسب إلى إحزم الشيخ مسعود الماضي زعيم ساحل حيفا حتى عتليت في أوائل القرن التاسع عشر ، وعيسى الماضي الذي عمل متسلماً ليافا في عام ١٨٣٢ . ومنها القاضي والأديب الشاعر يوسف إسماعيل النبهاني (١٨٤٩ - ١٩٣٠م) .

ضمت القرية مسجدين ، ومدرسة ابتدائية للبنين أسست في العهد العثماني ، وأغلقت خلال الحرب العالمية الأولى ، ثم أعيد افتتاحها بعد الحرب . اعتمد السكان على مياه البئر الغربية وعين المراح في الشرب والأغراض المنزلية ، بالإضافة إلى الآبار التي تجمع فيها مياه الأمطار .

كان اقتصاد القرية يقوم على الزراعة * وتربية المواشي . وأهم المزروعات الحبوب * . وإحزم من القرى المشهورة بزراعة الزيتون * في قضاء حيفا ، إذ كان فيها ١,٣٤٠ دونماً مزروعة زيتوناً في موسم ١٩٤٣/٤٢ ، تركز معظمها في جنوب القرية وجنوبها الغربي وفي شمالها وشمالها الغربي ، وكان فيها ثلاث معاصر زيتون يدوية ومعصرة آلية .

في ١٩٤٨/٧/٢١ قصف الصهيونيون إحزم وعدة قرى مجاورة بقنابل الطائرات ، واحتلوها في ١٩٤٨/٧/٢٢ ، وشردوا سكانها ودمروها . وفي عام ١٩٤٩ أقاموا موشاف « كرم مهرال » في مكان القرية ، وقد بلغ عدد سكانه ٢٠٠ نسمة في عام ١٩٧٠ .

المراجع :

- أنيس صايغ : بلدانية فلسطين المحتلة (١٩٤٨ - ١٩٦٧) ، بيروت ١٩٦٨ .
- مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٧ ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤ .
- خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٢٥,٠٠٠ ، لوحة إجزم .
- خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحتا الطنطورة ومجدو .

أجفي (سهل) :

يقع هذا السهل في الوسط الجنوبي من مثلث النقب * ، في منخفض متطاول نحو الشمال الشرقي ، بين مرتفعات جبلية تسايره من جهة الشرق بمتوسط ارتفاع ٤٥٠ - ٦٥٠م ، ومن جهة الغرب بمتوسط ارتفاع ٥٠٠ - ٦٠٠م فوق سطح البحر . أما الارتفاع المتوسط للسهل فلا يتجاوز ٤٠٠م . ويبلغ طول السهل قرابة ١٥ كم ، ومتوسط عرضه ٦ كم .

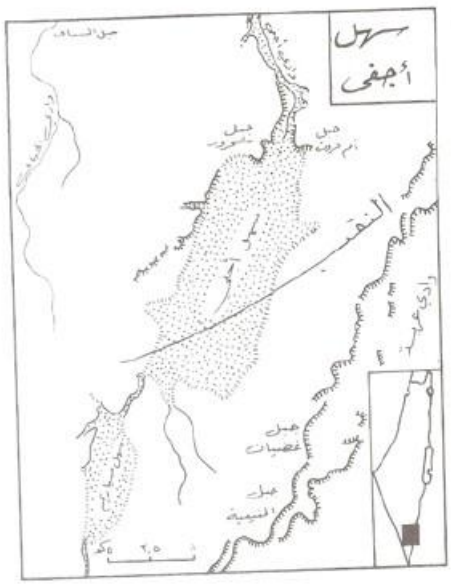

يتصل سهل أجفي في الجنوب الغربي بسهل أصغر منه وأعلى ، وهو سهل صباريم ، في حين ينتهي في الشمال الشرقي بوادي أجفي ، حيث يرتفع جبلا شحرور في الغرب وأم فروت في الشرق على جانبي مخرج الوادي من السهل . ويكوّن وادي أجفي هذا مع السهل الذي يصرف مياهه المجاري العليا والوسطى لوادي الحياني * الذي ينتهي في وادي عربة * ، لذلك يسمّى أحياناً وادي الحياني أيضاً . ويبلغ طول الوادي من بداياته حتى مصبه في وادي الحياني ٥٥ كم .

يحتل سهل أجفي أخفض جزء من وحدة بنائية (تكتونية) هامة في جنوب النقب . إذ يضم السهل وحوض الوادي بين طيّتين التوائيتين تبرزان على الجانبين بمحور مسايرٍ لمحور الانهدام السوري - الأفريقي في وادي عربة وخليج العقبة * . وقد تعرضت الطيّات المذكورة لعمليات انهدامية بصدوع كثيرة فيما المحور نفسه أيضاً . وكان من نتيجتها خفض منطقة سهل أجفي بين حافتين صدعيتين تحتويان على ما يعرف بوهدة أجفي . فسهل أجفي من الناحية البنائية هو سهل انهدامي واضح في الطبيعة ، تكوّن ضمن طبقات صخرية يغلب عليها الحجر الكلسي والدولوميتي والمارني ، وتعود هذه الطبقات إلى العهد الكريتاسي (التوروني والكامساني) ، إذ تظهر صخور التوروني شرقي السهل ، وصخور الكامساني غربيه

(رَ : الصخور) . أما أرض السهل فمغطاة بتوضعات سميكة من اللحقيات والترسبات والمجروفات المائية (السيلية) العائدة للحقبة الرابعة الحديثة .

فرضت الأوضاع التضريسية والبنائية المذكورة انحدارات للسطوح تتجه نحو السهل . وهذا ما يلاحظ في شبكة الأودية والروافد في جميع أرجاء المنطقة المدروسة ، فقد قامت المياه الجارية على السطح بحفر أوديتها ، والتعمق في صخور المرتفعات المحيطة بالسهل ، لكنها مياه من النموذج السيلي الموقت . ونظراً لسيادة المناخ الصحراوي الجاف في المنطقة ، فلا يتجاوز متوسط كميات الأمطار السنوية ٥٠ مم ، ولا تقل مقادير التبخر عن ٢,٧٠٠ مم سنوياً . فإذا أضيف إلى ذلك كون الصخور التي تنحدر عنها مياه السيول والفيضانات الموقتة عقب الأمطار النادرة ذات طبيعة منفذة للمياه ، أمكن تفسير انعدام الجريان المائي السطحي الدائم ، وتفسير انتشار الجروف والحافات الصخرية القائمة والقاسية على امتداد الأودية الرافدة ، وعلى طول جوانب السهل . وتتميز مخارج الأودية الرافدة بتكوينها مخاريط (مراوح) أنقاض فيضية صغيرة تنتشر عند أقدام المرتفعات المطلة على السهل . وتختلط مواد المخاريط المؤلفة من الحصى والأحجار والرمال بتوضعات تربة اللوس الصحراوية في النصف الشمالي من السهل .

يخلو السهل من مصادر المياه المختلفة (ينابيع ، عيون ، آبار) ، مما يزيد في فقره وجفافه ، وبالتالي في انعدام مظاهر الحياة البشرية والاقتصادية فيه . وباستثناء الغطاء العشبي الفقير الذي ينمو عقب الأمطار المفاجئة ، ليس في السهل مصدر اقتصادي آخر . وتستفيد قطعان عرب السميدين في الشمال ، وعرب الأحيوات (اللحيوات) في الجنوب من هذه الأعشاب القصيرة العمر فترعاها أثناء نجعتها .

المراجع :

- خريطة فلسطين: مقياس ١ : ١٠٠,٠٠٠ ، لوحة الكتيلة .
- الخريطة الجيولوجية لفلسطين . مقياس ١ : ٢٥٠,٠٠٠ .

أَجْفِي (وادي ـ) : رَ : الحيّاني (وادي ـ)

إجليل الشمالية والقبلية (قريتا ـ) :

قرية عربية مزدوجة مؤلفة من تجمعين سكانيين تفصل بينهما مسافة نصف كيلومتر واحد فقط ، ويقعان في السهل الساحلي الفلسطيني * ، إلى الشمال الشرقي من مدينة يافا * على مسافة ١٤ كم (اجليل القبلية) و ١٥ كم (اجليل الشمالية) . ويبعدان عن البحر المتوسط مسافة ٢ كم ، قريباً من طريق يافا ـ حيفا الرئيسة ، ويتصلان بها بطرق فرعية معبّدة .

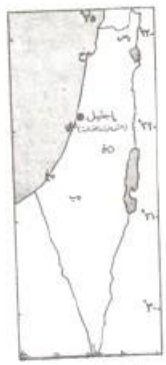

نشأت القريتان على رقعة سهلية منبسطة من الأرض يراوح ارتفاعها بين ٢٥ و ٣٠م فوق سطح البحر . وتتكون هذه الرقعة من تربة بنية حمراء رملية لحقية تنتشر عليها مساحات من الكثبان الرملية الساحلية التي تفصل القريتين عن ساحل البحر ذي الحافات الجرفية . وقد سميت القريتان باسمهما نسبة إلى شيخ صالح يدعى عبد الجليل . وبنيت بيوتها من اللبن والإسمنت .

واجليل الشمالية ذات مخطط طولي مساير لمحور طريق يافا ـ حيفا الرئيسة الشمالية ـ الجنوبية ، وتحتوي على عدد من الدكاكين ومسجد ومدرسة ابتدائية تأسست عام ١٩٤٥ ، وتشتمل على بئر مياه للشرب ، وتضم آثار خربة وبقايا أرضيات مرصوفة بالفسيفساء وغيرها (رَ : الخرب والأماكن الأثرية) . وبالرغم من توسع اجليل الشمالية وازدياد بيوتها وعمرانها ظلت صغيرة لم تتجاوز مساحتها ٧ دونمات . أما اجليل القبلية فذات مخطط مبعثر نسبياً . تتوزع بيوتها في ثلاث وحدات سكنية ، تفصل بينها مساحات فضاء كانت آخذة بالتقلص نتيجة تزايد العمران . واجليل القبلية أصغر من الشمالية ، فمساحتها لم تتجاوز ٦ دونمات ، وتشترك مع اجليل الشمالية بالمدرسة ، وفيها بئر مياه للشرب .

بلغت مساحة أراضي القريتين معاً ١٧,٦٥٧ دونماً ، منها ١٥,٠٢٧ دونماً لاجليل القبلية . وقد تسرب للصهيونيين ٩,٥٨٠ دونماً ، أما الباقي وهو ٢,٤٥٠ دونماً فلاجليل الشمالية ، وتسرب للصهيونيين منها ٥٢١ دونماً . ونظراً للطبيعة الرملية لتربة المنطقة فقد زرعت بأشجار الفواكه ، ولا سيما بالحمضيات * . وهي تروى بمياه الآبار التي حفرت بالعشرات في البيارات المنتشرة على مساحة ١,٦٧٩ دونماً حول القريتين . ويمارس السكان ، إلى جانب الزراعة * وأعمال البستنة ، حرفة صيد الأسماك * .

بلغ عدد سكان القريتين ٣٠٥ نسمات عام ١٩٣١ ، كانوا يقيمون في ٢٩ بيتاً . وزاد عددهم عام ١٩٤٥ إلى ٤٧٠ نسمة . وفي عام ١٩٤٨ احتل الصهيونيون قريتي اجليل الشمالية والقبلية ،

وطردوا السكان منها ودمروها ، وأقاموا على أنقاضها مستعمرة « جليلوت » التي أصبحت ضاحية لمدينة هرتسليا * حالياً .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٤ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٢ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة يافا .

أحبّـاء صهيـون :

أحباء صهيون أو هواة صهيون ، ترجمة للاسم العبري " حوفيفي تسيون " وهو اسم يطلق على جمعيات صهيونية نشأت في روسيا سنة ١٨٨١ بعد صدور قوانين أيار التي فرضت قيوداً على الأقلية اليهودية هناك بين عامي ١٨٨١ ـ ١٨٨٣ ، وعلى حركة المهاجرين اليهود من روسيا وبولونيا ورومانيا إلى فلسطين (الهجرة الأولى ١٨٨١ ـ ١٩٠٤) . وكان هدف حركة أحباء صهيون محاربة اندماج اليهود في المجتمعات التي يعيشون فيها ، و" العودة إلى صهيون " . وقد اتخذت شعارا لها " إلى فلسطين " ودعت إلى الاستعداد للهجرة لشراء الأراضي فيها ، ومساعدة الاستيطان اليهودي هناك . وكانت حركة أحباء صهيون همزة الوصل بين ما أطلق عليه " طلائع " الصهيونية في منتصف القرن التاسع عشر وبداية الصهيونية السياسية مع ظهور تيودور هرتسل وانعقاد المؤتمر الصهيوني * الأول في سنة ١٨٩٧ .

وقد سبق هذه الحركة أفكار ومشاريع مختلفة من جانب أشخاص فرادى ، مثل الحاخام تسفي هيرش كليشر ويهودا الفلعي وموشيه هيس ، والأدباء دافيد غوردون وبيرتس سمولينسكين واليعيزر بن يهودا وآخرين . كما قامت في تلك الفترة أيضاً جمعيات يهودية تعمل من أجل الاستيطان في فلسطين أطلقت عليها في البداية أسماء مختلفة . وكان القاسم المشترك بينها فكرة أنه لا خلاص لليهود في أماكن وجودهم ، والحل هو العودة إلى " صهيون " .

وقد انتشرت حركة أحباء صهيون بين اليهود في روسيا ورومانيا وغربي أوربا والولايات المتحدة الأميركية ، وإن كان بعض أعضائها قد راودتهم المخاوف من الشك في وطنيتهم ومن ازدواج الولاء . وكان يغلب على الحركة في دول أوربا الوسطى والغربية طابع ثقافي نظري ، غير أنها ساهمت بدور كبير في مكافحة الاندماج ، ووضعت الأساس للحركة الصهيونية السياسية وظهور هرتسل على منبر الصهيونية .

وضع يهودا ليون بينسكر (١٨٢١ ـ ١٨٩١) الأساس الفكري لحركة أحباء صهيون في كراسة " التحرير الذاتي " نشرت بالألمانية أولاً سنة ١٨٨٢ ، ثم ترجمت إلى اللغتين العبرية والروسية . وقد عقد أول مؤتمر لحركة أحباء صهيون ، بمبادرة بينسكر ، في كاتوفيتش في تشرين الثاني ١٨٨٤ ، وحضره ٣٥ ممثلاً عن جمعيات أحباء صهيون في روسيا وأوربا ، وتم فيه تشكيل لجنة مركزية مؤلفة من ١٩ عضواً ، للإشراف على نشاط أحباء صهيون وتوحيد قواهم ونشاطهم خارج فلسطين وداخلها . وتم انتخاب الدكتور بينسكر رئيساً للجنة المركزية ، وشكلت لجنة فرعية تابعة لها في وارسو . وكان أهم ما تمخض عنه هذا المؤتمر البحث عن السبل الكفيلة بتقوية المستعمرات الصهيونية في فلسطين ، وتوفير الدعم المالي لها ، وتوحيد صفوف الحركة ، وإقامة علاقات حسنة مع السلطات التركية . ومن أجل تحقيق هذا الغرض قرر المؤتمر تشكيل " جمعية مونتفيوري " ـ بمناسبة مرور مائة عام على ميلاد موشيه مونتفيوري ـ مهمتها تشجيع الزراعة بين اليهود ، وتشجيع الاستيطان اليهودي في فلسطين . ومن القرارات التي اتخذها المؤتمر إرسال وفد إلى فلسطين لدراسة أوضاع المستعمرات ، وبحث سبل دعمها ، وبذل المساعي لدى الحكومة التركية لإلغاء القيود التي فرضتها على دخول المهاجرين اليهود إلى فلسطين .

عملت اللجنة المركزية لحركة أحباء صهيون على توحيد صفوف أحباء صهيون ، فارتفع عدد الجمعيات التي انضمت إلى الحركة خلال الأشهر الأولى من سنة ١٨٨٥ ، إلى ٥٥ جمعية ، منها ٥١ جمعية داخل روسيا ، قدر عدد أعضائها بنحو ٨,٥٠٠ عضو ، و٤ جمعيات في الخارج ، ووصل عدد أعضاء الجمعيات كلها إلى ما يقارب ١٤ ألفاً . غير أن الخلافات سرعان ما نشبت داخل الحركة بين المتدينين والعلمانيين ، مما أدى إلى اضعافها وازدياد تأثير وتشيلد ونفرذه على النشاط الاستيطاني في فلسطين .

عقد المؤتمر الثاني لحركة أحباء صهيون في دروسكينك ، في حزيران ١٨٨٧ ، بحضور مندوبين عن ٣٠ جمعية من جمعيات الحركة في روسيا فقط . ونشبت فيه خلافات بين الشبان العلمانيين (مناحيم أوسيشكين وم . ديزنجوف وآخرين) وبين المتدينين الذين كان على رأسهم الحاخام شموئيل موهيليفر (١٨٢٤ ـ ١٨٩٨) أحد زعماء الحركة في روسيا ومؤسس الصهيونية الدينية . ونجح المتدينون في انتخاب ثلاثة حاخامين ، من بينهم موهيليفر ، أعضاء في اللجنة المركزية . وقرر المؤتمر عدم إقامة مستعمرات جديدة في فلسطين ما لم تتم عملية تأسيس المستعمرات القائمة هناك ، وأوصى بإقامة مكتب في فلسطين لشراء الأراضي وتقديم الخدمات للمهاجرين والمستوطنين .

ضعفت الحركة بعد ذلك ، مما استدعى عقد المؤتمر الثالث لها في فينا ، في آب ١٨٨٩ . وقد تمت الغلبة فيه لأوساط المتدينين ،

ولتنخبت قيادة جديدة للحركة ، كان الحاخام موهيليفر من أبرز أعضائها . وجرى توسيع تمثيل المندوبين ونفوذهم في داخل الحركة ، مما حدا ببعض الزعماء العلمانيين إلى البحث عن تعبير ثقافي وروحي آخر لصهيونيتهم ، وبرز على هذا الصعيد اشرتسفي جيتزبرج (١٨٥٦ - ١٩٢٧) المعروف باسم آحاد هاعام، الذي نشر أولى مقالاته تحت عنوان " ليست هذه هي الطريق "وانتقد فيها نظرة زعماء أحباء صهيون إلى أوضاع المستعمرات اليهودية في فلسطين ، ووصفها بأنها نظرة غير واقعية . ودعا إلى تقوية الاهتمام بما أسماه «نجاح الأمة بأسرها في بلاد أجدادها ، دون الاهتمام بسعادة الفرد » . ونادى بضرورة إصلاح اليهود في المهجر كشرط مسبق لإنقاذهم . وقد أثارت آراؤه تلك جدالا شديدا بين زعماء حركة أحباء صهيون ومفكريها لمعارضتها لنظريات الحركة . لكن آحاد هاعام اتجه إلى العمل ، وتم تأسيس جمعية " بني موشيه " (أبناء موسى) في آذار ١٨٨٩ لتقوية الروح القومية بين اليهود . وتولى هاعام رئاستها ، فشدد على أولوية العمل الثقافي بين اليهود في العالم . غير أن هذه الجمعية لم تنجح فيما كانت تصبو إليه ، وجرى حلها في سنة ١٨٩٧ . وكان الخلاف في هذه المرحلة يدور حول الأولويات ، إذ كان دعاة الاتجاه العملي يؤيدون النشاط الاستيطاني المباشر ، في حين كان الثقافيون يرون ضرورة النشاط الثقافي كمقدمة للاستيطان ، وليس كمرحلة لاحقة . وقد أسس أحباء صهيون جمعيات لإحياء ونشر اللغة العبرية ، وأصدروا دوريات أدبية . كما أن جمعية " بني موشيه " أسست في سنة ١٨٩٣ دار " احياسّاف " للنشر في وارسو ، وقد نشرت أعمالا أدبية عدة ، وأصدرت مجلة عبرية باسم " هاشيلواح " بين سنوات ١٨٩٦ و١٩١٤ ، ثم انتقلت فيما بعد إلى فلسطين .

حصلت حركة أحباء صهيون في أواخر شباط ١٨٩٠ على ترخيص من الحكومة الروسية لممارسة نشاطها بصورة رسمية ، وأسست في السنة ذاتها جمعية عرفت باسم " جمعية دعم اليهود الفلاحين والحرفيين في سورية وفلسطين " . وهكذا أضفت الحركة طابعا رسميا على نشاطها في أنحاء روسيا ، وأطلق على لجنتها المركزية اسم " اللجنة الأوديسية " ، نسبة إلى مدينة أوديسا ، حيث المقر الرئيسي لأحباء صهيون .

انعقد المؤتمر الرابع للحركة ، بعد وقت قصير من الاعتراف بها في روسيا ، فانتخبت فيه لجنة تنفيذية جديدة وأعيد انتخاب بينسكر رئيسا للحركة . وقد امتنع الحاخامون عن حضور هذا المؤتمر ، بسبب غضبهم من المستوطنين في فلسطين الذين لم يلتزموا جميعا بتعاليم الشريعة اليهودية ، ولم يمتنعوا عن فلاحة أراضيهم خلال الموسم الزراعي لسنة ٥٦٤٩ عبرية (١٨٨٩ - ١٨٩٠) التي كانت " سنة تيوبير " (وسنة التيوبير تحل مرة كل سبع سنوات ، ويتبغي على اليهودي الملتزم بتعاليم الدين الامتناع خلالها عن فلاحة أراضيه أو استغلال ثمارها ، إلاّ بناء على فتوى يصدرها حاخامون معتمدون ، وفي ظروف قاهرة) .

قامت اللجنة التنفيذية الجديدة لأحباء صهيون بنشاط تنظيمي واسع ، وجمعت مبالغ كبيرة ، وقدمت المساعدات المالية للمهاجرين إلى فلسطين ، وساهمت في شراء الأراضي . وتقرر إنشاء لجنة تنفيذية في باريس " للإشراف على عمليات شراء الأراضي والهجرة والاستيطان ، وأوفدت الحركة في أواخر سنة ١٨٩٠ زئيف طيومكين للقيام بهذا العمل . ونشط طيومكين ، بشكل خاص ، في مجال تنسيق عمليات شراء الأراضي ، واستطاع حصر هذا النشاط باللجنة التنفيذية لأحباء صهيون وحدها ، إذ أن رونشيلد عارض هذا الاتجاه ، ورفض زعم المستوطنين في فلسطين التعاون مع طيومكين مما اضطره إلى ترك [illegible] .

ومع ظهور هرتسل وإقامة المنظمة الصهيونية العالمية * ، انضمت معظم جمعيات أحباء صهيون بتنظيمها إلى الحركة الصهيونية . وواصل أحباء صهيون نشاطهم العملي في إقامة المستعمرات في فلسطين ، وتقديم المساعدات للمدارس العبرية وغير ذلك . وفي سنة ١٩٠٠ سافر وفد خاص من أحباء صهيون برئاسة آحاد هاعام إلى فلسطين لبحث وضع المستعمرات هناك . كما اقترح وفد آخر على البارون روتشيلد إنهاء وصاية الموظفين على اليشوف * اليهودي في فلسطين ، وإدخال تعديلات على إدارة شؤون المستعمرات . وقدم أحباء صهيون مساعدات للمستعمرات القائمة ، وشجعوا وساعدوا في إقامة مستعمرات أخرى جديدة . كما هاجر كثيرون منهم إلى فلسطين ، وأقاموا مستعمرات ريشون لتسيون * في آب ١٨٨٢ ، وروشبينا بعد عدة أسابيع ، ثم تلتها في العام نفسه مستعمرة زمارين التي أطلق عليها فيما بعد اسم زخارون يعقوب ، تخليداً للوالد البارون رونشيلد ، بعد أن تعهد بتقديم المعونة المالية لها . كذلك أقيمت مستعمرة يسود هامعلا غربي بحيرة الحولة * في شمال فلسطين . وجدد أحباء صهيون الاستيطان في بتاح تكفا * . وبلغ مجموع ما صرفته جمعيات أحباء صهيون على إقامة المستعمرات الصهيونية في فلسطين حتى نهاية الهجرة الأولى ، سنة ١٩٠٣ ، نحو ٨٧ ألف جنيه إسترليني .

المراجع :

- عبد الوهاب المسيري : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، القاهرة ١٩٧٥ .
- صبري جريس : تاريخ الصهيونية ، ج ١ ، بيروت ١٩٧٧ .

ـ أسعد رزوق : إسرائيل الكبرى ، دراسة في الفكر التوسعي الصهيوني ، بيروت ١٩٦٨ .

الأحجار الكريمة : رَ : المعادن

الأحداث (منظمات ـ) :

تعني كلمة « الأحداث » لغوياً الشباب . وتعني تاريخياً المنظمات العسكرية التي كانت موجودة في المناطق الحضرية ، أو بتعبير آخر الجيش الشعبي أو « ميليشيا » المدن . وقد اضطلعت منظمات الأحداث هذه بدور هام في مدن بلاد الشام ، وإقليم الجزيرة الفراتية خلال القرن الرابع والقرن الخامس والقرن السادس للهجرة / العاشر والحادي عشر والثاني عشر للميلاد . وكانت معروفة بصورة خاصة في دمشق وحلب والقدس * وعكا * وعسقلان وطبرية * .

كان لهذه المنظمات رئيس يسمى « نقيب الأحداث » أو « مقدّم الأحداث » وقد سمي « رئيس البلد » أحياناً . وتقوم هذه التنظمات بأعمال الشرطة ، فهي مسؤولة بصورة عامة عن النظام العام وضمان الأمن والاستقرار ومكافحة الحرائق وغير ذلك من الخدمات في أوقات السلم . وكانت تقوم أيضاً ، عند اللزوم ، بالدفاع ومساندة الجيش . وكان الأحداث يقبضون مقابل ما يؤدونه من خدمات رواتب تؤخذ من الضرائب * المفروضة على سكان المدن .

وتختلف منظمات الأحداث عن الشرطة من حيث طبيعتها المحلية المرتبطة بالمدينة ، كما أنها ، على خلاف الشرطة ، منظمة ليست رسمية . وربما كان هذا الفارق بالذات هو الذي جعل منظمات الأحداث أكثر أهمية والتصاقاً بالمدن من الشرطة . كما جعل عملها مختلفاً عن عمل الشرطة في الغالب .

كانت منظمات الأحداث في فلسطين مسلّحة ومدرّبة على القتال ، ومستعدة في أية ساعة للدفاع عن مدنها . مما جعل الأحداث يكوّنون معارضة محلية نشطة للسلطة السياسية الأجنبية في المدن الفلسطينية مثل القدس أو عكا أو الرملة . فقد كانت السلطة في الأعم الغالب إما فاطمية وإما سلجوقية وإما صليبية غربية فيما بعد . ولذا وجد سكان مدن فلسطين في منظمات الأحداث التنفس السياسي والاجتماعي للتعبير عن موقفهم وطموحهم . وقد لوحظ استمرار ثورة الأحداث ، بقيادة رئيسهم أو مقدّمهم ، على سلطة الأمراء الأجانب المتسلطين . وكانت المنظمة تفرض ، في حالة ضعف الحاكم ، نوعاً من المشاركة في إدارة المدينة . وهكذا تجبر السلطة على الاعتراف برئيس الأحداث رئيساً للبلد ، وتكون سلطته شبيهة بسلطة رئيس البلد ، وتتعداها في حالات الحرب والدفاع . وقد يعيّن أحياناً رئيس الأحداث قاضياً على المدينة .

وكان الأحداث يتكوّنون من العامة وجماهير الناس ، ويرتبطون بتوجيه بعض المتنفذين من طبقة البورجوازية ، أو يتبعون شخصاً بارزاً من أسرة أو أكثر . لذا لم يمثل الأحداث جميع سكان المدينة أو البلدة ، وإنما بعضاً منهم .

وليس في المصادر العربية معلومات كثيرة تكشف عن أصل منظمة الأحداث وأسباب نشوئها . وليس صحيحاً ثابتاً ما قاله المستشرق الفرنسي كلود كاهين *C. Cahen* من أن منظمة الأحداث في بلاد الشام هي امتداد لمنظمة بيزنطية عرفتها الشام في العهد البيزنطي ، فليس هناك روايات تاريخية تؤيد ما ذهب إليه ، كما أن طبيعة منظمة الأحداث والظروف التي نشأت فيها تدل على أنها عربية المولد والأصل ، وأنها ولدت لتحل مشاكل المدن الشامية في ظروف سياسية واجتماعية معينة .

كانت القبائل العربية في فترة الحكم العباسي لبلاد الشام متمردة على سلطة العاصمة بغداد ، مفضلة اللامركزية . ولذلك كانت بلاد الشام مصدر قلق وإزعاج للعباسيين . وشعر سكان المدن في فلسطين خاصة ، وبلاد الشام عامة خلال فترة الصراع والتنافس بين السلاجقة (رَ : السلجوقيون) والفاطميين * ، وهما قوتان أجنبيتان ، شعروا بفقدان الأمن وعدم الاستقرار . وقد شجع هذا الوضع السياسي والاجتماعي سكان كل مدينة على التجمع المحلي ، وبهذا كان نشوء منظمة الأحداث استجابة طبيعية للوضع المتأزم ، والصراع المستمر ، وفقدان الشعور بالأمان .

وهذا يُلاحظ أن موقف منظمات الأحداث كان معارضاً للسلطة الأجنبية ، سلجوقية كانت أو فاطمية ، وكان الأحداث في مدن فلسطين يناصبون دوماً التركمان العداوة ، بالرغم من أن موقفهم السياسي هذا كان عرضة للتحول تبعاً للظروف السياسية ، لأنهم لم يكونوا يمثلون دائماً جميع سكان المدينة ، ولم يدافعوا دوماً عن مصلحة أهل المدينة أو العامة ، بل ربما اندفعوا للدفاع عن مصالحهم وسلطانهم التي خلصتهم إياها السلطة الأجنبية المحتلة .

وقد بدأت سلطة منظمات الأحداث بالتدهور التدريجي مع إقامة الحكم الفردي السلجوقي في فلسطين والشام . لأن الطبيعة الأوتوقراطية لهذا النظام السلجوقي ، بالإضافة إلى إصرار السلاجقة على تعيين الشحنة ، أي الشرطة ، في كل مدينة ، تساعدها حامية من الجيش ، أضعف منظمات الأحداث ، وأفقدها قوتها ، وقطع الطريق أمامها ، وبهذا تلاشت وزالت .

المراجع :

ـ ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، بيروت ١٩٠٨ .

- ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ، دمشق ١٩٥١ ، ١٩٥٤ ، ١٩٥٨ .
- ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ليدن .
- سهيل زكار : مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية ، بيروت ١٩٧٢ .
— Cahen, C.: Mouvements Populaires et Autonomie Urbain dans L'Asie Musulmane du Moyen Age I. Arabica, Vol.v. 1958

أحدوت هاعافودا (حزب ـ) :

أنشىء حزب أحدوت هاعافودا (العمل الموحد) سنة ١٩١٩ في فلسطين كحزب صهيوني عمالي اشتراكي ضم عمّالاً زراعيين وسكان مدن وجنوداً خدموا في الجيش البريطاني . وقد حدث في أواخر العشرينات تقارب بينه وبين حركة هابوعيل هاتسعير (العامل الفتى) ذات الميول الاشتراكية ، بزعامة حاييم أرلوزوروف ، وأدّى هذا التقارب إلى الاندماج في كانون الثاني ١٩٣٠ ، وإلى قيام حزب ماباي * (عمال أرض إسرائيل) .

بعد تأسيس ماباي ، أخذت تتكون داخل الحزب بذور معارضة بسبب « خطوته الإصلاحية اليمينية » . وتكونت هذه المعارضة من شبان قدموا من الاتحاد السوفييتي وكانوا ينتمون إلى حركة الشبيبة الصهيونية والصهيونية الاشتراكية ذات الميول الماركسية ، ومن بعض نشيطي بوعالي تسيون (عمال صهيون) القادمين من بولونيا ثم من نقابة عمال البناء في تل ـ أبيب ، التي سعت إلى تعميق المضمون الطبقي لنشاط الهستدروت * المهني ، ومن بعض الأعضاء السابقين لحزب اليسار الاشتراكي في ألمانيا . وأعلنت هذه المعارضة في نشراتها عن خوض " نضال الاشتراكية الماركسية ضد الأممية الإصلاحية من جهة ، وضد الشيوعية من جهة أخرى " .

أخذت هذه المعارضة تتفاعل وتنشط داخل حركة الكيبوتز الموحّد والاتحادات العمالية في المدن ، وسمّت نفسها «كتلة ب» . وعارضت هذه الكتلة سياسة اللجنة التنفيذية للماباي و « قوة الهستدروت البيروقراطية » . إلاّ أن حزب ماباي أصدر قراراً في سنة ١٩٤٢ بمنع قيام كتل منفردة داخل الحزب . وفي أيار ١٩٤٤ أسس جماعة الكتلة ب « تنوعا أحدوت هاعافودا » (حركة وحدة العمل) . وفي انتخابات المؤتمر السادس للهستدروت حصلت هذه الحركة على ١٧,٧٪ من الأصوات .

وقبيل إنشاء (إسرائيل) انتهجت حركة وحدة العمل سياسة متطرفة ، واحتل أعضاؤها مناصب رئيسة في الهاغاناه * والبالماخ * . وفي نيسان ١٩٤٦ اتحدت الحركة مع بقايا حزب بوعالي تسيون ونشأ حزب جديد ، أطلق عليه حزب « أحدوت هاعافودا ـ بوعالي تسيون » .

اتحد هذا الحزب في شباط ١٩٤٨ مع حركة هاشومير * (الحارس) ، وشكّلا حزباً واحداً أطلق عليه « مفليجيت هبوعاليم هميئوحيدت ـ مابام » ، (حزب العمال الموحد) . إلاّ أن الوحدة لم تكن كاملة ، إذ بقي في المابام * جناح يساري معارض . ولكن الحزب (مابام) قرر في آب ١٩٥٣ طرد « العناصر اليسارية التي كانت تعارض الصهيونية » .

وعاد هذا الجناح المفصول من مابام بزعامة يتسحاق طبنكين ، ويسرائيل غاليلي ، ويتسحاق بن أهارون وبيغال آلون (من الكيبوتز الموحد) إلى إنشاء حزب مستقل أطلق عليه مرة أخرى اسم « أحدوت هاعافودا » ، وأصدر صحيفة تنطق باسمه تدعى « لامرحاف » . وقد أخذ حزب أحدوت هاعافودا يخرض الانتخابات بقائمة مستقلة ، وكان يحصل على عدد من مقاعد الكنيست يتراوح ما بين ٨ و ١٠ مقاعد .

انتهج حزب أحدوت هاعافودا سياسة متطرفة ، فنادى باتخاذ موقف عسكري متشدد من العرب ، وشجع على انتهاج سياسة خارجية عدوانية في الشرق الأوسط . وهو يأتي بعد حزب حيروت * في مدى مجاهرته باستخدام العنف لتحقيق الأغراض السياسية .

شارك حزب أحدوت هاعافودا في الإئتلاف الوزاري منذ عام ١٩٥٩ إلى عام ١٩٦٥ ، حين تحالف مع حزب ماباي في تجمع واحد أطلق عليه بالعبرية المعراخ * (التجمع) . وفي سنة ١٩٦٨ اندمجت أحزاب ماباي ، وأحدوت هاعافودا ، ورافي * في حزب واحد ، سمي حزب العمل الإسرائيلي * .

المراجع :

- مؤسسة الدراسات الفلسطينية : الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٨ ، بيروت .
- كاميليا بدر : نظرة على الأحزاب والحركات السياسية الإسرائيلية ، القدس ١٩٨١ .

الأحراج (قانون ـ) :

يعتبر قانون الأحراج والغابات الإسرائيلي المعمول به حالياً امتداداً لقانون الأحراج والغابات البريطاني الذي سنته سلطات الانتداب في فلسطين ، وصدر للمرة الأولى في كانون الأول عام ١٩٢٥ ، وعدل عام ١٩٢٦ .

أعلنت السلطات البريطانية المنتدبة آنئذٍ أن القصد من سنّ القانون المذكور هو حماية أشجار البلاد التي تقع ضمن ما أطلق عليه « الأرض المشاع » ووضعها تحت إشراف الدولة ، سواء كانت مثمرة

أو غير مثمرة . وقد عرّف القانون « أرض الغابة » بأنها : " كل أرض مغروسة بأشجار غير مثمرة كثيفة أو غير كثيفة ، والأرض المغطاة بالشجيرات الصغيرة التي يمكن ان تستخدم وقوداً أو لصنع الفحم أو ما شابه ذلك ، وكذلك الأرض المغروسة من قبل الإنسان بغراس الأشجار غير المثمرة أو الأشجار البرية التي تنمو من تلقاء نفسها "

وقد ميّز القانون البريطاني بين نوعين من الأحراج ضمن مادة حددت الأحراج والغابات التابعة للحكومة ، وتلك التي يمتلكها أشخاص . كما تنصّ هذه المادة على أنه يحق لكل صاحب غابة أن يطلب من الحكومة أن تضع غابته تحت إشرافها ومراقبتها وإدارتها ، وفقاً للشروط التي يتفق عليها الطرفان . كما خوّل القانون المذكور المندوب السامي وضع أراض غير مشجرة تستحق التشجير سواء كانت « الأراضي » ملكية خاصة أو مملوكة من قبل قرية أو طائفة تحت إشراف موظف الغابات ، على أن يعطى الدخل الصافي الناجم عن استثمار هذه الأراضي لمن كان يملكها في السابق .

كذلك أعطى القانون السلطات المنتدبة صلاحية الاستيلاء على اي أرض تعتبرها « غابة دولة » . ولما كانت السلطات المنتدبة البريطانية قد استغلت أيضاً قانون « الأراضي الموات » العثماني الذي ينص ، في جملة ما ينص ، على أنه يحق للدولة الاستيلاء على كل أرض تبعد عن القرية مسافة لا يصل إليها صوت المؤذن إذا ما قام برفع صوته من أطراف القرية فإن الحكومة البريطانية استولت في الواقع على أراض واسعة من فلسطين وحولتها إلى أراضي غابات ، أو منحت أقساماً منها للمشرفين على الغابات .

وأعطى القانون البريطاني صلاحيات واسعة لموظفي الأحراج فيما يتعلق بتنفيذ المواد الخاصة بكيفية استخدام الأهالي للغابات ودخولها او المرور فيها ، والعقوبات التي تطبق بحق من ينتهك نصوص القانون الخاص بها .

وقد أدخلت (إسرائيل) تعديلات على القانون البريطاني في عامي ١٩٥٦ و ١٩٦٠ . وجاء في هذه التعديلات ، التي شددت بمقتضاها القيود المفروضة على استخدام السكان للغابات أو مرورهم فيها ، ما يلي : " لا يجوز لأي إنسان كان الدخول إلى غابة الدولة أو إلى غابة خاصة خاضعة لإشراف الحكومة إلاّ بعد أن يحصل على تصريح خاص . وكل من يقوم بأخذ أشجار للبناء من الغابة أو كل من يقوم بقطع أو حرق الأشجار أو تقشيرها أو التصرف بها بشكل أو بآخر ، أو كل من يقوم بقطع ونقل ما في الغابة من حجارة ونحوها ، أو يحرق الحجارة لاستخراج الكلس ، أو يصنع الفحم من الأشجار او الزفت من دون أمر خطي صادر عن موظف الأحراج ، أو من دون تفويض منه ، وكل من يشعل حريقاً في الغابة أو يضرم النار في شجرة دون حرص عليها ، وكذلك كل من يتسبب في شبوب حرائق ، ومن يمرر مواشي وحيوانات أخرى في الغابة ، كل واحد من هؤلاء يتعرض لدفع غرامة لا تزيد على خمسين ليرة - أو يودع السجن لمدة لا تزيد على ستة أشهر ، أو تنزل به العقوبتان معاً ، بالإضافة إلى أنه قد يغرم بدفع تعويض عن الضرر الذي أحدثه في الغابة ونفاً لما تنص عليه المحكمة " .

ويمكن للمحكمة المنوط بها فرض عقوبة على كل أنواع المخالفات الواردة في هذا القانون أن تقضي بأن يدفع قسم من رسوم الغرامة إلى الشخص الذي جاء إلى المحكمة وأبلغ عن المخالفة . إضافة إلى ذلك يحق لموظف الأحراج أن يحتجز كل محصول غابة تنطبق عليه إحدى المخالفات ، وكذلك كل الأدوات التي استخدمها المخالف أثناء العمل (أدوات - عربات - بهائم) . وهذه الممتلكات يمكن أن تخضع للمصادرة بصفة عقوبة إضافية إلى العقوبة العادية . ولكن في كل حال تصادر فيها الممتلكات بتعيين على موظف الأحراج أن يبلغ حاكم المنطقة . ويحق للموظف أن يمنع كل من يخالف هذا الأمر دون أن يتلقى تخويلاً قانونياً بذلك .

وقد ورد في تعديل القانون سنة ١٩٥٦ أيضاً مادة تصنف ما يسمى « بالأشجار المحمية » وتعددها . ولم يكن قانون الأحراج والغابات البريطاني يضم هذه التقسيمات ، ولا حتى مصطلح « الأشجار المحمية » .

أما بالنسبة إلى العقوبات التي تطبق ضد المنتهكين لقوانين الأحراج فقد صدر في عام ١٩٦٠ قانون « أنظمة الغابات الإسرائيلية » الذي منح صلاحية إدارة الغابات والإشراف عليها لموظفين مخولين إصدار تراخيص سارية المفعول بالنسبة إلى قطع الأشجار والرعي . كما يقوم موظفو الأحراج بجباية الرسوم المستحقة على التراخيص . وكل الأنظمة والأوامر خاضعة لوزير الزراعة ، وهو يمنح من صلاحياته المسؤولين عن الإشراف والحراسة في الغابات .

وقد وردت في هذا القانون مادة تنص على أن " من يحرق أو يقتلع ، عن سابق إصرار أو بصورة اعتباطية ، شجرة تنمو في أرض خاصة أو حكومية قد يواجه عقوبة حبس لا تزيد على ثلاث سنوات . ويجوز إلزامه أيضاً بدفع تعويض للمالك عن كل شجرة أو دغلة نضررت أو دمرت " .

وكان يشرف على الغابات في السابق قسم تشجير خاص تابع لوزارة الزراعة الإسرائيلية . إلاّ أن هذا القسم ألغي واستحدث قسم تشجير خاص بالغابة الطبيعية والغابة الاصطناعية يتبع الكيرين كايمت " (الصندوق القومي اليهودي) منذ عام ١٩٥٩ .

وقد عمدت السلطات الإسرائيلية إلى الاستفادة من قانون الأحراج للاستيلاء على مساحات واسعة من الأراضي العائدة للقرى

العربية . إذ اتخذت هذه السلطات إجراءات مضادة عندما كان يتضح لها أن إجراءات التسوية ، ولا سيما تلك التي تمت أيام الانتداب ، لم تكن في مصلحتها . ففي زمن الانتداب البريطاني تمت عمليات تسوية الأراضي في كثير من القرى العربية . وسجلت الممتلكات الخاصة بأسماء أصحابها ، أما الأراضي العمومية التابعة لتلك القرى ، ولا سيما الأراضي الحراجية التي كان يستعملها سكان تلك القرى للرعي أو لقطع الأخشاب او للبناء عليها في المستقبل ، فقد اعتبرت ملكاً مشاعاً للقرية بكاملها وسجلت باسم المندوب السامي لمصلحة سكان القرية لعدم وجود مجالس محلية تسجل الأراضي باسمها في معظم تلك القرى . وقد اعتبرت سلطات الكيان الصهيوني ان هذه الأراضي ملكها وما كانت لتسجل هكذا لو كانت التسوية تمت بعد قيام « الكيان » . ولما لم يكن بامكان السلطات الإسرائيلية إلغاء إجراءات التسجيل فقد عمدت إلى إيجاد « حل » لذلك بإعلان تلك الأراضي أحراجاً حكومية محفوظة . وبهذه الصفة الجديدة ما عاد جائزاً لأحد استعمالها أو التصرف بها . وحتى سنة ١٩٦٥ كان قد أعلن ، مثلاً ، نحو ٣٠ ألف دونم من أراضي قرى سخنين وطوعان وكفر سميع والرينة وجت وعرب السواعد ، أحراجاً محفوظة .

ثم عادت الحكومة وأعلنت في سنة ١٩٦٩ قرابة ١١,٥٣٤ دونماً أخرى تعود إلى أربع قرى عربية هي عين ماهل (٩٦٠ دونماً) ودبورية (٢,٠٠٧) ويافا الناصرة (٢,٧٣٠) والمغار * (٥,٨٣٧) أحراجاً محفوظة .

ولقد دأبت السلطات الإسرائيلية على تفسير القوانين لصالحها من أجل مصادرة مزيد من الأراضي العربية . وكانت تعمد حيث لا يمكنها تفسير القانون لصالحها ، إلى سن قوانين وأنظمة جديدة ، أو تقوم بالتحايل على القانون . والهدف من ذلك كله ابتلاع مزيد من الأراضي العربية . ولعل قضية أراضي كفر برعم خير ما يجسد سياسة (إسرائيل) العنصرية ضد المواطنين العرب ، وخاصة ما يتعلق منها بنزع ملكية أراضيهم (رَ : إقرت وكفر برعم ، قضية) .

المراجع :

ـ قانون الأحراج والغابات البريطاني لعام ١٩٢٦ ، الوقائع الفلسطينية (بالإنكليزية) ، عدد ٥ الصادر ١٩٢٦/٣/١ .

ـ الوقائع الإسرائيلية (بالعبرية) ، مجموعة الأنظمة ٢,٤٨٦ ، ١٩٦٩/١١/٢٧ .

الأحـرار (حـزب ـ) :

تأسس حزب الأحرار (الليبرالي) في (إسرائيل) في عام ١٩٦١ بعد اندماج الحزب التقدمي الصهيوني وحزب الصهيونيين العامين . والمعروف أن الحزب الأخير هو حزب المنظمة الصهيونية العالمية * ، ويعتبر عضواً فيه كل من التزم ببرنامج المؤتمر الصهيوني * الأول بصرف النظر عن معتقداته السياسية حول أنجع السبل لتحقيق أهداف هذا المؤتمر . لذلك فقد استطاع الحزب استقطاب كبار أثرياء اليهود في العالم ورجال الأعمال والصناعيين ، كما تركز مؤيدوه في حيفا * وتل أبيب * والقدس * حيث كان يقطن الأثرياء اليهود في فلسطين . وبحكم تكوينه الطبقي كان الحزب المذكور معادياً لجميع الأفكار الاشتراكية . ولم يشترك هذا الحزب في الحكم إلاّ بين عامي ١٩٥٢ و ١٩٥٥ . وكان في المرتبة الثانية من حيث عدد المقاعد في الكنيست * لكنه أخذ يفقد مركزه تدريجياً .

أما الحزب التقدمي الصهيوني فقد ظهر في عام ١٩٤٨ بعد وصول عدد من المهاجرين الجدد من ألمانيا والنمسا والمجر . كما انضم إليهم بعض العمال المعتدلين . وكان هذا الحزب يجمع عدداً من أفراد الطبقة المتوسطة وبعض المثقفين وأرباب المهن . وقد اشترك في جميع الحكومات الإئتلافية الإسرائيلية .

وفي عام ١٩٦١ اندمج الحزبان تحت اسم حزب الأحرار . وتتلخص أهدافه في تأليف حكومة اتحاد وطني تعمل بمفهوم غير طبقي ، وتقوم بتحقيق التوازن السياسي والاجتماعي ، وتعمل على رفع مستوى العرب القيمين عن طريق إلغاء الحكم العسكري .

وفي عام ١٩٦٥ انقسم الحزب إلى حزبي الأحرار والأحرار المستقلين وعمد الأحرار إلى تشكيل قائمة موحدة مع حزب حيروت * تحت اسم كتلة غاحال * بينما خاض الأحرار المستقلون الانتخابات بقائمة مستقلة .

وتحتل كتلة غاحال مكاناً بارزاً في الكنيست كما تشترك في معظم الحكومات الإئتلافية في (إسرائيل) . وكجزء من تكتل غاحال دخل حزب الأحرار في تكتل ليكود * عام ١٩٧٣ والتزم خطه السياسي .

الأحـرار (رابطة ـ) : رَ : الاتحاد والترقي (جمعية ـ)

الأحـرار المستقلين (حـزب ـ) :

عندما قرر حزب الأحرار * الاتحاد مع حزب حيروت * عام ١٩٦٥ لتأسيس حزب غاحال * انشقت مجموعة من العناصر الصهيونية معظمها ينتمي إلى الجناح التقدمي في الحزب ، وانشأت حزب الأحرار المستقلين .

ولا يختلف هذا الحزب كثيراً عن الأحزاب الصهيونية التي يضمها إطار الليكود * ، سواء من حيث تركيبه الطبقي او توجهاته

السياسية ، نهو يرى أن أمن (إسرائيل) وسلامتها هما الهدف الأول للإسرائيليين ، ولكل يهود العالم ، وأن السلام بين (إسرائيل) والدول العربية يقوم على أساس التسوية الإقليمية ، وأن أي انسحاب إسرائيلي من الأراضي العربية المحتلة يجب أن يتم في إطار اتفاقية سلام شاملة مع الدول المجاورة ، ويجب أن تظل المناطق التي تنسحب منها (إسرائيل) منزوعة السلاح ، وأن تبقى القدس عاصمة موحدة (لدولة إسرائيل) .

أما الحل الأمثل للقضية الفلسطينية من وجهة نظر الأحرار المستقلين فهو إقامة دولة أردنية ـ فلسطينية فدرالية .

لم يعد هذا الحزب الذي يتزعمه موشي كول أي أثر فعّال في السياسة الإسرائيلية، فقد هبطت شعبيته ، وخبا بريقه ، وتقلصت مقاعده في الكنيست * من خمسة مقاعد في انتخابات عام ١٩٦٥ إلى مقعد واحد في انتخابات عام ١٩٨١ .

المراجع :

ـ كاميليا بدر : نظرة على الأحزاب والحركات السياسية الإسرائيلية ، القدس ١٩٨١ .

ـ حركة فتح : الأحزاب والكتل السياسية في إسرائيل ، دمشق .

الأحزاب العراقية للدفاع عن فلسطين

(لجنة ـ) : رَ : إنقاذ فلسطين (جمعية ـ)

الأحزاب والقوى الوطنية والتقدمية في لبنان

(جبهة ـ) :

ارتبط نضال العمل الجبهوي الوطني اللبناني دائما بالنضال من أجل دعم القضية الفلسطينية والوجود الفلسطيني في لبنان ، وقد مرّ هذا العمل منذ تأسيسه حتى الآن بأربع مراحل :

١) المرحلة الأولى : سنة ١٩٦٤ ، حين تشكلت جبهة الأحزاب والهيئات والشخصيات الوطنية والتقدمية برئاسة كمال جنبلاط ، وضمت الحزب التقدمي الاشتراكي ، والحزب الشيوعي ، وحركة القوميين العرب ـ فرع لبنان . وكان الهدف الأساس من وراء إنشاء الجبهة التصدّي للقضايا الاجتماعية والنقابية ومشكلات الفلاحين الزراعية في لبنان . ولكن الفلسطينيين كانوا يعانون آنذاك من تعرضات يومية منظمة من أجهزة رسمية فأخذت الجبهة على عاتقها الدفاع عن حريات الفلسطينيين ، وكشف عمليات الاعتقال التي تمارس ضدهم . وقد انفرط عقد هذه الجبهة عقب هزيمة حزيران ١٩٦٧ (رَ : حرب ١٩٦٧) ، وذلك بعد بروز التيار الماركسي ـ اللينيني داخل حركة القوميين العرب ، وانطلاقها لتحليل سياسي ينتقد تجربة النظام الناصري في مصر ، كما ينتقد أنظمة البورجوازية الصغيرة العربية (الأنظمة الوطنية) ويحمّلها مسؤولية الهزيمة في تلك الحرب بسبب بنيتها الاجتماعية والطبقية . وشمل نقد الحركة أيضاً الجبهة التي يقودها جنبلاط ، لافتقارها إلى البرنامج السياسي الواضح والمحدد . ونتيجة لهذه الخلافات أعلن كمال جنبلاط وقف نشاط الجبهة في بيان ألقاه يوم ١٩٦٧/١١/١٩ .

٢) المرحلة الثانية : بدأت في عام ١٩٦٩ ، وكانت لها مقدماتها الفلسطينية الطويلة . ففي عام ١٩٦٨ أخذ العمل الفدائي الفلسطيني يتركز لأول مرة في منطقة الجنوب اللبناني ، وبدأت في مطلع سنة ١٩٦٩ مناوشات بين الفدائيين والسلطات اللبنانية التي حاولت منع العمل الفدائي المسلح من الانطلاق من الأرض

اللبنانية . وهنا نشأ " تجمع الأحزاب الوطنية والتقدمية " وكانت له مهمة وحيدة هي الدفاع عن المقاومة الفلسطينية ، وحقها في الوجود المسلح في لبنان . وكان من أبرز إنجازات هذا التجمع الذي لم يعمر طويلاً التظاهرات الشعبية الضخمة التي نظمت يوم ١٩٦٩/٤/٢٣ احتجاجا على محاولات المساس بالعمل الفدائي . وقد تجددت هذه الاضطرابات في أيلول وتشرين الأول ١٩٦٩ ، ثم أسفرت عن عقد اتفاقية القاهرة بين الحكومة اللبنانية ومنظمة التحرير الفلسطينية * ، وشكل تحرك القوى الوطنية اللبنانية عاملا أساسيا في تحقيق هذا الإنجاز الذي أعطى للوجود الفدائي في لبنان صفة الوجود الشرعي .

٣) المرحلة الثالثة : بدأت سنة ١٩٧٥ ، وكانت لها مقدمات لبنانية وفلسطينية وعربية متشابكة . فعلى الصعيد اللبناني تفاقمت الأزمة الاجتماعية والسياسية داخل لبنان ، وشهد عام ١٩٧٤

ومطلع عام ١٩٧٥ إضرابات عمالية وطلابية ونسائية واسعة جدا ، ونشب على الصعيد السياسي صراع داخلي تحت شعار " المشاركة في السلطة " . وتعرض الجنوب اللبناني لاعتداءات إسرائيلية كثيرة بحجة الرد على العمليات الفدائية المنطلقة من الجنوب ، وشملت هذه الاعتداءات العمق اللبناني في بيروت وطرابلس ، مما أدى إلى التسليم بالحاجة إلى وجود أقوى للعمل الفدائي داخل المدن اللبنانية ، من أجل تحصين المخيمات وحمايتها بالمدفعية من الغارات الجوية .

وقد ردت القوى اليمينية اللبنانية بالبدء بعملية تسلح واسعة ، وبرفع شعارات تدعو للتخلص من السلاح الفلسطيني ، ومن الوجود الفلسطيني البشري في لبنان ، بحجة أن هذا الوجود المسلّح أخلّ بالتوازن السياسي ، فأصبح الفدائيون جيش المسلمين ، كما أخلّ بالتوازن السكاني - الطائفي في لبنان لصالح المسلمين ، متجاهلة بهذا الطرح المشكلات اللبنانية الداخلية الاجتماعية والسياسية التي كانت في صلب الصراع وجوهره ونتيجة لذلك كله انفجرت حرب أهلية في لبنان ، وكان انفجارها يوم ١٩٧٥/٤/١٣ ، بحادث مدبر ضد سيارة ركوب كبيرة كانت تقل فلسطينيين يمرون في منطقة عين الرمانة ، قادمين من مخيم تل الزعتر الفلسطيني . ومع انفجار الحرب الأهلية تشكل في البداية تحالف جبهوي برئاسة كمال جنبلاط ، ضم مجموعة الأحزاب السياسية الوطنية القائمة بالإضافة إلى هيئات اجتماعية ، مثل جمعية خريجي المقاصد . ووضع هذا التحالف لنفسه برنامجاً سياسياً أعلنه جنبلاط يوم ١٩٧٥/٥/١٨ ، وجاء فيه تحت بند إعادة تنظيم الجيش " حصر مهمته بالدفاع عن حدود لبنان واستقلاله الوطني والاضطلاع بمسؤوليته القومية حيال القضية الفلسطينية " .

سمي هذا التحالف " جبهة الأحزاب والقوى الوطنية والتقدمية " ، وأنشأت هذه الجبهة أثناء الحرب اللبنانية قيادة موحدة مع المقاومة الفلسطينية سميت " القيادة المشتركة " التي أشرفت على سير المعارك في لبنان . وبقي هذا التحالف الجبهوي يعمل متماسكا إلى أن انسحبت منه بعض التنظيمات التي تحالفت مع قوى سياسية أخرى في لبنان وشكلت "الجبهة القومية " . وفي ١٩٧٦/٧/٢٣ ، وبسبب انهيار سلطة الدولة اللبنانية كليا ، وتعاظم مسؤوليات الحرب الاجتماعية والتموينية بالنسبة إلى الجماهير ، قررت القيادة تطوير وضع الجبهة الداخلي ، فتحولت من تحالف إلى جبهة منظمة ذات هيئات قيادية دائمة . وكانت الخطوة الأولى على ذلك الطريق تشكيل المجلس السياسي المركزي الذي كان قيادة يومية عليا ، ربطت به هيئات تنفيذية تتولى مختلف الاختصاصات (التموين ، والأمن ، والتسليح ... الخ) . وقد انتهت هذه المرحلة من حياة الجبهة عند اغتيال قائدها ورئيسها كمال جنبلاط في آذار ١٩٧٧ ، إذ بدأت مواقف أطراف الجبهة تختلف وتتناقض بصدد القضايا اللبنانية والعربية ، ولكنها بقيت ثابتة تجاه القضية الفلسطينية والعمل الفدائي ، وإن كانت بفعالية أقل من السابق .

٤) المرحلة الرابعة : بدأت مع تولي وليد جنبلاط رئاسة الحزب التقدمي الاشتراكي خلفاً لوالده ، فقد طلب منه قادة الجبهة الآخرون أن يتولى أيضاً رئاسة " المجلس السياسي المركزي " ، فتريث ، وقام أثناء ذلك بجولات سياسية عربية ، وبمفاوضات مع منظمة حزب البعث العربي الاشتراكي (أحد أطراف الجبهة القومية) لإعادة الوحدة الى صفوف الحركة الوطنية ، ووقّع مع منظمة حزب البعث بيان أيلول ١٩٧٧ الذي كان نتيجة حوار بين أركان المجلس المركزي وأركان الجبهة القومية حول ضرورة التوحيد . وقد تعثرت هذه المفاوضات في البداية ، ثم تسارعت وتكللت بالنجاح بعد زيارة الرئيس المصري (لإسرائيل) وتوقيع اتفاقيات كامب ديفيد* ومعاهدة الصلح المصرية - الإسرائيلية* . فوافق وليد جنبلاط على تولي رئاسة المجلس السياسي المركزي ، وأصدرت الجبهة في مطلع آذار ١٩٨١ برنامج عمل سياسي جديداً مستوحى في مبادئه من البرنامج القديم ، مع إضافات حول الموقف من القضايا السياسية المستجدة .

المراجع :

- البرنامج المرحلي للاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية في لبنان .
- غسان العياش : ما هي الحركة الوطنية اللبنانية ، مجلة الأنباء اللبنانية الأعداد ١٣٤٥ و١٣٤٦ و١٣٤٧ ، شباط ١٩٨١ .
- النادي الثقافي العربي : الأحزاب اللبنانية ، بيروت ١٩٧٣ .

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (كتاب ــ) :

ر : محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء المقدسي

أحمد بن إبراهيم بن نصر الله (٨٠٠ - ٨٧٦ هـ)

(١٣٩٧ - ١٤٧٠ م) :

أبو البركات ، عز الدين الكناني ، العسقلاني الأصل ، القاهري المولد ، الحنبلي المذهب . ولد بالمدرسة الصالحية في القاهرة . توفي أبوه وهو طفل صغير ، فكفلته أمه ، وعنيت به ، وتلقى على يديها مبادىء علم الحديث ، وقرأ الفقه ، والتفسير

والحديث ، والعربية على علماء زمانه أمثال : عز الدين عبد السلام البغدادي ، وأخذ عنه التفسير ، والعربية ، والمعاني والبيان ، والمنطق . وسمع على بعض العلماء المشهورين منهم : أحمد ابن حجر العسقلاني * ، وزين الدين الزركشي ، وغيرهما . وأخذ التاريخ ونحوه عن تقي الدين المقريزي ، وبدر الدين العيني ، وغيرهما . وأخذ علم الوقت عن المهتمين به ، وجوّد الخط على ابن الصائغ . أجازه بعض العلماء أمثال : زين الدين العراقي ، وأبي بكر المراغي ، وعائشة بنت محمد بن عبد الهادي ، وشمس الدين الجزري ، وغيرهم . وإليه انتهت رياسة الحنابلة في مصر .

زار العسقلاني القدس * والخليل * أكثر من مرة . وأدّى فريضة الحج ، والتقى ببعض العلماء في المدينة المنورة . ودخل الشام مرتين .

اشتغل عز الدين بالقضاء وولي قضاء القضاة ، واشتغل بالتدريس في مدارس الجمالية ، والحسينية ، والأشرفية ، والمؤيدية ، وغيرها . وتصدر بالأزهر ، وباشر الخطابة بجامع الملك بالحسينية . وحدّث كثيرا بالقاهرة ، وبيت المقدس ، وغيرهما . وسمع منه طالبو العلم ، ومنهم تقي الدين القلقشندي ، ونجم الدين محمد بن فهد ، والسخاوي ، والسيوطي ، وغيرهم . وانصرف عز الدين عن القضاء ، وانقطع بمنزله للمطالعة والتصنيف والإفتاء .

أكثر العسقلاني من التأليف والتصنيف والجمع والاختيار والاختصار . وله آثار أكثرها مخطوط أو مفقود ، منها : « المسافر » في التفسير ، ونظم « نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر » في مصطلح الحديث لابن حجر العسقلاني (مطبوع) ، و« مختصر شرح ألفية الحديث » و« مختصر المحرر » في الفقه ، ونظم أصول ابن الحاجب ، ومختصر منهاج الأصول . وفي العربية اختصر ألفية ابن مالك وشرحها ، وله « المقايسة الكافية بين الخلاصة والكافية » ومنظومة في النحو تسمى « صفوة الخلاصة » ، وأرجوزة في العروض ، والوافي في القافية ، ونظم التلخيص . وله كتاب في فن الأدب سماه « تنبيه الأخيار فيما قيل في المنام من الأشعار » ، وهو مقامات منظومة ، ومرتب على حروف المعجم . وله ديوان شعر . وكانت بينه وبين السخاوي مراسلات . وله في التاريخ كتاب طبقات الحنابلة في عشرين مجلدا كما روى الجلال السيوطي ، و« شفاء القلوب في مناقب بني أيوب » ، والنشر في التاريخ ، وأرجوزة في قضاة مصر . ومنها أراجيز في أنواع الحساب ، وله منظومة في الجبر والمقابلة ، وأخرى في المساحة . ومنها نظم كتاب إيساغوجي (المقولات الخمس) لبورفيريوس ، والشمسية في المنطق ، وتوضيح على الجمل للخونجي ، ومقدمة في الميقات ، وأخرى في علم الحرف .

توفي بمصر .

المراجع :

- السخاوي : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، القاهرة ١٣٥٣ - ١٣٥٥ هـ .
- جلال الدين السيوطي : نظم العقيان في أعيان الأعيان ، نيويورك ١٩٢٧ .
- جلال الدين السيوطي : حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، القاهرة ١٢٩١ هـ .
- ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، القاهرة ١٩٣١ .
- عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين ، دمشق ١١٥٧ .

أحمد بن أحمد بن محمد الرملي (٨٥٤ - ٩٢٣ هـ) (١٤٥٠ - ١٥١٦ م) :

شمس الدين الرملي ، ثم الدمشقي ، الشافعي . المعروف بابن الحلاوي ، وبابن الشفيع . ولد في الرملة * ، ونشأ فيها .

ثم توجه إلى دمشق طالبا العلم ، فأخذ عن العلماء فيها ، ومنهم ابن نبهان ، بدر الدين حسن بن محمد بن عمر الدمشقي ، المتوفى سنة ٨٨٩ هـ /١٤٨٣ م ، وزين الدين خطاب بن عمر بن يوسف بن يحيى الغزاوي العجلوني الدمشقي الشافعي ، المتوفى سنة ٨٧٨ هـ / ١٤٧٢ م ، وعمر بن يعقوب بن أحمد السطيبي الدمشقي ، المتوفى بعد سنة ٨٧٠ هـ / ١٤٦٥ م . ولازم شمس الدين البقاعي ، وأخذ عنه كثيرا .

وقرأ شمس الدين الفقه ، والحديث ، والقراءات ، والنحو . وذكر أنه حفظ المنهاج ، وألفية ابن مالك ، وألفية الحديث للعراقي ، والشاطبية ، والدرة في القراءات للشيخ شمس الدين محمد بن محمد الجزري ، المتوفى سنة ٨٣٣هـ / ١٤٢٩م ، وعرض على عدد من العلماء .

وذكر أنه تلا القراءات السبع على أبي زرعة المقدسي الرملي ، وتلا على ابن عمران المقدسي المقرىء . ولم يحدد السخاوي وابن العماد أين قرأ شمس الدين عليهما .

توجه شمس الدين إلى القاهرة ، ساعياً في سبيل العلم ، وأخذ عن العلماء فيها ، ومنهم المناوي ، وابن الهائم الشاعر ، ونور الدين الهيثمي ، وجعفر السنهوري ، وشمس الدين محمد بن أبي بكر الحمصاني ، وغيرهم . وقرأ على شيوخ الإقراء الثلاثة : الهيثمي ، والسنهوري ، والحمصاني ، القرآن ، وقرأ عليهم « حرز الأماني

ووجه التهاني » وهو الشاطبية المشهورة في القراءات السبع . وقرأ عليهم ، كما قرأ على غيرهم من العلماء ، علوماً وكتباً أخرى .

وذكر السخاوي أن شمس الدين الرملي قصده بالقاهرة ، وأخذ عنه .

سمع شمس الدين الرملي على جمال الدين عبد الله بن جماعة (ر : عبد الله بن محمد) خطيب المسجد الأقصى * .

ثم استوطن شمس الدين دمشق ، واشتغل فيها بالقضاء ، والإمامة ، والإقراء . فقد ولي القضاء نيابة ، وولي الإمامة بالجامع الأموي نيابة واستقلالا . وولي مشيخة الإقراء بالجامع الأموي ، وبدار الحديث الأشرفية ، وبالتربة الأشرفية ، وبتربة أم الصالح (المدرسة الصالحية) في دمشق .

وذكر أن له نظما حسنا .

توفي شمس الدين في دمشق ، ودفن بمقبرة باب الصغير .

المراجع :

– نجم الدين الغزي : الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة ، بيروت ١٩٧٩ .
– السخاوي : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، القاهرة ١٣٥٣ - ١٣٥٥ هـ .
– ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، القاهرة ١٩٣١ .
– النعيمي : الدارس في أخبار المدارس ، دمشق ١٣٦٧ هـ - ١٣٧٠ هـ .
– مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، بيروت ١٩٧١ .

أحمد بن أحمد بن نعمة (٦٢٢ - ٦٩٤ هـ)

(١٢٢٥ - ١٢٩٤ م) :

شرف الدين ، أبو العباس ، المقدسي ، النابلسي ، الشافعي . إمام ، محدث ، مدرّس ، مفتٍ ، فقيه ، أصولي ، عالم بالعربية ، خطيب دمشق ، وابن خطيب القدس . وكان أبوه كمال الدين أحمد بن نعمة المقدسي النابلسي * قد قدم دمشق شابا ، واستقر بها ، ونشأ هو ، أي شرف الدين ، بدمشق ، وأخذ عن علمائها : الفتح بن عبد السلام ، وأبي علي الجواليقي ، وأبي حفص السهروردي ، وابن الصلاح ، والسخاوي وغيرهم . وكان حادّ الذهن سريع الفهم . تقلب في المناصب ، فولي القضاء نيابة في دمشق ، والخطابة بالجامع الأموي . وكان مدرّس الغزالية ، ودار الحديث النورية ، والشامية البرانية . وقد ظهر فضله في العلم ، فأجاز لجماعة من الفضلاء ، وأذن لهم في الإفتاء ، ومنهم شيخ الإسلام الإمام ابن تيميّة . وكان يفتخر بذلك ويقول : " أنا أذنت لابن تيميّة بالإفتاء " وكان يتقن فنوناً من العلوم ، وينظم الشعر الحسن . وانتهت إليه رياسة المذهب الشافعي * في الشام بعد التاج الفركاح . وصنّف كتابا في أصول الفقه سمّاه « البديع في أصول الفقه » ، جمع فيه بين طريقتي الإمام الفخر الرازي وسيف الدين الآمدي .

توفي في دمشق عن اثنين وسبعين عاما ، ودفن بمقابر باب كيسان عند والده .

المراجع :

– إسماعيل الباباني البغدادي : إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ، حيدر آباد الدكن ١٩٤٥ .
– ابن تغري بردي : المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ، القاهرة ١٩٥٦ .
– تاج الدين السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، القاهرة ١٣٢٤ هـ .
– جلال الدين السيوطي : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، القاهرة ١٣٢٦ هـ .
– صلاح الدين الصفدي : الوافي بالوفيات ، إستانبول ١٩٣١ .
– فضل الله بن فخر الصفاقي : تالي كتاب وفيات الأعيان ، دمشق ١٩٧٤ .
– ابن كثير : البداية والنهاية ، القاهرة ١٣٥١ هـ - ١٣٥٨ هـ .

أحمد بن أمين البسطامي (- ١١٥٧هـ)

(- ١٧٤٥م) :

الشافعي النابلسي ؛ عالم ، فقيه ، فرضي تولى إفتاء الشافعية بنابلس (ر : المذهب الشافعي) . من مؤلفاته : شرح البردة للبوصيري ، وشرح الأربعين النووية . جمع كتاباً في المواعظ أسماه « المناهج البسطامية في المواعظ السنية » ، ومناهج الإعراب عن مباهج الأعراب .

المراجع :

– محمد خليل المرادي : سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ، القاهرة ١٣٠١ هـ .
– اسماعيل باشا البغدادي : هدية العارفين ، أسماء المؤلفين ، وآثار المصنفين ، إستانبول ١٩٥١ - ١٩٥٥ .
– إسماعيل باشا البغدادي : إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ، إستانبول ١٩٤٥ م .

أحمد بن بكر بن أحمد بن محمد (١٠٩٥ - ١١٤٧ هـ)

(١٦٨٣ - ١٧٣٤ م) :

العكّي ، الحنفي ، المعروف ببطحيش . مفتي عكا وعالمها . له

من التآليف : فتاويه المشهورة الملقّبة باسمه . وله حاشية على « تنوير الأبصار » بالفقه ، والألفة الجيبية في علم الميقات ، وشرح منظومة ابن الشحنة في الفرائض ، ومختصر السيرة الحلبية ، وقد سمّاه « خلاصة الأثر في سيرة سيد البشر » ، وله حاشية على « نزهة النظار في علم الغُبار » في الحساب ، وشرح على « ملتقى الأبحر » في الفقه . وله شعر .

المراجع :

ـ محمد خليل المرادي : سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ، القاهرة ١٣٠١ هـ .
ـ إسماعيل الباباني البغدادي : إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ، إستانبول ١٩٤٥ ـ ١٩٤٧ .
ـ إسماعيل البغدادي : هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، إستانبول ١٩٥١ ـ ١٩٥٥ .
ـ عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين، دمشق ١٩٥٧ .

أحمد باشا الترزي (ـ ١٠٨٩ هـ) (ـ ١٦٧٨ م) :

حاكم القدس * واللجّون * . وهو ابن حسين بن إسماعيل المعروف بالترزي الدمشقي . كان أول أمره من إنكشارية دمشق ، ورافق قافلة الحج الشامي عام ١٠٧٦هـ/١٦٦٥م مع أميرها عساف بن فروخ ، بصفته سرداراً . ثم غدا كتخدا الإنكشارية عام ١٠٧٩هـ/١٦٦٨م ، فكتخدا محمد باشا الذي بعثه السلطان أميراً للحج عام ١٠٨٣هـ/١٦٧٢ م ، فمتسلماً لولاية دمشق عام ١٠٨٤هـ /١٦٧٣م . ثم برز أميراً للأمراء وباشا للقدس في عام ١٠٨٧هـ /١٦٧٦م ، وكلف بإمارة الحج في ذلك العام . وقد خرج العرب على الحجاج في أرض المعظم ، فقاتلهم وصدّهم عنهم . وأعطي في عام ١٠٨٨هـ /١٦٧٧م إمارة اللجون بعد يوسف بن علي من آل طرباي ، وبذلك جمع بين القدس واللجون .

توفي عام ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م ، وخلّف ولدين : أحدهما محمد ، وقد ذهب إلى بلاد الروم وأتلف جميع متروكات والده ، وباع ما ورثه ، في حين أقام الثاني ، وهو مصطفى ، في دمشق ، وكان اديباً وشاعراً . وقد ترجم له المحبّي في كتابه « ذيل نفحة الريحانة » ، والمرادي في « سلك الدرر » . وبيّنا أنه كان « فائقاً ماهراً بالأدب مع معرفة تامة بالطب وغيره » . وله ديوان شعر لا يزال مخطوطاً في برلين تحت الرقم *8034. Pet (1) 287* . وقد أصيب مصطفى في ولده ، « عندما قتل الوزير أسعد باشا العظم والي دمشق وأمير الحج الشامي ثار أشقياء الجند في دمشق " ، ونهبت داره ، واضمحل حاله . وتوفي عام ١١٦٠هـ / ١٧٤٧م .

المراجع :

ـ مجلة معهد المخطوطات العربية : صفحات من تاريخ دمشق ، القاهرة ١٩٦٠ .
ـ محمد أمين المحبّي : خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر .
ـ محمد خليل المرادي : سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ، القاهرة ١٨٩٢م .

أحمد باشا الجزّار (١١٤٨ ـ ١٢١٩ هـ) (١٧٣٥ ـ ١٨٠٤ م) :

واحد من رجالات الدولة العثمانية الذين اشتهروا بالكفاية والمقدرة والجبروت . وهو من أصل بشناقي ، بدأ حياته مملوكاً في خدمة عبد الله بك أحد رؤساء المماليك في مصر . ثم علا شأنه بعدما أظهر مهارة عالية وقسوة متناهية في ذبح خصوم أسياده . فكافأه هؤلاء بلقب « الجزّار » .

وفي وقت لاحق اضطرته مؤامرات أسياده المماليك إلى الرحيل إلى الشام حيث التحق بخدمة الدولة العثمانية . وفي حوالي عام ١٧٧٢م كان أحمد الجزار على رأس حملة لانتزاع بيروت التي كان يتصارع عليها الأمراء الشهابيون . وقد آثر أحمد الجزار الاحتفاظ ببيروت ، وقام بجباية أموالها ، ورفض مطالب الأمير يوسف الشهابي لإعادتها .

وقد جلب هذا العمل على الجزار نقمة الأمير الشهابي ، واستعان لهذا الغرض بحليفه ظاهر العمر* . لهذا وقد دافع أحمد الجزار عن بيروت التي أضحت محاصرة ، ثم اضطر إلى الاستسلام بشروط بعد أن قامت وحدات من الأسطول الروسي بقصف المدينة قصفاً شديداً بطلب من الشيخ ظاهر العمر .

والمرجّح أن أحمد الجزار حمل معه بعد انسحابه من بيروت أموالاً طائلة أنفقها في التقرّب إلى الباب العالي ، فنال لديه الحظوة والمكانة العالية ليعود في عام ١٧٧٥م والياً على صيدا .

والواضح أن الهدف من تعيين أحمد الجزار والياً على صيدا هو تهيئة الأجواء المناسبة للقضاء على الشيخ ظاهر العمر . وقد أبدى أحمد الجزار مهارة فائقة في ترظيف خبرته وعلاقاته السابقة في البلاد الشامية من أجل تفتيت الجبهة المؤيدة للشيخ الظاهر ومساندة قائد البحر العثماني حسن باشا الجزائري في حرب الشيخ الظاهر ، فتمّت المهمة بنجاح تام .

وأصل أحمد الجزار همّة ونشاط مطاردة أبناء الشيخ الظاهر وأتباعه . وكانت خبرته بأحوال زمانه قد دفعته إلى ابتزاز الأموال واكتنازها ، ثم استخدامها في تقوية نفوذه وسلطته . وقد وجد الجزار بعد حسم قضية الشيخ ظاهر كثيراً من الأمراء المحليين ممن انتهزوا أيام تغلب سلطة الظاهر فامتنعوا عن دفع الأموال ، فبطش بهم بطشاً شديداً ، حتى كان تعذيبه لهم مضرب المثل لعهود تالية .

ووجد أحمد الجزار في الأمير يوسف الشهابي كبشاً سميناً ، فهو حليف الشيخ الظاهر ، وفي ذمته ديون ستوات مستحقة للباب العالي . فضيّق عليه الخناق ، وأجبره على التنازل عن بيروت ، كما صادر أملاك عدد من أقربائه .

أصبح أحمد الجزّار شخصية مهيبة في بلاد الشام ، ودفعه نفوذه الواسع إلى تعزيز مركزه السياسي ، ونقل مركزه إلى عكا * ، وعمد - على غرار ظاهر العمر - إلى تحصينها تحصيناً جيداً ، وعزّز أسوارها بالمدفعية ، كما أنشأ جيشاً من المرتزقة ، بالإضافة إلى أسطول قوي للدفاع عن عكا والساحل الشامي .

أثارت قوة أحمد الجزار المتعاظمة ولاة الأمور في الشام ، فجرت محاولات للحدّ منها ، وذلك عن طريق دعم الأمراء الشهابيين ، وحثهم على المقاومة . على أن الجزار نجح في شق الأمراء الشهابيين ، واصطنع من بعضهم قوة مساندة له . وانتهى الصراع مع باشا الشام (محمد باشا العظم) بهزيمة الأخير وتعيين أحمد الجزار باشا مكانه (١٧٨٠م) .

وبحصول أحمد الجزار على باشوية الشام أصبح أقوى رجل في بلاد الشام ، فهو الباشا ، وأمير الحج ، وسيد صيدا ، وطرابلس ، وعكا . كما كان الأمراء الشهابيون حين من الزمن رهن إشارته ، يغيّر ويتدخل في شؤون إمارتهم بما يخدم أهواءه .

وبالرغم من سطوة الجزار وجبروته اضطرت الدولة العثمانية إلى تنحيته عن باشوية الشام ، بسبب الشكاوى التي رفعها الأهلون حول عسفه وجوره وطغيانه ، وكذلك بسبب الثورات التي اندلعت في لبنان (١٧٨٩ ، ١٧٩٠م) والشام (١٧٩٨م) وكان الجزار قد قمعها بقساوة متناهية .

وكانت ذكريات الشيخ ظاهر العمر لا تزال عالقة في أذهان المتولين للأمور في الباب العالي ، وكان اعتصام الجزار في عكا يمكن أن يحوّله إلى ثائر على الدولة في أية لحظة . ومن هنا كان موقف الباب العالي دقيقاً ، إذ كان عليه السعي للحيلولة دون اتساع نفوذ أحمد الجزار ومحاولة الاستفادة من خدماته قدر الإمكان .

وبالفعل ، تأتّى للعثمانيين الاستفادة من أحمد الجزار عام ١٧٩٩م حين أنيط به مواجهة زحف الفرنسيين على فلسطين ، وإيقاف الحملة الفرنسية * التي قادها نابليون بونابرت . ولم يخيّب أحمد الجزار ظن أسياده فيه ، فقد استجاب لنداء الباب العالي في مقاومة الفرنسيين ، وألقى بإغراءات بونابرت جانباً ، وحرص على البقاء في عكا ، ليشدّ من ساعد المدافعين ويقوّي وسائل الدفاع .

وتمكن أحمد الجزار بمساعدة الأسطول البريطاني في البحر المتوسط من إيقاف الزحف الفرنسي . وهكذا انهارت عند أسوار عكا قوى الفرنسيين ، ومُني بونابرت بالخذلان (ر : الحملة الفرنسية) .

وحاول أحمد باشا الجزار الذي رفعه دفاعه عن عكا إلى قمة المجد أن يستثمر نصره في فرض هيمنة مطلقة على بلاد الشام . وكانت باكورة أعماله بعد انسحاب بونابرت تنحية الأمير بشير بن قاسم الشهابي الثاني * الذي اعتلى عرش إمارة لبنان منذ أمد قصير . ولكن الدولة العثمانية ساندت الأمير بشير الثاني على أحمد باشا ، فأعادته إلى مركزه السابق ، وربطته بالباب العالي مباشرة .

على أن إجراءات الدولة العثمانية ظلّت اسمية فحسب ، ولم يستطع الباب العالي أن يعمل شيئاً إزاء تعيين أحمد باشا الجزّار لإثنين من أعوانه حكّاماً في جبل لبنان .

وكانت الأعوام الأخيرة من حياة أحمد باشا الجزّار هادئة نسبياً ، ويقال إنه كان يعد العدة خلالها للبطش بالوهّابيين ، غير أن المنيّة أدركته بعد نصف قرن من الحياة العاصفة ، وعمر ناهز السبعين عاماً .

المراجع :

- ميخائيل مشاقة : مشهد العيان بحوادث سورية ولبنان ، القاهرة ١٩٠٨ .
- حيدر الشهابي : الغرر الحسان في أخبار الزمان ، بيروت ١٩٦٩ .
- عبد الرحمن الجبرتي : تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، القاهرة ١٩٦٤ .
- محمد كرد علي : خطط الشام ، دمشق ١٩٢٥ .
- فيليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، بيروت ١٩٥٩ .

أحمد بن حجر العسقلاني (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ)

(١٣٧٢ - ١٤٤٩م) :

قاضي القضاة الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن علي بن حجر العسقلاني الأصل والأجداد ، المصريّ المولد والنشأة والدار والوفاة ، الشافعي المذهب . وُلد بمصر في أسرة اشتهرت بالأدب والعلم . عكف على طلب العلم منذ صغره ، وأخذ عن مشايخ عصره في مصر وغيرها ، ومن أجل ذلك شدّ الرحال إلى كثير من المدن والأقطار طلباً للحديث والفقه وعلوم الدين . وقد وصفه

أستاذه الحافظ زين الدين العراقي بأنه أعلم أصحابه بالحديث . وأعانه على ذلك ما اتصف به من قوة ذاكرة ، حتى أطلق عليه حافظ الديار المصرية .

ومن بين البلاد التي رحل إليها وأخذ عن شيوخها ، احتلت فلسطين مكانة خاصة ؛ فسمع في غزة * من الشيخ أحمد بن محمد الخليلي ، وسمع في الرملة * من الشيخ أحمد بن محمد الأيكي ، وسمع في الخليل * من صالح بن خليل ، وسمع في بيت المقدس من المفتي شمس الدين عبد الله بن محمد بن إسماعيل القلقشندي * . مما يدل على أن مدن فلسطين في أوائل القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي كانت مراكز لنشاط ديني وعلمي واسع ، بفضل من فيها من أئمة علماء العصر .

وقد ولي ابن حجر عدة مناصب ، منها الخطابة بالجامع الأزهر ، ثم الإقراء والتدريس في أشهر مدارس القاهرة . وكانت وظيفة التدريس في ذلك العصر من الوظائف الجليلة ، يخلع السلطان على صاحبها ، ويكتب له توقيعاً من ديوان الإنشاء . كذلك باشر ابن حجر القضاء أكثر من اثنين وعشرين عاماً ، واختير سنة ٨٢٧هـ ليلي منصب قاضي القضاة الشافعية بالديار المصرية . ويبدو أن ابن حجر لم يسعد كثيراً بولاية القضاء ، وعزل نفسه أكثر من مرة من المنصب ، حتى تركه نهائياً سنة ٨٥٢هـ ليعاود التفرغ للتأليف والتصنيف .

أما مصنفاته فهي كثيرة . ذكر تلميذه السخاوي الذي ترجم له في « الضوء اللامع » أنها زادت على مائة وخمسين مصنفاً ، وأن مصنفاته « انتشرت في حياته ، وتهادتها الملوك ، وكتبها الأكابر » . وعلى رأس هذه المؤلفات يأتي كتاب « الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة » في أربعة مجلدات ، وكتاب « الإصابة في تمييز أسماء الصحابة » ، وكتاب « رفع الإصر عن قضاة مصر » ، وكتاب « لسان الميزان » في التراجم في ستة أجزاء ، وكتاب « تهذيب التهذيب » في رجال الحديث في اثني عشر مجلداً ، وكتاب « فتح الباري في شرح صحيح البخاري » ، وكتاب « بلوغ المرام من أدلة الأحكام » ، وكتاب « نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر » ، وكتاب « القول المسدّد في الذبّ عن مسند الإمام أحمد » ، وكتاب « إنباء الغمر بأبناء العمر » ، وغيرها . وهذه الكتب مشهورة مطبوعة ، في حين أن كتاب « رفع الإصر عن قضاة مصر » وكتاب « ذيل الدرر الكامنة » ما يزالان مخطوطين .

المراجع :

ـ السخاوي : الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع ، القاهرة ١٣٥٣هـ / ١٣٥٥هـ .
ـ محمد بن علي الشوكاني : البدر الطالع بمحاسن مَنْ بعد القرن السابع ، القاهرة ١٣٤٨هـ .
ـ جلال الدين السيوطي : حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، القاهرة ١٢٩٩هـ .
ـ طاش كبري زادة : مفتاح السعادة ومصباح السيادة ، القاهرة ١٩٤٩ .

أحمد بن الحسن بن عبد الله (٦٩٣ ـ ٧٧١هـ) (١٢٩٤ ـ ١٣٧٠م) :

شرف الدين ، أبو العباس ، ابن قدامة ، المشهور بابن قاضي الجبل . إمام ، مفتٍ ، عالم بالحديث وعلله ، واللغة ، والمنطق ، قاضي القضاة ، شيخ الحنابلة بدمشق . وهو مقدسي الأصل من بني قدامة الذين نزح أجدادهم من قرية جمّاعين (جماعيل) إلى دمشق في أواسط القرن السادس الهجري إبان الاحتلال الصليبي لفلسطين (ر : آل قدامة) ، ونزلوا في الصالحية بدمشق . ولد بدمشق ، وقرأ على علمائها كالمنجا التنوخي ، وابن القواس ، وابن عساكر . بيد أن أشهر أساتذته هو الشيخ تقي الدين بن تيمية (٦٦١ ـ ٧٢٨هـ) الذي أقرأه عدة مصنفات ، وأجازه في الإفتاء .

قام بالتدريس بعدة مدارس في دمشق ، ثم طُلب في آخر عمره إلى مصر ، فدرّس بمدرسة السلطان حسن ، وولي مشيخة سعيد السعداء ، ثم عاد إلى دمشق سنة ٧٦٧هـ / ١٣٦٦م وولي قضاء الحنابلة فيها ، وبقي في هذا المنصب أربع سنوات إلى أن توفي .

كان يحفظ ، كما قيل ، عشرين ألف بيت من الشعر ، وكان له اختيارات في المذهب ، منها إجازة بيع الوقف للحاجة . وله عدة مصنفات ، منها « الفائق في فروع الحنبلية » في الفقه ، و « شرح المنتقى في الحديث » ، و « المنهج المفيد في حكم التوكيد » ، و « المناقلة في الأوقاف وما في ذلك من النزاع والخلاف » ، وله نظم ونثر .

توفي بالصالحية ، ودفن بتربة جده الشيخ أبي عمر .

المراجع :

ـ ابن تغري بردي : المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ، القاهرة ١٩٥٦م .
ـ حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، إستانبول ١٩٤١ .
ـ ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، القاهرة ١٩٥٠ .
ـ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، بيروت ١٩٣١ .
ـ عبد القادر النعيمي : الدارس في تاريخ المدارس ، دمشق ١٩٥١ .

أحمد بن حسين بن حسن الرملي (٧٧٣ - ٨٤٤هـ) (١٣٧١ - ١٤٤٠م) :

شهاب الدين ابو العباس الرملي ، المقدسي ، الشافعي . شيخ إسلام ، وصوفي مشهور ، أصله من العرب من كنانة . وُلد بالرملة * ، ونشأ بها ، وحفظ القرآن وله عشر سنين . وكان في الابتداء يشتغل بالنحو واللغة والنظم ، ثم رحل طلباً للعلم . وكان من أشياخه الدين أخذ عنهم الشيخ شمس الدين القلقشندي ، والشيخ شهاب الدين بن الهائم ، وقاضي القضاة جلال الدين البلقيني ، وقاضي القضاة الباعوني ، والشيخ محمد القرمي .

وُلي تدريس المدرسة الخاصكية بالرملة مدة طويلة ، ثم تركها ، وأقبل على التصوف . ثم رحل إلى القدس * ، وأقام بالزاوية الخُتَنِيَّة وراء قبلة المسجد الأقصى ، حيث انقطع للعبادة . وألف كتباً كثيرة في الفقه والنحو والقراءات ، منها شرح سنن أبي داود في أحد عشر مجلداً ، وشرح جمع الجوامع ومنهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي ، كما جمع طبقات الفقهاء الشافعية .

كان الرملي منصرفاً عن الدنيا . عرض عليه الأمير حسام الدين حسن الكشكلي مشيخة مدرسته الحسينية ، وقرر له فيها كل يوم عشرة دراهم فضة ، فأبى . وقد أصبح مضرب المثل في العلم والزهد والورع وصحة العقيدة ، وتروى عنه كرامات كثيرة . وكانت له جماعة مشهورة من التلاميذ والمريدين .

عمّر برجاً على شاطىء يافا ، وكان كثير الرباط به للعبادة . توفي بالزاوية الختنية ، ودفن بمقبرة ماملا ، وصلي عليه صلاة الغائب في الجامع الأموي بدمشق وفي الأزهر في القاهرة .

المراجع :

- إسماعيل الباباني البغدادي : إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ، حيدر آباد ١٩٤٥ .
- حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، حيدر آباد ١٩٤٣ .
- ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، القاهرة ١٣٥١هـ .
- مجير الدين الحنبلي : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، عمان ١٩٧٣ .
- شمس الدين محمد السخاوي : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، القاهرة ١٣٥٣هـ .
- محمد بن علي الشوكاني : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، ١٣٤٨هـ .

أحمد حلمي عبد الباقي (١٨٨٢ - ١٩٦٣) :

سياسي واقتصادي فلسطيني ، ولد في مدينة صيدا حيث كان والده ضابطاً في الجيش العثماني ، وانتقل مع والده إلى نابلس * ، وتعلم العربية وأصول الدين على أيدي بعض الأساتذة . عمل في المصرف الزراعي بنابلس ، ثم نقل محاسباً ومديراً لأملاك الدولة في لواءي الديوانية والعمارة بالعراق ، وشغل منصب وكيل متصرف اللواء .

تولى أحمد حلمي قيادة فرقة متطوعين من أبناء العشائر في العراق حاربت إلى جانب الجيش العثماني أثناء الحرب العالمية الأولى . وحين تولى الأمير فيصل بن الحسين الحكم في سورية الشمالية ، عين أحمد حلمي مديراً عاماً لوزارة المالية (١٩١٩ - ١٩٢٠) ، وقد عرف عنه أنه من أركان حزب الاستقلال العربي الذي تأسس في العهد الفيصلي كمظهر علني من جمعية العربية الفتاة * السرية .

وبعد احتلال الفرنسيين لسورية ، نزح إلى شرقي الأردن وعيّن مشاوراً للمالية سنة ١٩٢٢ ، ونظارة الخط الحديدي الحجازي .

نفته السلطات الإنكليزية إلى الحجاز بتهمة التحريض على مقاومة الانتداب الفرنسي على سورية ، لكن ما لبث أن غادرها إلى القاهرة . وفي سنة ١٩٢٦ توجه إلى فلسطين بدعوة من رئيس المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى فيها ، وعيّن مراقباً عاماً للأوقاف الإسلامية . واستقال من عمله سنة ١٩٣٠ حين اشترك مع عبد الحميد شومان * في تأسيس البنك العربي بفلسطين وتولى إدارته العامة . ثم أسس البنك الزراعي لإمداد الفلاحين بالقروض الزراعية ، وبنك الأمة العربية * ، وشركة صندوق الأمة * لانقاذ الأراضي العربية المهددة باستيلاء الصهيونيين عليها .

اختير أحمد حلمي عبد الباقي رئيساً فخرياً للغرفة التجارية بالقدس (رَ : التجارة العربية ، غرفة) ، ورئيساً للجمعية الخيرية الصلاحية التي أنشأت معهد أبناء الأمة لإيواء أبناء الشهداء . وعهد إلى تأسيس المعرض العربي الأول (١٩٣٣) ، والثاني (١٩٣٤) اللذين اشترك فيهما صناعيون من معظم الأقطار العربية (رَ : المعارض) .

وعلى أثر إعلان الإضراب العام بفلسطين وتأليف اللجان القومية * ، اختير أحمد حلمي عضواً في اللجنة العربية العليا * (١٩٣٦/٤/٢٥) . ثم نفته سلطات الانتداب البريطاني إلى جزيرة سيشل مع بعض أعضاء اللجنة بعد مقتل الجنرال أندروز حاكم لواء الجليل ، في تشرين الأول سنة ١٩٣٧ ، ثم أطلقت سراحهم في نهاية العام التالي .

اختير عضواً في الهيئة العربية العليا * التي ألفها مجلس جامعة الدول العربية المنعقد في بلودان (سورية) في حزيران سنة ١٩٤٦ (رَ : بلودان ، مؤتمر ١٩٤٦) ، وكان من المشاركين في قيادة الدفاع

عن مدينة القدس في وجه الهجمات الصهيونية إثر صدور قرار تقسيم فلسطين * في تشرين الثاني سنة ١٩٤٧ .

وعقب الاحتلال الصهيوني لفلسطين ، قرر مجلس جامعة الدول العربية في آب ١٩٤٨ إنشاء حكومة عموم فلسطين * ، واختير أحمد حلمي رئيساً لها بموافقة المجلس الوطني الفلسطيني الذي انعقد في مدينة غزة في ١٩٤٨/١٠/١ (ر : غزة ، مؤتمر) ، وشارك بصفته هذه في اجتماعات مجلس جامعة الدول العربية ممثلاً عن فلسطين .

غادر القاهرة إلى لبنان في منتصف سنة ١٩٦٣ ، وتوفي في بلدة سوق الغرب في حزيران من العام نفسه ، ونقل جثمانه ليدفن في القدس .

المراجع :

ـ أكرم زعيتر : الحركة الوطنية الفلسطينية ، بيروت .

ـ عارف العارف : النكبة ، بيروت .

ـ يعقوب العودات : من أعلام الفكر والأدب ، عمان ١٩٧٦ .

أحمد بن خليل بن كيكلدي (٧٢٦ ـ ٨٠٢هـ / ١٣٢٥ ـ ١٣٩٩م) :

أبو الخير ، جدّه الأمير التركي سيف الدين كيكلدي ، وأبوه الحافظ العلائي * الذي ترك الجندية وانصرف الى العلم . وقد استقر الحافظ في القدس * يدرس ، ويفتي ، ويحدث ، ويصنف . وفي هذا الجو العلمي نشأ أبو الخير ليكون أحد العلماء الأعلام الذين عرفتهم القدس في القرن الثامن الهجري .

ورث أبو الخير عن والده الحافظ العلائي حبّ العلم ، وأخذ الوالد ينشّئه على ذلك ، ينقل إليه علمه ، ويصله بعلماء عصره .

فقد سمح بإفادة أبيه من أكابر المحدّثين والمسندين والحفّاظ كالحجّار والمزّي بدمشق . ثم ارتحل به أبوه الى القاهرة فأسمعه من أبي حيّان وغيره .

وبلغ أبو الخير من العلم منزلة رفيعة حتى صارت الرحلة في سماع الحديث بالقدس إليه . ولكنه اقتصر على التدريس والتحديث ، ولم يخلف مؤلفات على نحو ما فعل أبوه . وظهر له في أواخر عمره سماع في « سنن ابن ماجة » من الحجار . ويقول عنه شيخ الإسلام أحمد بن حجر العسقلاني * : " رحلت إليه من القاهرة بسببها في سنة ٨٠٢ . وبلغتني وفاته وأنا بالرملة ، فعرّجت عن القدس إلى دمشق " .

المراجع :

ـ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، القاهرة ١٩٣١ .

ـ ابن حجر العسقلاني : إنباء الغمر بأبناء العمر ، القاهرة ١٩٣٨ .

أحمد بن رضوان : ر : آل رضوان

أحمد سامح الخالدي (١٨٩٦ ـ ١٩٥١) :

مربّ فلسطيني ، ولد في مدينة القدس ، وتلقى علومه في الكولونية الأمريكية ، وتابعها في مدرسة الطوران بالقدس (أي مدرسة سانت جورج) . ثم أنهى دراسته الجامعية في كلية الصيدلة بالجامعة الأمريكية في بيروت سنة ١٩١٧ ، ونال درجة أستاذ في العلوم .

خدم في صفوف الجيش العثماني في أواخر الحرب العالمية الأولى ، ثم عاد إلى فلسطين بعد انتهاء الحرب ودخول القوات البريطانية إليها ، واعتزل على إثر ذلك مهنة الصيدلة .

عين سنة ١٩٢٠ مفتشاً في إدارة المعارف بلواءي يافا وغزة ، ونال درجة أستاذ في التربية . ثم عين بعد ذلك مساعداً لمدير المعارف العام . وقد خلف الدكتور خليل طوطح * في إدارة دار المعلمين في القدس سنة ١٩٢٥ ، فأطلق عليها اسم الكلية العربية * . وقد خرّجت هذه الكلية عدداً كبيراً من الشبان الذين عملوا في التدريس بفلسطين .

أولى الخالدي اهتمامه لأبناء الشهداء ، فأنشأ لجنة اليتيم العربية العامة ، وتولى رئاستها ، وضمت كلا من الدكتور يوسف هيكل ورجائي الحسيني وشفيق منصور وميشيل أبيكاريوس وشبلي الجمل وأحمد طوقان وأحمد حليفة وأحمد القاسم وصبحي بيضون . كما أنشأ معهداً لأبناء الشهداء في دير عمرو * بالقدس .

غادر فلسطين إلى لبنان ، بعد إعلان قيام الكيان الصهيوني في أيار ١٩٤٨ ، حيث وجه نشاطه لمساعدة اللاجئين الفلسطينيين وتعليم أبنائهم .

وقد توفي في مصيف بيت مري اللبناني .

لأحمد سامح الخالدي دور كبير في إغناء المكتبة العربية بتصانيفه الكثيرة ، ومنها :

١) أنظمة التعليم ، وهو جزءان طبع الأول سنة ١٩٣٣ والثاني سنة ١٩٣٥ .

٢) نظام التعليم في العهد العثماني .

٣) أهل العلم بين مصر وفلسطين (١٩٤٦) .

٤) رجال الحكم والإدارة في فلسطين (من العهد الراشدي إلى القرن الرابع عشر الهجري) .

٥) العرب والحضارة الحديثة (١٩٥١) .
٦) أهل العلم والحكم في ريف فلسطين (١٩٦٨) .
٧) تاريخ المعاهد الإسلامية ، وهو في ثمانية مجلدات ، تناول فيه تطور الثقافة عند العرب والمسلمين في جميع معاهدهم .
٨) تاريخ بيت المقدس .
وقام بنشر عدد من المخطوطات ، منها :
١) فضائل بيت المقدس للواسطي .
٢) الإعلام في فضائل الشام للمنيني . وأضاف إليه ملحقاً بتراجم الصحابة والتابعين الذين نسبوا إلى الشام ، أو نزلوا أو استشهدوا فيها ، طبع سنة ١٩٤٦ .

المراجع :

- يعقوب العودات : من أعلام الفكر والأدب في فلسطين ، عمان ١٩٧٦ .

أحمد شاكر الكرمي (١٨٩٥ - ١٩٢٧) :

ابن الشيخ سعيد الكرمي . ولد في مدينة طولكرم * . وهو من أسرة عريقة في الأدب والعلم . وبعدما أنهى دروسه الابتدائية رحل إلى الأزهر الشريف حيث قضى هنالك ستة أعوام يتلقى العلوم العالية .

توجه من مصر إلى مكة ليعمل في تحرير جريدة « القبلة » . ولكنه ما لبث أن عاد إلى مصر ليسهم في تحرير جريدة « الكوكب » الأسبوعية . ثم سافر إلى دمشق حيث كان والده عضوا في المجمع العلمي العربي . واشتغل محاسباً في سكة حديد الحجاز ، ثم عمل محررا في جريدة « ألفباء » وكتب مقالات جادة كان يوقعها باسم « قدامة » .

برز أحمد شاكر الكرمي في أوساط دمشق الأدبية ، ونال إعجاب المثقفين وتقديرهم ، ولم يكن تجاوز عهدئذ عقده الثالث . ثم تولى تحرير مجلة « الفيحاء » الدمشقية عام ١٩٢٣ ، وأنشأ كذلك مجلة « الميزان » التي عاشت بين عامي ١٩٢٥ و١٩٢٦ فقط . وتولى بدمشق . وترك بعض الأعمال الهامة هي :
١) الكرميات : مجموعة مقالات (١٩٢١) .
٢) خالد : رواية مترجمة عن الإنكليزية للقصصي الأميركي ماريون كراوفورد (١٩٢٣) .
٣) مي ، أو الخريف والربيع : رواية مترجمة عن الشاعر الإنكليزي جيوفري تشوسر .
٤) مذكرات بكويك : رواية مترجمة عن الإنكليزية نشرت تباعا في مجلة الميزان .

المراجع :

- يعقوب العودات : من أعلام الفكر والأدب في فلسطين ، عمان ١٩٧٦ .
- وزارة الثقافة والإرشاد القومي : أحمد شاكر الكرمي ، دمشق ١٩٥٤ .

أحمد الشقيري (١٩٠٨ - ١٩٨٠) :

محام فلسطيني، وأول رئيس لمنظمة التحرير الفلسطينية * . ولد في بلدة تبنين ، جنوبي لبنان ، حيث كان والده الشيخ أسعد الشقيري * منفيًا لمناهضته سياسة السلطان العثماني عبد الحميد * وتسلطه . ثم انتقل ، وهو طفل ، إلى مدينة طولكرم * للعيش مع والدته . وفي سنة ١٩١٦ انتقل إلى عكا * حيث أنهى دراسته الابتدائية والإعدادية سنة ١٩٢٤ ، وأتم دراسته الثانوية في القدس سنة ١٩٢٦ ، والتحق بالجامعة الأميركية في بيروت ، ولكنه طرد منها في العام التالي بقرار من سلطة الانتداب الفرنسي لمشاركته في قيادة مظاهرة ضخمة قام بها الطلاب العرب في الجامعة الأمريكية بمناسبة ذكرى يوم السادس من أيار . فعاد إلى فلسطين ، وانتسب إلى معهد الحقوق في القدس يدرس ليلا ويعمل نهاراً في صحيفة مرآة الشرق *، دون أن يشغله ذلك عن القيام بواجبه تجاه وطنه . وبعد تخرّجه من هذا المعهد عمل وتمرن في مكتب المحامي عوني عبد الهادي * ، أحد مؤسسي حزب الاستقلال * في فلسطين . وتعرّف خلال هذه الفترة على عدد من رجالات الثورة السورية الكبرى الذين لجأوا إلى فلسطين ، ومنهم شكري القوتلي ورياض الصلح ونبيه العظمة وعادل أرسلان .

عاشت فلسطين في العشرينات والثلاثينات من هذا القرن ثورات متتالية ، كان أهمها الثورة الفلسطينية الكبرى (ر : ثورة ١٩٣٦ - ١٩٣٩) ، وقد شارك الشقيري فيها مناضلاً بلسانه وبقلمه الانتداب البريطاني والصهيونية * ، ومدافعاً عن المعتقلين والثوار العرب الفلسطينيين أمام المحاكم البريطانية . وحين انتهت تلك الثورة لاحقته سلطات الانتداب البريطاني فغادر فلسطين إلى مصر حيث أمضى بعض الوقت ، ثم عاد إلى فلسطين في أوائل الحرب العالمية الثانية فافتتح مكتباً كبيراً للمحاماة ، واختص بالدفاع عن المناضلين الملاحقين وبقضايا الأراضي فعمل على إنقاذ قسم من الأراضي العربية ومنع تسربها إلى الصهيونيين . ولما تقرر تأسيس المكاتب العربية * في عدد من العواصم الأجنبية برئاسة

موسى العلمي ، عيّن الشقيري أول مدير لمكتب الإعلام العربي في واشنطن ، ثم نقل مديراً لمكتب الإعلام العربي المركزي في القدس . وقد ظل على رأس عمله هذا ، إضافة إلى المحاماة ، إلى أن وقعت نكبة ١٩٤٨ فاضطر إلى الهجرة إلى لبنان ، واستقر مع أسرته في بيروت .

قررت الحكومة السورية أن تفيد من خبرات الشقيري في مجال السياسة الخارجية فعينته عضوا في بعثتها إلى الأمم المتحدة (١٩٤٩ ـ ١٩٥٠) . ثم عين أميناً عاماً مساعداً للجامعة العربية بوصفه يحمل الجنسية السورية . وقد بقي في منصبه هذا حتى سنة ١٩٥٧ ، حين عيّن وزير دولة لشؤون الأمم المتحدة في الحكومة السعودية ، وسفيرا دائما لها لدى هيئة الأمم المتحدة . وكان الشقيري خلال وجوده في الأمم المتحدة خير محام عن القضية الفلسطينية ، وعن قضايا العرب الأخرى ، ولا سيما قضايا المغرب والجزائر وتونس . وفي ١٩٦٣ أنهت المملكة العربية السعودية عمل الشقيري في الأمم المتحدة لخلافه مع وزارة الخارجية السعودية .

لم يبتعد الشقيري عن الحياة العامة ، فقد وقع اختيار الملوك والرؤساء العرب عليه ، فور عودته من الأمم المتحدة ، ليشغل منصب ممثل فلسطين في جامعة الدول العربية ، بعد وفاة ممثلها أحمد حلمي عبد الباقي * . ثم اتخذ مؤتمر القمة العربي الأول (رَ : القمة العربية ، مؤتمرات) المعقود في شهر كانون الثاني سنة ١٩٦٤ قراراً بتكليف الشقيري ، بوصفه ممثل فلسطين في الجامعة ، باجراء اتصالات مع أبناء الشعب الفلسطيني حول إنشاء الكيان الفلسطيني على خير القواعد السليمة ، والعودة بنتيجة اتصالاته ودراساته ومساعيه إلى مؤتمر القمة العربي التالي . فقام الشقيري بجولة في الدول العربية التي يعيش فيها الفلسطينيون ، ووضع مشروع الميثاق القومي والنظام الأساسي لمنظمة التحرير الفلسطينية (رَ: الميثاق القومي الفلسطيني ١٩٦٤) ، وتم اختيار اللجان التحضيرية التي وضعت بدورها قوائم بأسماء المرشحين لعضوية المؤتمر الفلسطيني الأول (٢٨ آذار ـ ٢ حزيران سنة ١٩٦٤) الذي أطلق عليه اسم المجلس الوطني الفلسطيني * الأول لمنظمة التحرير . وقد انتخب هذا المؤتمر أحمد الشقيري رئيسا له ، وأعلن قيام منظمة التحرير الفلسطينية ، وصادق على الميثاق القومي والنظام الأساسي للمنظمة . ثم انتخب المؤتمر الشقيري رئيساً للّجنة التنفيذية للمنظمة ، وكلفه اختيار أعضاء هذه اللجنة وعددهم خمسة عشر . كما قرر إعداد الشعب الفلسطيني عسكرياً وإنشاء الصندوق القومي الفلسطيني * .

قدم الشقيري إلى مؤتمر القمة العربي الثاني (٥/٩/١٩٦٤) تقريرا عن إنشاء الكيان الفلسطيني ، وأكد فيه الناحيتين التنظيمية والعسكرية للكيان ، من أجل تحقيق هدفي التعبئة والتحرير . كما قدم إلى المؤتمر أعضاء اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية . وقد وافق المؤتمر على ما قام به الشقيري ، وعلى تقديم الدعم المالي للمنظمة .

تفرغ الشقيري لرئاسة اللجنة التنفيذية في القدس ، ولوضع أسس العمل والأنظمة في منظمة التحرير الفلسطينية ، وإنشاء الدوائر الخاصة بها ومكاتبها في الأقطار العربية وفي الدول الأجنبية ، وبناء الجهاز العسكري تحت اسم جيش التحرير الفلسطيني * . وفي الدورة الثانية للمجلس الوطني الفلسطيني (القاهرة ٣١ أيار ـ ٤ حزيران ١٩٦٥) بيّن الشقيري ما قامت به اللجنة التنفيذية برئاسته ، ومن ذلك إنشاء القوات العسكرية ، والصندوق القومي ، ودوائر المنظمة ومقرها العام في القدس . ثم قدم استقالته ، فقبلها المجلس ، ثم جدد رئاسته للجنة التنفيذية ومنحه حق اختيار أعضائها .

وبعد عدوان حزيران سنة ١٩٦٧ (رَ : حرب ١٩٦٧) حدث تغير كبير على الساحتين العربية والفلسطينية ، كما قام تباين في وجهات النظر بين بعض أعضاء اللجنة التنفيذية ورئيسها ، فتقدم الشقيري في كانون الأول سنة ١٩٦٧ باستقالته إلى الشعب العربي الفلسطيني . وقد قبلت اللجنة التنفيذية تلك الاستقالة ، وانتخبت عضو اللجنة التنفيذية يحيى حمودة رئيسا بالوكالة ، وأصدرت بيانا أعلنت فيه أنها ستعمل ، بالتعاون مع القوى الفلسطينية العاملة ، على قيام مجلس وطني جديد لمنظمة التحرير تنبثق عنه قيادة جماعية مسؤولة تعمل على تصعيد النضال المسلح وتوحيده ، وتحقيق الوحدة الوطنية وتعبئة الجهود القومية وتطوير أجهزة المنظمة .

رفض الشقيري ، بعد استقالته ، أي عمل أو منصب رسمي ، وانصرف إلى الكتابة . فكان يقيم في منزله في القاهرة معظم أيام السنة ، وينتقل صيفا إلى منزله في لبنان .

لم يكن بيته في القاهرة يخلو من زائريه الفلسطينيين وعرب الأقطار الأخرى ، يتبادلون فيه الأحاديث ويديرون النقاش حول شتى القضايا العربية والدولية . وكان يؤكد دائما أن المساومات السياسية لن تحرر فلسطين ، وأن الكفاح المسلح هو وحده الطريق السليم للتحرير . كما كان يؤكد وجوب محاربة الإمبريالية الأمريكيّة باعتبارها الجهة التي ترتبط ارتباطا موضوعيا مع الصهيونية (وإسرائيل) ومخططاتها ، وهي التي تعمل على فرض سيطرتها على الأمة العربية ونهب ثرواتها . ويؤكد ضرورة استعمال النفط سلاحا من أسلحة التحرير ومحاربة الإمبريالية .

وقد عدّ توقيع اتفاقيّ كامب ديفيد * ومعاهدة الصلح

المصرية ـ الإسرائيلية * ، وتطبيع العلاقات بين مصر والكيان الصهيوني خيانة عظمى للقضية الفلسطينية والعربية ، لذلك غادر القاهرة إلى تونس سنة ١٩٧٨ .

أمضى الشقيري بضعة شهور في تونس حيث أصيب بمرض عضال نقل على أثره إلى مدينة الحسين الطبية في عمان ، وقد توفي فيها يوم ٢٥/٢/١٩٨٠ ، ودفن ، بناء على وصيته ، في مقبرة الصحابي أبي عبيدة بن الجراح في غور الأردن ، على بعد أقل من ثلاثة كيلومترات من حدود فلسطين المحتلة ،تلك المقبرة التي تضم عدداً من قادة الفتوحات الإسلامية ، ومنهم سعد بن أبي وقاص ومعاذ بن جبل وشرحبيل بن حسنة * .

خلف الشقيري وراءه عددا كبيرا من الدراسات والمؤلفات ، تدور حول القضايا العربية والقضية الفلسطينية ، ومنها :

١) من القدس إلى واشنطن (حول تجربته في المكاتب العربية) .
٢) قضايا عربية .
٣) دفاعا عن فلسطين والجزائر .
٤) فلسطين على منبر الأمم المتحدة .
٥) حوار وأسرار مع الملوك والرؤساء العرب .
٦) أربعون عاما في الحياة السياسية .
٧) مشروع الدولة العربية المتحدة .
٨) من القمة إلى الهزيمة ـ مع الملوك والرؤساء العرب
٩) إلى أين ؟ .

أحمد بن طرباي الحارثي (٩٧٩ ـ ١٠٥٧ هـ) (١٥٧١ ـ ١٦٤٧ م) :

سيّد اللجّون * من أرض فلسطين الشمالية خلال نصف قرن تقريبا (١٠١٠ ـ ١٠٥٧ هـ /١٦٠١ ـ ١٦٤٧ م) ، وأمير من أسرة طرباي الحارثية السنبسية (بكسر السين والباء ، أو بضمهما) التي ينتهي نسبها إلى طيء * . وقد استقرت هذه الأسرة في العهد المملوكي في منطقة جنين ـ صفد . وحين فتح العثمانيون بلاد الشام أظهرت هذه الأسرة الولاء لهم ، فاعترف السلطان سليم الأول بسلطة أميرهم ، وعيّنه حاكما على صفد * .

ورث أحمد الإمارة عن أبيه طرباي بن علي الذي تولى حكم سنجق اللجّون في الربع الأخير من القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ، وتوفي عام ١٠١٠ هـ / ١٦٠٢ م . وقد أوكلت الدولة العثمانية إلى الأمير طرباي ، كما أوكلت إلى أمراء أسرته من قبله ، حماية الجزء الممتد في سنجقه من طريق دمشق ـ القاهرة ، وعهدت إليه أيضاً حماية التجار والمسافرين على الطريق بين اللجّون وقاقون * (وادي عارة) . وعهدت إليه عام ١٠٠٢ هـ / ١٥٩٤ م بسنجق غزة أثناء غياب أميرها أميرا للحج .

ويبدو أن الأمير أحمد قد ولي حكومة صفد في حياة أبيه ، ثم أضيفت إليه إمارة اللجون بعد وفاته .

حكم الأمير أحمد إمارته خلال فترة من تاريخ بلاد الشام تموترت فيها الأوضاع السياسية ، واحتدم الصراع بين القوى المحلية ، بنعراتها المتضاربة القيسية واليمنية ، ومطامحها التوسعية ، وتنافسها على الإقطاع والسلطة والنفوذ . كذلك اشتد الصراع بين بعض تلك القوى المحلية الثائرة والدولة العثمانية الحاكمة .

وقد أقحم أحمد طرباي نفسه في قلب ذلك الصراع عندما قبل لجوء يوسف بن سيفا والي طرابلس إليه بعد هزيمته قرب حماة (١٠١٥ هـ / ١٦٠٦ م) أمام قوات علي جنبلاط الثائر على الدولة العثمانية ، وقد استقبله الأمير أحمد بالحفاوة والإكرام ، ورفض تسليمه لابن جنبلاط . وكان تصرف الأمير احمد متسقا في الواقع مع العادات العربية الأصيلة في حماية من يدخل بالجوار ، ومتطابقاً مع مصالحه الخاصة : لأن ابن سيفا هو حليفه الطبيعي تجاه مطامح الأمير فخر الدين بن قرقماز المعني الثاني * التوسعية في الأجزاء الشمالية من سورية الجنوبية ، وبصفة خاصة بعد أن أصبح حاكما لسنجق صفد ، وأظهر طمعه بسنجق عجلون . كما أن ذلك التصرف من الأمير كان منسجما مع ميوله اليمنية مقابل ميول فخر الدين القيسية ، ومع موالاته السلطة العثمانية ، وتمرد فخر الدين عليها .

وعلى الرغم من ميول أحمد بن طرباي المناصرة للسلطة العثمانية في حربها ضد الثائر علي بن جنبلاط لم ينضم إلى حملة مراد باشا عليه عندما استنجد هذا الأخير بالقوى المحلية ، بل تعلل عن السفر كما فعل فخر الدين ، واكتفى بإرسال رسول وهدية . ولعلّه رأى ألاّ مصلحة له في حرب تبدو بعيدة عن حدوده ، وفخر الدين المعني مجاور له بمطامحه ، ولا سيما بعد أن مدّ نفوذه على سنجقية صيدا ، وبيروت ، وغزير .

وقد تفجر الصراع بين أحمد طرباي وفخر الدين المعني الثاني وانضم الأمير أحمد إلى الحملات التي نظمها والي دمشق لحرب الأمير فخر الدين في عام ١٠٢٢ هـ و١٠٢٣ هـ /١٦١٣ م والتي انتهت بحصار قلعة الشقيف المحصنة ، وهرب فخر الدين إلى دوقية توسكانا في إيطاليا .

ويبدو أن الأمير أحمد قد سكنت نفسه في غياب فخر الدين خلس

سنوات في إيطاليا ، حتى انه عند عودة الأمير المعني في ١٠٢٧ هـ /١٦١٨ م ، قدم له خيلا هدية . إلاّ أن الصراع معه عاد حارًا عام ١٠٣٢ هـ / ١٦٢٢ م عندما عاود فخر الدين سيرته التوسعية السابقة ، ومدّ حكمه على بلاد عجلون ، وإربد ، ونابلس * ، وأعطى المشيخة لمشايخ موالين له في المناطق المجاورة . وقد هاجم فخر الدين المعني أراضي الأمير أحمد بن طرباي واستولى على برج حيفا وأحرق قرى الكرمل . واضطر الأمير أحمد أمام هذا الاجتياح أن يرحل باتجاه نهر العوجا * . وهنا حدثت معركة عنيفة اشترك فيها عرب المفارجة إلى جانب فخر الدين ، والسوالمة في صف ابن طرباي وكان النصر فيها للأمير أحمد . واسترجع هو وحلفاؤه ما فقدوه ، بل تابعوا جيش فخر الدين ، وألحقوا به الأذى .

وفي هذا الوقت حدثت معركة عنجر في البقاع (١٠٣٢ هـ /١٦٢٢ م) التي انتصر فيها فخر الدين انتصاره الكبير على قوات والي دمشق مصطفى باشا ، ووقع الوالي نفسه أسيراً بين يديه . وكان من نتائج هذه المعركة أن حصل الأمير المعني لابنه منصور على سنجق اللجون ، المركز الرئيسي لابن طرباي . وكانت ردة فعل الأمير أحمد تكوين حلف من عرب السوالمة وشيالة نابلس وبلاد عجلون والغور ، وبهاجمة حلفاء فخر الدين من المفارجة ، بل هاجم سواحل عكا ، وأعمل فيها النهب والخراب . وأمام استفحال ضرباته عاد الأمير فخر الدين لمحاربته . فاضطر الأمير أحمد إلى النزوح إلى الرملة * ، ومرة ثانية التقى الطرفان على نهر العوجا ، وانتصر الأمير أحمد على فخر الدين ، واسترجع مدينة جنين * ، وأثخن في جيش خصمه . ولعل هذه الحملة هي التي يشير إليها المؤرخ المحبّي بقوله : " أشهر وقعاته وقعة يافا ، ومعه حسن باشا حاكم غزة ، والأمير محمد بن فروخ أمير نابلس ، فقتل من جماعة معن مقتلة عظيمة " .

وقد أدرك الطرفان المتحاربان أن الحرب منهكة لهما ، ففررا التعايش . وقامت مفاوضات بين الطرفين أسفرت عن صلح في شوال ١٠٣٣ هـ / ١٦٢٣ م . وكان من شروطه أن تنسحب قوات فخر الدين من حيفا * ، ويهدم البرج ، ويمنع أحمد بن طرباي عربانه من تخريب بلاد صفد ويتعهد بتأمين الطريق بين بلاد صفد وبلاد حارثة . وبذلك تخلى الأمير فخر الدين عن جبل نابلس للأمير الحارثي ، واعترف بامتداد حدوه سلطته إلى حيفا .

سارت العلاقات سليمة بين الطرفين زمنا ، لكن الجو عاد إلى التوتر بعد عشر سنوات ، إذ تذكر الأخبار أن علي بن فخر الدين قد حرّك في عام ١٠٤٣ هـ /١٦٣٣ م عرب الوحيدات ضد الحارثيين ، وأن هؤلاء ردّوا بمهاجمة بلاد صفد . وقد تكون دعوة أحمد باشا كوجك الذي تولى دمشق عام ١٠٤٢ هـ / ١٦٣٢ م ، لجميع أمراء أطراف الشام ، ومنهم أمير اللجون أحمد طرباي ، كي يكونوا إلى جانبه في حرب فخر الدين ، هي السبب في ذلك التوتر .

ويمكن القول أخيراً إن أحمد بن طرباي قد تصرف طوال إمارته ، حيال فخر الدين المعني ، تصرف الندّ ، وكانت له هو الآخر مطامحه في السيادة على الجزء الشمالي من فلسطين كله ، وله أنصار وموالون . فكان بذلك شوكة في جنب فخر الدين ، ومنافسا له . ويذكر بعض المؤرخين أن ابن طرباي قد استولى على قسم كبير من الجليل والسامرة وساحل البحر من حيفا إلى يافا * .

توفي أحمد بن طرباي وهو يناهز الثمانين بعد ثلاثة عشر عاما من مقتل فخر الدين المعني . وخلّف على الإمارة ابنه زيناً . ثم ابنه محمداً . وتوفي هذا الأخير سنة ١٠٨٢ هـ/ ١٦٧١ م . وبقي حكم هذه المنطقة في آل طرباي حتى سنة ١٠٨٨ هـ / ٧٧ ـ ١٦٧٨ م حين خرج الأمر من أيديهم ، ونصب أحمد باشا الترزي * والياً عليها .

المراجع :

ـ البوريني : تراجم الأعيان من أبناء الزمان ، دمشق ١٩٥٩ ، ١٩٦٦ .
ـ المحبي : خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، القاهرة ١٢٨٤ هـ .
ـ احمد الخالدي الصفدي : تاريخ الأمير فخر الدين ، بيروت ١٩٦٩ .
ـ حيدر أحمد الشهابي : الغرر الحسان في تواريخ حوادث الزمان ، القاهرة ١٩٠٠ .
ـ عيسى إسكندر المعلوف : تاريخ فخر الدين المعني الثاني ، بيروت ١٩٦٦ .
ـ محمد عزة دروزة : العرب والعروبة ، دمشق ، ١٩٥٩
ـ عبد الكريم رافق : بلاد الشام ومصر ، دمشق ١٩٦٨ .
—D'Arvieux: **Mémoires du Chevalier d'Arvieux,** Paris 1735.
— Heyd.U.: **Ottoman Documents on Palestine (1552-1615),** Oxford 1960.

أحمد بن طولون (٢٢٠ ـ ٢٧٠ هـ) (٨٣٥ ـ ٨٨٤ م) :

مؤسس الأسرة الطولونية التي سيطرت في مصر وجنوب الشام بين ٢٦٤ ـ ٢٩٢ هـ / ٨٧٨ ـ ٩٠٥ م ، إبّان الأزمات السياسية والاجتماعية التي عصفت بالخلافة العباسية في منتصف القرن ، إذ شهد الناس مصرع الخلفاء الواحد بعد الآخر ، وقيام ثورة الزنج في جنوب العراق التي هددت العاصمة ذاتها (ر : العصر العباسي) . وهو ينتمي إلى قوم من الترك يدعون « طغزغز » . وقد وصل أبوه إلى بغداد سنة ٢٠٠ هـ ، وفيها ولد ابنه أحمد . جمع أحمد المهارة الحربية إلى العلم ، واتصل بالقادة الأتراك المسيطرين على

الأمور في بغداد عاصمة الخلافة العباسية ، وتزوج ابنة القائد بارجوخ . عمل في الثغور ، ثمّ قرّبه الخليفة المستعين (٢٤٨ - ٢٥١ هـ / ٨٦٢ - ٨٦٦ م) إليه لشجاعته . وقد رافقه في منفاه بواسط ، وعاد بعد مقتله إلى سامراء ، ووقع عليه اختيار القائد التركي بايكباك كي يحكم باسمه الفسطاط حاضرة مصر (٢٥٤هـ / ٨٦٨ م) . ثم استخلفه حموه بارجوخ على مصر كلها ، بعد أن آل إليه إقطاع مصر سنة ٢٥٦ هـ . ولمّا مات بارجوخ بعد سنتين أصبح ابن طولون حاكم مصر .

وكان أحمد بن طولون ، أثناء ذلك ، يوسّع سلطانه إلى أن قلّدته الحكومة المركزية شؤون خراج مصر أيضاً ، وكان بيد أحمد بن محمد ابن مدبر .

سار ابن طولون ، بعد سيطرته على فلسطين والنواحي الأخرى من بلاد الشام ، على سياسة داخلية حازمة أشرف بها على كل صغيرة وكبيرة في إدارته . وقلّد الخلفاء وأشهر اسمه وسلطانه أمام المسلمين في مكة .

واجه أحمد بن طولون طوال حكمه ما اعتاد الولاة قبله أن يواجهوه من ثورات داخلية . لكنه استطاع إخمادها ، بالرغم من كثرتها ، ولم تصل أي منها إلى الحد الذي يهدد حكمه بالانقضاء . وكان التهديد الأكبر خارجيا ، ظهر أول ما ظهر في منطقة فلسطين المجاورة لمصر ، وكانت إدارياً تنقسم إلى منطقتين : جند فلسطين وقاعدته الرملة ، وجند الأردن وقاعدته طبرية (ر : الإدارة) . ونذ نوي في هذه المنطقة شأن عيسى بن الشيخ بن السليل الشيباني * ، وتطلع إلى السيطرة على بقية بلاد الشام ومصر ، فامتنع عن حمل المال إلى الحكومة المركزية في بغداد ، وصادر المال الخارج من مصر إليها عبر أراضي ولايته ، وكتب لأحمد ابن طولون عام ٢٥٦ هـ يطلب منه الخروج من بلده وتسليم أعماله إليه .

وشعرت حكومة بغداد بخطر ثورة ابن الشيخ لأنها تقطع الطريق بينها وبين واحدة من أكثر ولاياتها غنى ، فأرسلت جيشها من العراق لإخمادها وكتبت إلى ابن طولون للتوجه الى ابن الشيخ من الجنوب . واستغل أحمد بن طولون الفرصة ، فأخذ يبني لنفسه قوة خاصة . ولم يكن مستعجلا ، فلم يتحرك إلى فلسطين إلاّ بعد أشهر حاول خلالها مراسلة ابن الشيخ لردّ مال السلطان ، وانتظر ما تسفر عنه الحرب بين ابن الشيخ والجيش العباسي بقيادة أماجور التركي .

ولمّا انتهت ثورة ابن الشيخ بخروجه من فلسطين إلى ولاية أرمينيا ، وتولى حكم الشام أماجور ، كانت علاقات ابن طولون بحاكم الشام حسنة هادئة دامت سبع سنوات . ثم طرأت أحداث جديدة في أنحاء دولة الخلافة العباسية جعلت بلاد الشام ، ولا سيما فلسطين ، هامة في نظر ابن طولون ، سواء أكان ذلك من أجل الدفاع عن حدود الدولة العباسية من هجمات البيزنطيين أم من أجل الدفاع عن مصر في وجه أطماع الطامعين بها من أصحاب النفوذ والسلطة في بغداد .

فمن جهة أدى سوء سيرة الأمراء الذين عينتهم الخلافة في ثغر طرسوس إلى إخفاقهم في مواجهة البيزنطيين فعيّن الخليفة المعتمد أحمد بن طولون على طرسوس ، فأصبحت بلاد الشام ، بذلك ، طريق البر الواصل إلى هذا الثغر ، وأصبح جند الأردن ذا أهمية كبرى لابن طولون بسبب وجود داري الصناعة في عكا * وصور .

من جهة أخرى ، كانت الخلافة تطالب أحمد بن طولون دائماً بالمزيد من الأموال لحاجتها إليها في إخماد ثورة الزنج في جنوب العراق . وقد سعت إلى إزاحته وتعيين قائد آخر مكانه . لكنها أخفقت في محاولاتها ، ومات القائد موسى بن بغا الذي حاول حشد الجيش لهذه الغاية قبل أن يفعل شيئا .

وسنحت الفرصة لأحمد بن طولون كي يوسع حدوده ، ويضم الشام إليه سنة ٢٦٤ هـ / ٨٧٧ م ، السنة التي توفي فيها والي الشام أماجور . فتقدم إلى فلسطين وخضعت مدن الشام لحكمه إلاّ أنطاكية ، فأخضعت عنوة . ويفسّر سقوط بلاد الشام السهل في يد ابن طولون ، وسكوت بغداد المتعمّد على ذلك بعد محاولتها استخلاص مصر ذاتها منه ، بضعف الحكومة المركزية في بغداد بعد أن تعاظمت ثورة الزنج في العام نفسه ، وسقطت بيدها مدينة واسط .

لكن الحال تغيرت بعد قرابة أربع سنوات ، ورجحت كفة الحكومة المركزية ، وبدأت تحركها لضرب الطولونيين في الشام ، واستمالت لؤلؤا حاكم المنطقة الشمالية من بلاد الشام إلى جانبها ، وخرج على أثر ذلك ثغر طرسوس عن سلطان ابن طولون أيضاً .

ردّ ابن طولون على ذلك بالقدوم إلى بلاد الشام وتوطيد سلطانه . واستغلّ ضيق الخليفة المعتمد بأخيه وولي عهده الموفق ، فأعلن ابن طولون خلع الموفق من ولاية العهد ، فرد الموفق بإجبار الخليفة على إصدار أمر بلعن أحمد بن طولون من على المنابر . ثم اشتد الصراع بين الطرفين ، ولحق الإخفاق بابن طولون في هذا الصراع . وكانت الحلقة الأخيرة من هذه السلسلة انسحاب ابن طولون من أمام ثغر طرسوس ، ومرضه ، ثم وفاته في مصر .

يعدّ أحمد بن طولون واحداً من كبار مشيّدي العمران في التاريخ العربي الإسلامي . وقد ساعده على ذلك غنى المنطقة التي حكم فيها ، ونشاطها الاقتصادي الكبير منذ القديم ، والقدر الكبير من الاستقلال الذي حصل عليه . وتتحدث المصادر كلها عن كبر

الواردات ، ونشبت أرقاماً عالية لخراج مصر وفلسطين والأردن في أيام ابن طولون .

وتميّز عمران ابن طولون في فلسطين بأنه ذو طابع حربي ، إذ اهتم بالموانىء والتحصينات البحرية لتصمد في وجه الهجمات البحرية التي كان البيزنطيون يشنونها على سواحل بلاد الشام . ومن أبرز أعماله في هذا الميدان بناء ميناء عكا على غرار ميناء صور . ويروي المقدسي الجغرافي قصة تكليف أحمد بن طولون جده أبا بكر البناء أمر بناء ميناء عكا ، وطريقة البناء .

المراجع :

ـ البلوي : سيرة أحمد بن طولون ، دمشق ١٩٣٩ .
ـ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، القاهرة ١٩٣٢ .
ـ السيوطي : حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، القاهرة ١٣٢١ هـ .
ـ المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، برلين ١٩٠٦ .
ـ محمد كرد علي : خطط الشام ، بيروت ١٩٦٩ .
ـ سيدة إسماعيل كاشف وحسن أحمد محمود : مصر في عهد الطولونيين والإخشيديين ، القاهرة ١٩٦٠ .
— Mohamed Zaki Hasan: Les Tulunides, Paris 1933.
— Mohamed Zaki Hasan: Encyc.Isl. Vol. I, Ahmad Ibn Tulun.

أحمد عارف الحسيني (١٨٧٠ ـ ١٩١٦) :

أحد الشهداء الذين أعدمهم جمال باشا . ولد في غزة * ، وأبوه الشيخ العالم حنفي الحسيني مفتي غزة . وقد لازم أباه وتلقى العلم على يده حتى غدا أمين سره . وصار مناضلاً يشار إليه بالبنان .

اشتبهت الحكومة العثمانية بولاء الأب الشيخ حنفي ، وأخيه الشيخ العالم عبد الحي (أبي فهمي) ، وولده أحمد عارف فقبضت عليهم ، وقضت بإبعادهم إلى قونية في الأناضول ، وبإقامتهم الجبرية فيها . وبعد سبع سنوات أعيدوا إلى غزة . وكان الشيخ أحمد عارف في الثانية والثلاثين من عمره حين شغر منصب الإفتاء بغزة ، فانتخب مفتياً لها ، وترأس لجنة المعارف فيها ، وانتخب عضواً في مجلس إدارتها ، ثم انتخب نائباً (ميعوثاً) عن غزة مع نواب القدس ويافا . وانتمى إلى حزب الحرية والإئتلاف العثماني الذي ناهض حزب الاتحاد والترقي * المعروف بنزعته التركية (ر : النضال الفلسطيني في العهد العثماني ١٩٠٨ ـ ١٩١٧) .

ولما أعلنت الحرب العالمية الأولى عاد إلى بلده ، وانتخب عضواً في المجلس العمومي في القدس . ثم ما لبثت السلطات التركية أن أمرت بنفيه للمرة الثانية إلى الأناضول ، فطلب إمهاله أياماً ، وفكر في النجاة بنفسه ، فذهب وابنه مصطفى الضابط في الجيش العثماني وخادمه على أحصنتهم بحجة رغبته في وداع أبناء عمه من رؤساء قبيلة الوحيدات . ولكن السلطات تعقبتهم متهمة إياهم بالعزم على الالتحاق بالثورة العربية بقيادة شريف مكة الحسين بن علي ، وقضت عليهم ، وسيقوا إلى المجلس العسكري العرفي . وقد حكم المجلس على الوالد بالسجن خمسة عشر عاماً ، وعلى الولد بالسجن اثني عشر عاماً . ولكن جمال باشا قائد الجيش الرابع أقال المجلس العرفي وعيّن غيره موعزاً إليه بإصدار حكمه بالإعدام شنقاً على الشيخ عارف وخادمه ، وبالرصاص على ابنه الضابط مصطفى بتهمة فراره من الجيش . وقد نفذ حكم الإعدام شنقاً بالمفتي وبخادمه ، ورمياً بالرصاص بولده في آن واحد في ساحة باب العمود في القدس أواخر سنة ١٩١٦ . وكان المفتي في السادسة والأربعين من عمره، وولده في السادسة والعشرين .

عرف أحمد عارف الحسيني بغزارة علمه وشجاعته وفصاحته وقوة حجته وتفتح ذهنه وحرية فكره .

المرجع :

ـ أدهم الجندي : شهداء الحرب العالمية .

أحمد بن عبد الدايم بن نعمة (٥٧٥ ـ ٦٦٨ هـ) (١١٧٩ ـ ١٢٧٠ م) :

زين الدين ، أبو العباس ، المقدسي ، الصالحي ، الفندقي ، الحنبلي . محدث ، وخطيب ، وكاتب ، ومؤرخ ، ونسابة . ولد بفندق الشيوخ من جبل نابلس . وطلب العلم وسمع في بلدان شتى . ففي دمشق سمع من يحيى الثقفي ، وأبي عبد الله بن صدقة ، وأبي الحسن بن الموازيني ، وإسماعيل الجزوي ، والمكرّم بن هبة الله الصوفي ، وابن طبرزد . وفي بغداد سمع من ابن كليب ، والمبارك بن المعطوش ، وأبي الفرج بن الجوزي ، وعبد الوهاب بن سكينة وغيرهم . وسمع بحرّان من خطيبها الشيخ فخر الدين ، وأجاز له خطيب الموصل أبو الفضل الطوسي ، وأبو الفتح بن شاتيل ، ونصر الله القزاز .

وقرأ بنفسه كثيراً ، وعني بالحديث .

ولي الخطابة بكفر بطنا من أرض دمشق بضع عشرة سنة . وأنشأ خُطباً كثيرة ، وحدّث ستين سنة ، واشتغل في نسخ الكتب . وكان يكتب سريعاً إذ كان ينظر في الصفحة الواحدة نظرة واحدة ويكتبها ، فكتب ما لا يوصف كثرة ، لنفسه ، وبالأجرة . وذكر أنه

كتب بيده ألفي مجلدة ، وأنه لازم الكتابة أزيد من خمسين سنة . وكفّ بصره في آخر عمره .

سمع منه الحفّاظ المقدسيون في الصالحية بدمشق ، كالحافظ ضياء الدين ، والزكيّ ، والبرزالي ، والسيف بن المجد ، وعمر بن الحاجب . وروى عنه الشيخ محيي الدين ، والشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد ، وابن تيمية ، ونجم الدين بن صصّري القاضي ، وشرف الدين منيف قاضي القدس ، وعلاء الدين بن العطار ، وسواهم بمصر والشام .

له بعض المصنفات منها « فاكهة المجالس » ، كما اختصر لنفسه تاريخ ابن عساكر . وله نظم .

توفي عن ثلاث وتسعين سنة ، ودفن بسفح قاسيون بدمشق .

المراجع :

ـ حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، حيدر آباد ١٩٤٣ .
ـ ابن رجب : كتاب الذيل على طبقات الحنابلة ، بيروت ١٩٠٨ .
ـ صلاح الدين الصفدي : نكت الهميان في نكت العميان ، مصر ١٩١١ .
ـ صلاح الدين الصفدي : الوافي بالوفيات ، فيسبادن ١٩٦٩ .
ـ محمد بن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ، بيروت ١٩٧٣ .

أحمد بن عبد الرحيم الحراني : رَ : آل ندامة

أحمد بن عبد الله بن بدر بن مفرّج

(٧٧٠ ـ ٨٢٢ هـ)

(١٣٦٨ ـ ١٤١٩ م) :

شهاب الدين ، أبو نعيم ، العسكري ، الغزّي مولداً ، الدمشقي سكناً ، الشافعي مذهباً . فقيه ، أصولي ، مشارك في بعض العلوم . ولد ونشأ في غزة * واشتغل بالعلم ، فحفظ القرآن ، وأخذ الفقه والحديث عن عالم بلده علاء الدين علي بن خلف بن كامل بن عطاء الله الغزي ، قاضي غزة ، وحفظ كتباً في الفقه مثل كتاب « التنبيه في فروع الشافعية » وكتاب « الحاوي الصغير في الفروع » .

ثم توجه إلى دمشق ساعياً في طلب العلم ، وقطن فيها . وأخذ عن بعض العلماء فيها ، ومنهم شرف الدين الغزي وابن الشريشي والزهري قاضي دمشق ، وغيرهم . وحصل على الإذن بالإفتاء من شيخه الزهري هذا ، وكان ذلك في سنة ٧٩١هـ / ١٣٨٨م .

ثم توجه شهاب الدين إلى القدس * ، وطلب العلم فيها ، فأخذ عن علمائها ، ومنهم تقي الدين القلقشندي ، وغيره .

اشتغل شهاب الدين بالقضاء * ، والإفتاء ، والتدريس . وولي إفتاء دار العدل ، بل تفرد برياسة الفقه في دمشق . وقد ذكر أنه لم يبق في أواخر عمره من يقاربه في رياسة فقه الشافعية إلاّ أحمد بن نشوان ، المعروف بابن نشوان . وذكر النعيمي أن شهاب الدين الغزي وابن نشوان كانا يتناظران في العلم .

وولي شهاب الدين الغزي التدريس ، وتصدى له بالجامع الأموي . وكان قد جلس لذلك ، وأعاد في حياة شيوخه الذين تلقى عليهم . ومنح الإجازات العلمية .

وأنرأ شهاب الدين في مكة ، وأذن لطالبي العلم بالإنشاء والتدريس ، وأخذ عنه الكثيرون من طالبي العلم هناك ، وروى بعضهم عنه .

وكان شهاب الدين قد حجّ مرّات كثيرة ، وجاور ثلاث سنوات متفرقة ، في مكة .

ولي شهاب الدين نظر البيمارستان النوري في دمشق . وذكر أنه ولي النظر في غير ذلك . وقد حُمد في مباشرته . وتمّى أوقاف ما تولى الإشراف عليه . وعارض في ذلك عدداً من القضاة ، والفقهاء ، والوعاظ .

كان شهاب الدين فصيحاً ، ذكياً ، مقداماً ، عالي الهمة والمروءة . أشاد به الكثير من العلماء ، ومنهم أحمد بن حجر العسقلاني * ، وعز الدين بن عبد السلام ، وتقي الدين ابن قاضي شهبة ، وتقي الدين الفاسي . وقال علاء الدين البخاري : " بلغني صيته وأنا وراء النهر من أقصى بلاد العجم " .

لشهاب الدين مصنفات في الفقه ، والحديث ، والعربية ، والتراجم ، وغيرها من العلوم . ومنها : شرح « الحاوي الصغير » في الفروع للقزويني ، في أربعة أسفار ، وشرح كتاب « جمع الجوامع » في أصول الفقه للسبكي ، وشرح كتاب « منهاج الوصول إلى علم الأصول » للبيضاوي ، وشرح مختصر ابن الحاجب . ومنها مختصر كتاب « المهمات » للأسنوي .

وله كتاب في المناسك ، وكتاب حول رجال البخاري ، وكم لكل منهم فيه من الحديث . وله شرح كتاب « عمدة الأحكام عن سيد الأنام » لتقي الدين عبد الغني بن عبد الواحد الجمّاعيلي * المقدسي الحنبلي .

وفي العربية كتب كتاباً حول ألفيّة ابن مالك . وفي التراجم اختصر كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان .

توفي شهاب الدين الغزي في مكة ، وصُلي عليه عند باب الكعبة ، ودفن بالمعلاة .

المراجع :

ـ ابن حجر العسقلاني : إنباء الغمر بأبناء العمر ، دمشق ١٣٩٩ هـ .
ـ ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، حيدر آباد ١٩٤٥ ـ ١٩٥٠ .
ـ السخاوي : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، ١٣٥٣ ـ ١٣٥٥ هـ .
ـ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، القاهرة ١٩٣١ .
ـ السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، القاهرة ١٣٢٤ هـ .
ـ حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، إستانبول ١٩٤١ .

أحمد بن علي بن علاء الدين الصفّوري
(٩٧٧ ـ ١٠٤٣ هـ)
(١٥٦٨ ـ ١٦٣٣م) :

شهاب الدين الصفوري ، الحسيني ، الشافعي ، الدمشقي . من أسرة فلسطينية معروفة . ولد بدمشق ، وبها نشأ واشتغل بالعلم وقرأ العلوم الشرعية ، وعلوم اللغة العربية ، والتاريخ . وأخذ عن علماء دمشق ، ومنهم عبد الحق الحجازي ، والحسن البوريني * ، وشرف الدين الدمشقي ، وشمس الدين الميداني ، ونجم الدين الغزي .

وأصبح شهاب الدين ذا معرفة تامة بالفقه واللغة ، والشعر . ووصف بأنه فقيه ، أديب ، شاعر .

واشتغل شهاب الدين بالتدريس ، فقد كان معيداً لدرسي شمس الدين الميداني ، ونجم الدين الغزي ، في صحيح البخاري ، تحت قبة النسر ، في الجامع الأموي .

توجه شهاب الدين إلى حلب في سنة ١٠١٦هـ / ١٦٠٦م ، واشتغل بالتدريس فيها ، ودرّس بدار الحديث الأشرفية . وكانت له مطارحات مع الأدباء فيها ، وذكر ابن المحبّي وقف على بعضها .

كان شهاب الدين قد اشتغل بالقضاء ، فقد ذكر أنه ولي قضاء الشافعية بمحكمة الباب في دمشق . وكان نزيهاً في قضائه ، مشهور السمعة .

من آثاره « مجاميع أربعة » اطلع عليها المحبي صاحب « نفحة الريحانة » ، وله أشعارٌ ذَكَرَ المحبي شيئاً منها .

توفي شهاب الدين بدمشق ، ودفن بمقبرة باب الصغير .

المراجع :

ـ المحبي : خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، القاهرة ١٢٨٤هـ .
ـ عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين ، دمشق ١٩٥٨ .
ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، بيروت ١٩٧٤ .

أحمد بن علي بن ياسين الدجاني (٩٠٢ ـ ٩٦٩هـ)
(١٤٩٦ ـ ١٥٦١م) :

الشيخ الإمام ، شهاب الدين الدجاني ، الشافعي . ولد في القدس * في بيت علم وتصوّف واشتغل بالعلم ، وحفظ القرآن الكريم ، وكتاب « المنهاج » للإمام النووي . وذكر أنه ركز على الاشتغال بالنحو ، بعد أن كان يحس بضعف فيه ، ففتح الله عليه في هذا المجال ، كما يقول نجم الدين الغزي ، وابن العماد .

كان شهاب الدين من المتصوفة ، وهو من أصحاب العارف بالله علي بن ميمون المغربي المتوفى سنة ٩١٧هـ / ١٥١١م ، والإمام العارف بالله شمس الدين محمد بن عراق الدمشقي المتوفى سنة ٩٣٣هـ / ١٥٢٦م . وقد أخذ عنهما في التصوف وغيره من العلوم . وذكر أن الشيخ شمس الدين محمد بن عراق صنف رسالة في صفات أولياء الله تعالى ، وكان قد سأله في تأليفها" تلميذه وفقيره " الشيخ أحمد الدجاني المقدسي ، في يوم الإثنين السابع من ربيع الأول سنة ٩٣١هـ / ١٥٢٤م .

وأصبح شهاب الدين الدجاني واحداً من مشهوري التصوفة . وقرأ عليه طالبو العلم في التصوف وغيره من العلوم .

وفي عام ٩٣٦هـ / ١٥٢٩م ، في عهد السلطان سليمان القانوني ، حُوّل مقام النبي داود ، في بيت المقدس ، إلى مسجد . وكان ذلك على يد الشيخ شهاب الدين الدجاني ، وغيره من العلماء .

توجه شهاب الدين إلى دمشق ، في أوائل رجب سنة ٩٥١هـ / ١٥٤٣م ، وذلك من أجل قضاء حوائج للناس عند نائب الشام .

وزار الشيخ محي الدين بن عربي وأقام الذكر عنده ، وحذا حذو شيخه محمد بن عراق الخيري .

وخطب بالجامع الأموي ، في يوم الجمعة منتصف رجب سنة ٩٥١هـ / ١٥٤٣م ، وأجاد في خطبته ، وشكره الناس .

وعاد شهاب الدين الدجاني إلى بيت المقدس وتوفي فيه .

المراجع :

ـ نجم الدين الغزي : الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة ، بيروت ١٩٧٩ .
ـ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، القاهرة ١٩٣١ .
ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، بيروت ١٩٧١ .

أحمد بن محمد بن إبراهيم بن هلال
(٧١٤ ـ ٧٦٥هـ)
(١٣١٤ ـ ١٣٦٤م) :

أبو محمود ، جمال الدين ، المقدسي ، الشافعي . إمام ، حافظ ، محدّث . ينسوق نسبه إلى الصحابي الجليل تميم الداري الذي أقطعه النبي ﷺ أرض الخليل . ولد في القدس * ، وأخذ العلم عن علماء القدس ومصر ودمشق . جمع وضبط وحدّث ، وسمع منه جماعة من الفضلاء . درّس في المدرسة التنكزيّة ، وهي من أكبر المدارس التي أسسها المماليك * في القدس .

ألف أبو محمود هذا كتباً كثيرة ، أشهرها كتابه « مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام » ، وهو من كتب فضائل بيت المقدس ، ومن أشهر المؤلفات التي وضعت في تاريخ فلسطين الإسلامية ، واعتمد عليه الكثيرون . وينقسم الكتاب إلى قسمين : القسم الأول يبحث في فضائل الشام وفلسطين عامة . والقسم الثاني رسالة تبحث في فضائل المسجد الأقصى . وقد نشرت في يافا * سنة ١٩٤٦ . ومن هذا الكتاب نسخ مخطوطة في مكتبات العالم ، وفي المتحف الفلسطيني بالقدس .

ومن كتبه المخطوطة الأخرى : « المصباح في الجمع بين الأذكار والسلاح » ، و « إفحام المُمَاري بأخبار تميم الداري » ، و « اقتفاء المنهاج في أحاديث المعراج » ، وشرح سنن أبي داود ، وسماه « انتحاء السَّنَن واقتفاء السُّنَن » .

توفي الشيخ أبو محمود بمصر .

المراجع :

ـ حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، إستانبول ١٩٤١ .
ـ ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، القاهرة ١٩٦٦ .
ـ مجير الدين الحنبلي : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، النجف ١٩٦٨ .
ـ كامل العسلي : مخطوطات فضائل بيت المقدس ، عمان ١٩٨١ .
ـ كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، (مترجم) ، القاهرة ١٩٦٣ ، ١٩٦٥ .
ـ تقي الدين محمد بن فهد المكّي : لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفّاظ ، دمشق ١٣٤٧هـ .
— Ahlwardt: **Verzeichniss der arabischen Handschriften.** Berlin 1897.
— Brockelmann, C.: **Geschichte der Arabischen Literatur.** Leiden 1938.
— De Slane: **Catalogue des manuscrits arabes.**

أحمد بن محمد الباقاني (١١١٨ ـ ١١٩٥ هـ)
(١٧٠٧ ـ ١٧٨١م) :

النابلسي ، محدّث ، مفسّر ، متكلم ، نحوي ، منطقي . درس العلوم القرآنية على مشايخ بلده ، ثم قدم دمشق ومكث فيها مجاوراً ، وأخذ عن شيوخها أنواعاً من العلوم كالتفسير والحديث والفقه والأدب والتوحيد والتصوف . وحضر دروس الشيخ عبد الغني النابلسي * الدمشقي ، وقرأ عليه تفسير البيضاوي وصحيح مسلم فأجازه إجازة عامة . وحضر دروس الشيخ أحمد بن علي المنيني الدمشقي ، وسمع منه طرفاً من صحيح البخاري فأجازه إجازة خاصة . ولما عاد الباقاني إلى نابلس عمل في التدريس وألّف رسائل متعددة منها : « تحفة المحتاج لشرح المنهاج » في فقه الشافعية لابن حجر الهَيْتمي (٩٠٩ ـ ٩٧٤هـ) .

توفي الباقاني في نابلس .

المراجع :

ـ محمد خليل المرادي : سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ، القاهرة ١٣٠١هـ .

أحمد بن محمد الشويكي (٨٧٥ ـ ٩٣٩ هـ)
(١٤٧١ ـ ١٥٣٢ م) :

شهاب الدين ، أبو الفضل ، النابلسي أصلاً ، ثم الدمشقي ، الصالحي مسكناً ، الحنبلي مذهباً . ولد في قرية شويكة * من أعمال نابلس (قيل سنة ٨٧٦ هـ / ١٤٧٢ م) .

قدم شهاب الدين دمشق ، وسكن الصالحية فيها . ودرس في

مدرسة أبي عمر ، محمد بن أحمد بن محمد قدامة الجمّاعيلي * المقدسي ، وحفظ القرآن ، وسمع الحديث على ناصر الدين بن زريق . وقرأ الفقه ، وعني بكتاب الخرقي .

تبوّأ شهاب الدين مكانة مرموقة ، علميا واجتماعيا ، فكان مفتي الحنابلة في دمشق .

وتوجه إلى مكة حاجّا ، وجاور فيها ، ثم حجّ ثانية ، وجاور في المدينة سنتين .

وقد صنف ، وهو مجاور في المدينة المنورة ، كتاب التوضيح ، وسمّاه « توضيح الجامع بين المقنع والتنقيح » ، وقد جمع فيه بين كتاب « المقنع » في فروع المذهب الحنبلي * ، لموفق الدين بن قدامة الحنبلي المتوفى سنة ٦٢٠ هـ / ١٢٢٢ م ، وكتاب « التنقيح » لعلاء الدين المرداوي المتوفى سنة ٦٨٢ هـ / ١٢٨٢ م . وأضاف شهاب الدين أشياء مهمة إلى الكتابين . وذكر ابن طولون أن الشيخ شهاب الدين العسكري سبق شهاب الدين الشويكي في هذا المجال ولم يتم الشويكي كتابه هذا ، ووصل فيه إلى باب الوصايا ، فقد توفي في المدينة قبل إتمام مصنفه ، ودفن بالبقيع ، وصلي عليه صلاة الغائب في الجامع الأموي بدمشق .

المراجع :

ـ نجم الدين الغزي : الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة ، بيروت ١٩٧٩ .
ـ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، القاهرة ١٩٣١ .
ـ حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، إستانبول ١٩٤١ .
ـ إسماعيل الباباني البغدادي : إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ، إستانبول ١٩٤٥ ـ ١٩٤٧ .

أحمد بن محمد بن عبد الوليّ بن جبّارة
(٦٤٧ ـ ٧٢٨ هـ)
(١٢٤٩ ـ ١٣٢٨ م) :

شهاب الدين أبو العباس المرداوي ، المقدسي ، الحنبلي . مقرىء ، مفسّر ، نقيه ، أصولي ، نحوي . ونسبة « المرداوي » تشير إلى أن بلده الأصلي هو مردة ، قرية قرب نابلس * ، وربما كانت سبسطة وأسه أيضاً .

أخذ العلم في صباه عن خطيب مردة وابن عبد الدايم والكرماني وابن حمدان . ثم رحل في البلاد طلباً للعلم ، فذهب إلى مصر ، وفيها قرأ القراءات على الشيخ حسن الراشدي ، وقرأ الأصول على شهاب الدين القرافي المالكي ، والعربية على بهاء الدين ابن النحاس . ثم قدم دمشق ، فأقام بالصالحية مدة . ثم تحول إلى حلب فأقرأ بها ، وأخيراً استوطن بيت المقدس ، وتصدر لإقراء القراءات والعربية ، وانتهت إليه مشيخة بيت المقدس . كان أبو العباس صالحاً متعففاً ، خشن العيش ، جمّ الفضائل ، نشأ في صلاح ودين وزهد ، وقد حجّ وجاور بمكة . توفي في القدس فجأة ، ودفن بمقبرة ماملا .

له عدة مصنفات منها شرح لقصيدة « حرز الأماني » المشهورة بالشاطبية في القراءات السبع ، وهو شرح كبير حشاه بالاحتمالات البعيدة ، و « تفسير المقدسي » ، و « شرح عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد » ، وهي منظومة رائية للشاطبي في رسم المصحف ، وشرح ألفية ابن معطي المسماة « الدرة الألفية في علم العربية » في النحو ، وله كتاب في التفسير عنوانه « فتح القدير في التفسير » .

المراجع :

ـ ابن الجزري : غاية النهاية في طبقات القراء ، القاهرة ١٩٣٢ .
ـ حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، طهران ١٣٨٧ هـ .
ـ ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، القاهرة ١٩٦٦ .
ـ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، القاهرة ١٩٣١ .
ـ مجير الدين الحنبلي : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، عمان ١٩٧٣ .

أحمد بن محمد بن عماد (٧٥٣ ـ ٨١٥ هـ)
(١٣٥٢ ـ ١٤١٢ م) :

بن الهائم الحاسب ، المصري ثم المقدسي . وقد لقب بابن الهائم ثلاثة رجال عاشوا في عصر واحد تقريباً ، أولهم أحمد بن محمد ، وهو شاعر من أهل المنصورة بمصر ، توفي سنة ٨٨٧ هـ . والثاني عالم من فلسطين هو المسند شرف الدين موسى بن محمد . وقد توفي بالقدس * بعد قليل من سنة ٨٢٠ هـ .

والثالث (ولعله شقيق الثاني) هو أبرزهم وأشهرهم ، واسمه أحمد بن محمد بن عماد (أبو العباس شهاب الدين) بن محمد بن علي المصري ثم القدسي من كبار فقهاء الشافعية . ولد في القاهرة ، ودرس فيها الفقه ، ومهر في الفرائض والحساب ، ثم رحل سنة ٧٩٧ هـ/١٣٩٥م) إلى القدس مع شيخه زين الدين القمني الذي أنابه عنه في التدريس بالمدرسة الصلاحية فيها ،فبرز حتى رحل إليه الناس من الآفاق لدراسة الفرائض والوصايا والجبر والحساب ،

وصار من شيوخ المئادسة المشهورين المسموعي الكلمة والمعروفين بالدين المتين ، حتى لقب بشيخ الإسلام .

على أن العصر الذي عاشه ابن الهائم في الشام كان عصر اضطراب سياسي وعسر اقتصادي ، وزحام على الرزق . وقد زاحمه على وظيفته في التدريس الشيخ الهروي بؤيّده الأمير نوروز نائب الشام ، فوقف أهل القدس مع ابن الهائم الذي بذل الجهد للاحتفاظ بالوظيفة ، مما اضطر الأمير إلى قسمتها بين الإثنين سنة ٨١٤ هـ/ ١٤١١ م . ولكن ابن الهائم لم يعمر طويلا بعدها .

وإذا كان العلماء البارزون في فلسطين في العصر المملوكي يعدّون في الإحصاء أكثر قليلا من ٧٥٠ عالماً فإنهم جميعا ـ وفيهم ابن الهائم ـ كانوا منكبّين على العلوم الدينية من تفسير وحديث وفقه ونحو ، كما كانوا يتنافسون على الوظائف الدينية . وليس بينهم سوى عشرة أطباء معروفين ، وخمسة من علماء النبات والحيوان والحساب . وقد تميز ابن الهائم بين علماء العصر المملوكي كله بأنه كان من هذه القلة الأخيرة التي اهتمت وبرزت بالعلوم العملية بجانب علوم الدين .

وقد كتب ابن الهائم في الحساب والجبر والفرائض عددا من المؤلفات منها قصيدة « القنع في الجبر والمقابلة » ، وكتاب « مرشدة الطالب إلى أسمى المطالب » في الحساب ، « وأبرز الخفايا في فن الوصايا » .

توفي ابن الهائم في القدس ، ودفن في مقبرة مأملا .

المراجع :

ـ مجير الدين الحنبلي : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، النجف ١٩٦٨ .
ـ الشوكاني : البدر الطالع بمحاسن مَنْ بعد القرن السابع ، القاهرة ١٣٤٨ هـ .
ـ السخاوي : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، القاهرة ١٣٥٣ هـ .
ـ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، القاهرة ١٩٣١ .

أحمد بن محمد بن عمر (٨١٩ ـ ٨٥٦ هـ) (١٤١٥ ـ ١٤٥١ م) :

المقدسي ، الشافعي ، شهاب الدين ، المشهور بابن زوجة أبي عذيبة . ولد في بيت المقدس ، ونشأ وتعلم فيه وبالأقصى والصلاحية وغيرهما . ودرس على بعض العلماء أمثال : عماد الدين ابن شرف المقدسي ، وعز الدين عبد السلام المقدسي ، وأبي العباس المقدسي . ولازم الأخير ، وقرأ عليه « منهاج السنة » لابن تيمية ، والبهجة ، والألفية . وسمع في بيت المقدس من ابن الجزري ، وشهاب الدين بن المحمرة وغيرهما .

ورحل إلى غزة *، والقاهرة ، والشام ، طالبا العلم . ودرس على أحمد بن حجر العسقلاني * ، وشرف الدين السبكي ، وزين الدين الزركشي بالقاهرة ، وابن قاضي شهبة وغيره بالشام . وأذن له الأخير في الكتابة في التاريخ ، والجرح والتعديل ، والتصنيف ، وأجازه .

ثم عاد شهاب الدين إلى بيت المقدس ، وعني بالتاريخ ، وكتب كتابين في هذا المجال ، وسمى تاريخه المطول : « تاريخ دول الأعيان شرح قصيدة نظم الجمان » . وله كتاب « إتسان العيون في مشاهير سادس القرون » ، وهو أحد مجلدات تاريخه المطول . وله تاريخ مختصر مرتب على حروف المعجم ، وكتاب في قصص الأنبياء .

توفي في بيت المقدس .

المراجع :

ـ السخاوي : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، القاهرة ١٣٥٣ ـ ١٣٥٥ هـ .
ـ السخاوي : التبر المسبوك في ذيل السلوك ، القاهرة ١٨٩٦ .
ـ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، القاهرة ١٩٣١ .
ـ مجير الدين الحنبلي : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، النجف ١٩٦٨ .

أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر بن عبد الله المقدسي : رَ : آل قدامة

أحمد بن محمد الموقّت (ـ ١١٧١هـ) (ـ ١٧٥٨م) :

القدسي مولداً ووفاة والغزّيّ أصلاً ، المالكي ثم الحنفي مذهباً . عالم ، محدث ، متضلّع في العلوم ، ولا سيما في علم الميقات (أي تعيين أوقات الصلاة في المسجد الأقصى) . انتهت إليه « حقائق العلوم المقلية ، وألقت إليه العلوم النقلية مقاليدها » . جمع أحمد بين إمامة مسجد قبة الصخرة والتدريس في المسجد الأقصى * ، بالإضافة إلى إفتاء الحنفية في القدس والتدريس في المدرسة الأفضلية * التي أنشأها الملك الأفضل ابن صلاح الدين الأيوبي على أرض أوقفها بجوار المسجد الأقصى . واشتغل الموقّت بالتجارة فأثرى ، وكان يكرم الغرباء ، ولا سيما أهل العلم منهم .

توفي الموقّت سنة ١١٧١هـ / ١٧٥٨م ، ودفن في مقبرة مأمن الله المعروفة تماماً .

المراجع :

ـ محمد خليل المرادي : سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ، القاهرة ١٣٠١هـ .
ـ غرس الدين خليل : تراجم جماعة من أفاضل بيت المقدس الشريف (مخطوط) ، مكتبة المتحف البريطاني ، والمكتبة الخالدية بالقدس ، والمتحف الفلسطيني بالقدس .

أحمد بن محمد بن يوسف (ـ ١٠٣٤هـ / ـ ١٦٢٥م) :

ويعرف بالخالدي الصفدي نسبة إلى خالد بن الوليد . فقيه ، مؤرخ ، متأدب . ولد بصفد * ، وبها نشأ . ثم ارتحل إلى القاهرة ، وطلب العلم فيها . فدرس الفقه والحديث والتفسير والتاريخ على كبار علمائها .

ورجع إلى صفد ، ودرّس ، وأفتى ، وناب في القضاء * وألّف . ومن مؤلفاته : شرحه المفصّل على الكافية ، وتخميسه للقصيدة الهمزية للبوصيري ، وشرح ألفية ابن مالك ، وتشنيف المسمع ، ومتن الكتر . وكتاب في العروض ، وله رحلة إلى الحج ، وأخرى إلى بيت المقدس نظماً .

له نظم وليس بشاعر .

وهنالك مؤلف هام للخالدي هو « تاريخ الأمير فخر الدين المعني الثاني » ، تناول فيه أخبار الأمير في لبنان وسائر الأقطار الشامية ما بين ١٠٢١ و ١٠٣٤هـ / ١٦١٢ و ١٦٢٤م . دوّن في مؤلفه حوادث شاهد بعضها ، واشترك في بعضها .

توفي الخالدي قبل أن ينهي كتابه هذا ، فبقي منسياً حتى تمّ العثور عليه .

وقد توفي بصفد ، ودفن فيها بمصلّى العيدين .

المراجع :

ـ المحبّي : خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، القاهرة ١٢٨٤هـ .
ـ خير الدين الزركلي : الأعلام ، بيروت ١٩٦٩ .
ـ الخالدي الصفدي : تاريخ الأمير فخر الدين المعني .
ـ فهرس دار الكتب المصرية ٨ ، ٦٧ ، القاهرة ١٣٤٣ ـ ١٣٦١هـ .
— Princeton University: Descriptive Catalog of the Garrett Collection of Arabic Manuscripts in the University of Princeton Library Vol 3 of Princeton Oriental Texts, Princeton 1939 Ms No. 200.

أحمد بن محمد بن يونس الدجاني (٩٩١ ـ ١٠٧١هـ) (١٥٨٣ ـ ١٦٦١م) :

صفي الدين الدجاني ، الشهير بالقُشاشي . متصوف فاضل مشارك في أنواع العلوم . أصله من القدس * ، انتقل جده إلى المدينة المنورة . وكان متصوفاً ، احترف بيع القُشاشة ، وهي سقط المتاع فعرف بالقُشاشي . وولد حفيده أحمد بالمدينة ، وبها اشتهر وتوفي ، ودُفن بالبقيع .

كان أحمد مالكي المذهب ، وتحول شافعياً ، فصار يفتي في المذهبين (رَ : المذهب الشافعي) . وله نحو سبعين كتاباً ، أكثرها في التصوف ، منها « شرح الحكم العطائية » التزم فيه أن يختم كل حكمة بحديث يناسبها ، و « حاشية على المواهب اللدنيّة » صغير ، و « السمط المجيد في تلقين الذكر لأهل التوحيد » . وله شعر .

وكان من عادة المشارقة تلقيب من اسمه أحمد بشهاب الدين . وكان صاحب الترجمة يقول لأصحابه : " لا تلقبوني بذلك لأن اسمي أحمد ، وهو أشرف الأسماء ، فكيف يلقب بالشهاب الذي هو العذاب والرجم ؟" فلقب بصفي الدين .

المراجع :

ـ عبد الله بن محمد العياشي : الرحلة العياشية ، فاس ١٣١٦ هـ .
ـ المحبّي : خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، القاهرة ١٢٨٤ هـ .

أحمد بن موسى بن خفاجا (ـ ٧٥٠هـ / ـ ١٣٤٩م) :

الصفدي ، الشافعي ، فقيه اشتغل بالعلم ، وأخذ عن علماء زمانه الفقه ، والحديث ، والفرائض ، والوصايا ، وغيرها ، ومنهم ابن الزّملكاني ، وغيره من العلماء . وتفوق شهاب الدين في هذه العلوم وأصبح فقيهاً ، محدثاً .

اشتغل شهاب الدين بالإفتاء ، والتصنيف . وكان ماهراً في الفرائض والوصايا ، نقّالاً للفروع الكثيرة ، فقد ذكر أنه انقطع بقرية

قرب صفد * يفتي ويصنّف وينعبّد ويأكل من عمل يده بالزراعة ، وأعرض عن الوظائف إلى أن توفي .

له مصنفات كثيرة نافعة ، ومنها : « شرح التنبيه » في عشر مجلدات ، و« العمدة » وهو مختصر في الفقه ، وشرح الأربعين للنووي « ولكن لم يشتهر شيء منها » .

توفي شهاب الدين في صفد .

المراجع :

ـ ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، حيدر آباد ١٩٤٥ ـ ١٩٥٠ .

ـ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، القاهرة ١٩٣١ .

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، بيروت ١٩٧٤ .

أحمد بن ناصر بن خليفة الباعوني (٧٥٢ ـ ٨١٦هـ) (١٣٥١ ـ ١٤١٣م) :

شهاب الدين أبو العباس المقدسي ، الباعوني ، الناصري ، قاضي القضاة ، الشيخ الإمام ، العالم ، الشاعر ، الكاتب ، الخطيب . أصله من قرية باعون الواقعة في الشمال الغربي من عجلون ، وكان أبوه حائكاً بها ، ثم انتقل إلى الناصرة* ، حيث ولد ابنه أحمد . ونشأ أحمد في الناصرة ، فحفظ القرآن وله عشر سنين ، والمنهاجين : « منهاج السنة » لابن تيمية ، و« منهاج الوصول إلى علم الأصول » للبيضاوي . وألفية ابن مالك وغير ذلك . ثم قدم دمشق ، وعرض كتبه على جماعة من العلماء ، منهم القاضي تاج الدين السبكي وابن قاضي شهبة ، وأخذ عنهم الفقه والنحو ، وسمع الحديث . ثم نزل صفد* وقد أجيز ، فاشتغل بالعلم ، وأفتى ، وفاق في النظم والشعر . وبقي في صفد إلى بعيد الخمسين وسبعمائة ، ثم سافر إلى القاهرة ، واجتمع بالملك الظاهر برقوق (حكم ٧٨٤ ـ ٨٠١هـ / ١٣٨٢ ـ ١٣٩٨م) ، فولاّه خطابة الجامع الأموي بدمشق سنة ٧٩٢هـ / ١٣٨٩م ، ثم ولاّه القضاء في السنة التالية .

ويشيد المؤرخون بسيرته في القضاء ، فقد باشره بعفّة ومهابة ، والتزم جانب الحق والاستقامة وعدم المحاباة ، كما ضبط الأوقاف . وقد طلب منه السلطان برقوق أن يقترض شيئاً من أموال الأيتام ، فرفض ، فعزل وأهين ، وسجن ، ولفّقت عليه قضايا باطلة . ثم أطلق سراحه ولزم داره . وفي سنة ٨٠٢هـ ولاّه الناصر فرج خطابة بيت المقدس فوليها مدة طويلة . ثم أضاف إليه معها قضاء دمشق ، فباشره بعفّة ونزاهة ، ثم عزل وتوجه إلى بيت المقدس يلي خطابته . ولما استقر الأمر للمستعين بعد الناصر (٨١٥هـ/١٤١٢م) ولاّه قضاء الديار المصرية ، لكنه صرف قبل أن يباشر .

كان الباعوني خطيباً بليغاً وإماماً بارعاً ، وكان من أعز أنصار الحق وأعوانه وحريصاً على كرامته حتى مع السلاطين . وقد كتب أشياء وجمع كثيراً .

مات في دمشق ، ودفن بسفح جبل قاسيون .

المراجع :

ـ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، القاهرة ١٣٩١هـ / ١٩٧١م .

ـ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، القاهرة ١٩٣١ .

ـ السخاوي : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، القاهرة ١٣٥٣ / ١٣٥٥هـ .

– Brockelmann, C.: Geschichte der Arabischen Literatur, Leiden 1939.

أحمد بن نعمة بن أحمد (٥٧٩ ـ ٦٦٥هـ) (١١٨٣ ـ ١٢٦٦م) :

كمال الدين ، أبو العباس المقدسي ، النابلسي . إمام ، نقيه ، محدث ، من علماء الشافعية ، ويلقّب بخطيب القدس . نابلسي الأصل . قدم دمشق شاباً ، وسمع فيها من القاسم بن عساكر ، وابن طبرزد ، وحنبل بن عبد الله الرصافي راوي مسند أحمد بن حنبل (المتوفى سنة ٦٠٤هـ) ، وغيرهم . وحدّث بدمشق والقاهرة ، وروى عنه كثيرون ، منهم ولداه العلاّمة شرف الدين والفقيه محيي الدين ، والدمياطي ، والدواداري ، وابن الحبّاز . كان صالحاً متعبداً ، متزهداً ، منقبضاً عن الناس .

توفي بدمشق ، ودفن بمقبرة باب كيسان .

المراجع :

ـ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، القاهرة ١٣٥١هـ .

ـ الحافظ الذهبي : العبر في أخبار من غبر ، الكويت ١٩٦٦ .

ـ صلاح الصفدي : الوافي بالوفيات ، بيروت ١٩٧١ .

أحمد بن أبي الوفاء بن مفلح (٩٥٠هـ ـ) (١٥٤٢م ـ) :

شيخ الإسلام ، الحنبلي ، الدمشقي . ولد ونشأ في دمشق .

واشتغل بالعلم ، وأخذ عن شيوخها ، ومن شيوخه الشيخ أبو الفداء إسماعيل النابلسي ، وشيخ الإسلام موسى الحجازي . وتفوّق ابن أبي الوفاء في العلوم الشرعية ، وعلوم اللغة العربية ، والتاريخ والحساب ، كما يقول الحسن البوريني * .

وهو من أسرة اشتهرت في مجال العلم ، فهو من بني مفلح ، البيت الشهير بالعلم والتأليف .

اشتغل ابن أبي الوفاء بالتدريس ، في الجامع الأموي ، ودور الحديث في الشام .

وذكر البوريني أنه حضر بعض مجالس ابن أبي الوفاء العلمية ، وأشاد به أشادة بالغة ، وفضّله على أقرانه .

اشتغل ابن أبي الوفاء بالإفتاء ، فقد كان مفتي الحنابلة ، وكان أكبر قضاة الحنابلة في دمشق ، والمرجع في مذهبهم .

امتنع ابن أبي الوفاء عن قبول منصب القضاء وقد كان محمود السيرة ، زاهداً متقللا من اللباس ، مقبلاً على العبادة والعلم .

المرجع :

ـ الحسن بن محمد البوريني : تراجم الأعيان من أبناء الزمان ، دمشق ١٩٥٩ .

أحيمر (وادي ـ) :

واد صغير طوله ٢٥ كم ، من أودية النقب الشمالي المنتهية في وادي عربة * والبحر الميت * . تقع بدايته وشعابه العليا في منطقة تل الصافي (٤٥٥ م) وجبل الصافي (٤٦٢ م) شمال الطريق الواصلة بين بير السبع * وغور الصافي * جنوبي البحر الميت . ويسير الوادي نحو الشمال مسافة ٣,٥ كم . ثم ينحرف نحو الشمال الشرقي ، فالشرق ، في أرض قليلة الانحدار مسافة ٥ كم تقريبا ، يدخل بعدها مناطق صخرية قاسية ، يجز ويحفر فيها بشدة وعنف ،

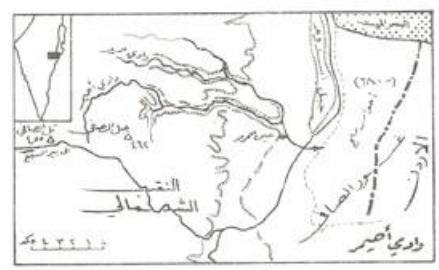

مكوّنا خوانق وممرات عميقة ضيقة ذات جوانب صخرية قائمة . ويسير الوادي ١٤ كم متعمقا في الحافات الصخرية المطلة على البحر الميت وغور الصافي راسما الكثير من الأكواع والتعرجات . ثم يخرج إلى أرض مفتوحة منبسطة مؤلفة من الرمال واللحقيات تقع جنوب جبل سدوم ، حتى ينتهي في المستنقعات * الملحية والسباخ المكونة لقاع وغور الصافي ، على انخفاض ٣٨٠ م تحت مستوى سطح البحر .

يلاحظ من أرقام بداية ونهاية الوادي وطوله أن انحداره شديد يحوم حول ١ : ٣٠ ، وبالتالي فإن عمل الحتّ والحفر الرأسي للمياه والسيول هو السائد في معظم أجزاء المجرى . وهذا يفسر كون الوادي خانقيا ذا جدران قائمة عالية ضمن الصخور * العائدة للحقبة الثانية ، ولا سيما السينومانية المكونة من الحجر الكلسي والدولوميتي القاسي . ومما يزيد في قسوة تضاريس الوادي وعنفها وجود حوضه في مناخ صحراوي قليل الأمطار (٥٠ ـ ٧٠ مم سنويا) ، كثير التبخر (٢,٠٠٠ مم سنوياً) ، متوسط حرارته مرتفع (٢٢° ـ ٢٥°) مما يطبع التضاريس بطابع المناطق الصحراوية وتضاريسها . ولما كان نظام الأمطار عاصفياً رعدياً موقتا ، والانحدار الطولي للوادي كبيرا ، فإن تحت الجريان في وادي أحيمر وبقية أودية المنطقة ، ولا سيما وادي حرمر رافد وادي أحيمر ، سيلي عنيف .

يوافق الغطاء النباتي الشروط الطبيعية المذكورة ، فليس في حوض وادي أحيمر سوى بعض الأعشاب والشجيرات الصغيرة الصحراوية التي يستفيد منها رعاة عرب التياهة وعرب الظلام المتجولين في البقاع الجنوبية الغربية من البحر الميت . وليس هناك اثر لأي نشاط بشري اقتصادي في حوض الوادي إلاّ قرب مصبّه ، حيث تستخرج الأملاح والبوتاس والبروميت والمغنزيوم من جنوبي البحر الميت قرب نهاية الوادي . وهناك مكامن للفوسفات * قليلة الكمية ضعيفة النوعية في الثلث الأخير من الوادي . ولا توجد مصادر للمياه إلا عين حرمر في بطن الوادي على بعد ٤ كم من مصبه .

المراجع :

ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ١٠٠,٠٠٠ ، لوحة بطة .
ـ الخريطة الجيولوجية لفلسطين : مقياس ١ : ٢٥٠,٠٠٠ .

الإخاء العربي ـ العثماني (جمعية ـ) :

ر : النضال الفلسطيني في العهد العثماني (١٩٠٨ ـ ١٩١٧)

الإخاء والعفاف (جمعية ــ) :

أدركت الشبيبة العربية الفلسطينية في وقت مبكر من تاريخ أمتنا المعاصر المخاطر الناجمة عن النشاط الصهيوني والهجرة الصهيونية إلى فلسطين * .

ففي عام ١٩١١ كتب سليمان التاجي الفاروقي * في جريدة القبس البيروتية يحذّر الفلسطينيين من التسلّل الصهيوني إلى فلسطين . وفي عام ١٩١٤ دعا نجيب نصار * في جريدة الكرمل * التي تصدر في حيفا الشعب العربي الفلسطيني لتشكيل " جامعة عربية " هدفها إنقاذ فلسطين عن طريق التصدي لخطر الصهيونية .

وفي حزيران ١٩١٤ كشفت صحيفة فلسطين * النقاب عن تشكيل أربع مؤسسات عربية فلسطينية هدفها الوقوف في وجه الأخطار الوشيكة التي تهدّد عروبة فلسطين . وهي الجمعية الخيرية الإسلامية ، وشركة الاقتصاد الفلسطيني العربي ، وشركة النجارة الوطنية الاقتصادية ، وجمعية الإخاء والعفاف .

تلخّصت أهداف جمعية الإخاء والعفاف في إيقاظ الروح الوطنية والقومية بين صفوف الشباب والشابات في فلسطين ، ومقاطعة الصهيونية ومحاربتها . وبدأت أول الأمر بتنفيذ أوامر أقرّها المنتدى الأدبي * . وبعد أن تعاظم دور النادي العربي * أصبحت جمعية الإخاء والعفاف جهازه التنفيذي .

عملت الجمعية على تحقيق فكرة الوحدة بين سورية وفلسطين ، رغم قلة النجربة لدى معظم الزعماء الشبان آنذاك . وبالإضافة إلى هذا قامت الجمعية بتوزيع المناشير والمحافظة على أمن الاجتماعات واللقاءات المتعددة للهيئات الشعبية وتنظيم المظاهرات ، كذلك بذلت الجمعية جهداً كبيراً في زيادة تثقيف جيل الشبان بمبادىء الوحدة العربية ، ولا سيما طلاب مدارس الرشيدية وروضة المعارف في القدس ، والنجاح في نابلس .

تزعم الجمعية الشيخ سعيد الخطيب ، وكان مرشدا وقائدا فكريا فيها . ووصفته المخابرات البريطانية بأنه رجل ذكي يعمل بهدوء .

انضم إلى الجمعية كثير من الشباب ، ولا سيما أولئك الذين كانوا في سلك الشرطة من المسلمين والمسيحيين . وعلّلت تقارير سرية دخول أعداد كبيرة من رجال الشرطة في الجمعية بأمرين : الأول تصاعد غضب أولئك على حكومة الانتداب . والثاني الخوف الذي خيّم على المنطقة من احتمال وقوع فلسطين تحت الحكم الصهيوني .

كان يخيم على جو اجتماعات الجمعية الاستعداد للتضحية ومقاومة الاحتلال حتى النهاية . وشاركت الجمعية جمعية الفدائية * ، التي كانت تعرف سابقا باسم « جمعية اليد السوداء » ، والنادي العربي والمنتدى الأدبي ، في تسليح الأعضاء بالأسلحة الخفيفة ، وإعداد قوائم بأسماء البارزين من العملاء والموالين للصهيونية من العرب ، مع جميع المعلومات المطلوبة عنهم .

ومن أعمال الجمعية أيضاً وضع الخطط للقيام بعمليات عسكرية وإعلامية ، ومنها أيضاً بث الدعاية والتوعية بين صفوف بدو شرق الأردن ، والاتصال بالضباط الفلسطينيين في عمان حتى يكونوا على أهبة الاستعداد لمعارضة أيّة سياسة موالية للصهيونية ومناهضة للوحدة مع سورية .

وحافظت الجمعية على علاقات وثيقة مع دمشق ، ومع شرق الأردن ، فكانت تأخذ الإرشادات والمعلومات والآراء من دمشق وتحصل على الأسلحة من شرق الأردن .

على صعيد آخر ، عملت الجمعية على استغلال المناسبات لتنظيم المظاهرات والأعمال الاحتجاجية . واتسم عمل الجمعية هذا بعامل المفاجأة .

ولقد كان للجمعية اليد الطولى في أحداث القدس التي بدأت بتاريخ ١٩٢٠/٤/٤ في ذكرى زيارة قبر النبي موسى . وقد استمرت الاضطرابات وأعمال العنف عدة أيام ، واشترك فيها آلاف العرب الذين احتجوا بشدة على سياسة الانتداب واستمرار الهجرة اليهودية وسلب الأراضي ، وطالبوا بالوحدة مع سورية تحت لواء الملك فيصل (ر : ثورة ١٩٢٠) .

المراجع :

ــ عبد الوهاب الكيالي : تاريخ فلسطين الحديث ، بيروت ١٩٧٣ .
ــ خيرية قاسمية : النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه ١٩٠٨ ـ ١٩١٨ ، بيروت ١٩٧٣ .

أخدوت (عملية ــ) : ر : دير ياسين (مذبحة ـ ١٩٤٨)

إخراج الفلسطينيين من ديارهم (١٩٤٨) :

قدر الصهيونيون أن إرهاب الفلسطينيين العرب وإخراجهم من ديارهم سينسيانهم حق العودة إليها ، أو أنهم سيتنازلون عن حقوقهم السياسية في بلادهم بدويانهم في البلاد العربية المجاورة . فلما أظهر الفلسطينيون كل تمسك ببلادهم وحقوقهم ، وخاب تدبير الصهيونيين ، أراد الصهيونيون تضليل الرأي العام ، فافتروا على العرب الكذب ، وقالوا إن زعماءهم أمروهم بالخروج حتى يُخلوا

الميدان للحرب بين الجيوش العربية والإسرائيليين ، وزعموا أن العرب لم يُخرَجُوا ولم يُكرهوا على الخروج .

وأول ما يلاحظ على هذا الزعم أنه لم يصدر في وقت الحوادث بل بعدها بكثير ، إذ لم يذكره الوزراء الإسرائيليون ، لا تصريحا ولا تلميحا ، عندما كان وسيط الأمم المتحدة الكونت برنادوت في خريف ١٩٤٨ يحثهم على وجوب رجوع العرب الذين أخرجوا من بيوتهم بسبب الحرب ، أي بتدبير العصابات الإرهابية أولاً ، ثم بتدبير الجيش الإسرائيلي ثانيا .

وثاني ما يلاحظ أن الدعاية الإسرائيلية لم تتمّ زعيما عربيا واحدا أصدر الأمر المزعوم ، ولم تذكر في أي تاريخ كان صدوره ، ولا من أي محطة في فلسطين أو خارجها أذيع ، ولا في أي جريدة في فلسطين أو خارجها نشر .

وثالث ما يلاحظ ان أمراً كهذا لا يمكن أن يصدر دون أن تعلم به الصحف العبرية والصحف الأجنبية ومحطات الإذاعة الصهيونية

اخراج عرب الرملة ١٩٤٨

السرية ومحطات الإذاعة الأجنبية . فلا ذكر للأمر المزعوم في الصحف العبرية ، ولا ذكر له في الصحف الأجنبية حتى تلك التي كانت ميالة إلى الصهيونيين . والواقع أن الصحف العبرية ومحطات الإذاعة الصهيونية ذكرت أوامر للزعماء العرب بالصمود لا بالخروج .

وحدث أن اهتم بالموضوع صحافي إرلندي اسمه إرسكين شلدرز عندما كان ضيفا على وزارة الخارجية الإسرائيلية ، فطلب التفصيلات ، ووعده المسؤولون في (إسرائيل) بتقديمها ، وأخلفوا وعدهم وهو بينهم ، ثم أخلفوه بعد سفره وتذكيرهم به كتابة . فدفعه ذلك إلى التحقيق ، فاكتشف أن الزعم الصهيوني لا أساس له . فراجع الصحفي المذكور سجلات هيئة الإذاعة البريطانية وسجلات وكالة الأنباء المركزية (الأمريكية) الخاصة بكل ما أذيع في اللغات العربية والعبرية والإنكليزية من فلسطين والبلاد المجاورة في سنتي ١٩٤٧ و١٩٤٨ ، وقد سجلت هذه الإذاعات يوميا في قبرص . وكانت النتيجة برهاناً آخر على اختلاق الأمر المزعوم .

وعنوان ما كتبه الصحفي الإرلندي هو « الخروج الآخر » . وهو يقصد خروج العرب من فلسطين ، بالمقابلة مع خروج الإسرائيليين القدماء من مصر . والعنوان مستمد من سفر الخروج في التوراة " . ومن المؤسف أن كثيرين من كتاب العرب ، حتى بعض الاختصاصيين قد استعملوا هذا الاصطلاح غفلة منهم أو تقليدا للأوربيين . وكان الواجب عليهم أن يقولوا « إخراج » بدلا من « خروج » ، فالأول ينطبق على ما حدث للفلسطينيين غير المحاربين بإرعابهم وإرهابهم وإخراجهم بالعنف والقوة من بيوتهم . أما الخروج فيوحي بمعنى الحرية والاختيار . لا جدال أن بعض العرب قد خرجوا من تلقاء أنفسهم ، ولكن الأكثرية الساحقة قد أخرجت كرها . أما الأولون فكانوا أقلية من الأغنياء والتجار الذين هم أقارب أو متاجر في البلاد المجاورة . وكانت بيوت هؤلاء عالبا في الأطراف بين بيوت العرب وبيوت اليهود في المدن المختلطة . فالضرر من خروج هؤلاء ظهر عند اشتداد القتال إذ اعتصم الصهيونيون في البيوت الخالية لإطلاق النار منها على الأحياء العربية المجاورة .

ولكن ما الأوامر التي أصدرها الزعماء العرب فعلا ؟ . كان الأمر الأول ما أصدرته اللجنة القومية في حيفا . فقد جاء في بيان لها : " نرجو أن يتذرع كل عربي وعربية بالثبات ، وألّا تغره الشائعات وأن يظل في مركزه وعمله ". وجاء في بيان آخر " اثبتوا في منازلكم ولا تخلوها ولا تذعنوا للتهديد " . وأهم من ذلك أمر الهيئة العربية العليا لفلسطين * ، فقد منعت الخروج حتى للأطفال في برقية مؤرخة في ١٩٤٨/٣/٣ : " هجرة الأطفال وغيرهم من فلسطين إلى دمشق وبيروت مضرّة بالمصلحة . راجعوا الجهات المختصة في دمشق وبيروت لمنعها " . وكانت الهيئة قد طلبت من الحكومات العربية عدم السماح لأي فلسطيني قادر على حمل السلاح بدخول بلادها ، ولم تستثن من ذلك إلّا الطلاب والمرضى .

هذه هي الأوامر التي ذكرتها الصحف العبرية ، وهذه هي الأوامر التي أشار إليها راديو الهاغاناه * ، دون الإشارة إلى أي أمر آخر يخالفها ، داخل فلسطين أو خارجها . وتوجد تسجيلات مرصدة متكررة لنداءات ، بل لأوامر صريحة عربية إلى سكان فلسطين بأن يبقوا في ديارهم . فقد أذاعت محطة جيش الإنقاذ * من دمشق يوم ١٩٤٨/٤/٤ أن غرض الصهيونيين هو إرهاب العرب غير المحاربين ، فهم الذين أرعبوا المدنيين بما أذاعوه من محطاتهم وما قالوه بمكبرات الصوت بوجوب إخلاء المدن والقرى من النساء والأطفال . وأذاعت محطة جيش الإنقاذ أيضاً من دمشق يوم ٢٤

نيسان حين بلغ إخراج الفلسطينيين من ديارهم حدا كبيرا : " بعض العناصر والعملاء اليهود ينشرون أخباراً انهزامية ليخلقوا الفرضى والذعر بين السكان المسالمين . وإن بعض الجبناء يتركون بيوتهم أو قراهم أو مدنهم . إن العملاء الصهيونيين والجبناء الفاسدين سوف يعاقبون بشدة " . وبرهان ذلك الأمثلة الآتية :

١) في أوائل شباط ١٩٤٨ ذهب وفد من اللجنة القومية في القدس إلى حي الطالبية ، واقترح على سكانه العرب تعيين حرس وطني للمحافظة على الأمن . وكان سكان هذا الحي وأصحاب معظم البيوت فيه من النصارى العرب (من طائفة البروتستانت) وكان فيه قليل من اليهود في بيوت عربية مستأجرة . لهذا السبب رأى السكان عدم استفزاز اليهود ، فاعتبرت الهاغاناه هذا علامة ضعف ، وعينت هي حرسها يطوف الحي ليلا ونهارا .

فلما أطلقت النار على أحدهم طانت سيارة عليها مكبر للصوت ، بعد ظهر اليوم نفسه ، تأمر بلغة عربية : " على جميع العرب في الطالبية أن يخرجوا حالاً ". فخرج معظمهم ، ولكن توسط مطران الإنكليز مع المندوب السامي فجعل الحي " منطقة سلامة " بإحاطته بأسلاك شائكة ، ووضع حرس بريطاني على مداخل الحي فلا يدخلها إلاّ من معه بطاقة رسمية .

٢) انسحب الجيش البريطاني من مدينة حيفا إلى منطقة ميناثها في ٢١/٤/١٩٤٨ .. ويذكر مناحيم بيغن في كتابه « الثورة » ما قاله مراسل حربي يهودي هو آرثر كوستلر الذي كان في المدينة بعد ذلك بشهر ، إن الهاغاناه بدأت حرب الأعصاب تمهيداً للهجوم العسكري ، فأخذت مكبرات الصوت تخوف العرب غير المحاربين من أهوال الحرب ، وتحثهم على أن يخرجوا نساءهم وأطفالهم من المدينة ، بل تعدهم بسلامة المرور من المنطقة اليهودية إلى بلد عربي يختارونه ، ثم تنذرهم بسوء المصير إذا هم لم يقبلوا " النصيحة " .

٣) عندما اشتد هجوم عصابة الإرغون * في حي المنشية في يافا من جهة تل أبيب في ٢٨ نيسان ، وهجوم الهاغاناه على الأحياء المتطرفة من جهة الجنوب ، سمع السكان غير المحاربين إذاعات من رادیو الهاغاناه وغيره تخبرهم بما حل بحيفا وغيرها من المدن والقرى . ويقول قائد الإرغون بيغن (الذي أصبح فيما بعد رئيس وزراء إسرائيل) إن العرب هربوا من بيوتهم في الجهاد الميناء وهم يصيحون : " دير ياسين " .

٤) شهد صحاق يهودي انتهاء الانتداب البريطاني في القدس وإعلان (دولة إسرائيل) ، فسجل في مذكراته في يوم ١٥/٥/١٩٤٨ أن مكبرات الصوت كانت تنذر السكان المدنيين باللغة العربية بوجوب الخروج من المدينة حالا على الطريق إلى أريحا . ومن تلك الإنذارات " أشفقوا على نسائكم وأطفالكم وأخرجوا من هذه المعمعة الدموية" . أما المسلحون فطلب منهم أن يسلموا سلاحهم أو أن يهربوا على الطريق إلى أريحا "أما إذا بقيتم فستجلبون المصيبة إلى أنفسكم " .

هذه بعض الشواهد على ما فعله الصهيونيون بالعرب من أجل إخراجهم من وطنهم . إلا أن العامل الأكبر والأهم في اغتصاب فلسطين وطرد العرب من ديارهم كان الإرهاب الذي مارسه الصهيونيون على شكل عمليات متنوعة وعديدة ، قصدوا من ورائها إجبار العرب على الهرب بأرواحهم وأنفسهم من القتل والإبادة (ر : الإرهاب الصهيوني) . وليست العمليات الإرهابية التالية التي جرت جميعها قبل إعلان قيام (إسرائيل) سوى بعض ما اقترفه الصهيونيون لتحقيق غرضهم :

ففي ١٩/١٢/١٩٤٧ هاجمت الهاغاناه قرية الخصاص * في شمال فلسطين ، وقتلت عشرة من سكانها العرب .

وفي ٢٩/١٢/١٩٤٧ ألقت عصابة إرغون برميلاً مملوءاً بالمتفجرات عند باب العامود بالقدس فقتل ١٤ عربياً وجرح ٢٧ ، وفي اليوم التالي رمت عصابة إرغون من سيارة مسرعة في القدس قنبلة انفجرت فقتلت ١١ عربياً وبريطانيين اثنين .

وفي ٣١/١٢/١٩٤٧ هاجمت الهاغاناه قرية بلد الشيخ * على سفح جبل الكرمل * وقتلت ١٧ عربياً وجرحت ٣٣ .

في ٤/١/١٩٤٨ وضعت عصابة إرغون سيارة مملوءة بالمتفجرات بجانب السراي القديمة في يافا فهدمتها وما جاورها وقتلت ٢٠ عربياً وجرحت ٩٨ . وبتاريخ ٥/١/١٩٤٨ هدمت الهاغاناه بالمتفجرات فندق سمبراميس في حي القطمون بالقدس فقتل ١٨ عربياً وعربية وجرح عشرون . وبدأ بعد ذلك نزوح سكان الحي لقربه من الأحياء اليهودية . وفي ٧/١/١٩٤٨ قتل ١٨ عربياً وجرح ٤١ بقنابل رمتها عصابة إرغون في أماكن مختلفة . وفي ١٦ كانون الثاني دخل صهيونيون متخفون بلباس الجنود الإنكليز مخزناً بقرب عمارة المغربي في شارع صلاح الدين في حيفا بحجة التفتيش ، ووضعوا فيه قنبلة موقوتة انفجرت فهدمت العمارة وما جاورها ، وقتلت ٣١ من الرجال والنساء والأطفال وجرحت ضعف هذا العدد . وفي يوم ٢٨ كانون الثاني دحرج صهيونيون من حي الهادار المرتفع على شارع عباس العربي في أسفل المنحدر برميلاً مملوءاً بالمتفجرات فهدم البيوت على من فيها ، وقتل عشرون شخصاً وجرح نحو خمسين .

وفي ١٤/٢/١٩٤٨ هاجمت الهاغاناه قرية سعسع * في الجليل وقتلت ١١ عربياً ، وفي ٢٠/٢/١٩٤٨ سرقت عصابة شتيرن (ليحي *) سيارة جيش بريطانية وملأتها بالمتفجرات ، ثم

وضعتها أمام بناية السلام في القدس فقتلت ١٤ عربياً وجرحت ٢٦ .

وفي ١٩٤٨/٣/١٣ هاجمت الهاغاناه قرية الحسينية * في الجليل فهدمت بيوتها بالمتفجرات وقتلت أكثر من ثلاثين عربياً . وبتاريخ ١٩٤٨/٣/٢١ فجر الصهيونيون ألغاما تحت قطار إلى الجنوب من حيفا فقتلوا أربعين عربياً وجرحوا كثيرين .

وفي ١٩٤٨/٤/٩ نفذ الصهيونيون مذبحة دير ياسين * . وفي اليوم التالي هاجمت الهاغاناه قرية ناصر الدين * من أعمال طبرية وأحرقتها ، وقتلت معظم سكانها وأخرجت الباقين تمهيداً للهجوم على مدينة طبرية (ر : ناصر الدين ، مذبحة) .

كما هاجمت في اليوم نفسه قرية قالونيا * بين القسطل * والقدس وأحرقتها . وبتاريخ ١٩٤٨/٤/١٣ هاجمت الهاغاناه قرية اللجون * من أعمال جنين وقتلت ١٣ عربياً . كما هاجمت في ١٩٤٨/٤/١٦ قرية ساريس * على الطريق إلى القدس ، وهدمت معظم بيوتها ، وطردت سكانها ، واحتلت في ١٩٤٨/٤/١٩ مدينة طبرية " وسهّل " الجيش البريطاني ترحيل العرب (ر : طبرية ، معركة) .

وقد بلغ عدد العرب غير المحاربين الذين أخرجوا من ديارهم بين ١٧٥ ألفاً و٢٠٠ ألف من الرجال والنساء والأطفال .

هذا بعض ما فعله الصهيونيون حتى ١٩٤٨/٥/١٥ . أما بعد ذلك فقد تصرف الجيش الإسرائيلي كما تصرفت العصابات الإرهابية نحو غير المحاربين من المدنيين . ففي الحادي عشر والثاني عشر من تموز ١٩٤٨ هاجم الجيش الإسرائيلي مدينتي اللد والرملة ، ولم يكن فيهما جيش عربي (أردني أو عراقي أو مصري) ، فكان احتلالهما يسيرا . وحالاً أذاع الجيش الإسرائيلي بمكبرات الصوت يأمر السكان بالخروج من منازلهم " للتفتيش " ، فكان هذا " تشليحاً " ونهباً للدراهم والحلي والساعات وأقلام الحبر . بعد ذلك استولى الجيش على وسائل النقل ، وأمر الناس بالمشي في شهر رمضان وحر تموز نحو الشرق إلى رام الله (ر : اللد والرملة ، معركة) . ونكتفي هنا بالإشارة إلى ما كتبه اسحق رابين رئيس وزراء (إسرائيل) السابق ، وقائد لواء « هاريل » في حرب ١٩٤٨ * الذي احتل اللد والرملة . فقد كتب هذا في مخطوطة مذكراته التي نشرت عام ١٩٧٩ أن بن غوريون أمره وييغال آلون بطرد سكان اللد والرملة البالغ عددهم خمسين ألف عربي من بيوتهم وتهجيرهم . واستعمل الإسرائيليون القوة والإرهاب لتحقيق غرضهم . وكانت عملية اقتلاع الفلسطينيين من ديارهم عسيرة ومأسوية ، حتى أن بعض الجنود رفضوا الاشتراك في العملية . وقد اضطرت القيادة الإسرائيلية فيما بعد ، حسب اعتراف رابين، إلى بذل جهود ونشاطات دعائية مستمرة " من أجل إزالة المرارة من نفوس هؤلاء الشبان ، ومن أجل شرح الأسباب التي أجبرتنا على القيام بمثل هذا العمل القاسي الوحشي " كما ورد في مخطوطة رابين . غير أن الحكومة الإسرائيلية رفضت الموافقة على نشر رواية رابين هذه بشأن اللد والرملة . وقد نشرت جريدة نيويورك تايمز الأميركية في عددها الصادر في ١٩٧٩/١٠/٢٣ النص الكامل للمقطع المحذوف .

ولعل المرء يتساءل : هل كان نجاح الصهيونيين ممكنا دون الالتجاء إلى إرهاب المدنيين وإخراجهم ؟ كيف نجحوا في خمسة أسابيع حيث أخفق الإنكليز في سنين ؟ ما الذي قصم ظهر العرب ؟ لا بد من الصراحة عبرة للمستقبل ، فالشعب العربي الفلسطيني أظهر من الشجاعة والتضحية في حرب الصهيونيين ما أظهره في حرب الإنكليز ، وقد شهد له حتى الأعداء أنه حارب حرب المستميت في القدس ويافا وحيفا ، من شارع إلى شارع بل من بيت إلى بيت ، وأن أهل القرى ، على قلة سلاحهم وتدريبهم ، نجحوا حتى شهر نيسان ١٩٤٨ في التغلب على الصهيونيين في كل معركة . ولكن الشعب العربي الفلسطيني ، والحق يقال ، قد زُج في حرب لم يستعد الزعماء لها ، ولم يُعدوا لها السلاح اللازم ، كما أنهم استهانوا بقوة العدو جهلاً ، ولم يتعلموا من الأمر الواقع أثناء المعركة . وأفظع تقصير هو عدم إعلان التجنيد العام كما فعل الصهيونيون ، وعدم إقامة قيادة موحدة عندها ما يلزم من الجنود والسلاح ، والاعتماد على المتطوعين الذين كان ينقصهم التدريب العسكري كما كان ينقصهم السلاح . وأعظم نقص في الاستعداد للحرب كان ترك المدن والقرى ، وخاصة المجاورة للمستعمرات والأحياء اليهودية ، دون حرس وطني له سلاحه وقيادته . وقد قصرت جامعة الدول العربية كما قصر زعماء فلسطين ، في تسليح الشعب قبل المعركة وأثناءها أيضاً .

المراجع :

— عارف العارف : النكبة ، بيروت ١٩٥٦ .

— The Economist, August 21, 1948.

— Erskine B. Childers: The Spectater, May 12, 1961.

— Menahem Begin: The Revolt, London 1951.

الإخشيديون : ر : العصر العباسي

الأخلاط : ر : الآراميون

الأخمينيون :

شعب آري هاجر إلى إيران في بداية الألف الأول قبل الميلاد من

منطقة تقع بالقرب من بحيرة « أورميا » عرفت باسم « بارسوا *Parsua* » ، الذي حرّف إلى « فارس » وأطلق على المنطقة التي استقر فيها الأخمينيون في جنوب غربي إيران . ويعتقد أنهم لقّبوا بالأخمينيين نسبة إلى « حاخاميش » الذي تنسب إليه التقاليد تأسيس مملكتهم التي خضعت في بداية تاريخها للدولة العيلامية المجاورة ، ثم للدولة الميدية المجاورة من ناحية الشمال . وفي سنة ٥٥٩ق.م. تولى العرش كورش الثاني الذي تحولت الدولة في عهده إلى إمبراطورية عظيمة ، بعد أن قضى على الدولة الميدية وبسط نفوذه على منطقة تمتد من الأناضول إلى الهند ، وتشمل العراق وسورية وفلسطين . واتسعت الإمبراطورية في عهد قمبيز ودارا الأول ، فشملت مصر ، وكادت تضم إليها اليونان . وفي عهد أحشويرش الأول أوقع اليونانيون هزيمة نكراء بالأسطول الفارسي في معركة سلاميس (٤٨٠ق.م.) التي كانت من المعارك الفاصلة بين الفرس واليونانيين، ووضعت حدّاً للمطامع الفارسية في اليونان . وقد عملت الحروب مع اليونان على إضعاف الدولة الأخمينية ، وجرّأت الشعوب الأخرى على القيام بالثورة عليها ، وبدأت الدولة بالانهيار التدريجي مما سهّل سقوطها على يد الإسكندر المقدوني سنة ٣٣٠ ق.م.

بالغت المصادر اليهودية كثيراً في امتداح الأخمينيين والدعاية لهم ، وذلك لأن كورش سمح لليهود بالعودة من بابل إلى فلسطين وإعادة بناء هيكلهم الذي دمّره نبوخذ نصر (رَ : السبي البابلي) وبرع الأخمينيون في تنظيماتهم الإدارية وامتازوا بقدرتهم على الاقتباس من حضارات الشعوب الأخرى . وقد اقتبسوا في بداية تاريخهم الخط المسماري ، ثم بنّوا الخط الهجائي الآرامي ، وأصبحت اللغة الآرامية في عهدهم لغة السياسة والتجارة ، وازدهرت التجارة بفضل عنايتهم بالطرق السريعة واستعمال المسكوكات . انتشرت في عهد الأخمينيين الديانة الزرادشتية التي فيها شيء من ملامح الديانات الموحّدة . أما ديانتهم الأولى التي ظلّت قائمة إلى جانب الزرادشتية فقد كانت وثنية تعبد فيها قوى الطبيعة المختلفة .

المراجع :

— Ghirshman, R.: **Iran, From the Earliest Times to the Islamic Conquest**, London 1964.

— Fry, R. N.: **The Heritage of Persia**, 2nd ed London 1976.

— Cameron, G.: **History of Early Iran**, Chicago 1936.

أخناتون :

ملك مصر ، تولى عرش الفراعنة " من ١٣٧٩ - ١٣٦٢ ق.م.

بعد والده أمنحتب الثالث ، وسمّي امنحتب الرابع . وهو من أغرب الشخصيات التاريخية ، تضاربت الآراء حوله ، فعدّه بعض الباحثين رجلاً مثالياً نبيلاً ، وواحداً من كبار المصلحين الدينيين ، وداعية إلى الوحدانية . في حين قال عنه آخرون إنه شاذ منحرف متعصّب أدت محاولاته فرض عقيدة جديدة إلى كارثة .

أقدم بعد تتويجه على بناء معبد جديد للإله آتون في طيبة إلى جوار معبد آمون إله العاصمة . ثم غيّر اسمه في العام الرابع إلى أخناتون ، أي الذي يخدم آتون . وقد حارب كهنة آمون هذا الانقلاب الديني . فانتقل الملك إلى عاصمة جديدة بناها ، وسمّاها « آخت ـ آتون » أي : أفق آتون ، وعرف مكانها فيما بعد باسم تل العمارنة (رَ : مجدو) .

كان أخناتون يريد التحرر من سيطرة كهّان آمون الذين تفشّى الفساد فيهم ، وسعى للقضاء على عبادة آمون . وكانت عبادة آتون التي دعا لها تطوراً لعبادة الشمس التي شاعت في البلاد . وقد أعلن هذا الملك آتون إلهاً عالمياً ، وأكد أنه الإله الوحيد . وكانت الصورة التي ترمز اليه هي قرص الشمس الذي تنبثق منه أشعة تنتهي إلى ما يشبه الأيدي البشرية . وكان هذا الإله يعبد في أمكنة مكشوفة في الهواء الطلق تنيرها أشعة الشمس ، لا في الزوايا المظلمة الخفية .

وفي الحقيقة لم تكن عبادة آتون من اختراع أخناتون ، فقد ظهرت منذ عهد تحتمس الرابع ، في الفترة التي تعرّضت فيها مصر للمؤثرات الآسيوية ، وكانت أحوالها قد تبدّلت « بعد فتوحات السلالة الثامنة عشرة ، وتكوين الامبراطورية الحديثة ، إذ كثر عدد الأجانب الذين سكنوا مصر ، كما انتقل العديد من الضباط والجنود المصريين إلى البلاد الأجنبية ، لا سيما إلى فلسطين وسورية حيث شيّدت معابد للآلهة المصرية مثلما دخلت إلى مصر عبادة بعض الآلهة الأجنبية . . . » .

لم يكتب لديانة آتون النجاح والبقاء ، وقضي عليها بعد موت أخناتون . ولا شك أن هذا الملك لم يحسن الدعوة لمعتقده ، فقد كان متطرفاً بعيداً عن الاعتدال والأناة ، فأتاح الفرصة لكهنة آمون ليثيروا الرأي العام ضد هذه العقيدة .

ويتهم بعض المؤرخين أخناتون بالانهماك في التأملات الدينية والتخيلات المستمرة إلى حدّ أهمل معه شؤون الدولة ومصالح الإمبراطورية في فلسطين وسورية ، فثار الأمراء المحليون ، وأخذوا يتآمرون ويتعاونون مع الحثيين (رَ : الحثيون) . ومهما كان الأمر ، فقد كان لحكم أخناتون تأثير كبير في تطور الأوضاع السياسية في فلسطين ، لأن أمراءها المحليين فقدوا الأمل في مساعدة مصر لهم ، فانصرفوا إلى الثورة والتعاون مع خصوم المصريين .

وقد كان لتعاليم أخناتون في الوحدانية ومحبة الطبيعة وتقليدها

في الأعمال الفنية دور في توجيه المعتقدات الدينية والنزعات الفكرية والأدبية لدى سكان فلسطين ، وإن كان الإتيان بشواهد على ذلك أمراً صعباً .

المراجع :

— عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، القاهرة ١٩٦٦ .
— Gardiner, A.: **Egyptian Grammar**, London 1950.
— Vandier et Drioton: **L'Egypte**, Paris 1952.

الأخوية الكرملية :

ينتسب الكرمليون إلى جبل الكرمل * الذي اشتهر بتردد النبي إيليا والنبي اليشع عليه في القرن التاسع قبل الميلاد . هناك نزل النساك المسيحيون منذ القرن السادس الميلادي ، وأقام الرهبان في مختلف الأديار . ثم إن القديس بوركارد ، وليد القدس ، أسس في أحد هذه الأديار ، نحو أواخر القرن الثاني عشر الميلادي ، رهبانية الكرمليين (ر : الرهبانيات) . وقد وضع لهم القديس ألبرتس ، بطريرك القدس ، سنة ١٢٠٨ ـ ١٢٠٩م ، قانوناً يسيرون عليه في عكوفهم على الصلاة والعمل والدرس في خطى النبي إلياس وإكراماً لمريم العذراء * . وتوالى البابوات في الموافقة على هذا القانون مع إجراء بعض التعديلات .

وبعد سنة ١٢٣٨م ، انتقلت الرهبانية إلى رومة حيث أسس فرع للنساء عام ١٤٠٠م . وانتشرت الرهبانية حول البحر المتوسط ، وفي سائر الأرض . ومنذ عام ١٥٦٢م قامت القديسة الإسبانية تريزيا الأبيلية (١٥١٥ ـ ١٥٨٢م) والقديس يوحنا الصليبي ، وهو إسباني أيضاً ، بإصلاح جذري للرهبانية .

وللرهبانية النسائية اليوم ما لا يقل عن ٦٠٠ دير محصّن في العالم يقطع أهلها إلى الحياة الصوفية . وقد نشأ إلى جانب هذه الأديار فروع نسائية أخرى تستلهم مسيرتها من روحانية الكرمل ، وتُعنى بالمدارس والمستشفيات والأعمال الخيرية .

وللرهبان الكرمليين أديار في الشرق منذ القرن السابع عشر ، في حلب ، وبغداد ، وماردين ، وحيفا * ، وبشرّي ، وطرابلس ، والقيّات (لبنان) . أما عودتهم إلى الكرمل فكانت سنة ١٦٣١م .

وللكرمليات المحصنات أربعة أديار في فلسطين : في القدس * (منذ سنة ١٨٧٤) ، وبيت لحم * (١٨٧٥) ، وحيفا (١٨٩٢) ، والناصرة * (١٩١٠) .

وقد عمل أحد قديسي الرهبانية ، ويدعى سيمون ستوك ، في منتصف القرن الثالث عشر على نشر ما يسمى بثوب الكرمل ، غرضه أن يحظى لابسوه بحماية مريم العذراء الخصوصية .

المراجع :

— **Catholicisme**, V.11, Paris 1949.
— **Dictionnaire de Spiritualité**, V.II, Paris 1963.
— **Encicl. Cattolica**, V.III, Roma 1949.
— Hoade, A.: **Guide to the Holy Land**, Jerusalem 1979.

الإدارة :

أ ـ مقدمة : كانت سورية عامة ، وفلسطين خاصة ، تتألف في العصور القديمة من جماعات صغيرة من ممالك ـ مدن مستقلة ، سواء في عهد العموريين * أو الكنعانيين * . ولم تتبدل الأوضاع بعد استيلاء الحثيين * والمصريين (ر : الفراعنة) على أجزاء كبيرة من هذه البلاد التي كانوا يسيطرون عليها عسكرياً من مراكز حصينة ويتركون إدارة شؤونها الداخلية لحكام محليين تابعين لهم .

وقد ظلّت هذه البلاد مقسمة إلى دويلات صغيرة في عهد الآراميين والعبرانيين . وكذلك كان الأمر في عهد الأشوريين (ر : أشور) والكلدانيين الذي لم تنقطع فيه الحروب والثورات .

ب ـ التقسيمات الإدارية في عهد الفرس والرومان والبيزنطيين :

١) أيام الفرس (القرن ٦ ـ ٥ ق.م.) : تحت سورية ، وفلسطين ضمنها ، بفترة من السلام والازدهار تحت الحكم الفارسي (ر : البارثيون) بفضل الإصلاحات التي قام بها « داريوس * » . فقد دمج هذا الملك الكبير كل سورية وفلسطين وقبرص في ولاية واحدة ، هي الخامسة بين ولايات المملكة . وقد أطلق عليها اسم « عبر نهرا = ما وراء النهر » أي البلاد الواقعة غربي نهر الفرات ، وجعل دمشق عاصمة لها وقسمها إلى ألوية أو « مرزبانات » . وقد منح هذه المقاطعات والمناطق قسطاً من الحكم الذاتي ـ المحلي مع إخضاعها إلى مراقبة مركزية ، فكان يحرص على تعيين حكّام من أهل البلاد ، ولكنه كان يرفقهم بمستشارين ، ويكثر من إرسال المفتشين الفرس للإشراف على الحالة . ويرجح الفضل إلى « داريوس » في إنشاء شبكة ممتازة من الطرق لتسهيل الحركة التجارية ، وفي وضع القوانين الحقوقية والأنظمة النقدية اللازمة . وتدل الأخبار المأثورة على أن الإمبراطورية الأخينية كانت تفوق كل الدول القديمة في حسن الإدارة وانتظام الحكم ، ولذلك لم تحدث أية ثورات في البلاد ضد الفرس خلال القرنين السادس والخامس قبل الميلاد (ر : الأخينيون) .

أما التقسيمات الإدارية من ألوية ومقاطعات في سورية وفلسطين فكانت كما يلي :

(١) حاة	(٢) أرواد	(٣) طرابلس	(٤) جبيل
(٥) ماسياس	(٦) صيدا	(٧) صور	(٨) دمشق
(٩) حوران	(١٠) نوناييم	(١١) الخليل	(١٢) جلعاد
(١٣) السامرة	(١٤) دور	(١٥) عمون	(١٦) مآب
(١٧) يهودا	(١٨) إيدومايا	(١٩) أسدود	(٢٠) القب

(٢١) الحديقة الملكية (للصيد) .

٢) العهد الهلنستي : بعد الإسكندر المقدوني * احتدمت الخلافات بين خلفائه البطالمة * والسلوقيين * في مصر وسورية وفلسطين فأصبحت هذه البلاد مسرحاً للحروب باستمرار . على أن أهمية هذا العهد ترجع إلى انتشار الحضارة الهلنستية خلاله ، فقد تأسس عدد كبير من المدن اليونانية الجديدة ، وانقلب كثير من المدن القديمة إلى مراكز ثقافية يونانية . وكانت كل واحدة من هذه المدن ، أو كلّ مجموعة متحالفة منها تؤلف دويلة مستقلة ، مثل تحالف المدن العشر (ديكابوليس *) أو مدن بيلا ، واليوثيروبوليس (بيت جبرين) ، وجرش ، وبطلمايس (عكا) ، وفيلادلفيا (عمّان) ، وسكيثوبوليس (بيسان) ، ونيابوليس (نابلس) .

وقد اتخذ السلوقيون مدينة أنطاكية عاصمة لسورية وفلسطين وتجلّت النزعة الاستقلالية لدى الجماعات المحلية أيضاً ، فقام اليهود بالثورة بزعامة « المكابيين » ، وأخذوا يحاربون أنصار الحضارة الهلنستية من اليهود وسائر السكان من غير اليهود مثل الأدوميين * والبطوريين * .

وفي الوقت نفسه برز الأنباط * العرب الذين انتزعوا « سورية المجوفة » من أيدي السلوقيين حوالي سنة ٨٥ ق.م. وفرضوا حمايتهم على دمشق مدة من الزمن .

٣) في أيام الرومان : استمرت الحضارة الهلنستية في سورية وفلسطين بعد استيلاء الرومان على البلاد في سنة ٦٤ ق. م. إذ أصبحت (ولاية إمبراطورية) تابعة للإمبراطور نفسه يعهد بإدارتها إلى نائب عنه برتبة قنصل ، وتحت إمرته قوة عسكرية مؤلفة من أربع فرق ، وتساعده هيئة من الموظفين تعنى خاصة بجباية الضرائب (ر: العصر الروماني) .

كذلك احتفظت الجماعات المحلية في عهد الرومان بنظام الحكم الذاتي ، فكان هناك آراميون يسيطرون على شؤونهم الداخلية ، وكان هناك أعراب بدو يخضعون لنظام قبلي ، في حين كان لليهود رئيس طائفة تعينه الطبقات الأرستقراطية .

وقد اهتم الرومان بتأمين حدود سورية وفلسطين وحمايتها من هجمات الفرس وغزوات القبائل البدوية . فأنشأ الإمبراطور

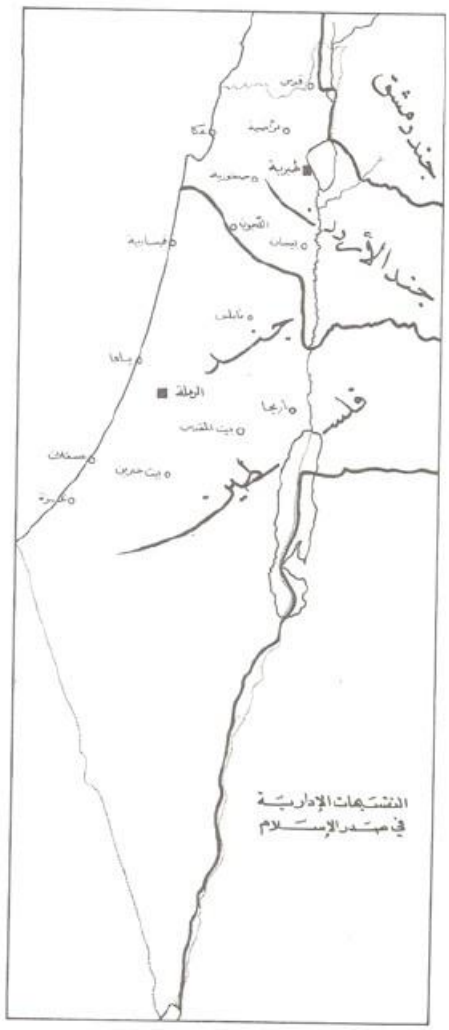

« تراجان » في سنة ١٠٥ م « الولاية العربية » التي تضم البتراء * وفلسطين وسورية ، وأقام سلسلة من المراكز الحصينة على طول حدود الصحراء ، ورصف الطريق العسكرية التي تربط مدن دجلة

والفرات بمدن البحر المتوسط مروراً بتدمر ، ثم تمتد من دمشق إلى حوران (جلعاد) ، ومنها إلى مآب حتى تتصل بطريق القوافل إلى الجزيرة العربية .

٤) في العهد البيزنطي : كانت سورية في العهد البيزنطي (رَ : البيزنطيين) تقسم إلى عدة مقاطعات هي :

(١) ولاية سورية الأولى ، ومركزها أنطاكية ، وتتبعها مدن سلوقية وولاية اللاذقية وجبلة .

(٢) سورية الثانية ، ومركزها أفامية ، ومن مدنها ابيفانية (حماة) واريتوزة (الرستن) ولاريسة (شيزر) .

(٣) فينيقية الأولى ، ومركزها صور ومن مدنها بطلمايس (عكا) وصيدا وبيروت وجبيل وطرابلس .

(٤) فينيقية الثانية ، ومركزها حمص ، وتضم مدن دمشق وهليوبوليس (بعلبك) وتدمر .

(٥) فلسطين ، وقد قسمت أجزاء ثلاثة :

ـ فلسطين الأولى ، ومركزها قيسارية " ، ومن مدنها أورشليم ونيابوليس (نابلس) وجوبا (يافا) ، وغزة " ، وعسقلان .

ـ فلسطين الثانية ، ومركزها سيكثوبوليس (بيسان) ، ومن مدنها جدرة ، وطبرية " .

ـ فلسطين الثالثة المؤلفة من الولاية العربية ومركزها البتراء .

وكانت هناك في مناطق الحدود وحدات عسكرية سميت « البنود *Thema* » أنشأها « هرقل » لتستوطن البلاد وتؤلف جيشاً شعبياً دائماً .

هذه الأوضاع كلها تغيرت بعد الفتح الإسلامي وتقسيم البلاد إلى أجناد حسب مقتضيات الحركات العسكرية في بادىء الأمر .

جـ ـ التقسيمات الإدارية في العهد الإسلامي : يرتبط ظهور التقسيمات الإدارية في دولة الإسلام بعصر الفتوح ، فقد اتسعت رقعة الدولة بعد أن انضمت إليها أقطار وبلدان قبلت سيادة الدولة الإسلامية نتيجة أعمال عسكرية ، أو بتوقيعها على معاهدات صلح وولاء . وفي عهد الخليفة عمر بن الخطاب " بلغت الفتوحات أوجها ، فأوجد عمر ما سمي بالأمصار ، وهي الأقسام الإدارية التي اتسمت بالطابع العسكري ، والتي بلغ عددها وفق ما ذهب إليه معظم المؤرخين سبعة ، ولكنهم اختلفوا في تسميتها . وكانت الشام بين أمصار الدولة السبعة زمن ابن الخطاب ، وفلسطين جزء منها . ويبدو أن استعمال كلمة « مصر » زمن الخليفة عمر كان مقتصراً على الأماكن السبعة التي اتخذها العرب قواعد عسكرية يقومون منها بحملاتهم الحربية وفتوحهم ، وجعلوها مراكز لإدارة البلاد والأقاليم التي يفتحونها . وقد غلب الطابع العسكري على هذه الأمصار طوال القرن الهجري الأول . وكانت الأمصار ، على سعة رقعتها الإدارية ، تتبع الخلفاء الذين كانوا يقيمون في المدينة المنورة أولاً ، ثم في دمشق بعد ذلك ، وتخضع للطابعين التشريعي والإداري .

لمّا آل أمر الدولة إلى بني أمية كانت الشام من أهم أمصار دولة الإسلام . وكانت الشام في عرفهم المصر الذي يعدّه بحر الروم من الغرب ، والبادية الممتدة من أيلة إلى الفرات شرقاً ، وآخر حدودها مما يلي مصر رفح " ، ومما يلي الروم الثغور . وبهذا التعريف تكون فلسطين ضمن مِصْر الشام (رَ : العصر الأموي) .

وهذا التعريف للشام ، ويضمنها فلسطين ، متفق عليه بين الجغرافيين العرب قاطبة ، وما كان من خلاف بين هؤلاء الجغرافيين يتعلق فقط بموضوع الثغور ، التي اصطلح على تسمية بعضها باسم ثغور الشام ، وبعضها الآخر ثغور الفرات ، مما لا علاقة له بهذا البحث .

ويرتكز هذا التحديد الجغرافي الإسلامي للشام ، ويضمنها فلسطين ، على ما كانت عليه الحال إبّان الحكم البيزنطي لسورية قبل الفتح . وحين آل الأمر إلى المسلمين جعلتهم حاجات الفتح والإدارة يغيّرون في التقسيمات بما يتناسب مع مراحل الفتح أولاً ، ثم مع حاجات الدولة الطارئة بعد ذلك . ففي المصادر مثلاً ما يشير إلى أن عمر بن الخطاب في مراحل الفتح الأولى وقبل أن تستسلم له القدس " قسّم فلسطين إلى نصفين : نصف مع أهل إيلياء ، ونصف مع أهل الرملة ، وعيّن على كل نصف حاكماً يصرف شؤونه الإدارية والعسكرية والمالية .

وبعد أن مضت عملية الفتح قدماً وجد عمر بن الخطاب أن طبيعة البلاد والضرورات الإدارية والعسكرية ، بالإضافة الى انتشار القبائل وتنظيم نزوحها ، توجب تقسيم الشام إلى أقسام إدارية وعسكرية أصغر دعاها « الأجناد » . وكانت أجناد الشام زمن عمر أربعة هي : حمص ودمشق والأردن وفلسطين . وقد استقرت في هذه الأجناد فرق من الجيش الإسلامي لحمايتها . وفي نظام الأجناد هذا شبه كبير بنظام البنود البيزنطي . وقد أشار المسعودي إلى هذا التشابه بين البنود البيزنطية والأجناد الإسلامية فقال : " أرض الروم واسعة في الطول والعرض ، آخذة في الشمال بين المشرق والمغرب ، مقسومة في قديم الزمن على أربعة عشر قسماً مفردة تسمى البنود ، كما يقال أجناد الشام ، كجند فلسطين وجند الأردن وجند حمص ، غير أن بنود الروم أوسع من هذه الأجناد " .

وطبيعي أن عمر بن الخطاب لم يقسم الشام إلى هذه الأجناد لأنها كانت كذلك زمن الروم البيزنطيين ولكن لأن الضرورات العسكرية هي التي أوجبت هذا التقسيم . كذلك يلاحظ أن كل مراكز الأجناد في العصر الإسلامي كانت من المدن الداخلية كحمص ودمشق وطبرية واللد " ، في حين كانت أهم مراكز الأجناد إبّان

احكم البيزنطي هي المدن الساحلية كأنطاكية وصور وقيسارية ، وذلك لأن العرب كانوا يعتمدون على القوات البرية في حين أن البيزنطيين كانوا يعتمدون في دفاعهم على الأسطول أكثر من القوات البرية .

وفي العصر الأموي * انقسمت الشام إلى خمسة أجناد هي : جند دمشق وجند حمص وجند فلسطين وجند الأردن وجند قنسرين .

أما جند فلسطين فكان على ما يذكر الإصطخري في « المسالك والممالك» أول أجناد الشام مما يلي المغرب ، وبينه وبين جند الأردن ثلاث مراحل ، وكانت قصبته مدينة اللد * ولم تزل على هذا الشأن إلى أن ولّى الوليد بن عبد الملك * أخاه سليمان * جند فلسطين . . فاحدث مدينة الرملة * ومصّرها واختط مسجدها . . فصارت القصبة ، وخربت اللد * . ومن كور فلسطين إيلياء ، وهي بيت المقدس ، وكورة اللد ، ونابلس *، وعمواس * ، وسبسطية * وبيت جبرين * . أما مدن فلسطين الساحلية فهي قيسارية وهي مدينة الساحل وكانت من أمنع مدن فلسطين ، وهي آخر ما افتتح من مدن البلد ، افتتحها معاوية بن أبي سفيان * في خلافة عمر بن الخطاب ، ويافا * وعسقلان وغزة * . ويذكر صاحب « الأعلاق الخطيرة » ان عسقلان لم تزل في يد من يلي فلسطين إلى أن صارت في أيدي المصريين . ويعتبر الجغرافيون العرب مدينة نابلس من أقدم مدن فلسطين ، وفيها الجبلان المقدسان ، وبها أخلاط من العرب والعجم والسامرة . وآخر مدينة من مدن فلسطين مما يلي جفار مصر مدينة غزة التي بها قبر هاشم بن عبد مناف . وأهل جند فلسطين عموماً أخلاط من العرب من لخم * وجذام * وعاملة * وكندة * وقيس * وكنانة .

وقد استمرت فلسطين جنداً مستقلاً من أجناد بلاد الشام حتى كانت خلافة بني العباس الذين لم يغيروا التنظيم الإداري الذي وجدوا عليه فلسطين قبلهم في العصر الأموي . وكل ما في الأمر أن كلمة الجند التي كانت تستعمل لتقسيمات الشام الإدارية تحولت بالتدريج إلى كلمة « ولاية » . وكانت فلسطين تتبع ولاية الشام في مطلع الحكم العباسي ، ثم ما لبثت بعد عهد أبي العباس السفاح أن سلخت عنها ، وجعلت ولاية مستقلة مركزها الرملة ، وتمتد من اللجون حتى رفح ، وتنقسم إلى اثنتي عشرة كورة ، هي الرملة ، وإيلياء - عمواس ، ولد * ، ويبنى * ، ويافا ، وقيسارية ، ونابلس ، وسبسطية ، وعسقلان غزة ، وبيت جبرين . أما ولاية الأردن فمركزها طبرية وتمتد من صور رعكا إلى البلقاء حتى أيلة على خليج العقبة * ، وفيها ثلاث عشرة كورة هي طبرية والسامرة وبيسان * وفحل وحرش وبيت راس وجدر وآبل وسوسية رصفورية وعكا وقدس وصور .

ويمكن القول إن بلاد الشام لم تجمع خلال دولة بني العباس تحت حكم وال واحد إلاّ في القليل النادر ، وكان يعين في أغلب الأحيان وال لكل جند من أجنادها . ومن بينها فلسطين (رَ : العصر العباسي) . وكان في أحيان كثيرة يجمع لوال واحد إدارة أكثر من جند . ومما يؤكد أن أجناد الشام وكورها وقصباتها لم تجمع لوال واحد زمن بني العباس ، أو من حكم باسمهم فيما بعد ، أن المصادر حين تتحدث عن موارد الدولة تتحدث عن ارتفاقات كل قصبة على حدة مما يدل على استقلال إدارتها .

وقد جرت في بلاد الشام بعامة ، وفي فلسطين بخاصة ، خلال العصر العباسي * ، عمليات نقل سكان أكثر من مرّة ، وذلك بسبب الثورات التي كانت تشب فيها . وفي إحدى هذه العمليات نقلت قبيلة لخم من موقعها في فلسطين إلى جبل لبنان . كما تكرر هذا الأمر بالنسبة إلى قبائل أخرى في فترات تالية .

وحين حلّ الضعف بالدولة العباسية ونجمت فيها بدعة استقلال الأمراء والولاة بأقاليم الدولة التي كانوا يتولون حكمها ، دخلت بلاد الشام ، ويضمنها فلسطين ، في هذه الدوّامة ، وأخذت تتسع إدارياً الدويلات والإمارات التي تقيم نفوذها على أنقاض سلطان بني العباس .

ففي زمن الدولة الأخشيدية مثلاً عادت فلسطين ، بجميع كورها وقصباتها ، وحدة إدارية ، إذ تذكر المصادر أنها عقدت لنواب كافور بخمسمائة ألف دينار ، وكذلك جند دمشق (رَ : الأخشيديين) .

د ـ النظام الإداري في عهد المماليك : كانت منطقة فلسطين زمن المماليك * هي القسم الجنوبي من بلاد الشام . وقد قسم المماليك بلاد الشام إلى وحدات إدارية عرفت الواحدة منها باسم « نيابة » ، وكاد نصيب فلسطين ثلاث نيابات هي : نيابة صفد ، ونيابة غزة ، ونيابة القدس .

١) نيابة صفد : ظهرت أيام السلطان الملك الظاهر بيبرس * البندقداري (٦٥٨ ـ ٦٧٦ هـ / ١٢٥٩ ـ ١٢٧٧م) ، عقب الانتهاء من تحريرها من الصليبيين عام ٦٦٤هـ / ١٢٦٦م . وقد امتدت حدودها من منطقة نهر الليطاني شمالاً إلى منطقة الغور جنوباً ،ومن منطقة الملاحة الفاصلة بين بلاد الشقيف وحولة بانياس شرقاً إلى البحر المتوسط غرباً .

ضمت هذه النيابة أحد عشر عملاً ، هي : برّ صفد (أي ضواحي مدينة صفد) ، والناصرة * ، وطبرية ، وتبنين وهونين ،

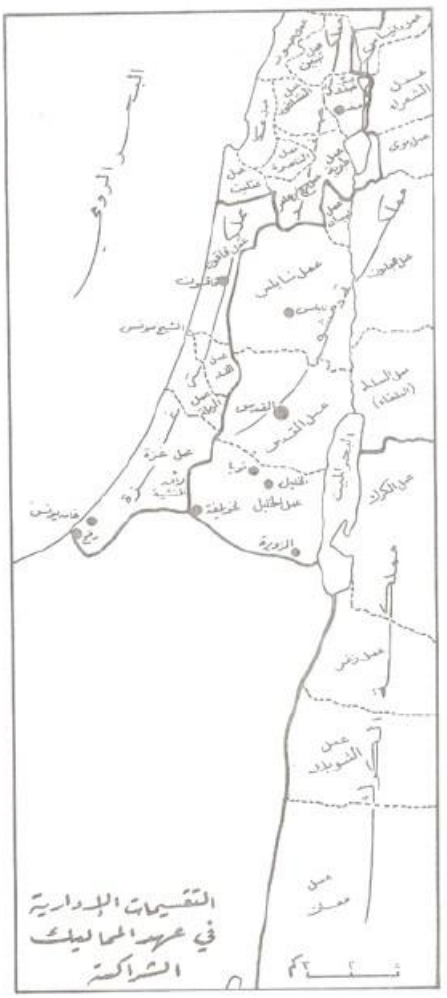

وعثليت ، وعكا ، وصور ، والشاغور ، والإقليم ، والشقيف ، وجنين .

٢) نيابة غزة : ظهرت إبّان سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون* الثالثة (٧٠٩ ـ ٧٤١هـ / ١٣٠٩ ـ ١٣٤٠م) ، وذلك عام ٧١١هـ / ١٣١١م . وتأتي في الأهمية والحجم بعد نيابة صفد .

أما حدودها فيمكن تقسيمها إلى قسمين : الأول حدود ثابتة تشمل مدينة غزة وقراها ، وتمتد من قرية بيتى شمالاً إلى خط البريد الواصل بين السكرية ورفح جنوباً ، ومن قرية عجور * شرقاً إلى البحر المتوسط غرباً . والثاني حدود غير ثابتة ، تتجاوز فيها أحياناً حدود القسم الأول إلى المناطق المجاورة مثل القدس والخليل * ونابلس وقاقون * ولدّ والرملة . وكان هذا المد والجزر في حدود الولاية راجعاً إلى مقدار قوة نائب السلطنة في نيابة غزة .

٣) نيابة القدس : استحدثت هذه النيابة عام ٧٧٧هـ / ١٣٧٥م أيام السلطان الملك الأشرف أبي المعالي (٧٦٤ ـ ٧٧٨هـ / ١٣٦٢ ـ ١٣٧٦م) ، وشملت منطقتي القدس والخليل .

ضمّت كل نيابة من النيابات الثلاث نائباً للسلطنة تحت إمرته عدد من الموظفين من الأصناف الثلاثة التي كانت سائدة في التصنيف الإداري المملوكي : أرباب السيوف ، وأرباب الأقلام ، والموظفين الدينيين (رَ : المماليك) .

هـ ـ التقسيمات الإدارية في العهد العثماني : لمّا انتصر العثمانيون على المماليك في مرج دابق (٩٢٢هـ / ١٥١٦م) واحتلوا فلسطين ، وأزالوا دولتهم من قاعدتها الرئيسة في مصر في العام التالي ، عيّن السلطان سليم الأول (١٥١٢ ـ ١٥٢٠م) جان بردي الغزالي * (من القادة المماليك الذين ساعدوا السلطان على احتلال البلاد) والياً على دمشق ، وجعل جميع سورية الجنوبية ، وفيها فلسطين ، تحت نفوذه .

أبقى السلطان العثماني التقسيمات الإدارية على ما كانت عليه أيام المماليك ، ولم يحدث فيها تغييراً ، عدا اتخاذ الوحدة الإدارية العثمانية : السنجق (اللواء) أساساً للتقسيم بدلاً من الوحدة الإدارية المملوكية : النيابة ، وعدا رفع شأن بعض المدن ومن بينها القدس ، بتحويلها مراكز إدارية ، وتعيين حكّام أتراك عليها من درجة « بكوات » .

وبعد حركة التمرد الفاشلة التي قام بها جان بردي الغزالي في عهد السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠ ـ ١٥٦٦م) وضع نظام جديد لإدارة بلاد الشام هدفه تقوية السلطة العثمانية ، وقسّمت بلاد الشام ثلاث باشويات أو إيالات (ولايات) هي : إيالة دمشق ، وإيالة حلب ، وإيالة طرابلس . وقد ألحقت بكل إيالة من هذه الإيالات الثلاث وحدات إدارية كثيرة اسمها « سناجق » . وقد كانت سناجق نابلس وغزة والقدس واللجون * وصفد * الفلسطينية تتبع إيالة دمشق . ووضعت كل إيالة تحت سلطة « بكلربك » أي زعيم ، ووضعت الوحدات الإدارية الملحقة بالإيالة تحت سلطة أحد البكوات .

وكانت المنطقة التي مركزها جنين * ذات وضع خاص ، فقد

أقطعها العثمانيون آل طرابلي * ، وهم من أمراء البدو ، وصار يطلق على المنطقة اسم « إقطاع آل طرابلي » . لكن السلطات العثمانية عمدت إلى تصفية هذا الإقطاع وإلحاقه بسنجق اللجون بعد أن ثارت القلاقل في هذه المنطقة في الربع الأخير من القرن السادس عشر الميلادي .

ظلّ التقسيم الإداري لبلاد الشام إلى ثلاث إيالات قائماً حتى سنة ١٠٧١هـ / ١٦٦٠م حين أحدثت إيالة صيدا لمراقبة الإقطاعات المسلحة في جبل لبنان . وتكوّنت الإيالة الجديدة من أجزاء من إيالتي طرابلس ودمشق ، من بينها صفد .

ويعني ما مضى أن فلسطين كلها (ما عرف بفلسطين بعد الحرب العالمية الأولى) كانت في مطلع القرن الثامن عشر تابعة لإيالة دمشق (الشام) ، وأنها لم تكوّن وحدة إدارية مستقلة بذاتها ، ثم أصبح بعضها تابعاً لإيالة صيدا (ولاية بيروت فيما بعد) وبعضها الآخر تابعاً لولاية سورية ، إلى جانب لواء القدس الذي غدا فيما بعد متصرفية القدس . وقد عمد العثمانيون إلى تصفية سنجق اللجون تركيزاً للسلطة في هذه المنطقة القبلية . وقد نقل مركز إيالة صيدا عام ١١٨٤هـ / ١٧٧٧م من صيدا إلى عكا . وظلّ الأمر على هذه الحال حتى احتلال إبراهيم باشا بلاد الشام عام ١٢٤٧هـ / ١٨٣١م .

أصبح لواء القدس في الثلث الأول من القرن التاسع عشر تابعاً لإيالة صيدا ، وكان والي صيدا يوجّه المتسلمين إلى مدن اللواء ، مثل القدس وغزة ويافا . وقد استغلّ هؤلاء المتسلمون ، رغم ذلك ، بتصريف أمور متسلمياتهم ، وكانت لهم سلطات واسعة . ويدل هذا على ضعف الوحدة الإدارية للواء القدس .

وكان قرار السلطان العثماني إحالة الأجزاء الجنوبية من بلاد الشام المتاخمة لمصر إلى عهدة والي صيدا كي يواجه تهديد محمد علي والي مصر ، ولكن ذلك لم يحل دون سقوط بلاد الشام في قبضة والي مصر .

ألغى الحكم المصري لبلاد الشام (١٨٣١م - ١٨٤٠م) التقسيمات الإدارية العثمانية السابقة ، وأصبحت بلاد الشام في عام ١٢٤٨هـ / ١٨٣٢م وحدة إدارية واحدة يديرها حاكم عام (حكمدار) مقره دمشق مرتبط بإبراهيم باشا ابن محمد علي ، وعيّن إبراهيم باشا * متسلمين من أبناء البلاد ، في حين ظلّ هو ممسكاً بزمام السلطتين المدنية والعسكرية معاً . وقد استثنى من ذلك جبل لبنان فقط فوضعت إدارته تحت إشراف الأمير بشير الشهابي الثاني * .

لم تستمر هذه الوحدة الإدارية طويلاً ، واضطر الحكم

المصري ، بسبب اضطراب الأمن وبتأثير الثورات ، إلى إعادة التشكيلات الإدارية العثمانية ، وغدت بلاد الشام مؤلفة من ست إيالات ، بعد أن ظهرت للوجود إيالة يافا التي تبعتها عكا (بعد فصلها عن إيالة صيدا) والقدس . ولعل اختيار الحكم المصري يافا مركزاً للإيالة الجديدة بدلاً من القدس يرجع إلى عدم استقرار

الأحوال في المدن الداخلية ، وإلى وجود أسطول مصري نوي في شرق البحر المتوسط .

ولما عاد العثمانيون إلى الحكم في بلاد الشام عام ١٢٥٦هـ / ١٨٤٠م أرجعوا تقسيماتهم الإدارية ، وربطوا لواء القدس بإيالة صيدا . ولم يكن الوضع الإداري في بلاد الشام مستقراً في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، فكثرت التغييرات فيه ، لكن لواء القدس بأقضيته السبعة ظلّ تابعاً لإيالة صيدا ، كذلك لواء عكا بأقضيته الأحد عشر ، ولواء البلقاء (نابلس) الذي استحدث عام ١٢٦٧هـ / ١٨٥٠م وكان يتبعه تسعة أقضية .

أصدرت الدولة العثمانية في عام ١٢٨١هـ / ١٨٦٤م نظام إدارة الولايات الجديد . وقد قسّمت البلاد العثمانية بموجبه إلى ثلاثين ولاية ، تتألف كل واحدة منها من ألوية يترأسها متصرفون ، وتتألف الألوية من أقضية يترأسها قائمقامون ، وتتألف الأقضية من نواح يترأسها مديرو نواح .

قسّمت بلاد الشام ولايتين هما : ولاية سورية وولاية حلب . وقد ضمّت إيالة صيدا ، وفيها ألوية القدس وعكا والبلقاء ، إلى ولاية سورية . ولما أنشئت ولاية بيروت عام ١٣٠٥هـ / ١٨٨٧م فصل لواء عكا والبلقاء وثلاثة ألوية أخرى عن ولاية سورية لتكوين الولاية الجديدة .

وكان يقوم على رأس كل لواء من الألوية الثلاثة في فلسطين متصرف يدير شؤونه ، ويشرف على تنفيذ أوامر الدولة ، ويتولى أمور الضابطة (الشرطة) ، وله حق تعيين مواعيد اجتماع مجالس النواحي والأقضية ، والتفتيش في جميع أنحاء المتصرفية .

وفي كل لواء «مكتوبجي» يحرر المعاملات الإدارية ويحافظ على القيود الرسمية ، وينشر أوامر الحكومة . وكان إلى جانبه في الجهاز الإداري للواء مدير للمعارف ، ومدير للأمور الأجنبية ، ومدير للزراعة والتجارة ، ومحاسب ، ومدير للأوقاف ، ومدير لقوة الأمن ، ومدير للنافعة مسؤول عن الطرق والمعابر ، ومدير للدفتر الخاقاني (الطابو) . وقد حرصت الدولة على أن تتوفر في موظفي « الطابو » العفة والاستقامة ، لكن عدداً منهم فتنتهم الرشاوي التي كانت تغدقها عليهم الجهات الصهيونية في فلسطين فتصرفوا بالأراضي ، ونقلوا الملكية ، وباعوا بيوعاً غير قانونية . لذلك كثيراً ما كان بعضهم ينقل ، أو يعزل ويحاكم لما جنى .

أما الجهاز الإداري في القضاء فقد تألف من القائمقام ، ومدير المال ، ومن موظفين من مختلف الاختصاصات . وتألف في الناحية من مدير الناحية وفي القرية من المختار .

وكان لكل متصرفية « مجلس إدارة المتصرفية » الذي ضم بالإضافة إلى المتصرف والمديرين المسؤولين في المتصرفية عضوين منتخبين من المسلمين ، وعضواً منتخباً من كل طائفة من الطوائف الأربع الأرثوذكس واللاتين والأرمن واليهود . ومهمة هذا المجلس تنظيم مختلف أمور المتصرفية واتخاذ القرارات بشأنها والنظر في كل ما له صلة بالإدارة المحلية . وكان مجلس إدارة متصرفية القدس يسمى « مجلس القدس الكبير » .

ولكل قضاء « مجلس إدارة القضاء » ، ولكل ناحية « مجلس إدارة الناحية » وفي القرية « مجلس اختيارية القرية » .

لم تكن هذه المجالس كلها ذات نفع كبير بسبب سيطرة السلطة التنفيذية عليها ، أو بسبب احتكار العائلات الغنية لعضويتها .

وكان من سياسة الدولة العثمانية فصل بعض الألوية عن الولايات وتسميتها متصرفيات وربطها بالعاصمة ربطاً مباشراً للوقوف على أحوالها والإسراع في إنجاز معاملاتها نظراً لأهمية اللواء الجغرافية ، أو لمواجهة التدخل الأجنبي ، أو لطبيعة التكوين الاجتماعي لسكانه . لهذا أولت الدولة العثمانية لواء القدس اهتماماً خاصاً بعد أن رأت كثرة أعداد الزائرين الأجانب للقدس ، ولمست اهتمام الدول الأجنبية بالمدينة وتدخلهم في شؤونها وفصلته عن ولاية سورية ، وأعلنته متصرفية مستقلة باسم « قدس شريف متصرفلغي إدارة مستقلة » في عام ١٢٩١هـ / ١٨٧٤م .

وقد حافظت متصرفية القدس على وحدتها الإدارية حتى نهاية العهد العثماني ، فيما عدا السنوات التي ألحق بها قضاء الناصرة بعد فصله عن لواء عكا (١٣٢٥ - ١٣٢٨هـ / ١٩٠٦ - ١٩٠٩م) ، وضمّت المتصرفية أقضية القدس ويافا وغزة والخليل . وفي عام ١٣٢٨هـ / ١٩٠٩م أنشيء قضاء بئر السبع ، وكان من قبل جزءاً من قضاء غزة .

وكان متصرف القدس ذا نفوذ في لواء نابلس ، على الرغم من انفصال هذا اللواء إدارياً عن القدس وإلحاقه بوالي صيدا أو والي الشام . حتى إن الحكومة المركزية ألحقت لواء نابلس بمتصرفية القدس أكثر من مرّة . ويعود ذلك إلى قوة مركز ورتبة متصرف القدس الذي كان في الغالب من الموظفين الأتراك .

مارس متصرف القدس سلطات الوالي في جميع الأمور ، وكان يرفع الأوراق المتعلقة بقضايا المتصرفية إلى الباب العالي في استانبول مباشرة ، في حين كان متصرفا لواءي نابلس وعكا تابعين لولاية سورية ثم لولاية بيروت . وكان متصرفو القدس أيام السلطان عبد الحميد * من الموظفين الكبار في قصر يلدز حتى يمكن للسلطان الاعتماد عليهم في مواجهة تيار الهجرة الصهيونية المتدفق إلى فلسطين آنذاك ، وفي مواجهة الضغوط الأجنبية المختلفة (ر : الهجرة الصهيونية إلى فلسطين) .

وقد ضمّت متصرفية القدس المستقلة في أواخر العهد العثماني

أقضية يافا وغزة والخليل وبير السبع . في حين ضمّ لواء عكا الذي كان يتبع آنذاك ولاية بيروت أقضية حيفا وصفد والناصرة وطبرية . أما لواء البلقاء الذي كان مركزه نابلس فقد كان يتبع ولاية بيروت ، وضمّ أقضية جنين وبني صعب وعجلون والسلط .

و ـ النظام الإداري في عهد الإدارة العسكرية البريطانية (١٩١٨ ـ ١٩٢٠) : أقامت القوّات البريطانية ، بقيادة الجنرال اللنبي ، احتلال فلسطين ووضعت تحت الإدارة العسكرية المباشرة في تشرين الأول ١٩١٨ . والقاعدة الدولية التي يجب أن يعمل بها المحتل في إدارة المناطق المحتلة هي إقامة « الإدارة العسكرية التي تدير شؤون البلاد ، مع المحافظة على أوضاعها قبل الحرب ، إلى أن يتم تقرير مصيرها السياسي » . لكن الاحتلال البريطاني لم يسر على هذه القاعدة ، لأنه قد بيّت النيّة لتنفيذ سياسة مرسومة من قبل ، تهيء فلسطين بالتدريج كي تصبح وطناً قومياً للصهيونيين ، عملاً بما جاء في وعد بلفور * الذي صدر عام ١٩١٧ . لذلك لم تبق الإدارة العسكرية البريطانية المحتلة التقسيمات الإدارية العثمانية ، بل أعادت تقسيم البلاد إلى ثلاثة عشر لواء ، على رأس كل لواء حاكم عسكري بريطاني ، وجميعهم مرتبطون بحاكم عسكري في القدس كان بدوره مرتبطاً بالقيادة العامة للجيش البريطاني في القاهرة . ثم خفض العدد إلى عشرة عام ١٩١٩ . وكان يساعد هؤلاء الحكام العسكريين العشرة ٥٩ ضابطاً معظمهم بريطانيون . وقد تولّوا إلى جانب قضايا الأمن العام مهمات قضائية . ومن الطبيعي أن تستفيد الإدارة العسكرية البريطانية من النظام الإداري العثماني السابق ، وتبقي على معظم الدوائر التي كانت في العهد السابق ، وعلى كثير من الموظفين والمستخدمين . لكنها ذهبت في محاباة الصهيونية إلى حد كبير ، فكان من بين كبار الموظفين ، وجميعهم بريطانيون ، تسعة يهود . ولم يسند إلى أي من العرب مركز تنفيذي كبير . ومن عيّن منهم في مناصب استشارية كان من العرب الذين جاؤوا مع الجيش البريطاني من خارج فلسطين . وعلاوة على ذلك هيّأت هذه الإدارة العسكرية السبيل لقدوم البعثة الصهيونية العالمية برئاسة وايزمن إلى فلسطين في أواخر الحرب العالمية الأولى لإرساء أسس إقامة الوطن القومي . وقد زاد ذلك المخاوف العربية وحرّك الاضطرابات ، وأثار المشاعر العربية ضد هذه الزيارة المقبلة ، مما دفع لويس بولز ، أول حاكم عسكري عام في فلسطين ، إلى إرسال تقرير إلى حكومته ذكر فيه أن ٩٠٪ من سكان فلسطين المسلمين والمسيحيين يعادون الصهيونية بقوة ، وطلب إلغاء زيارة لجنة وايزمن الصهيونية .

ز ـ النظام الإداري في عهد الانتداب : تم الانتقال من الإدارة العسكرية إلى إدارة مدنية سميت « حكومة فلسطين » في تموز ١٩٢٠ . وأصبح الصهيوني البريطاني هربرت صموئيل أول مندوب سام بريطاني في فلسطين ، وعيّن الصهيوني نورمان بنتويش مستشاراً قضائياً للحكومة ، واستبدل بالعسكريين في المناصب الكبيرة موظفون مدنيون من وزارة المستعمرات البريطانية .

قررت الإدارة الجديدة ، استباقاً لما سيكون عليه صك الانتداب * ، أن تتخذ المبادىء التي كان مقدّراً لها أن تعلن فيما بعد . توضع هيكل جديد للحكومة ، وسنّت تشاريع وأنظمة جديدة ، وخوّل المندوب السامي ، بمساعدة مجلس تنفيذي ، سلطة إصدار القوانين بعد استشارة مجلس استشاري كان في ذلك الحين مؤلفاً من عشرة موظفين وعشرة أعضاء معيّنين ، أربعة منهم مسلمون وثلاثة مسيحيون وثلاثة يهود . وأعلن المندوب السامي أن تلك الخطوة هي الأولى في سبيل الحكم الذاتي ، وأصدر في السنة الأولى زهاء ٣٨ قانوناً ، وفي السنة الثانية ٢٦ قانوناً و ٦ قوانين معدّلة ، واعترف بثلاث لغات رسمية ، قبل أن تقرّ ذلك المادة ٢٢ من صكّ الانتداب .

وبتاريخ ١٩٢٢/٢/٩ نشر مشروع الدستور في فلسطين (القانون الأساسي) الذي وضعته الإدارة المدنية ، ووافقت عليه الحكومة البريطانية بعد التشاور مع ممثلي الحركة الصهيونية دون أخذ رأي اللجنة الإستشارية الإسلامية المسيحية التي ألغت لهذا الغرض . وتضمّن مشروع الدستور إنشاء المجلس التشريعي . وقد استقبل العرب نصوص الدستور باستياء شديد ، وكانت أهم مسببات الاعتراض على هذا الدستور اعترافه بوعد بلفور ، وكون أكثرية الأعضاء في المجلس التشريعي معيّنين لا منتخبين ، وتركيز السلطة في يد المندوب السامي ، ومنحه سلطة مطلقة لنقض أي قانون يقرّه المجلس التشريعي وحقاً في إبطال مواد الدستور وفي الإضافة إليها ، وحرمان الشعب وممثليه من أية سلطة حقيقية ، إدارية كانت أو تشريعية . وطالب الوفد العربي في لندن أن يكون الدستور ضامناً لحقوق الأهالي السياسية والمدنية والاقتصادية وأن يهيّء إنشاء حكومة وطنية مستقلة بمقتضى روح البند الرابع من المادة ٢٢ من ميثاق عصبة الأمم (ر : عصبة الأمم) .

أصدر وزير المستعمرات البريطاني تشرشل الكتاب الأبيض في ١٩٢٢/٦/٢٢ لتهدئة مخاوف العرب على شكل بيان رسمي يوضح الأهداف البريطانية في فلسطين ، وأعلن أن الحكومة تعتزم تبني التطور التدريجي نحو الحكم الذاتي بإنشاء مجلس تشريعي أكثرية أعضائه منتخبة على أساس انتخابي واسع ، ويترأس المجلس المندوب السامي ويضمّ اثني عشر عضواً منتخباً وعشرة أعضاء من الموظفين . ووعد وزير المستعمرات أن تمنح فلسطين قسطاً أكبر من الحكم الذاتي ، وأن يتولى المجلس أمر الإشراف على السلطة التنفيذية بعد انقضاء مدة من الزمن تكون خلالها تشكيلات البلاد

قد توطدت وتمكن الموظفون الفلسطينيون من اكتساب الخبرة في أساليب الحكم .

رفض العرب بيان الحكومة ، إذ كان مبنياً على وعد بلفور ، وأصرت اللجنة التنفيذية على إقامة حكومة وطنية مستقلة ودستور يمكّن العرب من الإشراف على شؤونهم الخاصة بصورة كاملة . وهذا ما رفضته الحكومة البريطانية لأنه يحول دون إيفائها بوعد بلفور .

وبتاريخ ١٩٢٢/٧/٢٤ أقرّ مجلس عصبة الأمم صكّ الانتداب ، محوّلاً في مادته الأولى الدولة المنتدبة السلطة التامة في التشريع والإدارة ، مؤكداً في مادته الثانية مسؤولية الدولة المنتدبة عن وضع البلاد في أحوال سياسية وإدارية واقتصادية تضمن إنشاء الوطن القومي اليهودي ، معترفاً في مادته الرابعة بالوكالة اليهودية * هيئة عمومية لإسداء المشورة إلى الإدارة ، وللتعاون معها في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية وغير ذلك من الأمور التي تؤثر في إنشاء الوطن القومي اليهودي ، وتساعد وتشترك في ترقية البلاد تحت رقابة الإدارة .

ومن خلال الوثائق الثلاث : دستور فلسطين ، والكتاب الأبيض ١٩٢٢ ، ومواد صك الانتداب يمكن رسم صورة للإدارة في فلسطين على النحو التالي :

١) الإدارة المركزية : في قمة الهرم الحكومي يشرف المندوب السامي على تطور الإدارة المدنية . وكان واسطة اتصال المندوب السامي والدوائر المدنية هو السكرتير العام الذي يعتبر الموظف الإداري الأعلى في الحكومة وتشرف دائرته على أعمال بقية الدوائر . وباتساع أعمال الحكومة الأخرى وإيجاد دوائر خاصة اتسعت دائرة السكرتارية اتساعاً كبيراً ، وإن ظلّ يرأسها موظف واحد . وقد اشتملت هذه الدوائر عام ١٩٣٧ على مساعد للسكرتير العام ، وتسعة سكرتيرين مساعدين ، سبعة بريطانيون وواحد يهودي وآخر عربي ، ورئيس كتبة .

أشارت اللجنة الملكية في تقريرها ١٩٣٧ (ر : لجنة بيل) إلى أنه لم تكن لمعظم السكرتيرين المساعدين خبرة سابقة في الأعمال الإدارية ، كما لم يسبق لموظفي السكرتارية أن كانوا في الألوية . واعترفت اللجنة بوجود شكاوى من الإسراف في المركزية ، فهناك رجوع دائم إلى الحكومة المركزية في مختلف المسائل ، وتدخّل مستمر فيما يجب أن يترك أمر البتّ فيه للموظف المحلي . ووجهت اللجنة النقد إلى النظام الذي يقضي بجعل موظف واحد ، هو السكرتير العام الذي قد لا تكون له خبرة سابقة بالبلاد ، واسطة الاتصال الوحيدة بالمندوب السامي ، وهو نظام غير مرض من وجهة نظر الشعب ورؤساء الدوائر المختلفة وموظفي الألوية .

ولما باءت محاولة الحكومة إجراء انتخابات المجلس التشريعي عام ١٩٢٢ بالفشل أوجدت مجلساً استشارياً كان من المفروض أن يتألف من أعضاء من غير الموظفين ، على أسس انتخاب المجلس التشريعي نفسها . لكن الحكومة عدلت عن هذه المحاولة بعد انسحاب الأعضاء العرب العشرة ، وخوّل المندوب السامي عام ١٩٢٣ حتّى تعيين مجلس استشاري يوافق عليه وزير المستعمرات ، ويقتصر على أعضاء من الموظفين فقط ، ويتألف من السكرتير العام ، والنائب العام (وهو المشاور القانوني للحكومة) ، ومدير المالية (وهو الموكل بمسائل المالية والحسابات) ، وعشرة من رؤساء الدوائر ، ومستشار الريّ ، وثلاثة من حكام الألوية . واستخدم المجلس لإعطاء الموافقة الصورية على التشاريع أكثر مما استخدم للاستشارة برأيه .

كان في القدس عدد كبير من الدوائر التي تشرف عليها السكرتارية ، ولكنها بعيدة عنها ، كدوائر الزراعة والآثار القديمة والمعارف والجمارك والمكوس والصحة والأراضي والمساحة والغابات وجمعيات التعاون والمهاجرة والإحصاء والأشغال العامة . وقد وسعت هذه الدوائر على حساب إدارة الألوية .

وقد أقرت اللجنة الملكية في تقريرها بأن صلة هذه الدوائر بإدارة الألوية لم تكن متينة ، إذ مال رؤساء الدوائر إلى الاستئثار بالعمل دون الاستشارة برأي حكام الألوية ، ولم يكونوا مثلاً يطلبون من حكام الألوية أو إلى القائمقامين أن يزوّدوا تلك الدوائر بالمعلومات عن العدد الذي يمكن قبوله من المهاجرين ، أو عن عدد العمّال العاطلين ، أو عن التوسع في أعمال الري .

٢) إدارة الألوية : في عام ١٩٢٠ خفض عدد الألوية العشرة التي كانت في عهد الإدارة العسكرية الى سبعة ، ثم إلى أربعة ، ثم صدر في عام ١٩٢٢ منشور التشكيلات الإدارية (المادة ١١ من مرسوم دستور فلسطين) ، فقسّمت فلسطين إلى ثلاثة ألوية :

(١) لواء القدس : قاعدته القدس ، ويضم أقضية بيت لحم والخليل والقدس وأريحا ورام الله .

(٢) اللواء الشمالي : قاعدته حيفا ، ويضم أقضية عكا وبيسان وجنين ونابلس والناصرة وصفد وطبرية وطولكرم .

(٣) اللواء الجنوبي : قاعدته يافا ، ويضم أقضية بير السبع وغزة ويافا والرملة .

كان يدير شؤون كل لواء مسؤول بريطاني أطلق عليه اسم « حاكم اللواء » ، يستمد سلطته من المندوب السامي ، ويرجع إليه في الأمور الهامة والخطيرة . وكان مركز اللواء هو أهم أو أكبر مدينة فيه ، وفيها مقرّ الحاكم ورجال إدارته .

وقد قسّم كل لواء إلى عدد من الأقضية يترأس الإدارة في كل

منها موظف كبير من أهل البلاد ، أطلق عليه اسم « قائمقام » ، يمثل السلطة الرسمية في القضاء ، ويرجع في الأمور الهامة إلى حاكم اللواء الذي يتبعه .

وفي كل مدينة مجلس بلدي له رئيس ينتخبه سكان المدينة ، ويشرف رئيس البلدية على المرافق والخدمات العامة داخل حدود منطقة البلدية . أما القرى الكبرى فلها مجالس قروية تدير شؤونها . وفي القرى وأحياء المدن أفراد ذوو مناصب شبه رسمية ، وهم « المخاتير » الذين يكوّنون همزات الوصل بين الإدارة المحلية والأهالي .

وجد في فلسطين عام ١٩٣٧ ثلاثة حكام للألوية ، واثنا عشر مساعداً لحكام الألوية كلهم من الموظفين البريطانيين ، وسبعة وثلاثون قائمقاماً .

زيدت ألوية فلسطين إلى ستة ألوية في ١٩٣٩/٧/١ . وهي ألوية : الخليل ، وحيفا ، ونابلس ، والقدس ، واللد ، وغزة . وقد ظلّ هذا التقسيم قائماً حتى نهاية الانتداب عام ١٩٤٨ .

٣) الاستقلال المحلي : جاء في المادة الثانية من صك الانتداب أن على الدولة المنتدبة ضمان ترقية مؤسسات الحكم الذاتي ، ونصّت المادة الثالثة على أن تعمل الدولة المنتدبة على تشجيع الاستقلال المحلي على قدر ما تسمح به الظروف . وكذلك فإن المبدأ الأساسي الذي انطوى عليه نظام الانتداب هو أن الانتدابات بمنزلة « أمانات » ينتهي أجلها عندما يصبح سكان البلاد المنتدب عليها قادرين على حكم أنفسهم بأنفسهم . وكان قد أعلن في الفترة الأولى للإدارة المدنية " أنه عندما ينتهي العمل التمهيدي ويصبح في الإمكان انتخاب الفلسطينيين الحائزين المؤهلات اللازمة ، ويتسنى تدريب هؤلاء الموظفين على العمل الإداري ، ينوى تخفيض عدد الموظفين البريطانيين وزيادة عدد الموظفين الفلسطينيين " . وعلى الرغم من ذلك لم يتح لعرب فلسطين الاشتراك الفعلي في إدارة شؤون بلادهم أو في سن القوانين ، على الأقل على النحو المتبع في أقطار مماثلة . وأشارت اللجنة الملكية في تقريرها إلى أن رؤساء الدوائر والموظفين الكبار والخبراء ، سواء في المركز أو في الألوية هم من البريطانيين ، وجميعهم من موظفي المستعمرات الذين لا يملكون خبرة بأحوال البلاد . ولم تنجح محاولات الحكومة البريطانية إنشاء مؤسسات الحكم الذاتي ، أو على الأقل إقامة حكم ذاتي كامل في أدوار تدريجية ، لأن الحكومة رفضت مراراً ما طلبه العرب من إقامة حكومة وطنية مستقلة . ووضع دستور يمكّنهم من الإشراف على شؤونهم الخاصة ، بحجة أن تشكيل حكومة وطنية من شأنه أن يحول دون الإيفاء بالعهد الذي تعطته الحكومة البريطانية للشعب اليهودي . واعترفت الحكومة صراحة بأن موقف العرب العدائي من الوطن القومي يقف عقبة في سبيل إنشاء الحكم الذاتي في فلسطين .

وعلى نقيض ذلك خوّل مضمون المادة الرابعة من صكّ الانتداب الوكالة اليهودية حق إسداء النصح للحكومة ، والتعاون معها في معظم الأمور التي تؤثر في مصالح السكان اليهود في فلسطين . وقد استغلت الوكالة اليهودية المركز الذي منحها إياه صكّ الانتداب إلى أقصى حدّ ممكن ، واستطاعت ان تكوّن لها تنظيماً إدارياً كاملاً . وقد أقرّ تقرير اللجنة الملكية أن هذه المؤسسة هي في حكم الواقع حكومة تقف جنباً إلى جنب مع الحكومة المنتدبة ، وأنه ليس هناك فرع من فروع الإدارة لا تتدخل الوكالة به . ولا تقتصر أعمالها على شؤون الهجرة بل تدّعي أن من حقها أن تستشار في مختلف المسائل الأخرى من إدارية ومالية . ويظهر البون شاسعاً بين الوكالة اليهودية بتشكيلاتها المنظمة ودوائرها وموظفيها الذين ينتمون إلى الطوائف اليهودية في العالم وأية أداة كان يملكها العرب .

استبقت الإدارة البريطانية في القرى العربية شكلاً واضحاً من أشكال الاستقلال المحلي كان متبعاً في العهد العثماني هو نظام المختار . وقد ظلّ انتخابه يجري حسب الأصول المتبعة في السابق . وكان المختار الصلة الوحيدة التي تتصل موظفي الحكومة بالفلاحين ، والمشرف على أعمال مجلس القرية . وللتقليل من احتكار المختار لأعمال مجلس القرية ، كما كان في العهد العثماني ، بادرت الإدارة البريطانية إلى إنشاء هيئة محلية تتوفر فيها صفة تمثيلية ، فصدر سنة ١٩٢١ قانون المجالس المحلية الذي قرر تأليف مجلس محلي لكل مجموعة من القرى ، وخوّله بعض السلطات . وفي عام ١٩٣٧ كان هناك عشرون مجلساً محلياً تختلف فيما بينها من حيث عدد أعضائها ومواردها المالية والأنظمة التي تنظم أعمالها طبقاً للأحوال المحلية . وقد أظهر التحقيق الذي أجرته اللجنة الملكية أن النجاح لم يكن من نصيب المجالس العربية المحلية ، وأن إدارة فلسطين لم تراع التقاليد القديمة حول حكم القرية من قبل شيوخها ، فجاءت المجالس تحمل طابع نظام أجنبي فرض على القرى فرضاً ، وغدت آلة في يد الإدارة المركزية ، لا مؤسسة حقيقية من مؤسسات الحكم المحلي فقد كانت سلطة القائمقام في الإشراف على ميزانية المجالس مثلاً ، سلطة كبيرة جداً ، لذلك لم يعن القرويون بمجالسهم المحلية لأنها لم تكن تقوم بعمل في صالحهم ، ولم يكن فيها ما يجذبهم إليها . وقد ألغي منها قرابة سبعة مجالس بناء على طلب أهل القرى أنفسهم .

بالمقابل ، تركت إدارة الانتداب للصهيونيين حرّية مطلقة في تكوين نظام شامل للاستقلال المحلي في مناطق المستعمرات الصهيونية . ولاحظت اللجنة الملكية أن الحكم عن طريق الجمعية العمومية هو المبدأ الرئيس لكل جماعة تقريباً في هذه المستعمرات .

وتناولت الجمعيات كثيراً مما يدخل في العادة في أعمال الدولة ، وما يتصل بالأشغال العامة والخدمات الاجتماعية . ولم يكن للجمعيات مركز قانوني ، وبذلك لم تخضع ميزانيتها وسياستها لمراقبة الحكومة ، كما هي الحال في المجالس المحلية العامة . وكانت ، رغم ذلك ، تتهرب من أي إشراف لإدارة الألوية ، وتدّعي أن السلطة المخوّلة لها لا تفي باحتياجاتها المتزايدة في تخطيط المستعمرات واحتكار المنافع العامة كالماء والتنوير والمسائل المالية . وفي عام ١٩٣٧ وجد خمسة مجالس محلية صهيونية كانت من حيث المال وعدد السكان في الدرجة الثانية بعد البلديات الأربع الكبرى : القدس وحيفا ويافا وتل أبيب .

أما في المدن فقد كانت البلديات هي الصيغة المتبعة للاستقلال المحلي . وقد ظلّت تؤدي أعمالها وفقاً للقانون العثماني في الغالب ، ولم يتم وضع قانون جديد لها إلا عام ١٩٣٤ . وكان أعضاء البلديات يعيّنون تعييناً إلى أن جرت الانتخابات البلدية لأول مرة عام ١٩٢٦ . وقد حددت الغاية من وجود البلديات المختلفة طبقاً للتقرير السنوي الأول لإدارة فلسطين عام ١٩٢٠ بما يلي : " ممارسة الحكم المحلي في المدن ، والقيام بالخدمات التي تتطلبها الجماعات التابعة لها ، وهي أيضاً لسان حال الشعب لدى حكام الألوية ، وواسطة لتنفيذ مطالب الإدارة العامة " . وأباح التقرير السنوي للبلديات " أن تؤدي أعمالها بكل ما يمكن من حرية ، غير أنه من الضروري في الوقت نفسه أن تكون أعمالها منسجمة انسجاماً تاماً مع أعمال إدارة الألوية ، ولهذه الغاية فإن كل حاكم لواء يعتبر مسؤولاً عن عمل السلطات المحلية الواقعة في لوائه " . وفي كانون الثاني ١٩٣٤ وضع قانون البلديات موضع التنفيذ ، وأجريت بموجبه الانتخابات لعشرين مجلساً بلدياً ، وكانت الحكومة تراه خطوة لتحسين التعاون بين العرب واليهود ، توطئة لتأسيس مجلس تشريعي (تجدد اقتراح إنشاء مجلس تشريعي عام ١٩٣٥) . وكانت بلدية تل أبيب هي البلدية الوحيدة لمدينة سكانها كلهم من اليهود ، ثم رفعت بتاح تكفا (ملبس) إلى مصاف البلديات أواسط الثلاثينات .

وبيّن قانون ١٩٣٤ طريقة السير بأعمال البلديات ، وحدد سلطات المجالس البلدية ووظائفها والحد الأعلى للعوائد والرسوم التي يحق لها أن تفرضها ، والخدمات التي يصح لها أن تقوم بها ، والموظفين الذين يجوز أن تعيّنهم . وبموجب هذا القانون جعلت مشاريع الميزانية السنوية للبلديات ومشاريع القروض خاضعة لموافقة حاكم اللواء ، واشترط أن يدقق حساباتها فاحص حسابات تعيّنه الحكومة . وقدّر القانون كذلك ضرورة وجود هيئة من موظفي البلدية يضطلعون بأعمالهم طيلة الوقت . ونص القانون على أن لكل بلدية أن تعيّن عدداً من الموظفين المحليين ، كمدير الإدارة ومهندس وطبيب وغيرهم ، لكن هذا لم يطبّق إلاّ في المدن الثلاث الكبيرة المختلطة السكان وهي حيفا ويافا والقدس . أما معظم المدن العربية فلم تكن تستطيع أن تتحمل نفقات أكثر من موظف واحد .

أشار تقرير اللجنة الملكية إلى أن الخدمات العامة التي تؤديها البلديات (عدا المجاري والطرق وتزويد الماء وإنشاء المسالخ وتنظيم

الأسواق) قليلة بسبب نقص موظفيها المدنيين ، وبسبب سيطرة إدارة اللواء والإدارة المركزية الشديدة على هذه البلديات ، والتأخر في إقرار دائرة السكرتير العام في القدس مشاريع ميزانيات البلديات السنوية ،وعدم كفاية المنح المالية التي تقدمها الإدارة المركزية ، وسياسة الحكومة بمنح الامتيازات لشركات خصوصية ، وتمركز الدوائر الرئيسة ، كالمعارف والصحة العامة ، في القدس، واحتكار الحكومة لبعض الخدمات العامة .

واعترفت اللجنة الملكية بأن هذه العوامل هي السبب في عدم اهتمام سكان المدن بأكثر المجالس البلدية . ويدل على ذلك إحصاء الأصوات في الانتخابات البلدية والانتخابات بالتزكية التي أصبحت أمراً مألوفاً ، مما يشير إلى إخفاق المجالس البلدية في الفوز بثقة الرأي العام ، والى أن المجالس التي قصد بها أن تكون تجربة في الحكم الذاتي وتوطئة لا بد منها لتأسيس مجلس تشريعي ، لم تملك من السلطة ما يخوّلها ان تكون هيئة نعّالة .

أما بلدية تل أبيب فقد شهدت نمواً عجيباً بسبب سيل المهاجرين الصهيونيين المتدفق إليها مما زاد الحاجة إلى الخدمات العامة الأساسية . وقد اتبع المجلس البلدي فيها سياسة مشبعة بالطموح - على حدّ قول تقرير اللجنة الملكية - فبلغت ميزانية عام ١٩٣٧ نصف مليون جنيه ، أي أكثر من ثلاثة أمثال ميزانية أي مدينة من مدن فلسطين . وكان المجلس البلدي فيها ، بالرغم من أخذه نفسه بالتزامات تعتبر خارجة عن نطاق سلطاته من الوجهة الفنية ، وبالرغم من وضع السلطات أمام الأمر الواقع لإجبارها على الموافقة على أعمال سابقة ، يتهرب من الحصول على موافقة حاكم اللواء ، ويتحاهل قانون البلديات ، ويتهم الإدارة بأنها لا تدرك تطور الخدمات الاجتماعية على الأسس الغربية ، ويشكو من عدم كفاية الإعانة الحكومية .

٤) ألوية فلسطين : قسّمت إدارة الانتداب فلسطين ، منذ تموز ١٩٣٩ ، إلى ستة ألوية هي :

(١) لواء الجليل : في أقصى شمال فلسطين قرب الحدود اللبنانية والسورية ، ومركزه مدينة الناصرة . يتألف من خمسة أقضية هي : عكا ، وبيسان ، والناصرة ، وصفد ، وطبرية .

بلغت مساحة هذا اللواء ، بموجب آخر إحصاء أجرته حكومة الانتداب البريطانية في فلسطين عام ١٩٤٥ نحو ٢,٨٠١,٣٨٣ دونماً ، منها نحو ٥٧٦,٠٢٨ دونماً امتلكها الصهيونيون ، أي نحو ٢٠,٥٪ من مجموع أراضي اللواء . أما عدد سكانه فقد بلغوا آنذاك نحو ٢٣٠,٨٤٠ نسمة ، وكان عدد العرب منهم قرابة ١٩٣,٤٩٠ عربياً ، أو ٨٣,٨٪ من مجموع سكان اللواء . وبلغ عدد الصهيونيين ٣٧,٣٥٠ شخصاً ، أو نحو ١٦,٢٪ من هؤلاء السكان . وقد تركز الاستيطان الصهيوني داخل لواء الجليل في سهل الحولة * لخصوبة تربته وتوافر مصادر المياه فيه .

ومعظم أراضي هذا اللواء جبلية وهضبية ، عدا منطقتي بيسان وعكا حيث الأرض سهلية وخصوبتها عالية .

(٢) لواء حيفا : مركزه مدينة حيفا . ويتألف من قضاء حيفا فقط . وتبلغ مساحته ١,٠٣١,٧٥٥ دونماً ، امتلك الصهيونيون منها نحو ٣٦٤,٢٧٦ دونماً ، أو نحو ٣٥,٣٪ من جملة أراضي اللواء . وأراضي هذا اللواء ، عدا مرتفعات الكرمل التي تطل على البحر المتوسط مباشرة ، جيدة الخصوبة ، وبخاصة سهل مرج ابن عامر * الذي يعدّ من أجود أراضي فلسطين .

وقد بلغ عدد سكان لواء حيفا سنة ١٩٤٥ نحو ٢٢٤,٦٣٠ نسمة . وبلغ عدد العرب ١٢٠,١٢٠ نسمة ، أي ٥٣,٥٪ من مجموع السكان . أما الصهيونيون فبلغوا ١٠٤,٥١٠ نسمة ، أو ٤٦,٥٪ من عدد السكان . وقد تركز استيطانهم في جبل الكرمل * وسهل مرج ابن عامر .

(٣) لواء نابلس : مركزه مدينة نابلس . ويتألف من ثلاثة أقضية هي : نابلس ، وجنين ، وطولكرم * ومعظم أراضيه جبلية صخرية عدا بعض المناطق حول مدينتي طولكرم وجنين حيث الأراضي سهلية خصبة . ويشتهر هذا اللواء بزراعة أشجار الزيتون * . مساحته نحو ٣,٢٦٢,٢٩٢ دونماً امتلك الصهيونيون منها ١٤٥,٦٢٧ دونماً أو نحو ٤,٤٪ من مجموع أراضي اللواء .

بلغ عدد سكان اللواء ٢٣٢,٢٢٠ نسمة منهم ٢١٧,٣٢٠ عربياً ، أو ٩٣,٦٪ من مجموع السكان . أما الصهيونيون فكانوا أقلية لم يزد عددهم على ١٤,٩٠٠ نسمة ، أو ٦,٤٪ من جملة السكان .

(٤) لواء القدس : يتوسط فلسطين ، ومركزه مدينة القدس عاصمة البلاد . ويتألف من ثلاثة أقضية هي : القدس وتتبعه بيت لحم وأريحا والخليل ،ورام الله .أرضه جبلية وتربته فقيرة ، عدا الأودية حيث التربة خصبة . وقد بلغت مساحة أراضي اللواء نحو ٤,٣٣٣,٥٣٤ دونماً ، امتلك الصهيونيون منها ٣٩,٦٧٩ دونماً ، أو نحو ٠,٩٪ فقط من مجموع أراضي اللواء .

أما السكان فقد بلغ عددهم ٣٨٤,٨٨٠ نسمة معظمهم من العرب ، أي قرابة ٢٨٤,٦٠٠ عربي ، ألفوا ٧٣,٩٪ من مجموع السكان . وكان عدد الصهيونيين نحو ١٠٠,٢٨٠ صهيونياً أي نحو ٢٦,١٪ . وقد تركز الاستيطان الصهيوني داخل القدس الجديدة .

(٥) لواء اللد : مركزه مدينة يافا . ويتألف من قضاءي يافا والرملة . ومعظم أراضيه سهلية لأنها جزء من السهل الساحلي الفلسطيني * . ولون التربة ضارب إلى الحمرة لارتفاع نسبة

أكاسيد الحديد . وتجود فيها زراعة الحمضيات * (الموالح) . بلغت مساحة أراضي هذا اللواء ١,٢٠٥,٥٥٨ دونماً امتلك الصهيونيون منها نحو ٢٥١,٥٩٨ ، أي قرابة ٢٠,٨٪ من مساحة أراضي اللواء .

كان عدد السكان في عام ١٩٤٥ نحو ٥٠١,٠٧٠ نسمة ، منهم نحو ٢٠٧,٥٥٠ عربياً ، أي ٤١,٤٪ من مجموع السكان . أما الصهيونيون فبلغ عددهم ٢٩٣,٥٢٠ صهيونياً ، أي قرابة ٥٨,٦٪ . وفي هذا اللواء تقع مدينة تل أبيب ، أكبر المدن الصهيونية ، وكثير من المستعمرات الصهيونية ، مما رفع عدد الصهيونيين في هذا اللواء ، وجعلهم يفوقون السكان العرب عدداً . وقد كان لخصوبة الأرض ، وتوافر المياه ، وأهمية الموقع ، أثر في جذب الاستيطان الصهيوني إلى هذا اللواء .

(٦) لواء غزة : يقع في جنوب فلسطين ، ويشمل جزءاً من السهل الساحلي الفلسطيني ومنطقة النقب * التي تعادل وحدها نصف مساحة فلسطين تقريباً . ومركز اللواء مدينة غزة ، ويتألف من قضاءي غزة وبير السبع .

أراضي هذا اللواء ـ عدا القسم الشمالي من مدينة غزة ـ رملية خشنة الذرات ، ذات تربة مفككة جافة ، والمناخ يميل إلى النظام الصحراوي . وتبلغ مساحة أراضي لواء غزة نحو ١٣,٦٨٨,٥٠١ دونم ، امتلك الصهيونيون منها قرابة ١١٤,٤٩١ دونماً ، أي نحو ٠,٨٪ فقط من مجموع أراضي اللواء .

أما عدد السكان فبلغ ١٩٠,٨٨٠ نسمة ، غالبيتهم من العرب الذين قدّر عددهم بنحو ١٨٧,٨٤٠ نسمة ، أي ٩٨,٤٪ من مجموع السكان ، في حين بلغ عدد الصهيونيين ٣,١٤٠ نسمة ، او ١,٦٪ من مجموع سكان اللواء .

ح ـ التقسيمات الإدارية بعد عام ١٩٤٨ : تمخض عن حرب ١٩٤٨ * اغتصاب العدو الصهيوني نحو ٢٠,٠٠٠ كم٢ من فلسطين ، وقيام مصر بإدارة قطاع غزة حتى عام ١٩٦٧ (رَ : الإدارة المصرية لقطاع غزة) ، وضمّ الضفة الغربية إلى الأردن ضمن إطار المملكة الأردنية الهاشمية (رَ : مؤتمر نابلس ١٩٤٨ ، ومؤتمر اريحا ١٩٤٨ ، ومؤتمر غزة ١٩٤٨) .

وقد تم تقسيم فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ إلى ثلاث مناطق إدارية كبرى هي المنطقة الشمالية ، والمنطقة الوسطى ، والمنطقة الجنوبية . وتضم كل منطقة من هذه المناطق وحدات إدارية صغرى تسمى مقاطعات . فالمنطقة الشمالية تضم مقاطعات عكا ، والناصرة ، وصفد ، وطبرية ، وحيفا ، وبيسان ، ونابلس * ، والخضيرة * . والمنطقة الوسطى تضم مقاطعات تل أبيب ـ يافا ، والرملة وهود هشارون * ، وروحوبوت * ، والقدس ، وبئر السبع وإيلات * .

أما قطاع غزة فيضم المنطقة الشمالية وقاعدتها غزة ، والمنطقة الوسطى وقاعدتها دير البلح * ، والمنطقة الجنوبية وقاعدتها خان يونس * . وتشتمل الضفة الغربية على ثلاث محافظات رئيسة هي : نابلس ، والقدس ، والخليل . وفي محافظة نابلس قضاء جنين وقضاء طولكرم ، في حين تضم محافظة القدس أقضية رام الله وأريحا وبيت لحم . أما الخليل فمحافظة وقضاء في الوقت نفسه . وقد انكمش قضاء الخليل عمّا كان عليه أثناء الانتداب ، وكذلك قضاء جنين وقضاء طولكرم . في حين زادت مساحة قضاء رام الله بضمّه بعض قرى قضاء الرملة المحتل منذ سنة ١٩٤٨ .

المراجع :

ـ الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، القاهرة ١٣٥٧هـ .
ـ اليعقوبي : كتاب البلدان ، ليدن ١٨٩١ .
ـ ابن شداد : الأعلاق الخطيرة ، دمشق ١٩٦٢ .
ـ ابن رستة : الأعلاق النفيسة ، ليدن ١٨٩١ .
ـ نجاة الخطّاش : الإدارة في العصر الأموي ، دمشق ١٩٨٠ .
ـ عبد العزيز محمد عوض : الإدارة العثمانية في ولاية سورية (١٨٦٤ ـ ١٩١٤) ، القاهرة ١٩٦٩ .
ـ أحمد عزة عبد الكريم : التقسيم الإداري لسورية في العهد العثماني ، القاهرة ١٩٣٢ .
ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، بيروت ١٩٧٤ .
ـ عبد الوهاب الكيالي : تاريخ فلسطين الحديث ، بيروت ١٩٧٠ .
ـ فيليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، بيروت ١٩٥٨ .
ـ مجموعة سالفات الدولة العثمانية من العدد ٣ إلى ٦٨ ، استانبول .
ـ محمد سلامة النحال : سياسة الانتداب البريطاني حول أراضي فلسطين .
ـ تقرير اللجنة الملكية لفلسطين سنة ١٩٣٧ .
ـ كامل محمود خلّة : فلسطين والانتداب البريطاني ، بيروت ١٩٧٤ .
— Bowen, H. and Gibb, H.A.R.: **Islamic Society and the West**, London 1951 - 1957.
— Heyd, U.: **Ottoman Documents on Palestine**, Oxford 1960.
— Holt, P.M.: **Egypt and the Fertile Crescent**, London 1966.
— Jones, A.H.M.: **Cities of the Eastern Roman Provinces**, London 1971.
— Le Strange: **Palestine under the Muslims**, London 1890.

الإدارة المدنية الفلسطينية : رَ : عموم فلسطين (حكومة ـ)

الإدارة المصرية لقطاع غزة :

أ ـ الوضع الخاص لقطاع غزة : بتاريخ ١٩٤٩/٢/٢٤ وقعت

في رودس اتفاقية الهدنة الدائمة بين مصر و(إسرائيل) * . وقد جاء في هذه الاتفاقية :

" يحتفظ المصريون بالسيطرة على الممر الساحلي الممتد من قرية رفح * على الحدود المصرية ـ الفلسطينية إلى نقطة تبعد ثمانية أميال إلى الشمال من غزة * ، وحددت الإحداثيات الطولية والعرضية على الخرائط المساحية لفلسطين بالنسبة لهذه المنطقة " .

وقد نصت المادة ١١ من اتفاقية الهدنة المذكورة على أن " خط الهدنة المحدد بموجب هذه الاتفاقية يجب ألاّ يعتبر حدوداً سياسية أو إقليمية ، وهو لا يمس الحقوق والمطالب التي تنتج عن تسوية القضية الفلسطينية " .

وهذا يعني أن هذه المنطقة التي سميت فيما بعد « قطاع غزة » لا تعني منطقة ذات حدود سياسية أو إقليمية ، وإنما هي المنطقة الفلسطينية التي تولت الحكومة المصرية إدارتها والتي تحددت بالشروط والتحفظات الواردة في اتفاقية الهدنة المصرية ـ الإسرائيلية ، وبقرار مجلس جامعة الدول العربية المؤرخ في ١٣/٤/١٩٥٠ الذي قضى :

" بأن دخول الجيوش العربية فلسطين لإنقاذها ينظر إليه كتدبير مؤقت حال من كل صفة من صفات الاحتلال والتجزئة لفلسطين وأنه بعد إتمام تحريرها تسلم إلى أصحابها ليحكموها كما يريدون " .

ألحقت الحكومة المصرية منطقة غزة بسلاح الحدود، فعينت المدير العام لسلاح الحدود الملكي والحاكم العسكري للصحراء الشرقية وغيرها من مناطق الحدود حاكماً إدارياً « للمناطق التي تخضع لرقابة القوات المصرية بفلسطين » . كما عينت وكيل محافظة سيناء نائباً للحاكم الإداري وخوّلته جميع سلطات الحاكم الإداري . وظل مقر الحاكم الإداري العام القاهرة ، واتخذ نائبه من غزة مقراً له .

قامت السلطة المصرية بإدارة القطاع إدارة مدنية بمسؤولين عسكريين في أكثر الأحيان ، وأعادت الدوائر الحكومية التي كانت قائمة في عهد الانتداب البريطاني للعمل ، مثل التعليم والصحة والزراعة والمحاكم المدنية والشرعية ، كما ألف نائب الحاكم المجلس الإسلامي الأعلى للمنطقة وخوّله جميع السلطات التي كانت مخوّلة للمجلس الإسلامي الأعلى * في فلسطين .

ظلت المنطقة تحمل اسم « المناطق الخاضعة لرقابة القوات المصرية بفلسطين » ويتولاها المدير العام لسلاح الحدود وينيب عنه نائباً يتولى سلطاته حتى عام ١٩٥٤ حين أصدر اللواء محمد نجيب رئيس وزراء الجمهورية المصرية آنذاك قرارا بتعيين حاكم عام « لقطاع غزة » . ومنذ ذلك التاريخ أطلقت هذه التسمية على المنطقة التي دخلت في مرحلة جديدة من الحكم تستهدف تطوير الإدارات وزيادة مسؤولية الموظفين الفلسطينيين .

ب ـ القانون الأساسي لقطاع غزة : حدد القانون الاساسي لقطاع غزة (القانون رقم ٥٥ لسنة ١٩٥٥) السلطات التشريعية والقضائية والتنفيذية ، كما نص على أن يستمر العمل بمرسوم دستور فلسطين لعام ١٩٢٢ وبالقوانين الفلسطينية التي كانت قائمة في ١٥/٥/١٩٤٨ بما لا يخالف الأحكام الواردة في القانون الأساسي ، وبما للسلطة التشريعية من حق إلغاء وتبديل ما تراه من قوانين .

وقد نظم القانون الأساسي السلطات الإدارية على الوجه الآتي :

١) الحاكم العام للقطاع : هو أعلى سلطة تنفيذية فيه ، ورئيس المجلس التنفيذي ، ويعين بقرار من رئيس الجمهورية المصرية .

٢) نائب الحاكم العام : يعين بقرار من وزير الحربية .

٣) مديرو الدوريات : يعينون بقرار من وزير الحربية . والمدير عضو في المجلس التنفيذي . وقد نص القانون الأساسي على تعيين هؤلاء المديرين من الفلسطينيين ذوي الخبرة العلمية والفنية متى توفر وجودهم ، أو من المصريين ذوي الخبرة العالية . أما المديريات فهي : مديرية الشؤون القانونية ، ومديرية الداخلية والأمن العام ، ومديرية المالية والاقتصاد ، ومديرية الشؤون الاجتماعية واللاجئين ، ومديرية الشؤون البلدية والقروية ، ومديرية التربية والتعليم ، ومديرية الأشغال العمومية والمواصلات .

جـ ـ المجلس التنفيذي : نص القانون الأساسي على أن يتألف المجلس التنفيذي من الحاكم العام رئيساً ، ومن مديري المديريات أعضاء . كما نص على ألاّ يكون اجتماع المجلس صحيحا إلاّ بحضور خمسة أعضاء على الأقل عدا الرئيس ، وأن تصدر القرارات بالأغلبية المطلقة لأصوات الأعضاء الحاضرين ، وعند تساوي الأصوات يرجح الجانب الذي منه رئيس الجلس . أما اختصاصات المجلس التنفيذي فقد حددها القانون الأساسي على الوجه التالي :

١) وضع اللوائح اللازمة لتنفيذ القوانين .

٢) ترتيب الوظائف العامة وتولية الموظفين .

٣) إصدار قرارات تكون لها قوة القانون إذا طرأت أحوال غير عادية تتعلق بالأمن العام أو النظام وتتطلب اتخاذ تدابير عاجلة ، على أن لا تكون القرارات مخالفة للقانون الأساسي . وينتهي العمل بهذه القرارات بقرار يصدر عن المجلس التنفيذي .

د ـ السلطات المالية : نص القانون الأساسي على أن يعد الحاكم العام مشروع ميزانية القطاع ويقدمها إلى وزير الحربية لتحصها واعتمادها . كما نص على أنه لا يجوز فرض ضريبة ، أو تعديلها ، أو إلغاؤها إلاّ بقانون .

هـ ـ الحكام الإداريون : يعاون الحاكم العام لقطاع غزة حكام إداريون يعينهم الحاكم العام من الضباط المصريين على الوجه الآتي :

١) حاكم غزة : يتولى مدينة غزة ، ومعسكر الشاطىء للاجئين ، وقرى جباليا * والنزلة وبيت حانون ومعسكر جباليا للاجئين .

٢) حاكم دير البلح : يتولى بلدة دير البلح * ، ومعسكر اللاجئين في دير البلح ، ومعسكرات اللاجئين في البريج ، والنصيرات والمغازي .

٣) حاكم خان يونس : يتولى مدينة خان يونس * ومعسكر اللاجئين فيها وقرى عبسان * وبني سهيلة * وخزاعة .

٤) حاكم رفح : ويتولى بلدة رفح ومعسكر اللاجئين فيها .

و ـ النظام الدستوري لقطاع غزة : أصدر الرئيس جمال عبد الناصر * رئيس الجمهورية العربية المتحدة في ١٩٦٢/٣/٥ إعلاناً بالنظام الدستوري لقطاع غزة . وأهم أحكام هذا النظام :

النص في الباب الأول على أن قطاع غزة جزء لا يتجزأ من أرض فلسطين ، وأن شعبها جزء من الأمة العربية ، وعلى أن الفلسطينيين يكوّنون اتحاداً قومياً للعمل المشترك من أجل استرداد الأرض المغتصبة من فلسطين ، وللمساهمة في تحقيق رسالة القومية العربية .

نصّ الباب الثاني على تنظيم الحريات والحقوق العامة . وقد كفل النظام الدستوري حرية الإقامة والتنقل والاعتقاد والقيام بشعائر الأديان وحرية الفكر والرأي ، ونص على حرية الملكية وعلى حق الفلسطينيين في مخاطبة السلطات العامة .

وتناول الباب الثالث : السلطات العامة التنفيذية والتشريعية والقضائية ؛ فناط السلطة التنفيذية والتشريعية بالحاكم العام مع المجلس التنفيذي ، وناط السلطة القضائية بالمحكمة العليا وغيرها من المحاكم وفقاً للأحكام التي نص عليها النظام الدستوري والقوانين الأخرى .

فُصلت أحكام النظام الدستوري لقطاع غزة في ستة فصول : وقد تناول الفصل الأول كيفية تعيين الحاكم العام ، ونص على أن لوزير الحربية أن ينتدب ، بقرار منه ، من يقوم بأعمال الحاكم العام في حال غيابه ، أو وجود مانع ، ما عدا التصديق على القوانين وإصدارها .

كما حددت في هذا الفصل سلطة الحاكم العام في التصديق على القوانين وإصدارها والاعتراض عليها ، وحق المجلس التشريعي في الإصرار على القوانين التي أقرها ولو اعترض عليها الحاكم العام ، وفق أصول تفصيلية بيّنها النظام .

أما الفصل الثاني من النظام الدستوري فقد تناول الأحكام الخاصة بالمجلس التنفيذي ، فنص على كيفية تأليفه ، وشروط صحة انعقاده وحقه في أن يصدر ، في حالات الضرورة ، قرارات يكون لها قوة القانون ، بشرط عرضها على المجلس التشريعي عند انعقاده بما يحقق رقابة السلطة التشريعية على تلك القرارات .

وعرّج الفصل الثالث على الأحكام الخاصة بالمجلس التشريعي فنصت المادة ٣٠ على كيفية تأليف المجلس التشريعي . وقد روعي في تشكيله أن يكون مؤلفاً من أعضاء المجلس التنفيذي ومن ٢٢ عضواً ينتخبهم الأعضاء المنتخبون لعضوية اللجان المحلية للاتحاد القومي طبقاً لنظام الانتخاب الذي أصدره الحاكم العام بهذا الشأن ، ومن ١٠ أعضاء يعينهم الحاكم العام ليسدّ حاجة المجلس إلى بعض أهل التجربة والخبرة والكفاية . وبهذا تكون أغلبية أعضاء المجلس مؤلفة من الأعضاء المنتخبين .

وند نصت المادة ٣١ على أن مدة العضوية في المجلس التشريعي ثلاث سنوات . وقضت المادة ٣٣ بأن ينتخب المجلس في أول اجتماع وكيلا له . وجعل الاختصاص في إبطال الانتخابات للمحكمة العليا ، على أن يحدد نظام الانتخابات الذي يصدر من الحاكم العام طريقة السير في هذا الشأن .

ونصت المادة ٣٦ على أن الحاكم العام يدعو المجلس للانعقاد ، ويفضّ دورته ، وعلى أن دور الانعقاد السنوي يدوم أربعة أشهر . وتبدت المادة ٣٧ حق الحاكم العام في تأجيل انعقاد المجلس التشريعي مدة لا تزيد على شهرين .

واستحدث النظام الدستوري حق الأعضاء في توجيه أسئلة إلى أعضاء المجلس التنفيذي تمكيناً لهم من الرقابة البرلمانية .

أما الفصل الرابع فقد اشتمل على أحكام السلطة القضائية ، فنصّ على استقلال القضاء ، وعلى أن القانون يرتب جهات القضاء . وبينت المادة ٥٧ طريقة تأليف المحكمة العليا ، وقررت أن رئيسها يعين بقرار من رئيس الجمهورية العربية المتحدة ، وأن الأعضاء يعينون بقرار من وزير الحربية .

ونصت المادة ٥٨ على سلطة المحكمة العليا في إلغاء القرارات الإدارية في الحالات التي تستوجب الإلغاء وفق أحكام فصلتها المادة .

وتناول الفصل الخامس القوات المسلحة ، فنصّت المادة ٦١ على أن القوات المسلحة المرابطة في قطاع غزة تكون خاضعة للقيادة التي تحددها القيادة العامة للقوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة ، وأن للقائد العام للقوات المسلحة في الجمهورية العربية المتحدة سلطة إصدار أوامر لها قوة القانون في كل ما يتعلق بالتدابير اللازمة لسلامة القوات ومقتضيات الدفاع العسكري .

ونصت المادة ٦٢ على أن القانون يبين نظام هيئات الشرطة وما لها من اختصاصات .

وعالج الفصل السادس موضوع الميزانية . وقد رُئي أن يؤخذ رأي المجلس التشريعي في مشروعها . وقد استحدث هذا الاختصاص بسبب زيادة إيرادات القطاع . وقد روعي في ذلك خصوصية ميزانية القطاع ، وكونها تتألف من اعتمادات ثابتة ، كمرتبات الموظفين ، لا تخضع لتسوية الاعتماد ، واعتمادات أخرى متغيرة هي التي نعرض على المجلس لإبداء الرأي فيها .

أما الباب الرابع من النظام الدستوري فقد خصص للأحكام العامة ، فنصت المادة ٦٩ على أن كل ما قررته الأنظمة والتشريعات واللوائح والأوامر الفلسطينية يبقى ساري المفعول فيما لا يتعارض مع أحكام النظام الدستوري . كذلك تبقى سارية المفعول كل القوانين والأوامر والتعليمات التي أصدرها وزير الحربية ، أو القائد العام للقوات المسلحة ، أو أي سلطة مختصة في تلك المنطقة ، منذ دخول القوات المصرية فيها في ١٩٤٨/٥/١٥ ، وانه لا تترتب أية مسؤولية بسبب الإجراءات والأعمال والأوامر والأحكام التي اتخذت بمقتضى القوانين واللوائح والأوامر والتعليمات المنصوص عليها في تلك المادة قبل تاريخ ١٩٥٨/٢/٢٥ .

ونصت المادة ٧٣ على أن للحاكم العام وللمجلس التشريعي اقتراح تنقيح النظام الدستوري . ولا يكون التنقيح نافذاً إلا بقرار من رئيس الجمهورية العربية المتحدة .

وعندما قامت منظمة التحرير الفلسطينية " أصدر رئيس الجمهورية العربية المتحدة قرارا بتعديل المادة الثانية من النظام الدستوري لقطاع غزة الصادر في آذار ١٩٦٢ لتصبح كالآتي :

" تحرير فلسطين واجب مقدس على أبنائها وعلى كل عربي ، وفي سبيل ذلك يعمل الفلسطينيون في قطاع غزة متلاقين مع إخوانهم أبناء فلسطين أينما كانوا في تشكيل قومي (منظمة التحرير الفلسطينية) هدفه الأسمى العمل المشترك على استرداد الأرض المغتصبة من فلسطين والمساهمة في تحقيق رسالة القومية العربية " .

ز ـ المجلس التشريعي حسب القانون الأساسي : تنفيذاً لما جاء في القانون الأساسي لقطاع غزة تم تشكيل المجلس التشريعي للقطاع على الوجه التالي :

١) الحاكم العام ويترأس المجلس .

٢) أعضاء المجلس التنفيذي .

٣) رئيس مجلس بلدية غزة وثلاثة من أعضائه ينتخبهم المجلس لمدة ثلاث سنوات .

٤) رئيس مجلس بلدية خان يونس واثنين من أعضائه ينتخبهما هذا المجلس لمدة ثلاث سنوات .

٥) عضو من كل من المجالس القروية في رفح ودير البلح وجباليا تنتخبهم هذه المجالس لمدة ثلاث سنوات .

ح ـ الاتحاد القومي العربي الفلسطيني : عند المجلس التشريعي في ١٩٥٨/٥/١٥ جلسة استثنائية قرر فيها قيام « الاتحاد القومي العربي الفلسطيني » ، وشكل لجنة من أعضائه ، ومن العناصر الوطنية من خارج المجلس ، لوضع الميثاق الوطني والنظام الأساسي للاتحاد . عقدت اللجنة عدة جلسات أتمت فيها وضع الميثاق . وفي ١٩٥٩/٣/٧ ، وفي مؤتمر شعبي عام ، تلي الميثاق الوطني وأعلن نظام الاتحاد .

وقد جاء في هذا الميثاق الوطني :

" نحن الشعب العربي الفلسطيني الذي يشعر من أعماق ضميره ، وبكامل وعيه ، بمرارة الكارثة التي ألمت به خلال عام ١٩٤٨ ، والذي يؤمن ايمانا لا يتزعزع بأن النصر آت لا ريب فيه ، وأن الوحدة وجمع الكلمة والكفاح المسلح هي طريق النصر ، ولا طريق سواها ، نحن الشعب العربي الفلسطيني نملي هذا الميثاق ، ونعلنه ، ونقسم على تحقيقه " .

وجاء فيه أيضاً أن :

" فلسطين جزء لا يتجزأ من الوطن العربي الكبير ، وان تحريرها فرض محتم على أبنائها ، وعلى المواطنين العرب في كل مكان . وأن الوحدة العربية والقومية العربية هما روح المعركة والغاية منها . وأن إسرائيل كيان عدواني أثيم أقامه الاستعمار على أشلاء عرب فلسطين ، وأن القضاء عليها واجب على كل عربي ، وأن الاتحاد القومي ، أثناء المعركة ، ضرورة تستلزمها معركة التحرير " .

ط ـ اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد القومي العربي الفلسطيني : قامت اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد القومي العربي الفلسطيني كهيئة تأسيسية في ١٩٥٩/٣/١٤ ، وباشرت تشكيل اللجان المحلية . وبعد مضي فترة من الانتقال ، أعلن الحاكم العام للقطاع في القرار رقم ٣١ لسنة ١٩٦٠ تحديد موعد انتخابات لجان الاتحاد القومي العربي الفلسطيني ، كما تضمن القرار كيفية إجراء الانتخابات بحيث تؤلف لجنة محلية للاتحاد القومي في قطاع غزة لكل وحدة انتخابية . ويحدد عدد الوحدات دوائرة كل منها ومقرها وعدد ممثليها بواقع ممثل لكل ألف نسمة من السكان .

وفي ١٥ كانون الثاني جرت انتخابات الاتحاد القومي العربي الفلسطيني ، وانتظم قطاع غزة في ٢٧ لجنة قوام كل منها ١٥ عضواً . وجرى بعد ذلك انتخاب اللجان التنفيذية في جميع المناطق ، وقد نظم القطاع في خمس مناطق هي : رفح وخان يونس والعسكرات الوسطى ومنطقتا غزة .

وعقد أول اجتماع للقواعد الشعبية حضره جميع ممثلي الشعب العربي الفلسطيني للقطاع ، كما حضره رئيس المجلس التشريعي

الحاكم العام لقطاع غزة ، وأعضاء المجلس التنفيذي ، وعدد كبير من المواطنين . وقد ردد الجميع في بداية الاجتماع القسم الآتي :

" أقسم بالله العظيم ، وبشرف فلسطين وحريتها ، وبأرواح شهدائها أن أبذل مالي وروحي ودمي في سبيل تحرير فلسطين ولي سبيل تحرير الوطن العربي ، وأن أرعى ميثاق الاتحاد القومي ، وأعمل على تحقيقه . والله على ما أقول وكيل " .

ي ـ المجلس التشريعي المنتخب حسب الإعلان الدستوري : تطبيقاً لما جاء في الإعلان الدستوري لقطاع غزة ، وبعد قيام الاتحاد القومي العربي الفلسطيني ، دعا الحاكم العام الأعضاء المنتخبين لعضوية اللجان المحلية للاتحاد القومي إلى الإجتماع في ١٩٦٢/٥/١٦ لانتخاب أعضاء المجلس التشريعي .

وقد اشترط في عضوية المجلس التشريعي أن يكون العضو المرشح منتخباً من إحدى اللجان المحلية التابعة للدائرة الانتخابية التي يرشح نفسه فيها ، وأن يكون بالغا من العمر ثلاثين سنة ميلادية ويحسن القراءة والكتابة ، وألاّ يكون محكوماً عليه بسبب فعل يعتبره القانون جناية ، وألاّ يكون محجوزا عليه ، وأن يرشح نفسه للانتخاب .

جرت الانتخابات يوم ١٩٦٢/٥/٢٦ . وفي ٣٠ من الشهر نفسه صدرت مجلة الوقائع الفلسطينية متضمنة أسماء الأعضاء المنتخبين للمجلس التشريعي ، وعددهم ٢٢ عضواً ، والأعضاء المعينين وعددهم ١١ عضوا .

دعا الحاكم العام للقطاع المجلس التشريعي للانعقاد يوم ١٩٦٢/٦/٢٣ . وباشر المجلس المنتخب أعماله ، فعقد جلسته الافتتاحية الأولى التي بدأت بحلف اليمين الدستوري وهو :

"أقسم بالله العظيم أن أحترم النظام الدستوري لقطاع غزة ، والقانون ، وأن أرعى مصالح الشعب الفلسطيني رعاية كاملة " .

وقام المجلس بانتخاب أول رئيس فلسطيني له ، فانتخب الدكتور حيدر عبد الشافي ، كما انتخب محمود نجم وكيلاً .

ثم باشر المجلس التشريعي أعماله في استصدار التشريعات والقوانين .

ك ـ جيش التحرير الفلسطيني : وقد كان من أبرز القوانين التي استصدرها المجلس التشريعي ، وأقرها ، ونفذها ، قانون " الخدمة العسكرية والوطنية في قطاع غزة " . وكان ذلك استجابة لمطلب منظمة التحرير الفلسطينية الذي أقره مؤتمر القمة العربي الثاني (الإسكندرية ١٩٦٤/٩/٥) .

وقد جاء في المذكرة الإيضاحية لهذا القانون ما يلي :

" لما كان الشعب العربي الفلسطيني قد أثبت خلال مجاربه وتضحياته في مواجهة الأحداث أنه مصمم على انتزاع حقه الشرعي في عودته إلى وطنه المقدس نفذ عمل طوال الأعوام الماضية على تعبئة جهوده ، وحشد طاقاته لإبراز كيانه ، وقد أذكى من عزيمته وقوّى من إيمانه في العودة القريبة إلى وطنه اشتعال القومية العربية وما حققته من انتصارات .

" ولما قامت منظمة التحرير الفلسطينية على قرار المؤتمر الفلسطيني الأول في القدس الشريف في ٢٨ أيار ١٩٦٤ ، وتحقيقاً لمطالب الجماهير العربية الفلسطينية في قيام جيش التحرير الفلسطيني من أجل استعادة وطنها المغتصب فلسطين ، وقد بارك إنشاء جيش التحرير هذا مؤتمر القمة العربي الذي انعقد في الإسكندرية في ٥ أيلول سنة ١٩٦٤ ، كما وافق على دعم جهود الشعب العربي الفلسطيني المناضل في تحقيق إبراز كيانه ليسط سيادته على وطنه .

" وكان لا بد أن يكون لهذا الشعب قواته المسلحة التي تحقق أمنياته الغالية وتذود عن حياضه ، وتعيد إليه وطنه تأكيداً للعدل ودعماً للحق .

" ولما كانت الخدمة العسكرية والوطنية شرفا لكل عربي فلسطيني ، وواجبا مقدساً عليه ، والوسيلة المشرفة لتحقيق أسمى أهداف الأمة العربية جمعاء لتحرير فلسطين .

" رأصبح من الواجب إنشاء قوات عربية فلسطينية مسلحة لتكون طليعة الجهاد المقدس لتحقيق أهداف هذا الشعب العربي الفلسطيني .

" لذلك أعد القانون وبني على أسس رئيسية أهمها :

" المساواة بين جميع المواطنين في أداء ضريبة الدم للوطن سواء بتأدية الخدمة العسكرية الفعلية على الوجه المنصوص عنه في مواد هذا القانون ، أو بتأديتهم الخدمة في كتائب الأعمال الوطنية المنصوص عنها في هذا القانون كذلك " .

وقد بوشر فعلاً في تطبيق القانون فور صدوره ، واستجاب الشعب العربي الفلسطيني في قطاع غزة لهذه الدعوة استجابة منقطعة النظير ، إيماناً منه بأن الكفاح المسلح هو الطريق الأساس لاسترداد حقه المغتصب ، واسترداد وطنه المسلوب .

ل ـ التدريب الشعبي : أصدر الحاكم العام لقطاع غزة قرارا بقانون بشأن التدريب الشعبي تدعيماً للقوات المسلحة الفلسطينية ، وتعبئة للشعب من أجل استرداد وطنه .

وقد فرض هذا القانون على جميع الأفراد الذين بلغوا سن الثامنة عشرة حتى سن الأربعين ، ولم يجندوا بالقوات الفلسطينية لأي سبب من الأسباب طبقاً لقانون الخدمة العسكرية والوطنية ، أن يسجلوا أسماءهم في مراكز التسجيل للتدريب الشعبي ، كما نص على أنه لا يجوز الترخيص لأي فرد ممن تنطبق عليه أحكام المادة الخاصة بالتدريب الشعبي بالحصول على تأشيرة خروج من القطاع ، أو

الالتحاق بأية وظيفة عامة، أو الالتحاق بعمل عن طريق مكتب العمل إلاّ إذا كان حاصلاً على شهادة التدريب الشعبي في نيادة الحرس الوطني .

م ـ ضريبة التحرير : وكان القانون الآخر الهام الذي استصدره المجلس التشريعي هو قانون ضريبة التحرير الذي جاء في مذكرته الإيضاحية :

" لما أن قامت منظمة التحرير الفلسطينية ، وقرر المجلس التشريعي قانون الخدمة العسكرية لإنشاء جيش التحرير الفلسطيني لاستئناف الكفاح المسلح لأجل استعادة الوطن السليب .

ولما كان هذا العمل يحتاج بجانب ضريبة الدم ، أموالاً لتجهيز الجيش وتسليحه بصورة تليق بما ينتظرنا من كفاح ، لذلك فقد رئي إصدار القانون المرفق بفرض ضريبة تسمى ضريبة التحرير على الوجه المبين في القانون المذكور " .

وكما استجاب الشعب العربي الفلسطيني في قطاع غزة لنداء الخدمة العسكرية ودفع ضريبة الدم ،بادر بكل فئاته للاستجابة إلى دفع ضريبة التحرير .

ن ـ الإدارة المصرية ومنظمة التحرير الفلسطينية : وضعت الإدارة المصرية لقطاع غزة ، بناء على توجيهات الرئيس جمال عبد الناصر ، جميع الإمكانيات في خدمة منظمة التحرير الفلسطينية . فقد أصبح القطاع في فترة وجيزة قاعدة شعبية عريضة لمنظمة التحرير الفلسطينية بوجود جيش التحرير الفلسطيني وضريبة التحرير والحرس الوطني الفلسطيني والتنظيم الشعبي .

وقد ظل ذلك قائماً حتى عدوان ١٩٦٧ (رَ : حرب ١٩٦٧) ، حين واجه الشعب في القطاع العدوان بضراوة . وقاتل جيش التحرير الفلسطيني قوات الاحتلال الصهيونية ببسالة ، وبمكن بإمكانياته غير المتكافئة أن يعوق العدو وأن يوقع في صفوفه خسائر كبيرة قبل أن يسقط القطاع فريسة للاحتلال الإسرائيلي .

الأدب :

الأدب الفلسطيني من أشدّ الآداب التصاقا بشخصية شعبه ، وأصدقها في التعبير عن هموم الشعب الفلسطيني تعبيراً حيّا ، وعن العطاء الذي تقدّمه الفلسطينيون لوطنهم وقدرتهم على الصمود والمقاومة والبذل والتضحية . وقد أصبحت أركان هذا الأدب ، من شعر ورواية وقصة * قصيرة ومقالة ونقد وبحث ودراسة ، في مستوى لا يقل عمّا بلغته الآداب العربية المتقدمة .

وثمة أنواع تدخل في نطاق هذا الأدب وفروعه كالخطابة * ، والمسرحية * ، والأدب الشعبي ، والنشاط اللغوي ، والترجمة * ، والرسائل ، والمذكرات ، والأدب الصحفي ، والتأليف في التاريخ والجغرافيا والفلسفة ، والقضايا العلمية ، والسياسية ، والسيرة ، وأدب الرحلات ، وأدب الأطفال ، والأدب الإذاعي ، وتحقيق التراث ، وغيرها . ولم يفت هذا الأدب فرصة التعبير عمّا في نفس بعض أصحابه بلغات أجنبية . ولهذا كان الأدب الفلسطيني أدباً واسع الآفاق متنوع التيارات . وسيقتصر البحث هنا على النقد الأدبي ، والأدب الإذاعي ، وأدب الأطفال ، وأدب الرحلات .

أ ـ النقد الأدبي : من يتتبع حركة النقد الأدبي الفلسطيني الحديث في النصف الثاني من القرن التاسع عشر يكاد لا يظفر بشيء ذي بال ، فقد كانت هذه المرحلة مرحلة تقاريظ ساذجة ، ومن أمثلة ذلك ما عمد إليه عباس الخماش من نابلس من تقريظ لحلة « الجنان » للمعلم بطرس البستاني ، وما فعله أبو السعود أحد علماء القدس الشريف بكتاب « سر الليال » لأحمد فارس الشدياق ، وما فعله ياسين النابلسي بصحيفة الشدياق « الجوائب » ، وما فعله يوسف أسعد نجل مفتي السادات بالقدس الشريف « بالجوائب » أيضاً ، وما فعله كذلك يوسف النبهاني * « بالجوائب » و« سر الليال » .

وينقضي النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، ويجيء القرن العشرون ، فيحدث ما يشبه القفزة في حركة النقد الأدبي في فلسطين ، وذلك بظهور كتاب روحي الخالدي * المقدسي « تاريخ علم الأدب عند الإفرنج والعرب وفيكتور هوجو» . فقد كان هذا الكتاب سبقا في عالم النقد الأدبي العربي الحديث ، وكان تأثره بالغرب أعمق من تأثر المهجريين الذين كانوا في وقته (بدأت طباعة هذا الكتاب وظهوره للجمهور ما بين سنة ١٩٠٢ و١٩٠٤) . ولي حين كان النقد الأدبي العربي الحديث في مطالع القرن العشرين الأولى يكتفي بالمطالبة بالجديد دون أن يبين عن أفكار أدبية متبلورة ، جاء كتاب الخالدي يحمل بعض هذه الأفكار .

أما حركة النقد الأدبي الفلسطيني في الرقعة الزمنية التي امتدت قرابة أربعة عقود انتهت بنكبة فلسطين سنة ١٩٤٨ فتكاد تكون أشدّ

المراجع :

ـ جامعة الدول العربية : الوثائق الرسمية في قضية فلسطين ، المجموعة الثانية ، ١٩٤٧ ـ ١٩٥٠ .

ـ محمد علي خلوصي : التنمية الاقتصادية في قطاع غزة (فلسطين) ١٩٤٨ ـ ١٩٦٦ .

ـ الوقائع الفلسطينية : (الجريدة الرسمية لقطاع غزة) العدد الأول ٢١/١٢/١٩٤٩ حتى العدد الأخير .

ـ نداء العودة : مجلة الاتحاد القومي العربي الفلسطيني .

ـ الوثائق الفلسطينية ، بيروت .

ـ حسين أبو النمل : قطاع غزة ١٩٤٨ ـ ١٩٦٧ ، تطورات اقتصادية وسياسية واجتماعية وعسكرية ، بيروت ١٩٧٩ .

فترات الحياة الفلسطينية النقدية حرارة وامتلاء بالعافية التي لا تقل في مستواها عمّا في الحياة النقدية والأدبية والفكرية في بعض البلاد العربية المتقدمة ، مع الفارق في الحجم والكم وحسب . إن هذه العقود الأربعة تكاد تكون الرقعة الزمنية الهمة التي تركت أبرز السمات في شخصية فلسطين الثقافية والسياسية والاجتماعية .

وقد ارتاد النقد الأدبي الفلسطيني بعد كتاب الخالدي آفاقاً واسعة تضاهي آفاق النقد الأدبي في البلاد العربية الأخرى المتقدمة . فقد برز نشاط الأستاذ خليل بيدس * في مجلته « النفائس العصرية » منذ سنة ١٩٠٨ . وقد ظهرت بوادر النقد الأدبي الفلسطيني في هذه المرحلة في الصحف أكثر من ظهورها في كتب نقدية .

وقد كان للمآسي التي عاناها المجتمع العربي الفلسطيني من جرّاء تألّب الاستعمار العالمي والصهيوني على فلسطين أثناء هذه المرحلة أن تجنب النقد الأدبي الإعلاء من ظاهرة المدرسة الرمزية التي تستعمل الإيجاز والتلميح في التعبير عن الحالات النفسية بدلاً من الأسلوب التقريري المباشر ، وتحلّ الخيال محل الواقع والحقيقة ، وناهض هذا النقد الفكرة الجمالية « الفن للفن» . وربما كان لهذا كله أثر في توجيه حركة النقد الأدبي الفلسطيني في هذه المرحلة الزمنية نحو تيارين بارزين ، هما تيار المدرسة الرومانسية الذي غلبت فيه الاتجاهات الإيجابية ، وقلّت السلبية ، وتيار المدرسة الواقعية الجديدة .

وقد ظهرت وجوه غير قليلة في مضمار النقد الأدبي في هذه الفترة ، فكتب في النقد الذي يمكن أن ينضوي تحت لواء المدرسة الرومانسية كوكبة ، منهم : خليل بيدس ، وتوفيق زيتق ، ومحمد اسعاف النشاشيبي * ، وخليل السكاكيني * ، وأحمد شاكر الكرمي * ، وإسحاق موسى الحسيني ، وعادل جبر * ، وداود حمدان ، ويوسف سلوم ، وعلي كمال ، وعبد الكريم الكرمي * ، ومحمد العدناني * ، ورائدة جار الله ، وإبراهيم عبد الستار ، وجبرا إبراهيم جبرا ، وخيري حماد * وغيرهم .

وكتب في النقد الذي يمكن أن ينضوي تحت لواء المدرسة الواقعية الجديدة ، أو ما يقرب منها قرباً إيجابياً ، مغلباً عوامل الجماعة على العوامل الفردية كوكبة ، منهم : عبد الله مخلص ، ونجاتي صدقي ، وعارف العزوني ، ورجا الحوراني ، وعبد الله بنداك ، ومخلص عمرو * ، ومحمود سيف الدين الإيراني * ، ويوسف خوري .

وقد تناولت المدرسة الرومانسية قضايا أدبية هامة أبرزها : أهمية الروايات (أي القصص الروائي) في بناء الحضارة ، والثقافة . وحين يبين خليل بيدس العلاقة بين الكاتب ومجتمعه يقول : " الروائي يكتب للعامة ، وهم السواد الأعظم من كل أمة ، يكتب للنفوس الحائرة ، والقلوب المتألمة ، يكتب للنفوس الجائعة والقلوب الظمأى " . وخليل بيدس آراء فطنة في الرواية وعلاقاتها بالناس ، وبالشرق والغرب ، وآراء في الروائي العبقري .

أما محمد إسعاف النشاشيبي فقد تناول قضية اللغة وصلتها بأهلها وبعصرائهم وحضارتهم ، وقضية اللفظ و المعنى ، وقضية التجديد والتقليد وغيرها .

وكان خليل السكاكيني من الشخصيات النقدية التي أثارت قضايا نقدية بحد وإخلاص وأصالة ، فهو الذي أثار قضايا تحديد طبيعة الأديب ، والكاتب ، والشاعر . وهو الذي أثار قضية الشعر وأنواعه ، والكلام وأنواعه ، والأسلوب ، والصلة بين المذهب في الكتابة والفئة الاجتماعية ، والتطور في الأساليب ، وكذلك قضية القديم والجديد .

وأسهم أحمد شاكر الكرمي في الحركة النقدية ، فقد كتاب « الشاعر » أو «سيرانو دي برجراك» لمؤلفه الشاعر الفرنسي إدمون روستان ، وهو تمثيلية شعرية في الأصل نقلها المنفلوطي إلى قصة عربية . وقد أثار أحمد شاكر الكرمي فيما أثار من قضايا نقدية قضية « الشخصية في الأدب » ، ورأى أن النقد الموضوعي أوسع مجالاً من النقد الذاتي ، وقسم النقد إلى نقد بياني يقتصر على الألفاظ ، ونقد تحليلي يتناول الآراء والأفكار . ومن آراء الكرمي النقدية قوله : " لا جدال في أن اللغة هي مادة الأدب ، ولكن امتلاك تلك المادة وحدها من غير إلمام بفنون التصرف فيها لا يصيّر المرء كاتبا ولا شاعرا ، كما أن امتلاك الذهب مثلاً ، وهو المادة التي تصنع منها الحلي ، لا يصيّر مالكه صائغاً " .ويرى الكرمي ثلاثة واجبات ينبغي للناقد النقد بها : العدالة نحو القارىء ، والعدالة نحو المؤلف ، والعدالة نحو الناشر ، وهو يرى أن الكتّاب فريقان : فريق المتحررين ، وفريق المقيدين .

أما عادل جبر فقد كتب في « الأدب والأطفال » . وأسهم جبرا إبراهيم جبرا في هذه الفترة بجهد مبكر في النقد ، فكان من ذلك كلامه حول الفن والفنان بشيء من الرومانسية والميتافيزيقية .

هذا جانب من نشاط النقاد الرومانسيين الفلسطينيين في هذه المرحلة . أما الواقعية الجديدة فقد عالجها أعلام كان لهم دور كبير في الثقافة الفلسطينية ، منهم عبد الله مخلص الذي ثقف طبيعة المجتمعات ، وحلل بصورة خاصة تركيبها الاقتصادي ، وسخر من الأدباء المغرضين ومن نظريتين مضحكتين : أما الأولى فهي « الفن للفن » وأما النظرية الثانية فهي أن الفن موهبة فطرية لا تكتسب بالمران والاجتهاد ولا يمكن للمرء أن يتعلمها أو يتلقاها .

ومن كتّاب الواقعية الجديدة نجاتي صدقي الذي سلط الأضواء على فلسفة ابن خلدون وقربها الشديد من فلسفة هيغل في الجانب

الجدلي منها ، ومن فلسفة كارل ماركس من ناحية المادية وصراع الطبقات فيها . وقد سلط نجاتي صدقي كذلك الأضواء على منهج بيتهوفن ومنهج داروين ، ومنهج ديكارت والمادية الميكانيكية ، وحاول تفسير هذه المناهج بطريقة النشاط الفكري والثقافي ، والفن المتصل بالتركيب الاجتماعي المتأثر بالعلاقات الإنتاجية والاقتصادية .

أما حركة النقد الأدبي في فلسطين المحتلة بعد نكبة سنة ١٩٤٨ فقد التصقت التصاقا حميا بالشعر والأدب في فلسطين المحتلة . وتظهر سمات المدرسة الواقعية الجديدة في النقد الأدبي الفلسطيني داخل الأرض المحتلة بعد نكبة سنة ١٩٤٨ ، وخاصة عند الشعراء النقاد الثلاثة البارزين : محمود درويش ، وسميح القاسم ، وتوفيق زيّاد . وكان نقدا ذا مذاق خاص ، بالإضافة إلى نضجه وعمقه وسعة آفاقه ، له أيضاً مذاق النقد التطبيقي الذي يتحسس ما يقوله الواحد منهم في شعره هو نفسه ، ويتحسسه في شعر الآخرين وأدبهم .

ولكن هذا لا يعني أن هؤلاء الثلاثة هم الذين يقفون وحدهم في ساحة النقد الأدبي في هذه المرحلة ، أي مرحلة ما بعد نكبة ١٩٤٨ في الأرض المحتلة ، بل يقف معهم زملاء لهم ، منهم : سالم جبران الشاعر المعروف ، وطارق عوض الله ، وعلي عاشور ، ومحمد خاص ، وعفيف سالم .

ومن القضايا التي عالجها هؤلاء الشعراء دور شعر الأرض المحتلة في الشعر العربي المعاصر الثوري . ويبين محمود درويش كيف يصبّ هذا الشعر في نهر الشعر العربي بتياره الخصب الملتحم بالأرض والإنسان ، وما يعترضها من اضطهاد وعذاب وعدوان ، وكيف يندغم هذا التيار بذلك النهر ، وبحركة التقدم الإنساني في العالم . يقول محمود درويش عن شخصية الشعر الفلسطيني وأبعاده : " شعر المقاومة ، كما أفهمه ، تعبير عن رفض الواقع ، معاً بإحساس ووعي عميقين بلا معقولية استمرار هذا الواقع ، وبضرورة تغييره والإيمان بإمكانية التغير . قد يبدأ هذا الشعر غالباً بالتعبير عن الألم ، والظلم ، ثم الاحتجاج والغضب والرفض " .

أما سميح القاسم فقد عالج فيما كتب قضايا نقدية من بينها : الموقف والفن ، والشكل الحديث للشعر ، وضرورة مواجهة الجماهير ، وتأثير الأساطير الشعبية والحكايات في شعره وشعر زملائه والمدرسة الشعرية التي ينتمي إليها .

ومن القضايا النقدية التي تناولها توفيق زيّاد : قضية الأدب الشعبي ، واهتمامه بهذه القضية ضارب في أعماق واقعيته الجديدة وإيديولوجيته العامة ، وقضية اللغة العربية السليمة ، وملامح الشعر الثوري في فلسطين المحتلة . ولتوفيق زيّاد ثلاث دراسات لثلاثة دواوين شعرية : الأولى حول مجموعة شعرية مخطوطة لشاعر آثر توفيق زيّاد أن يذكر اسمه المستعار ، وهو عبد المنعم ، والثانية ديوان " عاشق من فلسطين " لمحمود درويش ، والثالثة ديوان " موعد مع المطر " لفوزي عبد الله .

وإذا انصبّ الحديث على حركة النقد الأدبي في داخل فلسطين فإن هذا لا يعني أن النقد لم تمتد حركته الفلسطينية خارج فلسطين ، فقد ظهر نقّاد فلسطينيون في البلاد العربية ، وغير العربية ، ومن هؤلاء : إحسان عباس ، وجبرا إبراهيم جبرا ، وتوفيق صايغ * ، ومحمد يوسف نجم ، ومحمود السمرة ، وعبد الرحمن ياغي ، وهاشم ياغي ، وإسحاق موسى الحسيني وغيرهم .

ب ـ الأدب الإذاعي : كان عاملاً من عوامل النهضة الأدبية في فلسطين ، وقد جاء متأخراً عن العوامل الأخرى ، ولكن الذين أشرفوا عليه كانوا يدركون أهميته منذ وجدت الإذاعة ، وقد أدركت حكومة الانتداب البريطانية في فلسطين من قبل أهمية هذا العامل ، فسعت منذ مرحلة مبكرة لتأسيس محطة إذاعة . ومن الغريب أنّ اختيارها وقع على الشاعر إبراهيم طوقان * لإدارة البرامج العربية . ولكن الصدام وقع بين هذا الشاعر الوطني ، والسلطات ، وتضاربت الغايتان ، وثارت الصهيونية على وجوده هناك ، وشددت السلطات الرقابة على كل ما يذيعه . وانتهى الأمر بإقصائه عن الإذاعة . وقد استطاع إبراهيم طوقان من خلال سنوات إشرافه الأربع أن يُغني الأدب بالأحاديث والمحاضرات ، أبرزها سلسلة موضوعها " شخصيات فلسطينية بارزة " كان لها دورها في التراث العربي .

كذلك كان لعالم فلسطين قدري طوقان * أثر كبير في هذا الميدان الإذاعي بما قدم من أحاديث عن الجوانب العلمية وأبرز العلماء .

وعمدت الإذاعة الفلسطينية لدعوة الكتاب والباحثين والمحاضرين من فلسطين ومن البلاد العربية المجاورة ليلقوا أحاديثهم وليعرضوا نتاج أدبهم من خلالها . ومن هؤلاء الشاعر اللبناني الأخطل الصغير بشارة الخوري الذي حيّا فلسطين بقصيدة أذاعها مساء الخميس ١٩٤٢/٤/٢ ، وعبد اللطيف الطيباوي الذي كان يحاضر الناس عن الجيش في التاريخ الإسلامي ، ثم عن التربية والتعليم في العصور الإسلامية . وتحدث عبد السلام البرغوثي عن دار العرب والإسلام ، وأذاع عدداً من التعليقات السياسية حول الأحداث الدولية ، وعدداً من التعليقات الاقتصادية كذلك . ومن الأدباء العرب الذي تحدثوا من خلال هذه الإذاعة عباس محمود العقاد وإبراهيم عبد القادر المازني والشيخ عبد العزيز البشري ومحمد كرد علي وخليل تقي الدين ويوسف يزبك . كذلك ألقت فيها

أسمى طوبي وماري صروف شحادة وقدسية خورشيد أحاديثهن عن المرأة والأسرة وتربية الطفل .

وهكذا أسهم هؤلاء الأعلام الكبار وكثيرون غيرهم في حركة الأدب الفلسطيني الحديث إسهاماً جيداً .

وحين قامت محطة الشرق الأدنى للإذاعة العربية في فلسطين مقام الإذاعة الفلسطينية ـ إذاعة حكومة الانتداب ـ دعا القائمون عليها علماء وصحفيين ومحاضرين من البلاد العربية المجاورة مثل عبد الله العلايلي ، وعلي الحوماني ، وكرم ملحم كرم . وقد عمل في هذه الإذاعة حين نقلت إلى جزيرة قبرص نجاتي صدقي ، وغيره من الفلسطينيين .

ولم يقتصر نشاط الفلسطينيين الإذاعي الثقافي على هاتين الإذاعتين بل امتد بعد نكبة ١٩٤٨ إلى غيرهما من إذاعات البلاد العربية . ففي الإذاعة الأردنية عدد من المثقفين الفلسطينيين في البرامج الثقافية . وقد أنشئت في معظم البلدان العربية إذاعات فلسطينية لخدمة النضال الفلسطيني بعد حرب ١٩٦٧ * ، وعملت هذه الإذاعات على تنشيط الحركة الثقافية الموجهة في الدرجة الأولى إلى الفلسطينيين بأساليب ثقافية متعددة ، منها شعبية فولكلورية ، ومنها غنائية ، ومنها تعليقات وأخبار وغيرها .

وحين نشأ التلفزيون في البلاد العربية أسهم الكتاب والمثقفون الفلسطينيون بجانب من النشاط الثقافي فيه .

جـ ـ أدب الأطفال : في أدب الأطفال الفلسطيني سمات أدب الأطفال في الأدب العربي الحديث عامة ، وهي التي جعلت أدب الأطفال يتأخر في حضور شخصيته إلى وقت قريب ، ويتأخر في ظهوره بالمعنى العلمي الحديث ، حتى يصح القول إنه إلى الآن لم يظهر الأدب الفلسطيني المتخصص في كتابة أدب الأطفال بعناصره الأساسية .

بيد أن بالإمكان القول إنّ بعض المربين الفلسطينيين أسهموا في وقت مبكر من حياة الثقافة الفلسطينية الحديثة بالاهتمام بالأطفال والكتابة لهم ، وخاصة في مجال الكتب المدرسية . وربما كان خليل السكاكيني الرائد في هذا الميدان . ولعل كتابه « الجديد » الذي ألفه بطريقة درجات متصاعدة تبعاً لمدارك الأطفال من خير المؤلفات المدرسية في الوطن العربي الحديث عامة ، وفي الثقافة الفلسطينية الحديثة خاصة . وقد أسهم محمد إسعاف النشاشيبي بنصيب في هذا الحقل بكتابه « البستان » .

وإذا كان الكتاب المدرسي ، على ما فيه من مآخذ تخرجه أحيانا من دنيا الأطفال ، قد بَنَى لَبِنَة متواضعة الأهمية في هذا الشأن ، فإن بعض الكتاب الفلسطينيين كتبوا مادة يمكن أن تكون في بعض جوانبها في منال الأطفال ، وإن لم تجمع خصائص أدب الأطفال ولم يقصد كتّابها التوجه إلى الأطفال . وفي طليعة هؤلاء الكتاب إسحق موسى الحسيني في كتاب « مذكرات دجاجة » ، فالإصغاء النفسي للحيوان الذي يقارب منطقُه منطق الإنسان من عناصر الشخصية عند الأطفال . وهناك بعض الكتب الفلسطينية التي تثير اهتمام الأطفال الكبار ، وإن لم توجه إليهم في الأصل ، ككتاب « الدنيا حكايات » وكتاب « من سوالف السلف » لفايز علي الغول .

جاءت بعد هذا النوع من الكتابة مرحلة اتجه بعض الكتّاب الفلسطينيين فيها إلى كتابة كتب موجهة للأطفال خاصة . لكنها اتسمت ببعض السمات السلبية التي أصابت كتبا عربية أخرى ، مثل غياب تحديد مراحل العمر عند الأطفال الذين تصلح الكتب لهم . فتثير اهتمامهم وفضولهم . ومثل غياب الربط بين واقع الأطفال ومضمون الكتب في بعض الأحيان ، وكذلك الربط بين لغة الكتب والجو النفسي لمراحل الطفولة الموجهة هذه الكتب إليها . ولكن هذه السلبية لا تقلل ، من الناحية التاريخية ، من مسيرة التأليف الأدبي للأطفال لدى المؤلفين الفلسطينيين . ومن الكتب التي يمكن الإشارة إليها في هذا الحقل : كتاب « كوكو البطل » وكتاب « خالد وفائقة » لراضي عبد الهادي ، وكتاب « سمة الشجاعة » لأمين فارس ملحس ، وكتاب « أحمد المدلل » وكتاب « أيام الشتاء » وكتاب « وردان » ، وهذه الثلاثة من تأليف فايز علي الغول وإسحاق موسى الحسيني ، وكتاب « الملك سيف بن ذي يزن » لتوفيق أبو السعود ، وكتاب « ذكاء القاضي » وكتاب « العدل أساس الملك » ، وهما مسرحيتان للطلبة ألفهما نصري الجوزي ، وكتاب « مجموعة مسرحيات تاريخية » لجمال حجازي وجميل أبي ميزر .

ولما أخذت البلاد العربية المتقدمة نسبياً في نهضتها الثقافية تعنى بالأطفال ، وخاصة منذ بدايات الثلث الأخير من هذا القرن ، أخذت أقلام جديدة فلسطينية تتجه إلى كتابة أدب الأطفال ، لكن ظلت التقديرات الذاتية للحجر النفسي للطفل هي الغالبة على هذه المرحلة أيضاً ، وكذلك عنصر التجريب بدل عنصر النضج الفني في كتابة هذاالنوع من الأدب . ثم إن كتّاب هذه المرحلة لم يظهر بينهم كاتب متخصص تمام التخصص في الكتابة للأطفال بأدواته وعناصره ومؤهلاته الرفيعة المستوى .

وعلى الرغم من ذلك ، تعدّ هذه المرحلة مرحلة متقدمة نسبياً على ما مرّ بها من مراحل في أغلب الأحيان . ومن كتّاب هذه المرحلة الأخيرة البارزين : الفصاصون محمود شقير ، وفخري قعوار ، وشحادة الناطور ، ومفيد نحلة ، وقد أسهموا بكتابة القصة القصيرة في هذا الميدان ، أما مفيد نحلة فقد أسهم أيضاً بالرواية . وشارك بالرواية وبالشعر كذلك أحمد أبو عرقوب .

ومن الذين أسهموا بكتابة الشعر الفلسطيني للاطفال : علي الحليلي ، ومحمود الشلبي ، ومحمد القيسي ، والشاعر الشعبي (أبو الصادق) . وكان لعبد الكريم الكرمي (أبي سلمى) ولمعين بسيسو إسهام في هذا المجال . ومن الكاتبات الفلسطينيات اللواتي عنين بأدب الأطفال باسمة حلاوة ، وروضة اهدهد التي أخذت في كتابة بعض المؤلفات التي تصور أبطالاً من تراثنا للأطفال .

د ـ أدب الرحلات الفلسطيني : عرف الفلسطينيون هذا النوع من الأدب لأنهم ترحوا ثمرة اتصال فلسطين بكثير من بلدان العالم ، وثمرة اتصالهم هم أنفسهم بتلك البلدان . وقد برز بينهم رحالة ملكوا صفات الرحالة العرب القدامى الذين اشتهروا بيقظة الملاحظة ، وعمق الإدراك ، وبراعة التعبير عن كل ما يلقونه في البلاد التي رحلوا إليها . ولعل في طليعة هؤلاء جميعا : الشيخ خليل الخالدي * (١٨٦٣ ـ ١٩٤١) ، وروحي الخالدي (١٨٦٤ ـ ١٩١٣) . فقد أولع الشيخ خليل الخالدي بالرحلات الطويلة الشاقة إلى حدّ أنه استطاب شدّ الرحال إلى العالمين العربي والإسلامي شرقا وغربا ، وطاف في دور الكتب القائمة في العواصم الإسلامية والعواصم العربية ، ووقف على تلك الخزانات وما احتوته من كتب مخطوطة وآثار محفوظة ونسخ نادرة ، واجتمع له من هذا كله أن أصبح ثقة العالم الإسلامي في التراث العلمي الإسلامي الممثل في الكتب والمدوّنات والسجلّات والمكتبات والكراريس والمخطوطات . وأولع الشيخ خليل بالاندلس ، ورحل إليها رحلتين كانت الثانية في عام ١٩٣٢ ، ووقف في مساجدها وجوامعها يستنطق آثارها ويستقصي أخبارها . وقد كتب في ذلك كتابا بعنوان « رحلتي إلى بلاد المغرب والأندلس » . وقد قال عنه أحمد بن محمد الهواري في كتابه « معجم الشيوخ » : " إن للشيخ الخالدي مذكرة في نحو خمسين جزءاً في ذكر ما وقف عليه من الكتب والمكتبات التي زارها " .

أما روحي الخالدي فله تطواف في بلدان شرقية وغربية ، وقد زار الأندلس ، ودوّن كتاباً بعنوان « رحلة إلى الأندلس » وصف فيه آثار تلك البقعة العربية النادرة

وهناك عدد من الفلسطينيين الذين اهتموا بأدب الرحلات ، وبالرحلات ، منهم إسكندر الخوري البيتجالي القاضي الشاعر الذي زار أمريكا الجنوبية في مهمة إنسانية سنة ١٩٥٢ ، وكتب في ذلك كتابا بعنوان « جولة في أمريكا اللاتينية » . وبندلي صليبا الجوزي * (١٨٧١ ـ ١٩٤٢) الذي ألف كتاباً بعنوان « رحلة البطريرك مكاريوس ابن عم الزعيم إلى بلاد الكرج » . وجورج إسكندر دوماني العكّي المولد الذي تخصص بدراسته في أمريكا في علم طبقات الأرض وعلم النباتات والحيوانات المتحجرة ، واختارته الأكاديمية العلمية في الولايات المتحدة سنة ١٩٥٨ عضوا في البعثة الجيوفيزائية إلى القطب الجنوبي ، فكان أول عربي وطئت قدماه تلك المجاهل ، ونشرت له مكتبة الكونغرس الأميركي كتباً علمية بقلمه .

ومن الفلسطينيين الذين لهم نشاط في ميدان الرحلات وأدبها القس أسعد منصور ، والمطران نقولا عبد الله ، ودرويش المقدادي * ، ونقولا زيادة ، وأكرم زعيتر ، وعلي الدجاني ، ومحمود العابدي * ، وعارف العارف * ، وعزمي النشاشيبي .

فقد زار القس أسعد منصور بريطانيا ، وألف كتابا بعنوان « رحلة إلى بلاد الإنكليز » طبع في عام ١٩٣٠ . وألّف المطران نقولا عبد الله كتابا بعنوان « انطباعاتي في إفريقيا » .

وكتب درويش المقدادي مقالات في المجلات العربية وصف فيها رحلات كبار المؤرخين العرب والمسلمين . وفي سنة ١٩٢٤ زار عمّان (عاصمة الأردن) ، ووصف رحلته إليها بمقال نشرته مجلة دار المعلمين تناول فيه عمان ـ الرومان وعمالقتهم ـ والمدن العشر وآثار عمان ـ والشركس وعادة الخطف عندهم .

واهتم نقولا زيادة بالرحلات وأدب الرحلات عند العرب وعند غيرهم من الأوربيين ، فألف كتابين في هذا الميدان ؛ الأول بعنوان « روّاد الشرق العربي في العصور الوسطى » نشره سنة ١٩٤٣ ، وعرض فيه للرحلة والرحالين في العصور الوسطى ، والرحلة والحج ، والحجاج المسيحيين ، والجغرافيا والرحلات في الإسلام ، والرحالة المسلمين ، والرحالة الأوربيين في زمن الصليبيين ، ورحالي القرن الرابع عشر ، ورحالي القرن الخامس عشر ، ورسم صورة للحياة في الشرق العربي مقتبسة من رحّالي العصور الوسطى ، وعرض للأسفار في العصور الوسطى .

أما كتابه الثاني في هذا الموضوع فهو « الجغرافيا والرحلات عند العرب » ، نشره في سنة ١٩٦٢ ، وعرض فيه لأدب الرحلة عند العرب ، فذكر طلائع الرحالين ، ووقف عند رحالين من المشرق ومن المغرب كابن بطوطة ، والرحالة ابن فضلان ، والتيجاني التونسي ، ووقف عند الخليج العربي ورحالي العصور الوسطى ، وعند الخليج العربي والرحالين الأوربيين .

أما أكرم زعيتر فقد ترأس وفداً عربياً إلى أميركا اللاتينية في سنة ١٩٤٧ لشرح قضية فلسطين والدفاع عنها ، فطاف في جمهورياتها ، واتصل بساستها ، وألف كتابا في وصف رحلته هذه أسماه « مهمة في قارة » .

وقام علي الدجاني في سنة ١٩٤٤ بزيارة للمملكة العربية السعودية ، وإثر عودته إلى القدس نشر كتاباً بعنوان « مشاهدات في الحج » .

وكان لمحمود العابدي إسهام في هذا المجال ، إذ أخرج في سنة ١٩٧١ ترجمة لرحلة السائح الإنكليزي « كينغليك » التي زار فيها فلسطين . وفي هذه الرحلة تفاصيل ضرورية عن الحياة الاجتماعية قلّ أن توجد في كتاب آخر كتب عنها في تلك الفترة .

وأسهم عارف العارف بالتعبير عن رحلته التي أجبر عليها حين أسره الروس في سنة ١٩١٥ مع رهط من الضباط العرب كانوا في الجيش العثماني ، وبعثوا بهم إلى معتقل قرب مدينة « كراس نويارسك » الواقعة على شاطىء نهر يني ساي ، حيث أمضى هنالك ثلاث سنوات . ثم هرب ومعه واحد وعشرون أسيراً عربياً إلى صفوف الثورة العربية الكبرى ، وسلكوا طريق منشوريا ـ اليابان ـ الصين ـ الهند ـ مصر عن طريق البحر الأحمر . وكان تعبير عارف العارف عن هذه الرحلة بمحاضرة عنوانها « رؤياي » ، طبعها أول طبعة سنة ١٩٤٣ .

وأما عزمي النشاشيبي فأسهم في هذا المجال بكتابين : الأول بعنوان « من القدس الشريف إلى النجف » ، والثاني بعنوان « من القدس إلى لندن » .

المراجع :

ـ هاشم ياغي : حركة النقد الأدبي الحديث في فلسطين ، القاهرة ١٩٧٣ .
ـ عبد الرحمن ياغي : حياة الأدب الفلسطيني الحديث ، بيروت ١٩٦٨ .
ـ ناصر الدين الأسد : محمد روحي الخالدي رائد البحث التاريخي الحديث في فلسطين ، القاهرة ١٩٧٠ .
ـ ناصر الدين الأسد : خليل بيدس رائد القصة العربية الحديثة في فلسطين ، القاهرة ١٩٦٣ .
ـ يعقوب العودات : من أعلام الفكر والأدب في فلسطين ، عمان ١٩٧٦ .
ـ نزيه أبو نضال : جدل الشعر والثورة ، بيروت ١٩٧٩ .
ـ هيفاء خليل شرايحة : أدب الأطفال ومكتباتهم ، عمان ١٩٧٨ .

إذْنـا (بلدة ـ) :

بلدة عربية تقع على مسافة نحو ١٣ كم إلى الغرب ـ الشمال الغربي من الخليل * . وتربطها طريق معبدة بكل من الخليل وترقوميا * ودير نخاس * وبيت جبرين * . وتربطها طريق معبدة أخرى بخربة بيت عوّا ، ويربطها درب تمهد بالدوايمة * والقبيبة .

نشأت اذنا على موقع مدينة « أشنه » الكنعانية ، وعرفت باسمها الحالي منذ عهد الرومان . وترتفع ٤٥٠ ـ ٥١٠ م فوق سطح البحر . تنحدر أراضيها الجبلية نحو الشمال الغربي حيث يمر أحد روافد وادي زيتا من طرفها الشمالي الشرقي ، ويمر وادي الدوايمة أحد روافد وادي القبيبة في أراضيها الجنوبية .

تتألف أذنا من بيوت مبنية من الطين أو الإسمنت أو الحجر ، ولمختوقها طريق ترقوميا ـ الدوايمة من وسطها ، وتؤلف الشارع الرئيس في البلدة . وعلى جانبي هذا الشارع بعض المحلات التجارية والمرافق العامة . يتخذ مخططها شكل المستطيل ، وتبدو البيوت متجمعة متلاصقة في الجزء الشمالي من البلدة ، في حين تتباعد في تجمعات سكنية في الجزء الجنوبي منها ، على أن أكثر البيوت تتركز في الجزء الشمالي . وتشتمل البلدة على جامع ، وثلاث مدارس ابتدائية وإعدادية للبنين والبنات ، وعيادة صحية ، ومركز لتغذية الأطفال تابع لوكالة غوث اللاجئين . وتشرب البلدة من الآبار الموجودة في غربها وشمالها .

بلغت مساحة البلدة في عام ١٩٤٥ نحو ١٥٣ دونما . لكن ازدياد عدد سكانها ، ولا سيما الازدياد الناجم عن استيطان بعض اللاجئين الفلسطينيين ، أدّى إلى امتداد العمران نحو الجنوب ونحو الشمال ، حتى وصلت مساحتها عام ١٩٨٠ إلى ٣٠٠ دونم .

لبلدة اذنا أراض واسعة مساحتها ٣٤,١١٢ دونماً ، منها ١٦ دونما للطرق والأودية . وتحيط بالبلدة بساتين الأشجار المثمرة كالزيتون * الذي يحتل المكانة الأولى بين الأشجار المثمرة ، والعنب * والتين . وتزرع الحبوب * والخضر * أيضاً في الأراضي المنبسطة وفي بطون الأودية . وتعتمد الزراعة * على مياه الأمطار . وتنمو الأعشاب الطبيعية على المرتفعات الجبلية وتستخدم لرعي المواشي ، ولا سيما الأغنام والماعز .

بلغ عدد سكان اذنا في عام ١٩٢٢ نحو ١,٣٠٠ نسمة . ازدادوا في عام ١٩٣١ إلى ١,٧١٩ نسمة ، كانوا يقيمون في ٣١٩ بيتا ، وفي عام ١٩٤٥ قدر عدد السكان بنحو ٢,١٩٠ نسمة . وفي تعداد ١٩٦١ وصل عددهم إلى ٣,٥٦٨ نسمة ويقدر عددهم سنة ١٩٨٠ بنحو ٥,٥٠٠ نسمة .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٥ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٢ .
ـ خارطة فلسطين : مقياس : ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة الخليل .

الإدومييـون : ر : الإيدوميون

الأدويـة (صناعة ـ) : ر : الصناعة

أديب أبو ضبّة (١٨٩٦ ـ ١٩٢٢) :

أحد العاملين في الميدان الوطني الفلسطيني ، ولد بيافا * ، وأتم تحصيله الابتدائي والثانوي في مدارسها . ثم انتمى إلى الجامعة الأميركية ببيروت ، وأتم الدراسة التمهيدية للطب فيها . وحال اشتداد الحركة الوطنية بيافا واندماجه فيها دون مواصلته الدراسة ، وقد كان له دوره الفعال في ثورة يافا * سنة ١٩٢١ . وانتخب عضوا وسكرتيرا للوفد الفلسطيني إلى مكة في موسم الحج سنة ١٩٢٢ زميلا لرئيس الوفد الشيخ عبد القادر المظفر * ولرفيق التميمي . وعاد الوفد من الحجاز إلى نابلس رأساً لحضور المؤتمر الفلسطيني الخامس سنة ١٩٢٢ (ر : المؤتمر العربي الفلسطيني) . وقد قرر المؤتمر المذكور مقاطعة الانتخابات للمجلس الاشتراعي الذي اقترحت تأليفه السلطة البريطانية ، بسبب الإجحاف الذي يصيب العرب من جرّائه . واختير وفد للطواف في المدن والقرى الفلسطينية للدعوة إلى مقاطعة الانتخاب والتبشير بقرارات المؤتمر . وكان مؤلفا من الشيخ عبد القادر المظفر وخليل السكاكيني * وأديب أبو ضبة . وحدث أن انقلبت السيارة بهم وهم في طريقهم إلى طولكرم * ونابلس * ، ونهض أديب أبو ضبة يحاول أن يساعد رفيقيه لإنقاذهما فتحولت السيارة عن موضعها فقضت عليه ، وجرح زميله المظفر . وقد احتفلت نابلس بتشييع جثمانه حين مر بها احتفالا كبيراً . وخرجت يافا لاستقبال جثمان فتاها الشهيد . وأقامت له في أربعينه احتفالاً تأبينياً أشاد بتضحيته ، وبما أثر عنه من مناقب الوطنية والأخلاق ، ودوره البارز في الحركة الوطنية على رغم صغر سنه .

المراجـع :

ـ أكرم زعيتر : وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩١٨ ـ ١٩٣٩ ، بيروت ١٩٧٩ .
ـ جريدة فلسطين (يافا) ، ١٩٢٢ .

أديل عازر (١٨٩٠ ـ ١٩٧٢) :

واحدة من رائدات الحركة النسائية * . ولدت في مدينة يافا * ، وفيها قضت شبابها ، وتزوجت ، وبقيت حتى عام ١٩٤٨ . نزحت عن يافا مع أسرتها في ذلك العام إلى مصر ، وأقامت في الإسكندرية حيث توفيت .

تلقت أديل عازر تعليمها في مدينة يافا ، وأنهت دراستها الثانوية فيها ، ثم انصرفت إلى تعلم اللغات الأجنبية فأتقنت اللغتين الفرنسية والإنكليزية .

اتجهت منذ بواكير صباها إلى الحركة النسائية الخيرية والعلمية ، وشاركت في تأسيس الجمعيات الخيرية * والمعاهد التعليمية ، كالمعهد العلمي ، أو الكلية الأرثوذوكسية بيافا . وهكذا تميزت أديل عازر بحبها للعلم ، وإيمانها العميق بخدمة أبناء وطنها عن طريقه .

أما على مستوى النشاط النسوي الوطني ـ السياسي فترجع شهرة أديل عازر إلى إسهامها في المظاهرات الوطنية والمؤتمرات السياسية . وقد اكتسبت مكانة خاصة عندما احتلّت مركز الرئاسة في اجتماع السيدات العربيات * الذي عقد في ١٩٣٦/٧/٢٧ في يافا بمناسبة اليوم المئوي للإضراب العام في مدن فلسطين وقراها . كما كان لمساعيها ونشاطها الأثر الأكبر في اتخاذ قرار عام بإصدار نداء وطني وجّهته المجتمعات إلى بنات فلسطين تحت عنوان :

" يا بنات فلسطين قدّمن حليكن وساعدن أمّتكن " .

المراجـع :

ـ عيسى السفري : فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية ، يافا ١٩٣٧ .
ـ أسمى طوبي : عبير وجد ، بيروت ١٩٦٦ .
ـ المؤتمر النسائي الشرقي : المرأة العربية وقضية فلسطين ، القاهرة ١٩٣٨ .

إذنـــا ر : إذنـا

إذْنَبَّـــة (قرية ـ) :

قرية عربية تقع في أقصى جنوب قضاء الرملة * متاخمة لحدود قضاء الخليل في منتصف الطريق بين قريتي التينة * ومغلّس * . نشأت إذنّبة فوق رقعة متموجة من الأرض الانتقالية بين المرتفعات الجبلية شرقاً والسهل الساحلي * غرباً . وترتفع قرابة ١٥٠م فوق سطح البحر وقد عرفت إذنبة في العهد الروماني باسم دانب .

كانت منازلها مندمجة ، مبنية من الطوب والحجر . وقد ظلت مساحتها صغيرة ونموها العمراني بطيئاً ، إذ لم تتجاوز مساحتها ٢٥ دونماً ، ولم تضم أكثر من ١٠٠ بيت . وتحيط بالقرية مجموعة خرب أثرية ، مثل خربة المسية وخربة دير النعمان وخربة الشيخ داود (ر : الخرب والأماكن الأثرية) . وتدل هذه الآثار الغنية على أن منطقة إذنبة كانت في الماضي معمورة بالسكان .

بلغت مساحة أراضي إذنبة ٨,١٠٣ دونمات ، منها ١٤٩ دونماً للطرق والأودية ، و١,٠٨٣ دونماً تملكها الصهيونيون . وتشتهر أراضيها بغنى مراعيها لتوافر الأعشاب في الربيع ، وبصلاحها لزراعة الأشجار المثمرة والحبوب " . وأهم الغلات الزراعية في القرية الزيتون " والحبوب .

نما عدد سكان إذنبة من ٢٧٥ نسمة عام ١٩٢٢ إلى ٣٤٥ نسمة عام ١٩٣١ وإلى ٤٩٠ نسمة عام ١٩٤٥ . وقد عمل معظم السكان في الزراعة " والرعي وتربية المواشي والدواجن . لكن إنتاج الأرض كان ضعيفاً نسبياً لوجود الحجارة الصغيرة في التربة من جهة ، ولاعتماد الزراعة على الأمطار التي تتفاوت كمياتها من عام لآخر .

تعرضت إذنبة عام ١٩٤٨ للعدوان الصهيوني فغادرها سكانها . وقد دمرها الصهيونيون وأقاموا عام ١٩٥٥ على بقاياها مستعمرة « هاروبيت » .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٤ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٢ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ١٠٠,٠٠٠ ، لوحة الرملة .

الأراضـــي :

ر : استملاك الأراضي (قانون ـ ١٩٥٢)
ر : استملاك الأراضي للصالح العام (قانون ـ ١٩٤٣)
ر : انتقال الأراضي (قانون ـ ١٩٢٠)
ر : انتقال الأراضي (نظام ـ ١٩٤٠)

الأراضي (قانون ـ العثماني) :ر : الأرض (ملكية ـ)

الأرثوذكس (بطريركية ـ)

ر : القدس (بطريركية ـ)

الأرثـوذكســـيـة :

لفظة « أرثوذكس » لفظة يونانية تعني « المستقيم الرأي » . وأخذت تعني في المصطلحات الدينية المسيحية « أتباع الإيمان القويم » . بدأ استعمال هذه اللفظة في القرون الأولى لتمييز أتباع المذهب الأرثوذكسي من غيره من المذاهب المسيحية .

وبعد انقسام الكنيسة إلى شرقية وغربية في القرن الحادي عشر الميلادي ، أصبحت الكنيسة الشرقية تعرف باسم « الكنيسة الأرثوذكسية » ، والكنيسة الغربية باسم « الكنيسة الكاثوليكية » . وهذا أيضاً لفظة يونانية تعني « الكنيسة الجامعة » .

كانت الكنيسة الشرقية قديماً تخضع لبطريركية القسطنطينية ، ثم أخذت الكنائس تستقل شيئاً فشيئاً لأسباب دينية أو سياسية أو قومية .

والكنائس الأرثوذكسية اليوم هي :

١) الكنيسة البيزنطية : وتستعمل اللغة اليونانية . وصيغة الصلوات فيها تعود إلى تقاليد بيزنطية تكوّنت في بيزنطة ، أي القسطنطينية . وتشمل هذه الكنيسة اليوم الكنيسة اليونانية في القسطنطينية وبلاد اليونان ، وفي جزيرتي كريت وقبرص ، وفي فلسطين وسورية ولبنان ومصر ، والكنائس الشرقية في روسيا وفي سائر دول أوربا الشرقية . وكل كنيسة من تلك الكنائس مستقلة عن الأخرى استقلالاً تاماً .

٢) الكنيسة الأرمنية الأرثوذكسية : ولغتها الأرمنية ، وجميع رعاياها من الأرمن .

٣) الكنيسة السريانية الأرثوذكسية ، أو الكنيسة اليعقوبية : ولغتها السريانية ، وصيغة صلواتها تعود إلى القرون الأولى . وقد تكونت في القدس وأنطاكية ، وجميع رعاياها من العرب ، ما عدا هنود الملابار الذين انضموا إلى كنيسة أنطاكية .

٤) الكنيسة القبطية الأرثوذكسية في مصر : ولغتها القبطية أو المصرية القديمة . وجميع رعاياها من المصريين .

٥) الكنيسة الحبشية الأرثوذكسية في الحبشة : وجميع رعاياها من الأحباش .

وجميع هذه الكنائس ممثلة الآن في فلسطين ، ولا سيما في القدس ، وفي كنيسة القيامة " نفسها ، ولكل منها شأن خاص . وهذه الكنائس قليلة العدد ، ما عدا الكنيسة اليونانية العربية الأرثوذكسية التي يعرف أتباعها في اللغة الدارجة باسم « الروم » ، أو « الروم الأرثوذكس » . وقد دعوا بذلك لأنهم كانوا ينتسبون أصلاً إلى القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية الرومانية الشرقية . وأول من أطلق عليهم هذا اللقب هم المؤرخون العرب . وفي اللغات الأوربية يدعون باسم « اليونان الأرثوذكس » . وهم الأكثرية بين الفئات المسيحية المقيمة اليوم في فلسطين . والكلام في هذه المادة مقصور على هذه الفئة الأخيرة .

بدأ تعدد الطوائف المسيحية في المكان الواحد منذ القرن الخامس الميلادي أي القرن الذي ظهرت فيه الكنائس المونوفيزية * . كذلك بدأ في فلسطين وجود الكنيسة اليعقوبية*، أو كنيسة السريان الأرثوذكس ، وإلى جانبها الكنيسة الملكية ، أي التابعة لمذهب الإمبراطور أو الملك . وهذه الكنيسة الملكية هي التي أصبحت فيما بعد الكنيسة اليونانية العربية الأرثوذكسية . وعلى حين كان رعايا الكنيسة اليعقوبية كلهم من العرب السوريين او الفلسطينيين ، كان رعايا الكنيسة الملكية من اليونان ، ومن العرب المتأثرين بالحضارة اليونانية .

لم تصبح الأرثوذكسية في فلسطين كنيسة مستقلة بطابع متميز من الكنيسة العامة إلاّ بعد القرن الحادي عشر الميلادي إثر الانقسام الكبير بين الشرق والغرب . ولم تتأثر الكنائس في الشرق بهذا الانقسام إلاّ بصورة تدريجية . فقد بقيت كنيسة القدس مثلاً في القرون التالية على اتصال بكنيستي القسطنطينية وروما على السواء ، لهذا فإن تاريخ الأرثوذكسية في فلسطين هو تاريخ المسيحية فيها بصورة عامة حتى القرن الحادي عشر حين تم الانفصال عن روما بدءاً من سنة ١٠٥٤م .

واستقرت اللغة العربية في الكنيسة الأرثوذكسية بعد الفتح العربي ، لأن عدداً من بطاركة القدس وأساقفة سائر الأبرشيات في فلسطين كانوا من السوريين أو الفلسطينيين ، وكانوا يتقنون اللغتين اليونانية والعربية .

وظل مصير الكنيسة الأرثوذكسية في العصرين الأموي * والعباسي * متقلباً متوقفاً على علاقات الخلافة بالإمبراطورية الرومانية ، وعلى مصير المعارك الدائرة بينهما . فإذا حسنت العلاقات بينهما حسن حال الكنيسة ، وإذا ساءت العلاقات ساء حال الكنيسة . وقد أصبح بطريرك القدس في العهد الإسلامي رئيس ملة يتولى إدارة شؤون رعاياه من الناحية الدينية والمدنية .

في العهد الصليبي أقام الصليبيون على الكرسي البطريركي في القدس بطاركة من الفرنجة متّحدين مع كنيسة روما . فحلّت اللغة اللاتينية في هذا العهد محل اللغة اليونانية . وأصبح رعايا الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية، من يونان وعرب ، خاضعين لإدارة بطاركة القدس اللاتين (رَ : الفرنجة) .

عاد البطاركة اليونان إلى القدس بعد انقضاء عهد الصليبيين . لكن الكنيسة اليونانية في فلسطين تعرضت لاضطهادات المماليك * مما دعا إلى تعيين بطاركة عرب على الكرسي البطريركي في القدس . ولهذا يقول المؤرخ قنسطنسيوس الأول بطريرك القسطنطينية (١٨٣٠ - ١٨٣٤) : " بعد بطاركة اللاتين كان جميع بطاركة القدس عرباً ، وكانوا ينتخبون من بين أساقفة البطريركية ، وكلهم من العرب ومن بين الإكليروس الوطني " . وقال دوسثاوس بطريرك القدس (١٦٦٩ - ١٧٠٧) في تاريخه : " منذ كانت السلطة في أيدي سلاطين مصر لم يكن بطاركة القدس يونانيين ، بل كانوا عرباً " .

وكان آخر البطاركة العرب في القدس البطريرك عطاالله ، أو دوروثاوس الثاني (١٥٠٥ - ١٥٣٤) . ويقال إن السلطان العثماني سليم الأول أصدر « فرماناً » يقضي بحرية العبادة للمسيحيين ، ويمنحهم السلطة الكاملة على الأماكن المقدسة .

وكان أول بطريرك يوناني في كنيسة القدس البطريرك جرمانس (١٥٣٤ - ١٥٧٩) . وقد عيّنه الباب العالي وأصبح تعيين البطاركة في القدس منوطاً بسلاطين القسطنطينية الذين حلّوا محل الأباطرة اليونانيين . وعمد البطريرك جرمانس إلى تقوية جمعية القبر المقدس للمحافظة على المصالح اليونانية في بطريركية القدس ، ولا سيما في الأماكن المقدسة . وانتهج هذا البطريرك سياسة قصد بها إقصاء العناصر العربية عن إدارة البطريركية ، وعن المناصب الكنسية العليا .

بدأت العناصر العربية في الكنيسة الأرثوذكسية تطالب بحقوقها منذ القرن التاسع عشر . ومن الدوافع التي أدّت إلى هذه اليقظة تعدد المدارس التي أسستها الكنيسة الكاثوليكية في فلسطين والكنيسة الروسية الأرثوذكسية (رَ : الإرساليات الروسية ، مدارس) . وقد نشطت الكنيسة الروسية بصورة خاصة منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وحتى عام ١٩١٤ ، وحاولت أن تحلّ محل الكنيسة اليونانية في حماية ورعاية الكنيسة الأرثوذكسية في فلسطين . ولهذا حاولت أن تقف إلى جانب العناصر العربية في الكنيسة . يضاف إلى ذلك نشاط الكنيسة الكاثوليكية والبروتستانتية التزايد بين مسيحيي فلسطين . كل ذلك نبّه العناصر القيادية من العرب الأرثوذكس للمطالبة بحقوقهم .

وكانت العناصر اليونانية تعتمد على تأييد الباب العالي فرفضت جميع المطالب العربية . وأقرّ الباب العالي عام ١٨٧٥ أول نظام كنسي لكنيسة القدس يصدر عن سلطة مدنية غير أرثوذكسية . وقد حدد هذا النظام مهام المجمع المقدس ، أو السينودس ، وكيفية انتخاب البطريرك . ولم يراع في هذا النظام حقوق العرب ، حتى كان عام ١٩٠٨ فاضطر البطريرك ديمتريوس إلى تقبّل المطالب العربية ، فقدّم بعض التنازلات ، وكوّن لجنة مختلطة من اليونان والعرب للإشراف على قسم من شؤون الكنيسة . ولم تكن هذه التنازلات كافية ، إذ أنها لم تعط العرب أية سلطة تؤثر في انتخاب البطريرك .

ولمّا حلّ الانتداب البريطاني محل الباب العالي ، وبدّل بنظام

١٨٧٥ نظام آخر عام ١٩٣٤ ، ظل عاجزاً هو أيضاً عن إنصاف العرب الأرثوذكس . ولهذا قاطع العرب ، بعد وفاة البطريرك دميانس سنة ١٩٣١ ، الانتخابات التي أدّت إلى تعيين البطريرك تيموثاوس عام ١٩٣٦ (ر : الكهنة الأرثوذكس العرب ، مؤتمر) . وما زال الصراع قائماً حتى اليوم بين اليونان والعرب على الرغم من أن الأكثرية الساحقة من أبناء الكنيسة الأرثوذكسية في فلسطين هم من العرب ، ولا تؤلف الجالية اليونانية سوى أقلية ضئيلة .

تشمل الكنيسة الأرثوذكسية في فلسطين ، بالإضافة إلى الكرسي البطريركي في القدس ، ست مطرانات في قيصرية وبسان والبتراء وعكا وبيت لحم والناصرة ، وستة مراكز رئيس أساقفة في اللد وغزة وسبناء ويافا ونابلس وسبسطية وجبل الطور .

وعدد أتباع الكنيسة الأرثوذكسية في فلسطين اليوم نحو ٦٠ ألف نسمة . ويجب أن يكون البطريرك يوناني الأصل ، حاملاً الجنسية الأردنية ، وعضواً في جمعية القبر المقدس ، يساعده في إدارة الكنيسة مطران في الناصرة ، وآخر في عمان ، بالإضافة إلى المجمع المقدس ، أو السينودس المكوّن من ثمانية عشر عضواً كلهم من رجال الدين برتبة أسقف أو أرشمندريت ، والمجلس المختلط الكوّن من خمسة عشر عضواً من العرب واليونان ، والمنتخب لمدة ثلاث سنوات . وفي دار البطريركية في القدس محكمة كنسية تنظر في شؤون الرعايا الأرثوذكس بموجب قانون الأحوال الشخصية ، ومدرسة لاهوت تأسست عام ١٨٥٥ ، وجميع طلابها من اليونان . وفي دير القديسة هيلانة وقسطنطين مكتبة قديمة تحتوي على عدد من المخطوطات الثمينة .

المراجع :

— Duchesne, L. : **Histoire ancienne de l'Eglise**, Paris 1910.
— Fliche, A. et Martin, V. : **Histoire de l'Eglise**, Paris 1939.
— **Le Principali Communita Cristiane Oggi in Terra Santa**, Ms.
— Musset, H. : **Histoire du Christianisme, spécialement en Orient**, Liban 1948.

الأرجنتين : ر : أمريكا اللاتينية (دول –)

الأردن (استثمار مياه نهر – وروافده) :

أ ـ توطئة : تمتد مطامع الصهيونية العالمية بالسيطرة على مصادر المياه في شمالي فلسطين إلى المراحل الأولى من نشوء الحركة الصهيونية نفسها في الربع الأخير من القرن التاسع عشر . وقد تبلورت هذه المطامع بأجلى صورها في الرسالة التي رفعها حاييم وايزمن باسم المنظمة الصهيونية العالمية * بتاريخ ١٩١٩/١٢/١٩ إلى ديفيد لويد جورج رئيس الحكومة البريطانية باعتباره ممثلاً لمؤتمر الصلح * المنعقد في أعقاب الحرب العالمية الأولى ، في الوقت الذي كان فيه الاستعماران البريطاني والفرنسي منهمكين في اقتسام أراضي سورية الطبيعية ورسم حدود الدويلات التي قررا تشكيلها فيها خلافاً لكل العهود والمواثيق التي كانت بريطانيا قد أعطتها للعرب خلال ثورتهم العربية الكبرى .

أعلن وايزمن في رسالته هذه رفض الصهيونية المطلق لخطوط الحدود الشمالية لفلسطين التي سبق تعيينها من قبل الاستعماريين البريطاني والفرنسي في اتفاقية سايكس ـ بيكو * المبرمة في الخفاء بينهما عام ١٩١٦ . وأكّد وايزمن في رسالته : " أن مستقبل فلسطين الاقتصادي كله يعتمد على موارد مياهها للري والقوى الكهربائية . وتستمد موارد المياه بصورة رئيسية من منحدرات جبل حرمون ومن منابع حوض الأردن ومن نهر الليطاني " . وحدّد في البند الثامن من طلبات الصهيونية العالمية التي عدّدتها الرسالة رغبتها في رسم الحدود الشمالية لفلسطين وفقاً للنص التالي : " لهذه الأسباب نرى من الضروري أن يضمّ حد فلسطين الشمالي وادي الليطاني إلى مسافة نحو ٢٥ ميلاً فوق المنحنى ، ومنحدرات جبل حرمون الجنوبية ، لضمان السيطرة على منابع الأردن وإتاحة إعادة تحريج هذه المنطقة " .

وقد استجاب الحلفاء يومذاك لأكثر هذه الطلبات ، فعدّلوا الحدود المعتمدة سابقاً في اتفاقية سايكس ـ بيكو بما يتفق مع الكثير من الرغبات الصهيونية . فوضعوا الضفة الشرقية لمجرى نهر الأردن * الأعلى (نهر الشريعة) وبحيرة طبرية * كاملة ضمن الحدود الفلسطينية ، واقتطعوا من لبنان بعض القرى والأراضي في حوض الحاصباني ، ومن سورية بعض المساحات والأراضي الهامة القريبة من بانياس واليرموك والمحيطة ببحيرة طبرية (خاصة ما جرى التعارف على تسميته فيما بعد بمثلث اليرموك) .

إلاّ أن هذه الاستجابة ظلت قاصرة عن تلبية كل ما كانت الصهيونية تطمع في السيطرة عليه ، نظلت هذه تطمع في إخضاع المصادر المائية العربية لسيطرتها . ودأبت بعد الحرب العالمية الأولى ، بدعم وتأييد من الاستعمار البريطاني طوال فترة انتدابه على فلسطين ، وبدعم وتأييد من الاستعمار الأميركي عقب إقامة (الدولة الإسرائيلية) ، دأبت في حبك المؤامرات ورسم الخطط والمشاريع الهادفة لغرض تحكّمها بأكبر قدر من مصادر تلك المياه ، حتى تتمكن من استثمارها في تحقيق مشاريعها الاستيطانية والتوسعية الاستعمارية كلما سمحت لها الظروف الملائمة بذلك ، دون أي اكتراث بما للعرب من حقوق في تلك المياه . وقد احتدم حول هذه

المشاريع ، والمشاريع المضادة التي أعدها العرب لمجابهتها ، الكثير من النزاعات والصراعات التي بدأت خلال سني الانتداب وظلت تتصاعد خلال الخمسينات والستينات من هذا القرن حتى انتهت عام ١٩٦٧ باحتلال (إسرائيل) أكثر مناطق تلك الينابيع والروافد ، وبسيطرتها على أكبر قسط من الموارد المائية في حوض الأردن (رَ : حرب ١٩٦٧) .

ب ـ مشاريع استثمار مياه نهر الأردن وروافده خلال فترة الانتداب (١٩٢٢ ـ ١٩٤٨): تميّزت سياسة سلطة الانتداب البريطاني منذ قيامها في مطلع العشرينات بالالتزام الدائم بمحاباة مصالح الصهيونية والسعي إلى تحقيقها وصونها على حساب المصالح العربية . وقد اتجهت سياستها المائية في فلسطين ، وخاصة ما يتعلق منها باستثمار مياه حوض الأردن ، بانتهاج خطّين متلازمين في آن واحد :

الخط الأول : العمل على منح اليهود كل ما طلبوه من الامتيازات المائية ، سواء منها ما كانوا على استعداد لاستثماره مباشرة ، أو ما كانوا يخططون لاستثماره في المستقبل .

الخط الثاني : السعي لعرقلة إمكان قيام أي من الجهات العربية في فلسطين والأردن باستثمار أي من الموارد المائية التي يحتمل أن تكون لها صلة بالمشاريع الصهيونية المعدة للتنفيذ ، أو المتوقع إعدادها في المستقبل .

١) امتياز روتنبرغ : يتضح التطبيق العملي لهذه السياسة بعقد الامتياز الذي منحه المندوب السامي البريطاني عام ١٩٢٦ شركة الكهرباء الفلسطينية ، وهي شركة أسّسها المهندس اليهودي الروسي الأصل بنحاس روتنبرغ لاستخدام مياه نهر الأردن واليرموك عند نقطة تلاقيهما (في جسر المجامع وتسمّى نهاريم اليهودية) لتوليد الطاقة الكهربائية مدة سبعين عاما . وبالرغم من أن مياه اليرموك كلها وأكثر مياه الأردن الأعلى عربية المصادر ، فقد أعطى الامتياز الشركة الصهيونية وحدها حق استثمار مياه الأردن وروافده ، وفيها اليرموك ، لتوليد الطاقة الكهربائية ، وحرم إمارة الأردن حق استعمال هذه المياه لأغراض الري إلاّ بترخيص من الشركة ، وهذا ما لم تسمح به الشركة قطّ . وأعطى صك الامتياز الشركة كذلك حق إنشاء محطات ومراكز لتوزيع القوة الكهربائية في شرقي الأردن ، باستثناء مناطق بلديات عمان والسلط والكرك . أما أرباح الامتياز فقد شرحت المادة ٣٤ منه أسلوب تقاسمها بين الشركة وحكومة الانتداب دون ان تعطي أياً من الدول العربية صاحبة الحق في المياه المستثمرة في المشروع أي نصيب منها .

ومما تجدر الإشارة إليه عند ذكر هذه الشركة أن صاحب امتيازها المهندس روتنبرغ أصبح منذ عام ١٩٢٩ رئيسا للمجلس الوطني اليهودي * في فلسطين ، وأن أول مدير عيّن لها كان هربرت صموئيل ، وهو أول مندوب سام للحكومة البريطانية ، وكان وراء الضغوط التي بُذلَتْ لإعطاء الامتياز . وأن مدير الشركة عام ١٩٤٨ ، المدعو « أبا يوسف » ما كاد يجد مشروعه محتلا من قبل الجيش العراقي أثناء حرب ١٩٤٨ * حتى قام بنسف جميع منشآته واختفى ، ليثبت فيما بعد أنه كان يقود قوات الهاغاناه * في مقاتلة القوات العربية في المنطقة الشمالية من فلسطين .

٢) امتياز تجفيف الحولة : يتضح أيضاً التطبيق العملي لنهج الانتداب البريطاني في ممالأة مصالح الصهيونية على حساب المصالح العربية في مشروع تجفيف مياه الحولة * . ففي أواخر عهد الحكم العثماني في فلسطين (حزيران ١٩١٤) منحت الحكومة العثمانية عدداً من اللبنانيين امتيازا بحرلهم الحق في استصلاح أراضي الحولة واستغلالها . وقد بدأ أصحاب الامتياز فور أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها عام ١٩١٨ بعدّون لتنفيذ مشروعهم ، فأسسوا شركة زراعية عربية ، وبدأوا يشقّون بعض الأقنية لتصريف مياه بحيرة الحولة * . ولكنهم سرعان ما وجدوا أنفسهم وجها لوجه أمام عقبتين هامتين حدّتا من اندفاعهم ، أولاهما ضخامة التكاليف اللازمة لإنجاز مختلف عمليات التجفيف واستصلاح أراضي المنطقة وتهيئتها للاستثمار ، مما كان يفرض عليهم البحث عن مصادر مساعدة أخرى للتمويل . والعقبة الثانية الأخطر التي جابهوها في سلسلة العراقيل والصعوبات التي خلقتها سلطة الانتداب البريطاني ، بالتواطؤ مع المنظمات الصهيونية، هي الرغبة في الاستيلاء على الامتياز. وقد أدّت العقبات والعراقيل والضغوط إلى انسحاب المموّلين اللبنانيين ، وتنازلهم عن امتيازهم عام ١٩٣٤ لصالح شركة تطوير الأرض الفلسطينية اليهودية ، مما أتاح للصهيونية العالمية إمكان تحقيق هدف من أهم أهدافها التي كانت تخطط لها منذ أمد بعيد .

ومما يجدر ذكره هنا أن الشركة اليهودية التي كانت تبدي كل الحماسة للاندفاع في تنفيذ المشروع لم تقدم طوال فترة الانتداب ، على الرغم من جميع التسهيلات التي قدّمت لها ، على بذل أي جهد يذكر في دفع عجلته ، مؤثرة تأجيل العمل الجدي فيه إلى الوقت الذي تحقق فيه الصهيونية حلمها بتأسيس (دولة إسرائيل) ، واهيمنة على كل أراضي المنطقة ، لتتمكن آنذاك من السير في تنفيذ كل ما تبغي تنفيذه من أعمال دون حسيب أو رقيب .

٣) مشروع إيونيدس : لعل أول إشارة جاءت من أية جهة بريطانية خلال فترة الانتداب بشأن إمكانية استثمار مياه حوض الأردن في مشروعات الري كانت من لجنة بيل * التي كلفت من قبل الحكومة البريطانية عام ١٩٣٧ التحقيق في أسباب الثورة الفلسطينية

الكبرى (ثورة ١٩٣٦ - ١٩٣٩) * وتقديم الحلول والتوصيات لمنع تكرارها . وقد جاء بين الاقتراحات التي قدمتها هذه اللجنة لحكومتها يومذاك ضرورة إجراء دراسات مستفيضة حول موارد المياه في حوض الأردن ، وإمكانيات استثمارها في ري أراضي الأغوار في حوض الأردن لتبيّن إمكان تطبيق مشروع تقسيم فلسطين بين العرب واليهود الذي اقترحته اللجنة في تقريرها منعاً لتكرر الأحداث الدامية فيها .

وتنفيذاً لهذه التوصية عيّنت الحكومة البريطانية الخبير الهيدرولوجي م.ج. إيونيدس مديراً للتنمية في حكومة شرق الأردن ليقوم بإجراء هذه الدراسة . وبالرغم من قصر مدة العامين اللذين قضاهما الخبير إيونيدس في الأردن لهذه الغاية وعدم كفايتهما عادة للوصول إلى نتائج معتمدة علمياً لمثل هذه الدراسات الهيدرولوجية ، خرج عام ١٩٣٩ بتقرير مطوّل عن هيدرولوجية حوض الأردن وروافده ، وعن أوضاعه الجيولوجية ، ظل إلى أمد طويل مرجعاً هاماً تستند إليه أكثر المشاريع المتعلقة باستثمار مياه حوض الأردن التي جرى بحثها والنقاش حولها في الخمسينات من هذا القرن .

وتتلخص النتائج والمقترحات التي توصل إليها الخبير إيونيدس في الفصل الأخير من تقريره ، والتي عاد وأفاض في شرحها عام ١٩٤٦ في بحث نشره ، تتلخص في الخطوط العامة التالية :

(١) أن يحوّل جزء بسيط من تصريف مياه نهر اليرموك لا يتجاوز ١,٦ م٣/ثا عبر قناة تتجه جنوباً لتقطع وادي العرب ، وتصل حتى وادي زقلاب لتجمع تصريفها الدائم ويصبح مجموع تصريفها ٢,٥٦ م٣/ثا . ويقدّر التقرير أنه من الممكن ري نحو ٤٥,٣٦٠ دونماً من أراضي الغور * الشرقي بهذه الكمية من المياه .

(٢) تخزين فائض مياه اليرموك في بحيرة طبرية ، وإنشاء قناة تسحب مياهها من البحيرة مباشرة لري نحو ٣٠٠,٠٠٠ دونم من أراضي الغور الشرقي ، مع الإشارة إلى إمكانية إنشاء قناة موازية لري أراضي الغور الغربي .

(٣) يقدّر التقرير أن مجموع كميات المياه التي يمكن تأمينها سنوياً لغايات الري في شرق الأردن لا تتجاوز ٧٤٢ مليون م٣ من المياه يسحب ٤٦٠ مليون م٣ منها من نهر اليرموك وبحيرة طبرية ، والباقي ، وهو ٢٨٢ مليون م٣ ، يمكن تأمينه من مجاري الوديان والآبار . ويقدّر أن مجموع كميات مياه الأمطار التي يمكن استثمارها في الزراعات البعلية ، اي ١,٦٠٠ مليون م٣ ، هو كل ما يتوفر للأردن في مشاريعه الإنمائية للتطور في المستقبل .

(٤) يستطرد التقرير ليشير إلى أن استثمار مياه اليرموك وطبرية غير ممكن عملياً بسبب الامتياز المعطى لشركة روتنبرغ اليهودية ، ولا بد من التفاوض معها لعقد اتفاق يتيح إمكانية هذا الاستثمار .

وعندما كلفت الحكومة البريطانية عام ١٩٣٨ لجنتها الفنية الثانية ، المعروفة باسم لجنة وود هيد * ، دراسة إمكانات تنفيذ مشروع تقسيم فلسطين من الناحية العملية ، رأت هذه اللجنة أن صآلة الموارد المائية التي بيّنتها دراسة إيونيدس في المنطقة لا تؤيد سلامة تنفيذ مشروع التقسيم ، فأوصت بالتخلي عنه . وبقيت حكومة الانتداب عاجزة عن القيام باستثمار أي جزء من مياه الحوض لصالح الري في الأردن تحت ضغط المصالح الصهيونية المستمر حتى نهاية عهدها عام ١٩٤٨ ، وظلت مياه حوض الأردن تستثمر حصراً لصالح الاقتصاد الصهيوني طوال فترة الانتداب .

وبالرغم من تواضع التصورات التي قدمها إيونيدس في تقريره تميزت الخطوط العامة التي عرضها بأنها أصبحت منطلقاً لكثير من الدراسات والمشاريع التي تلتها ، لكن بتفصيل أوفى وبشمول أعمّ .

جـ - المشاريع الصهيونية لاستثمار مياه نهر الأردن وروافده : لم ترض الصهيونية العالمية عمّا توصل اليه الخبير إيونيدس في تقريره من نتائج ، ولم تجد في استنتاجاته ما يتناسب مع طموحاتها وآمالها . فراحت تلجأ لعدد من الخبراء ليساعدوها في إعداد أفضل مشروع لاستثمار مياه حوض الأردن في إرواء أراضي الجنوب والنقب * لتأمين استيعاب هجرة ملايين اليهود إليها . وكان من أبرز هؤلاء الخبراء والتر كلاي لاودر ميلك الذي أوفد إلى فلسطين عام ١٩٣٨ من قبل وزارة الزراعة الأميركية بذريعة أنه خبير في حماية التربة مكلّف "دراسة استعمالات الأراضي في البلاد العريقة في القدم لتبيّن إمكان الاستفادة منها في حماية الأراضي في الولايات المتحدة" . وفي ظل هذا الغطاء الغريب من التعمية راح لاودر ميلك يتابع دراساته في المنطقة خلال سني الحرب العالمية الثانية ، في حين كانت أنظار العالم كله تلاحق أحداث الحرب المثيرة وتشغل بمضاعفاتها الخطيرة . حتى إذا كان عام ١٩٤٤ ، حين أوشكت الحرب على النهاية ، خرج لاودر ميلك إلى العالم بكتابه « فلسطين أرض الميعاد » بلهب بما جاء فيه من أفكار ورؤى حماسة الصهيونيين ، ويمدهم فيه بفلسطين تدر عليهم الخيرات ، وتتسع لما لا يقل عن أربعة ملايين من المهاجرين الجدد بملأون أرض فلسطين ويحققون أحلام الطليعيين من زعمائهم .

١) مشروع لاودر ميلك : لم يقدّم كتاب لاودر ميلك مشروعاً بالمعنى المفهوم من التعبير ، ولكنه قدّم عدداً من المقترحات والتوجيهات اعتبرها الصهيونيون أفضل نواة لمشروع . وتتلخص الأفكار التي ضمنها لاودر ميلك كتابه في النقاط التالية :

(١) إن كميات المياه المتوفرة في مصادر حوض الأردن حسب تقديره تفيض عن حاجات إرواء المساحات القابلة للاستثمار

الزراعي فيه . وهو يقدر هذه المساحات بنحو ١٣٥ ألف فدان (٥٤٠ ألف دونم) تحتاج إلى نحو ٨٠٠ مليون م٣ من المياه (على أساس نحو ١,٥٠٠ م٣ من المياه للدونم الواحد) ، في حين يقدّر مجموع المياه المتوفرة في الحوض بنحو ١,٨٠٠ مليون م٣ من المياه تكفي لري نحو ١,٢٠٠,٠٠٠ دونم . وهو لذلك يرى نقل الكمية التي تقدّر لها أنها تفيض عن حاجة الحوض إلى مناطق أخرى (كالنقب مثلاً) لتأمين المجال الحيوي للملايين الذين يتنبأ بإمكان تهجيرهم إلى فلسطين من الخارج .

(٢) التعويض عن نقص المياه المستمر في البحر الميت * ، بسبب استهلاك مياه نهر الأردن الأعلى وروافده في مشاريع الري من جهة ، والتبخر من جهة أخرى ، بجرّ قناة تستوعب حوالي ٣٠ م٣/ثا من البحر المتوسط قرب حيفا * بطول ٧ أميال حتى جبل الكرمل * ، ثم عبر نفق بطول ٢٠ ميلاً لتصب في الجانب الغربي من وادي الأردن ، بمستوى مائي علوه نحو ٤٠٠ م ، مما يساعد في توليد طاقة كهرمائية قدرها حوالي ١١٠ ميغاوات (ر : قناة البحرين المتوسط والميت ، مشروع —) ، إضافة إلى ٤٠ ميغاوات أخرى يمكن توليدها من مساقط أقنية الري في الخاصباني واليرموك .

(٣) تشكيل هيئة عليا ، على نمط هيئة وادي تنسي في الولايات المتحدة ، تتولّى مسؤولية استثمار المشروع وتنفيذ مختلف تفاصيله من منشآت ري وصرف وتسوية للأرض وزراعتها وسيطرة على الفيضانات وإنشاء للصناعات واستخراج لمعادن البحر الميت الخ . . . مما يساعد في توفير ثروة ومجالات عمل في فلسطين تكفي لاستيعاب ما لا يقل عن أربعة ملايين من المهاجرين اليهود الجدد إليها ، بالإضافة إلى الأعداد الهائلة من اليهود المتدينين فيها وفي غيرها ممن يرغبون في ذلك .

(٤) رأى لاودر ميلك أن البساطة عن المشروع واستثماره يجب أن يظلاّ بأيدي اليهود الذين تعرّضوا للاضطهاد على أيدي مسيحيي أوربا ، مع إمكانية إشراف الأمم المتحدة عليه . وأما العرب ، فإذا " وجد بعضهم أنهم لا يجنون العيش في بلاد صناعية فبالاستطاعة نقلهم بسهولة إلى سهول وادي الفرات ودجلة حيث يوجد متسع لأعداد هائلة من المهاجرين " .

وقد أثارت هذه الصورة الزاهية التي قدمها لاودر ميلك إلى الصهيونيين عن مستقبل الوطن الذي يحلمون بتشييده في فلسطين المشاعر والحماسة . فأسرعوا إلى خبراء هيئة وادي تنسي في الولايات المتحدة يستعينون بهم لتجسيد أفكار لاودر ميلك بمشروع هندسي متكامل يهدف إلى وضع ما يمكن وضعه من المصادر المائية المتوفرة في فلسطين والبلاد العربية المجاورة في خدمة المشاريع الصهيونية لتطوير « الوطن القومي » بما يساعد على استيعاب ملايين المهاجرين .

وكانت نتيجة ذلك مشروع « هيز » الذي يعتبر متمّما ومكمّلاً لمشروع لاودر ميلك .

وبالرغم من أن مشروع جيمس هيز لم ينشر إلاّ عام ١٩٤٨ تحت عنوان « اقتراحات لتطوير الري والطاقة الكهرمائية في فلسطين » فقد كان مع مشروع لاودر ميلك معدّاً بخطوطه العامة عام ١٩٤٦ ليستغل سلاحاً بيد الصهيونيين للضغط على لجنة التحقيق الانكلو ـ أميركية * المكلفة من قبل إنكلترا والولايات المتحدة عام ١٩٤٦ لدراسة مشروع تقسيم فلسطين بين العرب واليهود ، وللتأثير في مناقشات الجمعية العامة للأمم المتحدة المنعقدة عام ١٩٤٧ لإقرار مشروع التقسيم ، كي يتم رسم الحدود الشمالية للدولة (إسرائيل) بما يكفل لها السيطرة على جميع المصادر المائية الموجودة أصلاً ضمن حدود شمال فلسطين .

وقد قال عمانوئيل نيومان رئيس لجنة مسح أراضي فلسطين في تقريره الموضوع عام ١٩٤٨ : " إنه لمن حسن الحظ أن الذين كانوا مسؤولين عن وضع تفاصيل مشروع التقسيم كانوا على علم ومعرفة بوجهات النظر الأساسية لمشروع لاودر ميلك ، وأنهم اتخذوه ، لحد بعيد ، قاعدة حدّدوا على أساسها حدود المناطق العربية والمناطق اليهودية " (ر : تقسيم فلسطين) .

٢) مشروع هيز : كان الهم الأول لهيز في وضع الخطوط العامة لمشروعه ، أسوة بزميله لاودر ميلك ، أن يخضع استثمار الموارد المائية في حوض الأردن حصراً لمصلحة المخططات الصهيونية ، دون أن يعير المصالح العربية أو الحقوق العربية في المنطقة أي اهتمام . وقد رسم الخطوات التي يرى تنفيذها لتحقيق أهدافه هذه ضمن ثماني مراحل خلاصتها :

(١) المرحلة الأولى : العمل على استثمار موارد المياه الجوفية ، وخاصة في الساحل . وكذلك إنشاء سدّ على نهر الخاصباني في لبنان لاستثمار مياهه بعد تحويلها عبر قناة مغلقة لتوليد الطاقة الكهربائية في محطة تنشأ داخل (إسرائيل) . وهو يرى أن تأمين هذه الطاقة في مراحل المشروع الأولى ضروري لتوفير ما تحتاج إليه عمليات ضخّ مياه الآبار من هذه الطاقة .

(٢) المرحلة الثانية : تحويل مياه نهر بانياس في سورية عبر قناة نحو تل القاضي (دان) لتجميع مياه ينابيعها مع المياه الفائضة من الخاصباني ، وجرّها كلها في قناة مكشوفة تجري بالراحة لإرواء أراضي سهل الحولة * والجليل * الأدنى ووادي مرج ابن عامر * ، ثم إمرارها عبر نفق لتخزين فائضها في سهل البطوف * .

(٣) المرحلة الثالثة : تحويل مياه نهر اليرموك إلى بحيرة طبرية تعويضاً عن مياه روافد الأردن المحوّلة في المرحلة الثانية للري . وبالرغم من أن نهر اليرموك لا يمسّ مثلث اليرموك المقتطع أصلاً من

الأراضي السورية إلاّ بنحو ستة أمبال فقط فهو يقترح تخصيص المملكة الأردنية الهاشمية بـ ٥٠٪ فقط من مياهه لري أراضيها في الغور ، وترك الباقي ، حسب ادّعائه ، لري أراضي المثلث ومنطقة بيسان * .

(٤) المرحلة الرابعة : لمنع انخفاض منسوب البحر الميت بعد استثمار مياه الأردن وروافده في مشاريع الري ، وللتعويض عن التبخر السنوي في هذا البحر المقدّر بحوالي مليارَي متر مكعب من المياه ، يقترح المشروع تحويل كمية كافية من مياه البحر المتوسط تقارب ٣٠ م٣/ثا إلى البحر الميت عبر قناة تبدأ من حيفا حتى جبل الكرمل ، ثم عبر نفق طوله ٢٠ ميلاً إلى الجانب الغربي من وادي الأردن ، لتنقل بعد ذلك في قناة تحت الضغط حتى البحر الميت . ويبلغ مجموع ارتفاع المسفط المائي الحاصل في هذا التحويل نحو ٤٠٠ م . ويقدر واضع المشروع إمكان توليد طاقة كهربائية في محطة أبو سدرة بقوة ١٠٠ ميغاوات ، وفي محطة البحر الميت بقوة ٣٧ ميغاوات . وتصل الطاقة المولّدة الصافية من المشروع ، بعد حسم الجزء المستعمل منها في عمليات الضخ ، إلى ٥٦٠ مليون كيلو وات ساعي .

(٥) المرحلة الخامسة : إقامة السدود والمنشآت اللازمة في سهل البطوف لتأمين تخزين مياه فيضانات الشتاء المجمّعة من مختلف الوديان والمسايل والفائضة من عمليات المرحلة الثانية في بحيرة كبيرة تستوعب مليار م٣ من المياه .

(٦) المرحلة السادسة : العمل على استصلاح أراضي سهل الحولة ، وتجفيف المستنقعات فيها ، وضخ مياه ينابيعها لاستخدامها في ري الأراضي المستصلحة وتحويل الباقي ، ويقدر بحوالي ٤٥ مليون م ٣ ، إما لريّ ٥٥ ألف دونم من أراضي سهول الساحل الجنوبية ، وإما لري نحو ٢٩ ألف دونم من سهول أريحا في الغور الغربي .

(٧) المرحلة السابعة : الاستفادة من مياه الينابيع المحلّية وسيول الوديان غربي نهر الأردن ، بدءاً من وادي أبو سدرة والفارعة * في الشمال وحتى سهول أريحا في الجنوب ، في ريّ الأراضي الصالحة للاستثمار في مناطقها . وإمكان الاستفادة أيضاً مما يتبقى في نهر الأردن الأدنى من المياه بعد التحويلات التي أجريت في المراحل السابقة لريّ المزيد من أراضي غور أريحا ، على أن يؤجل ذلك إلى ما بعد التثبّت من أفضلية تحويل مياه الأردن وروافده إلى مناطق اخرى (بقصد النقب دون ذكره صراحة) حيث يكون استثمار المياه فيه ، حسب رأيه ، ذا جدوى اقتصادية أكبر ، لأن أراضي الأغوار منملحة غير خصبة ، وتحتاج لمقنّنات مائية عالية .

(٨) المرحلة الثامنة : إنشاء السدود على مختلف وديان الساحل الغربي من فلسطين لتخزين مياه فيضاناتها وأينابيعها التي تغذّيها ، ونقل كل ما يفيض عن حاجة الأراضي المحيطة بها إلى منطقة النقب في الجنوب للمساعدة في تطوّرها وتنميتها . وتقدّر كمية ما يمكن تجميعه من المياه في هذه المرحلة بنحو ٣٢٠ مليون م٣ .

وقد أشار هيز في مشروعه إلى إمكان إضافة مرحلتين أخريين في المستقبل دون أن يدخل في تفاصيلهما صراحة . ومن الواضح أنه كان يقصد بهما رغبته في تحويل مياه نهر الليطاني في لبنان لاستثمارها في الأراضي الفلسطينية لصالح المشاريع الصهيونية .

هذه هي باختصار الخطوط العامة لمشروع هيز ، ومنها يتبيّن مدى استعداد واضعيه لتجاهل حقوق العرب في مياههم وحرمانهم من هذه المياه في إرواء أخصب أراضيهم في الأغوار تحت مختلف المزاعم المفتقرة لأدنى حدّ من الأمانة العلمية . وقد استغلّ الصهيونيون هذا المشروع لأقصى حد ، وبلغ من دعايتهم له وضغوطهم في سبيله أنْ جعلوا أنصارهم مخططي حدود (الدولة الإسرائيلية) في الأمم المتحدة عام ١٩٤٧ يعتبرونه أساساً ودليلاً لهم ، فأدخلوا ضمن هذه الحدود كل الصادر المائية في شمال فلسطين ليضعوا هذه (الدولة) في مركز الهيمنة الكاملة على هذه المياه دون أي اكتراث بحقوق ومصالح أصحاب هذه المياه الأصليين . ويتجلّى خطر هذا المشروع من ناحية أخرى كذلك في أن الصهيونيين ، وقد أخذهم الحماسة له كل مأخذ ، جعلوا منه مصدر التوجيه الأول الذي اعتمدوه في وضع الخطط البعيدة المدى لجميع مشاريعهم الإنمائية المائية بعد تأسيس دولتهم (إسرائيل) عام ١٩٤٨ .

٣) الخطة الإسرائيلية الأولى لاستثمار الموارد المائية ـ خطة السنين السبع : اندفع الصهيونيون منذ الأشهر الأولى لقيام (إسرائيل) عام ١٩٤٨ يعدّون الخطط لاستثمار كل ما يقع تحت أيديهم من الموارد المائية في تحقيق أمانيهم وأمانيهم في تنمية اقتصاد دولتهم الجديدة . وشكّلوا لهذا الغرض لجنة من سبعة عشر خبيراً ، ودعوا للمشاركة في دراساتهم هيز نفسه ومعه بعض كبار خبراء هيئة وادي تنسي . وحدّدوا أهداف خطتهم السبعية الأولى التي أعلنوها عام ١٩٥٣ بالعمل على زيادة استثمار الموارد المائية في (إسرائيل) من ٨١٠ مليون م ٣ من المياه (وهو مجموع ما بلغه إنتاج المياه فيها حتى عام ١٩٥٣) إلى ١,٧٣٠ مليون م٣ في نهاية الخطة عام ١٩٦٠ ، آملين بذلك أن يتمكنوا من مضاعفة الساحات المزروعة ريّا في البلاد ثلاث مرات ، وأن يبلغوا في إنتاجهم الغذائي ما يؤمّن ٧٥٪ من حاجتهم الاستهلاكية عام ١٩٦٠ الذي يقدّرون أن عدد سكانهم سيرتفع فيه إلى المليونين .

وقد اقتضت الخطة أن يؤمّنوا هذه الزيادة المقررة، وهي ٩٢٠ مليون م٣ من مصدرين رئيسين :

الأول : ٣٨٠ مليون م٣ من مشاريع استثمار الينابيع والمياه الجوفية والسطحية المختلفة داخل فلسطين المحتلة .

والثاني : ٥٤٠ مليون م٣ من مياه نهر الأردن وروافده ، على أن يجري تأمين ٣٤٠ مليون م٣ منها من مشروع تحويل نهر الشريعة من نقطة جسر بنات يعقوب في الشمال إلى أراضي النقب في الجنوب ، و١٢٠ مليون م٣ من مشروع الحولة ، و٨٠مليون م٣ من مشروع طبرية ـ بيسان .

وكان مشروع تحويل مياه نهر الأردن الأعلى (الشريعة) إلى النقب في الجنوب يشكّل المحور الأساسي لخطة السنين السبع الإسرائيلية الأولى دون أن تأتي على ذكره صراحة ، إذ كانت التصاميم المائية المعدّة في الخطة تقضي بإنشاء شبكة مائية موحّدة ومترابطة في (إسرائيل) تستثمر بمجموعها كوحدة متكاملة تؤمّن حاجة مختلف الاستعمالات الزراعية والصناعية والمدنية في مناطق البلاد كلها ، على أساس أن يسعف بعضها بعضها الآخر كلما اقتضى ذلك الصالح العام . وقد اعتبرت القناة الرئيسة الناقلة لمياه الأردن من الشمال إلى الجنوب العمود الفقري الأساسي لهذه الشبكة ، تغذّيها الموارد المائية الأخرى في البلاد ، وتغذي هي بدورها مختلف المشاريع الثانوية والفرعية بحاجتها من المياه .

وقد تضمّنت الخطة إنشاء ستة مشاريع تشمل جميع المناطق الرئيسة في (إسرائيل) ، وهذه المشاريع هي :

(١) مشروع تجفيف الحولة * : وهو المشروع الذي ظل حلما يراود القائمين على المنظمات الصهيونية منذ أن أشار عليهم زعماؤهم ، كرونشيلد وهرتزل في مطلع القرن العشرين ، بأهميته ، والذي بذلوا في سبيل استرجاع امتيازه من الأيدي العربية خلال فترة الانتداب كل ما كان بوسعهم بذله من ضغوط وجهود وأموال . وقد بُدىء بتنفيذ هذا المشروع عام ١٩٥١ ، أي قبل عامين من إعلان الخطة السبعية . وحدث بعد البدء بأعمال التنفيذ أن احتجّت سورية لمجلس الأمن على عدوان اليهود على المنطقة المجردة غربي نهر الشريعة وعلى قصف القرى العربية وتهجير أهالي كراد البقّارة * والناعمة * ومزرعة الحوري بالقوة .

ولكن ،بالرغم من القرار الإيجابي الذي اتخذه مجلس الأمن في الموضوع ، سمح الجنرال رايلي ، كبير مراقبي هيئة الأمم المتحدة يومذاك ، للإسرائيليين باستئناف العمل في المشروع ، بدعوى أن مجرى في القسم الإسرائيلي من المنطقة المجردة .

ويترتب على تنفيذ هذا المشروع إتاحة استثمار مساحة يبلغ مجموعها ١٤٠ ألف دونم من الأراضي الخصبة ، وريّها من نبع تل القاضي (دان) (رَ : الحولة ، تجفيف بحيرة ـ) .

(٢) مشروع الجليل الأعلى : يقضي بتحويل مياه مختلف الينابيع في الجبال ، وبعض الينابيع التي ترفد نهر الأردن في شبكة ريّ تتيح استثمار نحو ١٠٠ ألف دونم من الأراضي الصالحة للاستثمار في جبال الجليل الأعلى .

(٣) مشروع غور الأردن : وحصيلته ريّ نحو ١٠٠ ألف دونم في غور بيسان والأردن بقناة خاصة من بحيرة طبرية ، وباستثمار عدد كبير من ينابيع المياه في المنطقة .

(٤) مشروع الجليل الغربي : يقضي باستثمار مياه الفيضانات والسيول في وادي مرج ابن عامر (جزريل) ومياه نهر المقطع * (كيشون) والينابيع الكثيرة في المنطقة لريّ أراضي الجليل الغربي ومرج ابن عامر .

(٥) مشروع العوجا (اليركون) ـ النقب الغربي : وهو مشروع يقوم على إنشاء قساطل خرسانية ضخمة تنقل مياه رأس العين * ونهر العوجا وكذلك جزءاً هاماً من المياه المحوّلة من نهر الأردن في الشمال والمياه المكررة من شبكة الجاري في تل أبيب لإرواء القسم الغربي من أراضي النقب .

(٦) مشروع العوجا (اليركون) ـ النقب الشرقي : ويهدف هذا المشروع الموازي لمثيله الغربي إلى نقل حزء من مياه نهر العوجا ومياه نهر الأردن المنقولة من الشمال للتوسع في ري أراضي القسم الشرقي من النقب .

ويلاحظ أن هذه القائمة من المشاريع التي اشتملت عليها خطة السنين السبع لتطوير استثمار الموارد المائية في (إسرائيل) لم تشر بشكل صريح إلى تضمين الخطة مشروع تحويل مياه الأردن من موقع جسر بنات يعقوب في الشمال إلى النقب في الجنوب . ولكن واقع التنفيذ كان يشير إلى ذلك . إذ من السنين الأولى لقيام دولة (إسرائيل) كانت ثمة مؤشّرات تدل على أن عمليات تنفيذية وتنقيبية تجري هنا وهناك كخطوات أولى للسير في تنفيذ مختلف أجزاء هذا المشروع دون إبطاء .

٤) مشروع تحويل مياه نهر الأردن إلى النقب : اعتمدته (إسرائيل) لتحويل مياه الأردن إلى النقب ، وتألفت شركة ميكوروت اليهودية لتنفيذه منذ عام ١٩٥٣ . ويتضمن هذا المشروع العمليات التالية :

(١) تحويل مياه نهر الشريعة من نقطة تقع بالقرب من موقع جسر بنات يعقوب جنوبي بحيرة الحولة ، وإنشاء سدّ تحويلي لهذه الغاية . وتنقل المياه في قناة مكشوفة باستيعاب ٤٣٥ مليون م٣

سنوياً، تجري جنوباً في الأرض المجردة من السلاح ، ومن ثم إلى موقع قرية الطابغة * في الشمال الغربي من بحيرة طبرية .

(٢) إسقاط ٢٣٦ مليون م٣ من تصريف القناة في سوقع الطابغة من منسوب ٤٢ م فوق سطح البحر في نهاية القناة إلى منسوب ٢١٠ م تحت سطح البحر في بحيرة طبرية ، وتوليد الطاقة الكهربائية في محطة توليد تنشأ هذه الغاية تحت الأرض .

(٣) الاستفادة من جزء من الطاقة الكهربائية المولدة في إعادة رفع ١٧٣ مليون م ٣ من المياه ضخاً إلى منسوب + ٤٢ نفسه لمتابعة نقلها ، مع القسم المتبقي من تصريف القناة الأصلي ، إلى خزان صغير ينشأ في موقع سلآمة (تسالمون) ، واستثمار الجزء الباقي من الطاقة الكهربائية المولّدة في مشاريع التنمية الصناعية .

(٤) رفع كميات المياه المراد تحويلها إلى الجنوب من محطة ضخ تنشأ في سلآمة إلى ١١٠ م أخرى لتصل إلى منسوب ١٥٠ م فوق سطح البحر ، ثم نقلها عبر نفق عيلبون إلى خزان البطوف الكبير المصمم ليستوعب مليار متر مكعب من المياه .

(٥) نقل المياه من خزان البطوف عبر نفقي « مينا شيه » و« شمرون » إلى السهل الساحلي * ، ثم نقلها من هناك جنوباً في قناة ضخمة من الخرسانة المسبقة الإجهاد قطرها ٢٧٥ سم حتى تصل إلى ضواحي تل أبيب * حيث تلتقي بمشروعي العوجا (اليركون) ـ النقب الشرقي والغربي ، ثم تمتد تفرعاتها لتروي مختلف الأراضي المعدّة للاستثمار في منطقة النقب .

اصطدم تنفيذ هذا المشروع ، وهو في مراحله الأولى ، بعقبتين هامتين أوجبتا إعادة النظر في بعض الخطوط الرئيسة لتصميمه . وكانت العقبة الأولى فنيّة ، فقد تبيّن بعد التحريات الضافية التي أجريت في الموقع المختار لإنشاء خزان البطوف أن المواصفات الجيولوجية المتوفرة فيه لا تؤمن الكتانة المطلوبة للخزان ، وأن نسبة تسرب المياه منه تجعله غير صالح لتخزين الكميات المصمم لها أصلاً ، وأن لا بد من البحث عن موقع آخر يكون أكثر ملاءمة للتخزين المطلوب . أما العقبة الثانية ، وهي الأخطر والأهم ، فكانت سياسية ؛ فمنذ الأشهر الأولى من عام ١٩٥٣ ، وحتى قبل إعلان الخطة السبعية رسمياً ، بدأت شركة ميكوروت تحفر القناة الرئيسة من موقع جسر بنات يعقوب التي تشكّل الحلقة الأولى من مشروع التحويل . ولكن ما كادت الرقابة السورية ترصد تحركات الحفارات التي كانت تعمل ليلاً ونهاراً في المنطقة المجردة من السلاح قرب حدودها حتى طلب من كبير المراقبين الجنرال بنيكه للأمر بوقف الأعمال . وقد استجاب الجنرال بنيكه للطلب السوري فوراً . ولكن (إسرائيل) رفضت دعوته للتوقف عن العمل شكلاً وموضوعاً ، واستأنفت العمل ، مما اضطر سورية إلى رفع شكواها إلى مجلس الأمن مهددة باللجوء إلى القوة إذا اقتضى الأمر . وقد اتخذ مجلس الأمن قراراً إيجابياً في الموضوع بتاريخ ١٩٥٣/١٠/٢٧ وأمر بوقف الأعمال . ولكن (إسرائيل) عادت وأعلنت تمردها على قرار مجلس الأمن مرة أخرى .

د ـ المشاريع العربية لاستثمار مياه نهر الأردن وروافده :

خرجت المملكة الأردنية الهاشمية من نكبة فلسطين عام ١٩٤٨ لتجد نفسها مثقلة بمشكلة تدفق مئات ألوف النازحين إليها من هول الإرهاب الصهيوني * . فكان من الطبيعي أن يصبح رأس اهتماماتها بعد الهدنة البحث عن إمكان استثمار ثروتها المائية المهدورة في حوض الأردن بريّ أراضيها الواسعة في الأغوار والأزوار لرفد اقتصادها بما يساعدها على تحمّل ما ترتب على تلك الهجرة الجماعية من أعباء وتبعات . وقد ساعدها على ذلك ما نال منشآت مشروع روتنبرغ الكهربائي من تدمير شامل على أيدي أصحابها اليهود خلال الحرب ، وتحرّر المملكة بذلك من قيود الامتياز التي كانت تحول بينها وبين استثمار تلك الثروة طوال مدة الانتداب .

وقد أوكلت حكومة الأردن مهمة دراسة استثمار الثروة المائية إلى شركة بريطانية هي شركة مردوخ ماكدونالد وشركاه . وتبعتها دراسة أخرى قدمها مهندس أميركي أوفدته « النقطة الرابعة » الأميركية للتحقيق في المشاريع التي تقرر أن تنفق عليها قروضها ، وهو الخبير الهندس م . أ . بونجر . وفي ضوء المستجدات التي طرأت بعد تلك الدراسات كلّفت الحكومة الأردنية شركة بيكر وهيرزا الأميركية وضع الدراسة النهائية والتصميمات للمشروع الأخير الذي اعتمدته يومذاك .

١) مشروع ماكدونالد : يعتبر هذا المشروع امتداداً وتطويراً لمشروع إيونيدس القديم . وقد رفعت الشركة تقريرها بشأنه إلى الحكومة الأردنية تحت عنوان « تقرير عن التوسع المقترح في ريّ وادي الأردن » ، في آذار ١٩٥١ ، وذلك بعد أن عرضته على الخبير إيونيدس وحصلت على موافقته عليه .

ويقوم المشروع على أساس أن بحصر استثمار مياه حوض الأردن في ري أراضي وادي الأردن على ضفتيه ، وأن تخزن فائض مياه اليرموك في بحيرة طبرية ، وأن يراعى في تصميم شبكات الري وتنفيذها الوضع السياسي الذي طرأ على المنطقة بعد ١٩٤٨ ، بقيام (إسرائيل) من جهة ، وبضم الضفة الغربية من فلسطين إلى المملكة الأردنية الهاشمية من جهة أخرى .

ويقترح المشروع السير في تنفيذ مختلف أجزائه على أربع مراحل :

(١) المرحلة الأولى : أن تنشأ قناة في الضفة الشرقية من غور الأردن بطول ٧٠ كم ، وبسعة ١٠ م٣/ثا (قابلة للتوسيع إلى

٢٠ م٣/ثا) تستمد مياهها من تحويل مياه اليرموك إليها من سد تحويلي ينشأ بالقرب من موقع العدسية . ويقدّر أن مياه هذه القناة تكفي لري ١٨٩,٠٠٠ دونم من أراضي الغور الشرقي الممتدة من اليرموك حتى وادي الزرقاء ، مقسمة إلى حوالي ٦,٠٠٠ قطعة أرض ، مساحة كل منها ٣٠ دونماً ، تستثمر مستقلة من قبل عائلة واحدة .

(٢) المرحلة الثانية : أن تُمدّد قناة الغور الشرقية المنشأة في المرحلة الأولى ٢٦ كم أخرى لري حوالي ١١٠,٠٠٠ دونم من أراضي الغور الأردني المحيطة بجانبي طريق عمان ـ القدس ، والقريبة من البحر الميت . ويشير التقرير إلى ضرورة البدء بغسيل هذه الأراضي لإزالة ملوحتها قبل الشروع باستثمارها .

(٣) المرحلة الثالثة : متابعة المرحلتين الأولى والثانية باستثمار المياه الجارية في الوديان الشرقية من وادي الأردن لري ٥٦,٠٠٠ دونم أخرى ، بالإضافة إلى ما اقترح ريّه في المرحلة الثانية (١١٠,٠٠٠ دونم) ، وبذلك يتم استثمار كامل المساحات القابلة للزراعة في الضفة الشرقية من الأغوار بين نهر اليرموك والبحر الميت . وتتضمن هذه المرحلة كذلك شق قناة في الضفة الغربية من الأغوار تستمدّ مياهها من بحيرة طبرية لري ١٠٤,٠٠٠ دونم في غور بيسان ومثلث اليرموك ، وهما تحت السيطرة الإسرائيلية .

(٤) المرحلة الرابعة : أن تحول قسم من مياه القناة الشرقية عبر سيفونات تحت نهر الأردن ، وإنشاء قناة غربية لري ٢٠٠,٠٠٠ دونم من أراضي الغور الغربي في منطقة أريحا في الضفة الغربية .

يترتب على تنفيذ هذه المراحل الأربع استثمار مساحات يبلغ مجموعها في القسم الغربي من الأغوار حوالي ٥٥٥,٠٠٠ دونم يقترح تقسيمها إلى حوالي ١٨,٥٠٠ قطعة أرض ، مساحة كل منها ٣٠ دونماً ، وفي القسم (الإسرائيلي) من الغور الغربي ومثلث اليرموك ١٠٤,٠٠٠ دونم .

ومن الملاحظ أن تصريف ١٠م٣/ثا المطلوب إنشاء قناة الغور الشرقية لاستيعابه غير كاف لري جميع المساحات المقترح إرواؤها في المشروع . ولذلك أشار مشروع ماكدونالد إلى إمكان تأمين الكمية اللازمة للري من مخزون مياه اليرموك الفائضة أثناء الشتاء ، إما بتحويل كامل فيضانات اليرموك إلى بحيرة طبرية وسحب مياه قناة الري منها مباشرة ، وإما بإنشاء خزّان على اليرموك في موقع الباقورة ، وإما بإنشاء خزّان صغير على نهر الأردن جنوب تلاقيه مع نهر اليرموك مقابل وادي المالح . ولما كان من شأن الاحتمالين الأخيرين إغراق مساحات واسعة من الأرض المزروعة الخصبة فقد اتجه مشروع ماكدونالد إلى اعتماد الحل الأول للتخزين دون إعارة الملابسات السياسية والأضرار التي تصيب المصالح العربية من هذا الاتجاه أي اهتمام .

وفي الواقع ، كان الجانب العربي دائما ينظر بحذر إلى كل اقتراح يشير بتخزين مياه اليرموك في بحيرة طبرية لعدد من الأسباب ، أهمها :

ـ أن حدود بحيرة طبرية كلها تقع تحت سيطرة (إسرائيل) وأن تخزين المياه العربية فيها يعني وضعها ضمن إطار التحكّم الإسرائيلي بدلاً من أن تبقى في إطار التحكم العربي .

ـ وأن مياه اليرموك مياه عذبة لا يتجاوز معدل درجة الملوحة فيها ٨٨ جزءا في المليون ، في حين تبلغ درجة الملوحة في مياه بحيرة طبرية ٣٠٠ جزء في المليون ، وهذا يعني أنه بدلا من أن يروي الأردن أراضيه بمياه عذبة صالحة للزراعة ستعطى له من البحيرة مياه عالية الملوحة نسبياً وأقل صلاحا لأغراض الزراعة .

ـ وأن نسبة التبخّر وضياع المياه في بحيرة طبرية عالية ، تقدّر بحوالي ٣٠٠ مليون م ٣ في العام الواحد ، في حين تقلّ هذه النسبة كثيراً في حال تخزين مياه اليرموك في موقع ملائم على مسار النهر نفسه .

لذلك لم يكن من المستغرب أن يرحّب العرب بمشروع الخبير الأميركي بونجر المصمم على أساس تخزين مياه نهر اليرموك على مسار النهر نفسه عند موقع المقارن ضمن إطار مشروع معدّل لاستثمار مياه حوض نهر الأردن .

٢) مشروع بونجر : كان الخبير الأميركي ميلز بونجر يعمل في عمان لصالح وكالة التعاون الفني المتفرعة عن مشروع النقطة الرابعة الأميركي . وقد لاحظ أن الوديان الثلاثة التي تتجمع عند موقع محطة المقارن تتوافر فيها المواصفات الملائمة لإنشاء خزان كبير يتسع لكمية لا تقل عن نصف مليار م٣ من المياه ، وهي أكثر من مجموع إيراد النهر السنوي المقدر معدله بـ ٤٧٥ مليون م٣ .

أجرى بونجر دراسة وافية للموقع قدّم على أثرها بتاريخ ١٩٥٢/٧/١١ إلى مجلس الإعمار الأردني تقريراً يتضمن مشروعه لاستثمار مياه اليرموك في خدمة الاقتصاد العربي حصراً دون أن يكون له علاقة بأية جهة أخرى . ويتلخّص هذا المشروع في النقاط التالية :

(١) إنشاء سد في موقع محطة المقارن على نهر اليرموك بارتفاع ١٧٨ م وطول ٥٠٠ م ، واستيعاب ٥٠٠ مليون م٣ من المياه .

(٢) إنشاء قناة خرسانية تمتد على الضفة الجنوبية من مسار نهر اليرموك ونوصل مياه خزان المقارن إلى سد تحويلي ينشأ في موقع العدسية .

(٣) إنشاء محطة توليد كهربائية تحت سد المقارن مباشرة

ـ وثائق مجلس الأمن ١٩٥٣ ـ ١٩٥٤ .
— Ionides, M.G.: **Report on the Water Resources of Transjordan and their Development**, London 1938.
— Lowdermilk, W.C.: **Palestine Land of Promise**, New York 1946.
— The American Friends of the Middle East Inc.: **The Jordan water Problem:an analysis and summary of available documents**, 1949.
— Main, Ch.T.: **The Unified Development of the Water Resources of the Jordan Valley Region**, Boston 1953.
— Gobashy, O.Z.: **The Development of the Jordan River**, 1941.
— Risk, E.: **The River Jordan**, New York 1964.
— Stevens, G.G.: **Jordan River Partition**, New York 1964.
— Goich, A.M.: **L'Eau problème vital de la région du Jourdain**, Bruxelles, 1964.
— Mayer, A.: **Les Grands Travaux Hydrauliques en Israel**, Paris 1964.

الأردن (نهـــر ـ) :

أطلق على هذا النهر ذات مرة اسم « المنخفض السوري » أو « التجويف السوري » . ولكن هذا الاسم كان عاماً يطلق على جنوب سورية وفلسطين عدا فينيقيا . وأطلق عليه في عهد الرومان واليونان اسم « وادي أولـون » ، وفي زمن السيد المسيح اسم « باردن » . وسماه العرب في العصور الوسطى « الغور » ، بمعنى الوادي الهابط بين الجبال . وسموه أيضاً « بحر الشريعة » أو « المشرع » أي مورد الشرب ، وتضم إليه أحياناً كلمة الكبير فيصبح اسمه « نهر الشريعة الكبير » ، تمييزاً له من شريعة المنـدور (اليرموك) . وكانوا يقصرون الاسم على جزء النهر الممتد من بحيرة طبرية " حتى البحر الميت " .

والاسم الشائع في الوقت الحاضر هو نهر الأردن ، ويطلق هذا الاسم على النهر من نقطة التقاء منابعه حتى البحر الميت . وقد ظهر نهر الأردن إلى الوجود منذ نهاية عصر البليوستوسين (الحقبة الرابعة) ، ونجح في أن يشق لنفسه مجرى في تكوينات اللسان البحيرية ، وهي الإرسابات التي خلفتها البحيرة الأردنية القديمة بعد جفافها . وفي عصر الهولوسين الحديث أنشأ نهر الأردن سهله الفيضي (الزور) الذي يتعرض للفيضانات السنوية .

وبالرغم من صغر نهر الأردن بمقارنته مع الأنهار الدائمة في الشرق الأوسط فإن مساحة حوضه ٤٣,٥٣٥ كم٢ ، وتشمل أراضي وحدات سياسية متعددة ، كالأراضي الفلسطينية والأردنية والسورية واللبنانية والمصرية . ويضم حوض نهر الأردن وادي الأردن الممتد من جنوبي لبنان حتى منتصف وادي عربة ، بالإضافة إلى المناطق المرتفعة المحيطة بالوادي الذي تنحدر أراضيها نحوه . ونظراً لاتساع مساحة الحوض فإنه يضم أقاليم مناخية متفاوتة تنعكس في نهاية الأمر على مائية نهر الأردن . والأقاليم المناخية هي :

١) إقليم البحر المتوسط شبه الرطب : يقع هذا الإقليم بين خطي عامل مطر ٣٠ و ٥٠ ، حسب معادلة لانغ (١٩٢٠م) . ويتميز بفائض مائي واضح خلال فصل الشتاء ، وبعجز مائي سنوي قليل .

٢) إقليم الإستبس : يقع بين خطي عامل مطر ١٥ و ٣٠ . ويتميز بفائض مائي شتوي قليل جداً خلال شهري كانون الأول والثاني ، وبعجز مائي سنوي كثير .

٣) الإقليم الصحراوي : يقع بين خطي عامل مطر صفر و ١٥ . ويتميز بعدم وجود فائض مائي شتوي ، وبوجود عجز مائي سنوي كبير جداً .

أ ـ النظام المائي : لا يتأثر النظام المائي لنهر الأردن بالظروف المناخية السائدة في منطقة تغذيته فحسب ، بل يتأثر بعدة عوامل أخرى أيضاً ، مثل البنية الجيولوجية ، وأشكال سطح الأرض ، والنباتات الطبيعية ، وغيرها من العوامل الطبيعية . ويتأثر أيضاً بالعوامل البشرية مثل الأوضاع السياسية في المنطقة من جهة ، والمنشآت التي يقيمها الإنسان على النهر من جهة ثانية ، وتغيير المعالم الجغرافية للنهر من جهة ثالثة .

١) العوامل الطبيعية : تبدو آثار العناصر الطبيعية في كثير من الخصائص الهيدرولوجية للنظام المائي . فالأردن نهر عنيف سريع التقلب في تصريف مياهه ، إذ يتدنى هذا التصريف إلى ٥م٣/ثا في أواخر الصيف ، في حين يرتفع إلى ذروته ليصل إلى ٦٠م٣/ثا في منتصف الشتاء . وليس من الغريب أن تتضاعف كمية التصريف أحياناً ثلاث مرات خلال ٤٨ ساعة نتيجة حدوث فيضانات مفاجئة بفعل الأمطار الغزيرة . وينتج عن تلك الفيضانات تجديد التربة في الزور ، وتزويدها بالرطوبة التي ساهمت في نمو شريط أخضر كثيف من النباتات الطبيعية " على ضفاف النهر ، كالأشجار الحلفا والصفصاف والبوص والدفل والقصيب وغيرها . ولكن بعد أن قام الإنسان خلال الخمسينات من هذا القرن باجتثاث هذه النباتات وإحلال المحاصيل الزراعية محلها أصبحت هذه الفيضانات نعمة ونقمة على بساتين الخضار .

وليس صبيب نهر الأردن كبيراً ، لكن فعالية النهر في النحت عظيمة ، إذ تبلغ كمية المواد الطينية العالقة بمياهه عند الفيضان نحو ٥,٥٠٠ جزء في المليون ، أو نصف ذلك في الأحوال العادية ، مقابل ٦٠٠ جزء في المليون لكل من المجرى الأدنى للمسيسبي وللفرات ، ونحو ٨٠٠ جزء في المليون لنهر دجلة .

وينجم عنف نهر الأردن في سرعة تياره ، فهو نهر عظيم

الانحدار ، إذ يبلغ مقدار ما يهبطه النهر ٩٢٤م من منبعه الحاصباني (٥٢٢م) حتى مصبه في البحر الميت (ـ ٤٠٢م) لعام ١٩٨٠ . ويبلغ متوسط الانحدار ٤,٧م/كم إذا حسبت المسافة المباشرة من المنبع إلى المصب وهي ١٩٢ كم . أما إذا حسب الطول الحقيقي لمجرى النهر بتعرجاته ، ويصل إلى ٣٢٠ كم ، فإن معدل الانحدار يصبح ٢,٥م/ كم . وتجدر الإشارة إلى أن أعظم انحدار لنهر الأردن ينحصر في الجزء الجنوبي من مجراه الأوسط بين جسر بنات يعقوب وبحيرة طبرية .

وهناك شذوذ واضح في أجزاء كثيرة من مجرى نهر الأردن يجعله بعيداً عن القاعدة العامة التي تتميز بها المجاري العليا والوسطى والدنيا للأنهار . وتفسر دراسة تطوّر النهر كثيراً من مظاهر هذا الشذوذ . وتبدو مظاهر النضج والشيخوخة على نهر الأردن عندما يجري في سهل الحولة * الذي يقع في منطقة المجرى الأعلى للنهر . أما الجزء الجنوبي من مجراه الأوسط فتبدو على النهر فيه مظاهر الشباب خلال جريانه من جسر بنات يعقوب إلى ما قبل سهل البطيحة . وفي سهل البطيحة الواقع في الطرف الشمالي لبحيرة طبرية يصبح النهر هادئاً بطيء الحركة حتى يصب في البحيرة . وتبدو على النهر في مجراه الأدنى ، من بحيرة طبرية حتى مصبه في البحر الميت ، مظاهر الشباب على الرغم من كثرة تعرجاته . فهو يجمع بين النقيضين عندما يكون سريع التيار وشديد التعرج في الوقت نفسه .

لم تكن نشأة نهر الأردن وتطوره كنهر واحد ، بل إن أجزاء منه تكوّن كل منها على حدة إلى أن حدثت أمور أدت إلى اتصالها فكوّنت نهراً واحداً . فالأجزاء الحديثة التكوين في نهر الأردن هي التي وصلت المسيلات القديمة بعضها ببعض . وتتميز هذه الأجزاء الحديثة بكثرة الجنادل والخوانق فيها . أما القديمة فقد كانت ، قبل الاتصال ، تامة النضج يتكوّن كل واحد منها من بحيرة هي المركز الذي تنصب فيه الروافد ، ثم وصلت بينها فيما بعد الحركات البنائية (التكوينية) من جهة ، والتعرية من جهة أخرى .

ويتبيّن من المقطع الطولي للمجرى الأدنى لنهر الأردن بين بحيرة طبرية والبحر الميت وجود انقطاعين في الانحدار العام للمجرى من الشمال إلى الجنوب ، أحدهما يقع بين بحيرة طبرية (ـ ٢١٢م) ومنحنى تسوية (ـ ٢٧٥م) ، وثانيهما يقع بين خطي تسوية (ـ ٣١٥م) و (ـ ٣٦٠م) . ويمثل هذان الانقطاعان مواضع صخور بازلتية صلبة اعترضت مجرى النهر وحالت دون توسيع مجراه فيها . وقد نتجا عن هبوط البحر الميت مرتين منذ عصر البليوستوسين ، واضطرار نهر الأردن إلى تجديد شبابه نتيجة هبوط مستوى قاعدته بتعميق مجراه والحفر تراجعياً .

وتسترعي الانتباه في المجرى الأدنى لنهر الأردن ظاهرة التعرج التي نجمت عن الترسبات البحيرية والنهرية في منطقة مجرى النهر . أما عن الترسبات البحيرية فهي أثخن في الجزء الجنوبي من وادي الأردن منها في الجزء الشمالي ، لأسباب تتعلق بارتفاع مستوى قاع الجزء الشمالي من البحيرة الأردنية القديمة بالنسبة إلى قاع الجزء الجنوبي . ومن شأن هذا الميل الطفيف للرسوبيات من الجنوب إلى الشمال تقييد قوة التيار النهري ، وإعاقته ، مما يضطر النهر إلى التعرج في مجراه . فالنهر لا يمكن أن يتعرج ثلاثة أضعاف مسافة مجراه المستقيم ، رغم انحدار الأرض وسرعة تيار النهر، ما لم يكن هناك ارتفاع تدريجي للترسبات البحيرية معاكس للانحدار العام لأرضية الوادي . أما عن الترسبات النهرية فإنها تساهم في صفة التعرج الملحوظة في المجرى الأدنى لنهر الأردن . وتستمد هذه الترسبات من الفيضانات ومن النحت الذي يمارسه النهر ، بالإضافة إلى ما تلقيه الأودية الجانبية الرافدة من إرسابات تتخذ شكل الجزر الرملية والطينية في مجرى نهر الأردن ، الأمر الذي يضع عوائق أمام تيار النهر فيجنح إلى التعرج .

ويحيد مجرى النهر الذي يتراوح عرضه بين ٢٠ و ٣٠م عن الجريان في وسط السهل الفيضي ، ويلتزم الجانب الغربي للزور . ويمكن ملاحظة هذه الظاهرة في كثير من أنهار نصف الكرة الشمالي ، إذ تميل تياراتها نحو يمين اتجاهها فتنحت من الجانب الأيمن لترسب في الجانب الأيسر . لذلك فإن مساحة السهل الفيضي على الجانب الشرقي لنهر الأردن ضعف مساحة نظيره على الجانب الغربي بسبب النحت من الجانب الغربي والإرسابات في الجانب الشرقي . ولا يخلو الزور الشرقي للنهر من بقايا الأكواع والثنيات المائية المقتطعة من النهر والمردومة بالترسبات بعد جفاف مياهها .

٢) العوامل البشرية : حصلت شركة صهيونية في فلسطين عام ١٩٢٦ على امتياز من حكومة الانتداب البريطاني مدته سبعون عاماً لاستغلال مياه نهر الأردن واليرموك وروافدها لتوليد الكهرباء من القوة المستخرجة من هذه المياه وتوزيعها داخل فلسطين والأردن ، وهو المشروع المعروف باسم مشروع روتنبرغ * . وبموجب هذا الامتياز بنيت على جسر المجامع ، جنوبي بحيرة طبرية ، محطة كهرباء ، واستعملت بحيرة طبرية خزاناً للمياه بعد أن بني عليها سد لرفع المياه . وبذلك عمل هذا المشروع على تنظيم خروج المياه من بحيرة طبرية ، وأصبح بالإمكان التحكم في تصريف مياه نهر الأردن والسيطرة على النهر بالحدّ من أخطار الفيضانات .

وفي أواخر عام ١٩٥٠م بدأ الكيان الصهيوني في تنفيذ مشروع تجفيف بحيرة الحولة * وبستغلالها ، وتم تنفيذ المشروع في أواخر عام ١٩٥٨م . ونتج عن هذا المشروع تغيير المعالم الجغرافية للمنطقة ، ومنع الفيضانات الموسمية ، واستصلاح ما ساحته

٦٠,٠٠٠ دونم من الأراضي ، وتوفير ١٠٠ مليون م٣ من المياه سنوياً .

وفي ربيع عام ١٩٦٤م انتهى الكيان الصهيوني من تنفيذ مشروع نهر الأردن ـ النقب الذي يقوم على أساس ضخ ما يقرب من ٥٠٠ مليون م٣ سنوياً من مياه بحيرة طبرية ورفعها من مستوى ٢١٢م تحت سطح البحر إلى مستوى ٣٦٠م فوق سطح البحر حيث تجمع في منخفض البطوف* الذي أصبح بحيرة اصطناعية لتخزين مياه نهر الأردن وتوزيعها في أنابيب إلى الهل الساحلي* والنقب* . وبالإضافة إلى ذلك قام الكيان الصهيوني بتحويل مياه الينابيع المالحة التي يقع بعضها خارج بحيرة طبرية ، ويقع بعضها الآخر داخل هذه البحيرة ، إلى نهر الأردن ، مما أضاف إلى النهر نحو

١٦٠,٠٠٠ طن من الملح سنوياً (ر : الأردن ، استثمار مياه نهر ـ وروافده) .

ونتج عن هذا المشروع الصهيوني انحطاط نوعية المياه في نهر الأردن الأدنى ، وازدياد نسبة الملوحة في مياه النهر بالاتجاه جنوباً نحو مصبه في البحر الميت . ومما يؤكد هذه الحقيقة أن تحليلات مياه النهر تدل على أن معدل الملوحة يبلغ ١,٣٠٠ جزء في المليون عند التقائه برافده الرئيس نهر اليرموك ، وسرعان ما تزداد الملوحة إلى معدل ١,٣٧٨ جزءاً في المليون عند موقع قطف ، وإلى معدل ١,٥١١ جزءاً في المليون عند الوهادة ، وإلى معدل ١,٩٧٠ جزءاً في المليون عند جسر الملك حسين . وهذا يدل على أن مياه نهر الأردن، ما بين ملتقى نهر الزرقاء به وحتى مصبه، تحتوي على نسبة مرتفعة من الأملاح . فاستعمالها لأغراض الري يضرّ بالأرض الزراعية ومحاصيلها . وتجدر الإشارة إلى أن مياه نهر الأردن الأدنى تحتوي على نسب مرتفعة من أملاح الكلوريد ، ونسب متوسطة من أملاح الصوديوم ، ونسب قليلة من أملاح المغنيسيوم .

ولا شك أن المصير النهائي للأملاح المذابة في نهر الأردن هو البحر الميت . ويعتقد « إرون » أن المصدر الأساسي لملوحة البحر الميت هو نهر الأردن. وقد دلت الحسابات التي أجراها على أن البحر الميت اكتسب ملوحته الشديدة في غضون ٥٠,٠٠٠ سنة . ويستمد نهر الأردن ملوحته من الأملاح المذابة في مياه روافده ، بالإضافة إلى وجود بعض الينابيع ذات المياه المالحة في قاع النهر نفسه قبيل مصبه في البحر الميت . ونسبة الصوديوم إلى المغنيسيوم في مياه نهر الأردن الأدنى هي ٤ : ١ ، وتتغير هذه النسبة بعد دخول النهر في البحر الميت فتصبح ١ : ٢ .

ويتأثر النظام المائي لنهر الأردن وروافده بالاستغلال البشري له داخل حوض النهر ، إذ تساهم مياه النهر وروافده بقسط وافر في ري الأراضي الزراعية وفي الاستعمالات الأخرى المنزلية والصناعية . والانتفاع من المياه حق طبيعي لسكان حوض الأردن ، غير أن القانون الدولي يمنع سحب المياه إلى خارج الحوض ما دام السكان المقيمون داخل الحوض بحاجة إلى هذه المياه . فما فعله الكيان الصهيوني من تحويل المياه إلى خارج الحوض نوع من التحدي والمخالفة للقوانين الدولية ، ويمثل في الصراع العربي ـ الصهيوني معركة المياه بين العرب والكيان الصهيوني . وكان المشروع العربي لاستثمار مياه نهر الأردن الذي أقره مؤتمر القمة العربي عام ١٩٦٤ الرد العربي على اعتداء (إسرائيل) وسرقتها المياه العربية . وقد حال دون نجاحه عدوان ١٩٦٧ واحتلال الجولان (ر : حرب ١٩٦٧) المنطقة الرئيسة التي يجري فيها تنفيذ المشروع العربي .

واستفادة البلدان العربية في المنطقة من النظام المائي للنهر هي استفادة محدودة إذا قورنت باستفادة الكيان الصهيوني ، والأردن أكثر بلد عربي ينتفع من النظام المائي لنهر الأردن فقد قام بحفر قناة الغور الشرقية التي أخذت تستمد مياهها من نهر اليرموك منذ عام ١٩٦١م عندما تم تنفيذ المرحلة الأولى في مشروع ري الغور الشرقي . ويسير العمل حالياً لتمديد قناة الغور الشرقية نحو الجنوب بحيث تصل إلى قرية سويمة شمالي شرق البحر الميت . وقد أنشيء مؤخراً سد الملك طلال على نهر الزرقاء لتزويد قناة الغور بكميات إضافية من المياه التي تلبّي الحاجات الاستهلاكية لوادي الأردن . وقد أقيمت بعض السدود الأخرى على الأودية الجانبية ، مثل أودية العرب وزقلاب وشعيب والكفرين ، لخزن المياه وتنظيم

عملية استغلالها . وكان الأردن ينوي بالتعاون مع سورية بناء سد المقارن على نهر اليرموك بديلاً من سد خالد بن الوليد الذي توقف العمل في إنشائه بعد احتلال الجولان . وتوقف العمل أيضاً في حفر قناة السزور التي كان من المقرر لها أن تسير بمحاذاة نهر الأردن في كل من الزور الشرقي والغربي ، وذلك نتيجة لاحتلال الضفة الغربية .

ب ـ أقسام نهر الأردن : يمكن أن نقسم نهر الأردن بصورة عامة إلى الأقسام التالية :

١) المجرى الأعلى من المنابع إلى بحيرة الحولة .

٢) المجرى الأوسط من بحيرة الحولة إلى بحيرة طبرية .

٣) المجرى الأدنى من بحيرة طبرية حتى مصب النهر في البحر الميت .

١) المجرى الأعلى : يتكون نهر الأردن من اتحاد منابعه دان وبانياس والحاصباني عند نقطة تقع على مسافة ٤ كم داخل الحدود الشمالية لفلسطين ، وعلى ارتفاع ٨١م فوق مستوى سطح البحر . ويلتقي قبل ذلك نهر دان نهر بانياس ، وبعد اتحادهما بمسافة ١,٥ كم تقريباً يلتقيان نهر الحاصباني الذي يرفده نهر بريغيت قبل نقطة الالتقاء بمسافة كيلو متر . ولما كان نهر الأردن يجري في خط مستقيم يمثل امتداداً جنوبياً لنهر الحاصباني الذي هو أطول المنابع فإن نهر الحاصباني يعدّ المنبع الحقيقي لنهر الأردن . وتنحدر منابع نهر الأردن عبر هضبة مدرجات من الأرض التي تفصل بين مستوياتها منحنيات تسوية تبلغ حوالي ٨م .

(١) نهر دان : يسمى أيضاً نهر القاضي لأنه ينبع من تل القاضي في الأراضي الفلسطينية على مسافة قريبة جداً من الحدود السورية . وهو يسير في مجرى خانقي عميق مسافة ٨ كم من منبعه حتى يلتقي نهر بانياس عند ارتفاع ٤٣م . وهو سريع الجريان ، ويقدر انحداره بنحو ٢م/ كم . يبلغ متوسط تصريفه ذروته خلال شهري آذار ونيسان (٧ و ١٠م٣/ثا) ، في حين يهبط إلى أدنى تصريفه في أيلول (٧,٣م٣/ثا) . بلغ متوسط تصريفه السنوي خلال الربع الثالث من هذا القرن نحو ٢٤٠ مليون م٣ . وقد وصلت قمة تصريفه السنوي إلى ٢٨٥ مليون م٣ في عام ١٩٤٩ / ١٩٥٠م . وكان أدنى مستوى لتصريفه السنوي ٢١٧ مليون م٣ في عام ١٩٦١ / ١٩٦٢م .

(٢) نهر بانياس : سمي بهذا الاسم نسبة إلى موضع بانياس عند بداية التقاء حدود لبنان الشرقية بالحدود السورية . ينبع نهر بانياس من كهف بانياس على ارتفاع ٣٢٩م عند قدم حافة جبل الشيخ في الأراضي السورية ، ويجري مسافة ٢ كم داخل سورية قبل دخوله فلسطين ، وهو أقصى منبع لنهر الأردن صوب الشرق . يبلغ طوله نحو ٩ كم ، ويسير في مجرى خانقي عميق بانحدار يقدر بنحو ٥م/كم . وله روافد كثيرة أهمها وادي العسل ، ووادي خشابي ، ووادي زا ي . ويشهر نهر بانياس بينابيعه الطويلة وباعتراض الصخور مجراه ، وبسرعة تيار مياهه المندفع بقوة . ويبلغ متوسط اتساع قناته نحو ٢٠م ، ومتوسط عمق المجرى نحو مترين .

يتعرض تصريف النهر لتذبذبات فصلية وسنوية أكثر وضوحاً من تذبذبات نهر دان . ففي حين يرتفع متوسط تصريفه خلال فصل الشتاء إلى ١٦م٣/ثا ، ينخفض أثناء الفصل الجاف إلى ٢م٣/ثا . وقد بلغ متوسط تصريفه السنوي خلال الربع الثالث من القرن الحالي نحو ١٢٠ مليون م٣ تراوح بين نهاية عظمى قدرها ١٤٨ مليون م٣ في عام ١٩٤٤ / ١٩٤٥م ونهاية صغرى قدرها ٨١ مليون م٣ في عام ١٩٦٠ / ١٩٦١م .

(٣) نهر الحاصباني : سمي بهذا الاسم نسبة إلى بلدة حاصبيا . وهو ينبع من المنحدرات الشمالية الغربية لجبل الشيخ ، عند ارتفاع ٩٠٠م فوق مستوى البحر ، وعند نقطة في الأراضي اللبنانية تقع على مسافة ٤٨ كم من الحدود الفلسطينية . تفصل نهر الحاصباني عن نهر الليطاني حافة ضيقة لا يتعدى عرضها ٦ كم ، وهي ذات منسوب منخفض . ويشق النهر مجراه في خانق ضيق حفره في الصخور البازلتية التي تحفّ تلالها المخروطية بضفافه . وهو جاف في مجراه الأعلى الذي لا تجري فيه المياه إلا بعد سقوط الأمطار . ويصبح الحاصباني دائم الجريان عند بلدة حاصبيا على مسافة ١٩ كم من فلسطين حيث يبلغ اتساع مجراه نحو ١٥ م .

وعندما يصبح النهر على بعد ٤ كم من حدود فلسطين تغذّيه كثير من الينابيع الدائمة ،وأهمها ينابيع الوزان . ويتراوح المتوسط الفصلي لتصريف النهر بين ٢٠م٣/ثا خلال فصل الشتاء و ١,٤م٣/ثا في أيلول . ويبلغ متوسط التصريف السنوي لنهر الحاصباني نحو ١٥٣ مليون م٣ تراوحت خلال الربع الثالث من القرن الحالي ما بين نهاية عظمى بلغت ٢٣٦ مليون م٣ في عام ١٩٤٧ / ١٩٤٨ ونهاية صغرى بلغت ٦٣,٥ مليون م٣ في عام ١٩٦٠ / ١٩٦١ .

ويرفد نهر الحاصباني ، قبيل اتحاده بنهري دان وبانياس ، نهر بريغيت الذي هو أقصى منبع غربي لنهر الأردن . ويطلق عليه اسم « نهر الجبل الصغير » أو « نهر مرج عيون » لأن مياهه تنساب في خانق تحيط به تلال بلدة مرج عيون . وتستغل معظم مياهه للري في لبنان ، ويبلغ متوسط تصريفه السنوي نحو ٥ مليون م٣ .

تبلغ كمية التصريف السنوي لنهر الأردن بعد التقاء منابعه نحو ٥٢٠ مليون م٣ . أما عرض قناته عند الملتقى فلا يزيد على ١٥م . ويجري النهر بين ضفتين تنخفضان ٨م عن المستوى العام للسهل الفيضي . ثم يزداد عرض قناة النهر إلى أقل من ٣٠م جنوباً في

منطقة مستنقعات الحولة قبل تجفيفها . ثم تصب القناة في بحيرة الحولة بعد أن تكون قد قطعت في منطقة المستنقعات مسافة تزيد على ١٠ كم . وقد تفرعت قناة النهر ، بعد تجفيف البحيرة ومستنقعاتها ، إلى ثلاث قنوات صناعية ، شمالية وشرقية وغربية ، تلتقي فيما بعد في مجرى النهر الطبيعي .

٢) المجرى الأوسط : يسير نهر الأردن ، بعد خروجه من بحيرة الحولة ، ببطء مسافة ٣ كم في سهل زراعي إلى أن يصل إلى جسر بنات يعقوب ، ثم يدخل جنوبي هذا الجسر خانقاً بركانياً . ويصبح مجراه ضيقاً عميقاً ، وانحداره شديداً ، وتياره سريعاً . ويظل على هذه الحال ١٢ كم إلى أن يدخل سهل البطيحة قبيل مصبه في بحيرة طبرية حيث يعود هادئاً بطيء الجريان مثلما كان بين منطقة الحولة وجسر بنات يعقوب . وينحدر النهر في مجراه الأوسط الذي يبلغ طوله نحو ١٦ كم مقدار ٢٨٢م ، أي ١٧,٥م/ كم . وهذا يعني أن الانحدار في المجرى الأوسط هو أشد انحدار للنهر .

٣) المجرى الأدنى : يخرج نهر الأردن من الطرف الجنوبي الغربي لبحيرة طبرية ، ويتجه نحو الجنوب بمياهه الصافية . ويبلغ اتساع مجراه عند خروجه من البحيرة نحو ٢٥م ، ويتراوح عمقه بين ٢ و٣م ، وتوجد فيه مخاضات كثيرة . وعلى مسافة ٨ كم جنوبي بحيرة طبرية يلتقي به رافده الرئيس اليرموك الذي يبلغ تصريفه السنوي المتوسط ٤٦٠ مليون م٣ . ويشتد بعد ذلك انحدار النهر ويقوى اندفاعه . وإلى الجنوب من ملتقى اليرموك بنحو ٢ كم أقيم جسر المجامع . ثم يواصل النهر جريانه نحو الجنوب ضحل المياه ، سريع التيار ، كثير التعطفات . ويختلف اتساع المجرى وقت التحاريق (الشح) عن اتساعه وقت الفيضان ، فهو في الأول ٧٠م ، وفي الثاني بين ١٥٠ و ٣٠٠م . وتنحدر أرض الوادي بين بحيرة طبرية والبحر الميت بمعدل ١,٧٩م/ كم . ولكن معدل انحدار مجرى النهر وحده أقل من ذلك بمقدار النصف تقريباً لأن تعرجات المجرى وتعرجاته الكثيرة تعمل على مضاعفة طول قناته .

ويجمع المجرى الأدنى بين قوتي النحت من الجانب الأيمن والإرساب في الجانب الأيسر . ويرسب النهر بعض حمولته أيضاً في وسط قناته ، ويتجسد ذلك في عشرات الألسنة الرملية والحواجز الحصوية والجزر التي تظهر فوق صفحة مائه المنحسر صيفاً . وأهم روافده اليمنى من الشمال إلى الجنوب أودية الفجاس والبيرة * وعشة وجالود * وشوباش * والمالح والفارعة * والقلط * . أما روافده اليسرى فهي من الشمال إلى الجنوب ، نهر اليرموك ، ووادي العرب ، ووادي زقلاب ، ووادي اليابس ، ووادي كفرنجة ، ووادي راجب ، ونهر الزرقاء ، ووادي شعيب ، ووادي الكفرين * ، ووادي حسبان . وكثير من هذه الأودية الجانبية عميق متعرج يلقي بحمولات كبيرة في نهر الأردن . وهناك أودية صغيرة أخرى تبدأ من حواف التلال الفاصلة بين الغور * والزور وتنتهي في نهر الأردن . ويوجد جسران على نهر الأردن ، أحدهما جنوبي مصب نهر الزرقاء ، ويسمى جسر دامية أو جسر الأمير محمد ، وثانيهما شمالي البحر الميت ويسمى جسر الملك حسين ، وتسلكه طريق عمان ـ القدس .

وينتهي المجرى الأدنى لنهر الأردن بدلتا محدبة (نوسية) يقع رأسها إلى الشمال قليلاً من جسر الملك حسين . ولأول مرة يتميز مصب الأردن الحالي الممتد مسافة ٥ كم فوق أرض الدلتا باستقامته

الشديدة ، وخلوه من المنعطفات التي تميز بقية مجراه . ومتوسط تصريف نهر الأردن قبيل مصبه في البحر الميت خلال السنوات الأربعين الماضية ٨٧٥ مليون م٣ تتراوح ما بين نهاية عظمى قدرها ١,٦٥٠ مليون م٣ في عام ١٩٤٢ / ١٩٤٣ ونهاية صغرى قدرها ٦٤٨ مليون م٣ في عام ١٩٣٣ / ١٩٣٤ .

المراجع :

ـ حسن عبد القادر صالح : الأساس الجغرافي للنزاع العربي ـ الإسرائيلي حول مياه نهر الأردن ، مجلة كلية الآداب ، الجامعة الأردنية ، المجلد ٣ ، عمان ١٩٧٢ .

—Gregor, J.: **The Rob Roy on the Jordan,** London 1886.

— Irwin, W.: The Salts of the Dead Sea and River Jordan, Geographical Journal, Vol. LXI, 1923.

— Libbey, W. and Hoskins, F.E.: **The River Jordan and Petra,** Vol I, 1905.

—Shattner, I.: **The Lower Jordan Valley,** Jerusalem 1962.

الأردن (وادي ـ) : ر : النهر

الإرساليات الروسية (مدارس ـ) :

وجدت المدارس الأجنبية في فلسطين منذ منتصف القرن التاسع عشر تقريباً . وكان منها الأميركية والألمانية والإنكليزية والفرنسية والإيطالية والروسية . ويعود تأسيس هذه المدارس إلى اهتمام تلك الدول بالأراضي المقدسة . وكانت الدولة العثمانية قد منحت كل طائفة من الطوائف الدينية ، من غير المسلمين ، امتيازات في كل ما يتصل بالشؤون الدينية والتعليمية ، كما منحت هذه الدول حق تأسيس المدارس وإدارتها . وكانت هذه المدارس تبشيرية يشرف عليها ما يسمونه « الإرساليات الدينية » التي كانت تحميها الدولة التابعة لها .

كان للروس في فلسطين قبل الحرب العالمية الأولى عدة مدارس ابتدائية ، وعدة معاهد ثانوية ، ودار للمعلّمين ، وأخرى للمعلّمات . ومن الدوافع الرئيسة التي دعت إلى وجود هذه المدارس وانتشارها أن روسيا أخذت ترى نفسها حامية لطائفة الأرثوذكس .

وامتازت المدارس الروسية (المسكوبية) في فلسطين بتعليمها المثالي ، وباهتمامها باللغة العربية . فهذا أسّس الروس داراً للمعلمين وأخرى للمعلمات من أجل إعداد المعلمين باللغة العربية . وكان بعض مدرسي المدارس الروسية من العرب الذين أنهوا دراستهم العليا في روسيا ذاتها . وجرت العادة أن يوفد الطلاب المتفوقون الذين يتخرجون من هذه المدارس إلى روسيا لاستكمال دراستهم العالية فيها .

وقد كان مقر دار المعلمين الروسية في الناصرة * ، وضمّت في إحدى السنوات ٢١٠ طلاب ، معظمهم في القسم الداخلي . أما دار المعلمات الروسية فكان مقرها في مدينة بيت جالا * .

ومن الطلاب الذين تخرجوا من المعاهد الروسية في فلسطين ، وعلّموا فيها فيما بعد ، وكان لهم التأثير في الحركة الفكرية والأدبية فيها : إسكندر الخوري ، وخليل بيدس * ، وسليمان قباعين ، وفضيل النمر ، وناصر عيسى * ، ونعمة الصبّاغ * .

وقد أتاحت المدارس الروسية في فلسطين الفرصة أيضاً أمام الطلاب العرب من خارج فلسطين للدراسة فيها ، إذ تخرج منها نسيب عريضة ، وميخائيل إسكندر ، وميخائيل نعيمة .

أوصدت المدارس الروسية أبوابها بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى .

المراجع :

ـ ساطع الحصري : حولية الثقافة العربية ، القاهرة ١٩٤٩ .

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، بيروت ١٩٧٦ .

أرسوف :

بلدة على ساحل البحر المتوسط شمالي قرية الخرم * التي تقع على بعد سبعة كيلومترات شمالي يافا * . وهي واحدة من المدن التي شادها العرب الكنعانيون على الساحل ، ويحتمل أنهم اشتقّوا اسمها من الإله رشـف الذي كانوا يعبدونه .

وقد شهدت مدن السهل الساحلي غزوات كثير من الأمم التي تعاقبت على فلسطين في حقب تاريخها الطويل . وكانت قبائل جزر بحر إيجة قد بدأت هجومها على فلسطين منذ أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، وتمكّنت من بسط نفوذها على أرسوف وغيرها من بلدان السهل الساحلي الأوسط . ثم أخذت تتطلع إلى السيطرة على داخل البلاد ، فبنت اللد * إلى الجنوب الشرقي من أرسوف لتكون مركزاً على الطريق المؤدية إلى جبال فلسطين . وحفظت نقوش الأشوريين اسم أرسوف ، وأشارت إلى غزو الملك تغلات فلاسر الثالث لها . وحينما حكم اليونان فلسطين ثمّت أرسوف في عهدهم ، وجددوا بناءها ،وذكرتها المصادر اليونانية باسم « أبولونيا » نسبة إلى إله اليونان أبولو .

ولم تكن أرسوف ذات شأن في عهدي الحكم الروماني والبيزنطي ، إلى ان حرّرها العرب من حكم البيزنطيين في القرن

السابع الميلادي شأن المدن الفلسطينية الأخرى ، واستقرّوا فيها ، واستوطنتها الحاميات العسكرية . وقد درج الخلفاء على منح الأراضي في المدن الساحلية للجند شحناً للثغور بالمقاتلين ، فازدهرت أرسوف وغدت آهلة بالسكان . ووصفها المقدسي في القرن العاشر الميلادي قائلاً : " أرسوف أصغر من يافا ، حصينة عامرة ، بها منبر حسن بني للرملة ، ثم كان صغيراً فحمل إلى أرسوف " .

وقد شحن المسلمون أرسوف بالعساكر ، وتداعى إليها المرابطون درءاً لخطر سفن الروم المعادية التي كانت تغير على البلاد ، وأقام بها خلق من أشهرهم أبو يحيى زكريا بن ناقع . وقام المسلمون ببناء الأسوار * حول أرسوف ، وشادوا فيها قلعة حصينة للدفاع عن البلدة . وكانت حاميتها توقد من منارتها النيران ليلاً ، وتثير الدخان نهاراً لإعلام الناس باقتراب خطر العدو .

كما كانت أرسوف أحد الرُبُط في فلسطين التي يتم بها تبادل الأسرى ، فتأتي إليها سفن الروم ومعهم أسرى المسلمين ، وفي كل رباط قوم يعرفون لغتهم ، ويذهبون إليهم في الرسالات . وحينما تظهر سفن الروم تفزع القلاع الإسلامية بالنفير ، فيجتمع الناس ، ثم يكون الفداء ، فرجل يفتدي رجلاً ، وآخر يطرح شيئاً مما يملك حتى يشتري ما عند الروم من أسرى .

طمّت أرسوف أحد ثغور فلسطين ، وكانت تحت سيادة الفاطميين * حينما بدأت الحملات الصليبية على الشرق الإسلامي . ولمّا تقدمت قوات هذه الحملات جنوباً نحو فلسطين ، بعد أن حققت بعض الانتصارات ، وسلك الإفرنج طريق الساحل الفلسطيني حتى أرسوف ، لم يتمكنوا من الاستيلاء عليها ، فاتجهت عساكرهم إلى داخل فلسطين ، واحتلوا الرملة * ، وساروا منها إلى بيت المقدس التي سقطت في أيديهم سنة ٤٩٢هـ / ١٠٩٩م ونشأت بذلك مملكة القدس اللاتينية * في شريط من الأرض امتد من يافا حتى ساحل البحر إلى الرملة والبلد فيت المقدس . ولم ينجح الصليبيون في توفير الأمن للمسافرين منهم ، وأخذت الجماعات الإسلامية تغير عليهم من مدن الساحل التي اعتصمت وراء أسوارها ، كأرسوف وسواها (ر : الفرنجة) .

وكانت مدن الساحل الفلسطيني الفاطمية محط أطماع غودفري دي بويون الذي اختير ملكاً على الصليبيين في بيت المقدس ، ورأى أن إخضاعها لنفوذه يحقق للإفرنج قطع الطريق على أسطول الفاطميين في البحر المتوسط ، كما ييسّر سرعة اتصال الإفرنج بأوطانهم في أوربا . يضاف إلى ذلك أن احتلال الساحل سيتيح لهم فرصة توسيع ممتلكاتهم في داخل فلسطين . وتشجّع غودفري بالإمداد الصليبي الذي وصل إلى البلاد ، فتقدم بقواته نحو أرسوف في خريف سنة ٤٩٤هـ / ١١٠٠م ، وهيّأ لاقتحام أسوار البلدة برجين يسير كل منهما على عجل .

وقد صدّت مقاومة حامية أرسوف وأهلها الصليبيين عنها ، ونجحوا في إحراق برجيهم الواحد تلو الآخر . ولم يستطع الصليبيون أن يحدثوا شيئاً في أسوار البلدة فاضطروا للانسحاب . غير أن غودفري أبقى نصف جيشه في الرملة ، وأصدر إليهم الأوامر بأن يغيروا على الأراضي المجاورة لأرسوف فيتحيل بذلك على سكانها أن يفلحوا حقولهم .

وقد أجبر خطر الإفرنج أمير أرسوف على أن يهادنهم . لكن اتصال البلدة بالفاطميين لم ينقطع ، وكانت تعتمد على معاونتهم لها عن طريق البحر .

وأدّت غارات الإفرنج الخربة إلى قلّة الأقوات في أرسوف وارتفاع أسعارها ، فاستنجدت بالفاطميين الذين أرسلوا لها عن طريق البحر قوة تتألف من ثلاثمائة جندي ، كما جلبت السفن الفاطمية المؤن من مصر إليها فصلحت أحوال أرسوف بتوفر الأقوات . إلا أن غارات الإفرنج ظلّت متصلة . وبسبب تعاون السفن الإيطالية مع غودفري أخذ يفرض الحصار على شواطئ فلسطين ، مما عرقل حركة سفن الفاطميين ، وزاد المشقة أمامها في بلوغ المدن الساحلية .

وقد تشجع أهل أرسوف بسبب إخفاق الصليبيين أمام أسوار بلدتهم ، وبما وصل إليهم من جند الفاطميين ، ودفعهم ذلك إلى شنّ الغارات على الفرنجة ، غير أنهم لم يلبثوا أن وقعوا في كمين لقي فيه كثير منهم مصرعه .

أحكم الصليبيون حصار أرسوف بعد تدفق سنة ٤٩٥هـ / ١١٠١م بين بغدوين الأول الذي نصب خلفاً لغودفري على بيت المقدس والجنويين * الذين كانوا يطمعون في فتح أسواق جديدة لهم ومواني، حرة لبضائعهم ، والتقوا في ذلك مع رغبات بغدوين في احتلال مدن الساحل . ولم يكد الاتفاق ينعقد حتى تحرّك الحلفاء لمنازلة أرسوف ، فهاجمها بغدوين من جهة البر ، على حين هاجمها الجنويون من جهة البحر . ولم تستطع أرسوف أن تصمد طويلاً ، وعرض الأرسوفيون على الصليبيين التسليم على أن يمنحوهم الأمان فيخرجوا بأسرهم وأمتعتهم إلى بلاد المسلمين .

وقبل بغدوين ما عرضوه من شروط ، وتسلّمت قوات الإفرنج أرسوف سنة ٤٩٥هـ / ١١٠١م ، وأخرج سكانها في حراسة الصليبيين إلى عسقلان ، وشحنت البلدة بعساكر الصليبيين ، واتخذت قاعدة لهم .

وظلت أرسوف تحت سيادة الصليبيين حتى هزيمتهم الساحقة في معركة حطين * سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م ، فدخلت مع أغلب قلاع الإفرنج في فلسطين في حوزة صلاح الدين الأيوبي * .

ولما أرسلت أوربا الحملة الصليبية الثالثة (٥٨٥ - ٥٨٨هـ / ١١٨٩ - ١١٩٢م) وسقطت عكا * بأيدي الفرنجة * سنة ٥٨٧هـ / ١١٩١م ، أخذوا يزحفون جنوباً باتجاه أرسوف بؤ ازرهم أسطولهم الذي كان يبحر بمحاذاة الشاطىء .

اختار السلطان صلاح الدين الأيوبي سهلاً صالحاً للملاقاة العدو قرب أرسوف من الجهة الشمالية ، وسبق بجنده إليه ، وما أن بلغ الصليبيون ذلك السهل حتى أحدقت بهم عساكر المسلمين . لكن الصليبيين اخترقوا الصفوف ، واستولوا على أرسوف سنة ٥٨٧هـ / ١١٩١م .

أقام الصليبيون في أرسوف قلعة وعدة أبنية ، وأصلحوا ميناءها ، وأخضعوها لنظامهم الاجتماعي والاقتصادي ، وظلّت في أيديهم إلى عهد سلطنة الظاهر بيبرس * الذي قاد حركة الجهاد لتطهير البلاد من الصليبيين ، وحاصرت جيوشه بلدة أرسوف سنة ٦٦٣هـ / ١٢٦٥م ، وكانت البلدة آنذاك بيد الإسبتارية * الذين كانوا قد حصّنوها وشحنوها بالعساكر والمؤن . إلاّ أن ذلك لم يغن عنهم شيئاً ، فاستولى المسلمون على هذه البلدة ، ودكّوا أسوارها واستسلمت حاميتها بعد أربعين يوماً من الحصار ، وغنم المسلمون من قلعتها كثيراً من الأموال والذخائر .

رأى السلطان الظاهر بيبرس أن يخرّب أرسوف ، وأن يهدم أسوارها وقلاعها كي لا يعود الصليبيون إليها . وأقطع أراضي أرسوف أمراء المماليك ، وعمّر قلعة قاقون - قرب الرملة - عوضاً عن أرسوف وقلعتها . وذكر أبو الفداء (توفي ٧٣٢هـ / ١٣٣١م) أن أرسوف كانت في عهده خراباً ليس بها ساكن .

غدت أرسوف بعد تدميرها أطلالاً ، وظلّت غاباتها النفرقة التي امتدت من العوجا * حتى جبل الكرمل * ، تجذب الصيادين لكثرة ما بها من حيوانات ، كما تردد الحطابون إلى غاباتها ، والمزارعون إلى سهولها المعروفة بخصبها ووفرة إنتاجها وكثرة مراعيها ، فعاد بعض الناس واستقروا بالقرب منها . ومما أعان على ذلك قناطرها التي أقامها نائب غزة المملوكي سنجر الجاولي (ت ٧٤٥هـ / ١٣٤٥م) ، فنشأت بالقرب من أرسوف قرية الحرم التي عرفت أحياناً باسم سيدنا علي نسبة إلى علي بن عُلَيْل المدفون فيها ، واعتاد الناس إقامة موسم لزيارته والتبرك به صيف كل عام

المراجع :

- ابن شدّاد : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، القاهرة ١٩٦٤ .
- رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، بيروت ١٩٦٧ - ١٩٦٩ .
- العماد الأصفهاني : الفتح القسي في الفتح القدسي ، القاهرة ١٣٢٢هـ .
- فيليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، بيروت ١٩٥٩ .
- مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، بيروت ١٩٧٢ .
- المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ليدن ١٩٠٩ .
- المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك ، القاهرة ١٩٥٦ .

الأرض (أصناف ـ) :

يعتمد تصنيف الأرض على أسس طبيعية أهمها التربة والانحدار والصرف . وعلى ضوء هذه الأسس تقسم الأرض إلى فئتين رئيستين هما : الأرض القابلة للزراعة ، والأرض غير القابلة للزراعة . وتضم كل من الفئتين في فلسطين أربع مجموعات . وإذا كانت مجموعات الفئة الأولى تصلح للاستعمال الزراعي أولاً ، وللاستعمالات الأخرى بصورة ثانوية ، فإن مجموعات الفئة الثانية تصلح فقط للاستعمالات الأخرى من نمو غابات وأعشاب طبيعية ، إلى مبان وإنشاءات عامة .

يبلغ مجموع مساحة أراضي فلسطين ٢٦,٣٢٣,٠٢٣ دونماً ، منها ٩,٢٠٥,٥٣٨ دونماً من أراضي الفئة الأولى القابلة للزراعة ، ونحو ١٧,١١٧,٤٨٥ دونماً من الأراضي غير القابلة للزراعة . وقد صنّفت هذه الأراضي ، حسب الدراسة التي قامت بها اللجنة الأميركية البريطانية سنة ١٩٤٦ ، على النحو التالي :

أ ـ الأراضي الجيدة : وتقسم إلى مجموعتين :

١) المجموعة الأولى : تضم السهل الساحلي * حيث الأراضي المنبسطة ، والتربة الطفلية الخصبة ، والموارد المائية الكافية . وتصلح أراضي هذه المجموعة لزراعة جميع أنواع المحاصيل الزراعية ، ولا سيما الحمضيات * والخضر * والنباتات العلفية .

٢) المجموعة الثانية : وهي أراضي سهل عكا * ومرج ابن عامر * وسهل بيسان والجزء الشمالي من وادي الأردن الأدنى (ز : الغور) وسهل الحولة * . تتميز هذه الأراضي بتربتها الطمية السميكة الصالحة لزراعة مختلف أنواع المحاصيل الزراعية . وإذا توافرت وسائل الري أمكن قيام زراعة كثيفة في هذه الأراضي .

ب ـ الأراضي المتوسطة : وتقسم أيضاً إلى مجموعتين هما

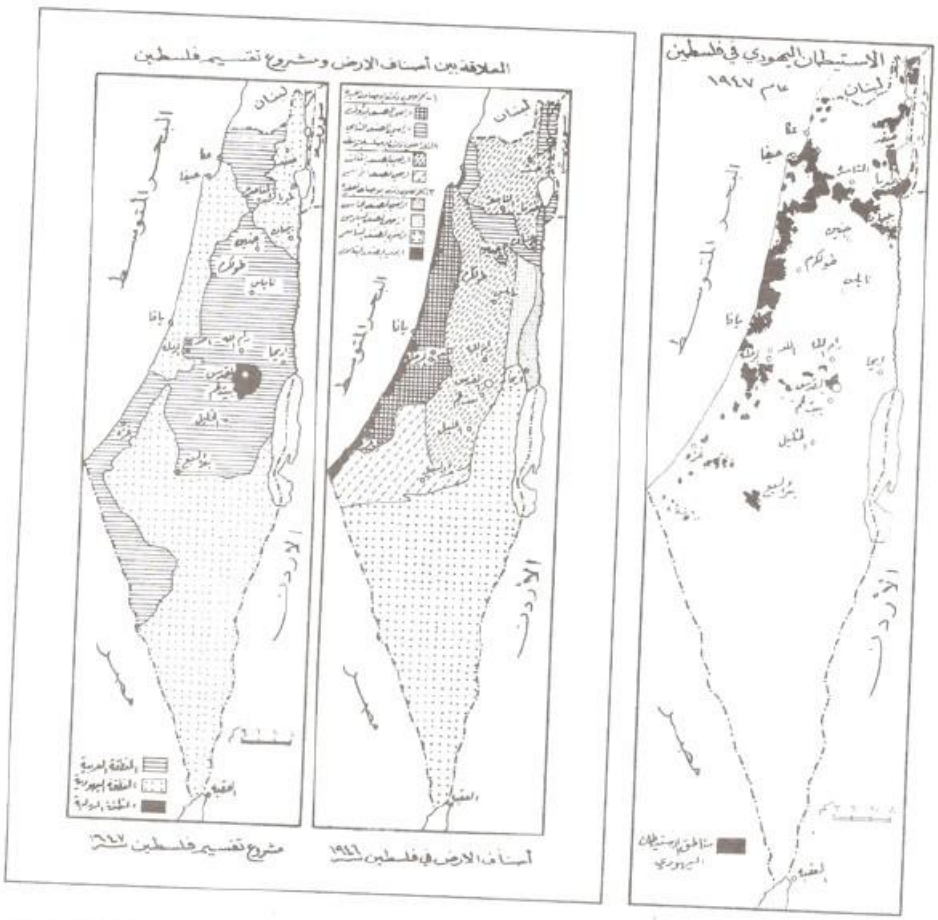

المجموعتان الثالثة والرابعة من مجموعات فئة الأراضي القابلة للزراعة :

١) المجموعة الأولى : تضم الأراضي في مرتفعات الجليل ونابلس والقدس والخليل . وهي تمتد على طول المرتفعات الجبلية (باستثناء مرج ابن عامر) من الحدود اللبنانية شمالاً حتى جنوبي قرية الظاهرية * جنوباً . وتتفاوت الأرض فيها بينها بحسب درجة انحدارها ، فبعضها يجمع بين الانبساط والتموج ، وبعضها ينحدر انحداراً متدرجاً ، في حين تنحدر بعض السفوح بشدة ، وتتخللها صخور نائتة . والتربة في أراضي هذه المجموعة رقيقة أو منجرفة بصفة عامة ، لكنها في الأودية الجبلية سميكة . وتصلح هذه الأراضي لزراعة أشجار الزيتون * والعنب * والفواكه والحبوب * .

٢) المجموعة الثانية : تتركز أراضي هذه المجموعة في الجزء الشمالي الغربي من النقب * ، في منطقة مثلثية الشكل ، قاعدتها المنطقة بين رفح * وبير السبع * ، وضلعاها طريق الفالوجة ـ بير السبع ، وطريق الفالوجة ـ رفح . وتتفاوت أراضي هذه المجموعة ، فهي حوضية أحياناً كما في حوض بير السبع ، وتلية أحياناً أخرى كما

في الجهات المحيطة بحوض بير السبع والممتدة غرباً حتى رفح ، وسهلية منبسطة أحياناً ثالثة كما في الجزء الجنوبي من السهل الساحلي الفلسطيني . كذلك تتفاوت أنواع التربة أيضاً ، فهي لوسيّة في الجهات الجنوبية ، وطفلية طينيّة في الجهات الشمالية . المناخ شبه صحراوي في الجنوب ويضرب من المناخ البحري المتوسطي في الغرب والشمال . أما الزراعة * فهي محدودة بسبب قلة الأمطار وعدم انتظامها . فالأرض الزراعية تعتمد هنا على المطر أساساً . وقد تحول بعضها في السنوات الأخيرة إلى أراض مروية . وتسود في أراضي هذه المجموعة زراعة الحبوب ، ولا سيما الشعير ، بالإضافة إلى بعض أنواع الخضر .

حـ ـ الأراضي الفقيرة : وتقسم إلى أربع مجموعات : (من المجموعة الخامسة حتى الثامنة) .

١) المجموعة الأولى : وتمثلها الأراضي المنخفضة في الجزء الجنوبي من وادي الأردن الأدنى ، حيث التربة المحلية أحياناً ، والأرض الوعرة أحياناً أخرى . وتنمو أعشاب الرعي خلال فصل الشتاء ، في حين تزرع رقاع قليلة من الأرض التي تتوافر فيها مصادر المياه للري .

٢) المجموعة الثانية : توجد أراضي هذه المجموعة في السفوح والمنحدرات الشرقية لمرتفعات نابلس والقدس المطلة على وادي الأردن . والتربة هنا رقيقة تعلو الجفاف * ، لذلك تنمو الأعشاب الفقيرة الصالحة للرعي . وتقوم زراعة في الجهات التي تتوافر فيها المياه .

٣) المجموعة الثالثة : وتوجد في برّية القدس والخليل المحصورة بين المرتفعات الجبلية والبحر الميت * . وهي أراض وعرة تنمو فيها الأعشاب الفقيرة . كذلك توجد أراضي هذه المجموعة في الشق الأوسط والجنوبي حيث الوعورة النسبية والتربة الفقيرة التي لا تسمح إلا بنمو الأعشاب القصيرة ، والزراعة المحدودة جداً حول مصادر المياه .

٤) المجموعة الرابعة : وهي الكثبان الرملية محاذاة شاطىء البحر المتوسط . ولا تصلح الا بعد زراعة الأحراج والحشائش فيها عشر سنوات على الأقل .

د ـ أهمية أصناف الأرض السياسية : إن إلقاء نظرة على خريطة أصناف الأرض وخريطة الاستيطان الصهيوني في فلسطين يوضح مدى الارتباط الوثيق بين هذا الاستيطان والأصناف الجيدة للأرض . لقد كان الصهيونيون يمتلكون عام ١٩٤٥ نحو ١٣٪ من مجموع مساحة الأراضي الصالحة للزراعة في فلسطين فقط . لكن هذه النسبة العامة لا تعطي صورة صحيحة عن قيمة الأراضي التي وقعت في يد الصهيونيين ، فمعظمها من أراضي السهول الخصيبة حيث التربة الغنية ، والمياه المتوافرة ، والمناخ المعتدل .

وقد قدرت قيمة الأراضي التي يملكها الصهيونيون بمقياس نوع الزراعة وخصب التربة بنحو ٢٤٪ من مجموع مساحة الأراضي الصالحة للزراعة . وهي نسبة عالية إذا قيست بنسبة الأرض العربية الصالحة للزراعة من مجموع ممتلكات العرب وهي ٦٠٪ تقريباً . لقد أخذ الاستيطان الصهيوني منذ البداية يستولي على أجود الأراضي الزراعية ، ويسيطر على السهول الساحلية والداخلية ، كالسهل الساحلي وسهل عكا وسهل مرج ابن عامر وسهل بيسان وسهل الغور الشمالي بين بيسان * وبحيرة طبرية * وسهل الحولة وغيرها . وتركزت ملكية الصهيونيين في أكثر المناطق خصباً داخل كل قضاء ، فكانوا يملكون ٤٥٪ من مجموع مساحة الأراضي الزراعية في قضاء طبرية ، و ٤٠,٩٪ من مجموعها في قضاء حيفا ، و ٤٠,٨٪ في قضاء بيسان ، و ٣٧٪ في قضاء الناصرة ، و ٣٥,١٪ في قضاء يافا ، و ٢٥٪ في قضاء صفد ، و ٢٠,٨٪ في قضاء طولكرم ، و ١٦,٨٪ في قضاء الرملة ، و ١١,٩٪ في قضاء غزة . أما الأقضية الأخرى التي نقل فيها الأراضي الخصبة فقد نجت من أيدي الصهيونيين ، لذا لم يتملكوا في قضاء القدس سوى ٣,٩٪ من مجموع مساحة الأراضي الزراعية ، و ٢,٨٪ من مجموعها في قضاء بير السبع ، و ٢,٦٪ في قضاء عكا ، و ٠,٩٪ في قضاء جنين ، و ٠,٧٪ في قضاء الخليل و ٠,٠٢٪ في قضاء رام الله .

وكانت الوكالة اليهودية * تمتلك ٥٨ مستعمرة زراعية عام ١٩٣٠ ، مساحة أراضيها ١٤٤,٢٢٤ دونماً ، منها ١٣٠,١٩٠ دونماً صالحة للزراعة ، بينما ١٢٢,٠٠٣ دونمات مزروعة فعلاً (تقرير السير جون هوب سمبسون *) . ويعني هذا أن نسبة مساحة الأراضي الصالحة للزراعة كانت ٩٠,٢٧٪ من مجموع مساحة أراضي المستعمرات الصهيونية في ذلك العام ، وأن نسبة الأراضي المزروعة تبلغ ٨٤,٥٩٪ من هذا المجموع . وقد بلغ مجموع الأراضي التي كان يملكها الصهيونيون في عام ١٩٤٥ نحو ١,٥٨٨,٣٥٦ دونماً ، منها ١,١٧٦,٦٤٥ دونماً صالحة للزراعة ، أي أن نسبة الأراضي الصالحة للزراعة بلغت زهاء ثلاثة أرباع مجموع ما كان يملكه الصهيونيون في ذلك العام .

وقد كانت جميع مشروعات التقسيم التي اقترحتها اللجان المختلفة تعطي الصهيونيين أحسن أصناف الأراضي وتترك للعرب الأراضي الفقيرة . (فالدولة اليهودية) حسب مشروع التقسيم الذي وافقت عليه الجمعية العامة للأمم المتحدة في ١٩٤٧/١١/٢٩ مثلاً تضم الغور الشمالي من وادي نهر الأردن الأدنى بين طبرية وبيسان ، وسهل مرج ابن عامر ، وسهل بيسان ، ومعظم السهل

الساحل وقضاء بير السبع المشتمل على النقب. ومعظم هذه المناطق من الأراضي ذات الأصناف الجيدة (ر : تقسيم فلسطين) . أما الدولة العربية المقترحة فتضم منطقة الجليل الغربية ، والأراضي الجبلية في أقضية نابلس ورام الله والقدس والخليل (عدا مدينة القدس) ، والسهل الساحلي الجنوبي الممتد من أسدود * حتى الحدود المصرية . ومعظم أراضي هذه الدولة من الأصناف المتوسطة أو الفقيرة .

وإذا قدّر حدّ السكان الأعلى الذين يمكن أن يعيشوا في الأراضي العربية المقترحة بحسب أصنافها ومساحة ما يلزم منها لكل أسرة (وهذا ما سارت على أساسه لجنة التقسيم فيما زعمت) كان العدد ٣٤٣,٢٧٠ نسمة فقط . في حين أن العدد الواقعي للسكان الذين كانوا يعيشون فيها بلغ ٨٧٦,٩٠٠ نسمة . وهذا يعني أن الأراضي العربية وفق مشروع التقسيم لم تكن تكفي إلا ٤٣٪ من السكان العرب سنة ١٩٤٧ . ويتبين من إحصاء آخر أن أراضي لواء الجليل تكفي ٤٦٪ من سكانها الفلاحين العرب ، وأراضي لواء حيفا تكفي ٢٧٪ منهم ، وأراضي لواء نابلس ٢٩٪ ، ولواء القدس ٣٢٪ ، ولواء اللد ٧٠٪ ، ولواء غزة ٦٦٪ . أما الأراضي التي كان اليهود يمتلكونها في هذه الألوية فتكفي السكان القرويين الصهيونيين جميعاً (١٠٠٪) .

وقد عنى الاستعمار الاستيطاني الصهيوني بشراء الأراضي الزراعية . فعلى الرغم من أنه لم يكن يملك حتى عام ١٩٤٨ سوى ٥,٦٪ من مساحة فلسطين العامة ، كان يملك في الحقيقة ٢٠٪ من مجموع مساحة الأراضي الزراعية آنذاك ، أي بزيادة ٧٪ عن نسبة ما كان يمتلكه سنة ١٩٤٥ . وقام الإقطاع الزراعي بدور كبير في تسهيل استيلاء الصهيونيين على هذه الأراضي ، فقد كانت نسبة الأراضي الزراعية التي باعها للصهيونيين الملاّك الاقطاعيون الغائبون (المقيمون خارج فلسطين) مرتفعة ، بلغت بين عامي ١٩٢٠ و ١٩٣٦ نحو ٥٥,٥٪ من مجموع ما اشتراه الصهيونيون من الأراضي الزراعية . وكانت نسبة الأراضي المتنازل عنها من الملاك الغائبين نحو ٣٣٪ ، في حين كانت نسبة الأراضي المتنازل عنها من الفلاحين في المدة نفسها نحو ١١,٥٪ من مجموع ما اشتراه الصهيونيون من أراض فلسطينية ، علماً بأن ١٣,٤٪ من الأراضي التي امتلكها الصهيونيون منحتهم إياها الحكومة المنتدبة . وقد استخدمت القوة المسلحة في طرد ٢,٧٤٦ أسرة عربية من ٢٢ قرية في سهل مرج ابن عامر ، و ١٥,٥٠٠ عربي من وادي الحوارث * ، و ١٥,٠٠٠ عربي من سهل الحولة ، وألوف آخرين من أراضي الساحة * ، وغور بيسان ، وطبعون * ، والزبيدات ، والمنسي * وغيرها . وفي صيف سنة ١٩٢٠ اشترى الصهيونيون الأرض الأولى في سهل مرج ابن عامر ، وهي أكبر قطعة اشتريت حتى ذلك الوقت ، وبلغت مساحتها ٨٠,٠٠٠ دونم ، وعليها عدد من القرى العربية ، وكانت تخص عائلة سرسق اللبنانية .

هـ ـ أهمية أصناف الأرض الاقتصادية : تساعد معرفة أصناف الأرض في الكشف عن قابليتها للاستغلال . وقد استعان الاستعمار الاستيطاني الصهيوني بخريطة توزيع أصناف الأرض في اختيار مناطق الاستيطان وتوجيهها لاستخدامها في الأغراض الزراعية أو الصناعية ، أو في تشييد الأبنية والمنشآت الأخرى .

وبسبب تركز معظم الاستيطان الصهيوني في الأراضي ذات الأصناف الجيدة كانت مهمة استخدام هذه الأراضي يسيرة ، وتكاليف استغلالها منخفضة . وقد اعتمد الصهيونيون على الزراعة الكثيفة المختلفة التي تدر أرباحاً كبيرة . في حين انتزعت من الفلاحين العرب أخصب الأراضي بطرق بشعة كثيرة الالتواء . وتعرضوا للطرد من أراضيهم وحرمانهم منها ، فأصبح أكثر من ثلث سكان القرى العربية بلا أرض . أما الباقون فكانت أراضيهم من الأصناف المتوسطة والفقيرة ، ولا سيما في القرى الجبلية .

كان وضع هؤلاء الفلاحين الاقتصادي في أيام الانتداب البريطاني سيئاً ، بسبب إرهاقهم بالضرائب وفوائد المرابين والمصارف . لذا عاشوا في فقر ، دون عون أو قدرة على التقدم . وقد أثرت أحوالهم في الوضع الإنتاجي للمحاصيل الزراعية ، فالقدرة الإنتاجية لدونم الأرض الزراعية الصهيونية كانت أكثر ارتفاعاً من مثيلتها في الأرض الزراعية العربية ، لأن الأرض الأولى جيدة ، وزراعتها كثيفة ومختلطة ومروية . أما الأرض الثانية فراسمة وزراعتها غير مختلطة وبعلية .

ورغم ذلك نجح الفلاح العربي ، بجدّه واجتهاده وصموده ، في رفع إنتاجه الزراعي ليناقس الإنتاج الصهيوني ، بفضل قوة ارتباط الفلاح العربي بأرضه ، وخبرته القديمة بها ، ومعرفته الحقيقية بخواصها ، في الوقت الذي كان الصهيوني يكره الزراعة بطبعه ، ولا سيما في أرض يعلم أنها ليست له .

المراجع :

ـ عسان العامري : التطور الزراعي والصناعي الفلسطيني ١٩٠٠ ـ ١٩٧٠ ، بيروت ١٩٧٤ .

ـ معهد البحوث والدراسات العربية : الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين ، ج ١ ، القاهرة ١٩٧٥ .

ـ المكتب العربي بالقدس : مشكلة فلسطين ، النشرة الثانية المعروضة على لجنة التحقيق البريطانية الأميركية للنظر فيها خلال شهر آذار ١٩٤٦ ، القدس ١٩٤٦ .

— The Anglo - American Committee of Inquiry: A Tentative Land

Classification Map, **Survey of Palestine** 1946.

— Hadawi, S.: **Village Statistics 1945**, New York 1957.

— Hadawi, S.: **A classification of Land and Area Ownership in Palestine**, Beirut 1970.

الأرض (حـركـة ـ) :

حركة سياسية قومية عربيـة تأسست في الجزء الذي احتل من فلسطين عام ١٩٤٨ نتيجة غياب أي تنظيم قومي يمثل نضال الشعب العربي الفلسطيني في هذه المناطق . وقد سبق هذه الحركة بعض المحاولات البرامية إلى خلق حزب عربي باءت جميعاً بالفشل ، إلى أن استطاع فريق من عرب فلسطين سنة ١٩٥٨ إنشاء الجبهة العربية التي سميت فيما بعد الجبهة الشعبية الديمقراطية * .

بقيت الجبهة تعمل من أجل تحقيق أهدافها العـامة إلى أن دب الخلاف بين الجناح القومي والشيوعيين فيها ،وعندها بـدأ أصحاب الخط القـومي ، وعلى رأسهم منصـور كـردوش وحبيب قهوجي ، بالتفكير بشكل جدي في إنشاء حركة عربية مستقلة داخل فلسطين . وعلى هذا الأساس دعا كردوش وقهوجي إلى اجتماع حضره كل من محمود السروجي ، وعبد الرحمن يحيى من عكا " ، وتوفيق سليمان عودة ، وحنا مسمار من الناصرة " ، وزكي البحري من حيفا " . وكـان هذا الاجتمـاع الذي عقد في نيسان ١٩٥٩ هـو الاجتماع التأسيسي « لحركة الأرض » . وقد تم اختيار هذا الاسم للدلالة على تعلق الفلسطينيين بأرضهم . وتقرر في هذا الاجتماع تأسيس صحيفة علنية بالاسم نفسه ، ووزعت الحركة بياناً جاء فيه إن الجناح القومي في الجبهة الشعبية الـديمقراطية يعلن أنه جزء من الشعب العربي الفلسـطيني الذي هو بدوره جزء من الأمة العربية ، وأن هـذا الجناح يناضل داخـل البلاد من أجـل المساواة التامة بين العرب واليهود . وطالب البيـان (إسرائيـل) بأن تنتهج سياسة تتضمن الاعتراف " بأن الحركة القومية العربية هي الحركة الحاسمة في المنطقة وان على إسرائيل أن تقطع ما بينها وبين الحركـة الصهيـونية من صلة " كما طـالب البيـان " بعـودة اللاجئين إلى اراضيهم وأملاكهم " .

وقد اعتبرت الحركة أن أي طـرح من قبلها بـإلغاء الاعتـراف الظاهري (بإسرائيل) يعني قضاء السلطات الإسرائيلية الفوري على الحركة في مهدها ،ولذلك تـلافت هذا الأمـر ، وطرحت شعارات عـامة لا تعـرّضها للخـطر المباشـر ، وتؤدي بـالحقيقـة إلى تقريـغ (إسرائيل) من مضمونها .

بعد البيان طالبت « الحركة » السلطات الإسرائيليـة بالحصـول على ترخيص لإصدار جريدة خاصة بها . إلا أن السلطات ماطلت في الرد على هذا الطلب ، فلجأت قيادة « الأرض » إلى طريقة تدور بها على القانون ، إذ وجدت أن هذا القانون يبيح لكل مواطن أن يصدر نشرة لمرة واحدة دون ترخيص . وبدأ أفراد « الأرض » ، كل بدوره ، يصدرون الجريدة باسم جديد ، فصدر العدد الأول بعنوان « الأرض» مـوقعـاً بـاسـم حبيب قهوجي ، وكـان أشبـه بـالمجلة من حيث مواضيعه ، ثم صدر العدد الثاني بعنوان « الأرض الطيبة » موقعاً بـاسم منصور كـردوش ، والعـدد الثـالث بعنـوان « شـذى الأرض » موقعاً باسم صبري جريس ثم أعداد أخرى بعناوين مختلفة مثل «نداء الأرض» و«هذه الأرض» .وبعد العدد السادس شنت السلطة حملتها على «الأرض» واعتبرت أن عملها ينافي القانون ويعرّض أمن الدولة للخطر . وبـدأت السلطات تمارس مع أفراد « الأرض » سياسة الترهيب والترغيب لـدفعهم نحـو الكف عن إصدار الجريدة . وفي أواخر كانون الثاني ١٩٦٠ عقد مستشار رئيس الحكومة للشؤون العـربية شمـوئيل ديفـون مؤتمراً صحـافياً في تـل ابيب " شن فيه هجوماً عنيفاً على جماعـة « الأرض » . وأعلنت السلطات الإسرائيلية على أثره الجريدة وصادرت أعدادها ، بعد أن صدر منها ١٣ عدداً ، وقدمت ستة من محرري الجريدة إلى المحاكمة بتهمـة التحايـل على القـانون وإصـدار جـريـدة بـدون تـرخيص . وهؤلاء الستة حسب ما وردت أسمـاؤهم في لائحة الاتهـام هم : حبيب قهـوجي ، منصـور كـردوش ، صـالـح بـرانـسي ، محمـود السـروجي ، إلياس ممـرر ، صبري جريس . غير أن هذه الخطوة لم تمنع جماعة « الأرض » من محاولتها إعادة تنظيم نفسها ، فعملت على إقامة « شركة الأرض المحدودة » للطباعة والنشر . وكان الهدف من هذه الشركة الحصول على وسيلة مشروعة لإصدار الجريدة مجدداً ، إضافة إلى تـأمين غـطاء مناسب للعمـل السياسي ، ومـورد مـالي للحركة . وبعد صراع طويل مع مسجل الشركات ، أقرت المحكمة العليا تسجيل الشركة في أواخر ١٩٦٠ . وقد بيعت أسهم الشـركة إلى مؤسسي « الأرض » ومؤيديهم .

وحتى ذلك التاريخ لم تكن « الأرض » قد اتخذت لنفسها شكل تنظيم حزبي محدد ، كما أنها لم تطلق على نفسها في البداية « حركة الأرض» ، وإنما سمت نفسها بأسماء مختلفة ،مثل أسرة الأرض ثم جماعة الأرض وشركة الأرض وأخيراً حركة الأرض . وبعد أن استوفى أصحاب « الشركة » كافة الشروط القانونية تقدموا بطلب لإصدار جريدتهم ، إلاّ أن طلبهم هـذا رفض بحجة أن المحرر المسؤول صالح برانسي لا يحمل الشهادة الثانوية الإسرائيلية . ثم تبع ذلك عدة محاولات فشلت جميعها . وأخيراً أعلنت الحركة سنة ١٩٦٤ مذكرة مطولة عن أوضاع العرب في (إسـرائيـل) والمظالم التي

يتعرضون لها ، وأرسلت نسخاً من المذكرة إلى الأمين العام للأمم المتحدة ، وإلى الصحف العالمية والشخصيات المعروفة دولياً . وقد أثار هذا العمل السلطات الإسرائيلية ، وبدأت تفكر جدياً بتصفية « الأرض » وقروعها ، خاصة أن هذه الجماعة تمكنت من إقامة خمسة عشر نادياً ثقافياً ورياضياً في القرى العربية ، ولا سيما في قرى المثلث .

وبعد إعداد المذكرة حاولت « الأرض » تسجيل نفسها كحزب سياسي ، وأعلنت في منتصف تموز ١٩٦٤ قيام حركة الأرض ، ووضعت لنفسها أهدافاً تنص على حق الفلسطينيين في تقرير مصيرهم في نطاق الأماني العليا للأمة العربية . غير أن السلطات الإسرائيلية رفضت السماح لحركة الأرض بالتسجيل كحزب سياسي واعتبرتها جمعية تهدف إلى المس بكيان (الدولة) وبسلامتها ، وطالبتها بحل نفسها . ثم قامت السلطات بعد ذلك باعتقال قيادي الحركة ، وما لبث أن أصدر ليفي أشكول رئيس وزراء (إسرائيل) آنئذٍ قراراً بحل شركة الأرض وحركة الأرض واعتبارهما خارجتين على القانون .

بقي نشاط حركة الأرض مجمداً حتى سنة ١٩٦٥ ، إذ عادت الحركة للظهور مجدداً ، ولآخر مرة . ولما كان مقرراً في هذه السنة أن تجري الانتخابات العامة للكنيست * ، قرر أعضاء الحركة خوض معركة الانتخابات ، وأعدوا قائمة باسم « القائمة الاشتراكية » . وكان على رأسها صالح برانسي يليه حبيب قهوجي ، ثم صبري جريس ، وسبعة آخرون ، آخرهم منصور كردوش . أي ان القائمة كانت تضم أربعة من قيادي الحركة إضافة إلى ستة من مؤيديها . غير أن السلطات الإسرائيلية ردت على هذه الخطوة بنفي القياديين الأربعة إلى أماكن مختلفة من فلسطين لتفوت عليهم فرصة الاشتراك في الانتخابات . كما فرضت في الوقت نفسه الإقامة الجبرية على نشيطي الحركة ، وأوعزت إلى لجنة الانتخابات برفض ترشيح القائمة ، واتخذ قرار بهذا الشأن . وقد كان هذا الإجراء نهاية نشاط حركة الأرض العلني . وعشية حرب ١٩٦٧ * قامت السلطات الإسرائيلية باعتقال قيادة الحركة وبعض أعضائها . وفي شهر أيار ١٩٦٨ طردت السلطات الإسرائيلية حبيب قهوجي من فلسطين المحتلة بعد اعتقاله مع زوجته إعتقالاً إدارياً دام أكثر من سنة ، فتوجه إلى قبرص ثم لبنان فسورية . كما غادر صبري جريس فلسطين متوجهاً الى أثينا فلبنان .

المراجع :

- حبيب قهوجي : العرب في ظل الاحتلال الإسرائيلي منذ ١٩٤٨ ، بيروت ١٩٧٢ .
- صبري جريس : العرب في إسرائيل ، بيروت ١٩٧٣ .
- شؤون فلسطينية : ندوة مع حبيب قهوجي ، العدد الأول ١٩٧١ .

الأرض (شركة ـ المحدودة للطباعة والنشر) :

رَ : الأرض (حـركة ـ)

الأرض (مجـلـة ـ) :

رَ : الأرض للدراسات الفلسطينية (مؤسـسـة ـ)

الأرض (ملـكيـة ـ) :

كان قانون الأراضي العثماني هو أساس قواعد حيازة الأرض في فلسطين حتى سنة ١٩٤٧ . ورغم كل ما أدخل على صورة « الخط الهمايوني » من تعديل وتبديل فإن التصنيف الحالي لأراضي الدولة إلى ثلاث معينة هو التصنيف نفسه الذي اصطلح عليه القانون المشار إليه عندما قسم الاراضي الكائنة في بلاد الدولة العلية خمسة أقسام تشمل ـ وإن استدلت تسميات بأخرى في الوقت الحاضر ـ أراضي : الميري ، والمتروكة ، والموات ، والملك ، والأوقاف . وترجع ملكية الفئات الثلاث الأولى في الواقع ـ وتمثل حق الرقبة في النظام الإسلامي ـ إلى خزينة الدولة ، كبديل لبيت المال .

أ ـ الميري : أهم هذه الفئات الثلاث من حيث الرقعة والإنتاج ، وقد شملت في فلسطين والأردن مختلف المساحات الزراعية ، فضلاً عن بعض أراضي المراعي والأحراج . وقد وضعت هذه المساحات منذ العهد العثماني تحت تصرف أهالي القرى والعشائر ، مجتمعين أو فرادى ، مقابل دفع ضريبة العشر . وعندما صدر قانون « الطابو » كان على المنتفعين بأراضي الميري استصدار سندات تسجيل مقابل مبلغ من المال دعي « بدل المثل » . لكن هذا التسجيل لم يكن لينقل ملكية الأرض ـ أي يعطي حق الرقبة ـ إلى المنتفع نقلاً كاملاً ، بل ظلت الملكية الحقيقية للخزينة ، بحيث يمكن للدولة استردادها في أي وقت شاءت ، وليس للحائز سوى حق التصرف أو الانتفاع فقط ، وبالتالي لم يكن له الحق في التنازل عنها لآخر ، أو استبدال غيرها بها ، او إقامة مبان عليها ، أو غرس أشجار فيها دون إذن مسبق من السلطات الحكومية المعنية . ولم يكن له أيضاً الحق في رهن الأرض أو وقفها . ويجري هذا كله خلافاً للمفاهيم السائدة في مصر والعراق حيث يقتصر لفظ «ميري » على الأراضي التي تملكها الدولة فعلاً وتقل في حوزتها .

لكن معظم هذه المحظورات ألغيت منذ سنة ١٩١٢ ، وأصبح حائز الميري شبه مالك لأرضه ، وتلاشى حق الخزينة من الناحية العملية فلم يبق منه سوى شكليات معينة لعدم جواز تحويل الأرض إلى أوقاف ، أو إدخالها ضمن وصية ، لأن نظام توريث الميري منصوص عليه في القانون ، ويموجبه يعطى الذكر من الأبناء مثل حظ الأنثى تماماً ، وترث الزوجة ربع المساحة . فإن لم يوجد من هؤلاء أحد ورثت الأرض للأقارب بالترتيب حسب درجات القرابة . فإن لم يوجد أقارب ، ولم يطالب أحد بالأرض ، صارت محلولة بحكم القانون .

كان القصد من إقرار مبدأ الميري كمفهوم تشريعي قانوني إقناع الناس بأن حق الانتفاع بالأرض هو منّة وهبة من قبل الدولة العليّة ، وفضل تمنحه من تشاء تكريماً لجهوده ، ما لم يخالف مبادىء التفويض . ومن ثَمَّ كان قانون « المحلولات » تشريعاً مكمّلاً لمفهوم الميري تستطيع الدولة بموجبه أن تستعيد المنحة من أيدي المهملين . ولكن هذا الحق (المحلولات) الذي قصد به تنشيط الاقتصاد الزراعي بإعطاء الأرض لمن يرعاها ويفلحها ، وتوزيعها بشيء من العدالة فلا تتراكم لدى ناس دون آخرين ، ظل معطلاً فلم يطبق في الواقع على المهملين ، بقدر ما طبق في الحالات التي أرادت فيها الدولة امتلاك مساحات كبيرة من الأرض ، على نحو ما فعلت بقرابة مليوني دونم في المناطق التي مرّ بها خط سكة حديد الحجاز عبر شرقي الأردن . كذلك فعلت السلطات بكثير من الأراضي الزراعية الخالية في الأردن وفلسطين ، فأعلنتها محلولة ، وأسبغتها ريثما وطّنت المهاجرين الشركس * في بعضها ، وباعت أو أهدت بعضها الآخر .

ب ـ المتروكة : وتسمى بالتعبير السائد اليوم « المنافع العامة » . والأراضي المتروكة قسمان : يشمل الأول منهما الأراضي المخصصة لاستعمال جميع أهالي البلاد ، كالمسطحات المائية من بحار وبحيرات وأنهار وعيون ، ومجاري سيول الأودية ، والطرق العامة وما شابهها . وليس لأي إنسان ، ولا لأية جماعة ، حقوق خاصة في هذه الأراضي . والقسم الثاني من الأراضي المتروكة هو ما خصص للارتفاق العام ، وينحى جانباً لاستعمال أهالي قرية أو مدينة ، أو مجموعة من القرى المتجاورة . من هذه الأراضي السروايا الطبيعية المستخدمة للرعي * ، والأحراج التي يحتطب منها ، وأراضي البيادر أو أجران الغلال ، والمقابر (التي آلت فيما بعد إلى الأوقاف) وأماكن الصلاة والساحات والأسواق . وقد كانت أمثال هذه الأراضي في الأصل ضمن فئة الميري ، وتحولت ـ عرفياً ـ إلى متروكة ، خدمة لمراكز العمران المجاورة ، دون استصدار فرمانات سلطانية قاضية بذلك رسمياً ، على نحو ما كان متبعاً في كثير من أنحاء الامبراطورية العثمانية . فهي من هذه الناحية ميري غير مشغولة يحرم استعمالها للزراعة او للبناء من قبل الأهالي . كما أنه لا ينص فيها صراحة أو ضمناً على أية حصص معينة مخصصة للأفراد أو للجماعات ، فكل من أراد انتجاع المرعى أو الاحتطاب فليس ثمة من يمنعه . ولكن هذا لا يعني حصول أحد على أي حق من حقوق الملكية في الأراضي المتروكة .

ولما كان الرعي هاماً في حياة سكان فلسطين فإن مساحات مترامية من الأراضي البور غير الصالحة للزراعة قد ضمت إلى المتروكة . وأهم هذه الأراضي سفوح التلال * الصخرية الوعرة ، وأراضي الأحراج التي كانت في وقت ما ضمن فئة الموات ، فضلاً عن بطون الأودية الحجرية المهملة ، ومسطحات الغياض الساحلية في غرب فلسطين . وقد كان بالستطاع استغلال رقاع لا بأس بها من هذه المناطق في الزراعة * بعد استصلاحها وإجراء التحسينات اللازمة عليها ، وهي أمور لم تكن تستدعي عملاً مضنياً ، خاصة أن الحكومة كانت بحاجة إلى امتلاك المزيد من الأراضي ، لكن الأهالي عارضوا بشدة تلك الإجراءات ، لأن المتروكات ملك جماعي ومنافع مشتركة لقراهم . وقد انضم إليهم البدو ممن كانوا يرتادون هذه المراعي .

وعندما بدأت عمليات تسوية الأراضي في فلسطين سنة ١٩٢٨ سجلت مجاري الأنهار ومسارب الأودية في الأراضي المتروكة ، واحتفظت الدولة بحق ملكيتها نيابة عن المجتمع كي تحول دون استئثار فئة بالانتفاع دون الآخرين . وقد بلغت مساحة الأراضي العمومية في فلسطين من طرق وأنهار وسكك حديدية وممتلكات دائرة الأحراج وغيرها من المرافق العامة قرابة نصف مليون دونم في نهاية عام ١٩٤٥ .

جـ ـ الموات : هي الفئة الثالثة من ممتلكات الدولة . وهي مساحات مترامية لم يعط أحد فيها أية حقوق بصفة رسمية . فهي بحكم القانون ليست في تصرف أحد من الأشخاص ، ولا متروكة مخصصة للأهالي . والأراضي الموات هي المحلات البعيدة عن القرى والقصبات بدرجة لا تسمع بها من أقاصي العمران صيحة الشخص الجهير الصوت . أي هي الأراضي الخالية التي تبعد عن أقصى العمران مسافة ميل ونصف (٢,٤ كم) تخميناً ، أو مشي نصف ساعة حسب ما نصت المادة السادسة من قانون الأراضي العثماني .

كانت هذه الأراضي تعطى أول الأمر إلى كل من يفتحها للزراعة دون مقابل ، على أن يكون قد حصل على إذن مسبق من السلطات العثمانية . فإذا تحول ما فتح من مساحات إلى أراض منتجة صارت تلقائياً من « الميري » ، ينطبق عليها « الطابو » بموجب دفع « بدل المثل » . ويلاحظ أن هذا التشريع العثماني الخاص

بحقوق فلاحي الأرض الموات الذي يعود إلى أصول إسلامية يتلاءم مع طبيعة فلسطين التي يقع أكثر من نصفها ضمن نطاق الصحارى الجدبة . ففي القانون حفز على تعمير الأرض واستصلاحها وزراعتها . لذلك لم يكن عجيباً أن تسارع سلطات الانتداب البريطاني إلى إيقاف العمل بهذا التشريع منذ سنة ١٩٢١ ، بموجب ما سمي « قانون الأراضي الموات » الذي حرم كل من يتجرأ على خرمة الأرض الموات المطالبة بحق تسجيل الأرض التي عمرها ، فضلاً عن معاقبته بتهمة التعدّي على أملاك الدولة .

ومن الناحية الرسمية كان ينبغي أن تقيد جميع الأراضي الموات لحساب الخزينة . ولكن هذا لم يحدث قط إلا عندما بدأت عمليات المسح « الكاداستر » ، وتسوية حقوق الأراضي في فلسطين سنة ١٩٢٨ . فأينما وجدت أرض بين القرى بلا مالك سجلت على الفور ميري لحساب الدولة . وقبل ذلك لم يكن هناك ما يشير إلى التوزيع الجغرافي للأراضي الموات ، ولا إلى مقدارها في البلاد ، رغم أنها شملت مساحات هائلة من مناطق الكثبان والبطاح الساحلية والأراضي التلية التي كانت مسارح للرعاة في الربيع ، مثل السفوح الشرقية لمرتفعات الخليل ، ومناطق الأحراج في أعاليها . وعلى أي حال قدرت مساحة الأراضي الموات في بداية الحكم البريطاني بنحو ثلاثة ملايين دونم كان أكثرها نابلاً للزراعة . في حين أظهر الإحصاء الزراعي لعام ١٩٣١ أن ما يزيد على ٤،٨ مليون دونم من مساحة فلسطين ، باستثناء قضاء بير السبع ، كان غير مستغل . وهذا القدر يشكل حوالي ٣٦٪ من إجمالي المساحة المذكورة . أما منطقة بير السبع والنقب فهي بطبيعتها الصحراوية أراض موات .

د ـ الملك : وهي ما كان من الأراضي في حوزة المالك تماماً ، له ما عليها وما تحتها ، ويستطاعه استعمالها في أي وجه ، لأنه يملك منها حق الرقبة ، على خلاف أراضي الميري التي يبقى للدولة فيها حق الرقبة ، في حين يعطى الحائز حق الاستغلال لظاهر الأرض منها فحسب ، ولغرض واحد فقط هو الزراعة . وقد يحظر على حائز الملك ، رغم ذلك ، استعماله في أغراض تضرّ الجار ، أو تؤذي الصالح العام للجمهور . ويمكن أن تنزع ملكيته في حالات كثيرة ، من بينها لزوم استملاكه من قبل البلديات كي تستقيم أمور التنظيم وتخطيط المدن ، أو عندما تحتاج إليه دوائر الآثار والتعدين او الاحراج . وفي جميع تلك الحالات يعوّض المالك مادّياً عما انتزع منه .

وتنقسم أراضي الملك إلى أصناف ، أهمها في فلسطين مواضع المباني في المدن وفي القرى ، وما يحيط بها من أراض فضاء لا تزيد مساحتها حول كل مسكن عن نصف دونم في المناطق الواقعة على المشارف الخارجية لمراكز العمران . أي أن أراضي الملك هي مجموع مساحة المناطق المبنية في قرى القطر ومدنه .

ولا يقتصر الملك في القانون العثماني على المناطق المبنية داخل المدن . بل من أصنافه أيضاً فئات من الأراضي الزراعية التي اقطعها السلاطين والحكام للقادة والعسكريين في أعقاب مراحل الفتح والتوسع . كذلك تعد من فئة الملك جميع الأراضي الخرجية التي استقيت بأيدي الذمّيين من أصحاب الديانات الأخرى ، والأراضي الموات التي فتحها الناس في الماضي وتحولت بإذن من السلطات إلى ملك هؤلاء الناس . ولكن يلاحظ أنه لم يشع من هذه الفئات في فلسطين سوى الأراضي الخرجية .

ومن الطبيعي أن تزداد رقعة أراضي الملك على حساب غيرها من الفئات مع استمرار نمو مراكز العمران . وقد وضع القانون العثماني هذه الظاهرة في الحسبان حين أجاز ان تحوّل مساحات من الميري إلى ملك عند الضرورة فسمح الدولة حق الرقبة لقاء ثمن مضاعف يسدد للخزينة . لكن المشرّع العثماني وضع في قانون سنة ١٨٧٤ تحفظات كثيرة للحيلولة دون استغلال المبررات لسحب أراضي الميري من ميدان الإنتاج الزراعي ، أو للمضاربة في أسعار الأراضي .

هـ ـ الأوقاف : وهي صنفان ، الأول أوقاف صحيحة والثاني أوقاف غير صحيحة .

فأما الأوقاف الصحيحة فهي التي كانت من أراضي الملك وأوقفت وفقاً للشرع ، فعندئذٍ تكون رقبتها وجميع حقوق التصرف بها عائدة إلى جانب الوقف ، وتعامل بموجب شروط الواقف . ومهما كانت هذه الشروط فلا رجعة فيها . وقد اختلفت الأغراض التي أوقفت من أجلها العقارات والأموال غير المنقولة بشقيها : « المسقفات » أي المباني المسقوفة التي تدرّ دخلاً ، و« المستغلات » وهي الأطيان الزراعية المنتجة . فقد كان الواقف أحياناً يتوخى صالح أفراد عائلته والأجيال المتعاقبة من سلالته . فإذا لم يوجد وريث للمنفعة حُوِّل الوقف ـ بناء على الوصية ـ للأغراض الخيرية او الدينية ، فإن لم يوص بذلك صار العقار محلولاً . وكان الدافع إلى هذا النوع من الأوقاف خوف المالاك من ضياع ممتلكاتهم لسوء تصرف أبنائهم وورثتهم ، أو لجور السلطات وإمكانية نزع الملكية .

وكان الغرض الثاني الذي أوقف بعض الناس من أجله العقار دينياً ، كأوقاف المساجد والأضرحة أو المعاهد التعليمية ذات الصبغة الإسلامية والمكتبات . وقد قصد المتبرعون في جميع هذه الحالات أن يكون مردود إيجار العقارات الموقوفة ـ وتدعى نكايا ـ يكفي للقيام بمختلف نفقات إدارة هذه المؤسسات .

أما الغرض الثالث للوقف فكان خيرياً يخصص دخله

لصالح الناس جميعاً ، بإنشاء المساجد أو الحمامات العامة والمغاسل ومنازل الضيافة والاستراحة لأبناء السبيل (أي الخانات) ، والمخابز لتوزيع الخبز على المحتاجين ، والمستشفيات ومصحات الأمراض العقلية وملاجىء العجزة والأيتام .

وطبقاً للقوانين المعمول بها في البلاد تصبح أية أرض وقفاً إن بُني عليها مسجد وتمت فيه إقامة الصلاة . كذلك إن وهب شخص مساحة لبناء مقبرة وصرّح بالدفن فيها وتم ذلك فعلاً . فهذا يحرم الدولة دفن الموتى في أراضي الميري حتى لا تتحول إلى أوقاف .

كانت هذه الفئة من أراضي الأوقاف الأهلية آثار اقتصادية سيئة تراكمت بمرور الزمن . فمع تعاقب الأجيال تضاعفت أعداد الورثة والمنتفعين منها ، فتوزعت العائدات ، وتفتت المردود بشكل قلل كثيراً من قيمتها . ونشأت لذلك خلافات مزمنة ، واحتدمت المنازعات القضائية بين المستحقين . وازدادت الأمور تعقيداً إذ كان من الصعب ، إن لم يكن من المستحيل ، التصرف في العقارات الموقوفة بالبيع أو الاستبدال في حال الوفاء بالديون .

وكانت أراضي الوقف في وقت ما تشغل مساحات كبيرة من فلسطين . لكن الحكومة العثمانية ، ومن بعدها سلطات الانتداب البريطاني، لم تتوان في كل مناسبة عن مصادرة العقارات الموقوفة وحلّها وإعادتها إلى خزينة الدولة مستغلة أية ثغرة شرعية يمكن أن تبطل حجج الأوقاف القائمة . ولهذا تقلصت مساحة الأوقاف الصحيحة في فلسطين أيام الانتداب إلى أقل من مائة ألف دونم .

الفئة الثانية من الأوقاف هي ما يدعى الأوقاف غير الصحيحة ، أو أوقاف التخصيصات . وهي مساحات مفرزة من الأراضي الأميرية ، أوقفها سلاطين آل عثمان وغيرهم بإذن سلطاني فظل حق الرقبة تابعاً لخزينة الدولة كأراضي الميري الصرف ، في حين خصصت منافعها فقط ، من أعشار ورسوم ، لجهة ما . وتنقسم هذه الفئة من الأوقاف إلى ثلاثة أقسام : الأول عقارات تخص الدولة ، ولكن ينتفع باستعمالها أو بعائداتها المزارعون الذين يقيمون عليها . وكان إيقاف هذا النوع من الأراضي بيد السلطان أو الدولة فقط ، وكان يحق للمنتفعين به نقل حق الانتفاع إلى غيرهم بشرط موافقة الجهة الواقفة . وكان معظم أراضي الوقف في فلسطين من هذا النوع .

القسم الثاني من أوقاف التخصيصات هو ما كان يدفع للخزينة ضرائب الأعشار ، ويؤجر كأحكار للفلاحين بعقود طويلة الأجل . وقد اقتصرت هذه الأحكار على بعض مناطق القدس والخليل ونابلس . أما القسم الأخير من هذه الأوقاف فكان كالسابق إلا انه يعفى تماماً من دفع الأعشار أو أية ضريبة أخرى للخزينة .

وينبغي أن يلاحظ أن الوقف لم يقتصر على مؤسسات المجتمع الإسلامي في البلاد فحسب ، بل شمل أيضاً مؤسسات الأديان الأخرى من مسيحية ويهودية . ويسمى الوقف في هذه الحالات « المستغل » ، أي الذي لا يخضع إدارته للأوقاف الإسلامية .

و ـ الحيازة في فلسطين : كان عدد القرى العربية في فلسطين حتى عام ١٩٤٥ نحو ٨٦٢ قرية راوحت معدلات الحيازة الزراعية لكل منها ما بين ٩ آلاف و١٢ ألف دونم ، وكان المتملك منها في حدود ستة أو سبعة آلاف دونم . وقد قدر معدل عدد سكان القرية الفلسطينية في ذلك الوقت بنحو سبعمائة أو ثمانمائة نسمة . ومن الطبيعي أن تتفاوت مساحات الحيازة الزراعية وأعداد السكان كثيراً من قرية إلى أخرى طبقاً لتنوع الظروف الجغرافية السائدة في أقاليم فلسطين المختلفة . ففي حين كان زمام قرية أم الفرج * بقضاء عكا في حدود ٨٢٥ دونماً وسكانها نحو ٨٠٠ نسمة ، كانت قرية النويعمة بقضاء اريحا تنفسح على زمام يبلغ نحو ٥٣ ألف دونم ، ولا يقطنها سوى ٢٠٠ نسمة فقط . وتعد قرية طوباس * في قضاء نابلس نموذجاً للقرى الفلسطينية الكبرى في العقد الرابع من هذا القرن ، إذ امتدت رقعة ممتلكات أهاليها فوق ما يقرب من ثلث مليون دونم تقاسمها من السكان نحو ٥,٤٠٠ نسمة ، فكانت بهذا أم القرى في فلسطين قاطبة .

كان الفلاحون حتى ذلك الوقت فئات ثلاثاً : الفئة الأولى كبار الملاك ممن يتولون زراعة إقطاعاتهم بأنفسهم . وهؤلاء قلة رغم عظم المساحة التي كانت بحوزتهم . ونقيض هؤلاء كانت الكثرة من الفلاحين الذين حرموا نعمة امتلاك الأرض فعملوا أجراء ومرابعين لدى كبار الملاكين المسيطرين على مساحات مترامية والقاطنين في المدن او خارج البلاد .

أما الطبقة الثالثة فهي طبقة صغار الملاك الذين يعيشون على أرضهم . وقد قدرت الدراسات سنة ١٩٣١ نسبة عدد المالكين من الفلاحين بنحو ٧٨٪ فقط . وبلغ نصيب الفرد والأسرة من الأراضي بعامة ، ومن الأراضي المزروعة بخاصة في مناطق فلسطين ما يلي :

المنطقة	نصيب الفرد من الأرض عامة بالدونم	نصيب الأسرة من الأرض عامة بالدونم	نصيب الأسرة من المفتلح فعلاً بالدونم
السهل الساحلي	١٢,٨	٦٤	٤٦,٥
المرتفعات الوسطى	١٩,٦	٩٨	٥٣
الجليل	١٧,٠	٨٥	-
مرج ابن عامر	٢١,٧	١٠٨	-

وتبيّن من دراسة أجريت سنة ١٩٣٦ على ٣٢٢ قرية فلسطينية أن أكثر من تسعة أعشار عدد الحيازات تقل رقعة كل منها عن مائة دونم وتشغل في مجموعها أكثر قليلاً من ثلث المساحة الزراعية

العامة للقرى المدروسة . في حين ضمت أراضي ثلاثة عشر مالكاً كبيراً فقط ما يزيد على نصف إجمالي مساحة الأرض التي كانت بحوزة ما يقرب من ستة وستين ألف مالك صغير .

تركيب الحيازات الزراعية العربية عام ١٩٣٦ .

الفئة	عدد القطع	نسبة العدد ٪
أقل من ١٠٠ دونم	٦٥،٩٣٣	٩١،٨٪
من ١٠٠ الى ١،٠٠٠ دونم	٥،٧٠٩	٨،٠
أكثر من ١،٠٠٠ دونم	١٥٠ قرابة	٠،٢
أكثر من ٥،٠٠٠ دونم	١٣	٠،٠١

كانت ملكية جميع أراضي فلسطين تقريباً حتى أوائل السنينات من القرن الماضي مما يعرف بالمشاع . وقد فرضت دوافع اقتصادية واجتماعية وأمنية هذا النظام من الملكية الجماعية للقرية او العشيرة أو الحمولة على معظم أرجاء البلاد . ولم تكن الملكية الفردية معروفة إلا في أحوال خاصة ، وفي الجهات القريبة من كبريات المدن الساحلية وبعض المدن الداخلية حيث سيطرت على الأرض طبقة التجار المتنورين . كذلك كانت تسود الملكية الفردية أينما كانت طبيعة الأرض تستدعي بذل مجهودات مضنية لإصلاحها وزراعتها والعناية بتربتها . إذ يتوقف نصيب كل فرد في هذه الحال على ما يبذل من عرق ، وعلى مقدار طموحه الشخصي ورغبته في العمل والكد . لهذا السبب شاعت الملكية الفردية في منطقة المرتفعات الوسطى منذ أقدم العصور ، في حين ظلت الأراضي الساحلية السهلية الممهدة، على نقيض ذلك ، مسرحاً للتنافس الجماعي لأنها تعطي الكثير الوافر بأقل مجهود ، فكان أن وقعت مشاعاً بين طالبيها من الجماعات الزراعية على مر الزمان . واستمر الأمر كذلك حتى السنوات الأولى من القرن الحاضر . وكان باستطاعة أي فلاح أن يجد لنفسه حصة من الأرض في المنطقة الممتدة بين حيفا وغزة ، باستثناء مشارف المدن والمناطق التي خضعت لملكية الأثرياء من سكانها .

أما من الناحية الاجتماعية فقد كان المشاع ضماناً لبقاء الأرض بأيدي أفراد الجماعة واستبعاد أي غريب لا ينتمي إليها . وفي هذا النظام شيء من العدالة والاشتراكية الفطرية أو التلقائية لأنه يضمن توزيع فرص الكسب من الأرض بين الجميع ، ولا سيما أن استقرار الزارع في أية قطعة من أملاك المشاع لم يكن يستمر سوى فترة موقوتة تمتد من عام إلى تسعة أعوام ينتقل بعدها إلى استثمار قطعة أخرى حتى لا يستأثر واحد دون غيره بأحسن الأطيان . وفي حال تجانس الأرض من حيث الخصوبة والقدرة كانت الجماعة في الغالب ترتضي نمطاً توزيعياً ثابتاً .

وكان المشاع ، من ناحية الأمن ، حافزاً لجميع أفراد القرية على الاستماتة في الدفاع عن أملاكهم المشتركة . وكان قيام الجماعة عن بكرة أبيها لملاقاة العدو وصدّه عن الأرض أدعى إلى تلاحم الصلات بين الأفراد وتماسك البنيان الاجتماعي . أي أن المشاع كان مشاركة في وسيلة الانتاج ومعاشاً من جهة ، وأسلوب حياة ومصيراً مشتركاً من جهة أخرى . ومن هنا كانت المنازعات الدموية على امتلاك الأرض تجرّ إلى المعترك عائلات وحمولات بكاملها، بل ينزلق إليها أحياناً كثيرة أهالي القرى المتجاورة المتحالفة .

وكما هي الحال بالنسبة إلى نظم الوقف ، يضع بعض الباحثين اللوم على نظام المشاع ويجعله سبباً من أهم أسباب تردّي الاقتصاد الزراعي في البلاد . ففي ظله ينتفي الحافز الشخصي على البذل والإبداع وتحجم مشاق إجراء التحسينات على الأرض بالتسميد،أو تحسين شبكات الري والصرف ، أو زراعة الأشجار وإقامة المنشآت . بالإضافة إلى ذلك ، يذكر هؤلاء أن المشاع كان سبباً في وقوع مشاحنات داخلية دائمة بين الملاك والمنتفعين من العقارات المشتركة . وعلى الرغم من هذا كله كان لنظامي الوقف والمشاع حسنات لا تنكر ، فقد حالا زمناً دون تفتيت الحيازة الزراعية بشكل يعوق عمليات الإنتاج ويحول أحياناً دون فلاحة الملكيات الصغيرة بالوسائل الحديثة او التقليدية على حد سواء . وأهم من هذا أن نظامي الوقف والمشاع عاقا عمليات بيع الأراضي وانتقال ملكيتها إلى اليهود ومنظماتهم . ومن هنا جاء الهجوم الشديد على هذين النظامين من قبل كتّاب مغرضين .

وقد كان من سوء الحظ قومياً أن حاولت السلطات العثمانية خلال الربع الأخير من القرن الماضي تصفية نظام المشاع عندما ألزمت الملاّك بتسجيل أراضيهم ، وعندما صدر قانون ١٤ محرم سنة ١٣٣٢هـ / ١٩١٣م الشهير الذي سمح بتقسيم (فرز) العقارات المشتركة غير المقسولة فوحّد أسس تقسيم الأراضي الملك والأميرية والموقوفة ، وخوّل لأول مرة كل شريك الحق في أن يطالب شركاءه بالقسمة اتباعاً لأصول التشريع الفرنسي القاضي بأنه " لا يمكن ان يجبر أحد على البقاء في حالة الشيوع " .

وسار الإنكليز على النهج نفسه أثناء حكمهم البلاد . فقد أعطوا مأمور التسوية ، بموجب قانون تسوية حقوق ملكية الاراضي الصادر عام ١٩٢٨ ، السلطة المطلقة بأن يشرع فوراً بفرز (تقسيم) أية مساحة من الأرض المملوكة بأسلوب الاشتراك (أي المشاع) بعد تعيين حقوق المالكين ، إذا وجد المأمور أن في الفرز منفعة عامة . واستمد مأمورو التسوية ، وكان معظمهم من الصهيونيين الذين عملوا مع سلطات الانتداب في دائرة المساحة وتسوية الأراضي ، استمدوا سلطاتهم هذه من أوامر المندوب السامي البريطاني مباشرة .

وأجيز لكل مأمور القيام بفرز حصة أي شخص مالك لنصيب ما في أرض مشاع متى طلب المالك ذلك منفرداً . كذلك أجيز له أن يقسم أراضي المشاع في أية قرية بناء على رغبة مالكي ثلثي الحصص المدرجة في جدول الحقوق العقارية الخاصة بتلك القرية .

ورغم كل هذه الإجراءات والتشريعات بقيت نسبة لا يستهان بها من الأراضي ملكاً مشاعاً حتى اغتصاب فلسطين سنة ١٩٤٨ .

تغيرت نظم حيازة الأرض وأساليب ملكيتها بالانتفاع بها جذرياً بعد قيام الصهيونيين بالهجرة إلى فلسطين لاستيطانها . وقد بدأت عمليات الاستيلاء على الأرض مبكرة عندما أنشأ المليونير اليهودي روتشيلد عام ١٨٨٣ رابطة الاستعمار اليهودي لفلسطين فاشترت منذ تأسيسها حتى أواخر عهد الانتداب سنة ١٩٤٨ ما يقرب من ٤٧٠ ألف دونم . كما أوكل مؤتمر بازل * سنة ١٨٩٧ إلى الصندوق القومي اليهودي (ز : الكيرين كايميت) وشركة تطوير أراضي فلسطين * شراء الأطيان وتوطين المهاجرين فيها فبلغ ما ابتاعه الصندوق والشركة حتى عام ١٩٤٨ قرابة مليون دونم . وكانت أملاك الدولة مصدراً آخر للأراضي التي آلت ملكيتها إلى الصهيونيين . فبموجب البند رقم ٦٠ من معاهدة الصلح البريطانية التركية في لوزان سنة ١٩٢٥ آلت جميع الأراضي التي كانت بحيازة الحكومة العثمانية إلى إدارة الانتداب على فلسطين دون أي مقابل . ووضعت سلطة التصرف فيها آنذاك بيد المندوب السامي البريطاني موقتاً ، فكان من حقه وحده إجزال المنح منها ، أو تأجيرها ، أو السماح بالاستقرار فيها واستثمارها . وقد سارع اليهودي الإنكليزي هربرت صموئيل ، أول مندوب سام ، إلى تقديم ١٧٥ ألف دونم من أخصب أراضي الدولة على الساحل بين حيفا ويافا، قرب قيسارية* وعنيت هدية إلى أبناء مذهبه الصهيونيين أتبعها بعد ذلك بدفعة ثانية مقدارها ٧٥ ألف دونم على البحر الميت * لإقامة مشروع شركة البوتاس الفلسطينية ، فضلاً عن أراض شاسعة أخرى لم يكشف النقاب عن سعتها في منطقة النقب * . وتكررت هباته السخية من الأراضي الساحلية الخصبة حتى بلغ مجموع ما منح أو نقل إلى الصهيونيين من أراضي الدولة نحو مليون وربع من الدونمات ، أي ٥٨٪ من مجموع الأراضي التي كان يملكها الصهيونيون سنة ١٩٤٨ ، فأربت المساحات التي تحولت إليهم حتى قيام كيانهم على ٢,١ مليون دونم .

ورغم ذلك كانت غالبية الأراضي عام ١٩٤٨ ما تزال بأيدي العرب ، حتى قُدر ما كان بحوزتهم حينذاك بنحو ٦,٧ مليون دونم يضاف إليها ١٣٥ ألف دونم من بساتين الحمضيات * وأكثر من مليون دونم مغروسة أشجار زيتون * وفاكهة وموز * . ولا يدخل ضمن هذه المساحات أراضي المراعي . وقد شرعت سلطات الاحتلال الإسرائيلي بعد عام ١٩٤٨ تستولي على ممتلكات العرب بشكل رسمي عندما وضعت البلاد تحت أحكام ما أسمته « قانون الاستيلاء على أرض ساعة الطوارىء * » ، وهو القانون الذي خوّل الحاكم العسكري سلطة إعلان مساحات من البلاد « مناطق مغلقة » يحظر على العرب الدخول إليها أو الخروج منها . وفي ظل هذا القانون نقلت ملكية أراض عربية واسعة بحجة الأمن . كما سمحت مواد قانون أملاك الغائبين * لعام ١٩٥٠ باستغلال أملاك الغائبين واستملاكها على أنها أراض مهجورة آلت ملكيتها إلى (الدولة) بتقادم العهد . وقد استباحت سلطات الاحتلال في السنوات الأولى من تطبيق هذا القانون زهاء مليون وربع مليون دونم من أملاك العرب .

ولم تسلم أملاك الأوقاف الإسلامية من الاعتداء فعندما تولت سلطات الانتداب البريطاني حكم البلاد أوكلت إدارة الأوقاف إلى الهيئة الإسلامية العليا التي كانت تحمي إيجارات العقارات وأعشارها من المستغلين وتوزعها على المنتفعين من أفراد وهيئات . وظل الأمر كذلك حتى قررت الحكومة عام ١٩٣٥ دفع مبلغ سنوي ثابت مقداره ٣٠ ألف جنيه فلسطيني مقابل أعشار الأوقاف كبدل اعتباطي فلا تتجشم الهيئة مشقة الجباية .

وكان من المتوقع أن تحافظ سلطة الاحتلال الصهيوني على هذا الوضع لأنه أمر يمس تعاليم دين أهل البلاد . وعلى الرغم من أن قرارات الأمم المتحدة الخاصة بالتقسيم حفظت هذا الحق صراحة ، ضربت وزارة الأديان الإسرائيلية بكل ذلك عرض الحائط فأدخلت عائدات أوقاف المسلمين في الميزانية العامة ، بل حاولت اغتصاب المقابر وغيرها من أراضي الأوقاف .

وقد تابعت السلطات المحتلة سياستها المرسومة لنزع ملكية العرب المهجّرين والمقيمين في ظل احتلالها والاستيلاء على عقاراتهم وأراضيهم في عشرات المدن ومئات القرى متذرعة بشتى الوسائل ، مستغلة قوانين غاشمة سابقة ، أو فارضة تشريعات خاصة لهذا الغرض ، كقانون استملاك الأراضي * في عام ١٩٥٣ ، وتعديل قانون الأحراج والغابات * الموضوع من أيام الانتداب مرتين في عامي ١٩٥٦ و ١٩٦٠ . كل ذلك جرى في أكبر عملية نهب جماعية عرفها التاريخ ، على حد تعبير المؤرخ البريطاني أرنولد توينبي . وقد ضربت سلطات الاحتلال طوقاً من السرية والتكتم على ممتلكات اللاجئين العرب فلم تسمح حتى للجنة التوفيق الدولية * الكلفة من قبل الأمم المتحدة بحماية ممتلكات اللاجئين بمعرفة شيء عنها . وظلت البيانات والمعلومات المتعلقة بحجم ممتلكات العرب المهجورة ، وتوزيعها الجغرافي ، وأساليب استثمارها ، وسياسة السلطات الإسرائيلية تجاهها، أموراً مبهمة

ـ وثائق مجلس الأمن ١٩٥٣ ـ ١٩٥٤ .
— Ionides, M.G.: **Report on the Water Resources of Transjordan and their Development**, London 1938.
— Lowdermilk, W.C.: **Palestine Land of Promise**, New York 1946.
— The American Friends of the Middle East Inc.: **The Jordan water Problem:an analysis and summary of available documents**, 1949.
— Main, Ch.T.: **The Unified Development of the Water Resources of the Jordan Valley Region**, Boston 1953.
— Gobashy, O.Z.: **The Development of the Jordan River**, 1941.
— Risk, E.: **The River Jordan**, New York 1964.
— Stevens, G.G.: **Jordan River Partition**, New York 1964.
— Goich, A.M.: **L'Eau problème vital de la région du Jourdain**, Bruxelles, 1964.
— Mayer, A.: **Les Grands Travaux Hydrauliques en Israel**, Paris 1964.

الأردن (نهـــر ـ) :

أطلق على هذا النهر ذات مرة اسم « المنخفض السوري » أو « التجويف السوري » . ولكن هذا الاسم كان عاماً يطلق على جنوب سورية وفلسطين عدا فينيقيا . وأطلق عليه في عهد الرومان واليونان اسم « وادي أولـون » ، وفي زمن السيد المسيح اسم « باردن » . وسماه العرب في العصور الوسطى « الغور » ، بمعنى الوادي الهابط بين الجبال . وسموه أيضاً « بحر الشريعة » أو « المشرع » أي مورد الشرب ، وتضم إليه أحياناً كلمة الكبير فيصبح اسمه « نهر الشريعة الكبير » ، تمييزاً له من شريعة المنـدور (اليرموك) . وكانوا يقصرون الاسم على جزء النهر الممتد من بحيرة طبرية " حتى البحر الميت " .

والاسم الشائع في الوقت الحاضر هو نهر الأردن ، ويطلق هذا الاسم على النهر من نقطة التقاء منابعه حتى البحر الميت . وقد ظهر نهر الأردن إلى الوجود منذ نهاية عصر البليوستوسين (الحقبة الرابعة) ، ونجح في أن يشق لنفسه مجرى في تكوينات اللسان البحيرية ، وهي الإرسابات التي خلفتها البحيرة الأردنية القديمة بعد جفافها . وفي عصر الهولوسين الحديث أنشأ نهر الأردن سهله الفيضي (الزور) الذي يتعرض للفيضانات السنوية .

وبالرغم من صغر نهر الأردن بمقارنته مع الأنهار الدائمة في الشرق الأوسط فإن مساحة حوضه ٤٣,٥٣٥ كم٢ ، وتشمل أراضي وحدات سياسية متعددة ، كالأراضي الفلسطينية والأردنية والسورية واللبنانية والمصرية . ويضم حوض نهر الأردن وادي الأردن الممتد من جنوبي لبنان حتى منتصف وادي عربة ، بالإضافة إلى المناطق المرتفعة المحيطة بالوادي الذي تنحدر أراضيها نحوه . ونظراً لاتساع مساحة الحوض فإنه يضم أقاليم مناخية متفاوتة تنعكس في نهاية الأمر على مائية نهر الأردن . والأقاليم المناخية هي :

١) إقليم البحر المتوسط شبه الرطب : يقع هذا الإقليم بين خطي عامل مطر ٣٠ و ٥٠ ، حسب معادلة لانغ (١٩٢٠م) . ويتميز بفائض مائي واضح خلال فصل الشتاء ، وبعجز مائي سنوي قليل .

٢) إقليم الإستبس : يقع بين خطي عامل مطر ١٥ و ٣٠ . ويتميز بفائض مائي شتوي قليل جداً خلال شهري كانون الأول والثاني ، وبعجز مائي سنوي كثير .

٣) الإقليم الصحراوي : يقع بين خطي عامل مطر صفر و ١٥ . ويتميز بعدم وجود فائض مائي شتوي ، وبوجود عجز مائي سنوي كبير جداً .

أ ـ النظام المائي : لا يتأثر النظام المائي لنهر الأردن بالظروف المناخية السائدة في منطقة تغذيته فحسب ، بل يتأثر بعدة عوامل أخرى أيضاً ، مثل البنية الجيولوجية ، وأشكال سطح الأرض ، والنباتات الطبيعية ، وغيرها من العوامل الطبيعية . ويتأثر أيضاً بالعوامل البشرية مثل الأوضاع السياسية في المنطقة من جهة ، والمنشآت التي يقيمها الإنسان على النهر من جهة ثانية ، وتغيير المعالم الجغرافية للنهر من جهة ثالثة .

١) العوامل الطبيعية : تبدو آثار العناصر الطبيعية في كثير من الخصائص الهيدرولوجية للنظام المائي . فالأردن نهر عنيف سريع التقلب في تصريف مياهه ، إذ يتدنى هذا التصريف إلى ٥م٣/ثا في أواخر الصيف ، في حين يرتفع إلى ذروته ليصل إلى ٦٠م٣/ثا في منتصف الشتاء . وليس من الغريب أن تتضاعف كمية التصريف أحياناً ثلاث مرات خلال ٤٨ ساعة نتيجة حدوث فيضانات مفاجئة بفعل الأمطار الغزيرة . وينتج عن تلك الفيضانات تجديد التربة في الزور ، وتزويدها بالرطوبة التي ساهمت في نمو شريط أخضر كثيف من النباتات الطبيعية " على ضفاف النهر ، كالأشجار الحلفا والصفصاف والبوص والدفل والقصيب وغيرها . ولكن بعد أن قام الإنسان خلال الخمسينات من هذا القرن باجتثاث هذه النباتات وإحلال المحاصيل الزراعية محلها أصبحت هذه الفيضانات نعمة ونقمة على بساتين الخضار .

وليس صبيب نهر الأردن كبيراً ، لكن فعالية النهر في النحت عظيمة ، إذ تبلغ كمية المواد الطينية العالقة بمياهه عند الفيضان نحو ٥,٥٠٠ جزء في المليون ، أو نصف ذلك في الأحوال العادية ، مقابل ٦٠٠ جزء في المليون لكل من المجرى الأدنى للمسيسبي وللفرات ، ونحو ٨٠٠ جزء في المليون لنهر دجلة .

وينجم عنف نهر الأردن في سرعة تياره ، فهو نهر عظيم

الانحدار ، إذ يبلغ مقدار ما يهبطه النهر ٩٢٤م من منبعه الحاصباني (٥٢٢م) حتى مصبه في البحر الميت (ـ ٤٠٢م) لعام ١٩٨٠ . ويبلغ متوسط الانحدار ٤,٧م/كم إذا حسبت المسافة المباشرة من المنبع إلى المصب وهي ١٩٢ كم . أما إذا حسب الطول الحقيقي لمجرى النهر بتعرجاته ، ويصل إلى ٣٢٠ كم ، فإن معدل الانحدار يصبح ٢,٥م/ كم . وتجدر الإشارة إلى أن أعظم انحدار لنهر الأردن ينحصر في الجزء الجنوبي من مجراه الأوسط بين جسر بنات يعقوب وبحيرة طبرية .

وهناك شذوذ واضح في أجزاء كثيرة من مجرى نهر الأردن يجعله بعيداً عن القاعدة العامة التي تتميز بها المجاري العليا والوسطى والدنيا للأنهار . وتفسر دراسة تطوّر النهر كثيراً من مظاهر هذا الشذوذ . وتبدو مظاهر النضج والشيخوخة على نهر الأردن عندما يجري في سهل الحولة * الذي يقع في منطقة المجرى الأعلى للنهر . أما الجزء الجنوبي من مجراه الأوسط فتبدو على النهر فيه مظاهر الشباب خلال جريانه من جسر بنات يعقوب إلى ما قبل سهل البطيحة . وفي سهل البطيحة الواقع في الطرف الشمالي لبحيرة طبرية يصبح النهر هادئاً بطيء الحركة حتى يصب في البحيرة . وتبدو على النهر في مجراه الأدنى ، من بحيرة طبرية حتى مصبه في البحر الميت ، مظاهر الشباب على الرغم من كثرة تعرجاته . فهو يجمع بين النقيضين عندما يكون سريع التيار وشديد التعرج في الوقت نفسه .

لم تكن نشأة نهر الأردن وتطوره كنهر واحد ، بل إن أجزاء منه تكوّن كل منها على حدة إلى أن حدثت أمور أدت إلى اتصالها فكوّنت نهراً واحداً . فالأجزاء الحديثة التكوين في نهر الأردن هي التي وصلت المسيلات القديمة بعضها ببعض . وتتميز هذه الأجزاء الحديثة بكثرة الجنادل والخوانق فيها . أما القديمة فقد كانت ، قبل الاتصال ، تامة النضج يتكوّن كل واحد منها من بحيرة هي المركز الذي تنصب فيه الروافد ، ثم وصلت بينها فيما بعد الحركات البنائية (التكوينية) من جهة ، والتعرية من جهة أخرى .

ويتبيّن من المقطع الطولي للمجرى الأدنى لنهر الأردن بين بحيرة طبرية والبحر الميت وجود انقطاعين في الانحدار العام للمجرى من الشمال إلى الجنوب ، أحدهما يقع بين بحيرة طبرية (ـ ٢١٢م) ومنحنى تسوية (ـ ٢٧٥م) ، وثانيهما يقع بين خطي تسوية (ـ ٣١٥م) و (ـ ٣٦٠م) . ويمثل هذان الانقطاعان مواضع صخور بازلتية صلبة اعترضت مجرى النهر وحالت دون توسيع مجراه فيها . وقد نتجا عن هبوط البحر الميت مرتين منذ عصر البليوستوسين ، واضطرار نهر الأردن إلى تجديد شبابه نتيجة هبوط مستوى قاعدته بتعميق مجراه والحفر تراجعياً .

وتسترعي الانتباه في المجرى الأدنى لنهر الأردن ظاهرة التعرج التي نجمت عن الترسبات البحيرية والنهرية في منطقة مجرى النهر . أما عن الترسبات البحيرية فهي أثخن في الجزء الجنوبي من وادي الأردن منها في الجزء الشمالي ، لأسباب تتعلق بارتفاع مستوى قاع الجزء الشمالي من البحيرة الأردنية القديمة بالنسبة إلى قاع الجزء الجنوبي . ومن شأن هذا الميل الطفيف للرسوبيات من الجنوب إلى الشمال تقييد قوة التيار النهري ، وإعاقته ، مما يضطر النهر إلى التعرج في مجراه . فالنهر لا يمكن أن يتعرج ثلاثة أضعاف مسافة مجراه المستقيم ، رغم انحدار الأرض وسرعة تيار النهر، ما لم يكن هناك ارتفاع تدريجي للترسبات البحيرية معاكس للانحدار العام لأرضية الوادي . أما عن الترسبات النهرية فإنها تساهم في صفة التعرج الملحوظة في المجرى الأدنى لنهر الأردن . وتستمد هذه الترسبات من الفيضانات ومن النحت الذي يمارسه النهر ، بالإضافة إلى ما تلقيه الأودية الجانبية الرافدة من إرسابات تتخذ شكل الجزر الرملية والطينية في مجرى نهر الأردن ، الأمر الذي يضع عوائق أمام تيار النهر فيجنح إلى التعرج .

ويحيد مجرى النهر الذي يتراوح عرضه بين ٢٠ و ٣٠م عن الجريان في وسط السهل الفيضي ، ويلتزم الجانب الغربي للزور . ويمكن ملاحظة هذه الظاهرة في كثير من أنهار نصف الكرة الشمالي ، إذ تميل تياراتها نحو يمين اتجاهها فتنحت من الجانب الأيمن لترسب في الجانب الأيسر . لذلك فإن مساحة السهل الفيضي على الجانب الشرقي لنهر الأردن ضعف مساحة نظيره على الجانب الغربي بسبب النحت من الجانب الغربي والإرسابات في الجانب الشرقي . ولا يخلو الزور الشرقي للنهر من بقايا الأكواع والثنيات المائية المقتطعة من النهر والمردومة بالترسبات بعد جفاف مياهها .

٢) العوامل البشرية : حصلت شركة صهيونية في فلسطين عام ١٩٢٦ على امتياز من حكومة الانتداب البريطاني مدته سبعون عاماً لاستغلال مياه نهر الأردن واليرموك وروافدها لتوليد الكهرباء من القوة المستخرجة من هذه المياه وتوزيعها داخل فلسطين والأردن ، وهو المشروع المعروف باسم مشروع روتنبرغ * . وبموجب هذا الامتياز بنيت على جسر المجامع ، جنوبي بحيرة طبرية ، محطة كهرباء ، واستعملت بحيرة طبرية خزاناً للمياه بعد أن بني عليها سد لرفع المياه . وبذلك عمل هذا المشروع على تنظيم خروج المياه من بحيرة طبرية ، وأصبح بالإمكان التحكم في تصريف مياه نهر الأردن والسيطرة على النهر بالحدّ من أخطار الفيضانات .

وفي أواخر عام ١٩٥٠م بدأ الكيان الصهيوني في تنفيذ مشروع تجفيف بحيرة الحولة * وبستغلالها ، وتم تنفيذ المشروع في أواخر عام ١٩٥٨م . ونتج عن هذا المشروع تغيير المعالم الجغرافية للمنطقة ، ومنع الفيضانات الموسمية ، واستصلاح ما ساحته

٦٠,٠٠٠ دونم من الأراضي ، وتوفير ١٠٠ مليون م٣ من المياه سنوياً .

وفي ربيع عام ١٩٦٤م انتهى الكيان الصهيوني من تنفيذ مشروع نهر الأردن ـ النقب الذي يقوم على أساس ضخ ما يقرب من ٥٠٠ مليون م٣ سنوياً من مياه بحيرة طبرية ورفعها من مستوى ٢١٢م تحت سطح البحر إلى مستوى ٣٦٠م فوق سطح البحر حيث تجمع في منخفض البطوف* الذي أصبح بحيرة اصطناعية لتخزين مياه نهر الأردن وتوزيعها في أنابيب إلى الهل الساحلي* والنقب* . وبالإضافة إلى ذلك قام الكيان الصهيوني بتحويل مياه الينابيع المالحة التي يقع بعضها خارج بحيرة طبرية ، ويقع بعضها الآخر داخل هذه البحيرة ، إلى نهر الأردن ، مما أضاف إلى النهر نحو

١٦٠,٠٠٠ طن من الملح سنوياً (ر : الأردن ، استثمار مياه نهر ـ وروافده) .

ونتج عن هذا المشروع الصهيوني انحطاط نوعية المياه في نهر الأردن الأدنى ، وازدياد نسبة الملوحة في مياه النهر بالاتجاه جنوباً نحو مصبه في البحر الميت . ومما يؤكد هذه الحقيقة أن تحليلات مياه النهر تدل على أن معدل الملوحة يبلغ ١,٣٠٠ جزء في المليون عند التقائه برافده الرئيس نهر اليرموك ، وسرعان ما تزداد الملوحة إلى معدل ١,٣٧٨ جزءاً في المليون عند موقع قطف ، وإلى معدل ١,٥١١ جزءاً في المليون عند الوهادة ، وإلى معدل ١,٩٧٠ جزءاً في المليون عند جسر الملك حسين . وهذا يدل على أن مياه نهر الأردن، ما بين ملتقى نهر الزرقاء به وحتى مصبه، تحتوي على نسبة مرتفعة من الأملاح . فاستعمالها لأغراض الري يضرّ بالأرض الزراعية ومحاصيلها . وتجدر الإشارة إلى أن مياه نهر الأردن الأدنى تحتوي على نسب مرتفعة من أملاح الكلوريد ، ونسب متوسطة من أملاح الصوديوم ، ونسب قليلة من أملاح المغنيسيوم .

ولا شك أن المصير النهائي للأملاح المذابة في نهر الأردن هو البحر الميت . ويعتقد « إرون » أن المصدر الأساسي لملوحة البحر الميت هو نهر الأردن. وقد دلت الحسابات التي أجراها على أن البحر الميت اكتسب ملوحته الشديدة في غضون ٥٠,٠٠٠ سنة . ويستمد نهر الأردن ملوحته من الأملاح المذابة في مياه روافده ، بالإضافة إلى وجود بعض الينابيع ذات المياه المالحة في قاع النهر نفسه قبيل مصبه في البحر الميت . ونسبة الصوديوم إلى المغنيسيوم في مياه نهر الأردن الأدنى هي ٤ : ١ ، وتتغير هذه النسبة بعد دخول النهر في البحر الميت فتصبح ١ : ٢ .

ويتأثر النظام المائي لنهر الأردن وروافده بالاستغلال البشري له داخل حوض النهر ، إذ تساهم مياه النهر وروافده بقسط وافر في ري الأراضي الزراعية وفي الاستعمالات الأخرى المنزلية والصناعية . والانتفاع من المياه حق طبيعي لسكان حوض الأردن ، غير أن القانون الدولي يمنع سحب المياه إلى خارج الحوض ما دام السكان المقيمون داخل الحوض بحاجة إلى هذه المياه . فما فعله الكيان الصهيوني من تحويل المياه إلى خارج الحوض نوع من التحدي والمخالفة للقوانين الدولية ، ويمثل في الصراع العربي ـ الصهيوني معركة المياه بين العرب والكيان الصهيوني . وكان المشروع العربي لاستثمار مياه نهر الأردن الذي أقره مؤتمر القمة العربي عام ١٩٦٤ الرد العربي على اعتداء (إسرائيل) وسرقتها المياه العربية . وقد حال دون نجاحه عدوان ١٩٦٧ واحتلال الجولان (ر : حرب ١٩٦٧) المنطقة الرئيسة التي يجري فيها تنفيذ المشروع العربي .

واستفادة البلدان العربية في المنطقة من النظام المائي للنهر هي استفادة محدودة إذا قورنت باستفادة الكيان الصهيوني ، والأردن أكثر بلد عربي ينتفع من النظام المائي لنهر الأردن فقد قام بحفر قناة الغور الشرقية التي أخذت تستمد مياهها من نهر اليرموك منذ عام ١٩٦١م عندما تم تنفيذ المرحلة الأولى في مشروع ري الغور الشرقي . ويسير العمل حالياً لتمديد قناة الغور الشرقية نحو الجنوب بحيث تصل إلى قرية سويمة شمالي شرق البحر الميت . وقد أنشيء مؤخراً سد الملك طلال على نهر الزرقاء لتزويد قناة الغور بكميات إضافية من المياه التي تلبّي الحاجات الاستهلاكية لوادي الأردن . وقد أقيمت بعض السدود الأخرى على الأودية الجانبية ، مثل أودية العرب وزقلاب وشعيب والكفرين ، لخزن المياه وتنظيم

عملية استغلالها . وكان الأردن ينوي بالتعاون مع سورية بناء سد المقارن على نهر اليرموك بديلاً من سد خالد بن الوليد الذي توقف العمل في إنشائه بعد احتلال الجولان . وتوقف العمل أيضاً في حفر قناة السزور التي كان من المقرر لها أن تسير بمحاذاة نهر الأردن في كل من الزور الشرقي والغربي ، وذلك نتيجة لاحتلال الضفة الغربية .

ب ـ أقسام نهر الأردن : يمكن أن نقسم نهر الأردن بصورة عامة إلى الأقسام التالية :

١) المجرى الأعلى من المنابع إلى بحيرة الحولة .

٢) المجرى الأوسط من بحيرة الحولة إلى بحيرة طبرية .

٣) المجرى الأدنى من بحيرة طبرية حتى مصب النهر في البحر الميت .

١) المجرى الأعلى : يتكون نهر الأردن من اتحاد منابعه دان وبانياس والحاصباني عند نقطة تقع على مسافة ٤ كم داخل الحدود الشمالية لفلسطين ، وعلى ارتفاع ٨١م فوق مستوى سطح البحر . ويلتقي قبل ذلك نهر دان نهر بانياس ، وبعد اتحادهما بمسافة ١,٥ كم تقريباً يلتقيان نهر الحاصباني الذي يرفده نهر بريغيت قبل نقطة الالتقاء بمسافة كيلو متر . ولما كان نهر الأردن يجري في خط مستقيم يمثل امتداداً جنوبياً لنهر الحاصباني الذي هو أطول المنابع فإن نهر الحاصباني يعدّ المنبع الحقيقي لنهر الأردن . وتنحدر منابع نهر الأردن عبر هضبة مدرجات من الأرض التي تفصل بين مستوياتها منحنيات تسوية تبلغ حوالي ٨م .

(١) نهر دان : يسمى أيضاً نهر القاضي لأنه ينبع من تل القاضي في الأراضي الفلسطينية على مسافة قريبة جداً من الحدود السورية . وهو يسير في مجرى خانقي عميق مسافة ٨ كم من منبعه حتى يلتقي نهر بانياس عند ارتفاع ٤٣م . وهو سريع الجريان ، ويقدر انحداره بنحو ٢م/ كم . يبلغ متوسط تصريفه ذروته خلال شهري آذار ونيسان (٧ و ١٠م٣/ثا) ، في حين يهبط إلى أدنى تصريفه في أيلول (٧,٣م٣/ثا) . بلغ متوسط تصريفه السنوي خلال الربع الثالث من هذا القرن نحو ٢٤٠ مليون م٣ . وقد وصلت قمة تصريفه السنوي إلى ٢٨٥ مليون م٣ في عام ١٩٤٩ / ١٩٥٠م . وكان أدنى مستوى لتصريفه السنوي ٢١٧ مليون م٣ في عام ١٩٦١ / ١٩٦٢م .

(٢) نهر بانياس : سمي بهذا الاسم نسبة إلى موضع بانياس عند بداية التقاء حدود لبنان الشرقية بالحدود السورية . ينبع نهر بانياس من كهف بانياس على ارتفاع ٣٢٩م عند قدم حافة جبل الشيخ في الأراضي السورية ، ويجري مسافة ٢ كم داخل سورية قبل دخوله فلسطين ، وهو أقصى منبع لنهر الأردن صوب الشرق . يبلغ طوله نحو ٩ كم ، ويسير في مجرى خانقي عميق بانحدار يقدر بنحو ٥م/كم . وله روافد كثيرة أهمها وادي العسل ، ووادي خشابي ، ووادي زا ي . ويشهر نهر بانياس بينابيعه الطويلة وباعتراض الصخور مجراه ، وبسرعة تيار مياهه المندفع بقوة . ويبلغ متوسط اتساع قناته نحو ٢٠م ، ومتوسط عمق المجرى نحو مترين .

يتعرض تصريف النهر لتذبذبات فصلية وسنوية أكثر وضوحاً من تذبذبات نهر دان . ففي حين يرتفع متوسط تصريفه خلال فصل الشتاء إلى ١٦م٣/ثا ، ينخفض أثناء الفصل الجاف إلى ٢م٣/ثا . وقد بلغ متوسط تصريفه السنوي خلال الربع الثالث من القرن الحالي نحو ١٢٠ مليون م٣ تراوح بين نهاية عظمى قدرها ١٤٨ مليون م٣ في عام ١٩٤٤ / ١٩٤٥م ونهاية صغرى قدرها ٨١ مليون م٣ في عام ١٩٦٠ / ١٩٦١م .

(٣) نهر الحاصباني : سمي بهذا الاسم نسبة إلى بلدة حاصبيا . وهو ينبع من المنحدرات الشمالية الغربية لجبل الشيخ ، عند ارتفاع ٩٠٠م فوق مستوى البحر ، وعند نقطة في الأراضي اللبنانية تقع على مسافة ٤٨ كم من الحدود الفلسطينية . تفصل نهر الحاصباني عن نهر الليطاني حافة ضيقة لا يتعدى عرضها ٦ كم ، وهي ذات منسوب منخفض . ويشق النهر مجراه في خانق ضيق حفره في الصخور البازلتية التي تحفّ تلالها المخروطية بضفافه . وهو جاف في مجراه الأعلى الذي لا تجري فيه المياه إلا بعد سقوط الأمطار . ويصبح الحاصباني دائم الجريان عند بلدة حاصبيا على مسافة ١٩ كم من فلسطين حيث يبلغ اتساع مجراه نحو ١٥ م .

وعندما يصبح النهر على بعد ٤ كم من حدود فلسطين تغذّيه كثير من الينابيع الدائمة ،وأهمها ينابيع الوزان . ويتراوح المتوسط الفصلي لتصريف النهر بين ٢٠م٣/ثا خلال فصل الشتاء و ١,٤م٣/ثا في أيلول . ويبلغ متوسط التصريف السنوي لنهر الحاصباني نحو ١٥٣ مليون م٣ تراوحت خلال الربع الثالث من القرن الحالي ما بين نهاية عظمى بلغت ٢٣٦ مليون م٣ في عام ١٩٤٧ / ١٩٤٨ ونهاية صغرى بلغت ٦٣,٥ مليون م٣ في عام ١٩٦٠ / ١٩٦١ .

ويرفد نهر الحاصباني ، قبيل اتحاده بنهري دان وبانياس ، نهر بريغيت الذي هو أقصى منبع غربي لنهر الأردن . ويطلق عليه اسم « نهر الجبل الصغير » أو « نهر مرج عيون » لأن مياهه تنساب في خانق تحيط به تلال بلدة مرج عيون . وتستغل معظم مياهه للري في لبنان ، ويبلغ متوسط تصريفه السنوي نحو ٥ مليون م٣ .

تبلغ كمية التصريف السنوي لنهر الأردن بعد التقاء منابعه نحو ٥٢٠ مليون م٣ . أما عرض قناته عند الملتقى فلا يزيد على ١٥م . ويجري النهر بين ضفتين تنخفضان ٨م عن المستوى العام للسهل الفيضي . ثم يزداد عرض قناة النهر إلى أقل من ٣٠م جنوباً في

منطقة مستنقعات الحولة قبل تجفيفها . ثم تصب القناة في بحيرة الحولة بعد أن تكون قد قطعت في منطقة المستنقعات مسافة تزيد على ١٠ كم . وقد تفرعت قناة النهر ، بعد تجفيف البحيرة ومستنقعاتها ، إلى ثلاث قنوات صناعية ، شمالية وشرقية وغربية ، تلتقي فيما بعد في مجرى النهر الطبيعي .

٢) المجرى الأوسط : يسير نهر الأردن ، بعد خروجه من بحيرة الحولة ، ببطء مسافة ٣ كم في سهل زراعي إلى أن يصل إلى جسر بنات يعقوب ، ثم يدخل جنوبي هذا الجسر خانقاً بركانياً . ويصبح مجراه ضيقاً عميقاً ، وانحداره شديداً ، وتياره سريعاً . ويظل على هذه الحال ١٢ كم إلى أن يدخل سهل البطيحة قبيل مصبه في بحيرة طبرية حيث يعود هادئاً بطيء الجريان مثلما كان بين منطقة الحولة وجسر بنات يعقوب . وينحدر النهر في مجراه الأوسط الذي يبلغ طوله نحو ١٦ كم مقدار ٢٨٢م ، أي ١٧,٥م/ كم . وهذا يعني أن الانحدار في المجرى الأوسط هو أشد انحدار للنهر .

٣) المجرى الأدنى : يخرج نهر الأردن من الطرف الجنوبي الغربي لبحيرة طبرية ، ويتجه نحو الجنوب بمياهه الصافية . ويبلغ اتساع مجراه عند خروجه من البحيرة نحو ٢٥م ، ويتراوح عمقه بين ٢ و٣م ، وتوجد فيه مخاضات كثيرة . وعلى مسافة ٨ كم جنوبي بحيرة طبرية يلتقي به رافده الرئيس اليرموك الذي يبلغ تصريفه السنوي المتوسط ٤٦٠ مليون م٣ . ويشتد بعد ذلك انحدار النهر ويقوى اندفاعه . وإلى الجنوب من ملتقى اليرموك بنحو ٢ كم أقيم جسر المجامع . ثم يواصل النهر جريانه نحو الجنوب ضحل المياه ، سريع التيار ، كثير التعطفات . ويختلف اتساع المجرى وقت التحاريق (الشح) عن اتساعه وقت الفيضان ، فهو في الأول ٧٠م ، وفي الثاني بين ١٥٠ و ٣٠٠م . وتنحدر أرض الوادي بين بحيرة طبرية والبحر الميت بمعدل ١,٧٩م/ كم . ولكن معدل انحدار مجرى النهر وحده أقل من ذلك بمقدار النصف تقريباً لأن تعرجات المجرى وتعرجاته الكثيرة تعمل على مضاعفة طول قناته .

ويجمع المجرى الأدنى بين قوتي النحت من الجانب الأيمن والإرساب في الجانب الأيسر . ويرسب النهر بعض حمولته أيضاً في وسط قناته ، ويتجسد ذلك في عشرات الألسنة الرملية والحواجز الحصوية والجزر التي تظهر فوق صفحة مائه المنحسر صيفاً . وأهم روافده اليمنى من الشمال إلى الجنوب أودية الفجاس والبيرة * وعشة وجالود * وشوباش * والمالح والفارعة * والقلط * . أما روافده اليسرى فهي من الشمال إلى الجنوب ، نهر اليرموك ، ووادي العرب ، ووادي زقلاب ، ووادي اليابس ، ووادي كفرنجة ، ووادي راجب ، ونهر الزرقاء ، ووادي شعيب ، ووادي الكفرين * ، ووادي حسبان . وكثير من هذه الأودية الجانبية عميق متعرج يلقي بحمولات كبيرة في نهر الأردن . وهناك أودية صغيرة أخرى تبدأ من حواف التلال الفاصلة بين الغور * والزور وتنتهي في نهر الأردن . ويوجد جسران على نهر الأردن ، أحدهما جنوبي مصب نهر الزرقاء ، ويسمى جسر دامية أو جسر الأمير محمد ، وثانيهما شمالي البحر الميت ويسمى جسر الملك حسين ، وتسلكه طريق عمان ـ القدس .

وينتهي المجرى الأدنى لنهر الأردن بدلتا محدبة (نوسية) يقع رأسها إلى الشمال قليلاً من جسر الملك حسين . ولأول مرة يتميز مصب الأردن الحالي الممتد مسافة ٥ كم فوق أرض الدلتا باستقامته

الشديدة ، وخلوه من المنعطفات التي تميز بقية مجراه . ومتوسط تصريف نهر الأردن قبيل مصبه في البحر الميت خلال السنوات الأربعين الماضية ٨٧٥ مليون م٣ تتراوح ما بين نهاية عظمى قدرها ١,٦٥٠ مليون م٣ في عام ١٩٤٢ / ١٩٤٣ ونهاية صغرى قدرها ٦٤٨ مليون م٣ في عام ١٩٣٣ / ١٩٣٤ .

المراجع :

ـ حسن عبد القادر صالح : الأساس الجغرافي للنزاع العربي ـ الإسرائيلي حول مياه نهر الأردن ، مجلة كلية الآداب ، الجامعة الأردنية ، المجلد ٣ ، عمان ١٩٧٢ .

—Gregor, J.: **The Rob Roy on the Jordan,** London 1886.

— Irwin, W.: The Salts of the Dead Sea and River Jordan, Geographical Journal, Vol. LXI, 1923.

— Libbey, W. and Hoskins, F.E.: **The River Jordan and Petra,** Vol I, 1905.

—Shattner, I.: **The Lower Jordan Valley,** Jerusalem 1962.

الأردن (وادي ـ) : ر : النهر

الإرساليات الروسية (مدارس ـ) :

وجدت المدارس الأجنبية في فلسطين منذ منتصف القرن التاسع عشر تقريباً . وكان منها الأميركية والألمانية والإنكليزية والفرنسية والإيطالية والروسية . ويعود تأسيس هذه المدارس إلى اهتمام تلك الدول بالأراضي المقدسة . وكانت الدولة العثمانية قد منحت كل طائفة من الطوائف الدينية ، من غير المسلمين ، امتيازات في كل ما يتصل بالشؤون الدينية والتعليمية ، كما منحت هذه الدول حق تأسيس المدارس وإدارتها . وكانت هذه المدارس تبشيرية يشرف عليها ما يسمونه « الإرساليات الدينية » التي كانت تحميها الدولة التابعة لها .

كان للروس في فلسطين قبل الحرب العالمية الأولى عدة مدارس ابتدائية ، وعدة معاهد ثانوية ، ودار للمعلّمين ، وأخرى للمعلّمات . ومن الدوافع الرئيسة التي دعت إلى وجود هذه المدارس وانتشارها أن روسيا أخذت ترى نفسها حامية لطائفة الأرثوذكس .

وامتازت المدارس الروسية (المسكوبية) في فلسطين بتعليمها المثالي ، وباهتمامها باللغة العربية . فهذا أسّس الروس داراً للمعلمين وأخرى للمعلمات من أجل إعداد المعلمين باللغة العربية . وكان بعض مدرسي المدارس الروسية من العرب الذين أنهوا دراستهم العليا في روسيا ذاتها . وجرت العادة أن يوفد الطلاب المتفوقون الذين يتخرجون من هذه المدارس إلى روسيا لاستكمال دراستهم العالية فيها .

وقد كان مقر دار المعلمين الروسية في الناصرة * ، وضمّت في إحدى السنوات ٢١٠ طلاب ، معظمهم في القسم الداخلي . أما دار المعلمات الروسية فكان مقرها في مدينة بيت جالا * .

ومن الطلاب الذين تخرجوا من المعاهد الروسية في فلسطين ، وعلّموا فيها فيما بعد ، وكان لهم التأثير في الحركة الفكرية والأدبية فيها : إسكندر الخوري ، وخليل بيدس * ، وسليمان قباعين ، وفضيل النمر ، وناصر عيسى * ، ونعمة الصبّاغ * .

وقد أتاحت المدارس الروسية في فلسطين الفرصة أيضاً أمام الطلاب العرب من خارج فلسطين للدراسة فيها ، إذ تخرج منها نسيب عريضة ، وميخائيل إسكندر ، وميخائيل نعيمة .

أوصدت المدارس الروسية أبوابها بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى .

المراجع :

ـ ساطع الحصري : حولية الثقافة العربية ، القاهرة ١٩٤٩ .

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، بيروت ١٩٧٦ .

أرسوف :

بلدة على ساحل البحر المتوسط شمالي قرية الخرم * التي تقع على بعد سبعة كيلومترات شمالي يافا * . وهي واحدة من المدن التي شادها العرب الكنعانيون على الساحل ، ويحتمل أنهم اشتقّوا اسمها من الإله رشـف الذي كانوا يعبدونه .

وقد شهدت مدن السهل الساحلي غزوات كثير من الأمم التي تعاقبت على فلسطين في حقب تاريخها الطويل . وكانت قبائل جزر بحر إيجة قد بدأت هجومها على فلسطين منذ أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، وتمكّنت من بسط نفوذها على أرسوف وغيرها من بلدان السهل الساحلي الأوسط . ثم أخذت تتطلع إلى السيطرة على داخل البلاد ، فبنت اللد * إلى الجنوب الشرقي من أرسوف لتكون مركزاً على الطريق المؤدية إلى جبال فلسطين . وحفظت نقوش الأشوريين اسم أرسوف ، وأشارت إلى غزو الملك تغلات فلاسر الثالث لها . وحينما حكم اليونان فلسطين ثمّت أرسوف في عهدهم ، وجددوا بناءها ،وذكرتها المصادر اليونانية باسم « أبولونيا » نسبة إلى إله اليونان أبولو .

ولم تكن أرسوف ذات شأن في عهدي الحكم الروماني والبيزنطي ، إلى ان حرّرها العرب من حكم البيزنطيين في القرن

السابع الميلادي شأن المدن الفلسطينية الأخرى ، واستقرّوا فيها ، واستوطنتها الحاميات العسكرية . وقد درج الخلفاء على منح الأراضي في المدن الساحلية للجند شحناً للثغور بالمقاتلين ، فازدهرت أرسوف وغدت آهلة بالسكان . ووصفها المقدسي في القرن العاشر الميلادي قائلاً : " أرسوف أصغر من يافا ، حصينة عامرة ، بها منبر حسن بني للرملة ، ثم كان صغيراً فحمل إلى أرسوف " .

وقد شحن المسلمون أرسوف بالعساكر ، وتداعى إليها المرابطون درءاً لخطر سفن الروم المعادية التي كانت تغير على البلاد ، وأقام بها خلق من أشهرهم أبو يحيى زكريا بن ناقع . وقام المسلمون ببناء الأسوار * حول أرسوف ، وشادوا فيها قلعة حصينة للدفاع عن البلدة . وكانت حاميتها توقد من منارتها النيران ليلاً ، وتثير الدخان نهاراً لإعلام الناس باقتراب خطر العدو .

كما كانت أرسوف أحد الرُبُط في فلسطين التي يتم بها تبادل الأسرى ، فتأتي إليها سفن الروم ومعهم أسرى المسلمين ، وفي كل رباط قوم يعرفون لغتهم ، ويذهبون إليهم في الرسالات . وحينما تظهر سفن الروم تفزع القلاع الإسلامية بالنفير ، فيجتمع الناس ، ثم يكون الفداء ، فرجل يفتدي رجلاً ، وآخر يطرح شيئاً مما يملك حتى يشتري ما عند الروم من أسرى .

طمّت أرسوف أحد ثغور فلسطين ، وكانت تحت سيادة الفاطميين * حينما بدأت الحملات الصليبية على الشرق الإسلامي . ولمّا تقدمت قوات هذه الحملات جنوباً نحو فلسطين ، بعد أن حققت بعض الانتصارات ، وسلك الإفرنج طريق الساحل الفلسطيني حتى أرسوف ، لم يتمكنوا من الاستيلاء عليها ، فاتجهت عساكرهم إلى داخل فلسطين ، واحتلوا الرملة * ، وساروا منها إلى بيت المقدس التي سقطت في أيديهم سنة ٤٩٢هـ / ١٠٩٩م ونشأت بذلك مملكة القدس اللاتينية * في شريط من الأرض امتد من يافا حتى ساحل البحر إلى الرملة والبلد فيت المقدس . ولم ينجح الصليبيون في توفير الأمن للمسافرين منهم ، وأخذت الجماعات الإسلامية تغير عليهم من مدن الساحل التي اعتصمت وراء أسوارها ، كأرسوف وسواها (ر : الفرنجة) .

وكانت مدن الساحل الفلسطيني الفاطمية محط أطماع غودفري دي بويون الذي اختير ملكاً على الصليبيين في بيت المقدس ، ورأى أن إخضاعها لنفوذه يحقق للإفرنج قطع الطريق على أسطول الفاطميين في البحر المتوسط ، كما ييسّر سرعة اتصال الإفرنج بأوطانهم في أوربا . يضاف إلى ذلك أن احتلال الساحل سيتيح لهم فرصة توسيع ممتلكاتهم في داخل فلسطين . وتشجّع غودفري بالإمداد الصليبي الذي وصل إلى البلاد ، فتقدم بقواته نحو أرسوف في خريف سنة ٤٩٤هـ / ١١٠٠م ، وهيّأ لاقتحام أسوار البلدة برجين يسير كل منهما على عجل .

وقد صدّت مقاومة حامية أرسوف وأهلها الصليبيين عنها ، ونجحوا في إحراق برجيهم الواحد تلو الآخر . ولم يستطع الصليبيون أن يحدثوا شيئاً في أسوار البلدة فاضطروا للانسحاب . غير أن غودفري أبقى نصف جيشه في الرملة ، وأصدر إليهم الأوامر بأن يغيروا على الأراضي المجاورة لأرسوف فيتحيل بذلك على سكانها أن يفلحوا حقولهم .

وقد أجبر خطر الإفرنج أمير أرسوف على أن يهادنهم . لكن اتصال البلدة بالفاطميين لم ينقطع ، وكانت تعتمد على معاونتهم لها عن طريق البحر .

وأدّت غارات الإفرنج الخربة إلى قلّة الأقوات في أرسوف وارتفاع أسعارها ، فاستنجدت بالفاطميين الذين أرسلوا لها عن طريق البحر قوة تتألف من ثلاثمائة جندي ، كما جلبت السفن الفاطمية المؤن من مصر إليها فصلحت أحوال أرسوف بتوفر الأقوات . إلا أن غارات الإفرنج ظلّت متصلة . وبسبب تعاون السفن الإيطالية مع غودفري أخذ يفرض الحصار على شواطئ فلسطين ، مما عرقل حركة سفن الفاطميين ، وزاد المشقة أمامها في بلوغ المدن الساحلية .

وقد تشجع أهل أرسوف بسبب إخفاق الصليبيين أمام أسوار بلدتهم ، وبما وصل إليهم من جند الفاطميين ، ودفعهم ذلك إلى شنّ الغارات على الفرنجة ، غير أنهم لم يلبثوا أن وقعوا في كمين لقي فيه كثير منهم مصرعه .

أحكم الصليبيون حصار أرسوف بعد تدفق سنة ٤٩٥هـ / ١١٠١م بين بغدوين الأول الذي نصب خلفاً لغودفري على بيت المقدس والجنويين * الذين كانوا يطمعون في فتح أسواق جديدة لهم ومواني، حرة لبضائعهم ، والتقوا في ذلك مع رغبات بغدوين في احتلال مدن الساحل . ولم يكد الاتفاق ينعقد حتى تحرّك الحلفاء لمنازلة أرسوف ، فهاجمها بغدوين من جهة البر ، على حين هاجمها الجنويون من جهة البحر . ولم تستطع أرسوف أن تصمد طويلاً ، وعرض الأرسوفيون على الصليبيين التسليم على أن يمنحوهم الأمان فيخرجوا بأسرهم وأمتعتهم إلى بلاد المسلمين .

وقبل بغدوين ما عرضوه من شروط ، وتسلّمت قوات الإفرنج أرسوف سنة ٤٩٥هـ / ١١٠١م ، وأخرج سكانها في حراسة الصليبيين إلى عسقلان ، وشحنت البلدة بعساكر الصليبيين ، واتخذت قاعدة لهم .

وظلت أرسوف تحت سيادة الصليبيين حتى هزيمتهم الساحقة في معركة حطين * سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م ، فدخلت مع أغلب قلاع الإفرنج في فلسطين في حوزة صلاح الدين الأيوبي * .

ولما أرسلت أوربا الحملة الصليبية الثالثة (٥٨٥ - ٥٨٨هـ / ١١٨٩ - ١١٩٢م) وسقطت عكا * بأيدي الفرنجة * سنة ٥٨٧هـ / ١١٩١م ، أخذوا يزحفون جنوباً باتجاه أرسوف بؤ ازرهم أسطولهم الذي كان يبحر بمحاذاة الشاطىء .

اختار السلطان صلاح الدين الأيوبي سهلاً صالحاً للملاقاة العدو قرب أرسوف من الجهة الشمالية ، وسبق بجنده إليه ، وما أن بلغ الصليبيون ذلك السهل حتى أحدقت بهم عساكر المسلمين . لكن الصليبيين اخترقوا الصفوف ، واستولوا على أرسوف سنة ٥٨٧هـ / ١١٩١م .

أقام الصليبيون في أرسوف قلعة وعدة أبنية ، وأصلحوا ميناءها ، وأخضعوها لنظامهم الاجتماعي والاقتصادي ، وظلّت في أيديهم إلى عهد سلطنة الظاهر بيبرس * الذي قاد حركة الجهاد لتطهير البلاد من الصليبيين ، وحاصرت جيوشه بلدة أرسوف سنة ٦٦٣هـ / ١٢٦٥م ، وكانت البلدة آنذاك بيد الإسبتارية * الذين كانوا قد حصّنوها وشحنوها بالعساكر والمؤن . إلاّ أن ذلك لم يغن عنهم شيئاً ، فاستولى المسلمون على هذه البلدة ، ودكّوا أسوارها واستسلمت حاميتها بعد أربعين يوماً من الحصار ، وغنم المسلمون من قلعتها كثيراً من الأموال والذخائر .

رأى السلطان الظاهر بيبرس أن يخرّب أرسوف ، وأن يهدم أسوارها وقلاعها كي لا يعود الصليبيون إليها . وأقطع أراضي أرسوف أمراء المماليك ، وعمّر قلعة قاقون - قرب الرملة - عوضاً عن أرسوف وقلعتها . وذكر أبو الفداء (توفي ٧٣٢هـ / ١٣٣١م) أن أرسوف كانت في عهده خراباً ليس بها ساكن .

غدت أرسوف بعد تدميرها أطلالاً ، وظلّت غاباتها النفرقة التي امتدت من العوجا * حتى جبل الكرمل * ، تجذب الصيادين لكثرة ما بها من حيوانات ، كما تردد الحطابون إلى غاباتها ، والمزارعون إلى سهولها المعروفة بخصبها ووفرة إنتاجها وكثرة مراعيها ، فعاد بعض الناس واستقروا بالقرب منها . ومما أعان على ذلك قناطرها التي أقامها نائب غزة المملوكي سنجر الجاولي (ت ٧٤٥هـ / ١٣٤٥م) ، فنشأت بالقرب من أرسوف قرية الحرم التي عرفت أحياناً باسم سيدنا علي نسبة إلى علي بن عُلَيْل المدفون فيها ، واعتاد الناس إقامة موسم لزيارته والتبرك به صيف كل عام

المراجع :

- ابن شدّاد : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، القاهرة ١٩٦٤ .
- رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، بيروت ١٩٦٧ - ١٩٦٩ .
- العماد الأصفهاني : الفتح القسي في الفتح القدسي ، القاهرة ١٣٢٢هـ .
- فيليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، بيروت ١٩٥٩ .
- مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، بيروت ١٩٧٢ .
- المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ليدن ١٩٠٩ .
- المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك ، القاهرة ١٩٥٦ .

الأرض (أصناف ـ) :

يعتمد تصنيف الأرض على أسس طبيعية أهمها التربة والانحدار والصرف . وعلى ضوء هذه الأسس تقسم الأرض إلى فئتين رئيستين هما : الأرض القابلة للزراعة ، والأرض غير القابلة للزراعة . وتضم كل من الفئتين في فلسطين أربع مجموعات . وإذا كانت مجموعات الفئة الأولى تصلح للاستعمال الزراعي أولاً ، وللاستعمالات الأخرى بصورة ثانوية ، فإن مجموعات الفئة الثانية تصلح فقط للاستعمالات الأخرى من نمو غابات وأعشاب طبيعية ، إلى مبان وإنشاءات عامة .

يبلغ مجموع مساحة أراضي فلسطين ٢٦,٣٢٣,٠٢٣ دونماً ، منها ٩,٢٠٥,٥٣٨ دونماً من أراضي الفئة الأولى القابلة للزراعة ، ونحو ١٧,١١٧,٤٨٥ دونماً من الأراضي غير القابلة للزراعة . وقد صنّفت هذه الأراضي ، حسب الدراسة التي قامت بها اللجنة الأميركية البريطانية سنة ١٩٤٦ ، على النحو التالي :

أ ـ الأراضي الجيدة : وتقسم إلى مجموعتين :

١) المجموعة الأولى : تضم السهل الساحلي * حيث الأراضي المنبسطة ، والتربة الطفلية الخصبة ، والموارد المائية الكافية . وتصلح أراضي هذه المجموعة لزراعة جميع أنواع المحاصيل الزراعية ، ولا سيما الحمضيات * والخضر * والنباتات العلفية .

٢) المجموعة الثانية : وهي أراضي سهل عكا * ومرج ابن عامر * وسهل بيسان والجزء الشمالي من وادي الأردن الأدنى (ز : الغور) وسهل الحولة * . تتميز هذه الأراضي بتربتها الطمية السميكة الصالحة لزراعة مختلف أنواع المحاصيل الزراعية . وإذا توافرت وسائل الري أمكن قيام زراعة كثيفة في هذه الأراضي .

ب ـ الأراضي المتوسطة : وتقسم أيضاً إلى مجموعتين هما

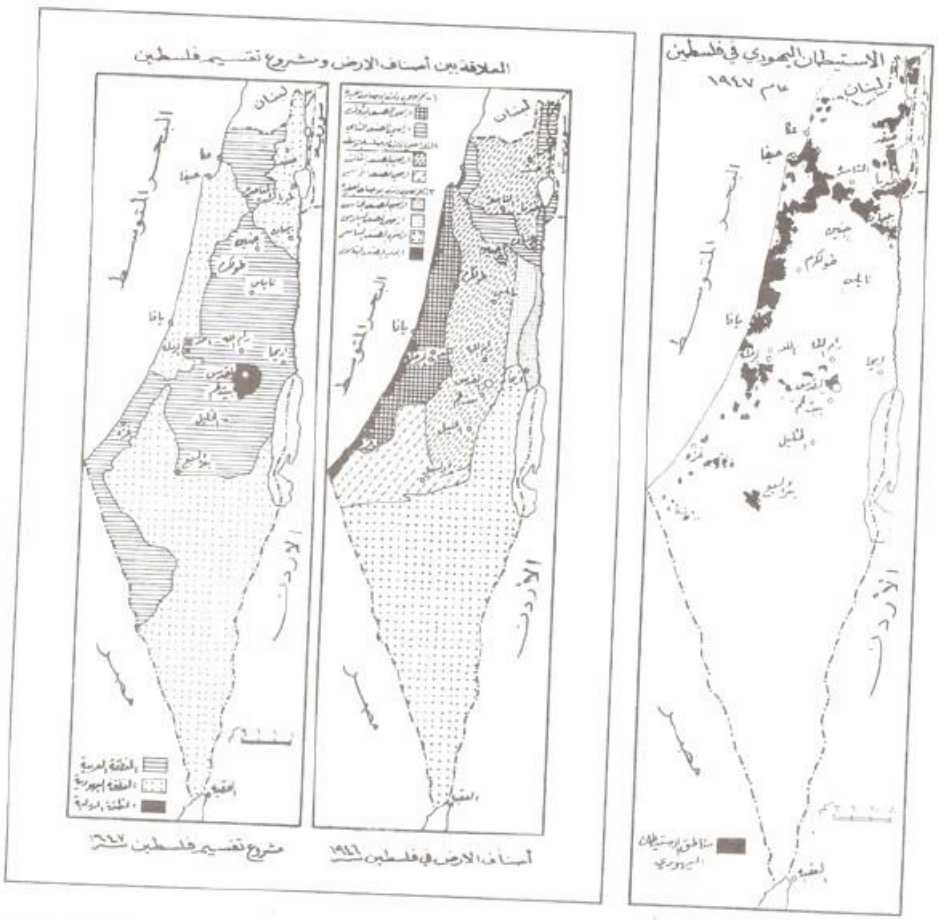

المجموعتان الثالثة والرابعة من مجموعات فئة الأراضي القابلة للزراعة :

١) المجموعة الأولى : تضم الأراضي في مرتفعات الجليل ونابلس والقدس والخليل . وهي تمتد على طول المرتفعات الجبلية (باستثناء مرج ابن عامر) من الحدود اللبنانية شمالاً حتى جنوبي قرية الظاهرية * جنوباً . وتتفاوت الأرض فيها بينها بحسب درجة انحدارها ، فبعضها يجمع بين الانبساط والتموج ، وبعضها ينحدر انحداراً متدرجاً ، في حين تنحدر بعض السفوح بشدة ، وتتخللها صخور نائتة . والتربة في أراضي هذه المجموعة رقيقة أو منجرفة بصفة عامة ، لكنها في الأودية الجبلية سميكة . وتصلح هذه الأراضي لزراعة أشجار الزيتون * والعنب * والفواكه والحبوب * .

٢) المجموعة الثانية : تتركز أراضي هذه المجموعة في الجزء الشمالي الغربي من النقب * ، في منطقة مثلثية الشكل ، قاعدتها المنطقة بين رفح * وبير السبع * ، وضلعاها طريق الفالوجة ـ بير السبع ، وطريق الفالوجة ـ رفح . وتتفاوت أراضي هذه المجموعة ، فهي حوضية أحياناً كما في حوض بير السبع ، وتلية أحياناً أخرى كما

في الجهات المحيطة بحوض بير السبع والممتدة غرباً حتى رفح ، وسهلية منبسطة أحياناً ثالثة كما في الجزء الجنوبي من السهل الساحلي الفلسطيني . كذلك تتفاوت أنواع التربة أيضاً ، فهي لوسيّة في الجهات الجنوبية ، وطفلية طينيّة في الجهات الشمالية . المناخ شبه صحراوي في الجنوب ويضرب من المناخ البحري المتوسطي في الغرب والشمال . أما الزراعة * فهي محدودة بسبب قلة الأمطار وعدم انتظامها . فالأرض الزراعية تعتمد هنا على المطر أساساً . وقد تحول بعضها في السنوات الأخيرة إلى أراض مروية . وتسود في أراضي هذه المجموعة زراعة الحبوب ، ولا سيما الشعير ، بالإضافة إلى بعض أنواع الخضر .

حـ ـ الأراضي الفقيرة : وتقسم إلى أربع مجموعات : (من المجموعة الخامسة حتى الثامنة) .

١) المجموعة الأولى : وتمثلها الأراضي المنخفضة في الجزء الجنوبي من وادي الأردن الأدنى ، حيث التربة المحلية أحياناً ، والأرض الوعرة أحياناً أخرى . وتنمو أعشاب الرعي خلال فصل الشتاء ، في حين تزرع رقاع قليلة من الأرض التي تتوافر فيها مصادر المياه للري .

٢) المجموعة الثانية : توجد أراضي هذه المجموعة في السفوح والمنحدرات الشرقية لمرتفعات نابلس والقدس المطلة على وادي الأردن . والتربة هنا رقيقة تعلو الجفاف * ، لذلك تنمو الأعشاب الفقيرة الصالحة للرعي . وتقوم زراعة في الجهات التي تتوافر فيها المياه .

٣) المجموعة الثالثة : وتوجد في برّية القدس والخليل المحصورة بين المرتفعات الجبلية والبحر الميت * . وهي أراض وعرة تنمو فيها الأعشاب الفقيرة . كذلك توجد أراضي هذه المجموعة في الشق الأوسط والجنوبي حيث الوعورة النسبية والتربة الفقيرة التي لا تسمح إلا بنمو الأعشاب القصيرة ، والزراعة المحدودة جداً حول مصادر المياه .

٤) المجموعة الرابعة : وهي الكثبان الرملية محاذاة شاطىء البحر المتوسط . ولا تصلح الا بعد زراعة الأحراج والحشائش فيها عشر سنوات على الأقل .

د ـ أهمية أصناف الأرض السياسية : إن إلقاء نظرة على خريطة أصناف الأرض وخريطة الاستيطان الصهيوني في فلسطين يوضح مدى الارتباط الوثيق بين هذا الاستيطان والأصناف الجيدة للأرض . لقد كان الصهيونيون يمتلكون عام ١٩٤٥ نحو ١٣٪ من مجموع مساحة الأراضي الصالحة للزراعة في فلسطين فقط . لكن هذه النسبة العامة لا تعطي صورة صحيحة عن قيمة الأراضي التي وقعت في يد الصهيونيين ، فمعظمها من أراضي السهول الخصيبة حيث التربة الغنية ، والمياه المتوافرة ، والمناخ المعتدل .

وقد قدرت قيمة الأراضي التي يملكها الصهيونيون بمقياس نوع الزراعة وخصب التربة بنحو ٢٤٪ من مجموع مساحة الأراضي الصالحة للزراعة . وهي نسبة عالية إذا قيست بنسبة الأرض العربية الصالحة للزراعة من مجموع ممتلكات العرب وهي ٦٠٪ تقريباً . لقد أخذ الاستيطان الصهيوني منذ البداية يستولي على أجود الأراضي الزراعية ، ويسيطر على السهول الساحلية والداخلية ، كالسهل الساحلي وسهل عكا وسهل مرج ابن عامر وسهل بيسان وسهل الغور الشمالي بين بيسان * وبحيرة طبرية * وسهل الحولة وغيرها . وتركزت ملكية الصهيونيين في أكثر المناطق خصباً داخل كل قضاء ، فكانوا يملكون ٤٥٪ من مجموع مساحة الأراضي الزراعية في قضاء طبرية ، و ٤٠,٩٪ من مجموعها في قضاء حيفا ، و ٤٠,٨٪ في قضاء بيسان ، و ٣٧٪ في قضاء الناصرة ، و ٣٥,١٪ في قضاء يافا ، و ٢٥٪ في قضاء صفد ، و ٢٠,٨٪ في قضاء طولكرم ، و ١٦,٨٪ في قضاء الرملة ، و ١١,٩٪ في قضاء غزة . أما الأقضية الأخرى التي نقل فيها الأراضي الخصبة فقد نجت من أيدي الصهيونيين ، لذا لم يتملكوا في قضاء القدس سوى ٣,٩٪ من مجموع مساحة الأراضي الزراعية ، و ٢,٨٪ من مجموعها في قضاء بير السبع ، و ٢,٦٪ في قضاء عكا ، و ٠,٩٪ في قضاء جنين ، و ٠,٧٪ في قضاء الخليل و ٠,٠٢٪ في قضاء رام الله .

وكانت الوكالة اليهودية * تمتلك ٥٨ مستعمرة زراعية عام ١٩٣٠ ، مساحة أراضيها ١٤٤,٢٢٤ دونماً ، منها ١٣٠,١٩٠ دونماً صالحة للزراعة ، بينما ١٢٢,٠٠٣ دونمات مزروعة فعلاً (تقرير السير جون هوب سمبسون *) . ويعني هذا أن نسبة مساحة الأراضي الصالحة للزراعة كانت ٩٠,٢٧٪ من مجموع مساحة أراضي المستعمرات الصهيونية في ذلك العام ، وأن نسبة الأراضي المزروعة تبلغ ٨٤,٥٩٪ من هذا المجموع . وقد بلغ مجموع الأراضي التي كان يملكها الصهيونيون في عام ١٩٤٥ نحو ١,٥٨٨,٣٥٦ دونماً ، منها ١,١٧٦,٦٤٥ دونماً صالحة للزراعة ، أي أن نسبة الأراضي الصالحة للزراعة بلغت زهاء ثلاثة أرباع مجموع ما كان يملكه الصهيونيون في ذلك العام .

وقد كانت جميع مشروعات التقسيم التي اقترحتها اللجان المختلفة تعطي الصهيونيين أحسن أصناف الأراضي وتترك للعرب الأراضي الفقيرة . (فالدولة اليهودية) حسب مشروع التقسيم الذي وافقت عليه الجمعية العامة للأمم المتحدة في ١٩٤٧/١١/٢٩ مثلاً تضم الغور الشمالي من وادي نهر الأردن الأدنى بين طبرية وبيسان ، وسهل مرج ابن عامر ، وسهل بيسان ، ومعظم السهل

الساحل وقضاء بير السبع المشتمل على النقب. ومعظم هذه المناطق من الأراضي ذات الأصناف الجيدة (ر : تقسيم فلسطين) . أما الدولة العربية المقترحة فتضم منطقة الجليل الغربية ، والأراضي الجبلية في أقضية نابلس ورام الله والقدس والخليل (عدا مدينة القدس) ، والسهل الساحلي الجنوبي الممتد من أسدود * حتى الحدود المصرية . ومعظم أراضي هذه الدولة من الأصناف المتوسطة أو الفقيرة .

وإذا قدّر حدّ السكان الأعلى الذين يمكن أن يعيشوا في الأراضي العربية المقترحة بحسب أصنافها ومساحة ما يلزم منها لكل أسرة (وهذا ما سارت على أساسه لجنة التقسيم فيما زعمت) كان العدد ٣٤٣,٢٧٠ نسمة فقط . في حين أن العدد الواقعي للسكان الذين كانوا يعيشون فيها بلغ ٨٧٦,٩٠٠ نسمة . وهذا يعني أن الأراضي العربية وفق مشروع التقسيم لم تكن تكفي إلا ٤٣٪ من السكان العرب سنة ١٩٤٧ . ويتبين من إحصاء آخر أن أراضي لواء الجليل تكفي ٤٦٪ من سكانها الفلاحين العرب ، وأراضي لواء حيفا تكفي ٢٧٪ منهم ، وأراضي لواء نابلس ٢٩٪ ، ولواء القدس ٣٢٪ ، ولواء اللد ٧٠٪ ، ولواء غزة ٦٦٪ . أما الأراضي التي كان اليهود يمتلكونها في هذه الألوية فتكفي السكان القرويين الصهيونيين جميعاً (١٠٠٪) .

وقد عنى الاستعمار الاستيطاني الصهيوني بشراء الأراضي الزراعية . فعلى الرغم من أنه لم يكن يملك حتى عام ١٩٤٨ سوى ٥,٦٪ من مساحة فلسطين العامة ، كان يملك في الحقيقة ٢٠٪ من مجموع مساحة الأراضي الزراعية آنذاك ، أي بزيادة ٧٪ عن نسبة ما كان يمتلكه سنة ١٩٤٥ . وقام الإقطاع الزراعي بدور كبير في تسهيل استيلاء الصهيونيين على هذه الأراضي ، فقد كانت نسبة الأراضي الزراعية التي باعها للصهيونيين الملاّك الاقطاعيون الغائبون (المقيمون خارج فلسطين) مرتفعة ، بلغت بين عامي ١٩٢٠ و ١٩٣٦ نحو ٥٥,٥٪ من مجموع ما اشتراه الصهيونيون من الأراضي الزراعية . وكانت نسبة الأراضي المتنازل عنها من الملاك الغائبين نحو ٣٣٪ ، في حين كانت نسبة الأراضي المتنازل عنها من الفلاحين في المدة نفسها نحو ١١,٥٪ من مجموع ما اشتراه الصهيونيون من أراض فلسطينية ، علماً بأن ١٣,٤٪ من الأراضي التي امتلكها الصهيونيون منحتهم إياها الحكومة المنتدبة . وقد استخدمت القوة المسلحة في طرد ٢,٧٤٦ أسرة عربية من ٢٢ قرية في سهل مرج ابن عامر ، و ١٥,٥٠٠ عربي من وادي الحوارث * ، و ١٥,٠٠٠ عربي من سهل الحولة ، وألوف آخرين من أراضي الساحة * ، وغور بيسان ، وطبعون * ، والزبيدات ، والمنسي * وغيرها . وفي صيف سنة ١٩٢٠ اشترى الصهيونيون الأرض الأولى في سهل مرج ابن عامر ، وهي أكبر قطعة اشتريت حتى ذلك الوقت ، وبلغت مساحتها ٨٠,٠٠٠ دونم ، وعليها عدد من القرى العربية ، وكانت تخص عائلة سرسق اللبنانية .

هـ ـ أهمية أصناف الأرض الاقتصادية : تساعد معرفة أصناف الأرض في الكشف عن قابليتها للاستغلال . وقد استعان الاستعمار الاستيطاني الصهيوني بخريطة توزيع أصناف الأرض في اختيار مناطق الاستيطان وتوجيهها لاستخدامها في الأغراض الزراعية أو الصناعية ، أو في تشييد الأبنية والمنشآت الأخرى .

وبسبب تركز معظم الاستيطان الصهيوني في الأراضي ذات الأصناف الجيدة كانت مهمة استخدام هذه الأراضي يسيرة ، وتكاليف استغلالها منخفضة . وقد اعتمد الصهيونيون على الزراعة الكثيفة المختلفة التي تدر أرباحاً كبيرة . في حين انتزعت من الفلاحين العرب أخصب الأراضي بطرق بشعة كثيرة الالتواء . وتعرضوا للطرد من أراضيهم وحرمانهم منها ، فأصبح أكثر من ثلث سكان القرى العربية بلا أرض . أما الباقون فكانت أراضيهم من الأصناف المتوسطة والفقيرة ، ولا سيما في القرى الجبلية .

كان وضع هؤلاء الفلاحين الاقتصادي في أيام الانتداب البريطاني سيئاً ، بسبب إرهاقهم بالضرائب وفوائد المرابين والمصارف . لذا عاشوا في فقر ، دون عون أو قدرة على التقدم . وقد أثرت أحوالهم في الوضع الإنتاجي للمحاصيل الزراعية ، فالقدرة الإنتاجية لدونم الأرض الزراعية الصهيونية كانت أكثر ارتفاعاً من مثيلتها في الأرض الزراعية العربية ، لأن الأرض الأولى جيدة ، وزراعتها كثيفة ومختلطة ومروية . أما الأرض الثانية فراسمة وزراعتها غير مختلطة وبعلية .

ورغم ذلك نجح الفلاح العربي ، بجدّه واجتهاده وصموده ، في رفع إنتاجه الزراعي ليناقس الإنتاج الصهيوني ، بفضل قوة ارتباط الفلاح العربي بأرضه ، وخبرته القديمة بها ، ومعرفته الحقيقية بخواصها ، في الوقت الذي كان الصهيوني يكره الزراعة بطبعه ، ولا سيما في أرض يعلم أنها ليست له .

المراجع :

ـ عسان العامري : التطور الزراعي والصناعي الفلسطيني ١٩٠٠ ـ ١٩٧٠ ، بيروت ١٩٧٤ .

ـ معهد البحوث والدراسات العربية : الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين ، ج ١ ، القاهرة ١٩٧٥ .

ـ المكتب العربي بالقدس : مشكلة فلسطين ، النشرة الثانية المعروضة على لجنة التحقيق البريطانية الأميركية للنظر فيها خلال شهر آذار ١٩٤٦ ، القدس ١٩٤٦ .

— The Anglo - American Committee of Inquiry: A Tentative Land

Classification Map, **Survey of Palestine** 1946.

— Hadawi, S.: **Village Statistics 1945**, New York 1957.

— Hadawi, S.: **A classification of Land and Area Ownership in Palestine**, Beirut 1970.

الأرض (حـركـة ـ) :

حركة سياسية قومية عربيـة تأسست في الجزء الذي احتل من فلسطين عام ١٩٤٨ نتيجة غياب أي تنظيم قومي يمثل نضال الشعب العربي الفلسطيني في هذه المناطق . وقد سبق هذه الحركة بعض المحاولات البرامية إلى خلق حزب عربي باءت جميعاً بالفشل ، إلى أن استطاع فريق من عرب فلسطين سنة ١٩٥٨ إنشاء الجبهة العربية التي سميت فيما بعد الجبهة الشعبية الديمقراطية * .

بقيت الجبهة تعمل من أجل تحقيق أهدافها العـامة إلى أن دب الخلاف بين الجناح القومي والشيوعيين فيها ،وعندها بـدأ أصحاب الخط القـومي ، وعلى رأسهم منصـور كـردوش وحبيب قهوجي ، بالتفكير بشكل جدي في إنشاء حركة عربية مستقلة داخل فلسطين . وعلى هذا الأساس دعا كردوش وقهوجي إلى اجتماع حضره كل من محمود السروجي ، وعبد الرحمن يحيى من عكا " ، وتوفيق سليمان عودة ، وحنا مسمار من الناصرة " ، وزكي البحري من حيفا " . وكـان هذا الاجتمـاع الذي عقد في نيسان ١٩٥٩ هـو الاجتماع التأسيسي « لحركة الأرض » . وقد تم اختيار هذا الاسم للدلالة على تعلق الفلسطينيين بأرضهم . وتقرر في هذا الاجتماع تأسيس صحيفة علنية بالاسم نفسه ، ووزعت الحركة بياناً جاء فيه إن الجناح القومي في الجبهة الشعبية الـديمقراطية يعلن أنه جزء من الشعب العربي الفلسـطيني الذي هو بدوره جزء من الأمة العربية ، وأن هـذا الجناح يناضل داخـل البلاد من أجـل المساواة التامة بين العرب واليهود . وطالب البيـان (إسرائيـل) بأن تنتهج سياسة تتضمن الاعتراف " بأن الحركة القومية العربية هي الحركة الحاسمة في المنطقة وان على إسرائيل أن تقطع ما بينها وبين الحركـة الصهيـونية من صلة " كما طـالب البيـان " بعـودة اللاجئين إلى اراضيهم وأملاكهم " .

وقد اعتبرت الحركة أن أي طـرح من قبلها بـإلغاء الاعتـراف الظاهري (بإسرائيل) يعني قضاء السلطات الإسرائيلية الفوري على الحركة في مهدها ،ولذلك تـلافت هذا الأمـر ، وطرحت شعارات عـامة لا تعـرّضها للخـطر المباشـر ، وتؤدي بـالحقيقـة إلى تقريـغ (إسرائيل) من مضمونها .

بعد البيان طالبت « الحركة » السلطات الإسرائيليـة بالحصـول على ترخيص لإصدار جريدة خاصة بها . إلا أن السلطات ماطلت في الرد على هذا الطلب ، فلجأت قيادة « الأرض » إلى طريقة تدور بها على القانون ، إذ وجدت أن هذا القانون يبيح لكل مواطن أن يصدر نشرة لمرة واحدة دون ترخيص . وبدأ أفراد « الأرض » ، كل بدوره ، يصدرون الجريدة باسم جديد ، فصدر العدد الأول بعنوان « الأرض» مـوقعـاً بـاسـم حبيب قهوجي ، وكـان أشبـه بـالمجلة من حيث مواضيعه ، ثم صدر العدد الثاني بعنوان « الأرض الطيبة » موقعاً بـاسم منصور كـردوش ، والعـدد الثـالث بعنـوان « شـذى الأرض » موقعاً باسم صبري جريس ثم أعداد أخرى بعناوين مختلفة مثل «نداء الأرض» و«هذه الأرض» .وبعد العدد السادس شنت السلطة حملتها على «الأرض» واعتبرت أن عملها ينافي القانون ويعرّض أمن الدولة للخطر . وبـدأت السلطات تمارس مع أفراد « الأرض » سياسة الترهيب والترغيب لـدفعهم نحـو الكف عن إصدار الجريدة . وفي أواخر كانون الثاني ١٩٦٠ عقد مستشار رئيس الحكومة للشؤون العـربية شمـوئيل ديفـون مؤتمراً صحـافياً في تـل ابيب " شن فيه هجوماً عنيفاً على جماعـة « الأرض » . وأعلنت السلطات الإسرائيلية على أثره الجريدة وصادرت أعدادها ، بعد أن صدر منها ١٣ عدداً ، وقدمت ستة من محرري الجريدة إلى المحاكمة بتهمـة التحايـل على القـانون وإصـدار جـريـدة بـدون تـرخيص . وهؤلاء الستة حسب ما وردت أسمـاؤهم في لائحة الاتهـام هم : حبيب قهـوجي ، منصـور كـردوش ، صـالـح بـرانـسي ، محمـود السـروجي ، إلياس ممـرر ، صبري جريس . غير أن هذه الخطوة لم تمنع جماعة « الأرض » من محاولتها إعادة تنظيم نفسها ، فعملت على إقامة « شركة الأرض المحدودة » للطباعة والنشر . وكان الهدف من هذه الشركة الحصول على وسيلة مشروعة لإصدار الجريدة مجدداً ، إضافة إلى تـأمين غـطاء مناسب للعمـل السياسي ، ومـورد مـالي للحركة . وبعد صراع طويل مع مسجل الشركات ، أقرت المحكمة العليا تسجيل الشركة في أواخر ١٩٦٠ . وقد بيعت أسهم الشـركة إلى مؤسسي « الأرض » ومؤيديهم .

وحتى ذلك التاريخ لم تكن « الأرض » قد اتخذت لنفسها شكل تنظيم حزبي محدد ، كما أنها لم تطلق على نفسها في البداية « حركة الأرض» ، وإنما سمت نفسها بأسماء مختلفة ،مثل أسرة الأرض ثم جماعة الأرض وشركة الأرض وأخيراً حركة الأرض . وبعد أن استوفى أصحاب « الشركة » كافة الشروط القانونية تقدموا بطلب لإصدار جريدتهم ، إلاّ أن طلبهم هـذا رفض بحجة أن المحرر المسؤول صالح برانسي لا يحمل الشهادة الثانوية الإسرائيلية . ثم تبع ذلك عدة محاولات فشلت جميعها . وأخيراً أعلنت الحركة سنة ١٩٦٤ مذكرة مطولة عن أوضاع العرب في (إسـرائيـل) والمظالم التي

يتعرضون لها ، وأرسلت نسخاً من المذكرة إلى الأمين العام للأمم المتحدة ، وإلى الصحف العالمية والشخصيات المعروفة دولياً . وقد أثار هذا العمل السلطات الإسرائيلية ، وبدأت تفكر جدياً بتصفية « الأرض » وقروعها ، خاصة أن هذه الجماعة تمكنت من إقامة خمسة عشر نادياً ثقافياً ورياضياً في القرى العربية ، ولا سيما في قرى المثلث .

وبعد إعداد المذكرة حاولت « الأرض » تسجيل نفسها كحزب سياسي ، وأعلنت في منتصف تموز ١٩٦٤ قيام حركة الأرض ، ووضعت لنفسها أهدافاً تنص على حق الفلسطينيين في تقرير مصيرهم في نطاق الأماني العليا للأمة العربية . غير أن السلطات الإسرائيلية رفضت السماح لحركة الأرض بالتسجيل كحزب سياسي واعتبرتها جمعية تهدف إلى المس بكيان (الدولة) وبسلامتها ، وطالبتها بحل نفسها . ثم قامت السلطات بعد ذلك باعتقال قيادي الحركة ، وما لبث أن أصدر ليفي أشكول رئيس وزراء (إسرائيل) آنئذٍ قراراً بحل شركة الأرض وحركة الأرض واعتبارهما خارجتين على القانون .

بقي نشاط حركة الأرض مجمداً حتى سنة ١٩٦٥ ، إذ عادت الحركة للظهور مجدداً ، ولآخر مرة . ولما كان مقرراً في هذه السنة أن تجري الانتخابات العامة للكنيست * ، قرر أعضاء الحركة خوض معركة الانتخابات ، وأعدوا قائمة باسم « القائمة الاشتراكية » . وكان على رأسها صالح برانسي يليه حبيب قهوجي ، ثم صبري جريس ، وسبعة آخرون ، آخرهم منصور كردوش . أي ان القائمة كانت تضم أربعة من قيادي الحركة إضافة إلى ستة من مؤيديها . غير أن السلطات الإسرائيلية ردت على هذه الخطوة بنفي القياديين الأربعة إلى أماكن مختلفة من فلسطين لتفوت عليهم فرصة الاشتراك في الانتخابات . كما فرضت في الوقت نفسه الإقامة الجبرية على نشيطي الحركة ، وأوعزت إلى لجنة الانتخابات برفض ترشيح القائمة ، واتخذ قرار بهذا الشأن . وقد كان هذا الإجراء نهاية نشاط حركة الأرض العلني . وعشية حرب ١٩٦٧ * قامت السلطات الإسرائيلية باعتقال قيادة الحركة وبعض أعضائها . وفي شهر أيار ١٩٦٨ طردت السلطات الإسرائيلية حبيب قهوجي من فلسطين المحتلة بعد اعتقاله مع زوجته إعتقالاً إدارياً دام أكثر من سنة ، فتوجه إلى قبرص ثم لبنان فسورية . كما غادر صبري جريس فلسطين متوجهاً الى أثينا فلبنان .

المراجع :

- حبيب قهوجي : العرب في ظل الاحتلال الإسرائيلي منذ ١٩٤٨ ، بيروت ١٩٧٢ .
- صبري جريس : العرب في إسرائيل ، بيروت ١٩٧٣ .
- شؤون فلسطينية : ندوة مع حبيب قهوجي ، العدد الأول ١٩٧١ .

الأرض (شركة ـ المحدودة للطباعة والنشر) :

رَ : الأرض (حـركة ـ)

الأرض (مجـلـة ـ) :

رَ : الأرض للدراسات الفلسطينية (مؤسـسـة ـ)

الأرض (ملـكيـة ـ) :

كان قانون الأراضي العثماني هو أساس قواعد حيازة الأرض في فلسطين حتى سنة ١٩٤٧ . ورغم كل ما أدخل على صورة « الخط الهمايوني » من تعديل وتبديل فإن التصنيف الحالي لأراضي الدولة إلى ثلاث معينة هو التصنيف نفسه الذي اصطلح عليه القانون المشار إليه عندما قسم الاراضي الكائنة في بلاد الدولة العلية خمسة أقسام تشمل ـ وإن استدلت تسميات بأخرى في الوقت الحاضر ـ أراضي : الميري ، والمتروكة ، والموات ، والملك ، والأوقاف . وترجع ملكية الفئات الثلاث الأولى في الواقع ـ وتمثل حق الرقبة في النظام الإسلامي ـ إلى خزينة الدولة ، كبديل لبيت المال .

أ ـ الميري : أهم هذه الفئات الثلاث من حيث الرقعة والإنتاج ، وقد شملت في فلسطين والأردن مختلف المساحات الزراعية ، فضلاً عن بعض أراضي المراعي والأحراج . وقد وضعت هذه المساحات منذ العهد العثماني تحت تصرف أهالي القرى والعشائر ، مجتمعين أو فرادى ، مقابل دفع ضريبة العشر . وعندما صدر قانون « الطابو » كان على المنتفعين بأراضي الميري استصدار سندات تسجيل مقابل مبلغ من المال دعي « بدل المثل » . لكن هذا التسجيل لم يكن لينقل ملكية الأرض ـ أي يعطي حق الرقبة ـ إلى المنتفع نقلاً كاملاً ، بل ظلت الملكية الحقيقية للخزينة ، بحيث يمكن للدولة استردادها في أي وقت شاءت ، وليس للحائز سوى حق التصرف أو الانتفاع فقط ، وبالتالي لم يكن له الحق في التنازل عنها لآخر ، أو استبدال غيرها بها ، او إقامة مبان عليها ، أو غرس أشجار فيها دون إذن مسبق من السلطات الحكومية المعنية . ولم يكن له أيضاً الحق في رهن الأرض أو وقفها . ويجري هذا كله خلافاً للمفاهيم السائدة في مصر والعراق حيث يقتصر لفظ «ميري » على الأراضي التي تملكها الدولة فعلاً وتقل في حوزتها .

لكن معظم هذه المحظورات ألغيت منذ سنة ١٩١٢ ، وأصبح حائز الميري شبه مالك لأرضه ، وتلاشى حق الخزينة من الناحية العملية فلم يبق منه سوى شكليات معينة لعدم جواز تحويل الأرض إلى أوقاف ، أو إدخالها ضمن وصية ، لأن نظام توريث الميري منصوص عليه في القانون ، ويموجبه يعطى الذكر من الأبناء مثل حظ الأنثى تماماً ، وترث الزوجة ربع المساحة . فإن لم يوجد من هؤلاء أحد ورثت الأرض للأقارب بالترتيب حسب درجات القرابة . فإن لم يوجد أقارب ، ولم يطالب أحد بالأرض ، صارت محلولة بحكم القانون .

كان القصد من إقرار مبدأ الميري كمفهوم تشريعي قانوني إقناع الناس بأن حق الانتفاع بالأرض هو منّة وهبة من قبل الدولة العليّة ، وفضل تمنحه من تشاء تكريماً لجهوده ، ما لم يخالف مبادىء التفويض . ومن ثَمَّ كان قانون « المحلولات » تشريعاً مكمّلاً لمفهوم الميري تستطيع الدولة بموجبه أن تستعيد المنحة من أيدي المهملين . ولكن هذا الحق (المحلولات) الذي قصد به تنشيط الاقتصاد الزراعي بإعطاء الأرض لمن يرعاها ويفلحها ، وتوزيعها بشيء من العدالة فلا تتراكم لدى ناس دون آخرين ، ظل معطلاً فلم يطبق في الواقع على المهملين ، بقدر ما طبق في الحالات التي أرادت فيها الدولة امتلاك مساحات كبيرة من الأرض ، على نحو ما فعلت بقرابة مليوني دونم في المناطق التي مرّ بها خط سكة حديد الحجاز عبر شرقي الأردن . كذلك فعلت السلطات بكثير من الأراضي الزراعية الخالية في الأردن وفلسطين ، فأعلنتها محلولة ، وأسبغتها ريثما وطّنت المهاجرين الشركس * في بعضها ، وباعت أو أهدت بعضها الآخر .

ب ـ المتروكة : وتسمى بالتعبير السائد اليوم « المنافع العامة » . والأراضي المتروكة قسمان : يشمل الأول منهما الأراضي المخصصة لاستعمال جميع أهالي البلاد ، كالمسطحات المائية من بحار وبحيرات وأنهار وعيون ، ومجاري سيول الأودية ، والطرق العامة وما شابهها . وليس لأي إنسان ، ولا لأية جماعة ، حقوق خاصة في هذه الأراضي . والقسم الثاني من الأراضي المتروكة هو ما خصص للارتفاق العام ، وينحى جانباً لاستعمال أهالي قرية أو مدينة ، أو مجموعة من القرى المتجاورة . من هذه الأراضي السروايا الطبيعية المستخدمة للرعي * ، والأحراج التي يحتطب منها ، وأراضي البيادر أو أجران الغلال ، والمقابر (التي آلت فيما بعد إلى الأوقاف) وأماكن الصلاة والساحات والأسواق . وقد كانت أمثال هذه الأراضي في الأصل ضمن فئة الميري ، وتحولت ـ عرفياً ـ إلى متروكة ، خدمة لمراكز العمران المجاورة ، دون استصدار فرمانات سلطانية قاضية بذلك رسمياً ، على نحو ما كان متبعاً في كثير من أنحاء الامبراطورية العثمانية . فهي من هذه الناحية ميري غير مشغولة يحرم استعمالها للزراعة او للبناء من قبل الأهالي . كما أنه لا ينص فيها صراحة أو ضمناً على أية حصص معينة مخصصة للأفراد أو للجماعات ، فكل من أراد انتجاع المرعى أو الاحتطاب فليس ثمة من يمنعه . ولكن هذا لا يعني حصول أحد على أي حق من حقوق الملكية في الأراضي المتروكة .

ولما كان الرعي هاماً في حياة سكان فلسطين فإن مساحات مترامية من الأراضي البور غير الصالحة للزراعة قد ضمت إلى المتروكة . وأهم هذه الأراضي سفوح التلال * الصخرية الوعرة ، وأراضي الأحراج التي كانت في وقت ما ضمن فئة الموات ، فضلاً عن بطون الأودية الحجرية المهملة ، ومسطحات الغياض الساحلية في غرب فلسطين . وقد كان بالستطاع استغلال رقاع لا بأس بها من هذه المناطق في الزراعة * بعد استصلاحها وإجراء التحسينات اللازمة عليها ، وهي أمور لم تكن تستدعي عملاً مضنياً ، خاصة أن الحكومة كانت بحاجة إلى امتلاك المزيد من الأراضي ، لكن الأهالي عارضوا بشدة تلك الإجراءات ، لأن المتروكات ملك جماعي ومنافع مشتركة لقراهم . وقد انضم إليهم البدو ممن كانوا يرتادون هذه المراعي .

وعندما بدأت عمليات تسوية الأراضي في فلسطين سنة ١٩٢٨ سجلت مجاري الأنهار ومسارب الأودية في الأراضي المتروكة ، واحتفظت الدولة بحق ملكيتها نيابة عن المجتمع كي تحول دون استئثار فئة بالانتفاع دون الآخرين . وقد بلغت مساحة الأراضي العمومية في فلسطين من طرق وأنهار وسكك حديدية وممتلكات دائرة الأحراج وغيرها من المرافق العامة قرابة نصف مليون دونم في نهاية عام ١٩٤٥ .

جـ ـ الموات : هي الفئة الثالثة من ممتلكات الدولة . وهي مساحات مترامية لم يعط أحد فيها أية حقوق بصفة رسمية . فهي بحكم القانون ليست في تصرف أحد من الأشخاص ، ولا متروكة مخصصة للأهالي . والأراضي الموات هي المحلات البعيدة عن القرى والقصبات بدرجة لا تسمع بها من أقاصي العمران صيحة الشخص الجهير الصوت . أي هي الأراضي الخالية التي تبعد عن أقصى العمران مسافة ميل ونصف (٢,٤ كم) تخميناً ، أو مشي نصف ساعة حسب ما نصت المادة السادسة من قانون الأراضي العثماني .

كانت هذه الأراضي تعطى أول الأمر إلى كل من يفتحها للزراعة دون مقابل ، على أن يكون قد حصل على إذن مسبق من السلطات العثمانية . فإذا تحول ما فتح من مساحات إلى أراض منتجة صارت تلقائياً من « الميري » ، ينطبق عليها « الطابو » بموجب دفع « بدل المثل » . ويلاحظ أن هذا التشريع العثماني الخاص

بحقوق فلاحي الأرض الموات الذي يعود إلى أصول إسلامية يتلاءم مع طبيعة فلسطين التي يقع أكثر من نصفها ضمن نطاق الصحارى الجدبة . ففي القانون حفز على تعمير الأرض واستصلاحها وزراعتها . لذلك لم يكن عجيباً أن تسارع سلطات الانتداب البريطاني إلى إيقاف العمل بهذا التشريع منذ سنة ١٩٢١ ، بموجب ما سمي « قانون الأراضي الموات » الذي حرم كل من يتجرأ على خرمة الأرض الموات المطالبة بحق تسجيل الأرض التي عمرها ، فضلاً عن معاقبته بتهمة التعدّي على أملاك الدولة .

ومن الناحية الرسمية كان ينبغي أن تقيد جميع الأراضي الموات لحساب الخزينة . ولكن هذا لم يحدث قط إلا عندما بدأت عمليات المسح « الكاداستر » ، وتسوية حقوق الأراضي في فلسطين سنة ١٩٢٨ . فأينما وجدت أرض بين القرى بلا مالك سجلت على الفور ميري لحساب الدولة . وقبل ذلك لم يكن هناك ما يشير إلى التوزيع الجغرافي للأراضي الموات ، ولا إلى مقدارها في البلاد ، رغم أنها شملت مساحات هائلة من مناطق الكثبان والبطاح الساحلية والأراضي التلية التي كانت مسارح للرعاة في الربيع ، مثل السفوح الشرقية لمرتفعات الخليل ، ومناطق الأحراج في أعاليها . وعلى أي حال قدرت مساحة الأراضي الموات في بداية الحكم البريطاني بنحو ثلاثة ملايين دونم كان أكثرها نابلاً للزراعة . في حين أظهر الإحصاء الزراعي لعام ١٩٣١ أن ما يزيد على ٤،٨ مليون دونم من مساحة فلسطين ، باستثناء قضاء بير السبع ، كان غير مستغل . وهذا القدر يشكل حوالي ٣٦٪ من إجمالي المساحة المذكورة . أما منطقة بير السبع والنقب فهي بطبيعتها الصحراوية أراض موات .

د ـ الملك : وهي ما كان من الأراضي في حوزة المالك تماماً ، له ما عليها وما تحتها ، ويستطاعه استعمالها في أي وجه ، لأنه يملك منها حق الرقبة ، على خلاف أراضي الميري التي يبقى للدولة فيها حق الرقبة ، في حين يعطى الحائز حق الاستغلال لظاهر الأرض منها فحسب ، ولغرض واحد فقط هو الزراعة . وقد يحظر على حائز الملك ، رغم ذلك ، استعماله في أغراض تضرّ الجار ، أو تؤذي الصالح العام للجمهور . ويمكن أن تنزع ملكيته في حالات كثيرة ، من بينها لزوم استملاكه من قبل البلديات كي تستقيم أمور التنظيم وتخطيط المدن ، أو عندما تحتاج إليه دوائر الآثار والتعدين او الاحراج . وفي جميع تلك الحالات يعوّض المالك مادّياً عما انتزع منه .

وتنقسم أراضي الملك إلى أصناف ، أهمها في فلسطين مواضع المباني في المدن وفي القرى ، وما يحيط بها من أراض فضاء لا تزيد مساحتها حول كل مسكن عن نصف دونم في المناطق الواقعة على المشارف الخارجية لمراكز العمران . أي أن أراضي الملك هي مجموع مساحة المناطق المبنية في قرى القطر ومدنه .

ولا يقتصر الملك في القانون العثماني على المناطق المبنية داخل المدن . بل من أصنافه أيضاً فئات من الأراضي الزراعية التي اقطعها السلاطين والحكام للقادة والعسكريين في أعقاب مراحل الفتح والتوسع . كذلك تعد من فئة الملك جميع الأراضي الخرجية التي استقيت بأيدي الذمّيين من أصحاب الديانات الأخرى ، والأراضي الموات التي فتحها الناس في الماضي وتحولت بإذن من السلطات إلى ملك هؤلاء الناس . ولكن يلاحظ أنه لم يشع من هذه الفئات في فلسطين سوى الأراضي الخرجية .

ومن الطبيعي أن تزداد رقعة أراضي الملك على حساب غيرها من الفئات مع استمرار نمو مراكز العمران . وقد وضع القانون العثماني هذه الظاهرة في الحسبان حين أجاز ان تحوّل مساحات من الميري إلى ملك عند الضرورة فسمح الدولة حق الرقبة لقاء ثمن مضاعف يسدد للخزينة . لكن المشرّع العثماني وضع في قانون سنة ١٨٧٤ تحفظات كثيرة للحيلولة دون استغلال المبررات لسحب أراضي الميري من ميدان الإنتاج الزراعي ، أو للمضاربة في أسعار الأراضي .

هـ ـ الأوقاف : وهي صنفان ، الأول أوقاف صحيحة والثاني أوقاف غير صحيحة .

فأما الأوقاف الصحيحة فهي التي كانت من أراضي الملك وأوقفت وفقاً للشرع ، فعندئذٍ تكون رقبتها وجميع حقوق التصرف بها عائدة إلى جانب الوقف ، وتعامل بموجب شروط الواقف . ومهما كانت هذه الشروط فلا رجعة فيها . وقد اختلفت الأغراض التي أوقفت من أجلها العقارات والأموال غير المنقولة بشقيها : « المسقفات » أي المباني المسقوفة التي تدرّ دخلاً ، و« المستغلات » وهي الأطيان الزراعية المنتجة . فقد كان الواقف أحياناً يتوخى صالح أفراد عائلته والأجيال المتعاقبة من سلالته . فإذا لم يوجد وريث للمنفعة حُوِّل الوقف ـ بناء على الوصية ـ للأغراض الخيرية او الدينية ، فإن لم يوص بذلك صار العقار محلولاً . وكان الدافع إلى هذا النوع من الأوقاف خوف المالاك من ضياع ممتلكاتهم لسوء تصرف أبنائهم وورثتهم ، أو لجور السلطات وإمكانية نزع الملكية .

وكان الغرض الثاني الذي أوقف بعض الناس من أجله العقار دينياً ، كأوقاف المساجد والأضرحة أو المعاهد التعليمية ذات الصبغة الإسلامية والمكتبات . وقد قصد المتبرعون في جميع هذه الحالات أن يكون مردود إيجار العقارات الموقوفة ـ وتدعى نكايا ـ يكفي للقيام بمختلف نفقات إدارة هذه المؤسسات .

أما الغرض الثالث للوقف فكان خيرياً يخصص دخله

لصالح الناس جميعاً ، بإنشاء المساجد أو الحمامات العامة والمغاسل ومنازل الضيافة والاستراحة لأبناء السبيل (أي الخانات) ، والمخابز لتوزيع الخبز على المحتاجين ، والمستشفيات ومصحات الأمراض العقلية وملاجىء العجزة والأيتام .

وطبقاً للقوانين المعمول بها في البلاد تصبح أية أرض وقفاً إن بُني عليها مسجد وتمت فيه إقامة الصلاة . كذلك إن وهب شخص مساحة لبناء مقبرة وصرّح بالدفن فيها وتم ذلك فعلاً . فهذا يحرم الدولة دفن الموتى في أراضي الميري حتى لا تتحول إلى أوقاف .

كانت هذه الفئة من أراضي الأوقاف الأهلية آثار اقتصادية سيئة تراكمت بمرور الزمن . فمع تعاقب الأجيال تضاعفت أعداد الورثة والمنتفعين منها ، فتوزعت العائدات ، وتفتت المردود بشكل قلل كثيراً من قيمتها . ونشأت لذلك خلافات مزمنة ، واحتدمت المنازعات القضائية بين المستحقين . وازدادت الأمور تعقيداً إذ كان من الصعب ، إن لم يكن من المستحيل ، التصرف في العقارات الموقوفة بالبيع أو الاستبدال في حال الوفاء بالديون .

وكانت أراضي الوقف في وقت ما تشغل مساحات كبيرة من فلسطين . لكن الحكومة العثمانية ، ومن بعدها سلطات الانتداب البريطاني، لم تتوان في كل مناسبة عن مصادرة العقارات الموقوفة وحلّها وإعادتها إلى خزينة الدولة مستغلة أية ثغرة شرعية يمكن أن تبطل حجج الأوقاف القائمة . ولهذا تقلصت مساحة الأوقاف الصحيحة في فلسطين أيام الانتداب إلى أقل من مائة ألف دونم .

الفئة الثانية من الأوقاف هي ما يدعى الأوقاف غير الصحيحة ، أو أوقاف التخصيصات . وهي مساحات مفرزة من الأراضي الأميرية ، أوقفها سلاطين آل عثمان وغيرهم بإذن سلطاني فظل حق الرقبة تابعاً لخزينة الدولة كأراضي الميري الصرف ، في حين خصصت منافعها فقط ، من أعشار ورسوم ، لجهة ما . وتنقسم هذه الفئة من الأوقاف إلى ثلاثة أقسام : الأول عقارات تخص الدولة ، ولكن ينتفع باستعمالها أو بعائداتها المزارعون الذين يقيمون عليها . وكان إيقاف هذا النوع من الأراضي بيد السلطان أو الدولة فقط ، وكان يحق للمنتفعين به نقل حق الانتفاع إلى غيرهم بشرط موافقة الجهة الواقفة . وكان معظم أراضي الوقف في فلسطين من هذا النوع .

القسم الثاني من أوقاف التخصيصات هو ما كان يدفع للخزينة ضرائب الأعشار ، ويؤجر كأحكار للفلاحين بعقود طويلة الأجل . وقد اقتصرت هذه الأحكار على بعض مناطق القدس والخليل ونابلس . أما القسم الأخير من هذه الأوقاف فكان كالسابق إلا انه يعفى تماماً من دفع الأعشار أو أية ضريبة أخرى للخزينة .

وينبغي أن يلاحظ أن الوقف لم يقتصر على مؤسسات المجتمع الإسلامي في البلاد فحسب ، بل شمل أيضاً مؤسسات الأديان الأخرى من مسيحية ويهودية . ويسمى الوقف في هذه الحالات « المستغل » ، أي الذي لا يخضع إدارته للأوقاف الإسلامية .

و ـ الحيازة في فلسطين : كان عدد القرى العربية في فلسطين حتى عام ١٩٤٥ نحو ٨٦٢ قرية راوحت معدلات الحيازة الزراعية لكل منها ما بين ٩ آلاف و١٢ ألف دونم ، وكان المتملك منها في حدود ستة أو سبعة آلاف دونم . وقد قدر معدل عدد سكان القرية الفلسطينية في ذلك الوقت بنحو سبعمائة أو ثمانمائة نسمة . ومن الطبيعي أن تتفاوت مساحات الحيازة الزراعية وأعداد السكان كثيراً من قرية إلى أخرى طبقاً لتنوع الظروف الجغرافية السائدة في أقاليم فلسطين المختلفة . ففي حين كان زمام قرية أم الفرج * بقضاء عكا في حدود ٨٢٥ دونماً وسكانها نحو ٨٠٠ نسمة ، كانت قرية النويعمة بقضاء اريحا تنفسح على زمام يبلغ نحو ٥٣ ألف دونم ، ولا يقطنها سوى ٢٠٠ نسمة فقط . وتعد قرية طوباس * في قضاء نابلس نموذجاً للقرى الفلسطينية الكبرى في العقد الرابع من هذا القرن ، إذ امتدت رقعة ممتلكات أهاليها فوق ما يقرب من ثلث مليون دونم تقاسمها من السكان نحو ٥,٤٠٠ نسمة ، فكانت بهذا أم القرى في فلسطين قاطبة .

كان الفلاحون حتى ذلك الوقت فئات ثلاثاً : الفئة الأولى كبار الملاك ممن يتولون زراعة إقطاعاتهم بأنفسهم . وهؤلاء قلة رغم عظم المساحة التي كانت بحوزتهم . ونقيض هؤلاء كانت الكثرة من الفلاحين الذين حرموا نعمة امتلاك الأرض فعملوا أجراء ومرابعين لدى كبار الملاكين المسيطرين على مساحات مترامية والقاطنين في المدن او خارج البلاد .

أما الطبقة الثالثة فهي طبقة صغار الملاك الذين يعيشون على أرضهم . وقد قدرت الدراسات سنة ١٩٣١ نسبة عدد المالكين من الفلاحين بنحو ٧٨٪ فقط . وبلغ نصيب الفرد والأسرة من الأراضي بعامة ، ومن الأراضي المزروعة بخاصة في مناطق فلسطين ما يلي :

المنطقة	نصيب الفرد من الأرض عامة بالدونم	نصيب الأسرة من الأرض عامة بالدونم	نصيب الأسرة من المفتلح فعلاً بالدونم
السهل الساحلي	١٢,٨	٦٤	٤٦,٥
المرتفعات الوسطى	١٩,٦	٩٨	٥٣
الجليل	١٧,٠	٨٥	-
مرج ابن عامر	٢١,٧	١٠٨	-

وتبيّن من دراسة أجريت سنة ١٩٣٦ على ٣٢٢ قرية فلسطينية أن أكثر من تسعة أعشار عدد الحيازات تقل رقعة كل منها عن مائة دونم وتشغل في مجموعها أكثر قليلاً من ثلث المساحة الزراعية

العامة للقرى المدروسة . في حين ضمت أراضي ثلاثة عشر مالكاً كبيراً فقط ما يزيد على نصف إجمالي مساحة الأرض التي كانت بحوزة ما يقرب من ستة وستين ألف مالك صغير .

تركيب الحيازات الزراعية العربية عام ١٩٣٦ .

الفئة	عدد القطع	نسبة العدد ٪
أقل من ١٠٠ دونم	٦٥،٩٣٣	٩١،٨٪
من ١٠٠ الى ١،٠٠٠ دونم	٥،٧٠٩	٨،٠
أكثر من ١،٠٠٠ دونم	١٥٠ قرابة	٠،٢
أكثر من ٥،٠٠٠ دونم	١٣	٠،٠١

كانت ملكية جميع أراضي فلسطين تقريباً حتى أوائل السنينات من القرن الماضي مما يعرف بالمشاع . وقد فرضت دوافع اقتصادية واجتماعية وأمنية هذا النظام من الملكية الجماعية للقرية او العشيرة أو الحمولة على معظم أرجاء البلاد . ولم تكن الملكية الفردية معروفة إلا في أحوال خاصة ، وفي الجهات القريبة من كبريات المدن الساحلية وبعض المدن الداخلية حيث سيطرت على الأرض طبقة التجار المتنورين . كذلك كانت تسود الملكية الفردية أينما كانت طبيعة الأرض تستدعي بذل مجهودات مضنية لإصلاحها وزراعتها والعناية بتربتها . إذ يتوقف نصيب كل فرد في هذه الحال على ما يبذل من عرق ، وعلى مقدار طموحه الشخصي ورغبته في العمل والكد . لهذا السبب شاعت الملكية الفردية في منطقة المرتفعات الوسطى منذ أقدم العصور ، في حين ظلت الأراضي الساحلية السهلية الممهدة، على نقيض ذلك ، مسرحاً للتنافس الجماعي لأنها تعطي الكثير الوافر بأقل مجهود ، فكان أن وقعت مشاعاً بين طالبيها من الجماعات الزراعية على مر الزمان . واستمر الأمر كذلك حتى السنوات الأولى من القرن الحاضر . وكان باستطاعة أي فلاح أن يجد لنفسه حصة من الأرض في المنطقة الممتدة بين حيفا وغزة ، باستثناء مشارف المدن والمناطق التي خضعت لملكية الأثرياء من سكانها .

أما من الناحية الاجتماعية فقد كان المشاع ضماناً لبقاء الأرض بأيدي أفراد الجماعة واستبعاد أي غريب لا ينتمي إليها . وفي هذا النظام شيء من العدالة والاشتراكية الفطرية أو التلقائية لأنه يضمن توزيع فرص الكسب من الأرض بين الجميع ، ولا سيما أن استقرار الزارع في أية قطعة من أملاك المشاع لم يكن يستمر سوى فترة موقوتة تمتد من عام إلى تسعة أعوام ينتقل بعدها إلى استثمار قطعة أخرى حتى لا يستأثر واحد دون غيره بأحسن الأطيان . وفي حال تجانس الأرض من حيث الخصوبة والقدرة كانت الجماعة في الغالب ترتضي نمطاً توزيعياً ثابتاً .

وكان المشاع ، من ناحية الأمن ، حافزاً لجميع أفراد القرية على الاستماتة في الدفاع عن أملاكهم المشتركة . وكان قيام الجماعة عن بكرة أبيها لملاقاة العدو وصدّه عن الأرض أدعى إلى تلاحم الصلات بين الأفراد وتماسك البنيان الاجتماعي . أي أن المشاع كان مشاركة في وسيلة الانتاج ومعاشاً من جهة ، وأسلوب حياة ومصيراً مشتركاً من جهة أخرى . ومن هنا كانت المنازعات الدموية على امتلاك الأرض تجرّ إلى المعترك عائلات وحمولات بكاملها، بل ينزلق إليها أحياناً كثيرة أهالي القرى المتجاورة المتحالفة .

وكما هي الحال بالنسبة إلى نظم الوقف ، يضع بعض الباحثين اللوم على نظام المشاع ويجعله سبباً من أهم أسباب تردّي الاقتصاد الزراعي في البلاد . ففي ظله ينتفي الحافز الشخصي على البذل والإبداع وتحجم مشاق إجراء التحسينات على الأرض بالتسميد،أو تحسين شبكات الري والصرف ، أو زراعة الأشجار وإقامة المنشآت . بالإضافة إلى ذلك ، يذكر هؤلاء أن المشاع كان سبباً في وقوع مشاحنات داخلية دائمة بين الملاك والمنتفعين من العقارات المشتركة . وعلى الرغم من هذا كله كان لنظامي الوقف والمشاع حسنات لا تنكر ، فقد حالا زمناً دون تفتيت الحيازة الزراعية بشكل يعوق عمليات الإنتاج ويحول أحياناً دون فلاحة الملكيات الصغيرة بالوسائل الحديثة او التقليدية على حد سواء . وأهم من هذا أن نظامي الوقف والمشاع عاقا عمليات بيع الأراضي وانتقال ملكيتها إلى اليهود ومنظماتهم . ومن هنا جاء الهجوم الشديد على هذين النظامين من قبل كتّاب مغرضين .

وقد كان من سوء الحظ قومياً أن حاولت السلطات العثمانية خلال الربع الأخير من القرن الماضي تصفية نظام المشاع عندما ألزمت الملاّك بتسجيل أراضيهم ، وعندما صدر قانون ١٤ محرم سنة ١٣٣٢هـ / ١٩١٣م الشهير الذي سمح بتقسيم (فرز) العقارات المشتركة غير المقسولة فوحّد أسس تقسيم الأراضي الملك والأميرية والموقوفة ، وخوّل لأول مرة كل شريك الحق في أن يطالب شركاءه بالقسمة اتباعاً لأصول التشريع الفرنسي القاضي بأنه " لا يمكن ان يجبر أحد على البقاء في حالة الشيوع " .

وسار الإنكليز على النهج نفسه أثناء حكمهم البلاد . فقد أعطوا مأمور التسوية ، بموجب قانون تسوية حقوق ملكية الاراضي الصادر عام ١٩٢٨ ، السلطة المطلقة بأن يشرع فوراً بفرز (تقسيم) أية مساحة من الأرض المملوكة بأسلوب الاشتراك (أي المشاع) بعد تعيين حقوق المالكين ، إذا وجد المأمور أن في الفرز منفعة عامة . واستمد مأمورو التسوية ، وكان معظمهم من الصهيونيين الذين عملوا مع سلطات الانتداب في دائرة المساحة وتسوية الأراضي ، استمدوا سلطاتهم هذه من أوامر المندوب السامي البريطاني مباشرة .

وأجيز لكل مأمور القيام بفرز حصة أي شخص مالك لنصيب ما في أرض مشاع متى طلب المالك ذلك منفرداً . كذلك أجيز له أن يقسم أراضي المشاع في أية قرية بناء على رغبة مالكي ثلثي الحصص المدرجة في جدول الحقوق العقارية الخاصة بتلك القرية .

ورغم كل هذه الإجراءات والتشريعات بقيت نسبة لا يستهان بها من الأراضي ملكاً مشاعاً حتى اغتصاب فلسطين سنة ١٩٤٨ .

تغيرت نظم حيازة الأرض وأساليب ملكيتها بالانتفاع بها جذرياً بعد قيام الصهيونيين بالهجرة إلى فلسطين لاستيطانها . وقد بدأت عمليات الاستيلاء على الأرض مبكرة عندما أنشأ المليونير اليهودي روتشيلد عام ١٨٨٣ رابطة الاستعمار اليهودي لفلسطين فاشترت منذ تأسيسها حتى أواخر عهد الانتداب سنة ١٩٤٨ ما يقرب من ٤٧٠ ألف دونم . كما أوكل مؤتمر بازل * سنة ١٨٩٧ إلى الصندوق القومي اليهودي (ز : الكيرين كايميت) وشركة تطوير أراضي فلسطين * شراء الأطيان وتوطين المهاجرين فيها فبلغ ما ابتاعه الصندوق والشركة حتى عام ١٩٤٨ قرابة مليون دونم . وكانت أملاك الدولة مصدراً آخر للأراضي التي آلت ملكيتها إلى الصهيونيين . فبموجب البند رقم ٦٠ من معاهدة الصلح البريطانية التركية في لوزان سنة ١٩٢٥ آلت جميع الأراضي التي كانت بحيازة الحكومة العثمانية إلى إدارة الانتداب على فلسطين دون أي مقابل . ووضعت سلطة التصرف فيها آنذاك بيد المندوب السامي البريطاني موقتاً ، فكان من حقه وحده إجزال المنح منها ، أو تأجيرها ، أو السماح بالاستقرار فيها واستثمارها . وقد سارع اليهودي الإنكليزي هربرت صموئيل ، أول مندوب سام ، إلى تقديم ١٧٥ ألف دونم من أخصب أراضي الدولة على الساحل بين حيفا ويافا، قرب قيسارية* وعنيت هدية إلى أبناء مذهبه الصهيونيين أتبعها بعد ذلك بدفعة ثانية مقدارها ٧٥ ألف دونم على البحر الميت * لإقامة مشروع شركة البوتاس الفلسطينية ، فضلاً عن أراض شاسعة أخرى لم يكشف النقاب عن سعتها في منطقة النقب * . وتكررت هباته السخية من الأراضي الساحلية الخصبة حتى بلغ مجموع ما منح أو نقل إلى الصهيونيين من أراضي الدولة نحو مليون وربع من الدونمات ، أي ٥٨٪ من مجموع الأراضي التي كان يملكها الصهيونيون سنة ١٩٤٨ ، فأربت المساحات التي تحولت إليهم حتى قيام كيانهم على ٢,١ مليون دونم .

ورغم ذلك كانت غالبية الأراضي عام ١٩٤٨ ما تزال بأيدي العرب ، حتى قُدر ما كان بحوزتهم حينذاك بنحو ٦,٧ مليون دونم يضاف إليها ١٣٥ ألف دونم من بساتين الحمضيات * وأكثر من مليون دونم مغروسة أشجار زيتون * وفاكهة وموز * . ولا يدخل ضمن هذه المساحات أراضي المراعي . وقد شرعت سلطات الاحتلال الإسرائيلي بعد عام ١٩٤٨ تستولي على ممتلكات العرب بشكل رسمي عندما وضعت البلاد تحت أحكام ما أسمته « قانون الاستيلاء على أرض ساعة الطوارىء * » ، وهو القانون الذي خوّل الحاكم العسكري سلطة إعلان مساحات من البلاد « مناطق مغلقة » يحظر على العرب الدخول إليها أو الخروج منها . وفي ظل هذا القانون نقلت ملكية أراض عربية واسعة بحجة الأمن . كما سمحت مواد قانون أملاك الغائبين * لعام ١٩٥٠ باستغلال أملاك الغائبين واستملاكها على أنها أراض مهجورة آلت ملكيتها إلى (الدولة) بتقادم العهد . وقد استباحت سلطات الاحتلال في السنوات الأولى من تطبيق هذا القانون زهاء مليون وربع مليون دونم من أملاك العرب .

ولم تسلم أملاك الأوقاف الإسلامية من الاعتداء فعندما تولت سلطات الانتداب البريطاني حكم البلاد أوكلت إدارة الأوقاف إلى الهيئة الإسلامية العليا التي كانت تحمي إيجارات العقارات وأعشارها من المستغلين وتوزعها على المنتفعين من أفراد وهيئات . وظل الأمر كذلك حتى قررت الحكومة عام ١٩٣٥ دفع مبلغ سنوي ثابت مقداره ٣٠ ألف جنيه فلسطيني مقابل أعشار الأوقاف كبدل اعتباطي فلا تتجشم الهيئة مشقة الجباية .

وكان من المتوقع أن تحافظ سلطة الاحتلال الصهيوني على هذا الوضع لأنه أمر يمس تعاليم دين أهل البلاد . وعلى الرغم من أن قرارات الأمم المتحدة الخاصة بالتقسيم حفظت هذا الحق صراحة ، ضربت وزارة الأديان الإسرائيلية بكل ذلك عرض الحائط فأدخلت عائدات أوقاف المسلمين في الميزانية العامة ، بل حاولت اغتصاب المقابر وغيرها من أراضي الأوقاف .

وقد تابعت السلطات المحتلة سياستها المرسومة لنزع ملكية العرب المهجّرين والمقيمين في ظل احتلالها والاستيلاء على عقاراتهم وأراضيهم في عشرات المدن ومئات القرى متذرعة بشتى الوسائل ، مستغلة قوانين غاشمة سابقة ، أو فارضة تشريعات خاصة لهذا الغرض ، كقانون استملاك الأراضي * في عام ١٩٥٣ ، وتعديل قانون الأحراج والغابات * الموضوع من أيام الانتداب مرتين في عامي ١٩٥٦ و ١٩٦٠ . كل ذلك جرى في أكبر عملية نهب جماعية عرفها التاريخ ، على حد تعبير المؤرخ البريطاني أرنولد توينبي . وقد ضربت سلطات الاحتلال طوقاً من السرية والتكتم على ممتلكات اللاجئين العرب فلم تسمح حتى للجنة التوفيق الدولية * الكلفة من قبل الأمم المتحدة بحماية ممتلكات اللاجئين بمعرفة شيء عنها . وظلت البيانات والمعلومات المتعلقة بحجم ممتلكات العرب المهجورة ، وتوزيعها الجغرافي ، وأساليب استثمارها ، وسياسة السلطات الإسرائيلية تجاهها، أموراً مبهمة

ومكتومة ، فلم يكشف النقاب قط عن سجلات ممتلكات الغائبين ، كما كانت جلسات الكنيست * التي نوقشت فيها هذه الأمور جلسات مغلقة دائماً . ولم تستطع الامم المتحدة الحصول بصفة رسمية على أية بيانات بخصوص إدارة ممتلكات العرب والوسائل المتبعة في الحفاظ عليها ، والإبقاء على هويتها ، وإعادتها إلى أصحابها . " لقد أدمجت جميع ممتلكات الغائبين ـ ومعظمها من الأطيان الزراعية ـ في الكيان الاقتصادي للدولة الاسرائيلية " . هذا ما قاله مندوب (إسرائيل) لدى الأمم المتحدة ذات مرة في جلسة للمنظمة الدولية .

المراجع :

— Cattan, H.: **Palestine, The Arabs and Israel,** London 1968.
— Godabry, F.P. and Dukhan. M.J.: **The Land Law of Palestine,** Tel Aviv 1933.
— Granot, A.: **The Land System in Palestine:History and Structure,** London 1952.
— Hadavi, S.: **Bitter Harvest, Palestine between 1914 - 1967,** New York 1967.
— Weinstock, N.: **Le Sionisme Contre Israel,** Paris 1969.

أرض إسرائيل الكاملة (حركة ـ) :

ظهرت هذه الحركة بعد حرب ١٩٦٧ * مباشرة وتنامي الغطرسة والأوهام العنصرية الإسرائيلية . ويقف على رأسها الجنرال المتقاعد إبراهام يوفه الذي شارك في حرب ١٩٥٦ * وحرب ١٩٦٧ * ، وإسرائيل ألداد أحد القادة السابقين لمنظمة شتيرن الإرهابية (رَ : ليحي ، منظمة) .

وقد حظيت هذه الحركة بتأييد فئات واسعة من الإسرائيليين ، وضمّت في صفوفها شخصيات من مختلف الأحزاب ، وخاصة اليمينية .

أصدرت الحركة أول بيان سياسي لها في ١٩٦٧/١١/٢٦ ردّا على قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ قالت فيه إن احتلال (إسرائيل) للأراضي العربية عام ١٩٦٧ هو استرداد لها رغم استمرار اقتطاع شرقي الأردن منها . ودعا البيان إلى الرد على قرار ٢٤٢ بالاستيطان في كل أنحاء المناطق المحتلة .

خاضت الحركة انتخابات الكنيست * السابعة لعام ١٩٦٩ إلى جانب قائمة كتلة غاحال * ، ولكن إبراهام يوفه من الفوز بعضوية الكنيست .

وقد مارست الحركة كثيرا من النشاطات السياسية ، ونظمت المهرجانات والمظاهرات المناوئة للانسحاب من الأراضي المحتلة ، ومن بينها مهرجان الاحتجاج على مشروع روجرز * (آب ١٩٧٠) ، والمظاهرة في كريات أربع تأييداً للمستوطنين (نيسان ١٩٧١)، والمظاهرة المناوئة للولايات المتحدة أمام السفارة الأميركية في تل أبيب (أيار ١٩٧٥) احتجاجاً على تزويد الأردن بالسلاح ، وقامت بغير ذلك من الأعمال المؤيدة للمستوطنين في كفر قدوم .

في آذار ١٩٧٦ قامت الحركة بالتعاون مع القائمة الرسمية وحزب المركز الحر * بتأسيس حزب " لاعام " الذي خاض انتخابات الكنيست التاسعة في إطار الليكود * وفاز بثمانية مقاعد ، وفاز في انتخابات الكنيست العاشرة بخمسة مقاعد . وتقف لاعام على يمين الليكود وهي أقرب إلى حزب " هاتحيا " الذي تتزعمه غيئولا كوهين .

المراجع :

ـ مؤسسة الدراسات الفلسطينية : الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٧ ، بيروت ١٩٦٩ .

أرض بلا شعب لشعب بلا أرض :

رَ : الهجرة الصهيونية إلى فلسطين

الأرض للدراسات الفلسطينية (مؤسسة ـ) :

مؤسسة عربية مستقلة للأبحاث والدراسات أسسها حبيب قهوجي في دمشق (الجمهورية العربية السورية) في أيلول ١٩٧٣ وأطلق عليها اسم " مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية " وفاء لحركة الأرض * القومية التي كان أحد مؤسسيها في أواسط الخمسينات بين عرب فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ .

هدف المؤسسة دراسة التجمع الاستيطاني الصهيوني في فلسطين المحتلة ، ومعرفة آلية عمل هذا الكيان ، ونشأته ، وتاريخه ، وأوضاعه السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية ، ومخططاته ، وعلاقاته الخارجية ، ومتابعة ما يتعلق بالشعب العربي الفلسطيني وقضيته التي هي قضية الأمة العربية . وذلك بقصد الإسهام في مساعدة صانعي القرار العربي وذوي الاختصاص والإعلام في الساحة الفلسطينية وفي الوطن العربي على إدارة الصراع ضد العدو بطريقة علمية تقوم على الدراسة الموضوعية .

وتعتمد المؤسسة بشكل رئيس على المصادر الإسرائيلية والصهيونية للمعلومات تدرسها وتحللها بأقصى قدر من

الموضوعية مستفيدة من معرفة أعضائها وخبرتهم بشؤون التجمع الاستيطاني الصهيوني ولغته وتركيبه .

تصدر المؤسسة :

١) سلسلة من الكتب .

٢) سلسلة من الكتب المترجمة عن العبرية .

٣) مجلة الأرض نصف الشهرية .

٤) نشرة يومية عن الصحافة الإسرائيلية .

أقسام المؤسسة :

١) قسم الأبحاث والدراسات .

٢) قسم الترجمة من اللغة العبرية .

٣) المكتبة ، وتحتوي على حوالي سبعة آلاف كتاب بمختلف اللغات ، وفيها اللغة العبرية .

٤) قسم الوثائق : ويضم نحو ٣٨ ألف وثيقة عن الحركة الصهيونية ونشاطات الاستعمار في فلسطين والوطن العربي .

٥) قسم الأرشيف : وترد إليه حوالي ١٢٥ صحيفة ومجلة ودورية بمختلف اللغات ، وفيها العبرية ، وتصنف حسب نظام خاص . كما يضم هذا القسم ترجمة عربية لجميع المقالات والدراسات التي تصدر في الصحف والمجلات الإسرائيلية والصهيونية . وقد انبثق عن هذا القسم « بنك » للمعلومات .

٦) قسم الطباعة والنشر والتوزيع .

يبلغ عدد العاملين في المؤسسة حوالي ٥٠ شخصاً ، بالإضافة إلى الأشخاص الذين تتعاون معهم من الباحثين والمترجمين وغيرهم .

الأرض الموعودة :

الأرض الموعودة ، أو أرض الميعاد ، أو أرض إسرائيل ، أو أرض المَعَاد ، أسماء مختلفة لمعنى واحد هو أرض فلسطين . والأرض الموعودة هي إحدى الحجج التي استخدمتها الصهيونية لدفع يهود العالم للهجرة إلى فلسطين واستعمارها . وتستغل هذه الحجة الحوافز الدينية المستوحاة من التوراة لتحقيق الأهداف الصهيونية .

يزعم اليهود أن الرب وعدهم بأرض فلسطين وأعطاهم إياها ردحا من الزمن . ثم وعدهم حين طُردوا منها بإرجاعهم إليها في الوقت المناسب . ولا ترسم التوراة نفسها حدوداً ثابتة لهذه الأرض . ففي حين ترد حدودها في الآية ١٨ من الإصحاح ١٥ من سفر التكوين " لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات " ، تختلف حدودها في الآية ٨ من الإصحاح ١٧ من سفر التكوين " أعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك ، كل أرض كنعان ملكاً أبدياً " .

ولم تقدم الحركة الصهيونية هي الأخرى حدوداً ثابتة ، فقد اكتفى إعلان قيام (دولة إسرائيل) في ١٩٤٨/٥/١٤ بالإشارة إلى أرض (إسرائيل) ، مهد الشعب اليهودي ، دون أن يرسم لهذه الأرض حدوداً .

لقد استخدمت الصهيونية أسطورة أرض الميعاد ، أو أرض (إسرائيل) ، لتأجيج الحماسة الدينية لدى اليهود للهجرة إلى فلسطين انطلاقاً من الادّعاءات التوراتية التي ترى أن أرض فلسطين ملك لليهود وحدهم ، وأن هذه الأرض لا وجود لها خارج التاريخ اليهودي . ولعل هذا هو الأساس الذي خرجت منه عبارة « أرض بلا شعب لشعب بلا أرض » .

وبالإضافة إلى ذلك مكّن مصطلح أرض الميعاد الصهيونية من تغاضي استخدام مصطلح أرض فلسطين الذي ينسف ادعاءاتهم من أساسها بما يحمله من دلالات على الوجود التاريخي غير اليهودي في فلسطين .

المراجع :

– عبد الوهاب محمد المسيري : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ، القاهرة ١٩٧٥ .

– القضية الفلسطينية أو الخطر الصهيوني ، بيروت ١٩٧٣ .

إرغون تسفاي لئومي :

اسمها العبري الكامل هو "إرغون تسفاي لئومي بارتس يسرائيل " ، أي "المنظمة العسكرية القومية في أرض إسرائيل " .

تأسست هذه المنظمة السرية عام ١٩٣١ بالاشتراك مع جماعة مسلحة من حركة بيتار الإرهابية والماغاناه * (ب) احتجاجاً على ما اعتبر " سياسة الهاغاناه الدفاعية " . وكان فلاديمير جابوتنسكي الزعيم الصهيوني المنطرف هو الأب الروحي للمنظمة ، ودافيد رازيل القائد العسكري لها ، وابراهام شتيرن رئيسها السياسي . أما شعارها فكان يدا تمسك بندقية مكتوبا تحتها " هكذا فقط " . وقد شنّت هذه العصابة عمليات إرهابية ضد العرب والإنكليز في فلسطين ، وقامت بتهريب اليهود إليها . وفي عام ١٩٤٠ انشقّت جماعة شتيرن (ز : ليحي ، منظمة) عن الإرغون حينما اتجهت المنظمة الأم إلى التعاون مع القوات البريطانية ، خاصة في مجال المخابرات .

وفي عام ١٩٤٣ استلم مناحيم بيغن زعامة الإرغون التي صعّدت عملياتها الإرهابية ضد العرب . وأهم تلك العمليات نسف فندق الملك داود في القدس في ١٩٤٦/٧/٢٢ ، والهجوم الوحشي

على قرية دير ياسين العربية في ١٩٤٨/٤/٩ (دَ : دير ياسين ، مذبحة) .

وكانت علاقات المنظمة مع الهاغاناه والوكالة اليهودية * تراوح بين العداء والتحالف بحسب المواقف السياسية . وقد اتجهت علاقاتها بسلطة الانتداب البريطاني مع مطلع عام ١٩٤٤ إلى الصدام كجزء من المخطط الصهيوني للضغط على بريطانيا كي تتخلى عن انتدابها وتمكّن الصهيونية من إعلان دولتها .

وفي أيلول ١٩٤٨ دمجت الإرغون في الجيش الإسرائيلي بناء على أوامر الحكومة الإسرائيلية ، وكان بن غوريون يومئذ هو رئيس الحكومة ووزير الدفاع ، فقامت قوات الهاغاناه بتطويق مراكز الإرغون في منطقتي ناتانيا * وتل أبيب * ، وجردت أفرادها من السلاح ، وأمرتهم بالانضمام بالقوة إلى قوات الجيش . وأسس بيغن بعد ذلك حزب حيروت * الذي حل الايديولوجية العنصرية الإرهابية نفسها . وقد كرم رئيس (الدولة) قيادات الإرغون في تشرين الثاني ١٩٦٨ " لدورهم القيادي " في خلق (دولة إسرائيل) .

الإرهاب الدولي :

كثرت في الستينات ومطلع السبعينات من القرن العشرين حوادث اختطاف الطائرات واغتيال الزعماء السياسيين والممثلين الدبلوماسيين والمسافرين والسائحين ، أو احتجازهم رهائن من اجل الابتزاز المالي أو الحصول على اللجوء السياسي ، أو غيرها من الأغراض . وقد انتهزت القوى الاستعمارية والعنصرية والصهيونية هذه الحوادث ، وسعت إلى استغلالها لمقاومة حركات التحرر الوطني والقضاء عليها ، وبخاصة حركة المقاومة الفلسطينية .

وكانت الأمم المتحدة قد أخذت تهتم بهذا النوع من الحوادث التي أدرجت تحت مصطلح « الإرهاب الدولي » فأعدت " مشروع اتفاقية خاصة بالجرائم ضد سلام الإنسانية وأمنها " ، و" مشروع اتفاقية لمنع المخالفات المرتكبة ضد الدبلوماسيين وغيرهم من الأشخاص الذين لهم حق التمتع بحماية دولية " . كما وضعت منظمة الطيران المدني الدولية ثلاث اتفاقيات بشأن : المخالفات المرتكبة على متن الطائرات (اتفاقية طوكيو ١٩٦٣) ، والحجز غير الشرعي للطائرات (اتفاقية لاهاي ١٩٧٠) ، والأعمال غير الشرعية الموجهة إلى أمن الطيران المدني (اتفاقية مونتريال ١٩٧١) .

وعلى الرغم من ذلك ظل موضوع الخلط بين حوادث الإرهاب ونشاط حركات التحرر الوطني بعيداً ، إلى حدّ ما ، عن الأمم المتحدة . لكن الصهيونية * والقوى الإمبريالية تقودها الولايات المتحدة الأمريكية * شدّدت عام ١٩٧٢ ضغطها على المنظمة الدولية كي تعالج موضوع " الإرهاب الدولي " ، وتتخذ التدابير التي تؤدي إلى الحدّ من أعماله ومظاهره . وقدّم المندوب الإسرائيلي في هيئة الأمم المتحدة رسالة إلى الأمين العام طلب فيها من المنظمة الدولية " أن تتحرك بصورة فعالة وبلا تردد لتضع حداً للإرهاب " ، وطالب بالضغط على الدول العربية كي تمنع وجود منظمات المقاومة الفلسطينية على أراضيها ، وعدد هذه الدول بأن (إسرائيل) ستتخذ " جميع التدابير الضرورية لتدافع عن نفسها " .

ونتيجة هذا كله قدّم الأمين العام للأمم المتحدة يوم ١٩٧٢/٩/٨ اقتراحا إلى الجمعية العامة في دورتها السابعة والعشرين طلب فيه " دراسة التدابير المانعة للإرهاب الدولي ، ولأشكال العنف الأخرى التي تعرّض الأرواح البشرية البريئة للخطر ، أو تودي بها ، أو تعرّض الحريات الأساسية للخطر " . وعلّل الأمين العام طلبه بقوله : " إن العالم يخضع في الوقت الحاضر لموجة من الأعمال الإرهابية أودت بحياة عدد من رجالات الدول والدبلوماسيين ، بالإضافة إلى أنها أزهقت أرواح أناس كثيرين كان خطؤهم الوحيد أنهم ينتمون إلى عرق أو ديانة أو دولة معينة " .

وقد دفع ذلك الدول العربية في الأمم المتحدة إلى التحرك ، فأوضحت للأمين العام أن عنوان الموضوع ، حسب اقتراح الأمين العام ، شامل ، واسع الإطار ، ويُخشى أن تستغلّه الدول المعادية لحركات التحرر الوطني فتحشر أعمال هذه الحركات ضمن إطار الإرهاب ، وفي ذلك انتهاك لميثاق الأمم المتحدة وقراراتها .

حينذاك صرّح الأمين العام بأنه ليس من المناسب دراسة ظاهرة الإرهاب " دون الأخذ بعين الاعتبار بالأسباب الكامنة

وراءها " ، وأوضح أنه لم يهدف باقتراحه إلى " المسّ بالمبادىء التي حددتها الجمعية العامة فيما يتعلق بالشعوب المستعمرة أو غير المستقلة التي تناضل للحصول على استقلالها وحريتها " .

ولما بدأت دورة الجمعية العامة السابعة والعشرون في أيلول ١٩٧٢ تحدّث ٩٢ وزير خارجية ـ من بين ١٢٨ وزيراً ألقوا بيانات في الجمعية ـ عن الإرهاب الدولي ، فدان معظمهم الإرهاب إذا كان القصد منه نشر الرعب ، أو الابتزاز ، أو الكسب غير المشروع ، أو الاغتصاب ، أو قتل الأبرياء . وراحوا يرسمون الخطوط الفاصلة بين الإرهاب وأعمال التحرر الوطني ، وأوضحوا أن حركات التحرر الوطني يحقّ لها أن تستخدم جميع الوسائل المتوفرة لديها في سبيل تحقيق أهدافها وحصولها على حقوقها التي نصّ عليها ميثاق الأمم المتحدة وقراراتها .

وانبرت وفود الولايات المتحدة و(إسرائيل) وبعض دول أوربا الغربية وأمريكا اللاتينية تدين الإرهاب بمختلف أشكاله دون النظر إلى دوافعه وأسبابه ، وتطالب باتخاذ التدابير لمنعه والحدّ من أعماله وآثاره . وكان وزير الخارجية الأمريكية أكثر رؤساء الوفود حماسة ، فوزّع مع خطابه مشروع اتفاقية دولية في هذا الشأن .

وحينما عرض موضوع بند الإرهاب الدولي كما اقترحه الأمين العام على الجمعية العامة لإدراجه على جدول أعمالها أقرت الجمعية العامة ، باقتراح من أحد الوفود العربية ، إضافة فقرة إلى عنوان الموضوع بحيث أصبح : "التدابير المانعة للإرهاب الدولي ولأشكال العنف الأخرى التي تعرض الأرواح البشرية البريئة للخطر ، أو تودي بها ، أو تعرض الحريات الأساسية للخطر ، ودراسة الأسباب الكامنة وراء أشكال الإرهاب وأعمال العنف التي مردّها إلى البؤس وخيبة الأمل والحيف واليأس ، والتي تدفع ببعض الناس إلى إزهاق الأرواح البشرية بما فيهم أرواحهم هم أنفسهم في محاولة لإحداث تغييرات أساسية " .

درست اللجنة القانونية (إحدى اللجان الرئيسة السبع المتفرعة عن الجمعية العامة) موضوع الإرهاب الدولي بالعنوان الوارد أعلاه ، فتباينت الآراء ، وتعددت الاجتهادات ، واصطدمت الاتجاهات ، ولجسّد ذلك كله في ثلاثة مشاريع قرارات قدمت أولها الولايات المتحدة ، وثانيها بعض دول أوربا الغربية وأمريكا اللاتينية * ، وثالثها مجموعة من الدول غير المنحازة . وقد تبنت الجمعية العامة بأكثرية أعضائها (٧٦ ضد ٣٥ ، واستنكاف ١٧) مشروع قرار الدول غير المنحازة . وصدر القرار برقم ٣٠٣٤ (د ـ ٢٧) وتاريخ ١٨/١٢/١٩٧٢ .

طلب القرار من الدول الأعضاء أن تعكف على دراسة الحلول العادلة والسلمية التي تؤدي إلى إزالة الأسباب الكامنة وراء أعمال العنف ، وبيّن أن الجمعية العامة تؤكد " الحق الثابت في تقرير المصير والاستقلال لجميع الشعوب الخاضعة للأنظمة الاستعمارية والعنصرية ولغيرها من أشكال السيطرة الأجنبية ، وتؤكد شرعية نضالها ، وبصورة خاصة نضال حركات التحرر الوطني ، وفق أهداف ومبادىء الميثاق وقرارات أجهزة الأمم المتحدة " . وأدان "أعمال القمع والإرهاب التي تستمر الأنظمة الاستعمارية والعنصرية والأجنبية بممارستها حارمة الشعوب من حقها الشرعي في تقرير مصيرها واستقلالها ومن حقوق الإنسان الأخرى والحريات الأساسية " . وقررت الجمعية العامة تشكيل لجنة خاصة مؤلفة من ٣٥ دولة ، وطلبت من جميع الدول أن تقدم إلى هذه اللجنة الخاصة اقتراحاتها لإيجاد حل لمشكلة الإرهاب . وكلفت اللجنة أن تقدم تقريرها إلى الجمعية العامة في دورتها الثامنة والعشرين (١٩٧٣) .

قادت الولايات المتحدة معارضة هذا القرار في الجمعية العامة ، وأعلن رئيس وفدها أن بلاده ستعمل على اتخاذ التدابير المناهضة للإرهاب بالتعاون مع دول أخرى خارج إطار الأمم المتحدة ، وقال : " إننا مضطرون إلى سلوك هذا السبيل ما دامت عطالة الأمم المتحدة تجبر الدول على التلاقي خارجها " . وكان مندوب (إسرائيل) أكبر مناصر للمندوب الأميركي في هجمه على المنظمة الدولية وتجريمه القرار ، وقال : " إن النهاية التي انتهت إليها مناقشة الإرهاب ليست سوى طلقة الرحمة أطلقت على كيان الأمم المتحدة " .

تصدت الوفود العربية والإفريقية وغيرها لجميع هذه المفاهيم الأمبريالية والصهيونية وكشفت بطلانها وكذبها ، وبخاصة أنها حاولت أن تخنق حركات التحرر الوطني تحت ستار الحد من أعمال الإرهاب الدولي . وكان بحث موضوع الإرهاب في الجمعية العامة فرصة مناسبة لكي تفتح الوفود العربية والصديقة ملف الإرهاب الصهيوني وتاريخه ومآسيه وأهدافه .

استمر عمل اللجنة الخاصة بالإرهاب الدولي سنوات . وقد اتخذت الجمعية العامة في الدورة ٣٤ قرارا رقمه ١٤٥/٣٤ وتاريخه ١٧/١٢/١٩٧٩ نص على أن تدرس الجمعية العامة في دورتها السادسة والثلاثين (أيلول ١٩٨١) تقرير اللجنة الخاصة . وجاء في إحدى فقرات هذا القرار " تسلم الجمعية العامة بأنه ينبغي لها وللمجلس الأمن ، من أجل الإسهام في القضاء على الأسباب الكامنة وراء الإرهاب الدولي ومشكلة الإرهاب الدولي ، أن يوليا اهتماماً خاصاً لجميع الحالات ، بما في ذلك ، في جملة أمور ، الاستعمار والعنصرية والحالات التي تنطوي على الاحتلال الاجنبي ، أي الحالات التي قد تدفع إلى الإرهاب الدولي ، وقد تعرض السلم والأمن الدوليين للخطر ، وذلك بقصد تطبيق ما يتصل بالموضوع ،

حيثما أمكن ذلك ، من أحكام ميثاق الأمم المتحدة ، بما في ذلك الفصل السابع منه " .

ولا تزال الجمعية العامة للامم المتحدة تناقش هذا الموضوع حتى دورتها السابعة والثلاثين (١٩٨٢) .

المراجع :

ـ محاضر وقرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة .

الإرهـــاب الصهيوني :

أمام الباحث في أمر الإرهاب الصهيوني فرصة نادرة لا يمكن أن تتاح لأي باحث في الإرهاب مهما كان اتجاهه أو جنسيته . ذلك أن قادة الإرهاب الصهيوني نشروا مؤلفات ضخمة بحثوا فيها ، باسهاب وتفصيل دقيقين ، مختلف التنظمات الإرهابية التي كانوا ينتمون إليها ، والعقائد الأساسية (الايديولوجية) التي قامت عليها ، ونشوءها وتنظيمها وأهدافها ، ووصفوا بإسهاب الجرائم التي ارتكبوها ، أو التمثيل الذي عمدوا إليه بكل صراحة ووضوح ودون خجل أو خوف أو تردّد . وليس من المبالغة القول إنك لا تجد في أي تراث عسكري سياسي لأي شعب من شعوب العالم مثل هذا التراث الرهيب عن الإرهاب الصهيوني . إن مجرد الكشف عن هذه الحقائق بهذا الوضوح وتلك الصراحة من قبل قادة الإرهاب الصهيوني ، ونفر من الذين ارتكبوا أبشع الجرائم التي يمكن أن يقترفها بشر ضد بشر ، بل يهود ضد يهود عندما كانت المصلحة الصهيونية تقضي بذلك ، هو بحد ذاته تحدٍّ للعقل والضمير الإنسانيين .

على أنه لا بد أولاً ، وقبل بحث المرتكزات العقائدية والفكرية التي قامت عليها ايديولوجية الإرهاب الصهيوني ، أن نعتمد نقطة لبداية الإرهاب هي مرحلة التخطيط له والتصميم عليه قبل اقترافه ، كما أن التصميم على الحرب والتخطيط لها سابقان لتنفيذها .

فالقرار العقلي الذي تم بموجبه تجريد شعب بكامله من حقوقه قبل القضاء عليه هو بصورة أكيدة أول مصدر من مصادر العنف وأسبق من أي مصدر آخر . ففي وقت لم يكن فيه عدد اليهود في فلسطين يزيد كثيرا على عشرين ألفا كتب هرتزل عام ١٨٩٦ في كتابه « دولة اليهود » يقول بشكل جازم : " إن دولة اليهود يجب أن تشكّل في فلسطين جزءاً لا ينجزأ من سور الدفاع عن أوربا في آسيا ، وقلعة متقدمة للحضارة ضد البربرية " . وكتب في مذكراته : "سنحاول أن نخرج السكان المعدمين عبر الحدود بأن

نسف فندق الملك داود في القدس ١٩٤٦

نجد لهم عملاً في البلاد التي نطردهم إليها وننكر عليهم أي عمل في بلدنا" . وتابع قائلاً : "إذا انتقلنا إلى منطقة توجد فيها حيوانات مفترسة لم يتعوّد عليها اليهود ـ كالأفاعي الكبيرة مثلاً إلخ ـ فسأحاول أن استعمل السكان البدائيين للقضاء على هذه الحيوانات قبل أن أجد لهم عملا في البلاد التي يعبرون إليها " . ذلك كله كان المصدر الأول والأساسي للإرهاب والعنف .

وعندما وصف وعد بلفور * عام ١٩١٧ الأغلبية الساحقة من العرب في فلسطين بأنها « السكان غير اليهود » كان هذا الوصف المبهم يعني في ذهن صاحب الوعد وفي الزمن الذي صدر فيه « السكان البدائيين » ممن هم أحط من أن ينظر فيهم ، أو أن تكون لهم حقوق « الأسياد » . وهو بذلك يشجع العنف الصهيوني الاستعماري على أن يتصادى ضد أولئك « البدائيين » ، وبشكل أيضاً عملاً أوّلَ من أعمال العنف .

وعندما قدم وايزمن إلى المجلس الأعلى لمؤتمر السلام المنعقد في باريس مذكرته المعروفة المؤرخة في ١٩١٩/٢/٣ التي تضمنت " الحد الأدنى لدولة اليهود المقبلة " وأدخل فيها كل فلسطين وجنوبي لبنان وجنوبي سورية حتى دمشق وخليج العقبة ، وخط

حديد الحجاز حتى معان ، ومنابع مياه الأردن في سفوح جبل الشيخ ، كان ذلك فعلاً من أفعال العنف أيضاً .

وعندما قال بلفور في ١٩١٩/٨/١١ للوزارة البريطانية : " في فلسطين ، نحن لا نفكر البتة ان نعمد إلى أي شكل من استشارة السكان الحاليين ومعرفة رغائبهم " ، كان يضع أساسا من اسس الإرهاب الصهيوني الذي نشأ واستمر ، وما زال مستمرا ضد العرب حتى اليوم .

ومن خلال كتابات الإرهابيين الصهيونيين نجد العقيدة الصهيونية قد بنيت - بين ما بنيت عليه - على المقدمات التالية :

١) الإيمان بالعسكرية إيماناً مطلقاً ، وتنشئة الأجيال المتعاقبة من الصهيونيين عليها حتى تصبح نسما من تكوينهم .

٢) نفض الحقوق الطبيعية للعرب نقضاً مطلقاً إلى درجة تصبح فيها جريمة إبادة الجنس العربي بالنسبة إلى الصهيوني عملاً مطلوباً من أجل ذاته .

٣) تبرير اللجوء إلى أية وسيلة ، مهما كانت مجرمة في الإجرام ، لتحقيق الأهداف المقدسة للصهيونيين في (أرض إسرائيل) ، حتى ليغدو القتل والاغتيال والإرهاب من عاديات الحياة اليومية .

٤) اعتماد قانون أعلى ، هو « الحق المطلق » بالنسبة إليهم أو إلى « مطلق صهيوني » ، يضع الصهيونيين كلهم في جهة وباقي الجنس البشري في جهة أخرى أدنى منهم .

٥)الارتسام والدخول في « كهنوت صهيوني » غايته إنقاذ « وطن اليهود » حتى يصبح الحقد الأعمى ضد العرب من مقومات الإيمان ، وتطهير (أرض إسرائيل) من العرب سبيلاً لتحقيق المثل الصهيوني الأعلى .

٦) الجاسوسية التي لا تحجم عن ارتكاب أية جريمة لتحقيق أهدافها .

٧) الإيمان بأن الهجرة " اللاشرعية " إلى فلسطين ، دون الإحجام عن أية وسيلة لتحقيقها ، هي مجرد مرحلة للغزو الاستيطاني الصهيوني .

وتتوافر الأدلة التي توضح هذه المجموعة الرهيبة من عناصر العقيدة الصهيونية في كل مصدر من مصادر التراث الصهيوني الإرهابي . كتب موشي مينوحين الذي نشأ صهيونياً في فلسطين ثم ارتدّ عن الصهيونية ما يلي : " نحن أرائل المتخرجين من « المعبد المقدس » للقومية اليهودية السياسية ، تدربنا نفوسنا و« ارتسمنا » لنتقذ « الوطن اليهودي » بأي ثمن كان ، ولنطهر فلسطين من كل من لم يكن يهودياً - غويم - . . . أعرف من أي مصدر أتكلم . فقد تبعت أحمال « عصابتي » خلال هذه السنوات كلها . واحتجت إلى حياة كاملة كي أفصل نفسي عن هذه الفلسفة البدائية الهوجاء في القومية اليهودية التي أراها شكلاً مَرَضِيًّا من الأنانية الجماعية . هذه القومية التي تعتبر ذاتها « مطلقاً » يدين لها العالم بكل شيء ، ولا تدين لأحد بأي شيء " .

ويقول جابوتنسكي مخاطباً الصهيوني : "كل إنسان آخر على خطأ ، وأنت وحدك على صواب . لا تحاول أن تجد أعذاراً من أجل ذلك ، فهي غير ضرورية ، وهي غير صحيحة . وليس بوسعك أن تعتقد بأي شيء في العالم إذا اعترفت ، ولو لمرة واحدة ، أن خصومك قد يكونون على صواب لا أنت ، فهذه ليست الطريقة لتحقيق أي أمر . لا توجد في العالم إلاّ حقيقة واحدة ، وهي بكاملها ملكك أنت " .

وهناك قصة قديمة تروى عن شاب سئل في الكيبوتز : كيف ترى المشكلة العربية ؟ فأجاب : " من خلال فوهة البندقية " . وكتب بيغن : " تعلّمت منذ حداثة سنّي عن أبي أننا ، نحن اليهود ، لا بد أن « نعود » لأرض إسرائيل . ولا يجوز مطلقاً القول أن « نذهب » أو « أن نسافر » أو « أن نأتي » ، بل يكل حزم أن نعود . ذلك هو الفارق الكبير . وهو فارق شامل كل الشمول " . ويعطي بيغن التحديد الجغرافي (لأرض إسرائيل) لتشمل بالإضافة إلى فلسطين كلها ضفتي الأردن جميعاً ، ويعتبرها إرثاً للشعب اليهودي بكامله . أما عن الشرعية المطلقة المتجسدة في العقيدة الصهيونية فيقول : " لكي تتمكن من المحافظة على باب مفتوح مع الحركة السرية تحتاج إلى شيء أكثر من مجرد استعمال الأسماء الملفقة . إن أكثر الأمور ضرورة هو الشعور الداخلي الذي يحوّل ما هو « شرعي » إلى « غير شرعي » وما هو « غير شرعي » إلى « شرعي » و« مبرر » . لقد كنا مقتنعين « بالشرعية » المطلقة لأعمالنا « اللاشرعية »" . وفي هذا الإطار عن « شرعية » « اللاشرعية » يقول جابوتنسكي : " القول إن ابني يعمل في الهجرة « اللاشرعية » لإيصال اللاجئين اليهود إلى فلسطين شرف لا يحق لي أن أناقشه " .

تتضح هذه المنطلقات الأساسية في العقيدة الإرهابية الصهيونية بازدياد عند الرجوع إلى أمرين :

١) التاريخ الحقيقي لنشوء المنظمات الإرهابية « الأم » التي تفرعت عنها المنظمات التابعة .

٢) السرّيّة المطلقة في تشكيلها .

ولئن جرى تعداد مختلف المنظمات الإرهابية فسيكون التركيز هنا على المنطلقات العقائدية التي تشكل بمجموعها ما يمكن أن يسمى بحق « فلسفة الإرهاب الصهيوني » التي ما زالت حتى اليوم تشكّل العقلية الخلفية للعقيدة الصهيونية التي لم تتغير . وأهم ما يشدد عليه في هذا المدخل أن ما دعي بالمنظمات الأم ، كالهاغاناه * والهاشومير * ، إنما نشأت أصلاً في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل

القرن العشرين في أوربا الشرقية ، ولها غاية واحدة هي غزو فلسطين وإخراج العرب منها . وأن الوافدين الأوائل من اليهود، وجلّهم حينذاك من أوربا الشرقية ، لم يكونوا « مهاجرين » أو « لاجئين » إلى « ملجأ أمين » ، بل كانوا في الواقع طلائع الغزوة الصهيونية . ولم يكن وعد بلفور أو الانتداب البريطاني إلا من الوسائل التي سبقت إلى إضفاء صبغة الشرعية الدولية على الغزوة الاستيطانية .

أ ـ الهاغاناه : يقول بيغال آلون ، أحد ضباط الهاغاناه ، ومن قادة البالماخ في كتابه « تكوين الجيش الإسرائيلي » : " منذ عام ١٨٨٠ ، عندما كانت البلاد لا تزال تحت الحكم العثماني ، ولم يكن عدد السكان يزيد على بضع عشرات من الألوف (يحدّد آلون عدد اليهود حينذاك في فلسطين كلها بأنه ٢٤،٠٠٠ ، نصفهم يعيش في القدس * والنصف الآخر موزع في الجليل وصفد * وطبرية * ويافا * وعكا *) ابتدأ تشكيل خلايا سرّية للدفاع ضد السرقة والسطو والقتل والاغتيال . ولم تكن هذه التنظيمات صفة سياسية ، ولكن ترتب عليها بصورة غير مباشرة نتائج سياسية . وهكذا تشكلت منذ بداية هذا العصر نوى متعددة مختلفة لمنظمات عسكرية يهودية سرّية ذات اتجاهات سياسية ، وأهمها فرق الهاشومير التي تعتبر المنظمات التي سبقت الهاغاناه . وقد أخذت هذه الفرق تفكر في هذه المرحلة في أن يكون دفاعها عن اليهود على مستوى وطني قومي واسع . وكانت مستعدة دوماً للدفاع عن أية مستعمرات يهودية مهما كانت بعيدة أو نائية ، بل كلما كانت أبعد كانت أفضل . وأخذت تحمي هذه القرى النائية بالاشتراك مع الفلاحين والمزارعين فيها " .

ومما أدى إلى تقوية الهاغاناه في الفترة من ١٩٢٠ ـ ١٩٣٠ تدفق المهاجرين اليهود من عدة بلاد ، وخاصة من أوربا الشرقية . ولم تكن هذه التقوية في العدد فحسب بل في النوع أيضاً ، لأن أغلبية المهاجرين الجدد كانت من الشباب ، وكلهم مثاليّ متحمس ، والكثير منهم اكتسبوا خبرة بالتنظيمات شبه العسكرية والسرية عندما كانوا يدافعون عن الأحياء اليهودية في شرقي أوربا أثناء تعرضها للهجوم .

وقد أثر على تكوين الهاغاناه وذهنية المنخرطين فيها اختيار أمكنة المستعمرات اليهودية الذي كان خاضعاً لأهداف استراتيجية وسياسية محض . ولم يكن العامل الاقتصادي وحده هو العامل المؤثر في اختيار مواقع المستعمرات ، ولكن حاجات الدفاع المركزي والاستراتيجية الشاملة للاستيطان التي كان هدفها الرئيسي ضمان وجود سياسي يهودي في جميع أنحاء البلاد ، والدور الذي يمكن أن تلعبه مثل هذه المستعمرات في المستقبل ، خاصة في مجابهة حاسمة لا بد من وقوعها يوماً ضد العرب ، كانت كلها أكثر أهمية من العمل الاقتصادي في نظر المخططين للاستيطان الصهيوني . وهكذا نشأت المستعمرات ، على مختلف أنواعها ، منعزلة ، تفصل الواحدة عن الأخرى المسافات الجغرافية والحواجز الطبيعية . والنتيجة أن كل مستعمرة يهودية جاءت قلعة محصنة للهاغاناه . وقد رافق التخطيط الاقتصادي والزراعي التخطيط العسكري ، وكانت موازنة الهجرة تعنى بالسيف وبالمحراث معا ، وتؤمن احتياجاتها جنباً إلى جنب .

وقد أدخلت هذه الحاجات عدة عناصر جديدة في تفكير الهاغاناه العسكري وأسلوب تنفيذ مخططاتها . وشمل ذلك وضع استراتيجية متماسكة متكاملة تأخذ بعين الاعتبار الحاجات العسكرية في مختلف أنحاء البلاد ، والقدرة على التحرك السريع ، والاستعمال الأكبر للأسلحة الأوتوماتيكية الخفيفة . ونوق ذلك كله أدّى تطور الهاغاناه إلى إقامة قيادتين سريتين ؛ قيادة مدنية عليا ، وقيادة عسكرية عليا لها رئاسة أركان كاملة ، وتخضع القيادتان للتنظيم الصهيوني المتمركز في الوكالة اليهودية .

ب ـ الهاشومير (فرق الحراس): يذهب عاموس برلمتر في كتابه « العسكرية والسياسة في إسرائيل » إلى أن أولى قوى الدفاع اليهودي تشكلت في الشتات في أوربا الشرقية أواخر القرن التاسع عشر ، وأن حزب بوعالي صهيون * ، وهو الحزب الذي سبق الحركة الاشتراكية الصهيونية ، هو الذي أشرف أيضاً على تشكيل فرق الحرس في فلسطين عام ١٩٠٥ ، ثم حلت محلها عام ١٩٠٩ فرق الحرس المعروفة بهاشومير . ولم تكن فرق الهاشومير في بدايتها تشكل مجموعة متماسكة من الصهيونيين بل مزيجا من الصهيونيين من شرقي أوربا وأوكرانيا والقفقاس ، ثم انضم إليها يهود روسيون ماركسيون وبثّوا فيها روحا محاربة . والذي أبقى عمل فرق الهاشومير حتى منتصف العشرينات قرب التزامها الايديولوجي والقومي من الفئات الاشتراكية الرائدة في فلسطين .

وكانت فرق الهاشومير تعمل كنواة تآمرية (وقد استعمل برلمتر هذا التعبير) تعلغلت في معظم المنظمات الاشتراكية الصهيونية في فلسطين لتنافس عمل الهستدروت * . وهكذا سعت فرق الهاشومير الماركسية تحت ستار تأمين الدفاع أن تحوّل فعالية الصهيونية الاشتراكية إلى اتجاه ماركسي .

جـ ـ فرق العمل : شكلها يوسف ترمبلدور ، وهو صهيوني اشتراكي راديكالي ، وحارب قديم اشترك في الحرب الروسية ـ اليابانية عام ١٩٠٥ . وقد اشترك مع جابوتنسكي ووايزمن في الدعوة لتشكيل فرقة يهودية تحارب في صفوف الحلفاء في الحرب العالمية الأولى . وقد تم تشكيلها بالفعل ، وكانت القاعدة لبنية سياسية تنافس حوفا عدد من الأحزاب الصهيونية عندما قاربت الحرب العالمية الأولى نهايتها . وقد نظر جابوتنسكي إلى الفرق

اليهودية على أنها المرحلة الأولى من تطوير جيش يهودي في فلسطين . وقام جابوتنسكي بجهود كبيرة لإبقاء الفرق اليهودية كطلائع جيش الاحتلال اليهودي في فلسطين .

ولعل من الضروري التوقف لاستخلاص بعض النتائج المترتبة على هذه المرحلة الأولى مرحلة ولادة الارهاب الصهيوني . ومن الواضح أن هذه الروايات المتعددة والمتفقة فيما بينها حول نشأة الإرهاب الصهيوني تثبت النتائج الأولية التالية :

١) تعود نشأة الحركات الإرهابية الصهيونية إلى ولادة الحركة الصهيونية في أواخر القرن التاسع عشر في أوربا . وقد بدأت هذه الحركات الإرهابية تعمل بكل تأكيد في مطلع هذا القرن في أوربا الشرقية لتجعل مجيء اليهود إلى فلسطين ، أو على حد تعبيرهم « عودتهم لأرضهم »، غزوة عسكرية استيطانية . كما تعود قواعد الإرهاب وإطارات تشكيلاته إلى ما قبل وعد بلفور وإلى ما قبل الانتداب البريطاني على فلسطين بعقدين على الأقل .

٢) كانت المستعمرات اليهودية منذ تأسيسها تلاعباً عسكرية . وهي ، وإن كانت دفاعية في مرحلتها الأولى ، مجهزة لتصبح قلاعاً للهجوم والتوسع .

٣) الدمج الكامل في الاستيطان الصهيوني بين المؤسسة العسكرية والمؤسسة المدنية ، تغذي الواحدة الأخرى باستمرار ، وكلما اقتضت الحاجة بذلك . بل إن المؤسسة العسكرية هي القاعدة الكبرى التي تغذت وما زالت تتغذى منها المؤسسة المدنية ، بدليل العدد الكبير من القادة العسكريين الإسرائيليين الذين انتقلوا ، فيما بعد ، إلى القيادة السياسية وإدارة الدولة . والانتقال من الواحدة للأخرى في زمن الحرب سهل وشبه آلي . ويترتب على ذلك أن المجتمع الإسرائيلي هو في أصله وتكوينه واتجاهه مجتمع عسكري عدواني .

٤) إن جمع الأسلحة وإخفاءها والتدرب عليها يعود لأواخر الحرب العالمية الأولى .

٥) إن المؤسسة الجاسوسية الصهيونية ، وهي كلها جزء لا يتجزأ من الارهاب الصهيوني وقسم منه ، رافقت المؤسسة العسكرية الصهيونية منذ الحرب العالمية الأولى مرافقة الظل للأصل .

٦) كان للفرقة اليهودية التي حاربت في صفوف الحلفاء في الحرب العالمية الأولى الأثر الأقوى في تكوين العسكرية الصهيونية التي قام عليها الإرهاب الصهيوني ، وفي ازدواجية الولاء عند كل صهيوني . فالجنود والمتطوعون الأميركيون والبريطانيون اليهود منذ ذلك الحين أحسوا بواجب الخدمة العسكرية في صفوف المستعمرين اليهود في فلسطين وإنشاء المستعمرات اليهودية بالقوة .

٧) تظهر العرقية ويبدو الاستعلاء العنصري منذ بداية الحركة الصهيونية . فالأحاديث عن الإرهاب الصهيوني في جميع المصادر التي اعتمدناها تشير كلها إلى العرب « كسدو » وا رجال عصابات » وه لصوص » و« قتلة » . وهذا يضع اليهود الصهيونيين ، منذ بدء المجابهة ، على مستوى أعلى من العرب في نظر أنفسهم ، ولا يتركون ثمة مجالاً لشك القارىء في أنهم من طينة أعلى .

٨) هذا كله لم يمنع الذين أرّخوا للإرهاب الصهيوني ـ الذي كان قاعدة للعسكرية الإسرائيلية فيما بعد ـ من الاعتراف بقوة المقاومة العربية للغزوة الصهيونية منذ العشرينات ، وأنها كانت عاملاً فعالاً في سعي المنظمات الإرهابية لتقوية نفسها وزيادة تسلحها .

لقد تجرّد الصهيونيون اليهود ، والإسرائيليون فيما بعد ، من كل الضوابط الأخلاقية العادية التي يأخذ بها جميع الناس ، وحللوا لأنفسهم ارتكاب أية جرائم وحشية بربرية ، ومنها جرائم الاغتيال ، وكل ذلك من أجل (الدولة) . لقد ضم كتاب « تاريخ الهاغاناه » لبن زيون دينور لوائح بأسماء الزعماء العرب الذين قررت قيادة الهاغاناه اغتيالهم منذ عام ١٩٤٥ في حال عدم قيام (إسرائيل) . ومن أعضاء هذه القيادة من أصبحوا وزراء في دولة (إسرائيل) فيما بعد .

أكملت الهاغاناه رسالتها وبلغت ذروة مهمتها في ١٩٤٨/٥/٣١ عندما أصدر رئيس الوزارة بن غوريون الأمر التالي : " مع إقامة دولة إسرائيل خرجت الهاغاناه من مخبئها وتحولت إلى جيش نظامي " . وقد احتفظ هذا الجيش في جوهره بالعقيدة الإرهابية التي ولدت في عقول مؤسسي الصهيونية . وهذا ما يفسر المجازر التي ارتكبها ، سواء في غاراته الغادرة على البلاد العربية المجاورة أو في حروبه التوسعية . فالتوسع والاحتلال من سمات الإرهاب الصهيوني الأساسية .

د ـ البالماخ * : هي القوة الضاربة للهاغاناه . وقد انتخب أفرادها من أقوى عناصر الهاغاناه وشباب المستعمرات . وكان تشكيلها نتيجة للتذمر بين الشباب وفي الكيبوتزات من أن الهاغاناه ، ويهود فلسطين إجمالاً ، يتعاونون مع السلطة المنتدبة ، أو لا يأخذون موقفاً هجومياً من العرب ، في حين يريد هؤلاء الشباب العكس .

وأفضل مصدر عن البالماخ هو كتاب « سفر البالماخ » الذي نشر بالعبرية في مجلدين في تل أبيب سنة ١٩٥٣ . وفيه أن الإرهابي إسحق سادة هو الذي أدّت جهوده إلى تشكيل البالماخ ، ثم تولى قيادتها . وقد غدت البالماخ الوحدة العسكرية المحترفة الأولى ، لها ايديولوجيتها السياسية إلى جانب نظامها الدقيق وهدفها العسكري الشامل ، وهو الإشراف على الوضع العسكري في فلسطين

بكاملها. وكانت تمثل في الحركة الصهيونية الاتجاه التوسعي العسكري الذي يجب تحقيقه على أكبر مستوى ممكن دون الاكتفاء بمجرد الدفاع عن المستعمرات. وقد تطورت البالماخ وتشعّبت بين عامي ١٩٤١ و١٩٤٨ حتى أصبحت لها تنظيماتها العسكرية في كامل أنحاء فلسطين.

وفي حرب ١٩٤٨ " كانت فرق البالماخ تقاتل في الجبهة الجنوبية، وهي التي احتلت النقب ". ومن الأدوار الرئيسة التي قامت بها إحراج الأكثرية العربية من فلسطين عن طريق المجازر التي ارتكبها الإرهابيون الصهيونيون ضد العرب، كمذبحة دير ياسين " التي شاركت البالماخ في التخطيط لها وتنفيذها مع الإرغون " وعصابة شتيرن ".

يتخلل مجلدي سفر البالماخ إشارات متعددة إلى العرب بوصفهم « العدو ». ومما تجدر ملاحظته فيهما أيضاً وجود عشرات الخرائط عن جولات للبالماخ " أثناء قيام أفرادها بالواجب " في مختلف أنحاء فلسطين والمناطق المعدة للاحتلال. وقد تضمنت الصفحة ٩٨ من المجلد الأول خطة وضعتها البالماخ عام ١٩٤١ من أجل احتلال دمشق عسكرياً بالاشتراك مع قوات الحلفاء.

ومن إرهابيّي البالماخ الذين اشتهروا وأصبحوا رؤساء أركان الجيش الإسرائيلي موشي دايان (١٩٥٣ - ١٩٥٧)، وإسحق رابين (١٩٦٣ - ١٩٦٧)، وحاييم بارليف (١٩٦٨ - ١٩٧١). وقد عرف الجيش الإسرائيلي ٤٥ لواء كانوا من إرهابيي البالماخ السابقين، ومنهم من أصبحوا وزراء.

هـ - الإرغون تسفاي لئومي" ، أو المنظمة العسكرية القومية: لا يزال المصدر الأساسي لدراسة هذه المنظمة الإرهابية المتطرفة كتاب زعيمها مناحيم بيغن، وعنوانه « الثورة: قصة الإرغون ». ويعتبر جابوتنسكي الأب الفكري لهذه المنظمة الإرهابية، وقد وضع كتاباً عنوانه « الفرقة اليهودية » صوّر اليهود فيه غزاة أوربيين لا تربطهم بالعرب أي صلة، وعليهم أن يحتلوا فلسطين بالقوة لتوسيع رقعة أوربا إلى الفرات. وقد ساهمت الفرقة اليهودية التي أسسها جابوتنسكي أثناء الحرب العالمية الأولى في غزو فلسطين، لأنها كانت تحت إمرة الجيش البريطاني الذي دخلها. ومن روحها وصفوفها نشأت العسكرية الصهيونية التي كانت ولادتها في شكل الإرهاب، فقامت الهاغاناه أولاً، والإرغون ثانياً، لأنها وجدت أن الهاغاناه معتدلة، وكان عليها أن تلتزم منذ البداية بخطة للهجوم، لا بخطة للدفاع فحسب، دون التراجع قيد أنملة عن أهداف الصهيونية الكبرى.

يقول بيغن في مقدمة كتابه الثورة: " كتبت هذا الكتاب أيضاً لغير اليهود، خشية ألا يكون قد ثبت لديهم، أو خوفاً من أن يكونوا قد نسوا، أنه من الدماء والنار والدموع والرماد قد خلق صف جديد من البشر لم يعرفه العالم لأكثر من ألف وثمانمائة سنة، وهو اليهودي المحارب ".

والكتاب يبيض بالحقد في كل صفحة من صفحاته. ولا يحاول بيغن إخفاء ذلك بأي شكل بل يعلنه في المقدمة ويعترف أنه يـ-ين الدوافع الأولى التي استوحى منها فلسفته ومنطقه. يقول: " قال ديكارت، أنا أفكر فأنا اذن موجود. وأقول أنا أحارب فأنا اذن موجود ".

لقد ارتكز الارهاب الصهيوني إلى مقدمة تستنتج منها مواقفه وخلاصتها: ما من وجود « شرعي » للعرب. وما هو « شرعي » للأكثرية العربية هو مجرد « لا شرعية » بريطانية. لذلك يقول بيغن إن الإرغون أخذت على عاتقها، بالاشتراك مع حزب جابوتنسكي الصهيوني التصحيحي، ومع منظمة بيتار في أوربا الشرقية، أن تأتي بآلاف المهجرين اليهود « غير الشرعيين » إلى البلاد، رغم معارضة بريطانيا والعرب للهجرة اليهودية غير الشرعية. لقد كان بن غوريون ذاته ويإقراراه مهاجراً غير شرعي.

« الثورة » التي اختارها بيغن عنواناً لكتابه واسْماً لحركته هي التي تحوّل اللاشرعية شرعية. ولكنها ليست أكثر من ستارة للإرهاب الدموي والبطش اللذين تميزت بهما حركته. وليس ضرورياً أن يكون الإرهاب إرهاباً صهيونياً ضد العرب وحدهم، فقد كان في بعض الأحيان إرهاباً يهودياً صهيونياً ضد اليهود. ولقد تحدث بيغن في كتابه عن حرب عصاباته ضد الوقوف في وجه الهجرة اليهودية إلى فلسطين: " إن الباخرة باتريا" التي وصلت حيفا تقل مهاجرين يهودا لم تبحر قط. فالإرهابيون اليهود - وقد استعمل هذه اللفظة بالذات - وضعوا قنبلة في الباخرة ليحولوا دون إقلاعها. وقد انفجرت القنبلة فقتل وغرق أكثر من مائتي يهودي ". نقتل اليهود على يد اليهود كان إذن في نظر بيغن خيراً من الحيلولة دون وصولهم إلى فلسطين، لأن السلطات البريطانية كانت قد منعت الباخرة باتريا من إفراغ حمولتها من المهاجرين.

أما عن إرهاب الإرغون ضد العرب فيقول بيغن: " لقد نجحنا في المراحل الأولى من الثورة أن نحقق هدفاً استراتيجياً هاما؛ لقد نجحنا في تعطيل العامل العربي الموضعي. فعندما وقعت الهجومات العربية ضد اليهود أعوام ١٩٢٠ و١٩٢١ و١٩٢٩ و١٩٣٣ و١٩٣٦ - ١٩٣٩ كان البريطانيون يبررون وجودهم في فلسطين بالدفاع عن اليهود، ولكن بعد أن نجحنا في تعطيل القوة البريطانية دون أن نتعرض للعرب أخذ البريطانيون يبررون وجودهم في فلسطين بحماية العرب. وقد قلنا للعرب إنه ليس لدينا أية رغبة في محاربتهم أو إلحاق الأذى بهم، وإننا حريصون كل الحرص أن

نراهم مواطنين مسالمين في الدولة اليهودية المقبلة . واستشهدنا بالحقيقة التي لا تنكر ، وهي أننا في العمليات التي قمنا بها في المناطق العربية لم نقم بأي عمل ضد سلام العرب أو أمنهم " . ثم لا يلبث بيغن أن يكذب نفسه بنفسه فمنذ عام ١٩٣٧ مارس الإرهابيون الصهيونيون قتل العرب واغتيالهم مستعملين أبشع أنواع الإرهاب والتحدّي . وعندما انتضت الاستراتيجية الإرهابية مهاجمة العرب فعلوا ذلك ، ويكفي أن نذكر مجزرة دير ياسين التي وقعت في ١٩٤٨/٤/١٠ والتي ارتبط اسمها باسم بيغن لنرى كذب قوله .

وخصص بيغن الفصل التاسع والعشرين من كتابه لـ " غزوة يافا " ، وهذا الفصل برمّته يجب أن يصبح جزءاً لا ينجزأ من وثائق الأمم المتحدة ومحاضرها لأنه يظهر بشكل قاطع تصميم الصهيونيين على « تطهير » فلسطين من جميع السكان العرب ، بما في ذلك المناطق العربية التي أعطيت للعرب بموجب التقسيم . ويكشف بيغن عن تعاون جميع المنظمات الإرهابية فيما بينها لتحقيق هذا الهدف ، رغم أن الوكالة اليهودية * الناطقة باسم يهود فلسطين حينذاك كانت تعلن عكس ذلك . لقد تم التصويت على التقسيم في ١٩٤٧/١١/٢٩ ولم تدخل الجيوش العربية فلسطين إلاّ في ١٩٤٨/٥/١٥ ، وكانت الأشهُر الواقعة بين هذين التاريخين حاسمة ، وهي الأشهر التي انْصبّ الجهد العسكري السياسي الصهيوني خلالها على هدف مزدوج : تعطيل التقسيم عمليا من جهة ، والدعاية من جهة أخرى بأن اليهود قبلوا التقسيم وأن العرب رفضوه .

يقول بيغن : "في اجتماع لقادة الإرغون اشترك فيه قسم التخطيط آخر كانون الثاني ١٩٤٨ : حددنا أربعة أهداف استراتيجية : (١) القدس (٢) يافا (٣) سهل اللد ـ الرملة (٤) المثلث " ، والمقصود بالمثلث ، مجموعة الأراضي التي تضم المدن العربية الثلاث نابلس * ، وطولكرم * ، وجنين * . ومعظم هذه الأهداف لم تكن داخلة في حدود الدولة اليهودية التي رسمها مشروع التقسيم . ثم يتابع بيغن فيقول : "حين قررنا إستراتيجية الغزو لم تكن لدينا الأسلحة الكافية ، وكان لا بد من الحصول على الأسلحة ، ولا سيما أن الهجمات الأولى على يافا أثبتت صعوبة احتلال هذه المدينة المقاومة " . وهكذا أخذ إرهابيو الإرغون ينصبون الكمائن ، ويقومون بعمليات الغزو والسطو للحصول على الأسلحة .

و ـ عصابة شتيرن أو ليحي * : زمرة انشقت عام ١٩٤٠ عن الإرغون أسسها إبراهام شتيرن الذي قتل عام ١٩٤٢ . وقد يكون أفضل مدخل لتعريف عصابة شتيرن عناوين كتب ثلاثة ، كتب اثنين منها فردان من عصابة شتيرن . والكتب هي ، ١) مذكرات قاتل ، اعترافات مجرم من عصابة شتيرن ، لافنر ، وهو اسم مستعار ، ٢) امرأة من أتباع العنف : مذكرات فتاة إرهابية ١٩٤٣ ـ ١٩٤٨ لغيئولا كوهين ، وهي عضو في الكنيست * ، ٣) الفعل العظيم للصحفي الأميركي جيرالد فرانك ، وهو يتحدث عن اغتيال اللورد موين الوزير البريطاني في القاهرة من قبل شابّيْن يهوديّيْن شُنقا بعد ذلك . وتأتي عمليات شتيرن في السطو على المصارف ، وقتل الأفراد ، ونسف المنازل ، وقتل الحراس ، وغير ذلك ، نماذج وأدلة على ممارسة العنف والإرهاب بمختلف أنواعها .

وبالرغم من إنكار بن غوريون وشاريت المتكرر في عامي ١٩٤٥ و١٩٤٦ لأي صلة لهما وللهاغاناه بجرائم عصابة شتيرن وإرهاب الإرغون ، فقد كتبت المصادر الأساسية عن عصابة شتيرن العكس . فقد أكّدت الإرهابية غيئولا كوهين أن التعاون كان وثيقاً ومنسّقا ، حتى أن الهاغاناه والبالماخ والإرغون وشتيرن كانوا يستطيعون أن يضربوا معا ، وفي آن واحد . وهكذا ولدت قوة صهيونية محاربة واحدة عرفت باسم « الجبهة المقاتلة » . ففي ليلة ١٩٤٦/١٠/٢١ استطاعت هذه المنظمات كلها أن تشترك ، على قدم المساواة ، في سلسلة هجمات إرهابية من عكا شمالاً إلى غزة * جنوبا ، ومن الشاطىء غرباً إلى هضاب القدس شرقا . وقد عاد بن غوريون الذي كان قد شجب جرائم عصابة شتيرن فعبّر ، بعد بضعة أشهر من قيام (دولة إسرائيل)، عن احترامه " للذين نذروا نفوسهم كالرجلين اللذين شنقا في القاهرة لأنهما قتلا اللورد موين . وأما أبراهام شتيرن فهو أحد أرفع الرجال الذين عرفهم عصرنا " .

وقد وصفت الحكومة البريطانية عصابة شتيرن في وثيقة رسمية عنوانها « بيان حول العنف » أصدرتها في ١٩٤٦/٧/٢٤ برقم ٦٨٧٣ ، وصفتها بأنها انشقت عن الإرغون عندما قررت الإرغون إيقاف عملياتها عام ١٩٣٩ . ويقدر رجال شتيرن بين ٢٠٠ و٣٠٠ فرد متعصبين خطرين لا يتورعون عن أية جريمة . وقد تعاونوا لمدة مع جماعة الإرغون لأن كلتا العصابتين تؤمن بالتطرف الذي لا حدود له . وأكد هذا البيان البريطاني الرسمي :

" ١) أن الهاغاناه وقوتها الضاربة البالماخ ـ وكلتاهما تحت القيادة السياسية لأعضاء بارزين في الوكالة اليهودية ـ تقومان دائماً بأعمال تخريب وعنف خطط لها بعناية فائقة ، تحت ستار " حركة المقاومة اليهودية " .

" ٢) أن منظمة الإرغون تسفاي لئومي وعصابة شتيرن قد عملتا منذ الخريف الماضي (١٩٤٥) بالتعاون التام مع قيادة الهاغاناه في تنفيذ بعض العمليات المشتركة .

" ٣) أن محطة الإذاعة المسماة « صوت إسرائيل » التي تدّعي أنها « صوت حركة المقاومة » ، وتعمل بتوجيه كامل من الوكالة اليهودية ، كانت تدعم هذه المنظمات " .

وقد تحدثت مصادر حكومية ودولية أخرى ، غير البيان الرسمي البريطاني السابق ، عن الإرهاب الصهيوني ، ومنها كتاب العلاقات الخارجية للحكومة الأميركية (من المنشورات الرسمية لوزارة الخارجية الأميركية) الذي يتضمن الوثائق السرية الرسمية الأميركية . ففي المجلدين الرابع والثامن ما يثبت أن الحكومة الأميركية كانت على علم ، منذ عام ١٩٤٣ ، بأن الوكالة اليهودية والمنظمة الإرهابية الهاغاناه التابعة لها والمنظمات الإرهابية الأخرى كانت لها خطط موضوعة لطرد الأكثرية العربية من فلسطين ، والسيطرة سيطرة كاملة عليها وعلى مقدرات الشرق الأوسط الاقتصادية إنْ كُتب لها تنفيذ هذا الأمر الأخير .

وهنالك قراران صوّت عليهما مجلس الأمن الدولي في ١٨ و١٩٤٨/٩/١٩ فور اغتيال برنادوت الوسيط الدولي ومساعده الضابط الفرنسي من قبل « الإرهابيين » ، وتحت أنظار حكومة (إسرائيل) . وجاء في القرار الأول رقم ٥٧ "أن مجلس الأمن أصيب بصدمة عنيفة للموت المفجع الذي أصاب وسيط الأمم المتحدة الكونت فولك برنادوت نتيجة لفعل أثيم ارتكبته زمرة مجرمة من الإرهابيين في القدس حين كان ممثل الأمم المتحدة يقوم بواجبه من أجل تحقيق السلام في الأرض المقدسة " . ونصّ القرار الثاني رقم ٥٩ على ما يلي :

" ١) يسجل مجلس الأمن باهتمام أن حكومة إسرائيل المؤقتة لم تقدم حتى اليوم تقريراً لمجلس الأمن أو للوسيط بالوكالة حول تطور التحقيق في اغتيال الوسيط الدولي .

" ٢) يطلب من تلك الحكومة أن تقدم لمجلس الأمن في وقت مبكر تقريراً عن التطور الذي تم في التحقيق ، وأن تبيّن فيه الإجراءات التي اتخذت إزاء إهمال الموظفين ، أو أية عوامل أخرى ، أثرت في ارتكاب الجريمة " .

لكن الثابت الآن أن حكومة (إسرائيل) قد تنصّلت في التقرير الذي قدمه مندوبها لدى الأمم المتحدة من الجريمة وحاولت طمس معالمها . وأن الإرهابي الصهيوني الذي أشرف على تنفيذ قتل برنادوت ، واسمه فريدمان يالين ، اعتقل بعد محاكمة صورية ، ثم صدر عفو عام عن المعتقلين فأفرج عنه وانتخب نيابياً بعد عضواً في الكنيست الاسرائيلية . وقد جاء في التقرير الذي رفعه إلى مجلس الأمن الوسيط بالوكالة الدكتور رالف بانش عن حادث الاغتيال : "أن هذه الاغتيالات تشكّل تحدياً كبيراً من قبل عصابة مستهترة من الإرهابيين اليهود " .

ومن يود تقصّي حقيقة الإرهاب الإسرائيلي الرسمي ، ومعرفة جرائم إرهاب (دولة إسرائيل) والعصابات التي شكلتها الحاسوسية الإسرائيلية بعد عام ١٩٤٨ ، فموعه الرجوع إلى كتاب الكاتب الإسرائيلي يار زوهار « المنتقمون » ، ففيه عرض لما قامت به بعض العصابات الإرهابية الصهيونية في ألمانيا الغربية بعد نهاية الحرب العالمية الثانية ، كتسميم الخبز والماء في بعض المدن الألمانية ، و" اصطياد العلماء الألمان " وملاحقتهم وقتل أعداد كبيرة منهم ، واغتيال شهداء المقاومة الفلسطينية الثلاثة محمد يوسف النجار* وكمال ناصر* وكمال عدوان* في بيروت ليلة ١٩٧٣/٤/١٠ وغيرهم من زعماء المقاومة وممثليها في العواصم المختلفة . وذلك كله نموذج حي لما يمكن (لإسرائيل) أن تقوم به ، لا بل هي تدافع عنه .

وأخيراً ثمة بضع نتائج يمكن استخلاصها من هذا البحث :

١) إن النفسية الإرهابية الإجرامية لا يمكن أن تتغير بتغيير الأسماء . فتغيير أسماء الهاغاناه والبالماخ والإرغون وعصابة شتيرن إلى جيش الدفاع الإسرائيلي* ، وتغيير أسماء قادة (إسرائيل) ورجالها من ديفيد غرين إلى بن غوريون ، وشرتوك إلى شاريت ، وأودري إيفان إلى أبا ايبان لا يعنيان مطلقاً أن تركيبهم النفسي والخلقي ، وتصوّرهم للعلاقات الإنسانية ، وموقفهم من العرب قد تغيرت . فأكثر رجال هذه العصابات الإرهابية وقادتها هم اليوم من قادة (إسرائيل) ورجالها . ويكفي أن نتذكر ما ارتكبته (إسرائيل) وترتكبه ضد العرب من سكان الأراضي المحتلة . فلقد أحصت سجلات الأمم المتحدة خمس عشرة مخالفة لاتفاقيات جنيف على الأقل دينت (إسرائيل) من أجلها . وكان أوضحها وأقواها إدانتها « بجرائم الحرب » بدليل ما جاء في الفقرة ٧ من القرار رقم ٣ الذي صوّتت عليه لجنة حقوق الإنسان في ١٩٧٢/٣/٢٢ . فقد نصت على أن : "لجنة حقوق الإنسان تعتبر أن مخالفات اتفاقية جنيف الرابعة الخطيرة التي اقترفتها إسرائيل في المناطق المحتلة تشكل جرائم حرب وإهانة للإنسانية " . وقد تكررت هذه الإدانة من قبل اللجنة ذاتها في جميع قراراتها التي صدرت حتى الآن . ووفقاً للتشريع الدولي في جرائم الحرب لا تسقط جريمة الحرب عن المجرم بتقادم الزمن ، بل تجب محاكمته مهما انقضى من زمن على جريمته .

٢) يتضح من المصادر الكثيرة المنشورة أن الصهيونيين والإسرائيليين الذين قادوا عمليات الإرهاب ، ثم كتبوا عنها ، وصفوا جرائمهم بدقة وتفصيل ، وسمّوا أنفسهم القتلة والإرهابيين في عناوين كتبهم أحياناً ، لا في بطونها فحسب .

٣) تشكل هذه المصادر الأولى في الإرهاب الصهيوني الإسرائيلي مجموعة فريدة لا مثيل لها في أي تراث تاريخي أو سياسي . ذلك أن القارىء يجد كتباً في عدة لغات كتبها « الكوماندوس » عن أفعالهم أثناء الحرب . وأما أن يجد تراثاً بكامله يبحث في الإرهاب ، ويؤكده ، ويفلسفه ، ويبرر وجوده ، ويعطي تفاصيل أبشع

الجرائم ، فهذه ظاهرة جديرة بالتأمل لسبر أغوارها ومعانيها . وقد جاءت كتب هذا التراث الإرهابي من الغرب، ومن أكبر دور النشر في أمريكا وبريطانيا . فهلاّ نكر الغرب بهذا القسم من نتاجه ؟ لا يمكن أن يردّ على ذلك بالقول إن الغرب الحضاري يضجّ بالتناقضات التي يعطل بعضها بعضا . فالموضوع هنا جوهري أكثر مما هو شكلي ، لأن الغرب سيوسم - كما هو موسوم الآن - بخطيئة الازدواجية والتناقض في القيم ، إذ يعدّ مجرم الحرب الألماني مجرماً ويعدّ مجرم الحرب الإسرائيلي أو الصهيوني مؤسس دولة ورجل دولة . وأما أن تطبع كبريات دور النشر في انكلترا وأمريكا كتباً لإرهابيين صهيونيين يذكرون فيها كيف قتلوا ضباطاً وجنوداً وأفراداً ومدنيين بريطانيين ، ناهيك عن العرب ، بل عن اليهود أحياناً ، فهذا بدوره ، كاف وحده ليكشف عن أن مقاومة الانتداب البريطاني للإرهاب الصهيوني لم تكن أكثر من مسرحية أو مسألة شكلية ، إذ إن نتيجة هذا الإرهاب كانت الاغتيال الجغرافي - السياسي لفلسطين وشعبها العربي بكامله .

٤) إن العرب في مجابهتهم (إسرائيل) يجابهون مجتمعاً عسكرياً إرهابياً «سبارتياء. لقد كتب بالعربية الكثير والقيّم عن أن مجابهة العرب مجتمعا علميا تكنولوجيا يجب أن يقابل بأساليبه ذاتها . وكل هذا صحيح ، ولكن المرحلة التي سبقت مرحلة العلم والتكنولوجيا كانت مرحلة تكوين عقيي ونأهب إرهابي عسكريين صهيونيين .

أي حكم يمكن إطلاقه على هذا السجل الإرهابي الصهيوني - الإسرائيلي الذي أدّى إلى مأساة فلسطين ؟ إن الأحكام التي أطلقت حتى الآن ليست قليلة ، وأفضلها هنا ما ليس عربيا ، بل ما يدين (إسرائيل) من (إسرائيل) . قال موشي دايان في رثاء صديق له اسمه روي روتنبرغ قتل في صدام مع العرب قبل بضعة أشهر من حرب ١٩٥٦ * : "لنتوقف اليوم عن قذف الذين قتلوا بالاتهامات . من نحن لنناقش حقدهم ؟ ها قد انقضت ثمانية أعوام الآن وهم يجلسون في مخيماتهم في غزة ولحت أعينهم وأبصارهم تحوّل إلى ممتلكاتنا الأراضي والقرى التي عاش فيها آباؤهم وأجدادهم . . نحن جيل من المستوطنين ، ودون الخوذة الفولاذية والمدفع لا نستطيع أن نزرع شجرة أو أن نبني بيتا " .

وكتب الفيلسوف الإسرائيلي مارتن بوبر في كتابه « إسرائيل والعالم » : " إن أكثر التعاليم فسادا بين جميع التعاليم المتهافتة هي التي تذهب إلى أن طريق التاريخ تقرره القوة وحدها دون غيرها . وقد تغلغلت هذه النظرية في تفكير الشعوب وتفكير حكوماتها ، ولم يبق من الإيمان بالروح إلاّ مجرد أقوال معادة " . ثم ينتقل إلى نقد الفظائع الإرهابية ضد العرب ، ويعلق على مذبحة دير ياسين بالذات فيقول : "هنا كانت الجريمة جريمتنا ، أو جريمتي أنا بالذات ، جريمة اليهود ضد الروح . إنني حتى اليوم لا أفكر بما وقع دون أن أشعر في نفسي بأنني مذنب " .

المراجع :

— Allon, Y.: **The Making of Israel's Army**, New york 1971.
— Avner: **Memoirs of an Assassin, Confessions of a Stern Gang Killer**, New York 1959.
— Bar-Zahar, M.: **The Avengers, The Drama of the Daring Jews who are Avenging the Six Million Dead**, New York 1967.
— Begn, M.: **The Revolt, Story of the Irgun**, New York 1951.
— Cohen, G.: **Woman of Violence, 1943-1948, Memoirs of a Young Terrorist**, Cleveland and New York 1966.
— Departement of State. **Foreign Relations of the United States**, 1943 Vol. IV and Vol. VIII, 1943-45 the Near East and Africa, Washington 1964.
— Jabostinky, V.: **The Story of the Jewish Legion**, New York 1945.
— Katz, S.: **Days of Fire, The Secret History of the Irgun Zvai Leumi and the Making of Israel**, New York 1968.
— Mardor, M.: **Strictly Illegal**, New York 1964.
— Perlmutter, A.: **Military and Politics in Israel, Nation Building and Role Expansion**, London 1969.
— Robnet, G.W.: **Conquest Through Immigration, How Zionism Turned Palestine into a Jewish State**, Pasadina, California 1968.
— Sharef, Z.: **Three days**, New york 1962.
— Statement Relating to acts of Violence, July 24, 1945. **British Command Paper 6873.**
— Stone, I.F.: **Underground to Palestine**, New york 1946.
— **United Nation Progress Report of the United Nations Mediator on Palestine** Submitted to the Secretary-General Transmission to the Members of the United Nations, General Assembly, Official Records, Third Session Supplement No. 21 (A/ 684) (Part 1 and 2). Paris 1948.

الأرواح (قبة ـ) :

ر : القدس (المباني الأثرية والتاريخية في ـ)

أريتريا :

تقع أريتريا على الساحل الغربي للبحر الأحمر ، وهي جزء من الوطن العربي يقطنه ثلاثة ملايين عربي . وقعت تحت الاحتلال الإيطالي ، ثم ضمتها الحبشة إليها . وتعتبر أريتريا المنفذ الرئيس للحبشة إلى البحر الأحمر . لذلك فإن (إسرائيل) تنظر إلى الصراع الأريتري - الحبشي من زاوية مصالحها الاستراتيجية في هذا البحر أي من زاوية ضمان عدم جعل البحر الأحمر بحراً عربياً بل يترك

المجال للحبشة للسيطرة عليه ولو جزئياً . ومن هنا تقف (إسرائيل) ضد الثورة الأريترية التي اندلعت عام ١٩٥٨ .

أما الشعب الفلسطيني فقد تعاطف مع ثورة الشعب الأريتري . وشهدت العلاقات الفلسطينية ـ الأريترية تطوراً إيجابياً ، فقد قدمت الثورة الفلسطينية مساعدات عسكرية لثوار أريتريا ، كما قامت بتدريب الكثير منهم على استعمال السلاح . وهناك تنسيق إعلامي وسياسي بين الثورتين . ويعد الثوار الأريتريون أنفسهم في خندق واحد مع الثوار الفلسطينيين ، فحين هاجم ثوار أريتريا مدينة أسمرة (عاصمة الإقليم) كان من أهم أعمالهم تدمير القنصلية الإسرائيلية فيها .

المراجـع :

ـ عبد الباري عبد الرزاق النجم : أريتريا شعباً وكفاحاً ، بغداد ١٩٧١ .
ـ محمد عبد المولى : ثورة أريتريا والصراع الدولي في البحر الأحمر ، ١٩٧٦
ـ خلف المنشدي : أريتريا من الاحتلال إلى الثورة ، ١٩٧٣ .

أريحـا (مدينـة ـ) :

مدينة عربية في قضاء القدس تقع على مسافة ٣٧ كم شرقي الشمال الشرقي لمدينة القدس * . كانت مركز ناحية في أواخر العهد العثماني ، ثم أصبحت مركز قضاء في عهد الانتداب البريطاني حتى عام ١٩٤٤ عندما عدلت التقسيمات الإدارية ، وألحقت أريحا بقضاء القدس (رَ : الإدارة) . وبعد عام ١٩٤٨ عادت أريحا مركزاً لقضاء يحمل اسمها داخل الضفة الغربية للأردن . وفي عام ١٩٦٧ تعرّضت للاحتلال الإسرائيلي .

أ ـ الوضع الطبيعي لأريحا :

١) الموقع الجغرافي : تقع مدينة أريحا في الطرف الغربي لغور الأردن * الغربي ، أو ما يعرف محلياً بغور أريحا . وهي أقرب إلى الحافة الجبلية لوادي الأردن الانهدامي منها إلى نهر الأردن * . بل جعلها موقعها قرب خط الانقطاع بين البيئة الجبلية في الغرب والبيئة الغورية في الشرق نقطة عبور هامة ، منذ القدم ، للقوافل التجارية والغزوات الحربية التي كانت تتجه غرباً نحو القدس ، وشرقاً نحو عمان . وكانت المعبر الغربي لنهر الأردن والبحر الميت * يمرّ منها الحجّاج المسيحيون القادمون من القدس في طريقهم إلى نهر الأردن والبحر الميت . من جهة أخرى كانت أريحا بوابة شرقية لفلسطين عبرتها كثير من الجماعات البشرية المهاجرة إلى فلسطين على مدى العصور .

ترتبط أريحا حالياً مع غور الأردن ومع الضفتين الشرقية والغربية بشبكة طرق معبدة . فهي محطة على طريق طولية تسير بمحاذاة الحافة الغربية لوادي الأردن من بحيرة طبرية * شمالاً حتى البحر الميت وتسير بعد ذلك إلى خليج العقبة * جنوباً بطرق بعيدة عن الغور . وتتصل أريحا بطريق القدس ـ عمان الرئيسة ، وبالطريق الطولية للغور الشرقي . وبذلك يمكنها الاتصال بالجفتلك شمالاً (٣٧ كم) ومن ثم بنابلس * شمالاً بغرب (٧٢ كم) . ويمكنها الاتصال بالبحر الميت أيضاً (١٤ كم) ، وبجسر الملك حسين على نهر الأردن (٨ كم) ، وبالمغطس (١٠ كم) ،وبالشونة الجنوبية (١٧ كم) .

لموقع أريحا أهمية اقتصادية كبيرة لأن المدينة تابعة في قلب واحة زراعية خصبة تزوّد المناطق المجاورة لها بالمنتجات الزراعية كالحمضيات * والموز * ، ويؤمها كثير من السياح لمشاهدة الآثار التاريخية والأديرة حولها . وينتهز بعضهم فرصة زيارتهم للبحر الميت

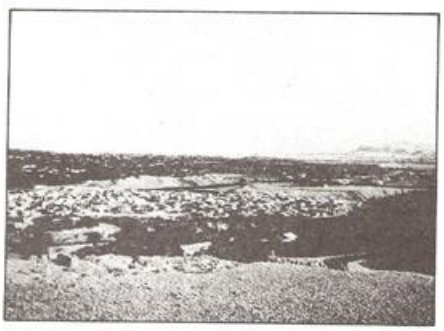

ونهر الأردن فيعرجون على أريحا لقضاء بعض الوقت مستمتعين بدفئها في الشتاء وبجمال المناظر الطبيعية حولها .

والموقع أريحا بُعد عسكري ، فهي بوابة طبيعية تشرف على الطرق المؤدية إلى الأغوار والمرتفعات الجبلية . وقد استفادت (إسرائيل) من المزايا العسكرية لهذا الموقع فحرصت على احتلالها في حرب ١٩٦٧ * قبل غيرها من مدن الضفة الغربية للأردن ، وذلك بالالتفاف حول الضفة الغربية لاحتلال عبور طوباس ـ أريحا ، وعزل الضفة الغربية عن الضفة الشرقية .

٢) طبيعة الأرض : تقوم أريحا اليوم على هضبة منبسطة هي أحد المدرجات البحيرية القديمة التي نشأت بعد انحسار وجفاف البحيرة الأردنية القديمة . وهي في موقعها هذا تشبه موقع مدينة بيسان * في الغور الشمالي . وتنخفض أريحا نحو ٢٧٦م عن سطح البحر ، وبالرغم من ذلك فإن مستوى أرض المدينة أكثر ارتفاعاً من

مستويات الأراضي الممتدة إلى الشرق منها نحو نهر الأردن والبحر الميت . ولهذا الارتفاع النسبي للمدينة مزايا كثيرة أهمها الإشراف على الأراضي الغورية الممتدة إلى الشرق ، وحماية المدينة من أخطار الفيضانات ، وتلطيف ارتفاع درجة الحرارة الناجم عن الانخفاض .

تتأثر مدينة أريحا بموقعها في غور الأردن ، فهي قائمة قرب حافة الغور حيث يتقاطع صدع عرضي مع صدع وادي الأردن الطولي ، الأمر الذي يجعل الأرض غير مستقرة تتعرض لحدوث الزلازل * والهزات الأرضية . وتوجد بالقرب من المدينة ينابيع مائية صدعية (إنكسارية) الأصل تساهم في تزويد المنطقة بمياه الشرب والري . وتتوافر أيضاً مياه الآبار التي أمكن الحصول عليها من الخزانات المائية الجوفية القريبة من سطح أرض المنخاريط (المراوح) الفيضية . وتتكون المادة الأصلية لترب منطقة أريحا من إرسابات مارن اللسان البحيرية القديمة . لكن معظم الترب حول أريحا تنتمي إلى التربة الطمّية المنقولة بمياه وسيول الأودية الهابطة من المرتفعات الجبلية إلى أرض غور أريحا لتغطي كثيراً من تربة مارن اللسان البيضاء . وإذا استثنيت التربة البيضاء غير الصالحة للزراعة فإن التربة الطمية تصلح لزراعة الحمضيات والموز وأنواع الخضر المختلفة حيثما تتوافر مياه الري (ر : التربة) .

٣) : المناخ والمياه : ينتمي مناخ أريحا ومنطقتها إلى المناخ المداري الصحراوي ، فمستوى الأرض ينخفض أكثر من ٢٥٠م دون سطح البحر ، ودرجة الإشعاع الشمسي ترتفع إلى حد كبير في معظم شهور السنة . وينتج عن ذلك ارتفاع متوسط درجة الحرارة السنوي إلى ٢٣,٥°، وارتفاع نيم البخر والنتح عن كميات الأمطار . ويبلغ متوسط كمية الأمطار السنوية الهاطلة على أريحا نحو ١٥٠مم ، وهي كمية لا تسمح وحدها بنمو المحاصيل الزراعية نمواً طبيعياً . وتواجه الموازنة المائية عجزاً ملموساً في منطقة أريحا ، مما يجعل الاعتماد على مياه الأمطار أمراً مستحيلاً ، ويحتم على السكان اللجوء إلى مصادر أخرى غير المطر لتوفير المياه . وأهم مصادر المياه في منطقة أريحا المياه الجوفية المستمدة من الينابيع المائية والآبار . وقد حفرت في ربع القرن الماضي مئات الآبار في المنطقة ،ويستغل معظمها في ري بساتين الحمضيات ومزارع الموز والخضر .

وقلّما يحدث الصقيع أو تسقط الثلوج في منطقة أريحا ، لذلك تعدّ أريحا من أكثر أماكن فلسطين المفضلة للنشتية ، إذ يؤمها كثير من سكان القدس لقضاء بعض أيام الشتاء فيها بالإضافة إلى السياح القادمين إليها من الخارج . ويؤثر الدفء في المحاصيل الزراعية ، ولا سيما الخضر الشتوية التي تنضج في فترة مبكرة ، وتعرض في الأسواق المحلية أو تصدّر إلى الخارج قبل موعد نزول محاصيل المناطق الجبلية . وتتحول هذه المزايا مساوىء في فصل الصيف الحار حيث ترفع الأنسمة البحرية القادمة من البحر المتوسط والهابطة من المرتفعات الجبلية نحو أريحا درجة الحرارة ونسبة الأتربة في الجو ، ولا سيما بعد الظهر ، كذلك تنخفض نسبة الرطوبة في الجو فيصل معدلها إلى أقل من ٤٠٪ خلال الصيف .

ب ـ النشأة والنمو : أريحا مدينة كنعانية قديمة يعدّها الخبراء الأثريون أقدم مدن فلسطين ، ويرجعون تاريخها إلى العصر الحجري ، أي إلى ما قبل سبعة آلاف عام (ر : العصور القديمة) ، وهذا ما حمل بعضهم على القول إنها أقدم مدينة في العالم قائمة حتى اليوم . شخص الخبراء موقع أطلالها في تل السلطان الذي يقع على بعد نحو كيلومترين شمالي المدينة الحالية بجوار نبع عين السلطان . ومعنى « يريحو » في الكنعانية القمر ، مما يدل على أن عبادة القمر كانت منتشرة هناك . وقد تعني الكلمة مكان الروائح العطرية . اتخذها الهكسوس قاعدة لهم بين سنة ١٧٥٠ و ١٦٠٠ ق.م. وقد ورد ذكرها في التوراة * باسم « أريحة » . وهي أول مدينة كنعانية هوجمت من قبل بني إسرائيل ، إذ تمكّن قائدهم يوشع بن نون وجنده في سنة ١١٨٦ ق.م. من الاستيلاء على أريحا وأحرقوا المدينة وأهلكوا من فيها . وفي عصر القضاة (١١٧٠ ـ ١٠٣٠ ق.م.) أخرج عجلون ملك المؤابيين اليهود من أريحا واتخذها عاصمة له . وقد جدد هيرودس الكبير أريحا ووسعها وزينها بمختلف المنشآت ، فامتدت المدينة فوق ما يعرف اليوم بتلال أبي العليق قرب عين السلطان . ومن منشآت أريحا في عهد هيرودس القصور والجنائن والميادين والقنوات والبرك . وفي جنوب أريحا أنشأ هيرودس القلاع الحصينة لحماية المدينة والدفاع عنها . وبالرغم من ذلك خربت أريحا فيما بعد ، ولم يبق منها سوى الأنقاض الأثرية التي تدل عليها .

ويرجع الفضل إلى الرومان في إعادة بناء أريحا على وادي القلط حيث هي اليوم . وفي عهد قسطنطين الكبير * (٣٠٦ ـ ٣٢٧م) انتشرت المسيحية * في أريحا وأقيمت في ضواحيها الأديرة والكنائس * . وفي عام ٣٢٥م كانت أريحا مركزاً لأسقفية . وفي عهد البيزنطيين ازدهرت أريحا وتقدمت حتى دخلت في حكم العرب الذين فتحوا فلسطين في القرن السابع الميلادي وأتبعوا أريحا للرملة * في جند فلسطين .

كانت أريحا في صدر الإسلام أهم مدينة زراعية في غور الأردن ، وقد أحيطت بمزارع النخيل والموز وقصب السكر والنيل والريحان والحنّة والبلسم . وسكنها قوم من قيس وجماعة من قريش . وصفها ياقوت الحموي فقال : " إنها ذات نخل وموز وسكر كثير له فضل على سائر سكر الغور ، وهي مدينة الجبّارين " .

وفي القرن الثامن عشر قلّ شأن أريحا ولم تكن سوى قرية صغيرة فقيرة وفقاً لما ذكره الرحالة الفرنسي فولني في رحلته إلى الشام ومصر . وقد اشتهرت تلك القرية بزراعة أشجار الزقوم وإنتاج زيته . وظلّت أريحا قرية متواضعة طوال القرن التاسع عشر إلى أن نزلها في مطلع القرن العشرين جماعة من سكان القدس للإقامة فيها أثناء فصل الشتاء . وأنشأ هؤلاء المهاجرون الجدد المباني السكنية ومزارع الموز حولها .

اكتشفت في أريحا آثار هامة منها أسوار أريحا القديمة التي خربت سنة ١٤٠٠ ق.م. أو ١٣٥٠ ق.م. ، واكتشف أيضاً في تلول العليق قصر هيرودس الكبير الذي يظهر واضحاً من جبل التجربة ، ووجد المنقبون آثار بيوت مترفة .

أخذت أريحا تزدهر تدريجياً في عهد الانتداب البريطاني . وكان يشرف على تطوير المدينة مجلس محلي باشر أعماله بفتح الشوارع الجديدة ، وإعطاء رخص المباني وتنظيمها ، والإشراف على توزيع

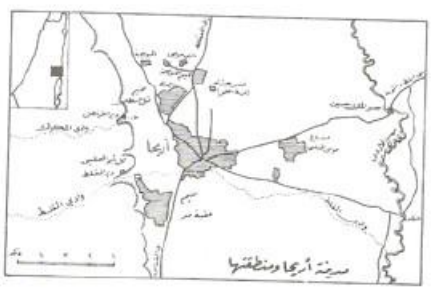

مدينة أريحا ومنطقتها

المياه على المزارعين . وتحولت أريحا من ناحية إلى مركز قضاء ، وأثّر هذا التحول في نمو المدينة وزيادة عمرانها .

زاد عدد سكان أريحا تدريجياً خلال النصف الأول من القرن العشرين . وارتفع عددهم من ٣٠٠ نسمة عام ١٩١٢ إلى ١,٠٣٩ نسمة عام ١٩٢٢ ، وإلى ١,٦٩٣ عام ١٩٣١ . ووصل عددهم إلى ٣,٠١٠ نسمات عام ١٩٤٥ . وقد واكب هذه الزيادة السكانية نمو عمراني ملحوظ ، إذ ارتفع عدد بيوت أريحا من ٣٤٧ بيتاً عام ١٩٣١ إلى أكثر من ٥٠٠ بيت عام ١٩٤٥ .

امتدت أريحا على رقعة من الأرض مساحتها ٣٨ دونماً حتى عام ١٩٤٥ . ومعظم بيوتها من الآجر الطيني وهي مسقوفة بالتراب الممزوج بالتبن والمرصوص فوق قضبان من القصب أو الخشب . وهذا النوع من المباني يخفف من حدة القيظ ويرطب جوّ البيت . وقد أخذ بعض الأهالي في أواخر عهد الانتداب يشيدون بيوتاً مبنية من الحجر والإسمنت محاطة بالحدائق المليئة بالأشجار لتنقية الهواء وتخفيف حدّة القيظ بما تلقيه من ظلالها على المساكن .

شهدت أريحا بعد عام ١٩٤٨ تحولاً كبيراً في حياتها ، إذ تدفق عليها آلاف اللاجئين للإقامة فيها أو بجوارها داخل مخيمات عين السلطان وعقبة جبر ، وقد بلغ عدد سكان مدينة أريحا وحدها عام ١٩٦١ نحو ١٠,١٦٦ نسمة . وزاد عدد سكانها في أواخر السبعينات على ١٥,٠٠٠ نسمة . وتوسعت المدينة في مساحتها نتيجة لزيادة حركة البناء التي صاحبت زيادة عدد السكان ، إذ وصل مجموع بيوتها وفقاً لتعداد عام ١٩٦١ إلى نحو ٢,١٠٦ بيوت . ولا ريب أن العدد قد تضاعف منذ ذلك الوقت حتى الآن ، وتضاعفت واردات ونفقات بلدية أريحا أيضاً ، ووصلت حصيلة الواردات في عام ١٩٦٥ إلى نحو ٥٨,٠٠٠ دينار ، والنفقات إلى ٦١,٨٠٠ دينار . ويمكن القول إن مدينة أريحا التحمت خلال نموّها العمراني بمخيم عين السلطان . وشيّدت بعض المباني السكنية وسط المزارع والبساتين المحيطة بالمدينة .

جـ ـ التركيب الوظيفي لأريحا : وظائف أريحا متعددة منذ القديم حتى اليوم . وتختلف الأهمية النسبية لكل وظيفة حسب الظروف التي كانت تمرّ بها المدينة عبر مراحل تطور نموها . ونأتي على رأس وظائف المدينة :

١) الوظيفة الزراعية : عرفت أريحا منذ القديم بغزارة مياهها وخصب تربتها ، إذ نشأت المدينة في قلب واحة جميلة تكثر فيها الأشجار . وقد حافظت أريحا تقريباً على شهرتها الزراعية منذ صدر الإسلام حتى اليوم . وتؤكد منتجاتها الزراعية مدى أهميتها بالنسبة إلى الأسواق المحلية والخارجية .

بلغت مساحة الأراضي التابعة لأريحا نحو ٣٧,٤٨١ دونماً ، منها ١,٠٦٠ دونماً للطرق والأودية . ويستخدم جزء هام من أراضي أريحا في الزراعة المروية الكثيفة التي تعتمد أساساً على مياه الينابيع والآبار . وأهم مزروعات منطقة أريحا الخضر بأنواعها المختلفة . وتنتج أريحا أصناف الحبوب المختلفة كالقمح* والشعير والذرة والسمسم . وتزرع فيها الأشجار المثمرة كالحمضيات والموز والزيتون والعنب والنخيل ، بالإضافة إلى بعض المحاصيل الصناعية كالتبغ . كذلك تزرع حولها أشجار الحراج للوقاية .

وقد توسعت المساحات المخصصة لزراعة الحمضيات في السنوات الأخيرة معتمدة على مياه الآبار ، فأصبح لبرتقال أريحا شهرة محلية وعالمية مثل الشهرة التي حصل عليها موزها .

يصدّر الفائض من الخضر والفواكه إلى أسواق الضفتين الشرقية والغربية ، بالإضافة إلى أسواق منطقة الخليج العربي والجزيرة العربية . ويمدّ مشروع موسى العلمي بالقرب من أريحا نموذجاً

ناجحاً للزراعة المروية وتربية المواشي . وقد نجحت بعض المزارع الخاصة في تربية الأبقار إلى جانب المحاصيل الزراعية .

٢) الوظيفة السياحية : يؤم أريحا عدد كبير من السياح سنوياً ، ولا سيما في فصل الشتاء ، لزيارة الأماكن الأثرية والدينية حول المدينة من جهة ، وللاستمتاع بدفء الشتاء في ظل المناظر الطبيعية الجميلة والأشجار الغنّاء من جهة أخرى . وأهم الأماكن التي يزورها السياح في منطقة أريحا البحر الميت ، والمغطس ، وقصر هشام بن عبد الملك ، وقصر حجلة ، ودير قرنطل ، ودير القديس يوحنا المعمدان ، وبيت جبر التحتاني ، وبيت جبر الفوقاني ، وعين السلطان . وقد أقيمت الاستراحات السياحية وسط الأشجار الباسقة لاستقبال السياح الداخلين الذين يقضون هناك نهاية الأسبوع ، وبنيت الفنادق لإيواء السياح الأجانب .

٣) الوظيفة التجارية : أريحا مركز تجاري يستقبل بالإضافة إلى السياح أعدادا من سكان القرى والمخيمات المجاورة ، ويرتاده البدو المقيمون في المنطقة . وتتركز السوق وسط المدينة حيث توجد المحلات التجارية والشركات والأسواق . وفي المدينة سوق مركزية للخضر والفواكه تجمع فيها هذه المحاصيل تمهيداً لتصديرها .

٤) الوظيفة الصناعية : عرفت أريحا الصناعة منذ القدم ، مثل صناعة السكر من القصب ، وتصنيع التمر من البلح ، والنيل من الوسمة ، والزيت من الزقوم ، والآجر من الطين ، والحصير من القصب . ويقوم حالياً في ضواحي المدينة مصنعان للنسيج ، أحدهما في مخيم عين السلطان والثاني في مخيم عقبة جبر . وتوجد في أريحا صناعات المياه الغازية والشراب ، وتحمير الموز ، وتشميع الحمضيات ، والكراسي ، والمفروشات ، والكبريت .

٥) الوظيفة التعليمية : كان في أريحا عام ١٩٤٢ / ١٩٤٣ مدرستان ابتدائيتان ، واحدة للبنين وثانية للبنات . وفي عام ١٩٦٦ / ١٩٦٧ بلغ عدد مدارس أريحا ٢٥ مدرسة تابعة لوزارة التربية والتعليم ولوكالة الغوث ولمؤسسات أهلية . وتشتمل هذه المدارس على مختلف مراحل التعليم العام الابتدائي والإعدادي والثانوي . وقد ظهر أثر النهضة التعليمية التي شهدتها أريحا في السنوات الأخيرة في المستويات الثقافية للأهالي ، وانتشر الوعي بينهم ، وتقدمت المدينة بفضل نشاط سكانها وتعلمهم .

٦) الوظيفة الإدارية : ارتفعت درجة أريحا من قرية إلى مركز ناحية عام ١٩٠٨م ، وضمّت آنذاك ست قبائل وعشرين قرية . وفي عهد الانتداب البريطاني أصبحت أريحا مركزاً لقضاء يحمل اسمها ، وبقيت كذلك حتى عام ١٩٤٤ عندما ألغت سلطة الانتداب قضاء أريحا وألحقته بقضاء القدس . كانت مساحة قضاء أريحا في عام ١٩٤٣ نحو ٣٤١ كم٢ وعدد سكانه نحو ٤,٦٠٠ نسمة . وكانت قرى العوجاء ودبوك والنبي موسى والنويعمة تتبع أريحا ، فضلاً عن القبائل البدوية المتجولة والمستقرة .

وبعد عام ١٩٤٨ عادت أريحا مركزاً لقضاء ضمّ في عام ١٩٦٥ نحو ٧٥,٠٠٠ نسمة معظمهم من اللاجئين . وقد ظلّت مركزاً لهذا القضاء بعد الاحتلال الإسرائيلي عام ١٩٦٧ .

المراجع :

— مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٨ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤ .
— ياقوت الحموي : معجم البلدان ، بيروت ١٩٥٧ .
— جورج بوست : قاموس الكتاب المقدس ، بيروت ١٩٧١ .
— خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة أريحا .
— Keller, W.: **The Bible as History**, London 1956.
— Garstang, J. and Garstang, J.F.E.: **The Story of Jericho**, London 1940.
— Kenyon, K.: Earliest Jericho, **Antiquity** Vol. 33, 1959.

أريحا (مدرسة) :

أسست هذه المدرسة في عهد النبي إلياس وخادمه اليشع ، ردحيت مدرسة الأنبياء ، وكانت تقوم بتعليم الديانة اليهودية . وتبين مدى علاقة الإله يهوه بحوادثها ، فكان مؤرخو هذه المدرسة يشيرون مثلاً إلى تهدم أسوار أريحا المفاجىء في الغزو الإسرائيلي ، وكذلك إلى خراب سدوم وعمورة * الواقعتين على الطرف الجنوبي الغربي للبحر الميت* ، ويعزون ذلك إلى قدرة الإله يهوه على معاقبة الأشرار . كما يرجعون عاداتهم وتقاليدهم إلى إرادة يهوه الربانية ، كتقديم الأضاحي البشرية ووضعها في جرار فخارية ، أو في أسس الأبنية ، كقصة إبراهيم * الذي همّ بتقديم ابنه إسحق * ضحية للإله يهوه ، وقصة ميشع ملك مآب الذي ضحّى بالفعل بولده الأكبر . ويضيفون أن من أروع الحوادث التاريخية إحراق أريحا برمّتها ، " وكل ما بها بأمر يهوه " .

تهذه المدرسة قد كرّست لتكتب التاريخ العبري بشتى مظاهره موضحة أعمال العنف التي أمر بها يهوه قضاته وأنبياءه .

المراجع :

— أسفار عاموس ٥ : ٨ ، وأشعيا ٢٩ : ٦ ، وأيوب ٩ : ٥ ـ ٦ و ٢٨ : ٩ ، والملوك الأول ١٩ : ١١ .
— Garstang. J. and Garstang, J.B.. **The History of Jericho**, London 1940.
— **Lexikon far Theologie und Kirche.**

أريحا (مؤتمر ـ) :

ر : المؤتمر الفلسطيني (أريحا ١٩٤٨)

أريغاتيم : ر : الأشكنازيون

الأزرق (زاوية ـ) :

ر : القدس (المباني الأثرية والتاريخية في ـ)

الأزياء الشعبية :

لا شك في أن إحياء التراث الشعبي والحفاظ على خصائصه الفنية وإظهار أصالته شرط أساسي من شروط تخليد آثار الحضارة العريقة ، فالفن القومي لأي أمة من الأمم مظهر لثقافة الشعب عبر الزمان والمكان .

يشكو كثير من الأمم من صعوبة جمع وإحصاء تراثها القومي ، وكذلك يشكو الفلسطينيون من إهمال جمع تراثهم واستحالة إجراء المسح الفولكلوري في الوطن المحتل ، عدا حدا الصهيونيين المحتلين إلى استغلال التراث الفلسطيني وادعاء ملكيته لأنفسهم فأخذوا يجسبون الأرض عارضين هذا التراث الشعبي وكأنه تراث (إسرائيلي) .

يقوم التقويم الجديد للتراث الفلسطيني على رؤية الماضي بمنظار الحاضر وفقاً لحاجات الظروف التي يعيش فيها الفلسطينيون اليوم ، وعلى الكشف عن جوانب تخدم أغراضهم الاجتماعية والسياسية والفنية المستحدثة .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن من حسنات النكبة ، إن كان لها حسنات ، ما خلقته من رابطة قوية بين الفلسطينيين وتراثهم ، فغدا تعلقهم بأرضهم الحبيبة لا يقل عن تعلقهم بالثوب والتقصيرة والعقال والبجامة والدبكة * ، فهي كلها تراث تلك الأرض ونتاج ذلك الماضي وحصيلة تلك الأمة . ولا أدل على ذلك من إقبال النساء الفلسطينيات ،حتى المدنيات منهن، بعد حرب ١٩٦٧ * على ارتداء الثوب القرويّ الفلسطيني واعتزازهن به اعتزازاً بلغ حد التباهي والزهو والعمل على نشره وتطويره ، خصوصاً في بلاد الاغتراب .

أ - زيّ المرأة : يمتاز بالاحتشام والهيبة والجمال . ومن خلال خطوطه وأشكاله وألوانه يلمس المرء تجانساً وتناسقاً ينمّان عن ذوق وإبداع ومهارة .

ولا شك في أن تنوع الأزياء التي يفوق عددها ٣٠ نوعاً يعود لعوامل كثيرة منها وفرة الأقليات الدينية وتعدّد العادات تبعاً لذلك . يزاد على ذلك أن المدنيات التي تعاقبت على فلسطين تركت طابعها على اللبس وخصائصه وخطوطه وألوانه ، حتى إن الكثير من الكلمات ذات العلاقة باللبس هي غير عربية الصدر من مثل :

- طقيّة : فارسية الأصل تعني شريطاً يربط حول الرأس .
- طربوش : أصلها « ساربوش» فارسية الأصل بمعنى غطاء الرأس .
- منديل : إيطالية الأصل بمعنى منديل .
- شروال : وهي معرب سروال بالفارسية .

زي بيت لحم

وسيستشف القارىء من خلال عرض الأزياء الفلسطينية المؤشرات التاريخية والدينية والاجتماعية والاقتصادية والمناخية التي أثرت في الأزياء وميّزتها بطابع خاص .

١) زيّ المرأة المدنية : يمتاز زي المرأة المدنية بالبساطة والاحتشام . ولعل في ما كتبه عدد غير قليل من المؤرخين والبحّاثين في هذا الباب ، ولا سيما القس أسعد منصور في كتابه « تاريخ الناصرة » ، ما يساعد على كشف خصائص الزي لدى المرأة المدنية منذ أوائل القرن الثامن عشر . وربما انطبقت تلك الأوصاف وتنشذ على جميع مدن فلسطين .

تألف الزي المدني في أوائل القرن الثامن عشر تقريباً من :

(١) الجلابة : وهي جبة طويلة من نسيج قطني وطني مشقوقة من الأمام ، ذات كمّين قصيرين ضيقين ، لونها في الغالب نيلي . ولعل الجلابة مأخوذة من الجلوة ، وهي ما يعطيه الزوج عروسه عند الزفاف [1] .

(٢) الدامر : وهي جبة قصيرة تصل إلى الوسط فقط ، كمّاها بطول كمّي الجلابة أو أقصر قليلاً . وتكون غالباً من جوخ مقلم بالقصب . وإذا زاد قصر الأكمام سميت السلطة .

تلبس المرأة تحت الجلابة قميصاً طويلاً يصل إلى تحت الركبة ، ويكون فوق السروال المعروف « بالليفة والشنتيان » ، ويقال له ثانياً نصف كسوة . وهو يشبه البنطلون الواسع لونه أبيض أو نيلي مقلّم على الرجلين بالحرير والقصب .

(٣) الزنار : على أنواع كثيرة ، وهو من نسيج بسيط ، أو مقلّم ، أو من فضة وذهب .

(٤) الزربند : تلبسه المرأة على رأسها . وهو شقة من الحرير مخططة خطوطاً تكون غالباً بيضاء ضاربة إلى السواد ، أو حمراء ، أو صفراء ، طولها أربعة أمتار وعرضها نحو نصف متر . تطوي المرأة أعلاه مزدوجاً ، وتضعه فوق الصمادة [2] ، وتعطيه بمنديل مرسلة إيّاه على ظهرها ، وتشده على وسطها بزنار ، تاركة جزءاً منه منسدلاً فوق الزنار حتى يغطيه ، ومن ثم ترسله تحت الزنار حتى القدمين .

(٥) العصبة : وهي منديل تعطوبه المرأة طيًّا عريضاً وتتعصب به حتى يكسو أعلى الصمادة ، وترسله إلى الخلف تاركة أحد طرفيه أطول من الآخر بقليل .

(٦) الحذاء : كانت الأحذية على أنواع كثيرة أشهرها « البابوج » ويكون غالباً من جلد أصفر يكسو مشط القدم ، له من الخلف إطار علوه نحو قيراط وكعبه حديدة تشبه حدوة الفرس .

في النصف الثاني من القرن الثامن عشر استبدل بالجلابة القمباز أو القمباز . ويختلف عن الجلابة في أن قماشه أنعم ، وألوانه أكثر تنوعاً ، والفتحات على جانبيه أطول . كما حدث تغيير في السروال ، إذ أصبحت المرأة تلبس شروالين تزمّ أحدهما وتربطه تحت الركبة ، بينما تنزل الآخر بدون زمّ فيتدلى أعلاه على الساقين بشبه دائرة تدعى قرّارة . واستبدل بالدامر أو السلطة جلبان قصير الأكمام من جوخ مطرز عرف بالعباءة .

وفي أوائل القرن العشرين ، ونتيجة الموجة السياحية وتغير وسائل النقل ، وبسبب الاختلاط بالغربيين ، ألغيت ملبوسات كثيرة ، منها الصمادة ، والدامر ، والعباءة ، والزربند ، والعصبة ، والقمباز . ومن غطاء الرأس حوفظ على الحطّة ومن حولها العصبة ، ثم ألغيت الأخيرة واستعيض عنها بالبشنيقة (محرف بخنق) وهي منديل « بأوية » . والأوية هي إطار أو كنار يحيط بمنديل ناعم مزخرف ، وتكون من شغل الإبرة ، وتأتي بأشكال الزهور المختلفة ذات الألوان الزاهية . ومن فوق المنديل ، أو البشنيقة ، يلبس الشال أو الطرحة أو القيشة ، وكلها أوشحة من حرير أو صوف .

كما استبدل بالعباءة الإزار ، وفي بعض المدن الملاية أو الحيرة .

(١) الحيرة : وتكون من الحرير الأسود أو غيره ، لها « شمار أو دكة » في وسطها ، وعند شدّها أو سحب الدكة بالمقدار الذي تريده السيدة يأخذ النصف من الخصر وما تحته شكل تنورة ، ثم يرفع النصف الأعلى ليغطي الرأس واليدين . أما الوجه والرقبة وجزء من الصدر فيغطى بالمنديل . ويلبس تحت الملاية فستان طويل تتفنن النساء بتفصيله ، وقماشه مستورد في الغالب من سورية .

(٢) الملاية : تشبه الحيرة في اللون وفي صنف القماش ، غير أنها تختلف عنها في التفصيل ، إذ تتكون من معطف ذي أكمام يلبس من فوقه برنس يغطي الرأس ويتدلى إلى الخصر . أما الوجه فيغطى بمنديل أسود .

(٣) الإزار : من اللون الأبيض ، ويتكون من قطعة واحدة تلتف بها السيدة من رأسها إلى أخمص قدميها ، وتحجب وجهها ورقبتها وجزءاً من صدرها بالمنديل الملون .

٢) زيّ المرأة القروية :

كل بلد ولها زيّ وكل شجرة ولها ريّ

يتكون اللبس القروي بعامة من ثوب طويل فضفاض يشدّ وسطه زنار أو حزام ، ويسمّى في بعض القرى الجداد . ويصنع الثوب العادي (الخلق) الذي تلبسه القروية في حياتها اليومية وفي

(١) تطلق كلمة جلوة في هذا القرن على الاحتفال الذي يقام ليلة العرس ، ويحضره العريس وحده ، ويستمتع بالغناء والرقص المقدم على شرف عروسه . وفي هذه السهرة ترقص العروس أيضاً بعد أن تغيّر ملابسها قبل كل رقصة . وأطلقت كلمة جلاية بعد الثلاثينات على فستان العروس .

(٢) الصمادة من حلي المرأة . وهي أيضاً ما يلفّه الرجل على رأسه أو نحوه دون العمامة .

أثناء عملها من القماش القطني البسيط . وهنالك أقمشة أغلى ثمناً وأمتن حياكة وأجمل نسجاً تتركها للمناسبات ، وإن كانت من الميسورات لبستها يومياً . فمن المنسوجات الكتان والقطن المقلم والهرمز والتوبيت والكرمسوت والملك والرومي والمخمل وغيرها (رَ : الحرف اليدوية) .

أما ألوان الأثواب فهي النيلي والأسود والأبيض . وتراعي القروية في لبسها الفصول وتغيرات الطقس فتلبس الأثواب البيضاء في الصيف والسوداء في الشتاء .

تفصل أكمام الثوب على أشكال مختلفة ، منها الضيّق ، ومنها ما يتسع قليلاً عند الزند ، ومنها ما يتدرج بالاتساع حتى يلتقي طرفاه في نقطة يعلّق بها قليل من الشرابيب . وتعرف هذه الأكمام بالردّان .

ثوب بيت دجن

وإنْ قصر الردّان عن طوله المألوف عرف بأبو الردّين . ولا شك أن طول الردّان يعيق المرأة عن القيام بواجباتها المنزلية ، لذلك « تقفع الكم » ، أي ترفعه ، إلى وراء رقبتها . وتفضل نساء بيت سوريك والقبيبة والجيب وبيت نبالا لبس أبو الردّين .

والشيء المميز في ثوب القروية هو التطريز بألوانه وأشكاله وحداته ومواقعه على الثوب . وكلها عوامل مهمة في تحديد منشأ الثوب تحديداً كان فيما مضى أقرب ما يكون إلى الجزم . غير أن عوامل كثيرة اجتماعية واقتصادية وسياسية ، كوسائل النقل الحديثة ، وتطور تقاليد الاحتفالات ، ولا سيما الأعراس (رَ : العرس) ، وما سببته النكبة من تشتيت وتهجير ، ساعدت على اختلاط الأمر ، وأصبح التعرف على القرية من خلال أثواب نسائها أمراً صعباً .

ويلبس فوق الثوب القصيرة . وهي كالدامر القديم ذات الكمام قصيرة . وتلبس الجبة في مناطق أخرى .

ويمتاز لبس الرأس عند المرأة الفلسطينية بجمال شكله ، وتنوع صفاته ، وبكثافة تطريزه ، وبمعظم كلفته . وهناك تقريباً أربعة أنواع من لباس الرأس هي :

(١) الشطوة : وتخص بيت لحم * فقط ، وهي أسطوانية الشكل طويلة ، ولكنها غير مدببة أو دقيقة الرأس كتلك التي كانت تلبسها الدرزيات اللبنانيات قديماً . إن الشطوة عمامة طويلة أو ربما هي تطوير للطرطور المذبذب الطرف أو المثلث الشكل الذي كان لبسه شائعاً في القرن الرابع عشر الميلادي في مصر وما جاورها . ثم لبسه الدراويش في مصر والمولوية في لبنان وسورية . ويقال إن الطرطور كان يلبسه البدو ، وكانوا يحلفون به . وهناك مثل يقول « وحق الطرطور » ، كما شبهوا الخصم المغلوب بمن وقع من أول ضربة « كطرطور البدوي » .

كانت الشطوة في أوائل هذا القرن أقصر مما هي عليه الآن ، وكان يصفّ على مقدمتها صف من الدراهم ، ومن فوقه صف ثان من المرجان . وفي العشرينات ازداد طول الشطوة وأصبحت خمسة صفوف من الدراهم الفضية والذهبية . أما التطريز الموجود على الشطوة فهو في غاية الدقة . وتوضع فوق الشطوة خرقة مربعة من الحرير الأبيض تعرف بالتربيعة .

(٢) الطفطاف والشكة أو العرقية : تصل إلى خلف الأذنين وهي مكونة من صفّين من النقود . وأما خلف الرأس فتوضع أربع قطع من النقود (الرباعيات) أكبر حجماً من تلك التي توضع في الأمام . وفي حال وجود صف واحد تدعى شكّة أو عرقية يلبسها نساء قضاء الخليل والقدس ويافا .

(٣) الوقاة : لعلها تحريف لكلمة « وناية » ، أي ما يقي الرأس . وتعرف أيضاً بالصفّة لما يصف عليها من الدراهم ، وقد يتوج عددها أحياناً على الثمانين نطعة . وفي العهد العثماني كانت نساء رام الله يضعن من النقود الوزري الفضي أو نصف الوزري (والوزري يعادل عشرة قروش تركية) ، أما الميسورات فكن يضعن ليرات ذهب ، أو نصف ليرات ذهب . وتكون هذه النقود حصة المرأة من مهرها ، ويحق لها التصرف بها كما تشاء . والوقاة خاصة بنساء رام الله وفضالها وهي ذات دائرة بشكل لفّاتة محشوة بقماش لين تطوق الرأس حتى آخر الرقبة حيث تتصل بلفّاتة عرضية .

(٤) الحطّة والعصبة : وتلبسها نساء شمال فلسطين . وقد تأتي الحطّة على أشكال مختلفة ، كلفحة كبيرة كما في زي دبورية ، أو

شال كما في الصفصاف .وهناك دائماً العصبة المعقودة حول الرأس .

والتطريز عنصر أساسي من عناصر الزي . وهو يدل على مهارة المرأة وموهبتها وذوقها . وهو من الهوايات المفضلة عند المرأة الفلسطينية . وهناك بَلَدان احترفت نساؤهما التطريز ، وهما بيت لحم وبيت جالا * . أثرت نكبة ١٩٤٨ وما سببته من ضغط على الحياة في هذه الهواية الجميلة وحدّت من انتشارها وتوارث الخبرة فيها . وقد سعت بعض المؤسسات والجمعيات في الأردن وسورية ولبنان للحفاظ على تراث التطريز الفني الأصيل ، ففتحت مراكز للتدريب عليه ، ولتأمين الكسب الشريف للمشتغلات فيه .

وهناك ثلاثة أشكال من القطب ، أو الغُرَز ، هي : قطبة الصليب ، وقطبة التحريري أو الرشيق ، وقطبة اللف . وتفخر المرأة الفلسطينية بإبراز تلك القطب في وحدات وأشكال رائعة جميلة . وقد كشفت تسمية المرأة الفلسطينية لهذه الوحدات عن نفسيتها ، وعن انطباعاتها بما تتأثر به في حياتها البسيطة ، إلى جانب ما تتميز به من روح الكتة والمرح . ومن الأسماء التي أطلقتها على بعض القطب : « سنان الشايب » و « مخدة العرّابي » و « شيخ مشقلب » و « ثلاث بيضات في مقلى » و « رجل الجاجة » .

ومن الأزهار التي تطرز : الزنبقة ، وعرق التوت ، وعرق الورد ، وعرق الفطوف (أو الدوالي) ، وعرق النخلة ، وعرق السروة ، و « قوّار الزهور » .

ومن الحيوانات : البطة ، والسبع ، والحية ، والطاووس ، والحمامة ، والخلزون ، وعرف الديك .

ومن القطب الشائعة نجمة بيت لحم ، ومفتاح الخليل ، وحوض القيثارة .

ويعطي التطريز أماكن معينة من الثوب ، فهناك تطريز ضمن مربع على الصدر يعرف « بالقبة » ، وعلى الأكمام ويسمى « الزوائد » ، وعلى الجوانب ويعرف « بالبنايق » أو « المناجل » . كما يطرّز أسفل الظهر على مسافات مختلفة . ويلاحظ أن الجهة الأمامية من الثوب تكون دائماً خالية من التطريز إلاّ عندما يكون الثوب ثوب زفاف ليظهر عندئذٍ بكثافة ، أو يشقّ ويلبس من تحته « شروال » برتقالي اللون أو أخضر . وهناك قرى تضع نطعة من قماش المخمل وراء القبة وتزينها بالتطريز .

ومما هو جدير بالملاحظة أن جميع القرى الفلسطينية تشترك في تطريز بعض القطب وتختلف فيما بينها فقط في الأمكنة التي يضعونها فيها . كما أن بعض المناطق تكثر من استعمال عدد مختار من القطب حتى يصبح وجودها بهذا الشكل المكثف دليلاً على منشأ ذلك الثوب . فالقطبتان البارزتان في قضاء غزة هما القلادة والسروة . وفي رام الله * تبرز قطبة النخلة ، كما يكثر استخدام اللونين الأحمر والأسود (وكان يكثر في الماضي اللونان الأصفر والزهر) . ويكثف التطريز في بيت دجن * ، ويظهر بوضوح التابع التقليدي للغرز . وتمتاز الخليل * بقطبة السبعات (٧) المتتالية ، وتكثر فيها قطبة الشيخ . وهناك ما يميز الثوب الخليلي من غيره ، وهو طريقة التطريز عند آخر الثوب ، ولا سيما من الخلف بشكل شريحة عرضية . وهو تأثير بدوي يظهر أيضاً في بيسان * وبير السبع * .

وهناك غرزة معروفة بالميزان تظهر بين الجبل والساحل . والمعروف أن غرزة الصليب هي الأكثر شيوعاً في التطريز ، لكنها غير مستعملة في بيت لحم . والقبّة التلحمية ذات أثر هام في تراث التطريز الفلسطيني ، وهي تختلف عن جميع المناطق في أن الخيطان المستعملة في تطريزها من الحرير والقصب ، وأن الغرز المستعملة فيها هي المعروفة بالتحريري أو الرشيق ، واللفّ . وطريقة التحريري هي أن يمد خيط القصب على مسافات بمددها الرسم ، ويلفّ حوله قطب على بعد مسافات نصيرة لتثبيته . ومن حسنات هذه الطريقة أنها تسهّل عمل التعرّجات والتحكم بإتقان الوحدة . وإذا ما مدّت بشكل خطوط متوازية ملء الفراغ بينها بقطبة اللف .

وقد استحوذ هذا النوع من التطريز التلحمي على الكثيرات من نساء فلسطين ، وأصبحن يقلدنه ويطعمن أثوابهن بتلك الطريقة . ومن القرى التي نقلت هذا الأسلوب قرية لفتا * التي يتكون ثوبها من الحرير الأحمر والأخضر (ويعرف بالجنّة والنار) ويضاف إليه قبة تلحمية ، وقريتا سلوان وأبو ديس ، والثوب فيهما قماش نمباز مقلم مع قبة تلحمية .

ومن الملاحظ أيضاً إضافة شرائح من قماش حريري على قماش الثوب الأصلي . وقد استطاعت ذلك نساء قضاء القدس ، ويافا * ، وغزة * ، وبيت دجن .

وقد تشذّ بعض القرى عن كل ما ذكر . فنساء الطيرة *، قرب حيفا * ، يلبسن فساتين بيضاء بدون أكمام مطرزة بقطبة النيج وبرسوم طيور وسواها ، ويلبسن تحتها سروالاً مكشكشاً وبلوزة مكشكشة أيضاً . ولا بد من دراسة هذه الظاهرة هنا لمعرفة تأثير المدنيات المتعاقبة عليها .

أما في الصفصاف * في شمال فلسطين فإن لبس السروال الملوّن والضيق متداول . كما أن الثوب مقلم بألوان العلم العربي مضافاً إليها اللون الأصفر . ومما يلفت النظر قصر الثوب من الأمام بالنسبة إلى طوله من الوراء .

وتُعرف أثواب المجدل * وجوارها من تطعيم الأثواب بشرائح طويلة من الحرير البنفسجي .

أما الخزام أو الجداد فيختلف حسب المنطقة التي يلبس فيها .

ومكتومة ، فلم يكشف النقاب قط عن سجلات ممتلكات الغائبين ، كما كانت جلسات الكنيست * التي نوقشت فيها هذه الأمور جلسات مغلقة دائماً . ولم تستطع الامم المتحدة الحصول بصفة رسمية على أية بيانات بخصوص إدارة ممتلكات العرب والوسائل المتبعة في الحفاظ عليها ، والإبقاء على هويتها ، وإعادتها إلى أصحابها . " لقد أدمجت جميع ممتلكات الغائبين ـ ومعظمها من الأطيان الزراعية ـ في الكيان الاقتصادي للدولة الاسرائيلية " . هذا ما قاله مندوب (إسرائيل) لدى الأمم المتحدة ذات مرة في جلسة للمنظمة الدولية .

المراجع :

— Cattan, H.: **Palestine, The Arabs and Israel,** London 1968.
— Godabry, F.P. and Dukhan. M.J.: **The Land Law of Palestine,** Tel Aviv 1933.
— Granot, A.: **The Land System in Palestine:History and Structure,** London 1952.
— Hadavi, S.: **Bitter Harvest, Palestine between 1914 - 1967,** New York 1967.
— Weinstock, N.: **Le Sionisme Contre Israel,** Paris 1969.

أرض إسرائيل الكاملة (حركة ـ) :

ظهرت هذه الحركة بعد حرب ١٩٦٧ * مباشرة وتنامي الغطرسة والأوهام العنصرية الإسرائيلية . ويقف على رأسها الجنرال المتقاعد إبراهام يوفه الذي شارك في حرب ١٩٥٦ * وحرب ١٩٦٧ * ، وإسرائيل ألداد أحد القادة السابقين لمنظمة شتيرن الإرهابية (رَ : ليحي ، منظمة) .

وقد حظيت هذه الحركة بتأييد فئات واسعة من الإسرائيليين ، وضمّت في صفوفها شخصيات من مختلف الأحزاب ، وخاصة اليمينية .

أصدرت الحركة أول بيان سياسي لها في ١٩٦٧/١١/٢٦ ردّا على قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ قالت فيه إن احتلال (إسرائيل) للأراضي العربية عام ١٩٦٧ هو استرداد لها رغم استمرار اقتطاع شرقي الأردن منها . ودعا البيان إلى الرد على قرار ٢٤٢ بالاستيطان في كل أنحاء المناطق المحتلة .

خاضت الحركة انتخابات الكنيست * السابعة لعام ١٩٦٩ إلى جانب قائمة كتلة غاحال * ، ولكن إبراهام يوفه من الفوز بعضوية الكنيست .

وقد مارست الحركة كثيرا من النشاطات السياسية ، ونظمت المهرجانات والمظاهرات المناوئة للانسحاب من الأراضي المحتلة ، ومن بينها مهرجان الاحتجاج على مشروع روجرز * (آب ١٩٧٠) ، والمظاهرة في كريات أربع تأييداً للمستوطنين (نيسان ١٩٧١)، والمظاهرة المناوئة للولايات المتحدة أمام السفارة الأميركية في تل أبيب (أيار ١٩٧٥) احتجاجاً على تزويد الأردن بالسلاح ، وقامت بغير ذلك من الأعمال المؤيدة للمستوطنين في كفر قدوم .

في آذار ١٩٧٦ قامت الحركة بالتعاون مع القائمة الرسمية وحزب المركز الحر * بتأسيس حزب " لاعام " الذي خاض انتخابات الكنيست التاسعة في إطار الليكود * وفاز بثمانية مقاعد ، وفاز في انتخابات الكنيست العاشرة بخمسة مقاعد . وتقف لاعام على يمين الليكود وهي أقرب إلى حزب " هاتحيا " الذي تتزعمه غيئولا كوهين .

المراجع :

ـ مؤسسة الدراسات الفلسطينية : الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٧ ، بيروت ١٩٦٩ .

أرض بلا شعب لشعب بلا أرض :

رَ : الهجرة الصهيونية إلى فلسطين

الأرض للدراسات الفلسطينية (مؤسسة ـ) :

مؤسسة عربية مستقلة للأبحاث والدراسات أسسها حبيب قهوجي في دمشق (الجمهورية العربية السورية) في أيلول ١٩٧٣ وأطلق عليها اسم " مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية " وفاء لحركة الأرض * القومية التي كان أحد مؤسسيها في أواسط الخمسينات بين عرب فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ .

هدف المؤسسة دراسة التجمع الاستيطاني الصهيوني في فلسطين المحتلة ، ومعرفة آلية عمل هذا الكيان ، ونشأته ، وتاريخه ، وأوضاعه السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية ، ومخططاته ، وعلاقاته الخارجية ، ومتابعة ما يتعلق بالشعب العربي الفلسطيني وقضيته التي هي قضية الأمة العربية . وذلك بقصد الإسهام في مساعدة صانعي القرار العربي وذوي الاختصاص والإعلام في الساحة الفلسطينية وفي الوطن العربي على إدارة الصراع ضد العدو بطريقة علمية تقوم على الدراسة الموضوعية .

وتعتمد المؤسسة بشكل رئيس على المصادر الإسرائيلية والصهيونية للمعلومات تدرسها وتحللها بأقصى قدر من

الموضوعية مستفيدة من معرفة أعضائها وخبرتهم بشؤون التجمع الاستيطاني الصهيوني ولغته وتركيبه .

تصدر المؤسسة :

١) سلسلة من الكتب .

٢) سلسلة من الكتب المترجمة عن العبرية .

٣) مجلة الأرض نصف الشهرية .

٤) نشرة يومية عن الصحافة الإسرائيلية .

أقسام المؤسسة :

١) قسم الأبحاث والدراسات .

٢) قسم الترجمة من اللغة العبرية .

٣) المكتبة ، وتحتوي على حوالي سبعة آلاف كتاب بمختلف اللغات ، وفيها اللغة العبرية .

٤) قسم الوثائق : ويضم نحو ٣٨ ألف وثيقة عن الحركة الصهيونية ونشاطات الاستعمار في فلسطين والوطن العربي .

٥) قسم الأرشيف : وترد إليه حوالي ١٢٥ صحيفة ومجلة ودورية بمختلف اللغات ، وفيها العبرية ، وتصنف حسب نظام خاص . كما يضم هذا القسم ترجمة عربية لجميع المقالات والدراسات التي تصدر في الصحف والمجلات الإسرائيلية والصهيونية . وقد انبثق عن هذا القسم « بنك » للمعلومات .

٦) قسم الطباعة والنشر والتوزيع .

يبلغ عدد العاملين في المؤسسة حوالي ٥٠ شخصاً ، بالإضافة إلى الأشخاص الذين تتعاون معهم من الباحثين والمترجمين وغيرهم .

الأرض الموعودة :

الأرض الموعودة ، أو أرض الميعاد ، أو أرض إسرائيل ، أو أرض المَعَاد ، أسماء مختلفة لمعنى واحد هو أرض فلسطين . والأرض الموعودة هي إحدى الحجج التي استخدمتها الصهيونية لدفع يهود العالم للهجرة إلى فلسطين واستعمارها . وتستغل هذه الحجة الحوافز الدينية المستوحاة من التوراة لتحقيق الأهداف الصهيونية .

يزعم اليهود أن الرب وعدهم بأرض فلسطين وأعطاهم إياها ردحا من الزمن . ثم وعدهم حين طُردوا منها بإرجاعهم إليها في الوقت المناسب . ولا ترسم التوراة نفسها حدوداً ثابتة لهذه الأرض . ففي حين ترد حدودها في الآية ١٨ من الإصحاح ١٥ من سفر التكوين " لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات " ، تختلف حدودها في الآية ٨ من الإصحاح ١٧ من سفر التكوين " أعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك ، كل أرض كنعان ملكاً أبدياً " .

ولم تقدم الحركة الصهيونية هي الأخرى حدوداً ثابتة ، فقد اكتفى إعلان قيام (دولة إسرائيل) في ١٩٤٨/٥/١٤ بالإشارة إلى أرض (إسرائيل) ، مهد الشعب اليهودي ، دون أن يرسم لهذه الأرض حدوداً .

لقد استخدمت الصهيونية أسطورة أرض الميعاد ، أو أرض (إسرائيل) ، لتأجيج الحماسة الدينية لدى اليهود للهجرة إلى فلسطين انطلاقاً من الادّعاءات التوراتية التي ترى أن أرض فلسطين ملك لليهود وحدهم ، وأن هذه الأرض لا وجود لها خارج التاريخ اليهودي . ولعل هذا هو الأساس الذي خرجت منه عبارة « أرض بلا شعب لشعب بلا أرض » .

وبالإضافة إلى ذلك مكّن مصطلح أرض الميعاد الصهيونية من تغاضي استخدام مصطلح أرض فلسطين الذي ينسف ادعاءاتهم من أساسها بما يحمله من دلالات على الوجود التاريخي غير اليهودي في فلسطين .

المراجع :

– عبد الوهاب محمد المسيري : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ، القاهرة ١٩٧٥ .

– القضية الفلسطينية أو الخطر الصهيوني ، بيروت ١٩٧٣ .

إرغون تسفاي لئومي :

اسمها العبري الكامل هو "إرغون تسفاي لئومي بارتس يسرائيل " ، أي "المنظمة العسكرية القومية في أرض إسرائيل " .

تأسست هذه المنظمة السرية عام ١٩٣١ بالاشتراك مع جماعة مسلحة من حركة بيتار الإرهابية والماغاناه * (ب) احتجاجاً على ما اعتبر " سياسة الهاغاناه الدفاعية " . وكان فلاديمير جابوتنسكي الزعيم الصهيوني المنطرف هو الأب الروحي للمنظمة ، ودافيد رازيل القائد العسكري لها ، وابراهام شتيرن رئيسها السياسي . أما شعارها فكان يدا تمسك بندقية مكتوبا تحتها " هكذا فقط " . وقد شنّت هذه العصابة عمليات إرهابية ضد العرب والإنكليز في فلسطين ، وقامت بتهريب اليهود إليها . وفي عام ١٩٤٠ انشقّت جماعة شتيرن (ز : ليحي ، منظمة) عن الإرغون حينما اتجهت المنظمة الأم إلى التعاون مع القوات البريطانية ، خاصة في مجال المخابرات .

وفي عام ١٩٤٣ استلم مناحيم بيغن زعامة الإرغون التي صعّدت عملياتها الإرهابية ضد العرب . وأهم تلك العمليات نسف فندق الملك داود في القدس في ١٩٤٦/٧/٢٢ ، والهجوم الوحشي

على قرية دير ياسين العربية في ١٩٤٨/٤/٩ (دَ : دير ياسين ، مذبحة) .

وكانت علاقات المنظمة مع الهاغاناه والوكالة اليهودية * تراوح بين العداء والتحالف بحسب المواقف السياسية . وقد اتجهت علاقاتها بسلطة الانتداب البريطاني مع مطلع عام ١٩٤٤ إلى الصدام كجزء من المخطط الصهيوني للضغط على بريطانيا كي تتخلى عن انتدابها وتمكّن الصهيونية من إعلان دولتها .

وفي أيلول ١٩٤٨ دمجت الإرغون في الجيش الإسرائيلي بناء على أوامر الحكومة الإسرائيلية ، وكان بن غوريون يومئذ هو رئيس الحكومة ووزير الدفاع ، فقامت قوات الهاغاناه بتطويق مراكز الإرغون في منطقتي ناتانيا * وتل أبيب * ، وجردت أفرادها من السلاح ، وأمرتهم بالانضمام بالقوة إلى قوات الجيش . وأسس بيغن بعد ذلك حزب حيروت * الذي حل الايديولوجية العنصرية الإرهابية نفسها . وقد كرم رئيس (الدولة) قيادات الإرغون في تشرين الثاني ١٩٦٨ " لدورهم القيادي " في خلق (دولة إسرائيل) .

الإرهاب الدولي :

كثرت في الستينات ومطلع السبعينات من القرن العشرين حوادث اختطاف الطائرات واغتيال الزعماء السياسيين والممثلين الدبلوماسيين والمسافرين والسائحين ، أو احتجازهم رهائن من اجل الابتزاز المالي أو الحصول على اللجوء السياسي ، أو غيرها من الأغراض . وقد انتهزت القوى الاستعمارية والعنصرية والصهيونية هذه الحوادث ، وسعت إلى استغلالها لمقاومة حركات التحرر الوطني والقضاء عليها ، وبخاصة حركة المقاومة الفلسطينية .

وكانت الأمم المتحدة قد أخذت تهتم بهذا النوع من الحوادث التي أدرجت تحت مصطلح « الإرهاب الدولي » فأعدت " مشروع اتفاقية خاصة بالجرائم ضد سلام الإنسانية وأمنها " ، و" مشروع اتفاقية لمنع المخالفات المرتكبة ضد الدبلوماسيين وغيرهم من الأشخاص الذين لهم حق التمتع بحماية دولية " . كما وضعت منظمة الطيران المدني الدولية ثلاث اتفاقيات بشأن : المخالفات المرتكبة على متن الطائرات (اتفاقية طوكيو ١٩٦٣) ، والحجز غير الشرعي للطائرات (اتفاقية لاهاي ١٩٧٠) ، والأعمال غير الشرعية الموجهة إلى أمن الطيران المدني (اتفاقية مونتريال ١٩٧١) .

وعلى الرغم من ذلك ظل موضوع الخلط بين حوادث الإرهاب ونشاط حركات التحرر الوطني بعيداً ، إلى حدّ ما ، عن الأمم المتحدة . لكن الصهيونية * والقوى الإمبريالية تقودها الولايات المتحدة الأمريكية * شدّدت عام ١٩٧٢ ضغطها على المنظمة الدولية كي تعالج موضوع " الإرهاب الدولي " ، وتتخذ التدابير التي تؤدي إلى الحدّ من أعماله ومظاهره . وقدّم المندوب الإسرائيلي في هيئة الأمم المتحدة رسالة إلى الأمين العام طلب فيها من المنظمة الدولية " أن تتحرك بصورة فعالة وبلا تردد لتضع حداً للإرهاب " ، وطالب بالضغط على الدول العربية كي تمنع وجود منظمات المقاومة الفلسطينية على أراضيها ، وعدد هذه الدول بأن (إسرائيل) ستتخذ " جميع التدابير الضرورية لتدافع عن نفسها " .

ونتيجة هذا كله قدّم الأمين العام للأمم المتحدة يوم ١٩٧٢/٩/٨ اقتراحا إلى الجمعية العامة في دورتها السابعة والعشرين طلب فيه " دراسة التدابير المانعة للإرهاب الدولي ، ولأشكال العنف الأخرى التي تعرّض الأرواح البشرية البريئة للخطر ، أو تودي بها ، أو تعرّض الحريات الأساسية للخطر " . وعلّل الأمين العام طلبه بقوله : " إن العالم يخضع في الوقت الحاضر لموجة من الأعمال الإرهابية أودت بحياة عدد من رجالات الدول والدبلوماسيين ، بالإضافة إلى أنها أزهقت أرواح أناس كثيرين كان خطؤهم الوحيد أنهم ينتمون إلى عرق أو ديانة أو دولة معينة " .

وقد دفع ذلك الدول العربية في الأمم المتحدة إلى التحرك ، فأوضحت للأمين العام أن عنوان الموضوع ، حسب اقتراح الأمين العام ، شامل ، واسع الإطار ، ويُخشى أن تستغلّه الدول المعادية لحركات التحرر الوطني فتحشر أعمال هذه الحركات ضمن إطار الإرهاب ، وفي ذلك انتهاك لميثاق الأمم المتحدة وقراراتها .

حينذاك صرّح الأمين العام بأنه ليس من المناسب دراسة ظاهرة الإرهاب " دون الأخذ بعين الاعتبار بالأسباب الكامنة

وراءها " ، وأوضح أنه لم يهدف باقتراحه إلى " المسّ بالمبادىء التي حددتها الجمعية العامة فيما يتعلق بالشعوب المستعمرة أو غير المستقلة التي تناضل للحصول على استقلالها وحريتها " .

ولما بدأت دورة الجمعية العامة السابعة والعشرون في أيلول ١٩٧٢ تحدّث ٩٢ وزير خارجية ـ من بين ١٢٨ وزيراً ألقوا بيانات في الجمعية ـ عن الإرهاب الدولي ، فدان معظمهم الإرهاب إذا كان القصد منه نشر الرعب ، أو الابتزاز ، أو الكسب غير المشروع ، أو الاغتصاب ، أو قتل الأبرياء . وراحوا يرسمون الخطوط الفاصلة بين الإرهاب وأعمال التحرر الوطني ، وأوضحوا أن حركات التحرر الوطني يحقّ لها أن تستخدم جميع الوسائل المتوفرة لديها في سبيل تحقيق أهدافها وحصولها على حقوقها التي نصّ عليها ميثاق الأمم المتحدة وقراراتها .

وانبرت وفود الولايات المتحدة و(إسرائيل) وبعض دول أوربا الغربية وأمريكا اللاتينية تدين الإرهاب بمختلف أشكاله دون النظر إلى دوافعه وأسبابه ، وتطالب باتخاذ التدابير لمنعه والحدّ من أعماله وآثاره . وكان وزير الخارجية الأمريكية أكثر رؤساء الوفود حماسة ، فوزّع مع خطابه مشروع اتفاقية دولية في هذا الشأن .

وحينما عرض موضوع بند الإرهاب الدولي كما اقترحه الأمين العام على الجمعية العامة لإدراجه على جدول أعمالها أقرت الجمعية العامة ، باقتراح من أحد الوفود العربية ، إضافة فقرة إلى عنوان الموضوع بحيث أصبح : "التدابير المانعة للإرهاب الدولي ولأشكال العنف الأخرى التي تعرض الأرواح البشرية البريئة للخطر ، أو تودي بها ، أو تعرض الحريات الأساسية للخطر ، ودراسة الأسباب الكامنة وراء أشكال الإرهاب وأعمال العنف التي مردّها إلى البؤس وخيبة الأمل والحيف واليأس ، والتي تدفع ببعض الناس إلى إزهاق الأرواح البشرية بما فيهم أرواحهم هم أنفسهم في محاولة لإحداث تغييرات أساسية " .

درست اللجنة القانونية (إحدى اللجان الرئيسة السبع المتفرعة عن الجمعية العامة) موضوع الإرهاب الدولي بالعنوان الوارد أعلاه ، فتباينت الآراء ، وتعددت الاجتهادات ، واصطدمت الاتجاهات ، ولجسّد ذلك كله في ثلاثة مشاريع قرارات قدمت أولها الولايات المتحدة ، وثانيها بعض دول أوربا الغربية وأمريكا اللاتينية * ، وثالثها مجموعة من الدول غير المنحازة . وقد تبنت الجمعية العامة بأكثرية أعضائها (٧٦ ضد ٣٥ ، واستنكاف ١٧) مشروع قرار الدول غير المنحازة . وصدر القرار برقم ٣٠٣٤ (د ـ ٢٧) وتاريخ ١٨/١٢/١٩٧٢ .

طلب القرار من الدول الأعضاء أن تعكف على دراسة الحلول العادلة والسلمية التي تؤدي إلى إزالة الأسباب الكامنة وراء أعمال العنف ، وبيّن أن الجمعية العامة تؤكد " الحق الثابت في تقرير المصير والاستقلال لجميع الشعوب الخاضعة للأنظمة الاستعمارية والعنصرية ولغيرها من أشكال السيطرة الأجنبية ، وتؤكد شرعية نضالها ، وبصورة خاصة نضال حركات التحرر الوطني ، وفق أهداف ومبادىء الميثاق وقرارات أجهزة الأمم المتحدة " . وأدان "أعمال القمع والإرهاب التي تستمر الأنظمة الاستعمارية والعنصرية والأجنبية بممارستها حارمة الشعوب من حقها الشرعي في تقرير مصيرها واستقلالها ومن حقوق الإنسان الأخرى والحريات الأساسية " . وقررت الجمعية العامة تشكيل لجنة خاصة مؤلفة من ٣٥ دولة ، وطلبت من جميع الدول أن تقدم إلى هذه اللجنة الخاصة اقتراحاتها لإيجاد حل لمشكلة الإرهاب . وكلفت اللجنة أن تقدم تقريرها إلى الجمعية العامة في دورتها الثامنة والعشرين (١٩٧٣) .

قادت الولايات المتحدة معارضة هذا القرار في الجمعية العامة ، وأعلن رئيس وفدها أن بلاده ستعمل على اتخاذ التدابير المناهضة للإرهاب بالتعاون مع دول أخرى خارج إطار الأمم المتحدة ، وقال : " إننا مضطرون إلى سلوك هذا السبيل ما دامت عطالة الأمم المتحدة تجبر الدول على التلاقي خارجها " . وكان مندوب (إسرائيل) أكبر مناصر للمندوب الأميركي في هجمه على المنظمة الدولية وتجريمه القرار ، وقال : " إن النهاية التي انتهت إليها مناقشة الإرهاب ليست سوى طلقة الرحمة أطلقت على كيان الأمم المتحدة " .

تصدت الوفود العربية والإفريقية وغيرها لجميع هذه المفاهيم الأمبريالية والصهيونية وكشفت بطلانها وكذبها ، وبخاصة أنها حاولت أن تخنق حركات التحرر الوطني تحت ستار الحد من أعمال الإرهاب الدولي . وكان بحث موضوع الإرهاب في الجمعية العامة فرصة مناسبة لكي تفتح الوفود العربية والصديقة ملف الإرهاب الصهيوني وتاريخه ومآسيه وأهدافه .

استمر عمل اللجنة الخاصة بالإرهاب الدولي سنوات . وقد اتخذت الجمعية العامة في الدورة ٣٤ قرارا رقمه ١٤٥/٣٤ وتاريخه ١٧/١٢/١٩٧٩ نص على أن تدرس الجمعية العامة في دورتها السادسة والثلاثين (أيلول ١٩٨١) تقرير اللجنة الخاصة . وجاء في إحدى فقرات هذا القرار " تسلم الجمعية العامة بأنه ينبغي لها وللمجلس الأمن ، من أجل الإسهام في القضاء على الأسباب الكامنة وراء الإرهاب الدولي ومشكلة الإرهاب الدولي ، أن يوليا اهتماماً خاصاً لجميع الحالات ، بما في ذلك ، في جملة أمور ، الاستعمار والعنصرية والحالات التي تنطوي على الاحتلال الاجنبي ، أي الحالات التي قد تدفع إلى الإرهاب الدولي ، وقد تعرض السلم والأمن الدوليين للخطر ، وذلك بقصد تطبيق ما يتصل بالموضوع ،

حيثما أمكن ذلك ، من أحكام ميثاق الأمم المتحدة ، بما في ذلك الفصل السابع منه " .

ولا تزال الجمعية العامة للامم المتحدة تناقش هذا الموضوع حتى دورتها السابعة والثلاثين (١٩٨٢) .

المراجع :

ـ محاضر وقرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة .

الإرهـــاب الصهيوني :

أمام الباحث في أمر الإرهاب الصهيوني فرصة نادرة لا يمكن أن تتاح لأي باحث في الإرهاب مهما كان اتجاهه أو جنسيته . ذلك أن قادة الإرهاب الصهيوني نشروا مؤلفات ضخمة بحثوا فيها ، باسهاب وتفصيل دقيقين ، مختلف التنظمات الإرهابية التي كانوا ينتمون إليها ، والعقائد الأساسية (الايديولوجية) التي قامت عليها ، ونشوءها وتنظيمها وأهدافها ، ووصفوا بإسهاب الجرائم التي ارتكبوها ، أو التمثيل الذي عمدوا إليه بكل صراحة ووضوح ودون خجل أو خوف أو تردّد . وليس من المبالغة القول إنك لا تجد في أي تراث عسكري سياسي لأي شعب من شعوب العالم مثل هذا التراث الرهيب عن الإرهاب الصهيوني . إن مجرد الكشف عن هذه الحقائق بهذا الوضوح وتلك الصراحة من قبل قادة الإرهاب الصهيوني ، ونفر من الذين ارتكبوا أبشع الجرائم التي يمكن أن يقترفها بشر ضد بشر ، بل يهود ضد يهود عندما كانت المصلحة الصهيونية تقضي بذلك ، هو بحد ذاته تحدٍّ للعقل والضمير الإنسانيين .

على أنه لا بد أولاً ، وقبل بحث المرتكزات العقائدية والفكرية التي قامت عليها ايديولوجية الإرهاب الصهيوني ، أن نعتمد نقطة لبداية الإرهاب هي مرحلة التخطيط له والتصميم عليه قبل اقترافه ، كما أن التصميم على الحرب والتخطيط لها سابقان لتنفيذها .

فالقرار العقلي الذي تم بموجبه تجريد شعب بكامله من حقوقه قبل القضاء عليه هو بصورة أكيدة أول مصدر من مصادر العنف وأسبق من أي مصدر آخر . ففي وقت لم يكن فيه عدد اليهود في فلسطين يزيد كثيرا على عشرين ألفا كتب هرتزل عام ١٨٩٦ في كتابه « دولة اليهود » يقول بشكل جازم : " إن دولة اليهود يجب أن تشكّل في فلسطين جزءاً لا ينجزأ من سور الدفاع عن أوربا في آسيا ، وقلعة متقدمة للحضارة ضد البربرية " . وكتب في مذكراته : "سنحاول أن نخرج السكان المعدمين عبر الحدود بأن

نسف فندق الملك داود في القدس ١٩٤٦

نجد لهم عملاً في البلاد التي نطردهم إليها وننكر عليهم أي عمل في بلدنا" . وتابع قائلاً : "إذا انتقلنا إلى منطقة توجد فيها حيوانات مفترسة لم يتعوّد عليها اليهود ـ كالأفاعي الكبيرة مثلاً إلخ ـ فسأحاول أن استعمل السكان البدائيين للقضاء على هذه الحيوانات قبل أن أجد لهم عملا في البلاد التي يعبرون إليها " . ذلك كله كان المصدر الأول والأساسي للإرهاب والعنف .

وعندما وصف وعد بلفور * عام ١٩١٧ الأغلبية الساحقة من العرب في فلسطين بأنها « السكان غير اليهود » كان هذا الوصف المبهم يعني في ذهن صاحب الوعد وفي الزمن الذي صدر فيه « السكان البدائيين » ممن هم أحط من أن ينظر فيهم ، أو أن تكون لهم حقوق « الأسياد » . وهو بذلك يشجع العنف الصهيوني الاستعماري على أن يتصادى ضد أولئك « البدائيين » ، وبشكل أيضاً عملاً أوّلَ من أعمال العنف .

وعندما قدم وايزمن إلى المجلس الأعلى لمؤتمر السلام المنعقد في باريس مذكرته المعروفة المؤرخة في ١٩١٩/٢/٣ التي تضمنت " الحد الأدنى لدولة اليهود المقبلة " وأدخل فيها كل فلسطين وجنوبي لبنان وجنوبي سورية حتى دمشق وخليج العقبة ، وخط

حديد الحجاز حتى معان ، ومنابع مياه الأردن في سفوح جبل الشيخ ، كان ذلك فعلاً من أفعال العنف أيضاً .

وعندما قال بلفور في ١٩١٩/٨/١١ للوزارة البريطانية : " في فلسطين ، نحن لا نفكر البتة ان نعمد إلى أي شكل من استشارة السكان الحاليين ومعرفة رغائبهم " ، كان يضع أساسا من اسس الإرهاب الصهيوني الذي نشأ واستمر ، وما زال مستمرا ضد العرب حتى اليوم .

ومن خلال كتابات الإرهابيين الصهيونيين نجد العقيدة الصهيونية قد بنيت - بين ما بنيت عليه - على المقدمات التالية :

١) الإيمان بالعسكرية إيماناً مطلقاً ، وتنشئة الأجيال المتعاقبة من الصهيونيين عليها حتى تصبح نسما من تكوينهم .

٢) نفض الحقوق الطبيعية للعرب نقضاً مطلقاً إلى درجة تصبح فيها جريمة إبادة الجنس العربي بالنسبة إلى الصهيوني عملاً مطلوباً من أجل ذاته .

٣) تبرير اللجوء إلى أية وسيلة ، مهما كانت مجرمة في الإجرام ، لتحقيق الأهداف المقدسة للصهيونيين في (أرض إسرائيل) ، حتى ليغدو القتل والاغتيال والإرهاب من عاديات الحياة اليومية .

٤) اعتماد قانون أعلى ، هو « الحق المطلق » بالنسبة إليهم أو إلى « مطلق صهيوني » ، يضع الصهيونيين كلهم في جهة وباقي الجنس البشري في جهة أخرى أدنى منهم .

٥)الارتسام والدخول في « كهنوت صهيوني » غايته إنقاذ « وطن اليهود » حتى يصبح الحقد الأعمى ضد العرب من مقومات الإيمان ، وتطهير (أرض إسرائيل) من العرب سبيلاً لتحقيق المثل الصهيوني الأعلى .

٦) الجاسوسية التي لا تحجم عن ارتكاب أية جريمة لتحقيق أهدافها .

٧) الإيمان بأن الهجرة " اللاشرعية " إلى فلسطين ، دون الإحجام عن أية وسيلة لتحقيقها ، هي مجرد مرحلة للغزو الاستيطاني الصهيوني .

وتتوافر الأدلة التي توضح هذه المجموعة الرهيبة من عناصر العقيدة الصهيونية في كل مصدر من مصادر التراث الصهيوني الإرهابي . كتب موشي مينوحين الذي نشأ صهيونياً في فلسطين ثم ارتدّ عن الصهيونية ما يلي : " نحن أرائل المتخرجين من « المعبد المقدس » للقومية اليهودية السياسية ، تدربنا نفوسنا و« ارتسمنا » لنتقذ « الوطن اليهودي » بأي ثمن كان ، ولنطهر فلسطين من كل من لم يكن يهودياً - غويم - . . . أعرف من أي مصدر أتكلم . فقد تبعت أحمال « عصابتي » خلال هذه السنوات كلها . واحتجت إلى حياة كاملة كي أفصل نفسي عن هذه الفلسفة البدائية الهوجاء في القومية اليهودية التي أراها شكلاً مَرَضِيًّا من الأنانية الجماعية . هذه القومية التي تعتبر ذاتها « مطلقاً » يدين لها العالم بكل شيء ، ولا تدين لأحد بأي شيء " .

ويقول جابوتنسكي مخاطباً الصهيوني : "كل إنسان آخر على خطأ ، وأنت وحدك على صواب . لا تحاول أن تجد أعذاراً من أجل ذلك ، فهي غير ضرورية ، وهي غير صحيحة . وليس بوسعك أن تعتقد بأي شيء في العالم إذا اعترفت ، ولو لمرة واحدة ، أن خصومك قد يكونون على صواب لا أنت ، فهذه ليست الطريقة لتحقيق أي أمر . لا توجد في العالم إلاّ حقيقة واحدة ، وهي بكاملها ملكك أنت " .

وهناك قصة قديمة تروى عن شاب سئل في الكيبوتز : كيف ترى المشكلة العربية ؟ فأجاب : " من خلال فوهة البندقية " . وكتب بيغن : " تعلّمت منذ حداثة سنّي عن أبي أننا ، نحن اليهود ، لا بد أن « نعود » لأرض إسرائيل . ولا يجوز مطلقاً القول أن « نذهب » أو « أن نسافر » أو « أن نأتي » ، بل يكل حزم أن نعود . ذلك هو الفارق الكبير . وهو فارق شامل كل الشمول " . ويعطي بيغن التحديد الجغرافي (لأرض إسرائيل) لتشمل بالإضافة إلى فلسطين كلها ضفتي الأردن جميعاً ، ويعتبرها إرثاً للشعب اليهودي بكامله . أما عن الشرعية المطلقة المتجسدة في العقيدة الصهيونية فيقول : " لكي تتمكن من المحافظة على باب مفتوح مع الحركة السرية تحتاج إلى شيء أكثر من مجرد استعمال الأسماء الملفقة . إن أكثر الأمور ضرورة هو الشعور الداخلي الذي يحوّل ما هو « شرعي » إلى « غير شرعي » وما هو « غير شرعي » إلى « شرعي » و« مبرر » . لقد كنا مقتنعين « بالشرعية » المطلقة لأعمالنا « اللاشرعية »" . وفي هذا الإطار عن « شرعية » « اللاشرعية » يقول جابوتنسكي : " القول إن ابني يعمل في الهجرة « اللاشرعية » لإيصال اللاجئين اليهود إلى فلسطين شرف لا يحق لي أن أناقشه " .

تتضح هذه المنطلقات الأساسية في العقيدة الإرهابية الصهيونية بازدياد عند الرجوع إلى أمرين :

١) التاريخ الحقيقي لنشوء المنظمات الإرهابية « الأم » التي تفرعت عنها المنظمات التابعة .

٢) السرّيّة المطلقة في تشكيلها .

ولئن جرى تعداد مختلف المنظمات الإرهابية فسيكون التركيز هنا على المنطلقات العقائدية التي تشكل بمجموعها ما يمكن أن يسمى بحق « فلسفة الإرهاب الصهيوني » التي ما زالت حتى اليوم تشكّل العقلية الخلفية للعقيدة الصهيونية التي لم تتغير . وأهم ما يشدد عليه في هذا المدخل أن ما دعي بالمنظمات الأم ، كالهاغاناه * والهاشومير * ، إنما نشأت أصلاً في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل

القرن العشرين في أوربا الشرقية ، ولها غاية واحدة هي غزو فلسطين وإخراج العرب منها . وأن الوافدين الأوائل من اليهود، وجلّهم حينذاك من أوربا الشرقية ، لم يكونوا « مهاجرين » أو « لاجئين » إلى « ملجأ أمين » ، بل كانوا في الواقع طلائع الغزوة الصهيونية . ولم يكن وعد بلفور أو الانتداب البريطاني إلا من الوسائل التي سبقت إلى إضفاء صبغة الشرعية الدولية على الغزوة الاستيطانية .

أ ـ الهاغاناه : يقول بيغال آلون ، أحد ضباط الهاغاناه ، ومن قادة البالماخ في كتابه « تكوين الجيش الإسرائيلي » : " منذ عام ١٨٨٠ ، عندما كانت البلاد لا تزال تحت الحكم العثماني ، ولم يكن عدد السكان يزيد على بضع عشرات من الألوف (يحدّد آلون عدد اليهود حينذاك في فلسطين كلها بأنه ٢٤،٠٠٠ ، نصفهم يعيش في القدس * والنصف الآخر موزع في الجليل وصفد * وطبرية * ويافا * وعكا *) ابتدأ تشكيل خلايا سرّية للدفاع ضد السرقة والسطو والقتل والاغتيال . ولم تكن هذه التنظيمات صفة سياسية ، ولكن ترتب عليها بصورة غير مباشرة نتائج سياسية . وهكذا تشكلت منذ بداية هذا العصر نوى متعددة مختلفة لمنظمات عسكرية يهودية سرّية ذات اتجاهات سياسية ، وأهمها فرق الهاشومير التي تعتبر المنظمات التي سبقت الهاغاناه . وقد أخذت هذه الفرق تفكر في هذه المرحلة في أن يكون دفاعها عن اليهود على مستوى وطني قومي واسع . وكانت مستعدة دوماً للدفاع عن أية مستعمرات يهودية مهما كانت بعيدة أو نائية ، بل كلما كانت أبعد كانت أفضل . وأخذت تحمي هذه القرى النائية بالاشتراك مع الفلاحين والمزارعين فيها " .

ومما أدى إلى تقوية الهاغاناه في الفترة من ١٩٢٠ ـ ١٩٣٠ تدفق المهاجرين اليهود من عدة بلاد ، وخاصة من أوربا الشرقية . ولم تكن هذه التقوية في العدد فحسب بل في النوع أيضاً ، لأن أغلبية المهاجرين الجدد كانت من الشباب ، وكلهم مثاليّ متحمس ، والكثير منهم اكتسبوا خبرة بالتنظيمات شبه العسكرية والسرية عندما كانوا يدافعون عن الأحياء اليهودية في شرقي أوربا أثناء تعرضها للهجوم .

وقد أثر على تكوين الهاغاناه وذهنية المنخرطين فيها اختيار أمكنة المستعمرات اليهودية الذي كان خاضعاً لأهداف استراتيجية وسياسية محض . ولم يكن العامل الاقتصادي وحده هو العامل المؤثر في اختيار مواقع المستعمرات ، ولكن حاجات الدفاع المركزي والاستراتيجية الشاملة للاستيطان التي كان هدفها الرئيسي ضمان وجود سياسي يهودي في جميع أنحاء البلاد ، والدور الذي يمكن أن تلعبه مثل هذه المستعمرات في المستقبل ، خاصة في مجابهة حاسمة لا بد من وقوعها يوماً ضد العرب ، كانت كلها أكثر أهمية من العمل الاقتصادي في نظر المخططين للاستيطان الصهيوني . وهكذا نشأت المستعمرات ، على مختلف أنواعها ، منعزلة ، تفصل الواحدة عن الأخرى المسافات الجغرافية والحواجز الطبيعية . والنتيجة أن كل مستعمرة يهودية جاءت قلعة محصنة للهاغاناه . وقد رافق التخطيط الاقتصادي والزراعي التخطيط العسكري ، وكانت موازنة الهجرة تعنى بالسيف وبالمحراث معا ، وتؤمن احتياجاتها جنباً إلى جنب .

وقد أدخلت هذه الحاجات عدة عناصر جديدة في تفكير الهاغاناه العسكري وأسلوب تنفيذ مخططاتها . وشمل ذلك وضع استراتيجية متماسكة متكاملة تأخذ بعين الاعتبار الحاجات العسكرية في مختلف أنحاء البلاد ، والقدرة على التحرك السريع ، والاستعمال الأكبر للأسلحة الأوتوماتيكية الخفيفة . ونوق ذلك كله أدّى تطور الهاغاناه إلى إقامة قيادتين سريتين ؛ قيادة مدنية عليا ، وقيادة عسكرية عليا لها رئاسة أركان كاملة ، وتخضع القيادتان للتنظيم الصهيوني المتمركز في الوكالة اليهودية .

ب ـ الهاشومير (فرق الحراس): يذهب عاموس برلمتر في كتابه « العسكرية والسياسة في إسرائيل » إلى أن أولى قوى الدفاع اليهودي تشكلت في الشتات في أوربا الشرقية أواخر القرن التاسع عشر ، وأن حزب بوعالي صهيون * ، وهو الحزب الذي سبق الحركة الاشتراكية الصهيونية ، هو الذي أشرف أيضاً على تشكيل فرق الحرس في فلسطين عام ١٩٠٥ ، ثم حلت محلها عام ١٩٠٩ فرق الحرس المعروفة بهاشومير . ولم تكن فرق الهاشومير في بدايتها تشكل مجموعة متماسكة من الصهيونيين بل مزيجا من الصهيونيين من شرقي أوربا وأوكرانيا والقفقاس ، ثم انضم إليها يهود روسيون ماركسيون وبثّوا فيها روحا محاربة . والذي أبقى عمل فرق الهاشومير حتى منتصف العشرينات قرب التزامها الايديولوجي والقومي من الفئات الاشتراكية الرائدة في فلسطين .

وكانت فرق الهاشومير تعمل كنواة تآمرية (وقد استعمل برلمتر هذا التعبير) تعلغلت في معظم المنظمات الاشتراكية الصهيونية في فلسطين لتنافس عمل الهستدروت * . وهكذا سعت فرق الهاشومير الماركسية تحت ستار تأمين الدفاع أن تحوّل فعالية الصهيونية الاشتراكية إلى اتجاه ماركسي .

جـ ـ فرق العمل : شكلها يوسف ترمبلدور ، وهو صهيوني اشتراكي راديكالي ، وحارب قديم اشترك في الحرب الروسية ـ اليابانية عام ١٩٠٥ . وقد اشترك مع جابوتنسكي ووايزمن في الدعوة لتشكيل فرقة يهودية تحارب في صفوف الحلفاء في الحرب العالمية الأولى . وقد تم تشكيلها بالفعل ، وكانت القاعدة لبنية سياسية تنافس حوفا عدد من الأحزاب الصهيونية عندما قاربت الحرب العالمية الأولى نهايتها . وقد نظر جابوتنسكي إلى الفرق

اليهودية على أنها المرحلة الأولى من تطوير جيش يهودي في فلسطين . وقام جابوتنسكي بجهود كبيرة لإبقاء الفرق اليهودية كطلائع جيش الاحتلال اليهودي في فلسطين .

ولعل من الضروري التوقف لاستخلاص بعض النتائج المترتبة على هذه المرحلة الأولى مرحلة ولادة الارهاب الصهيوني . ومن الواضح أن هذه الروايات المتعددة والمتفقة فيما بينها حول نشأة الإرهاب الصهيوني تثبت النتائج الأولية التالية :

١) تعود نشأة الحركات الإرهابية الصهيونية إلى ولادة الحركة الصهيونية في أواخر القرن التاسع عشر في أوربا . وقد بدأت هذه الحركات الإرهابية تعمل بكل تأكيد في مطلع هذا القرن في أوربا الشرقية لتجعل مجيء اليهود إلى فلسطين ، أو على حد تعبيرهم « عودتهم لأرضهم »، غزوة عسكرية استيطانية . كما تعود قواعد الإرهاب وإطارات تشكيلاته إلى ما قبل وعد بلفور وإلى ما قبل الانتداب البريطاني على فلسطين بعقدين على الأقل .

٢) كانت المستعمرات اليهودية منذ تأسيسها تلاعباً عسكرية . وهي ، وإن كانت دفاعية في مرحلتها الأولى ، مجهزة لتصبح قلاعاً للهجوم والتوسع .

٣) الدمج الكامل في الاستيطان الصهيوني بين المؤسسة العسكرية والمؤسسة المدنية ، تغذي الواحدة الأخرى باستمرار ، وكلما اقتضت الحاجة بذلك . بل إن المؤسسة العسكرية هي القاعدة الكبرى التي تغذت وما زالت تتغذى منها المؤسسة المدنية ، بدليل العدد الكبير من القادة العسكريين الإسرائيليين الذين انتقلوا ، فيما بعد ، إلى القيادة السياسية وإدارة الدولة . والانتقال من الواحدة للأخرى في زمن الحرب سهل وشبه آلي . ويترتب على ذلك أن المجتمع الإسرائيلي هو في أصله وتكوينه واتجاهه مجتمع عسكري عدواني .

٤) إن جمع الأسلحة وإخفاءها والتدرب عليها يعود لأواخر الحرب العالمية الأولى .

٥) إن المؤسسة الجاسوسية الصهيونية ، وهي كلها جزء لا يتجزأ من الارهاب الصهيوني وقسم منه ، رافقت المؤسسة العسكرية الصهيونية منذ الحرب العالمية الأولى مرافقة الظل للأصل .

٦) كان للفرقة اليهودية التي حاربت في صفوف الحلفاء في الحرب العالمية الأولى الأثر الأقوى في تكوين العسكرية الصهيونية التي قام عليها الإرهاب الصهيوني ، وفي ازدواجية الولاء عند كل صهيوني . فالجنود والمتطوعون الأميركيون والبريطانيون اليهود منذ ذلك الحين أحسوا بواجب الخدمة العسكرية في صفوف المستعمرين اليهود في فلسطين وإنشاء المستعمرات اليهودية بالقوة .

٧) تظهر العرقية ويبدو الاستعلاء العنصري منذ بداية الحركة الصهيونية . فالأحاديث عن الإرهاب الصهيوني في جميع المصادر التي اعتمدناها تشير كلها إلى العرب « كسدو » وا رجال عصابات » وه لصوص » و« قتلة » . وهذا يضع اليهود الصهيونيين ، منذ بدء المجابهة ، على مستوى أعلى من العرب في نظر أنفسهم ، ولا يتركون ثمة مجالاً لشك القارىء في أنهم من طينة أعلى .

٨) هذا كله لم يمنع الذين أرّخوا للإرهاب الصهيوني ـ الذي كان قاعدة للعسكرية الإسرائيلية فيما بعد ـ من الاعتراف بقوة المقاومة العربية للغزوة الصهيونية منذ العشرينات ، وأنها كانت عاملاً فعالاً في سعي المنظمات الإرهابية لتقوية نفسها وزيادة تسلحها .

لقد تجرّد الصهيونيون اليهود ، والإسرائيليون فيما بعد ، من كل الضوابط الأخلاقية العادية التي يأخذ بها جميع الناس ، وحللوا لأنفسهم ارتكاب أية جرائم وحشية بربرية ، ومنها جرائم الاغتيال ، وكل ذلك من أجل (الدولة) . لقد ضم كتاب « تاريخ الهاغاناه » لبن زيون دينور لوائح بأسماء الزعماء العرب الذين قررت قيادة الهاغاناه اغتيالهم منذ عام ١٩٤٥ في حال عدم قيام (إسرائيل) . ومن أعضاء هذه القيادة من أصبحوا وزراء في دولة (إسرائيل) فيما بعد .

أكملت الهاغاناه رسالتها وبلغت ذروة مهمتها في ١٩٤٨/٥/٣١ عندما أصدر رئيس الوزارة بن غوريون الأمر التالي : " مع إقامة دولة إسرائيل خرجت الهاغاناه من مخبئها وتحولت إلى جيش نظامي " . وقد احتفظ هذا الجيش في جوهره بالعقيدة الإرهابية التي ولدت في عقول مؤسسي الصهيونية . وهذا ما يفسر المجازر التي ارتكبها ، سواء في غاراته الغادرة على البلاد العربية المجاورة أو في حروبه التوسعية . فالتوسع والاحتلال من سمات الإرهاب الصهيوني الأساسية .

د ـ البالماخ * : هي القوة الضاربة للهاغاناه . وقد انتخب أفرادها من أقوى عناصر الهاغاناه وشباب المستعمرات . وكان تشكيلها نتيجة للتذمر بين الشباب وفي الكيبوتزات من أن الهاغاناه ، ويهود فلسطين إجمالاً ، يتعاونون مع السلطة المنتدبة ، أو لا يأخذون موقفاً هجومياً من العرب ، في حين يريد هؤلاء الشباب العكس .

وأفضل مصدر عن البالماخ هو كتاب « سفر البالماخ » الذي نشر بالعبرية في مجلدين في تل أبيب سنة ١٩٥٣ . وفيه أن الإرهابي إسحق سادة هو الذي أدّت جهوده إلى تشكيل البالماخ ، ثم تولى قيادتها . وقد غدت البالماخ الوحدة العسكرية المحترفة الأولى ، لها ايديولوجيتها السياسية إلى جانب نظامها الدقيق وهدفها العسكري الشامل ، وهو الإشراف على الوضع العسكري في فلسطين

بكاملها. وكانت تمثل في الحركة الصهيونية الاتجاه التوسعي العسكري الذي يجب تحقيقه على أكبر مستوى ممكن دون الاكتفاء بمجرد الدفاع عن المستعمرات. وقد تطورت البالماخ وتشعّبت بين عامي ١٩٤١ و١٩٤٨ حتى أصبحت لها تنظيماتها العسكرية في كامل أنحاء فلسطين.

وفي حرب ١٩٤٨ " كانت فرق البالماخ تقاتل في الجبهة الجنوبية، وهي التي احتلت النقب ". ومن الأدوار الرئيسة التي قامت بها إحراج الأكثرية العربية من فلسطين عن طريق المجازر التي ارتكبها الإرهابيون الصهيونيون ضد العرب، كمذبحة دير ياسين " التي شاركت البالماخ في التخطيط لها وتنفيذها مع الإرغون " وعصابة شتيرن ".

يتخلل مجلدي سفر البالماخ إشارات متعددة إلى العرب بوصفهم « العدو ». ومما تجدر ملاحظته فيهما أيضاً وجود عشرات الخرائط عن جولات للبالماخ " أثناء قيام أفرادها بالواجب " في مختلف أنحاء فلسطين والمناطق المعدة للاحتلال. وقد تضمنت الصفحة ٩٨ من المجلد الأول خطة وضعتها البالماخ عام ١٩٤١ من أجل احتلال دمشق عسكرياً بالاشتراك مع قوات الحلفاء.

ومن إرهابيّي البالماخ الذين اشتهروا وأصبحوا رؤساء أركان الجيش الإسرائيلي موشي دايان (١٩٥٣ - ١٩٥٧)، وإسحق رابين (١٩٦٣ - ١٩٦٧)، وحاييم بارليف (١٩٦٨ - ١٩٧١). وقد عرف الجيش الإسرائيلي ٤٥ لواء كانوا من إرهابيي البالماخ السابقين، ومنهم من أصبحوا وزراء.

هـ - الإرغون تسفاي لئومي" ، أو المنظمة العسكرية القومية: لا يزال المصدر الأساسي لدراسة هذه المنظمة الإرهابية المتطرفة كتاب زعيمها مناحيم بيغن، وعنوانه « الثورة: قصة الإرغون ». ويعتبر جابوتنسكي الأب الفكري لهذه المنظمة الإرهابية، وقد وضع كتاباً عنوانه « الفرقة اليهودية » صوّر اليهود فيه غزاة أوربيين لا تربطهم بالعرب أي صلة، وعليهم أن يحتلوا فلسطين بالقوة لتوسيع رقعة أوربا إلى الفرات. وقد ساهمت الفرقة اليهودية التي أسسها جابوتنسكي أثناء الحرب العالمية الأولى في غزو فلسطين، لأنها كانت تحت إمرة الجيش البريطاني الذي دخلها. ومن روحها وصفوفها نشأت العسكرية الصهيونية التي كانت ولادتها في شكل الإرهاب، فقامت الهاغاناه أولاً، والإرغون ثانياً، لأنها وجدت أن الهاغاناه معتدلة، وكان عليها أن تلتزم منذ البداية بخطة للهجوم، لا بخطة للدفاع فحسب، دون التراجع قيد أنملة عن أهداف الصهيونية الكبرى.

يقول بيغن في مقدمة كتابه الثورة: " كتبت هذا الكتاب أيضاً لغير اليهود، خشية ألا يكون قد ثبت لديهم، أو خوفاً من أن يكونوا قد نسوا، أنه من الدماء والنار والدموع والرماد قد خلق صف جديد من البشر لم يعرفه العالم لأكثر من ألف وثمانمائة سنة، وهو اليهودي المحارب ".

والكتاب يبيض بالحقد في كل صفحة من صفحاته. ولا يحاول بيغن إخفاء ذلك بأي شكل بل يعلنه في المقدمة ويعترف أنه يـ-ين الدوافع الأولى التي استوحى منها فلسفته ومنطقه. يقول: " قال ديكارت، أنا أفكر فأنا اذن موجود. وأقول أنا أحارب فأنا اذن موجود ".

لقد ارتكز الارهاب الصهيوني إلى مقدمة تستنتج منها مواقفه وخلاصتها: ما من وجود « شرعي » للعرب. وما هو « شرعي » للأكثرية العربية هو مجرد « لا شرعية » بريطانية. لذلك يقول بيغن إن الإرغون أخذت على عاتقها، بالاشتراك مع حزب جابوتنسكي الصهيوني التصحيحي، ومع منظمة بيتار في أوربا الشرقية، أن تأتي بآلاف المهجرين اليهود « غير الشرعيين » إلى البلاد، رغم معارضة بريطانيا والعرب للهجرة اليهودية غير الشرعية. لقد كان بن غوريون ذاته ويإقراراه مهاجراً غير شرعي.

« الثورة » التي اختارها بيغن عنواناً لكتابه واسْماً لحركته هي التي تحوّل اللاشرعية شرعية. ولكنها ليست أكثر من ستارة للإرهاب الدموي والبطش اللذين تميزت بهما حركته. وليس ضرورياً أن يكون الإرهاب إرهاباً صهيونياً ضد العرب وحدهم، فقد كان في بعض الأحيان إرهاباً يهودياً صهيونياً ضد اليهود. ولقد تحدث بيغن في كتابه عن حرب عصاباته ضد الوقوف في وجه الهجرة اليهودية إلى فلسطين: " إن الباخرة باتريا" التي وصلت حيفا تقل مهاجرين يهودا لم تبحر قط. فالإرهابيون اليهود - وقد استعمل هذه اللفظة بالذات - وضعوا قنبلة في الباخرة ليحولوا دون إقلاعها. وقد انفجرت القنبلة فقتل وغرق أكثر من مائتي يهودي ". نقتل اليهود على يد اليهود كان إذن في نظر بيغن خيراً من الحيلولة دون وصولهم إلى فلسطين، لأن السلطات البريطانية كانت قد منعت الباخرة باتريا من إفراغ حمولتها من المهاجرين.

أما عن إرهاب الإرغون ضد العرب فيقول بيغن: " لقد نجحنا في المراحل الأولى من الثورة أن نحقق هدفاً استراتيجياً هاما؛ لقد نجحنا في تعطيل العامل العربي الموضعي. فعندما وقعت الهجومات العربية ضد اليهود أعوام ١٩٢٠ و١٩٢١ و١٩٢٩ و١٩٣٣ و١٩٣٦ - ١٩٣٩ كان البريطانيون يبررون وجودهم في فلسطين بالدفاع عن اليهود، ولكن بعد أن نجحنا في تعطيل القوة البريطانية دون أن نتعرض للعرب أخذ البريطانيون يبررون وجودهم في فلسطين بحماية العرب. وقد قلنا للعرب إنه ليس لدينا أية رغبة في محاربتهم أو إلحاق الأذى بهم، وإننا حريصون كل الحرص أن

نراهم مواطنين مسالمين في الدولة اليهودية المقبلة . واستشهدنا بالحقيقة التي لا تنكر ، وهي أننا في العمليات التي قمنا بها في المناطق العربية لم نقم بأي عمل ضد سلام العرب أو أمنهم " . ثم لا يلبث بيغن أن يكذب نفسه بنفسه فمنذ عام ١٩٣٧ مارس الإرهابيون الصهيونيون قتل العرب واغتيالهم مستعملين أبشع أنواع الإرهاب والتحدّي . وعندما انتضت الاستراتيجية الإرهابية مهاجمة العرب فعلوا ذلك ، ويكفي أن نذكر مجزرة دير ياسين التي وقعت في ١٩٤٨/٤/١٠ والتي ارتبط اسمها باسم بيغن لنرى كذب قوله .

وخصص بيغن الفصل التاسع والعشرين من كتابه لـ " غزوة يافا " ، وهذا الفصل برمّته يجب أن يصبح جزءاً لا ينجزأ من وثائق الأمم المتحدة ومحاضرها لأنه يظهر بشكل قاطع تصميم الصهيونيين على « تطهير » فلسطين من جميع السكان العرب ، بما في ذلك المناطق العربية التي أعطيت للعرب بموجب التقسيم . ويكشف بيغن عن تعاون جميع المنظمات الإرهابية فيما بينها لتحقيق هذا الهدف ، رغم أن الوكالة اليهودية * الناطقة باسم يهود فلسطين حينذاك كانت تعلن عكس ذلك . لقد تم التصويت على التقسيم في ١٩٤٧/١١/٢٩ ولم تدخل الجيوش العربية فلسطين إلاّ في ١٩٤٨/٥/١٥ ، وكانت الأشهُر الواقعة بين هذين التاريخين حاسمة ، وهي الأشهر التي انْصبّ الجهد العسكري السياسي الصهيوني خلالها على هدف مزدوج : تعطيل التقسيم عمليا من جهة ، والدعاية من جهة أخرى بأن اليهود قبلوا التقسيم وأن العرب رفضوه .

يقول بيغن : "في اجتماع لقادة الإرغون اشترك فيه قسم التخطيط آخر كانون الثاني ١٩٤٨ : حددنا أربعة أهداف استراتيجية : (١) القدس (٢) يافا (٣) سهل اللد ـ الرملة (٤) المثلث " ، والمقصود بالمثلث ، مجموعة الأراضي التي تضم المدن العربية الثلاث نابلس * ، وطولكرم * ، وجنين * . ومعظم هذه الأهداف لم تكن داخلة في حدود الدولة اليهودية التي رسمها مشروع التقسيم . ثم يتابع بيغن فيقول : "حين قررنا إستراتيجية الغزو لم تكن لدينا الأسلحة الكافية ، وكان لا بد من الحصول على الأسلحة ، ولا سيما أن الهجمات الأولى على يافا أثبتت صعوبة احتلال هذه المدينة المقاومة " . وهكذا أخذ إرهابيو الإرغون ينصبون الكمائن ، ويقومون بعمليات الغزو والسطو للحصول على الأسلحة .

و ـ عصابة شتيرن أو ليحي * : زمرة انشقت عام ١٩٤٠ عن الإرغون أسسها إبراهام شتيرن الذي قتل عام ١٩٤٢ . وقد يكون أفضل مدخل لتعريف عصابة شتيرن عناوين كتب ثلاثة ، كتب اثنين منها فردان من عصابة شتيرن . والكتب هي ، ١) مذكرات قاتل ، اعترافات مجرم من عصابة شتيرن ، لافنر ، وهو اسم مستعار ، ٢) امرأة من أتباع العنف : مذكرات فتاة إرهابية ١٩٤٣ ـ ١٩٤٨ لغيئولا كوهين ، وهي عضو في الكنيست * ، ٣) الفعل العظيم للصحفي الأميركي جيرالد فرانك ، وهو يتحدث عن اغتيال اللورد موين الوزير البريطاني في القاهرة من قبل شابّيْن يهوديّيْن شُنقا بعد ذلك . وتأتي عمليات شتيرن في السطو على المصارف ، وقتل الأفراد ، ونسف المنازل ، وقتل الحراس ، وغير ذلك ، نماذج وأدلة على ممارسة العنف والإرهاب بمختلف أنواعها .

وبالرغم من إنكار بن غوريون وشاريت المتكرر في عامي ١٩٤٥ و١٩٤٦ لأي صلة لهما وللهاغاناه بجرائم عصابة شتيرن وإرهاب الإرغون ، فقد كتبت المصادر الأساسية عن عصابة شتيرن العكس . فقد أكّدت الإرهابية غيئولا كوهين أن التعاون كان وثيقاً ومنسّقا ، حتى أن الهاغاناه والبالماخ والإرغون وشتيرن كانوا يستطيعون أن يضربوا معا ، وفي آن واحد . وهكذا ولدت قوة صهيونية محاربة واحدة عرفت باسم « الجبهة المقاتلة » . ففي ليلة ١٩٤٦/١٠/٢١ استطاعت هذه المنظمات كلها أن تشترك ، على قدم المساواة ، في سلسلة هجمات إرهابية من عكا شمالاً إلى غزة * جنوبا ، ومن الشاطىء غرباً إلى هضاب القدس شرقا . وقد عاد بن غوريون الذي كان قد شجب جرائم عصابة شتيرن فعبّر ، بعد بضعة أشهر من قيام (دولة إسرائيل)، عن احترامه " للذين نذروا نفوسهم كالرجلين اللذين شنقا في القاهرة لأنهما قتلا اللورد موين . وأما أبراهام شتيرن فهو أحد أرفع الرجال الذين عرفهم عصرنا " .

وقد وصفت الحكومة البريطانية عصابة شتيرن في وثيقة رسمية عنوانها « بيان حول العنف » أصدرتها في ١٩٤٦/٧/٢٤ برقم ٦٨٧٣ ، وصفتها بأنها انشقت عن الإرغون عندما قررت الإرغون إيقاف عملياتها عام ١٩٣٩ . ويقدر رجال شتيرن بين ٢٠٠ و٣٠٠ فرد متعصبين خطرين لا يتورعون عن أية جريمة . وقد تعاونوا لمدة مع جماعة الإرغون لأن كلتا العصابتين تؤمن بالتطرف الذي لا حدود له . وأكد هذا البيان البريطاني الرسمي :

" ١) أن الهاغاناه وقوتها الضاربة البالماخ ـ وكلتاهما تحت القيادة السياسية لأعضاء بارزين في الوكالة اليهودية ـ تقومان دائماً بأعمال تخريب وعنف خطط لها بعناية فائقة ، تحت ستار " حركة المقاومة اليهودية " .

" ٢) أن منظمة الإرغون تسفاي لئومي وعصابة شتيرن قد عملتا منذ الخريف الماضي (١٩٤٥) بالتعاون التام مع قيادة الهاغاناه في تنفيذ بعض العمليات المشتركة .

" ٣) أن محطة الإذاعة المسماة « صوت إسرائيل » التي تدّعي أنها « صوت حركة المقاومة » ، وتعمل بتوجيه كامل من الوكالة اليهودية ، كانت تدعم هذه المنظمات " .

وقد تحدثت مصادر حكومية ودولية أخرى ، غير البيان الرسمي البريطاني السابق ، عن الإرهاب الصهيوني ، ومنها كتاب العلاقات الخارجية للحكومة الأميركية (من المنشورات الرسمية لوزارة الخارجية الأميركية) الذي يتضمن الوثائق السرية الرسمية الأميركية . ففي المجلدين الرابع والثامن ما يثبت أن الحكومة الأميركية كانت على علم ، منذ عام ١٩٤٣ ، بأن الوكالة اليهودية والمنظمة الإرهابية الهاغاناه التابعة لها والمنظمات الإرهابية الأخرى كانت لها خطط موضوعة لطرد الأكثرية العربية من فلسطين ، والسيطرة سيطرة كاملة عليها وعلى مقدرات الشرق الأوسط الاقتصادية إنْ كُتب لها تنفيذ هذا الأمر الأخير .

وهنالك قراران صوّت عليهما مجلس الأمن الدولي في ١٨ و١٩٤٨/٩/١٩ فور اغتيال برنادوت الوسيط الدولي ومساعده الضابط الفرنسي من قبل « الإرهابيين » ، وتحت أنظار حكومة (إسرائيل) . وجاء في القرار الأول رقم ٥٧ "أن مجلس الأمن أصيب بصدمة عنيفة للموت المفجع الذي أصاب وسيط الأمم المتحدة الكونت فولك برنادوت نتيجة لفعل أثيم ارتكبته زمرة مجرمة من الإرهابيين في القدس حين كان ممثل الأمم المتحدة يقوم بواجبه من أجل تحقيق السلام في الأرض المقدسة " . ونصّ القرار الثاني رقم ٥٩ على ما يلي :

" ١) يسجل مجلس الأمن باهتمام أن حكومة إسرائيل المؤقتة لم تقدم حتى اليوم تقريراً لمجلس الأمن أو للوسيط بالوكالة حول تطور التحقيق في اغتيال الوسيط الدولي .

" ٢) يطلب من تلك الحكومة أن تقدم لمجلس الأمن في وقت مبكر تقريراً عن التطور الذي تم في التحقيق ، وأن تبيّن فيه الإجراءات التي اتخذت إزاء إهمال الموظفين ، أو أية عوامل أخرى ، أثرت في ارتكاب الجريمة " .

لكن الثابت الآن أن حكومة (إسرائيل) قد تنصّلت في التقرير الذي قدمه مندوبها لدى الأمم المتحدة من الجريمة وحاولت طمس معالمها . وأن الإرهابي الصهيوني الذي أشرف على تنفيذ قتل برنادوت ، واسمه فريدمان يالين ، اعتقل بعد محاكمة صورية ، ثم صدر عفو عام عن المعتقلين فأفرج عنه وانتخب نيابياً بعد عضواً في الكنيست الاسرائيلية . وقد جاء في التقرير الذي رفعه إلى مجلس الأمن الوسيط بالوكالة الدكتور رالف بانش عن حادث الاغتيال : "أن هذه الاغتيالات تشكّل تحدياً كبيراً من قبل عصابة مستهترة من الإرهابيين اليهود " .

ومن يود تقصّي حقيقة الإرهاب الإسرائيلي الرسمي ، ومعرفة جرائم إرهاب (دولة إسرائيل) والعصابات التي شكلتها الحاسوسية الإسرائيلية بعد عام ١٩٤٨ ، فموعه الرجوع إلى كتاب الكاتب الإسرائيلي يار زوهار « المنتقمون » ، ففيه عرض لما قامت به بعض العصابات الإرهابية الصهيونية في ألمانيا الغربية بعد نهاية الحرب العالمية الثانية ، كتسميم الخبز والماء في بعض المدن الألمانية ، و" اصطياد العلماء الألمان " وملاحقتهم وقتل أعداد كبيرة منهم ، واغتيال شهداء المقاومة الفلسطينية الثلاثة محمد يوسف النجار* وكمال ناصر* وكمال عدوان* في بيروت ليلة ١٩٧٣/٤/١٠ وغيرهم من زعماء المقاومة وممثليها في العواصم المختلفة . وذلك كله نموذج حي لما يمكن (لإسرائيل) أن تقوم به ، لا بل هي تدافع عنه .

وأخيراً ثمة بضع نتائج يمكن استخلاصها من هذا البحث :

١) إن النفسية الإرهابية الإجرامية لا يمكن أن تتغير بتغيير الأسماء . فتغيير أسماء الهاغاناه والبالماخ والإرغون وعصابة شتيرن إلى جيش الدفاع الإسرائيلي* ، وتغيير أسماء قادة (إسرائيل) ورجالها من ديفيد غرين إلى بن غوريون ، وشرتوك إلى شاريت ، وأودري إيفان إلى أبا ايبان لا يعنيان مطلقاً أن تركيبهم النفسي والخلقي ، وتصوّرهم للعلاقات الإنسانية ، وموقفهم من العرب قد تغيرت . فأكثر رجال هذه العصابات الإرهابية وقادتها هم اليوم من قادة (إسرائيل) ورجالها . ويكفي أن نتذكر ما ارتكبته (إسرائيل) وترتكبه ضد العرب من سكان الأراضي المحتلة . فلقد أحصت سجلات الأمم المتحدة خمس عشرة مخالفة لاتفاقيات جنيف على الأقل دينت (إسرائيل) من أجلها . وكان أوضحها وأقواها إدانتها « بجرائم الحرب » بدليل ما جاء في الفقرة ٧ من القرار رقم ٣ الذي صوّتت عليه لجنة حقوق الإنسان في ١٩٧٢/٣/٢٢ . فقد نصت على أن : "لجنة حقوق الإنسان تعتبر أن مخالفات اتفاقية جنيف الرابعة الخطيرة التي اقترفتها إسرائيل في المناطق المحتلة تشكل جرائم حرب وإهانة للإنسانية " . وقد تكررت هذه الإدانة من قبل اللجنة ذاتها في جميع قراراتها التي صدرت حتى الآن . ووفقاً للتشريع الدولي في جرائم الحرب لا تسقط جريمة الحرب عن المجرم بتقادم الزمن ، بل تجب محاكمته مهما انقضى من زمن على جريمته .

٢) يتضح من المصادر الكثيرة المنشورة أن الصهيونيين والإسرائيليين الذين قادوا عمليات الإرهاب ، ثم كتبوا عنها ، وصفوا جرائمهم بدقة وتفصيل ، وسمّوا أنفسهم القتلة والإرهابيين في عناوين كتبهم أحياناً ، لا في بطونها فحسب .

٣) تشكل هذه المصادر الأولى في الإرهاب الصهيوني الإسرائيلي مجموعة فريدة لا مثيل لها في أي تراث تاريخي أو سياسي . ذلك أن القارىء يجد كتباً في عدة لغات كتبها « الكوماندوس » عن أفعالهم أثناء الحرب . وأما أن يجد تراثاً بكامله يبحث في الإرهاب ، ويؤكّده ، ويفلسفه ، ويبرر وجوده ، ويعطي تفاصيل أبشع

الجرائم ، فهذه ظاهرة جديرة بالتأمل لسبر أغوارها ومعانيها . وقد جاءت كتب هذا التراث الإرهابي من الغرب، ومن أكبر دور النشر في أمريكا وبريطانيا . فهلاّ نكر الغرب بهذا القسم من نتاجه ؟ لا يمكن أن يردّ على ذلك بالقول إن الغرب الحضاري يضجّ بالتناقضات التي يعطل بعضها بعضا . فالموضوع هنا جوهري أكثر مما هو شكلي ، لأن الغرب سيوسم - كما هو موسوم الآن - بخطيئة الازدواجية والتناقض في القيم ، إذ يعدّ مجرم الحرب الألماني مجرماً ويعدّ مجرم الحرب الإسرائيلي أو الصهيوني مؤسس دولة ورجل دولة . وأما أن تطبع كبريات دور النشر في انكلترا وأمريكا كتباً لإرهابيين صهيونيين يذكرون فيها كيف قتلوا ضباطاً وجنوداً وأفراداً ومدنيين بريطانيين ، ناهيك عن العرب ، بل عن اليهود أحياناً ، فهذا بدوره ، كاف وحده ليكشف عن أن مقاومة الانتداب البريطاني للإرهاب الصهيوني لم تكن أكثر من مسرحية أو مسألة شكلية ، إذ إن نتيجة هذا الإرهاب كانت الاغتيال الجغرافي - السياسي لفلسطين وشعبها العربي بكامله .

٤) إن العرب في مجابهتهم (إسرائيل) يجابهون مجتمعاً عسكرياً إرهابياً «سبارتياء. لقد كتب بالعربية الكثير والقيّم عن أن مجابهة العرب مجتمعا علميا تكنولوجيا يجب أن يقابل بأساليبه ذاتها . وكل هذا صحيح ، ولكن المرحلة التي سبقت مرحلة العلم والتكنولوجيا كانت مرحلة تكوين عقيي ونأهب إرهابي عسكريين صهيونيين .

أي حكم يمكن إطلاقه على هذا السجل الإرهابي الصهيوني - الإسرائيلي الذي أدّى إلى مأساة فلسطين ؟ إن الأحكام التي أطلقت حتى الآن ليست قليلة ، وأفضلها هنا ما ليس عربيا ، بل ما يدين (إسرائيل) من (إسرائيل) . قال موشي دايان في رثاء صديق له اسمه روي روتنبرغ قتل في صدام مع العرب قبل بضعة أشهر من حرب ١٩٥٦ * : "لنتوقف اليوم عن قذف الذين قتلوا بالاتهامات . من نحن لنناقش حقدهم ؟ ها قد انقضت ثمانية أعوام الآن وهم يجلسون في مخيماتهم في غزة ولحت أعينهم وأبصارهم تحوّل إلى ممتلكاتنا الأراضي والقرى التي عاش فيها آباؤهم وأجدادهم . . نحن جيل من المستوطنين ، ودون الخوذة الفولاذية والمدفع لا نستطيع أن نزرع شجرة أو أن نبني بيتا " .

وكتب الفيلسوف الإسرائيلي مارتن بوبر في كتابه « إسرائيل والعالم » : " إن أكثر التعاليم فسادا بين جميع التعاليم المتهافتة هي التي تذهب إلى أن طريق التاريخ تقرره القوة وحدها دون غيرها . وقد تغلغلت هذه النظرية في تفكير الشعوب وتفكير حكوماتها ، ولم يبق من الإيمان بالروح إلاّ مجرد أقوال معادة " . ثم ينتقل إلى نقد الفظائع الإرهابية ضد العرب ، ويعلق على مذبحة دير ياسين بالذات فيقول : "هنا كانت الجريمة جريمتنا ، أو جريمتي أنا بالذات ، جريمة اليهود ضد الروح . إنني حتى اليوم لا أفكر بما وقع دون أن أشعر في نفسي بأنني مذنب " .

المراجع :

— Allon, Y.: **The Making of Israel's Army**, New york 1971.
— Avner: **Memoirs of an Assassin, Confessions of a Stern Gang Killer**, New York 1959.
— Bar-Zahar, M.: **The Avengers, The Drama of the Daring Jews who are Avenging the Six Million Dead**, New York 1967.
— Begn, M.: **The Revolt, Story of the Irgun**, New York 1951.
— Cohen, G.: **Woman of Violence, 1943-1948, Memoirs of a Young Terrorist**, Cleveland and New York 1966.
— Departement of State. **Foreign Relations of the United States**, 1943 Vol. IV and Vol. VIII, 1943-45 the Near East and Africa, Washington 1964.
— Jabostinky, V.: **The Story of the Jewish Legion**, New York 1945.
— Katz, S.: **Days of Fire, The Secret History of the Irgun Zvai Leumi and the Making of Israel**, New York 1968.
— Mardor, M.: **Strictly Illegal**, New York 1964.
— Perlmutter, A.: **Military and Politics in Israel, Nation Building and Role Expansion**, London 1969.
— Robnet, G.W.: **Conquest Through Immigration, How Zionism Turned Palestine into a Jewish State**, Pasadina, California 1968.
— Sharef, Z.: **Three days**, New york 1962.
— Statement Relating to acts of Violence, July 24, 1945. **British Command Paper 6873.**
— Stone, I.F.: **Underground to Palestine**, New york 1946.
— **United Nation Progress Report of the United Nations Mediator on Palestine** Submitted to the Secretary-General Transmission to the Members of the United Nations, General Assembly, Official Records, Third Session Supplement No. 21 (A/ 684) (Part 1 and 2). Paris 1948.

الأرواح (قبة ـ) :

ر : القدس (المباني الأثرية والتاريخية في ـ)

أريتريا :

تقع أريتريا على الساحل الغربي للبحر الأحمر ، وهي جزء من الوطن العربي يقطنه ثلاثة ملايين عربي . وقعت تحت الاحتلال الإيطالي ، ثم ضمتها الحبشة إليها . وتعتبر أريتريا المنفذ الرئيس للحبشة إلى البحر الأحمر . لذلك فإن (إسرائيل) تنظر إلى الصراع الأريتري - الحبشي من زاوية مصالحها الاستراتيجية في هذا البحر أي من زاوية ضمان عدم جعل البحر الأحمر بحراً عربياً بل يترك

المجال للحبشة للسيطرة عليه ولو جزئياً . ومن هنا تقف (إسرائيل) ضد الثورة الأريترية التي اندلعت عام ١٩٥٨ .

أما الشعب الفلسطيني فقد تعاطف مع ثورة الشعب الأريتري . وشهدت العلاقات الفلسطينية ـ الأريترية تطوراً إيجابياً ، فقد قدمت الثورة الفلسطينية مساعدات عسكرية لثوار أريتريا ، كما قامت بتدريب الكثير منهم على استعمال السلاح . وهناك تنسيق إعلامي وسياسي بين الثورتين . ويعد الثوار الأريتريون أنفسهم في خندق واحد مع الثوار الفلسطينيين ، فحين هاجم ثوار أريتريا مدينة أسمرة (عاصمة الإقليم) كان من أهم أعمالهم تدمير القنصلية الإسرائيلية فيها .

المراجـع :

ـ عبد الباري عبد الرزاق النجم : أريتريا شعباً وكفاحاً ، بغداد ١٩٧١ .
ـ محمد عبد المولى : ثورة أريتريا والصراع الدولي في البحر الأحمر ، ١٩٧٦
ـ خلف المنشدي : أريتريا من الاحتلال إلى الثورة ، ١٩٧٣ .

أريحـا (مدينـة ـ) :

مدينة عربية في قضاء القدس تقع على مسافة ٣٧ كم شرقي الشمال الشرقي لمدينة القدس * . كانت مركز ناحية في أواخر العهد العثماني ، ثم أصبحت مركز قضاء في عهد الانتداب البريطاني حتى عام ١٩٤٤ عندما عدلت التقسيمات الإدارية ، وألحقت أريحا بقضاء القدس (رَ : الإدارة) . وبعد عام ١٩٤٨ عادت أريحا مركزاً لقضاء يحمل اسمها داخل الضفة الغربية للأردن . وفي عام ١٩٦٧ تعرّضت للاحتلال الإسرائيلي .

أ ـ الوضع الطبيعي لأريحا :

١) الموقع الجغرافي : تقع مدينة أريحا في الطرف الغربي لغور الأردن * الغربي ، أو ما يعرف محلياً بغور أريحا . وهي أقرب إلى الحافة الجبلية لوادي الأردن الانهدامي منها إلى نهر الأردن * . بل جعلها موقعها قرب خط الانقطاع بين البيئة الجبلية في الغرب والبيئة الغورية في الشرق نقطة عبور هامة ، منذ القدم ، للقوافل التجارية والغزوات الحربية التي كانت تتجه غرباً نحو القدس ، وشرقاً نحو عمان . وكانت المعبر الغربي لنهر الأردن والبحر الميت * يمرّ منها الحجّاج المسيحيون القادمون من القدس في طريقهم إلى نهر الأردن والبحر الميت . من جهة أخرى كانت أريحا بوابة شرقية لفلسطين عبرتها كثير من الجماعات البشرية المهاجرة إلى فلسطين على مدى العصور .

ترتبط أريحا حالياً مع غور الأردن ومع الضفتين الشرقية والغربية بشبكة طرق معبدة . فهي محطة على طريق طولية تسير بمحاذاة الحافة الغربية لوادي الأردن من بحيرة طبرية * شمالاً حتى البحر الميت وتسير بعد ذلك إلى خليج العقبة * جنوباً بطرق بعيدة عن الغور . وتتصل أريحا بطريق القدس ـ عمان الرئيسة ، وبالطريق الطولية للغور الشرقي . وبذلك يمكنها الاتصال بالجفتلك شمالاً (٣٧ كم) ومن ثم بنابلس * شمالاً بغرب (٧٢ كم) . ويمكنها الاتصال بالبحر الميت أيضاً (١٤ كم) ، وبجسر الملك حسين على نهر الأردن (٨ كم) ، وبالمغطس (١٠ كم) ،وبالشونة الجنوبية (١٧ كم) .

لموقع أريحا أهمية اقتصادية كبيرة لأن المدينة تابعة في قلب واحة زراعية خصبة تزوّد المناطق المجاورة لها بالمنتجات الزراعية كالحمضيات * والموز * ، ويؤمها كثير من السياح لمشاهدة الآثار التاريخية والأديرة حولها . وينتهز بعضهم فرصة زيارتهم للبحر الميت

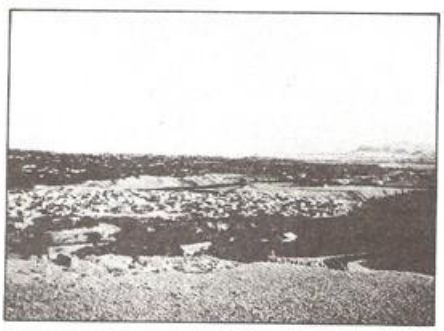

ونهر الأردن فيعرجون على أريحا لقضاء بعض الوقت مستمتعين بدفئها في الشتاء وبجمال المناظر الطبيعية حولها .

والموقع أريحا بُعد عسكري ، فهي بوابة طبيعية تشرف على الطرق المؤدية إلى الأغوار والمرتفعات الجبلية . وقد استفادت (إسرائيل) من المزايا العسكرية لهذا الموقع فحرصت على احتلالها في حرب ١٩٦٧ * قبل غيرها من مدن الضفة الغربية للأردن ، وذلك بالالتفاف حول الضفة الغربية لاحتلال عبور طوباس ـ أريحا ، وعزل الضفة الغربية عن الضفة الشرقية .

٢) طبيعة الأرض : تقوم أريحا اليوم على هضبة منبسطة هي أحد المدرجات البحيرية القديمة التي نشأت بعد انحسار وجفاف البحيرة الأردنية القديمة . وهي في موقعها هذا تشبه موقع مدينة بيسان * في الغور الشمالي . وتنخفض أريحا نحو ٢٧٦م عن سطح البحر ، وبالرغم من ذلك فإن مستوى أرض المدينة أكثر ارتفاعاً من

مستويات الأراضي الممتدة إلى الشرق منها نحو نهر الأردن والبحر الميت . ولهذا الارتفاع النسبي للمدينة مزايا كثيرة أهمها الإشراف على الأراضي الغورية الممتدة إلى الشرق ، وحماية المدينة من أخطار الفيضانات ، وتلطيف ارتفاع درجة الحرارة الناجم عن الانخفاض .

تتأثر مدينة أريحا بموقعها في غور الأردن ، فهي قائمة قرب حافة الغور حيث يتقاطع صدع عرضي مع صدع وادي الأردن الطولي ، الأمر الذي يجعل الأرض غير مستقرة تتعرض لحدوث الزلازل * والهزات الأرضية . وتوجد بالقرب من المدينة ينابيع مائية صدعية (إنكسارية) الأصل تساهم في تزويد المنطقة بمياه الشرب والري . وتتوافر أيضاً مياه الآبار التي أمكن الحصول عليها من الخزانات المائية الجوفية القريبة من سطح أرض المنخاريط (المراوح) الفيضية . وتتكون المادة الأصلية لترب منطقة أريحا من إرسابات مارن اللسان البحيرية القديمة . لكن معظم الترب حول أريحا تنتمي إلى التربة الطمّية المنقولة بمياه وسيول الأودية الهابطة من المرتفعات الجبلية إلى أرض غور أريحا لتغطي كثيراً من تربة مارن اللسان البيضاء . وإذا استثنيت التربة البيضاء غير الصالحة للزراعة فإن التربة الطمية تصلح لزراعة الحمضيات والموز وأنواع الخضر المختلفة حيثما تتوافر مياه الري (ر : التربة) .

٣) : المناخ والمياه : ينتمي مناخ أريحا ومنطقتها إلى المناخ المداري الصحراوي ، فمستوى الأرض ينخفض أكثر من ٢٥٠م دون سطح البحر ، ودرجة الإشعاع الشمسي ترتفع إلى حد كبير في معظم شهور السنة . وينتج عن ذلك ارتفاع متوسط درجة الحرارة السنوي إلى ٢٣,٥°، وارتفاع نيم البخر والنتح عن كميات الأمطار . ويبلغ متوسط كمية الأمطار السنوية الهاطلة على أريحا نحو ١٥٠مم ، وهي كمية لا تسمح وحدها بنمو المحاصيل الزراعية نمواً طبيعياً . وتواجه الموازنة المائية عجزاً ملموساً في منطقة أريحا ، مما يجعل الاعتماد على مياه الأمطار أمراً مستحيلاً ، ويحتم على السكان اللجوء إلى مصادر أخرى غير المطر لتوفير المياه . وأهم مصادر المياه في منطقة أريحا المياه الجوفية المستمدة من الينابيع المائية والآبار . وقد حفرت في ربع القرن الماضي مئات الآبار في المنطقة ،ويستغل معظمها في ري بساتين الحمضيات ومزارع الموز والخضر .

وقلّما يحدث الصقيع أو تسقط الثلوج في منطقة أريحا ، لذلك تعدّ أريحا من أكثر أماكن فلسطين المفضلة للنشتية ، إذ يؤمها كثير من سكان القدس لقضاء بعض أيام الشتاء فيها بالإضافة إلى السياح القادمين إليها من الخارج . ويؤثر الدفء في المحاصيل الزراعية ، ولا سيما الخضر الشتوية التي تنضج في فترة مبكرة ، وتعرض في الأسواق المحلية أو تصدّر إلى الخارج قبل موعد نزول محاصيل المناطق الجبلية . وتتحول هذه المزايا مساوىء في فصل الصيف الحار حيث ترفع الأنسمة البحرية القادمة من البحر المتوسط والهابطة من المرتفعات الجبلية نحو أريحا درجة الحرارة ونسبة الأتربة في الجو ، ولا سيما بعد الظهر ، كذلك تنخفض نسبة الرطوبة في الجو فيصل معدلها إلى أقل من ٤٠٪ خلال الصيف .

ب ـ النشأة والنمو : أريحا مدينة كنعانية قديمة يعدّها الخبراء الأثريون أقدم مدن فلسطين ، ويرجعون تاريخها إلى العصر الحجري ، أي إلى ما قبل سبعة آلاف عام (ر : العصور القديمة) ، وهذا ما حمل بعضهم على القول إنها أقدم مدينة في العالم قائمة حتى اليوم . شخص الخبراء موقع أطلالها في تل السلطان الذي يقع على بعد نحو كيلومترين شمالي المدينة الحالية بجوار نبع عين السلطان . ومعنى « يريحو » في الكنعانية القمر ، مما يدل على أن عبادة القمر كانت منتشرة هناك . وقد تعني الكلمة مكان الروائح العطرية . اتخذها الهكسوس قاعدة لهم بين سنة ١٧٥٠ و ١٦٠٠ ق.م. وقد ورد ذكرها في التوراة * باسم « أريحة » . وهي أول مدينة كنعانية هوجمت من قبل بني إسرائيل ، إذ تمكّن قائدهم يوشع بن نون وجنده في سنة ١١٨٦ ق.م. من الاستيلاء على أريحا وأحرقوا المدينة وأهلكوا من فيها . وفي عصر القضاة (١١٧٠ ـ ١٠٣٠ ق.م.) أخرج عجلون ملك المؤابيين اليهود من أريحا واتخذها عاصمة له . وقد جدد هيرودس الكبير أريحا ووسعها وزينها بمختلف المنشآت ، فامتدت المدينة فوق ما يعرف اليوم بتلال أبي العليق قرب عين السلطان . ومن منشآت أريحا في عهد هيرودس القصور والجنائن والميادين والقنوات والبرك . وفي جنوب أريحا أنشأ هيرودس القلاع الحصينة لحماية المدينة والدفاع عنها . وبالرغم من ذلك خربت أريحا فيما بعد ، ولم يبق منها سوى الأنقاض الأثرية التي تدل عليها .

ويرجع الفضل إلى الرومان في إعادة بناء أريحا على وادي القلط حيث هي اليوم . وفي عهد قسطنطين الكبير * (٣٠٦ ـ ٣٢٧م) انتشرت المسيحية * في أريحا وأقيمت في ضواحيها الأديرة والكنائس * . وفي عام ٣٢٥م كانت أريحا مركزاً لأسقفية . وفي عهد البيزنطيين ازدهرت أريحا وتقدمت حتى دخلت في حكم العرب الذين فتحوا فلسطين في القرن السابع الميلادي وأتبعوا أريحا للرملة * في جند فلسطين .

كانت أريحا في صدر الإسلام أهم مدينة زراعية في غور الأردن ، وقد أحيطت بمزارع النخيل والموز وقصب السكر والنيل والريحان والحنّة والبلسم . وسكنها قوم من قيس وجماعة من قريش . وصفها ياقوت الحموي فقال : " إنها ذات نخل وموز وسكر كثير له فضل على سائر سكر الغور ، وهي مدينة الجبّارين " .

وفي القرن الثامن عشر قلّ شأن أريحا ولم تكن سوى قرية صغيرة فقيرة وفقاً لما ذكره الرحالة الفرنسي فولني في رحلته إلى الشام ومصر . وقد اشتهرت تلك القرية بزراعة أشجار الزقوم وإنتاج زيته . وظلّت أريحا قرية متواضعة طوال القرن التاسع عشر إلى أن نزلها في مطلع القرن العشرين جماعة من سكان القدس للإقامة فيها أثناء فصل الشتاء . وأنشأ هؤلاء المهاجرون الجدد المباني السكنية ومزارع الموز حولها .

اكتشفت في أريحا آثار هامة منها أسوار أريحا القديمة التي خربت سنة ١٤٠٠ ق.م. أو ١٣٥٠ ق.م. ، واكتشف أيضاً في تلول العليق قصر هيرودس الكبير الذي يظهر واضحاً من جبل التجربة ، ووجد المنقبون آثار بيوت مترفة .

أخذت أريحا تزدهر تدريجياً في عهد الانتداب البريطاني . وكان يشرف على تطوير المدينة مجلس محلي باشر أعماله بفتح الشوارع الجديدة ، وإعطاء رخص المباني وتنظيمها ، والإشراف على توزيع

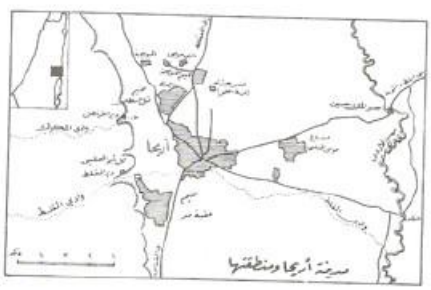

مدينة أريحا ومنطقتها

المياه على المزارعين . وتحولت أريحا من ناحية إلى مركز قضاء ، وأثّر هذا التحول في نمو المدينة وزيادة عمرانها .

زاد عدد سكان أريحا تدريجياً خلال النصف الأول من القرن العشرين . وارتفع عددهم من ٣٠٠ نسمة عام ١٩١٢ إلى ١,٠٣٩ نسمة عام ١٩٢٢ ، وإلى ١,٦٩٣ عام ١٩٣١ . ووصل عددهم إلى ٣,٠١٠ نسمات عام ١٩٤٥ . وقد واكب هذه الزيادة السكانية نمو عمراني ملحوظ ، إذ ارتفع عدد بيوت أريحا من ٣٤٧ بيتاً عام ١٩٣١ إلى أكثر من ٥٠٠ بيت عام ١٩٤٥ .

امتدت أريحا على رقعة من الأرض مساحتها ٣٨ دونماً حتى عام ١٩٤٥ . ومعظم بيوتها من الآجر الطيني وهي مسقوفة بالتراب الممزوج بالتبن والمرصوص فوق قضبان من القصب أو الخشب . وهذا النوع من المباني يخفف من حدة القيظ ويرطب جوّ البيت . وقد أخذ بعض الأهالي في أواخر عهد الانتداب يشيدون بيوتاً مبنية من الحجر والإسمنت محاطة بالحدائق المليئة بالأشجار لتنقية الهواء وتخفيف حدّة القيظ بما تلقيه من ظلالها على المساكن .

شهدت أريحا بعد عام ١٩٤٨ تحولاً كبيراً في حياتها ، إذ تدفق عليها آلاف اللاجئين للإقامة فيها أو بجوارها داخل مخيمات عين السلطان وعقبة جبر ، وقد بلغ عدد سكان مدينة أريحا وحدها عام ١٩٦١ نحو ١٠,١٦٦ نسمة . وزاد عدد سكانها في أواخر السبعينات على ١٥,٠٠٠ نسمة . وتوسعت المدينة في مساحتها نتيجة لزيادة حركة البناء التي صاحبت زيادة عدد السكان ، إذ وصل مجموع بيوتها وفقاً لتعداد عام ١٩٦١ إلى نحو ٢,١٠٦ بيوت . ولا ريب أن العدد قد تضاعف منذ ذلك الوقت حتى الآن ، وتضاعفت واردات ونفقات بلدية أريحا أيضاً ، ووصلت حصيلة الواردات في عام ١٩٦٥ إلى نحو ٥٨,٠٠٠ دينار ، والنفقات إلى ٦١,٨٠٠ دينار . ويمكن القول إن مدينة أريحا التحمت خلال نموّها العمراني بمخيم عين السلطان . وشيّدت بعض المباني السكنية وسط المزارع والبساتين المحيطة بالمدينة .

جـ ـ التركيب الوظيفي لأريحا : وظائف أريحا متعددة منذ القديم حتى اليوم . وتختلف الأهمية النسبية لكل وظيفة حسب الظروف التي كانت تمرّ بها المدينة عبر مراحل تطور نموها . ونأتي على رأس وظائف المدينة :

١) الوظيفة الزراعية : عرفت أريحا منذ القديم بغزارة مياهها وخصب تربتها ، إذ نشأت المدينة في قلب واحة جميلة تكثر فيها الأشجار . وقد حافظت أريحا تقريباً على شهرتها الزراعية منذ صدر الإسلام حتى اليوم . وتؤكد منتجاتها الزراعية مدى أهميتها بالنسبة إلى الأسواق المحلية والخارجية .

بلغت مساحة الأراضي التابعة لأريحا نحو ٣٧,٤٨١ دونماً ، منها ١,٠٦٠ دونماً للطرق والأودية . ويستخدم جزء هام من أراضي أريحا في الزراعة المروية الكثيفة التي تعتمد أساساً على مياه الينابيع والآبار . وأهم مزروعات منطقة أريحا الخضر بأنواعها المختلفة . وتنتج أريحا أصناف الحبوب المختلفة كالقمح* والشعير والذرة والسمسم . وتزرع فيها الأشجار المثمرة كالحمضيات والموز والزيتون والعنب والنخيل ، بالإضافة إلى بعض المحاصيل الصناعية كالتبغ . كذلك تزرع حولها أشجار الحراج للوقاية .

وقد توسعت المساحات المخصصة لزراعة الحمضيات في السنوات الأخيرة معتمدة على مياه الآبار ، فأصبح لبرتقال أريحا شهرة محلية وعالمية مثل الشهرة التي حصل عليها موزها .

يصدّر الفائض من الخضر والفواكه إلى أسواق الضفتين الشرقية والغربية ، بالإضافة إلى أسواق منطقة الخليج العربي والجزيرة العربية . ويمدّ مشروع موسى العلمي بالقرب من أريحا نموذجاً

ناجحاً للزراعة المروية وتربية المواشي . وقد نجحت بعض المزارع الخاصة في تربية الأبقار إلى جانب المحاصيل الزراعية .

٢) الوظيفة السياحية : يؤم أريحا عدد كبير من السياح سنوياً ، ولا سيما في فصل الشتاء ، لزيارة الأماكن الأثرية والدينية حول المدينة من جهة ، وللاستمتاع بدفء الشتاء في ظل المناظر الطبيعية الجميلة والأشجار الغنّاء من جهة أخرى . وأهم الأماكن التي يزورها السياح في منطقة أريحا البحر الميت ، والمغطس ، وقصر هشام بن عبد الملك ، وقصر حجلة ، ودير قرنطل ، ودير القديس يوحنا المعمدان ، وبيت جبر التحتاني ، وبيت جبر الفوقاني ، وعين السلطان . وقد أقيمت الاستراحات السياحية وسط الأشجار الباسقة لاستقبال السياح الداخلين الذين يقضون هناك نهاية الأسبوع ، وبنيت الفنادق لإيواء السياح الأجانب .

٣) الوظيفة التجارية : أريحا مركز تجاري يستقبل بالإضافة إلى السياح أعدادا من سكان القرى والمخيمات المجاورة ، ويرتاده البدو المقيمون في المنطقة . وتتركز السوق وسط المدينة حيث توجد المحلات التجارية والشركات والأسواق . وفي المدينة سوق مركزية للخضر والفواكه تجمع فيها هذه المحاصيل تمهيداً لتصديرها .

٤) الوظيفة الصناعية : عرفت أريحا الصناعة منذ القدم ، مثل صناعة السكر من القصب ، وتصنيع التمر من البلح ، والنيل من الوسمة ، والزيت من الزقوم ، والآجر من الطين ، والحصير من القصب . ويقوم حالياً في ضواحي المدينة مصنعان للنسيج ، أحدهما في مخيم عين السلطان والثاني في مخيم عقبة جبر . وتوجد في أريحا صناعات المياه الغازية والشراب ، وتحمير الموز ، وتشميع الحمضيات ، والكراسي ، والمفروشات ، والكبريت .

٥) الوظيفة التعليمية : كان في أريحا عام ١٩٤٢ / ١٩٤٣ مدرستان ابتدائيتان ، واحدة للبنين وثانية للبنات . وفي عام ١٩٦٦ / ١٩٦٧ بلغ عدد مدارس أريحا ٢٥ مدرسة تابعة لوزارة التربية والتعليم ولوكالة الغوث ولمؤسسات أهلية . وتشتمل هذه المدارس على مختلف مراحل التعليم العام الابتدائي والإعدادي والثانوي . وقد ظهر أثر النهضة التعليمية التي شهدتها أريحا في السنوات الأخيرة في المستويات الثقافية للأهالي ، وانتشر الوعي بينهم ، وتقدمت المدينة بفضل نشاط سكانها وتعلمهم .

٦) الوظيفة الإدارية : ارتفعت درجة أريحا من قرية إلى مركز ناحية عام ١٩٠٨م ، وضمّت آنذاك ست قبائل وعشرين قرية . وفي عهد الانتداب البريطاني أصبحت أريحا مركزاً لقضاء يحمل اسمها ، وبقيت كذلك حتى عام ١٩٤٤ عندما ألغت سلطة الانتداب قضاء أريحا وألحقته بقضاء القدس . كانت مساحة قضاء أريحا في عام ١٩٤٣ نحو ٣٤١ كم٢ وعدد سكانه نحو ٤,٦٠٠ نسمة . وكانت قرى العوجاء ودبوك والنبي موسى والنويعمة تتبع أريحا ، فضلاً عن القبائل البدوية المتجولة والمستقرة .

وبعد عام ١٩٤٨ عادت أريحا مركزاً لقضاء ضمّ في عام ١٩٦٥ نحو ٧٥,٠٠٠ نسمة معظمهم من اللاجئين . وقد ظلّت مركزاً لهذا القضاء بعد الاحتلال الإسرائيلي عام ١٩٦٧ .

المراجع :

— مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٨ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤ .
— ياقوت الحموي : معجم البلدان ، بيروت ١٩٥٧ .
— جورج بوست : قاموس الكتاب المقدس ، بيروت ١٩٧١ .
— خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة أريحا .
— Keller, W.: **The Bible as History**, London 1956.
— Garstang, J. and Garstang, J.F.E.: **The Story of Jericho**, London 1940.
— Kenyon, K.: Earliest Jericho, **Antiquity** Vol. 33, 1959.

أريحا (مدرسة) :

أسست هذه المدرسة في عهد النبي إلياس وخادمه اليشع ، ردحيت مدرسة الأنبياء ، وكانت تقوم بتعليم الديانة اليهودية . وتبين مدى علاقة الإله يهوه بحوادثها ، فكان مؤرخو هذه المدرسة يشيرون مثلاً إلى تهدم أسوار أريحا المفاجىء في الغزو الإسرائيلي ، وكذلك إلى خراب سدوم وعمورة * الواقعتين على الطرف الجنوبي الغربي للبحر الميت* ، ويعزون ذلك إلى قدرة الإله يهوه على معاقبة الأشرار . كما يرجعون عاداتهم وتقاليدهم إلى إرادة يهوه الربانية ، كتقديم الأضاحي البشرية ووضعها في جرار فخارية ، أو في أسس الأبنية ، كقصة إبراهيم * الذي همّ بتقديم ابنه إسحق * ضحية للإله يهوه ، وقصة ميشع ملك مآب الذي ضحّى بالفعل بولده الأكبر . ويضيفون أن من أروع الحوادث التاريخية إحراق أريحا برمّتها ، " وكل ما بها بأمر يهوه " .

تهذه المدرسة قد كرّست لتكتب التاريخ العبري بشتى مظاهره موضحة أعمال العنف التي أمر بها يهوه قضاته وأنبياءه .

المراجع :

— أسفار عاموس ٥ : ٨ ، وأشعيا ٢٩ : ٦ ، وأيوب ٩ : ٥ ـ ٦ و ٢٨ : ٩ ، والملوك الأول ١٩ : ١١ .
— Garstang. J. and Garstang, J.B.. **The History of Jericho**, London 1940.
— **Lexikon far Theologie und Kirche.**

أريحا (مؤتمر ـ) :

ر : المؤتمر الفلسطيني (أريحا ١٩٤٨)

أريغاتيم : ر : الأشكنازيون

الأزرق (زاوية ـ) :

ر : القدس (المباني الأثرية والتاريخية في ـ)

الأزياء الشعبية :

لا شك في أن إحياء التراث الشعبي والحفاظ على خصائصه الفنية وإظهار أصالته شرط أساسي من شروط تخليد آثار الحضارة العريقة ، فالفن القومي لأي أمة من الأمم مظهر لثقافة الشعب عبر الزمان والمكان .

يشكو كثير من الأمم من صعوبة جمع وإحصاء تراثها القومي ، وكذلك يشكو الفلسطينيون من إهمال جمع تراثهم واستحالة إجراء المسح الفولكلوري في الوطن المحتل ، عدا حدا الصهيونيين المحتلين إلى استغلال التراث الفلسطيني وادعاء ملكيته لأنفسهم فأخذوا يجسبون الأرض عارضين هذا التراث الشعبي وكأنه تراث (إسرائيلي) .

يقوم التقويم الجديد للتراث الفلسطيني على رؤية الماضي بمنظار الحاضر وفقاً لحاجات الظروف التي يعيش فيها الفلسطينيون اليوم ، وعلى الكشف عن جوانب تخدم أغراضهم الاجتماعية والسياسية والفنية المستحدثة .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن من حسنات النكبة ، إن كان لها حسنات ، ما خلقته من رابطة قوية بين الفلسطينيين وتراثهم ، فغدا تعلقهم بأرضهم الحبيبة لا يقل عن تعلقهم بالثوب والتقصيرة والعقال والبجامة والدبكة * ، فهي كلها تراث تلك الأرض ونتاج ذلك الماضي وحصيلة تلك الأمة . ولا أدل على ذلك من إقبال النساء الفلسطينيات ،حتى المدنيات منهن، بعد حرب ١٩٦٧ * على ارتداء الثوب القرويّ الفلسطيني واعتزازهن به اعتزازاً بلغ حد التباهي والزهو والعمل على نشره وتطويره ، خصوصاً في بلاد الاغتراب .

أ - زيّ المرأة : يمتاز بالاحتشام والهيبة والجمال . ومن خلال خطوطه وأشكاله وألوانه يلمس المرء تجانساً وتناسقاً ينمّان عن ذوق وإبداع ومهارة .

ولا شك في أن تنوع الأزياء التي يفوق عددها ٣٠ نوعاً يعود لعوامل كثيرة منها وفرة الأقليات الدينية وتعدّد العادات تبعاً لذلك . يزاد على ذلك أن المدنيات التي تعاقبت على فلسطين تركت طابعها على اللبس وخصائصه وخطوطه وألوانه ، حتى إن الكثير من الكلمات ذات العلاقة باللبس هي غير عربية الصدر من مثل :

- طقيّة : فارسية الأصل تعني شريطاً يربط حول الرأس .
- طربوش : أصلها « ساربوش» فارسية الأصل بمعنى غطاء الرأس .
- منديل : إيطالية الأصل بمعنى منديل .
- شروال : وهي معرب سروال بالفارسية .

زي بيت لحم

وسيستشف القارىء من خلال عرض الأزياء الفلسطينية المؤشرات التاريخية والدينية والاجتماعية والاقتصادية والمناخية التي أثرت في الأزياء وميّزتها بطابع خاص .

١) زيّ المرأة المدنية : يمتاز زي المرأة المدنية بالبساطة والاحتشام . ولعل في ما كتبه عدد غير قليل من المؤرخين والبحّاثين في هذا الباب ، ولا سيما القس أسعد منصور في كتابه « تاريخ الناصرة » ، ما يساعد على كشف خصائص الزي لدى المرأة المدنية منذ أوائل القرن الثامن عشر . وربما انطبقت تلك الأوصاف وتنشذ على جميع مدن فلسطين .

تألف الزي المدني في أوائل القرن الثامن عشر تقريباً من :

(١) الجلابة : وهي جبة طويلة من نسيج قطني وطني مشقوقة من الأمام ، ذات كمّين قصيرين ضيقين ، لونها في الغالب نيلي . ولعل الجلابة مأخوذة من الجلوة ، وهي ما يعطيه الزوج عروسه عند الزفاف [1] .

(٢) الدامر : وهي جبة قصيرة تصل إلى الوسط فقط ، كمّاها بطول كمّي الجلابة أو أقصر قليلاً . وتكون غالباً من جوخ مقلم بالقصب . وإذا زاد قصر الأكمام سميت السلطة .

تلبس المرأة تحت الجلابة قميصاً طويلاً يصل إلى تحت الركبة ، ويكون فوق السروال المعروف « بالليفة والشنتيان » ، ويقال له ثانياً نصف كسوة . وهو يشبه البنطلون الواسع لونه أبيض أو نيلي مقلّم على الرجلين بالحرير والقصب .

(٣) الزنار : على أنواع كثيرة ، وهو من نسيج بسيط ، أو مقلّم ، أو من فضة وذهب .

(٤) الزربند : تلبسه المرأة على رأسها . وهو شقة من الحرير مخططة خطوطاً تكون غالباً بيضاء ضاربة إلى السواد ، أو حمراء ، أو صفراء ، طولها أربعة أمتار وعرضها نحو نصف متر . تطوي المرأة أعلاه مزدوجاً ، وتضعه فوق الصمادة [2] ، وتعطيه بمنديل مرسلة إيّاه على ظهرها ، وتشده على وسطها بزنار ، تاركة جزءاً منه منسدلاً فوق الزنار حتى يغطيه ، ومن ثم ترسله تحت الزنار حتى القدمين .

(٥) العصبة : وهي منديل تعطوبه المرأة طيًّا عريضاً وتتعصب به حتى يكسو أعلى الصمادة ، وترسله إلى الخلف تاركة أحد طرفيه أطول من الآخر بقليل .

(٦) الحذاء : كانت الأحذية على أنواع كثيرة أشهرها « البابوج » ويكون غالباً من جلد أصفر يكسو مشط القدم ، له من الخلف إطار علوه نحو قيراط وكعبه حديدة تشبه حدوة الفرس .

في النصف الثاني من القرن الثامن عشر استبدل بالجلابة القمباز أو القمباز . ويختلف عن الجلابة في أن قماشه أنعم ، وألوانه أكثر تنوعاً ، والفتحات على جانبيه أطول . كما حدث تغيير في السروال ، إذ أصبحت المرأة تلبس شروالين تزمّ أحدهما وتربطه تحت الركبة ، بينما تنزل الآخر بدون زمّ فيتدلى أعلاه على الساقين بشبه دائرة تدعى قرّارة . واستبدل بالدامر أو السلطة جلبان قصير الأكمام من جوخ مطرز عرف بالعباءة .

وفي أوائل القرن العشرين ، ونتيجة الموجة السياحية وتغير وسائل النقل ، وبسبب الاختلاط بالغربيين ، ألغيت ملبوسات كثيرة ، منها الصمادة ، والدامر ، والعباءة ، والزربند ، والعصبة ، والقمباز . ومن غطاء الرأس حوفظ على الحطّة ومن حولها العصبة ، ثم ألغيت الأخيرة واستعيض عنها بالبشنيقة (محرف بخنق) وهي منديل « بأوية » . والأوية هي إطار أو كنار يحيط بمنديل ناعم مزخرف ، وتكون من شغل الإبرة ، وتأتي بأشكال الزهور المختلفة ذات الألوان الزاهية . ومن فوق المنديل ، أو البشنيقة ، يلبس الشال أو الطرحة أو القيشة ، وكلها أوشحة من حرير أو صوف .

كما استبدل بالعباءة الإزار ، وفي بعض المدن الملاية أو الحيرة .

(١) الحيرة : وتكون من الحرير الأسود أو غيره ، لها « شمار أو دكة » في وسطها ، وعند شدّها أو سحب الدكة بالمقدار الذي تريده السيدة يأخذ النصف من الخصر وما تحته شكل تنورة ، ثم يرفع النصف الأعلى ليغطي الرأس واليدين . أما الوجه والرقبة وجزء من الصدر فيغطى بالمنديل . ويلبس تحت الملاية فستان طويل تتفنن النساء بتفصيله ، وقماشه مستورد في الغالب من سورية .

(٢) الملاية : تشبه الحيرة في اللون وفي صنف القماش ، غير أنها تختلف عنها في التفصيل ، إذ تتكون من معطف ذي أكمام يلبس من فوقه برنس يغطي الرأس ويتدلى إلى الخصر . أما الوجه فيغطى بمنديل أسود .

(٣) الإزار : من اللون الأبيض ، ويتكون من قطعة واحدة تلتف بها السيدة من رأسها إلى أخمص قدميها ، وتحجب وجهها ورقبتها وجزءاً من صدرها بالمنديل الملون .

٢) زيّ المرأة القروية :

كل بلد ولها زيّ وكل شجرة ولها ريّ

يتكون اللبس القروي بعامة من ثوب طويل فضفاض يشدّ وسطه زنار أو حزام ، ويسمّى في بعض القرى الجداد . ويصنع الثوب العادي (الخلق) الذي تلبسه القروية في حياتها اليومية وفي

(١) تطلق كلمة جلوة في هذا القرن على الاحتفال الذي يقام ليلة العرس ، ويحضره العريس وحده ، ويستمتع بالغناء والرقص المقدم على شرف عروسه . وفي هذه السهرة ترقص العروس أيضاً بعد أن تغيّر ملابسها قبل كل رقصة . وأطلقت كلمة جلاية بعد الثلاثينات على فستان العروس .

(٢) الصمادة من حلي المرأة . وهي أيضاً ما يلفّه الرجل على رأسه أو نحوه دون العمامة .

أثناء عملها من القماش القطني البسيط . وهنالك أقمشة أغلى ثمناً وأمتن حياكة وأجمل نسجاً تتركها للمناسبات ، وإن كانت من الميسورات لبستها يومياً . فمن المنسوجات الكتان والقطن المقلم والهرمز والتوبيت والكرمسوت والملك والرومي والمخمل وغيرها (رَ : الحرف اليدوية) .

أما ألوان الأثواب فهي النيلي والأسود والأبيض . وتراعي القروية في لبسها الفصول وتغيرات الطقس فتلبس الأثواب البيضاء في الصيف والسوداء في الشتاء .

تفصل أكمام الثوب على أشكال مختلفة ، منها الضيّق ، ومنها ما يتسع قليلاً عند الزند ، ومنها ما يتدرج بالاتساع حتى يلتقي طرفاه في نقطة يعلّق بها قليل من الشرابيب . وتعرف هذه الأكمام بالردّان .

ثوب بيت دجن

وإنْ قصر الردّان عن طوله المألوف عرف بأبو الردّين . ولا شك أن طول الردّان يعيق المرأة عن القيام بواجباتها المنزلية ، لذلك « تقفع الكم » ، أي ترفعه ، إلى وراء رقبتها . وتفضل نساء بيت سوريك والقبيبة والجيب وبيت نبالا لبس أبو الردّين .

والشيء المميز في ثوب القروية هو التطريز بألوانه وأشكاله وحداته ومواقعه على الثوب . وكلها عوامل مهمة في تحديد منشأ الثوب تحديداً كان فيما مضى أقرب ما يكون إلى الجزم . غير أن عوامل كثيرة اجتماعية واقتصادية وسياسية ، كوسائل النقل الحديثة ، وتطور تقاليد الاحتفالات ، ولا سيما الأعراس (رَ : العرس) ، وما سببته النكبة من تشتيت وتهجير ، ساعدت على اختلاط الأمر ، وأصبح التعرف على القرية من خلال أثواب نسائها أمراً صعباً .

ويلبس فوق الثوب القصيرة . وهي كالدامر القديم ذات الكمام قصيرة . وتلبس الجبة في مناطق أخرى .

ويمتاز لبس الرأس عند المرأة الفلسطينية بجمال شكله ، وتنوع صفاته ، وبكثافة تطريزه ، وبمعظم كلفته . وهناك تقريباً أربعة أنواع من لباس الرأس هي :

(١) الشطوة : وتخص بيت لحم * فقط ، وهي أسطوانية الشكل طويلة ، ولكنها غير مدببة أو دقيقة الرأس كتلك التي كانت تلبسها الدرزيات اللبنانيات قديماً . إن الشطوة عمامة طويلة أو ربما هي تطوير للطرطور المذبذب الطرف أو المثلث الشكل الذي كان لبسه شائعاً في القرن الرابع عشر الميلادي في مصر وما جاورها . ثم لبسه الدراويش في مصر والمولوية في لبنان وسورية . ويقال إن الطرطور كان يلبسه البدو ، وكانوا يحلفون به . وهناك مثل يقول « وحق الطرطور » ، كما شبهوا الخصم المغلوب بمن وقع من أول ضربة « كطرطور البدوي » .

كانت الشطوة في أوائل هذا القرن أقصر مما هي عليه الآن ، وكان يصفّ على مقدمتها صف من الدراهم ، ومن فوقه صف ثان من المرجان . وفي العشرينات ازداد طول الشطوة وأصبحت خمسة صفوف من الدراهم الفضية والذهبية . أما التطريز الموجود على الشطوة فهو في غاية الدقة . وتوضع فوق الشطوة خرقة مربعة من الحرير الأبيض تعرف بالتربيعة .

(٢) الطفطاف والشكة أو العرقية : تصل إلى خلف الأذنين وهي مكونة من صفّين من النقود . وأما خلف الرأس فتوضع أربع قطع من النقود (الرباعيات) أكبر حجماً من تلك التي توضع في الأمام . وفي حال وجود صف واحد تدعى شكّة أو عرقية يلبسها نساء قضاء الخليل والقدس ويافا .

(٣) الوقاة : لعلها تحريف لكلمة « وناية » ، أي ما يقي الرأس . وتعرف أيضاً بالصفّة لما يصف عليها من الدراهم ، وقد يتوج عددها أحياناً على الثمانين نطعة . وفي العهد العثماني كانت نساء رام الله يضعن من النقود الوزري الفضي أو نصف الوزري (والوزري يعادل عشرة قروش تركية) ، أما الميسورات فكن يضعن ليرات ذهب ، أو نصف ليرات ذهب . وتكون هذه النقود حصة المرأة من مهرها ، ويحق لها التصرف بها كما تشاء . والوقاة خاصة بنساء رام الله وفضالها وهي ذات دائرة بشكل لفّاتة محشوة بقماش لين تطوق الرأس حتى آخر الرقبة حيث تتصل بلفّاتة عرضية .

(٤) الحطّة والعصبة : وتلبسها نساء شمال فلسطين . وقد تأتي الحطّة على أشكال مختلفة ، كلفحة كبيرة كما في زي دبورية ، أو

شال كما في الصفصاف .وهناك دائماً العصبة المعقودة حول الرأس .

والتطريز عنصر أساسي من عناصر الزي . وهو يدل على مهارة المرأة وموهبتها وذوقها . وهو من الهوايات المفضلة عند المرأة الفلسطينية . وهناك بَلَدان احترفت نساؤهما التطريز ، وهما بيت لحم وبيت جالا * . أثرت نكبة ١٩٤٨ وما سببته من ضغط على الحياة في هذه الهواية الجميلة وحدّت من انتشارها وتوارث الخبرة فيها . وقد سعت بعض المؤسسات والجمعيات في الأردن وسورية ولبنان للحفاظ على تراث التطريز الفني الأصيل ، ففتحت مراكز للتدريب عليه ، ولتأمين الكسب الشريف للمشتغلات فيه .

وهناك ثلاثة أشكال من القطب ، أو الغُرَز ، هي : قطبة الصليب ، وقطبة التحريري أو الرشيق ، وقطبة اللف . وتفخر المرأة الفلسطينية بإبراز تلك القطب في وحدات وأشكال رائعة جميلة . وقد كشفت تسمية المرأة الفلسطينية لهذه الوحدات عن نفسيتها ، وعن انطباعاتها بما تتأثر به في حياتها البسيطة ، إلى جانب ما تتميز به من روح الكتة والمرح . ومن الأسماء التي أطلقتها على بعض القطب : « سنان الشايب » و « مخدة العرّابي » و « شيخ مشقلب » و « ثلاث بيضات في مقلى » و « رجل الجاجة » .

ومن الأزهار التي تطرز : الزنبقة ، وعرق التوت ، وعرق الورد ، وعرق الفطوف (أو الدوالي) ، وعرق النخلة ، وعرق السروة ، و « قوّار الزهور » .

ومن الحيوانات : البطة ، والسبع ، والحية ، والطاووس ، والحمامة ، والخلزون ، وعرف الديك .

ومن القطب الشائعة نجمة بيت لحم ، ومفتاح الخليل ، وحوض القيثارة .

ويعطي التطريز أماكن معينة من الثوب ، فهناك تطريز ضمن مربع على الصدر يعرف « بالقبة » ، وعلى الأكمام ويسمى « الزوائد » ، وعلى الجوانب ويعرف « بالبنايق » أو « المناجل » . كما يطرّز أسفل الظهر على مسافات مختلفة . ويلاحظ أن الجهة الأمامية من الثوب تكون دائماً خالية من التطريز إلاّ عندما يكون الثوب ثوب زفاف ليظهر عندئذٍ بكثافة ، أو يشقّ ويلبس من تحته « شروال » برتقالي اللون أو أخضر . وهناك قرى تضع نطعة من قماش المخمل وراء القبة وتزينها بالتطريز .

ومما هو جدير بالملاحظة أن جميع القرى الفلسطينية تشترك في تطريز بعض القطب وتختلف فيما بينها فقط في الأمكنة التي يضعونها فيها . كما أن بعض المناطق تكثر من استعمال عدد مختار من القطب حتى يصبح وجودها بهذا الشكل المكثف دليلاً على منشأ ذلك الثوب . فالقطبتان البارزتان في قضاء غزة هما القلادة والسروة . وفي رام الله * تبرز قطبة النخلة ، كما يكثر استخدام اللونين الأحمر والأسود (وكان يكثر في الماضي اللونان الأصفر والزهر) . ويكثف التطريز في بيت دجن * ، ويظهر بوضوح التابع التقليدي للغرز . وتمتاز الخليل * بقطبة السبعات (٧) المتتالية ، وتكثر فيها قطبة الشيخ . وهناك ما يميز الثوب الخليلي من غيره ، وهو طريقة التطريز عند آخر الثوب ، ولا سيما من الخلف بشكل شريحة عرضية . وهو تأثير بدوي يظهر أيضاً في بيسان * وبير السبع * .

وهناك غرزة معروفة بالميزان تظهر بين الجبل والساحل . والمعروف أن غرزة الصليب هي الأكثر شيوعاً في التطريز ، لكنها غير مستعملة في بيت لحم . والقبّة التلحمية ذات أثر هام في تراث التطريز الفلسطيني ، وهي تختلف عن جميع المناطق في أن الخيطان المستعملة في تطريزها من الحرير والقصب ، وأن الغرز المستعملة فيها هي المعروفة بالتحريري أو الرشيق ، واللفّ . وطريقة التحريري هي أن يمد خيط القصب على مسافات بمددها الرسم ، ويلفّ حوله قطب على بعد مسافات نصيرة لتثبيته . ومن حسنات هذه الطريقة أنها تسهّل عمل التعرّجات والتحكم بإتقان الوحدة . وإذا ما مدّت بشكل خطوط متوازية ملء الفراغ بينها بقطبة اللف .

وقد استحوذ هذا النوع من التطريز التلحمي على الكثيرات من نساء فلسطين ، وأصبحن يقلدنه ويطعمن أثوابهن بتلك الطريقة . ومن القرى التي نقلت هذا الأسلوب قرية لفتا * التي يتكون ثوبها من الحرير الأحمر والأخضر (ويعرف بالجنّة والنار) ويضاف إليه قبة تلحمية ، وقريتا سلوان وأبو ديس ، والثوب فيهما قماش نمباز مقلم مع قبة تلحمية .

ومن الملاحظ أيضاً إضافة شرائح من قماش حريري على قماش الثوب الأصلي . وقد استطاعت ذلك نساء قضاء القدس ، ويافا * ، وغزة * ، وبيت دجن .

وقد تشذّ بعض القرى عن كل ما ذكر . فنساء الطيرة *، قرب حيفا * ، يلبسن فساتين بيضاء بدون أكمام مطرزة بقطبة النيج وبرسوم طيور وسواها ، ويلبسن تحتها سروالاً مكشكشاً وبلوزة مكشكشة أيضاً . ولا بد من دراسة هذه الظاهرة هنا لمعرفة تأثير المدنيات المتعاقبة عليها .

أما في الصفصاف * في شمال فلسطين فإن لبس السروال الملوّن والضيق متداول . كما أن الثوب مقلم بألوان العلم العربي مضافاً إليها اللون الأصفر . ومما يلفت النظر قصر الثوب من الأمام بالنسبة إلى طوله من الوراء .

وتُعرف أثواب المجدل * وجوارها من تطعيم الأثواب بشرائح طويلة من الحرير البنفسجي .

أما الخزام أو الجداد فيختلف حسب المنطقة التي يلبس فيها .

بالحدود النهائية لهذا الإقليم فقد اقترح أن تحددها لجنة مشتركة من الصهيونيين ومن خبراء المستعمرات البريطانيين . وقد وجد البريطانيون في هذا المشروع الاستيطاني فرصة مؤاتية لاستقطاب ذوي المهارات ورأس المال إلى إمبراطوريتهم الإفريقية ، وربما لتحويل هجرة اليهود الروس من بريطانيا إلى إفريقيا أيضاً . أما فيما يتعلق بهرتزل فإن «مشروع أوغندا» ، كما أصبح يعرف ، كان يمثل تأكيداً لبرنامج بازل * (بال) وانتصاراً لدبلوماسيته التي كانت تتجه نحو الحصول على براءات للاستيطان . لذا فإن عرضاً بريطانياً من هذا القبيل كان من شأنه أن يمنح هرتزل كسباً هاماً يستخدمه في المؤتمر الصهيوني * السادس .

أدى مشروع أوغندا إلى انقسامات خطيرة في صفوف اليهود عندما عرض على المؤتمر الصهيوني السادس ، فقد دار الصراع بين أنصار هرتزل (والمشروع) من جهة والفئة التي عرفت باسم صهيونيي صهيون من جهة أخرى ، وأصر هؤلاء على الالتزام بالاستيطان في فلسطين . وجرى طرح حل وسط يقضي باعتماد أوغندا مؤقتاً لتلبية الحاجات اليهودية الآنية ، ومرحلة على طريق الهدف النهائي ، أي فلسطين . لكن هذا الحل لم يلق تجاوباً من صهيونيي صهيون الذين خرجوا من قاعة المؤتمر ووجهوا إنذاراً نهائياً إلى هرتزل بالتخلي عن مشروع أوغندا .

وبعد ذلك التاريخ بعام واحد سحبت الحكومة البريطانية عرضها هذا ، ومات تيودور هرتزل ، فانتهى أمر هذا المشروع الاستيطاني ، بالرغم من أن إسرائيل زانغويل والمنظمة اليهودية للأراضي ثابرا على العمل لإحياء ذلك المشروع دون جدوى .

٥) أنغولا وأستراليا والمكسيك وليبيا والعراق : بعد موت تيودور هرتزل ، وخلال انعقاد المؤتمر الصهيوني السابع عام ١٩٠٥ ، انشقت عن الحركة الصهيونية الأساسية زمرة من الندويين الصهيونيين بقيادة إسرائيل زانغويل وأسست المنظمة اليهودية للأراضي كمنظمة مستقلة . وكان مبعث هذا الانشقاق في الدرجة الأولى الخلاف في الرأي حول المكان الذي قد تنشأ فيه المستعمرات اليهودية الكبيرة . فبينما ركز الصهيونيون جهودهم على فلسطين كان أعضاء المنظمة اليهودية للاراضي ، أو « أصحاب الأرض » كما جرت تسميتهم ، يرغبون في إقامة المستعمرات في أي مكان بشرط أن تكون الأرض كبيرة كافية . وقد قال زانغويل ذات مرة : " لا توجد بقعة من الأرض لم تفكر فيها المنظمة اليهودية للأراضي " .

تابع «أصحاب الأرض» في البداية المفاوضات التي كان هرتزل قد أجراها مع وزارة المستعمرات البريطانية حول مشروع أوغندا ، لكن هذه المفاوضات لم تتقدم بشكل ملموس . وحاول « أصحاب الأرض » الحصول على براءة للاستيطان في بقاع كبيرة من أنغولا عام ١٩٠٧ ، وفي أماكن أخرى كأستراليا والمكسيك ، وفي الشرق الأوسط حيث ركزوا جهودهم على الحصول على أراض ملائمة من الحكومة العثمانية في ليبيا عام ١٩٠٨ ، وفي العراق عام ١٩٠٩ .

ويرتبط مشروع الاستيطان في ليبيا باسم ناحوم سلاوش أحد أتباع هرتزل الأوائل ، وأحد مؤسسي الاتحاد الصهيوني الذي انضم فيما بعد إلى جماعة زانغويل ، أي « أصحاب الأرض » . وكان سلاوش أستاذاً للأدب العبري في جامعة السوربون الفرنسية وخبيراً في شؤون يهود إفريقيا الشمالية . وقد أمضى بعض الوقت في ليبيا بين عام ١٩٠٦ وعام ١٩٠٨ لدراسة الأوضاع هناك بغية تأسيس مشروع يهودي كبير للاستيطان فيها . وأصبح التقرير السري الذي قدمه سلاوش أساساً لمبادرة قام بها « أصحاب الأرض » . ويروي ناحوم سلاوش في كتابه « رحلات في شمال إفريقيا » أن بعثة من « أصحاب الأرض » تضم خبراء في الزراعة والهندسة يقيادته هو استقبلت بحفاوة من قبل السلطات العثمانية في ليبيا عام ١٩٠٨ . وقد أجرت البعثة مفاوضات حول مشروع لإقامة « مستعمرة يهودية قومية تتمتع بالاستقلال الذاتي » في ليبيا . لكن هذه المفاوضات لم تؤد إلى نتائج ملموسة .

وهكذا تداعت مشاريع الاستيطان اليهودي خارج فلسطين واحداً بعد الآخر واتجهت الحركة الصهيونية كما خططت من البداية إلى فلسطين حيث استعمرتها تدريجياً وأقامت فيها (الدولة) التي أقر إنشاءها مؤتمر بازل (بال) .

المراجع :

ـ احمد طربين : فلسطين في خطط الصهيونية والاستعمار ، دمشق .
ـ خالد القشطيني : مشروع إنشاء المستعمرة الإسرائيلية في أوغندا ، مجلة شؤون فلسطينية ، العدد ٢ ، أيار ١٩٧١ ، بيروت .
ـ خيرية قاسمية : وثائق بريطانية حول اقتراح يهودي بإقامة دولة يهودية في منطقة الخليج العربي ، مجلة شؤون فلسطينية ، العدد ٥ ، ١٩٧٢ ، بيروت .
— Herzl, Theodor.: The Complete Diaries, New York 1960.

الاستيطان الصهيوني بعد ١٩٦٧ :

أ ـ لمحة تاريخية : يشكّل الاستيطان الاستعماري حجر الزاوية في الفكر الصهيوني ، والقاعدة التي قامت عليها الدولة الصهيونية ،

والأساس الذي تعتمده لإضفاء صفة الأمر الواقع السكاني على توسعاتها العسكرية المتتالية .

ويختلف الاستيطان الصهيوني عن أشكال الاستيطان الاستعماري التي عرفها العالم في العصر الحديث كلها ، لأنه يستند في تبرير وجوده إلى فلسفة خرائية وادّعاء ديني ، ويعتمد سياسة الأمر الواقع التي تساندها القوة العسكرية .

ولما لم تكن فلسطين بلداً خالياً من السكان فقد كان على الصهيونية أن تقوم بطرد سكانها العرب الذين يشكّل وجودهم عائقاً أمام حركة الاستيطان الصهيونية . ومن هذه الزاوية شكلت عمليات مصادرة الأراضي وتهجير السكان العرب الوجه الآخر لعملية الاستيطان . ففي بعض الحالات كان لا بد من طرد السكان العرب أوّلاً لإقامة مستعمرة ما . وفي حالات أخرى كان قيام المستعمرات يؤدي إلى طرد السكان العرب او تفتيت كثافتهم تمهيداً لإجلائهم .

عندما أعلن قيام (إسرائيل) في ١٩٤٨/٥/١٥ كان عدد المستعمرات اليهودية التي أقامتها الوكالة اليهودية * والمنظمة الصهيونية العالمية * ٢٨٥ مستعمرة أنيمت على شكل حزام متكامل من القلاع العسكرية الاستيطانية حول الخطوط التي حدّدها قرار التقسيم * لعام ١٩٤٧ . وخلال الفترة الممتدة حتى عدوان حزيران ١٩٦٧ والتوسع الإسرائيلي الجديد أقامت الحكومة الإسرائيلية والوكالة اليهودية ومؤسسات الاستيطان المختلفة ٥٨٧ مستعمرة أخرى تركّزت كلها في المناطق الفلسطينية التي ضمّتها (إسرائيل) بالقوة زيادة على حدود قرار التقسيم لضمان تهويد هذه المناطق ، وتم إسكان حوالي ١٨٠ ألف مستوطن فيها . وقد جاء ذلك تنفيذاً لتعليمات بن غوريون القائلة إن حدود (إسرائيل) هي حيث يشعر جنودها أنهم في مأمن .

وبعد حرب حزيران ١٩٦٧ واحتلال (إسرائيل) الضفة الغربية وقطاع غزة وسيناء ومرتفعات الجولان * سارعت (إسرائيل) إلى تنفيذ السياسة الاستيطانية نفسها التي نفذتها في الأراضي الفلسطينية التي احتلتها في حرب ١٩٤٨ * زيادة على حدود التقسيم . وبدأت بعد حزيران مباشرة عمليات الاستيطان الصهيوني الواسعة في كل أنحاء الأرض الفلسطينية والعربية المحتلة ، في محاولة لجعل الاحتلال الجديد أمراً واقعاً ، وتحويل خطوط وقف إطلاق النار إلى حدود مرحلية جديدة (لإسرائيل) يتم تثبيتها بفرض الأمر الواقع الاستيطاني الصهيوني فيها إلى أن يتم إلحاقها رسمياً بدولة (إسرائيل) ، كما حدث للقدس في ١٩٨٠/٧/٣٠ ، والجولان في ١٩٨١/١٢/١٤ .

إن النظر إلى حركة الاستيطان الصهيوني في المناطق المحتلة بعد عام ١٩٦٧ يؤكد نيّة (إسرائيل) ومؤسساتها وأحزابها عدم التخلي عن شبر واحد من الأراضي المحتلة الجديدة . فالأحزمة الاستيطانية الأولى جاءت محاذية وملاصقة للحدود في الأغوار والجولان وقطاع غزة ، وحتى في المناطق المحاذية لفلسطين من سيناء .

إن التعريف بالاستيطان الصهيوني في المناطق المحتلة بعد عام ١٩٦٧ يقتضي تقسيمه إلى الأقسام الأربعة التالية :

١) الضفة الغربية بما في ذلك القدس .
٢) قطاع غزة .
٣) سيناء ومشارف رفح .
٤) مرتفعات الجولان .

وقد ذهب بعض الذين درسوا الاستيطان الإسرائيلي إلى تقسيمه تسمين هما :

ما تم في عهد حكومات المعراخ * من ١٩٦٧ إلى ١٩٧٦ .

وما تم في عهد حكومتي الليكود * من ١٩٧٧ حتى ١٩٨٢ .

لكن الحاجة إلى مزيد من الإيضاح ، وعدم وجود فروق جوهرية في السياسة الاستيطانية بين المعراخ والليكود ، يفرضان دراسته وفقاً للمناطق الجغرافية الأربع السابقة .

ب ـ الاستيطان في الضفة الغربية : قامت السلطات الإسرائيلية بتطبيق نمطين من الاستيطان في الضفة الغربية يختلفان في المظهر ويتفقان في الهدف والنتيجة . فقد سارعت الحكومة الإسرائيلية إلى إعلان ضم مدينة القدس * إليها في ١٩٦٧/٦/٢٧ في محاولة لإضفاء نمط مزيف من الشرعية على احتلالها للمدينة . وأباحت بهذا القرار لنفسها ولمؤسساتها المختلفة حرية ممارسة التهويد ومصادرة الأراضي وإقامة الأحياء السكنية وإجلاء السكان العرب من مساكنهم وهدمها ، وتوسيع المخططات الهيكلية لمدينة القدس على حساب أراضي القرى والمدن العربية المجاورة شرقاً وشمالاً وجنوباً .

أما في باقي مناطق الضفة الغربية فقد كان الأمر خلاف ذلك ، إذ شرعت (إسرائيل) تفرض الأمر الواقع الاستيطاني عن طريق إقامة الأحزمة الاستيطانية في الأغوار ، ثم على سلاسل الجبال المحاذية ، ثم في المناطق المحاذية لخطوط الهدنة لعام ١٩٤٨ ، ثم في مجمعات استيطانية مكثفة حول المدن العربية الرئيسة ، خاصة في منطقتي نابلس والخليل .

في المراحل الأولى للاستيطان التي تلت حرب حزيران بدأت الحكومة الإسرائيلية تقيم سلسلة مما أسمته نقاط المراقبة الأمنية على امتداد خطوط وقف إطلاق النار ، ثم أخذت توسّع هذه النقاط شيئاً فشيئاً حتى تحوّلت خلال السبعينات إلى مستعمرات زراعية . في الوقت نفسه كانت عمليات إنشاء مستعمرات أخرى قائمة على قدم

وساق تحت مختلف الأشكال والذرائع . وكانت عمليات تضخيم المستعمرات وتوسيعها على حساب الأراضي العربية تتم جنباً إلى جنب مع عمليات إنشاء المستعمرات الجديدة .

عشية تسلّم الليكود السلطة عام ١٩٧٧ كان المعراخ قد انتهى من إقامة ٤٨ مستعمرة في مختلف أنحاء الضفة الغربية (عدا الأحياء السكنية في القدس وحولها) . وكانت عمليات الاستيطان قد بدأت تتم في إطار لعبة مسرحية يجري إعدادها بدقة وتقوم فيها المجموعات الاستيطانية (وغالباً ما تكون جماعة غوش إيمونيم *) باحتلال مساحات من الأرض في مواقع استراتيجية محددة ومتفق عليها ، وإعلان إقامة مستعمرة جديدة فيها ، فتبادر الحكومة إلى

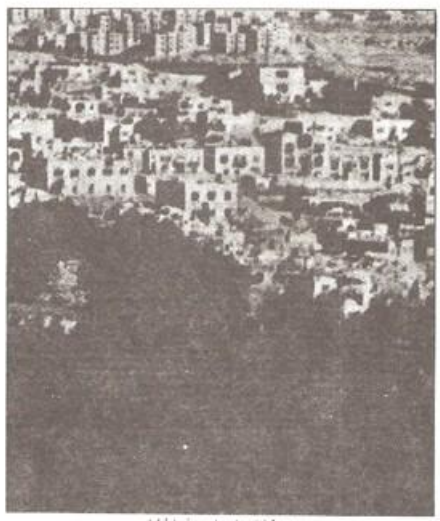

مستوطنة كريات اربع في الخليل

إرسال جنودها متظاهرة أنها تحاول إجلاء هؤلاء المستوطنين ، إلاّ أن الأمر ينتهي إلى تثبيت هذه النقطة الاستيطانية ومدّها بالدعم وإطلاق يدها للتوسع على حساب الأرض المجاورة .

تسارعت عمليات الاستيطان في الضفة الغربية بعد تسلم الليكود الحكم ، وبخاصة خلال فترة مفاوضات ما يسمى بالحكم الذاتي بعد التوقيع على اتفاقيات كامب ديفيد * . ففي هذه الفترة أطلقت حكومة الليكود يد جماعة غوش إيمونيم للقيام بعمليات استيطان واسعة شملت كل أنحاء الضفة الغربية ، وعُزّزت هذه الحملة بسلسلة من الأوامر والتشريعات والقرارات الرسمية التي تسهل عمليات الاستيلاء على الأراضي ، ومن بينها إعلان حق (إسرائيل) في مصادرة الأراضي العامة والأراضي الصخرية في الضفة (حوالي مليون ومئتي ألف دونم) ، والأمر ذو الرقم ٥٩ الصادر عن الحاكم العسكري العام الذي يعطي الحاكم العسكري سلطة تحويل أية قطعة أرض إلى ملكية عامة ، وإعطاء أصحابها مهلة لا تتجاوز ثلاثة أسابيع للاعتراض ، وإبراز الأوراق الثبوتية المؤيدة لاعتراضهم . ومن بين هذه القرارات أيضاً القرار الذي اتخذ في أيلول ١٩٧٩ وسمح بموجبه للأفراد والشركات اليهودية بشراء الأراضي في الضفة . ويذكر أن الشراء كان محصوراً في الكيرن كاييمت * قبل صدور هذا القرار .

بلغ مجموع الأراضي التي صودرت حتى الربع الأول من عام ١٩٨٢ في الضفة الغربية وفقاً للأرقام التي نشرتها الصحف في المناطق المحتلة ، وهي أرقام لا تشير إلى الحقيقة كلها ، بلغ ٢,٢١٣,٧٨٤ دونماً ، أي ما يعادل ٤٠,٢٥٪ من المجموع الكلي لمساحة الضفة الغربية وهو ٥,٥ مليون دونم . ومن هذه الأراضي المصادرة ١,٣٠٠,٠٠٠ دونم أملاك دولة ، ومنها ١١٧,٦٥٧ دونماً ما تزال مغلقة لأسباب أمنية مزعومة .

إن النظر إلى الخريطة الاستيطانية للضفة الغربية كما تمّت في عهدي المعراخ والليكود يظهر أن هناك ثلاثة أحزمة رئيسة من المستعمرات تقسم الضفة الغربية إلى ثلاث شرائح على النحو التالي :

١) سلسلة مستعمرات الأغوار على امتداد الجانب الغربي من نهر الأردن * وحتى عين جدي (وفقاً لمشروع آلون *) .

٢) سلسلة المستعمرات التي أقيمت على امتداد المرتفعات الشرقية للضفة الغربية ، وتمتد من الجنوب الشرقي لبيت لحم * جنوباً على امتداد سفوح سلسلة مرتفعات الجبال المطلة على الأغوار وحتى بيسان * شمالاً . وهي سلسلة المستعمرات التي تشكل الحاجز الأمني في منطقة رام الله والبيرة (وفقاً لمشروع دايان) .

٣) سلسلة المستعمرات الممتدة من القدس جنوباً إلى جنين * شمالاً بمحاذاة خطوط الهدنة (وفقاً لمشروع شارون) .

هذه السلاسل والأحزمة الطولية تتقاطع عرضياً مع التجمعات الاستيطانية التي دعا اليها مشروع شارون وخطة دروبلس . ويمكن تمييز التكتلات العرضية التالية في نطاق مشروع شارون :

١) التكتل الاستيطاني بسلاسله الثلاث التي تقسم الضفة الغربية إلى شطرين منفصلين تماماً .

٢) التكتل الاستيطاني حول مدينة الخليل * .

٣) التكتل الاستيطاني حول منطقة بيت لحم .

٤) التكتل الاستيطاني حول منطقة رام الله * .

٥) التكتل الاستيطاني حول مدينة أريحا * .

وتهدف هذه التكتلات إلى تحويل المدن العربية في الضفة إلى جزر منعزلة ، وتحويل التجمعات السكانية فيها إلى أقليات مفتتة تسهل السيطرة عليها ومحاصرتها تمهيداً لإجلاء سكانها تدريجياً . وإذا كانت الأطواق الاستيطانية حول بعض المدن لم تكتمل بعد فإن مشروع شارون الاستيطاني حتى عام ١٩٨٥ ينص على استكمال هذه الأطواق بحيث يصبح عدد المستعمرات في الضفة في نهاية العام المذكور ١٤١ مستعمرة .

وتنفيذاً لهذا المشروع قرر آريل شارون وزير الدفاع الإسرائيلي في مطلع شباط ١٩٨٢ إقامة أربع عشرة مستعمرة جديدة في الضفة الغربية خلال شهر آذار ١٩٨٢ موزعة على النحو التالي :

١) مستعمرتان حول مدينة الخليل ، وهما : حبرى في الشرق ، ولاهف في الغرب .

٢) سبع مستعمرات في منطقة جنين وهي : اماتسيا ، وادولام ، ونجوموت ، ومتسفيه ، وتيلم ، وتيرتسي ، وبلاس جرزيم .

٣) خمس مستعمرات في منطقة جنين وهي : ملوح ، وفرات ، وجان ، وحريش ، وبيت هعرباب .

هذا بالإضافة الى ثلاث مستعمرات جديدة ستقام في منطقة الأغوار . وفي هذه الأثناء يجري العمل في شق وتوسيع طريق آلون التي تربط سلسلة مستعمرات المرتفعات الشرقية المطلة على الأغوار بعضها ببعض .

أما عدد المستوطنين الذين يقيمون في مستعمرات الضفة ، باستثناء الأحياء السكنية العشرة حول القدس ، فيبلغ حوالي ٣٠ ألف مستوطن وفقاً لما أعلنه آريل شارون أثناء جولته التي قام بها في مستعمرات الضفة برفقة ١٧٠ من أعضاء الجباية اليهودية الموحدة في مطلع شباط ١٩٨٢ .

ويذكر أن مشروع دروبلس الاستيطاني للسنوات الخمس التي تنتهي في أواخر عام ١٩٨٣ يقتضي أن يصبح عدد مستعمرات الضفة ما بين ١٣٦ و ١٥٠ مستعمرة يتراوح عدد سكانها ما بين ١٢٠ و ١٥٠ ألف مستوطن ، عدا سكان الأحياء اليهودية حول القدس الذين سيصل عددهم إلى ١٢٠ ألف مستوطن . إن عدد المستعمرات التي أقيمت حتى نهاية ١٩٨١ في الضفة الغربية والقدس هو ١٢١ مستعمرة ، عدا الأحياء السكنية العشرة التي أقيمت حول مدينة القدس . وفي حال تنفيذ قرار شارون الأخير سيصبح عدد المستعمرات في الضفة ١٣٥ مستعمرة بعد آذار ١٩٨٢ ، وفي ذلك المستعمرات الثلاث التي تقررت إقامتها في الأغوار .

ويمكن دراسة الاستيطان في الضفة الغربية من خلال ثلاث مناطق رئيسة ، هي : الأغوار ، والقدس ، والخليل ونابلس .

١) الاستيطان في الأغوار : كان الاستيطان في غور الأردن هدفاً رئيساً ومبكراً لحكومات العراخ ، وقد شكلت هذه المنطقة الخط الأول للاستيطان لطبيعتها الأمنية من جهة ، ولما تحمله من دلالات استراتيجية وسياسية كبيرة من جهة أخرى . فمنطقة الأغوار تسيطر على محاور العبور إلى الضفة الغربية وتؤدي دوراً كبيراً في تحقيق مطامع (إسرائيل) التوسعية في الضفة . إن السيطرة على الأغوار تعني ضمّ الضفة الغربية والسيطرة على مساحات واسعة من أراضي الغور * الزراعية ، وعلى كميات كبيرة من مخزون المياه فيها .

وقد سارعت السلطات الإسرائيلية بعد حزيران ١٩٦٧ إلى تفريغ مناطق الأغوار الغربية من سكانها بشكل قسري وجماعي تحت ستار الدواعي الأمنية ومنع التسلل بين الضفتين . نطردت الآلاف من المزارعين والبدو ، وصادرت وأغلقت مئات الآلاف من الدونمات بعضها ملكية خاصة والقسم الأكبر منها أراض أميرية ، ثم شرعت تقيم سلسلة من نقاط المراقبة الأمنية تمتد من جنوبي بيسان شمالاً إلى عين جدي غربي البحر الميت * جنوباً .

ويبدو من النظر إلى شريط مستعمرات الغور أنها تمّت في نطاق ما يسمى بمشروع آلون الذي يهدف إلى تجنب الكثافة السكانية العربية قدر المستطاع تطبيقاً لمبدأ « أكبر مساحة من الأرض وأقل عدد من السكان » . وتنسجم هذه المعادلة مع البرنامج السياسي لحزب العمل الذي يحتفظ بإمكانية التوصل إلى تسوية سلمية مع الأردن يتم بموجبها الاحتفاظ بالأشرطة الاستيطانية والتخلّي عن المراكز الآهلة بالسكان حفاظاً على الأغلبية اليهودية في الدولة الصهيونية .

وسرعان ما تحولت المراكز الأمنية التي أقيمت في الأغوار وعلى السفوح الشرقية لمرتفعات الضفة إلى مستعمرات مدنية زراعية أخذت تتوسع تدريجياً على حساب الأرض العربية المجاورة ، وكانت مستعمرة « حمرا » أول نقطة مراقبة أمنية تتحول إلى مستعمرة مدنية في شباط ١٩٦٨ . ويبلغ عدد المستعمرات التي أقيمت في الأغوار وعلى مشارفها ٢٨ مستعمرة . ويمكن اعتبار سلسلة المستعمرات التي أقيمت على سفوح المرتفعات الشرقية للضفة الغربية امتداداً لمستعمرات الأغوار . وقد شرعت الحكومة الإسرائيلية تقيم هذه السلسلة من المستعمرات في أوائل السبعينات كجزء من المخطط الشامل لتهويد الضفة الغربية تحت ستار « الحق التاريخي » لليهود في أرض (إسرائيل) الكاملة . وهي الذريعة التي تستخدم لتبرير عمليات الاستيطان الواسعة في هذه المناطق .

المستعمرات الإسرائيلية في منطقة الأغوار ومدينة أريحا
حتى شباط ١٩٨٢

اسم المستعمرة	تاريخ الإنشاء	الوقـــع	المساحة بالدونم
١ ـ محولا	١٩٦٨	أراضي قرية بردلة	٦,٤٠٠
٢ ـ كالبه	١٩٦٨	غرب البحر الميت	٢,٢٠٠
٣ ـ أرغمان	١٩٦٨	طريق نابلس الجفتلك شمال جسر دامية	٨,٦٠٠
٤ ـ مسؤاة	١٩٦٩	أراضي الجفتلك والعجاجرة	٤,٣٠٠
٥ ـ متسبي شاليم	١٩٧٠	قرب عين جدي	١٥٠
٦ ـ يطاف	١٩٧٠	العوجة	٣,٠٠٠
٧ ـ حمرا(عطروت سابقاً)	١٩٧١	القارعة والجفتلك	١٠,٦٠٠
٨ ـ معاليه أفرايم	١٩٧٢	مجدل بني فاضل	٥,٦٠٠
٩ ـ بقعوت	١٩٧٢	سهل البقيعة الشمالي	٦,٦٠٠
١٠ ـ مخوره	١٩٧٣	أراضي بيت دجن * وبيت نوريك	٥,٠٠٠
١١ ـ مسؤاة الجديدة	١٩٧٣	أراضي الجفتلك والعجاجرة	٨٠٠
١٢ ـ جلجال	١٩٧٣	فصايل / عقربة	٤,٠٠٠
١٣ ـ جتيت	١٩٧٣	خربة الطويل/جنوب عقربة	٥,٧٠٠
١٤ ـ نعران(مقسام سابقاً)	١٩٧٣	العوجة	٢٠,٠٠٠
١٥ ـ تومار	١٩٧٥	جنوب غرب فصايل	—
١٦ ـ بنسائيل ب	١٩٧٥	أراضي قريتي فصايل وعقربة	٣,٠٠٠
١٧ ـ بقعوت ب	١٩٧٦	أراضي طمون وطوباس *	٨٠٠
١٨ ـ نيف هدوه	١٩٧٦	الغور الأوسط جنوب مستعمرة تومر	٥٠٠
١٩ ـ المرج	١٩٧٧	طريق أريحا عين جدي	٥٠٠
٢٠ ـ بنائيل ب	١٩٧٧	جنوب مستعمرة بنسائيل	١,٥٠٠
٢١ ـ متسبي يريحو	١٩٧٧	أراضي الخان الأحمر	٥٠
٢٢ ـ رعمي ب	١٩٧٨	طوباس	١,٨٠٠
٢٣ ـ نوعيمة	١٩٧٩	شمال العوجة	—
٢٤ ـ محولا ب	١٩٧٩	شمال وادي الأردن	—
٢٥ ـ ياقيت	١٩٧٩	شمال الجفتلك أراضي عقربة وفصـايـل	
٢٦ ـ عيدان	١٩٨٠	وادي عربة	—
٢٧ ـ بيت همرفاه	١٩٨٠	جنوب شرق أريحا	١٥٠
٢٨ ـ وردة أريحا	١٩٨٠	جنوب مدينة أريحا	٥,٠٠٠

٢) الاستيطان في القدس : منذ اللحظة الأولى لاحتلال القدس كان واضحاً أن هناك إجماعاً تلتقي حوله أحزاب التجمع العمالي الحاكم وأحزاب اليمين المعارضة ، وهو أن القدس ستكون العاصمة الموحدة للكيان الصهيوني ، وأن الانسحاب منها أمر غير وارد على الاطلاق . وقد جاءت الممارسات التالية لتؤكد هذه الحقيقة ، ففي أعقاب صدور قرار ضم القدس في ١٩٦٧/٦/٢٧ باشرت

السلطات الإسرائيلية عمليات التهويد. فحلّت مجلس أمانة القدس العربية، وألغت الإدارات العربية، وفي ذلك المحاكم، وربطت مرافق الخدمات العامة بالبلديات الإسرائيلية للقدس التي يترأسها تيدي كوليك، وعزلت القدس عن الضفة الغربية اقتصادياً وجركياً وتنظيمياً، ثم شرعت تنقل الدوائر والوزارات الإسرائيلية إليها. وفي الوقت نفسه كانت عمليات هدم المنازل العربية في البلدة القديمة وترحيل السكان العرب منها تسير جنباً إلى جنب مع عمليات هدم المنازل والبنايات الوقفية أمام ساحة البراق لتوسيعها. ثم أعطيت شركة «إعادة إعمار الحي اليهودي» حق بناء أول حي سكني لليهود في القدس العربية، وهو الحي اليهودي في البلدة القديمة الذي أقيم فيه، حتى عام ١٩٨٢، ٤٦٨ وحدة سكنية.

وفي الوقت الذي كانت تتم فيه عمليات الهدم وبناء الحي اليهودي في البلدة القديمة كانت حركة استيطان أخرى تتم في نطاق حدود أمانة القدس على شكل طوق من الأحياء السكنية يحيط بالمدينة من الناحيتين الشمالية والجنوبية. وكان حي أشكول في الطرف الشمالي الغربي للقدس أول الأحياء السكنية التي أقيمت حول المدينة ضمن الحدود التنظيمية لأمانة القدس العربية. أما الحي السكني لطلبة الجامعة العبرية فقد بدىء بإنشائه في أواخر عام ١٩٦٧.

سدّت الأحياء السكنية التي بنيت حول مدينة القدس المنفذين الشمالي والجنوبي للمدينة. أما المنفذ المتبقي في اتجاه الشرق فقد خطط لسده في المرحلة الاستيطانية التالية التي تقرر أن تتم في نطاق الخطة الاستيطانية للقدس الكبرى. وتشكل مجموعة مستعمرات معاليه أدوميم الطوق الأبعد لإغلاق المنفذ الشرقي للمدينة. أما الطوق الأقرب فقد خطط لإقامته على أراضي قريتي العيزرية وأبو ديس التي تمت مصادرتها لهذه الغاية.

يبلغ عدد الأحياء السكنية التي بنيت في إطار الطوق الداخلي حول المدينة عشرة أحياء أنيم فيها ١٦,٣١٩ وحدة سكنية (رَ: القدس، تهويد). أما المستعمرات التي أقيمت حول القدس في نطاق ما يسمى «مشروع القدس الكبرى» الذي يقتضي اقتطاع قسم كبير من أراضي الضفة الغربية، بما في ذلك ٩ مدن و٦٠ قرية عربية، أي حوالي ٣٠٪ من المساحة الكلية للضفة، فقد بلغت حتى الآن ١٨ مستعمرة.

ولا تتوقّف الخطورة التي ينطوي عليها طوق المستعمرات حول القدس وفي منطقتها (رام الله والبيرة*) عند حدود تهويد المدينة بأغلبية سكانية يهودية مطلقة، او ابتلاع مساحات واسعة من الأراضي العربية المحيطة بها، ولكنها تتمثّل في تمزيق الضفة الغربية وشطرها إلى نصفين منفصلين وفقاً لما توخته المشاريع الاستيطانية الرامية إلى تفتيت الضفة الغربية جغرافياً وسكانياً بالأشرطة الاستيطانية وشبكات الطرق الطولية والعرضية وفقاً لمشروعي آلون وشارون.

٣) الاستيطان في منطقتي الخليل ونابلس: كانت مستعمرة كفار عصيون أول مستعمرة إسرائيلية تقام في الضفة الغربية في موقع المعسكر الأردني على الطريق بين بيت لحم والخليل في ١٩٦٧/٩/٢٧. وقد شكلت معسكرات الجيش الأردني في كل أنحاء الضفة الغربية المراكز الأولى للاستيطان، ثم جرى توسيعها فيما بعد على حساب الأراضي العربية المجاورة.

ولعبت العوامل الدينية دوراً هاماً في توجه الاستيطان اليهودي إلى مدينة الخليل في وقت مبكر. فبعد كفار عصيون التي تحوّلت الآن إلى طوق كامل من المستعمرات يعزل مدينتي الخليل وحلحول* عن بقية أنحاء الضفة الغربية من الناحية الشمالية توجهت حركة الاستيطان إلى مشارف مدينة الخليل الشمالية الشرقية، وجرى توسيعها أكثر من مرة، وأصبحت تضم الآن مجلساً بلدياً ومحكمة صلح.

وفي الوقت الذي كانت أطواق المستعمرات تحاصر فيه مدن بيت لحم وأريحا ورام الله كانت مدينة الخليل هدفاً لمحاولات الاستيطان في داخلها (البلدة القديمة) وحولها من جهاتها الأربع. وقد شهدت سنوات حكم الليكود حملة واسعة لمصادرة الأراضي حول مدينة الخليل بهدف عزلها وتطويقها تماماً بالمستعمرات.

أما في منطقة نابلس فقد جاءت الحملة الاستيطانية في وقت متأخر نسبياً (النصف الثاني من السبعينات) لأن الكثافة السكانية العربية العالية في هذه المنطقة شكلت عائقاً في وجه العمليات الاستيطانية المبكرة. وبالنظر لوعورة المنطقة لم يكن تأسيس مستعمرات زراعية تسيطر على مساحات واسعة من الأراضي أمراً سهلاً. وعلى الرغم من ذلك تم تأسيس أكثر من ثلاثين مستعمرة في نطاق مخطط واسع للسيطرة على مفارق الطرق الإستراتيجية في الشمال وإكمال الاتصال الاستيطاني بين منطقة الأغوار ومنطقتي شفاعمرو* والساحل الفلسطيني.

ومن الجدير بالذكر أن ٩٠٪ من مستعمرات منطقة نابلس أقيمت خلال سنوات حكم الليكود، ولا سيما بعد التوقيع على اتفاقيات كامب ديفيد إذ تسارعت عمليات الاستيطان بشكل محموم.

جـ - الاستيطان في قطاع غزة: واجهت حركة الاستيطان الإسرائيلية في قطاع غزة مشكلتين رئيستين هما الكثافة السكانية العالية وندرة الأراضي الزراعية الصالحة للاستيطان لأن الأرض الصالحة للزراعة في القطاع كانت مستغلة كلها. ولذلك جهدت

السلطات الإسرائيلية في العمل على خلخلة الكثافة السكانية بإخلاء مخيمات اللاجئين بحجة إعادة تنظيمها وشق شوارع واسعة فيها ، الأمر الذي أدّى إلى ترحيل سكان المخيمات وإعادة توطينهم في أماكن أخرى خارج القطاع (الضفة الغربية والمناطق المحاذية من سيناء) .

وقد تركز الاستيطان الإسرائيلي في القطاع على الأخص جنوبي مدينة غزة* ، وفي الشريط الساحلي شمالي العريش ، وكان ذلك مع بداية السبعينات لأن الجو الأمني في القطاع لم يكن مهيأ للبدء في الاستيطان بعد حزيران مباشرة .

وقد اقيمت أول نقطة للمناحال عام ١٩٧٠ ، ثم تحولت فيما بعد إلى مستعمرة كفار دروم . وحتى نهاية عهد المعراخ كانت خمس مستعمرات قد أقيمت جنوبي مدينة غزة في محاولة لعزل القطاع عن سيناء ، ولخلق تواصل جغرافي استيطاني بين مستعمرات القطاع ومستعمرات مشارف رفح / العريش .

أما في عهد الليكود فقد أقيمت ست مستعمرات أخرى في القطاع . وذكرت الصحف الإسرائيلية أن مستعمرة جديدة قد أقيمت في منطقة بيت لاهيا* على أرض مساحتها ٤ آلاف دونم ، ولم تذكر الصحف اسم هذه المستعمرة .

د ـ الاستيطان في مشارف رفح وسيناء : عملت (إسرائيل) منذ احتلالها سيناء على تحقيق أحلامها القديمة في تهويد أجزاء واسعة من الصحراء لخلق حواجز سكانية بين مصر وفلسطين . وقد انصبّ الاستيطان الإسرائيلي على ثلاث مناطق رئيسة هي :

١) منطقة شرّم الشيخ لضمان السيطرة الدائمة على مضائق تيران .

٢) مشارف رفح لخلق حاجز بشري يهودي يفصل قطاع غزة عن العريش .

٣) الشريط الساحلي على امتداد خليج العقبة* للسيطرة على الخليج ، ولخلق اتصال سكاني بين إيلات وشرم الشيخ .

لم تكن هناك أية مشاكل أمام العمليات الاستيطانية في منطقة شرم الشيخ والشريط الساحلي بسبب عدم وجود سكان عرب في هاتين المنطقتين اللتين كانتا من المناطق العسكرية المصرية . لكن المشكلة الحقيقية كانت في مشارف رفح والعريش شمالي سيناء حيث تعيش مئات العائلات البدوية على الرعي والزراعة وتستثمر عشرات الآلاف من الدونمات بعضها ملكية خاصة وبعضها أراض أميرية .

في عام ١٩٧٢م قامت (إسرائيل) بمصادرة ١٢٠ ألف دونم من أراضي البدو وطردتهم منها في ظروف بالغة القسوة بعد أن هدمت مساكنهم وأتلفت مزروعاتهم ودمّرت خزّانات المياه التي يعيشون منها .

وفي شباط ١٩٧٣م بدأت عمليات الاستيطان الإسرائيلي في مشارف رفح فأقيمت النواة الاستيطانية الأولى التي تحولت عام ١٩٧٥ إلى مدينة ياميت (جرى تفكيك هذه المستعمرة حين استعادت مصر سيناء) . أما البدو المرحّلون فقد خيّرتهم الحكومة الإسرائيلية بين التعويض النقدي او الاستيطان في بيوت خاصة أو الحصول على أراض جديدة في منطقة الداهنية ، لكن معظمهم رفضوا هذه العروض .

ويبلغ عدد المستعمرات التي أقيمت حتى شباط ١٩٨٢ في شريط مشارف رفح ـ العريش ١٥ مستعمرة . وقد ازدادت الكثافة السكانية في هذه المستعمرات بعد تشكيل حركة وقف الانسحاب من سيناء في النصف الأول من عام ١٩٨٠ ، وهي حركة يمينية متطرفة ترمي إلى منع الانسحاب الإسرائيلي من سيناء المقرر في نيسان ١٩٨٢ بالقوة ويتزعمها أعضاء في الكنيست* من بينهم حاييم دروكمان وغيئولا كوهين .

وقد رصدت الحكومة الإسرائيلية في كانون الأول ١٩٨١ مبلغ ٨,٥ مليار شيكل لتعويض مستوطني سيناء اليهود الذين سيجري نقلهم للاستيطان في النقب* والضفة الغربية .

أما القطاع الشرقي الجنوبي من سيناء فيبلغ عدد المستعمرات التي أقيمت فيه تسع مستعمرات تحيط بمضائق تيران من الجهتين الشمالية والجنوبية ، ومعظمها مستعمرات قروية ، ما عدا مدينة أوفيرا . وترتبط هذه المجموعة الاستيطانية بمجموعة مشارف رفح بمستعمرتين هما دي زهاف ونيبعوت اللتان أقيمتا في موقع القريتين العربيتين دهب والنويبة .

هـ) الاستيطان في هضبة الجولان : لم يكن هناك أي خلاف في الأوساط الإسرائيلية الحاكمة أو المعارضة حول الاستيطان في هضبة الجولان . فمسألة الانسحاب من الجولان ، بالنسبة إلى المعراخ ، أمر غير وارد على الإطلاق حتى في نطاق أية تسوية إقليمية مع سورية . وانطلاقاً من ذلك بدأت (إسرائيل) بعد حزيران ١٩٦٧ مباشرة تثبت واقعاً استيطانياً جديداً في الهضبة يحول دون الانسحاب منها . ولم تكن الكثافة السكانية العربية المتبقية في الهضبة بعد الحرب والاحتلال (حوالي ١٣ ألف نسمة) عائقاً أمام عمليات الاستيطان .

وبالرغم من الطابع العسكري المبكر لمستعمرات الجولان ، فانها تكيّفت مع الطبيعة الجغرافية للهضبة ، ومع الأهداف الاستعمارية الحقيقية للاستيطان الصهيوني . ففي المناطق الوعرة أقيمت مستعمرات صناعية ، وفي المناطق ذات الأراضي الزراعية

الخضبة ، وخاصة الجنوبية ، أقيمت مستعمرات زراعية ، وفي المنطقة الوسطى ذات الأرض الزراعية المحدودة والمياه القليلة أقيمت مشاريع زراعية مكثفة من النوع الذي لا يحتاج إلى مساحات واسعة من الأرض .

وكانت ميروم هغولان أول مستعمرة تقام في الهضبة السورية في ١٩٦٧/٧/١٦ ، وقد أنشئت في شمال غرب القنيطرة ، ثم تلتها مستعمرة كفار شاريت . ويبلغ عدد المستعمرات التي أقيمت في عهد الميراج ٢٦ مستعمرة في حين أقيمت سبع مستعمرات بعد تولي الليكود السلطة . وقد أقيمت مستعمرتان جديدتان خلال شهر آذار ١٩٨٢ هما كيبع ومنغوحا ، وذلك في نطاق الخطة الاستيطانية التي قررها شارون ، وبعد موافقة الكنيست على القانون الأساسي لضم الجولان في ١٩٨١/١٢/١٤ ، وبذلك يصبح عدد المستعمرات في الهضبة السورية المحتلة ٣٥ مستعمرة .

المراجع :

- أنيس صايغ : المستعمرات الصهيونية في الأراضي المحتلة بعد١٩٦٧، بيروت .
- ملفات مكتبة وزارة شؤون الأرض المحتلة ، عمان .
- جريدة الدستور الأردنية : الاعداد ١٤ و١٧ و١٨ و١٩ كانون الثاني ١٩٨٢ .
- عبد الرحمن أبو عرفة : الاستيطان التطبيق العملي للصهيونية ، القدس ١٩٨١ .
- وليد الجعفري : المستعمرات الاستيطانية الإسرائيلية في الأراضي المحتلة ١٩٦٧ - ١٩٨٠ ، بيروت ١٩٨١ .

المستعمرات الإسرائيلية في منطقة القدس
حتى شباط ١٩٨٢

اسم المستعمرة	تاريخ الإنشاء	الموقع	المساحة بالدونم
١ ـ نيفي حورون	١٩٦٩	عمواس* ، يالو* ، بيت نسوبا*	٢٠ الف للمراعي +٢,٥٠٠
٢ ـ عطروت	١٩٧٠	أراضي قلندية	١٠,٠٠٠
٣ ـ معاليه ادوميم	١٩٧٢	الخان الأحمر	٧٠,٠٠٠
٤ ـ معاليه أدوميم(ب)	١٩٧٢	الخان الأحمر	٦,٧٠٠
٥ ـ راموت	١٩٧٣	أراضي بيت اكسا وبيت حنينا	٤,٥٠٠ + ٣٠,٠٠٠
٦ ـ جيلو ـ هارجيلو	١٩٧٣	أراضي جبل الراس / بيت جالا*	٤,٠٤٤
٧ ـ روش جيلو	١٩٧٦	أراضي جبل الراس	٢٥٠
٨ ـ بيت حورون	١٩٧٧	أراضي بيت صور الفوقا	٢,٣٥٠
٩ ـ جبعون	١٩٧٧	أراضي الجيب	١,٥٥٠
١٠ ـ معاليه أدوميم(جـ)	١٩٧٩	الخان الأحمر	٣٥٠ + ٤,٠٠٠
١١ ـ جبعون (ب)	١٩٧٩	أراضي الجيب	٦٥٠
١٢ ـ جيفا حداشا	١٩٧٩	أراضي الجيب	١٨٠+٨٥
١٣ ـ خميش	١٩٨٠	أراضي قرية خماس	١٦٠
١٤ ـ تل زئيف	١٩٨١	١٠ كم شمال غرب القدس	—
١٥ ـ حلميش	١٩٨١	النبي صالح ودير نظام	—
١٦ ـ بسغات تال	١٩٨١	شرق بيت حنينا	٤,٤٠٠
١٧ ـ تسفون يروشلايم	١٩٨٢	أراضي بيت حنينا	—
١٨ ـ بيتار	١٩٨٢	رأس بيت جالا وقرية بتير	٤,٠٠٠

المستعمرات الإسرائيلية في منطقة رام الله والبيرة
حتى شباط ١٩٨٢

اسم المستعمرة	تاريخ الإنشاء	الموقع	المساحة بالدونم
١ ـ كوخاف هشاحر	١٩٧٥	أراضي قرية كفر مالك	٥,٠٠٠
٢ ـ أوفرا (عفره)	١٩٧٥	أراضي قريتي عين يبرود وسلواد	١,٢٥٠
٣ ـ متتياهو	١٩٧٦	أراضي قرية نعلين * والمدية	٧٠٠
٤ ـ ريمونيم (رمون)	١٩٧٧	أراضي قريتي رمـــون والطيبـــة *	١٠,٠٠٠ + ٣٠٠
٥ ـ بيت ايل (بيتين)	١٩٦٨	أراضي قرية بيتين ودورا القرع شمال رام الله	٦٠٠
٦ ـ كفار روت	١٩٧٧	أراضي اللطرون	٢٥٠
٧ ـ شيلات	١٩٧٦	أراضي المدية شمال غرب رام الله	١,٥٠٠
٨ ـ مركاز شيرونيم	١٩٨١	جبل الطويل/البيرة	—
٩ ـ نفي تسوف	١٩٧٩	ما بين دير بلوط وقرية عابود	٩٠٠
١٠ ـ شيلو	١٩٧٨	قريوت ـ ترمسعيا	١٥٠
١١ ـ غفعات أدوماه	١٩٧٩	ترمسعيا والمغير وأبو فلاح	١,٣٠٠
١٢ ـ ليبونـه	١٩٨٠	قرب اللبن	١,٠٠٠
١٣ ـ بيت ايل (ب)	١٩٧٩	أراضي بيتين	—
١٤ ـ بيت أريه	١٩٨١	قريتي عطاره وأم الصفا	٥٠٠
١٥ ـ بيغـرت	١٩٨١	جبل الطويل/البيرة	٦٠٠
١٦ ـ تنافيم	١٩٨١	شمال شرقي القدس	—

المستعمرات الإسرائيلية في قطاع غزة
حتى شباط ١٩٨٢

اسم المستعمرة	تاريخ الإنشاء	الموقع	المساحة بالدونم
١ ـ كفار دروم	١٩٧٠	٣كم جنوب دير البلح *	٢٠٠
٢ ـ موراغ	١٩٧٢	بين خان يونس* ورفح	١٣,٠٠٠
٣ ـ كاديش	١٩٧٢	شمال خان يونس	—
٤ ـ ناحال نتساريم	١٩٧٢	بين غزة ودير البلح	٧,٠٠٠
٥ ـ نتسر حزاني	١٩٧٣	شمال خان يونس	١٥,٠٠٠
٦ ـ قطيف	١٩٧٧	بين غزة وخان يونس	—
٧ ـ ميراف	١٩٧٨	بالقرب من خان يونس	—
٨ ـ غاني طال	١٩٧٨	بالقرب من شاطىء البحر جنـوب غـزة	—
٩ ـ غيدود	١٩٧٩	منطقة تل السلطان خان يونس	—
١٠ ـ غان أور	١٩٨٠	أراضي بيت لاهيا شمال غزه	—
١١ ـ يغـول	١٩٨٠	بين دير البلح وخان يونس	—

المستعمرات الإسرائيلية في منطقة الخليل
حتى شباط ١٩٨٢

اسم المستعمرة	تاريخ الإنشاء	الموقع	المساحة بالدونم
١ ـ كفار عصيون	١٩٦٧	كفار عصيون	٤,٥٠٠
٢ ـ كريات أربع (أ.ب.جـ)	١٩٦٨	أراضي مدينة الخليل	٣,٧٠٠
٣ ـ روش تسوريم	١٩٦٩	كفار عصيون	٣,٥٠٠
٤ ـ الون شيفوت	١٩٦٩	كفار عصيون بيت اسكاريا/ ارطاس	٢,٣٠٠
٥ ـ الظاهرية «زوحار»	١٩٧٧	أراضي الظاهرية *	٢٠
٦ ـ ياطر	١٩٧٧	أراضي قريي بطنة * والسموع *	٤,٠٠٠ + ٢٧ ألف للمراعي
٧ ـ مجدل عوز	١٩٧٨	بيت أومر *	٢,٠٠٠
٨ ـ تكواع	١٩٧٥	بيت ساحور * / قرية الرفيد	٥,١٥٠
٩ ـ اليعزر (أ.ب)	١٩٧٥	كفار عصيون/أراضي الخضر	٢٧٠+٣٥٠
١٠ ـ مستوطنة ناحال	١٩٧٩	منطقة اليمامة / شمال شرقي الخليل	—
١١ ـ زيف يعفوحرون	١٩٧٧	جنوب مدينة الخليل/طريق بيت السبع	٢٠
١٢ ـ ميتار (عومر ب)	١٩٨٠	تل شوكت جنوب الخليل	٥,٠٠٠
١٣ ـ افرات	١٩٧٩	أراضي قرية الخضر	١,٥٠٠ + ٥٠٠
١٤ ـ تكواع (ب)	١٩٨١	شرق بيت ساحور	—
١٥ ـ مشبي جوبرين	١٩٨١	أراضي ترقوميا * ، بيت جبرين	٧٠٠
١٦ ـ قاعون	١٩٨١	أراضي بطة	—
١٧ ـ كرميل	١٩٨١	أراضي بطة	٢,١٠٠
١٨ ـ معاليه عاموس	١٩٨١	جنوب شرق الخليل	—
١٩ ـ نيلي	١٩٨١	جبال الخليل *	—
٢٠ ـ عيناف	١٩٨١	مركز الرهوه جنوب الخليل	—

المستعمرات الإسرائيلية في مشارف رفح وسيناء حتى شباط ١٩٨٢			
اسم المستعمرة	تاريخ الإنشاء	الموقع	المساحة بالدونم
١ ـ أوغدا	١٩٧٥	مشارف رفح	٥,٠٠٠
٢ ـ أوفيرا	١٩٧٣	شاطىء شرم الشيخ	—
٣ ـ برئيل	١٩٧٣	مشارف رفح قرب يميت	—
٤ ـ ترسائ	١٩٧٥	طريق رفح العريش	٢,٥٠٠
٥ ـ تلمي يوسف	١٩٧٧	مشارف رفح	١,٠٠٠
٦ ـ حروفيت (ب)	١٩٧٨	شرق العريش	—
٧ ـ حوليت	١٩٧٧	مشارف رفح	٣,٠٠٠
٨ ـ دكلا	١٩٧٩	الشيخ زويد/غرب رفح	٢,٥٠٠
٩ ـ دي زهاف	١٩٧١	غرب خليج العقبة / أراضي قرية الذهب	—
١٠ ـ زهرون	١٩٧٨	بين إيلات * وشرم الشيخ	—
١١ ـ سادوت	١٩٧١	مشارف رفح	٥,٠٠٠
١٢ ـ سوفه	١٩٧٤	مشارف رفح	٢,١٠٠
١٣ ـ شالهيفت	١٩٧١	خليج السويس غرب أبو اردبس	—
١٤ ـ الطور	١٩٧٠	خليج السويس	—
١٥ ـ عتسمون	١٩٧٩	غرب الشيخ أزويد/مشارف رفح	—
١٦ ـ كاديش بارنياع	١٩٧٧	غرب أبو عجيلة	—
١٧ ـ مركاز افشلوم	١٩٧٣	مشارف رفح جنوب غرب رفح	—
١٨ ـ نتيف هعسره	١٩٧٣	جنوب رفح/الطريق الرئيسة	٤٠٠
١٩ ـ نيفعوت	١٩٧١	خليج العقبة	٢,٥٠٠
٢٠ ـ نيئوت سيناي	١٩٦٧	طريق العريش ـ الإسماعيلية	١,٢٠٠
٢١ ـ نيرابراهام	١٩٧٦	مشارف رفح	—
٢٢ ـ يام	١٩٦٧	شاطىء بحيرة البردويل	—
٢٣ ـ يميت	١٩٧٣	جنوب مدينة رفح على الشاطىء	١٢,٠٠٠
٢٤ ـ حتسبر ادار	١٩٨١	مشارف رفح	—

المستعمرات الإسرائيلية في منطقة نابلس
حتى شباط ١٩٨٢

اسم المستعمرة	تاريخ الإنشاء	الموقع	المساحة بالدونم
١ ـ كدوميم (أ)	١٩٧٥	أراضي كفر قدوم	٣٠٠
٢ ـ مسحة	١٩٧٥	أراضي قرية مسحة *	٣٠٠
٣ ـ نفي شيلو	١٩٧٦	أراضي قرية ترمسعيا	١,٥٠٠
٤ ـ ملكي شوعة	١٩٧٦	أراضي قرية ياسوف	—
٥ ـ كرناي شمرون (أ)	١٩٧٧	أراضي أبو الفرنين وكفر لاقف	٣,٠٠٠
٦ ـ الكنا	١٩٧٧	جنوب قلقيلية/قرية مسحة	٢,٨١٠
٧ ـ تسوناتان	١٩٧٧	غرب قرية كفر صور	—
٨ ـ شمرون	١٩٧٧	شمال غرب نابلس/أراضي دير شرف	١٠٠
٩ ـ سانور	١٩٧٧	أراضي قرية صانور *	٧٥٠
١٠ ـ ريحان (أ)	١٩٧٧	أراضي قرية اليامون *	—
١١ ـ ريحان (ب)	١٩٧٧	أراضي قريتي اليامون وريحان	٤,٠٠٠
١٢ ـ تيراح	١٩٧٨	أراضي قريتي نفوحة وياسوف	٤٠٠
١٣ ـ ارئيل حارس	١٩٧٨	أراضي سلفيت * وكفر حارس	٨,٦٠٠
١٤ ـ ناحال معاليه	١٩٧٨	أراضي قرية سبلة الظهر *	٥٥٠
١٥ ـ تاسواه	١٩٧٨	أراضي قرية ياسوف	٢,١٥٠
١٦ ـ ترنسا	١٩٧٨	غرب قرية يعبد *	—
١٧ ـ ارئيل (ب)	١٩٧٨	أراضي سلفيت وكفر حارس	٣,٥٠٠
١٨ ـ الون موريه	١٩٧٩	أراضي روجيب وعورتا *	١,٩٠٠
١٩ ـ سلعيت	١٩٧٩	أراضي قرية كفر صور	١,٣٣٠
٢٠ ـ كرناي شمرون(ب)	١٩٧٩	منطقة أبو الفرنين	٣,٠٠٠
٢١ ـ كرناي شمرون(جـ)	١٩٧٩	منطقة أبو الفرنين	٣,٠٠٠
٢٢ ـ كرناي شمرون(د)	١٩٧٩	٨كم غرب كرناي شمرون(أ)	٣,٠٠٠
٢٣ ـ دونان	١٩٧٩	شرق قرية يعبد	١,٥٠٠
٢٤ ـ تل كبير	١٩٧٩	أراضي التل الكبير ودير الحطب	—
٢٥ ـ ريحان (هـ)	١٩٨٠	أراضي اليامون / جنين	—
٢٦ ـ الكنا (ب)	١٩٨٠	أراضي بدية * وحارس	١٧٠
٢٧ ـ جبعات حوز	١٩٨٠	أراضي كفر سالم	—
٢٨ ـ معاليه ناحال	١٩٨٠	طريق نابلس جنين	—
٢٩ ـ حومش	١٩٨٠	بين نابلس وجنين	—
٣٠ ـ حنانيت	١٩٨١	غرب جنين	—
٣١ ـ حنانيت (ب)	١٩٨١	بين ريحان وريحيد	٤٠٠
٣٢ ـ باكير	١٩٨١	بين مستوطنتي ارئيل والكنا	—
٣٣ ـ شفي شمرون	١٩٨١	أراضي عنبتا * وكفر اللبد وبيت ليد *	—
٣٤ ـ جني طال	١٩٨١	طريق قلقيلية نابلس	—
٣٥ ـ عمانوئيل	١٩٨١	أراضي قرية جينصافوط	—
٣٦ ـ مناشي	١٩٨١	أراضي قلقيلية	—
٣٧ ـ ميتزفيم	١٩٨١	أراضي قرية سالميت	—
٣٨ ـ كوخاف يئير	١٩٨٢	أراضي قلقيلية والطيرة	—
٣٩ ـ بيت ارئيه (جـ)	١٩٨٢	أراضي رنتيس	—

المستعمرات الإسرائيلية في هضبة الجولان
حتى شباط ١٩٨٢

اسم المستعمرة	تاريخ الإنشاء	الموقع	المساحة بالدونم
١ ـ ميروم هغولان	١٩٦٧	شمال غرب القنيطرة	٤,٥٠٠ + ٣٢ ألف للمراعي
٢ ـ كفر شاريت (سنير)	١٩٦٧	شمال الهضبة قرب نبع باتياس	٥,٥٠٠ + ٢٠ ألف للمراعي
٣ ـ افيك ـ ناحال هغولان	١٩٦٧	جنوب غرب الهضبة	٤,٥٠٠
٤ ـ مفوحمه	١٩٦٨	جنوب الهضبة قرب الحمة	٤,٥٠٠ + ٢٥ ألف للمراعي
٥ ـ عين زيفان	١٩٦٨	شمال وسط الهضبة	٥,٠٠٠
٦ ـ غفعات بوآف	١٩٦٨	جنوب الهضبة	٤,٥٠٠
٧ ـ رامات مغشيميم	١٩٦٨	جنوب شرق الهضبة	٤,٥٠٠
٨ ـ نيتوت غولان	١٩٦٨	جنوب الهضبة	٤,٥٠٠
٩ ـ غمشور	١٩٦٨	الوسط الغربي للهضبة	٨٠٠
١٠ ـ ايلي عاد (العال)	١٩٦٨	جنوب الهضبة	٤,٥٠٠
١١ ـ رامـوت	١٩٦٨	الأراضي المطلة على طبرية	٤,٠٠٠
١٢ ـ نيفة أطيف ـ رامات شالوم	١٩٦٩	شمال الهضبة منحدرات جبل الشيخ	٤٠٠
١٣ ـ آل ـ روم	١٩٧١	بين القنيطرة ومسعدة	٤٠٠ + ٤,٦٠٠
١٤ ـ نـوف	١٩٧٢	جنوب وسط الهضبة	٤,٠٠٠
١٥ ـ بني يهودا	١٩٧٢	جنوب الهضبة	—
١٦ ـ كفار حارووف	١٩٧٣	جنوب الهضبة أراضي قرية كفر حارب	٢,٨٠٠
١٧ ـ انعام	١٩٧٣	شمال وسط الهضبة	٤,٠٠٠
١٨ ـ علياه شمعيم	١٩٧٣	جنوب الهضبة/أراضي قرية رمانا	—
١٩ ـ مركز خسفين	١٩٧٣	جنوب وسط الهضبة/قرية خسفين	—
٢٠ ـ كيشـيت	١٩٧٤	غرب القنيطرة	٢,٥٠٠
٢١ ـ كتسرين	١٩٧٤	شمال غرب وسط الهضبة	—
٢٢ ـ افني ايتان	١٩٧٤	جنوب وسط الهضبة	٤,٠٠٠
٢٣ ـ يوناتان	١٩٧٥	جنوب وسط الهضبة	٢,٠٠٠
٢٤ ـ هاراودم	١٩٧٥	شمال الهضبة بين مسعدة وبقعاتا	٢٠٠
٢٥ ـ شاعل	١٩٧٦	شمال الهضبة/مزرعة القنيطرة	—
٢٦ ـ معاليه غملا	١٩٧٦	جنوب الهضبة	—
٢٧ ـ أورطـال	١٩٧٨	الوسط الغربي للهضبة	—
٢٨ ـ ناطـور	١٩٧٨	جنوب الهضبة	—
٢٩ ـ كيلـع	١٩٨٠	شمال الهضبة/منطقة التل	—
٣٠ ـ جاوزه	١٩٨٠	وسط الهضبة/قرية الجويزة	—
٣١ ـ حفـات بثير	١٩٨٠	وسط الهضبة/مزرعة القنيطرة	—
٣٢ ـ الدبوسية	١٩٨٠	جنوب الهضبة/مصب نهر الرقاد	—
٣٣ ـ مرصـد	١٩٨٠	شمال الهضبة/قرية رمتا	—
٣٤ ـ كيشـع	آذار ١٩٨٢	—	—
٣٥ ـ منفـوحا	آذار ١٩٨٢	—	—

الاستيطان الصهيوني (بنك ــ) :

ر : بازل (برنامج ــ)

الاستيطان في الضفة الغربية :

ر : الخطة الصهيونية للاستيطان في الضفة (١٩٧٩ ـ ١٩٨٣)

الاستيطان اليهودي (صندوق ــ) :

ر : المؤتمر الصهيوني

الاستيلاء على أرض في ساعة الطوارىء (قانون ــ) :

على الرغم من أن قرار تقسيم فلسطين * الصادر عن الامم المتحدة سنة ١٩٤٧ نص بشكل صريح على عدم جواز مصادرة أية أرض يملكها شخص عربي داخل (الدولة اليهودية) إلاّ للاغراض العامة فقد وافقت الكنيست * الإسرائيلية الأولى في ١٩٤٩/١١/١٤ على قانون للاستيلاء على الأراضي في ساعة الطوارىء ، ونشر القانون رسمياً في ١٩٤٩/١١/٢٣ ، وسرى مفعوله بدءاً من ٣٠ تشرين الثاني من السنة نفسها .

ويتألف هذا القانون من ٣٢ مادة مقسمة إلى ستة فصول، ومن ملحق خاص بالمواد ٨ و٩ و١٠ مؤلف من سبع فقرات .

يحدّد القانون في مادته الأولى معنى كلمات " أرض " و" منزل " و"ساعة الطوارىء " . ثم يعطي الحكومة في المادة الثانية حق تعيين سلطة مختصة بتنفيذ أغراض القانون تعييناً عاماً أو محدوداً .

وتنص المادة الرابعة على ما يلي :

١) يحق للسلطة المختصة بموجب أمر بتوقيعها أن تأمر بالاستيلاء على أرض . ويسمى هذا "أمر استيلاء على أرض " .

٢) يحق للسلطة المختصة أن تتملك الأرض التي صدر أمر استيلاء عليها . ويحق لها وحدها طوال نفاذ مفعول هذا الأمر أن تشغل الأرض وتستخدمها وتستغلها بنفسها أو بواسطة أشخاص آخرين ، وحسبما تقتضي الغاية التي صدر الأمر من أجلها .

ويشترط القانون الاّ تتجاوز فترة الإشغال ثلاث سنين . كما ينص على زوال مفعول أمر الاستيلاء بصورة تلقائية بعد ستة أشهر من انتهاء حالة الطوارىء التي صدر الأمر أثناءها (المادة ٦) .

وتخول المادة السابعة من القانون السلطة المختصة إصدار " أوامر إسكان " تطلب بموجبها من سكان المنزل الذي يصدر الأمر بحقه تسليمه إلى شخص يحدده الأمر ، ويسميه القانون "الساكن " ، وذلك إما لأغراض سكنية وإما لاستعمالات أخرى ينص الأمر عليها . ويحق لهذا " الساكن " دخول المنزل وإشغاله واستخدامه للغرض المنصوص عليه . وإذا كان هذا الأمر بسبب إخلاء ساكن المنزل الشرعي فإن القانون يوجب على السلطة المصدرة للأمر تأمين مسكن بديل له إذا لم يتوفر لديه مثل هذا المسكن . وينظم القانون كيفية تحديد الإيجار الذي يتوجب على " الساكن " أن يدفعه لصاحب الملك إذا كان المنزل بيتاً للسكن أو مكاناً للعمل . أما إذا لم يكن كذلك فإن السلطة التي تصدر أمر الإسكان تحدد الإيجار الشهري الذي يتوجب على الساكن أن يدفعه (المواد ٨ و٩ و١٠) . ويلغي أمر الإسكان أي عقد إيجار منزلي لشخص لم يكن قد سكن هذا المنزل لدى دخول الساكن المحدد اسمه في الأمر إليه وإشغاله . وينص على أنه لا يجوز المطالبة بأي تعويض بناء على مثل هذا العقد (المادة ١١) .

ومن جهة أخرى يعطي القانون الحق لأي شخص كان يشغل الأرض أو المنزل لدى صدور أمر الاستيلاء أو الإسكان بالتخلي عن كافة حقوقه في الأرض أو المسكن بشرط إعطاء إنذار بذلك خلال مدة يحددها القانون . وتسقط عنه عندئذ جميع الالتزامات المتوجبة عليه بموجب القانون أو بموجب عقد منذ تاريخ تبليغ الإنذار لصاحب الملك (المادتان ١٤ و١٥) . وتستثنى من أحكام القانون المنازل التي اكتمل بناؤها بعد ١٩٤٨/٥/١٤ (المادة ١٣) .

وتحدد المادة الثالثة من القانون الحالات التي يمكن فيها إصدار أوامر استيلاء على أراض أو أوامر إسكان في ساعة الطوارىء بالحالات التي تقتنع فيها السلطة المختصة بأن مثل هذا الأمر ضروري "للدفاع عن الدولة أو للأمن العام أو للحفاظ على التموينات الأساسية أو الخدمات العامة الأساسية أو لاستيعاب المهاجرين أو لإعادة تأهيل الجنود السابقين أو مرضى الحرب " . ويخول القانون السلطة التي تصدر أمر الاستيلاء أو الإسكان صلاحية استخدام القوة لتطبيقه (المادة ٢٢ ـ ب) .

ومن جهة أخرى توجب المادة السادسة عشرة من القانون على وزير العدل تعيين لجان استئناف خاصة بأمور هذا القانون فور قيام الحكومة بتعيين سلطة الاستيلاء ، وتتألف كل لجنة من ثلاثة أعضاء يترأسهم أحد القضاة . وتحدد المواد ١٧ ـ ١٩ شروط الاعتراض على أمر الاستيلاء أو الإسكان ومدته وإجراءاته . وتعطي لجنة الاستئناف الحق في تأكيد الأمر ، بتعديلات أو بدون تعديلات ، أو نقضه على أساس قناعتها بضرورته أو عدم ضرورته للأغراض المنصوص عليها في المادة الثالثة المذكورة من قبل .

وتستطيع السلطة التي أصدرت أمر الاستيلاء أو الإسكان إلغاءه بشرط الاّ يكون الساكن المسمى في أمر الإسكان قد دخل بيت السكن أو مكان العمل بموجب الأمر . ويوجب الغاء أمر الاستيلاء

على من تملك الأرض إخلاءها ، كما يوجب على الساكن إخلاء بيت السكن أو مكان العمل إذا كان الإلغاء في هذه الحالة صادرا عن لجنة الاستئناف (المادة ٢٣) .

وينص القانون على أن التعويضات المنصوص عليها في قرار التعويض (الدفاع) لعام ١٩٤٠ والأحكام الصادرة بموجبه تنطبق على أوامر الاستيلاء على الأرض المصادرة بموجب هذا القانون إذا كانت المصادرة تشكل ممارسة لسلطات الطوارىء المحددة في ذلك القرار (المادة ٥) .

ويعطي القانون السلطة المعينة بموجبه الحق في الاستيلاء على أية أملاك منقولة تم الاستيلاء عليها قبل صدوره مباشرة بموجب أحكام سابقة يحددها (ولكنه لا يحدد بالضبط معنى كلمة "مباشرة" هنا) كما يتضمن قواعد انتقالية أخرى (المادتان ٢٩ و٣٠) .

ويحدد الملحق العلاقة بين الساكن المسمى بموجب أمر الإسكان وصاحب الملك وواجبات كل منهما تجاه الآخر والتزاماته .

ويعهد إلى رئيس الوزراء بمهمة تنفيذ هذا القانون ، ويخول وزير العدل صلاحية إصدار أنظمة تحدد الإجراءات المتبعة أمام لجان الاستئناف . ولرئيس الوزراء صلاحية إصدار أنظمة تتعلق بأية مسألة تخص تطبيق هذا القانون (المادة ٣١) .

واضح أن القصد من هذا القانون والقوانين الإسرائيلية المماثلة نزع ملكية الأراضي العربية في فلسطين كخطوة لازمة لتهويدها وجعل السكان الأصليين مجرد أجراء لدى الصهيونيين .

المرجع :

—Sefer HaChukkim: **Laws of Israel**, No. 27, 23 November , 1949.

إسحـق (النبي) :

هو ابن إبراهيم الخليل * من سارة . ولد في النقب * ، وفي بير السبع * على الأرجح . ومعنى إسحق بالعبرية « يضحك » لأن مولده سبّب السعادة والفرح ولاسيما لأمه التي كانت قد فقدت الأمل من حملها . وتذكر الروايات المقدسة أن أمه أرضعته بنفسها رغم أنها كانت في التسعين من العمر . كما تضيف أن إسحق كان في صغره على علاقة سيئة بأخيه إسماعيل * ، ولكنها ، أي الروايات المقدسة ، تختلف فيمن أمِرَ إبراهيم بالتضحية به من الأخوين .

في الأربعين من عمره زوّجه أبوه من امرأة سورية تدعى ربكاه أو رفقة . وقد حملت بعد عشرين سنة من زواجها به بتوأمين يروى أنهما كانا يتقاتلان في أحشائها ، وعندما استشير الإله في هذا الشأن ذكر أن التوأمين سيكونان على طباع مختلفة ، وأن الأمم المنحدرة منهما ستتصارع ، وأن الأكبر سيخدم الأصغر . وكان أن ولدت « رفقة » عيسو ، أو العيص الذي تذكر المصادر العربية أن الروم قد تحدرت منه ، ثم ولدت يعقوب * الذي تحدر منه العبرانيون * . وكان الأكبر مقرّباً من أبيه والأصغر من أمه .

وعندما حصلت مجاعة في كنعان * هاجر إسحق إلى جرار في فلسطين وكان ملكها يدعى ابيمالك ، وهناك قام إسحق بحفر عدد من الآبار التي تنازع ملكيتها مع فلسطينيّي جرار . ولذلك أطلق على أولها اسم ايساك وتعني خصام ، وعلى الثاني اسم سيتنا وتعني كراهية . وتذكر الروايات المقدسة أنه سافر بعد ذلك إلى بير السبع ، وهناك جدّد الرب له عهده ، وأنه عندما بلغ السابعة والثلاثين بعد المائة من العمر فقد بصره . وقد استغلت زوجه رفقة هذه العاهة للحصول على بركته لأولاد ابنها المحبب يعقوب ، البركة التي كان إسحق قد خص بها العيص . وقبل عشر سنوات من سفر يعقوب إلى مصر مات إسحق ودفن في كهف مكفيلة إلى جانب زوجه رفقة .

المراجـع :

— ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١ ، بيروت ١٩٦٦ .
— سفر التكوين : الاصحاح ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٥ .
— المسعودي : التنبيه والإشراف ، ج ١ ، بيروت ١٩٦٥ .
— جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، بيروت ١٩٦٨ .
— جورج بوست : قاموس الكتاب المقدس ، بيروت ١٩٧١ .
—— Fleming: **The Dictionary of the Bible**, London 1910.

إسحق بن ابراهيم التدمري (- ٨٨٣ هـ) (- ١٤٣٠م) :

تاج الدين التدمري الشافعي . أصله من تدمر ، ندم أجداده إلى فلسطين ، وسكنوا مدينة الخليل * . واشتهر التدمري بأنه خطيب مقام الخليل إبراهيم عليه السلام . ويبدو أن أفراداً من أسرته شغلوا هذا المنصب قبله ، منهم شمس الدين محمد بن قاسم (٧٢٥هـ / ١٣٢٤م) ، وشهاب الدين أحمد (٧٤١هـ / ١٣٤٠م) .

قال ابن حجر : ذكر أنه (أي التدمري) أخذ عن قاضي حلب الشمس محمد بن أحمد بن المهاجر ، وعن الشيخين العراقي وابن الملقن وغيرهما ، وأجاز له ابن الملقن في الفقه .

تقوم شهرة التدمري العلمية على كتابه الوحيد : « مثير الغرام إلى زيارة الخليل عليه الصلاة والسلام » . ويتناول هذا الكتاب المختصر سيرة إبراهيم الخليل * عليه السلام ، ويورد كل ما جمع من

أخباره . بيد أن أهم ما فيه إنما هو وصف قبور الأنبياء في الفصل الخامس عشر وما بعده . ويتألف الكتاب من سبعة وعشرين فصلاً . وقد حققه ونشره المستشرق الأمريكي تشارلز مالبوز في المجلد السابع عشر من مجلة الجمعية الاستشرافية لفلسطين (١٩٣٧) .

توفي التدمري في الخليل .

المراجع :

— ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، القاهرة ١٣٥١هـ .
— مجير الدين الحنبلي : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، عمان ١٩٧٣ .
— السخاوي : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، القاهرة ١٣٥٤هـ .
— كامل العسلي : مخطوطات فضائل بيت المقدس ، عمّان ١٩٨١ .
— كراتشكوفسكي ، تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، القاهرة ١٩٦٣/١٩٦٥ .
— Brockelmann, C.: **Geschichte der Arabischen Literatur**, Supplementband II, Leiden 1937-1939.
— Mathews, C.D.: Mûtir al-Gharâm of Abu-l- Fida of Hebron, **JPOS**,1937.

أَسْدود (قرية ــ) :

قرية عربية تقع شمالي الشمال الشرقي لغزة * على الطريق الرئيسة للسهل الساحلي * وترتبط بالقدس بطرق معبدة . فيها محطة سكة حديد يمر بها خط القنطرة ـ حيفا .

نشأت القرية على ربوة ترتفع ٤٢ م فوق سطح البحر ، وتبعد عن شاطىء البحر المتوسط نحو ٥ كم ، وتبعد ٦ كم عن نهر صقرير * الذي يمر بشمالها في طريقه إلى البحر المتوسط .

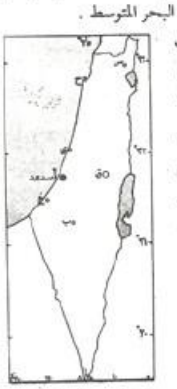

يرجع تاريخ أسدود ، كما دلّت الحفريات الأثرية الأخيرة ، إلى القرن السابع عشر قبل الميلاد ، وسكانها الأولون هم العناقيون ، وهم من القبائل الكنعانية التي سكنت الساحل الفلسطيني وجنوب فلسطين في العصور القديمة * . وقد أطلق العناقيون على المدينة اسم « أشدود » بمعنى الحصن . وكانت أسدود منذ ذلك الزمن القديم ميناء هاماً ومركزاً تجارياً . وفي القرن الثاني عشر قبل الميلاد نزل الفلسطيون * الساحل الفلسطيني وجعلوا أسدود إحدى مدنهم الخمس الرئيسة ، ومركز عبادة إلههم داجون . وفي حوالي عام ١٠٥٠ ق.م. هاجم اليهود أسدود ، لكن الفلسطيين انتصروا عليهم انتصاراً باهراً في معركة رأس العين قرب يافا ، واستولوا على « تابوت العهد » الذي كان يحفظ فيه اليهود شرائعهم ، ووضعوه في هيكل داجون ، وبعد ذلك بحوالي ثلاثة قرون هاجم عزاريا ملك يهودا المدينة مرّة أخرى وهدم أسوارها .

وقد دلّت الحفريات الأثرية التي جرت في الستينات من هذا القرن على أن أسدود الفلسطينية كانت على جانب كبير من الحضارة والغنى المادي . وقد اكتشفت فيها أختام كتبت بخط غير معروف وألواح وأوان دينية مختلفة . بيد أن وقوع المدينة على الطريق الساحلي الذي يصل بين سورية ومصر جرّ عليها كثيراً من ويلات الحروب ، وخاصة تلك التي نشبت بين الآشوريين (رَ : أشور) والمصريين (رَ : الفراعنة) . ففي سنة ٧٣٤ ق.م. استسلمت المدينة إلى تغلات بلاسّر الثالث ملك أشور . وفي سنة ٧١٥ ق.م. نشبت فيها ثورة ضد الآشوريين بتحريض من شاباكا فرعون مصر ، فأرسل صارغون الثاني ملك أشور قواته لمحاصرتها ، ودام الحصار أكثر من ثلاث سنوات تمكّن في نهايتها (٧١١ ق.م.) من اقتحام المدينة وإخضاع ملكها ، وأسكن فيها مستوطنين أشوريين . وأصبحت أسدود من ثمّ عاصمة لولاية أشورية . وفي عهد أشور بانيبال (٦٦٨ ـ ٦٢٥ ق.م.) فرض بسامينكوس فرعون مصر الحصار على أسدود . ووصف المؤرخ هيرودوتس هذا الحصار بأنه أطول حصار في التاريخ ، لأن المصريين لم يتمكنوا من أخذها إلاّ بعد ٢٩ سنة (٦٥٩ ـ ٦٣٠ ق.م.) .

وفي القرن السادس قبل الميلاد كانت أسدود عاصمة الفلسطينيين مدينة مزدهرة للغاية مما جعل هيرودوتس يسميها « مدينة سورية الكبرى » . ولمّا استولى الفرس على مصر في أواخر هذا القرن استولوا في طريقهم على أسدود وكل فلسطين . وقد قاوم أهالي أسدود إرجاع اليهود من بابل إلى القدس ، ونددّ نحميا حاكم القدس اليهودي الموالي للفرس بالفلسطينيين في أسدود الذين كانوا يتكلمون بلسان غير يهودي ، وهاجم زواج اليهود من بنات أسدود الوثنيات .

وفي القرن الرابع قبل الميلاد وقعت أسدود تحت سيطرة الإسكندر المقدوني وبقيت في العصر الهليني عاصمة لمنطقتها ، وعرفت إذ ذاك باسم أزوتوس *Azotus* . وعلى الرغم من أن أسدود عانت النزاعات المستمرة بين البطالسة (رَ : البطالمة) والسلوقيين (رَ : السلوقيون) خلفاء الاسكندر في مصر وسورية فإنها شاركت في ازدهار المدن في العصر الهليني .

ولا شك ، كما يقول العالم بايير *G.Beyer* ، «أن ضخامة المدينة ، وكذلك اتساع المنطقة التابعة لها ، كانا السبب الذي دعا اليهود الذين تسيطر عليهم شهوة التوسع إلى الانقضاض على المدينة

في عهد المكابيين » . ففي سنة ١٦٥ق .م. استولى المكابيون على المدينة وهدموا هيكلها وجعلوها ، هي وضواحيها من قرى ومزارع ، طعمة للنار .

وفي عام ٦٣ ق.م. دخل الرومان البلاد واستولى القائد الروماني بومبي على أسدود وجعلها جزءاً من ولاية سورية . ووجد الرومان أسدود مدينة مهدمة ، فأعاد القائد غابينيوس بناءها سنة ٥٥ ق.م. وأرجع لها رونقها القديم . وما لبث أغسطس قيصر إمبراطور روما أن وهبها هيرود الكبير الذي تركها بوصية منه إلى أخته سالومي *Salomè* . وأوصت سالومي بها إلى ليفيا *Livia* أخت أغسطس التي أورثتها بدورها الإمبراطور طيباريوس .

في سنة ٣٨ م تنصّر سكان أسدود مع غيرهم من سكان الساحل الفلسطيني من أسدود إلى قيسارية * . وفي القرن الرابع للميلاد كانت أسدود مركز أبرشية ، واشترك أسقفها الأول سيلفانوس *Silvanus* في مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م .

وفي عام ٤٠٠ م كانت أسدود مركزاً لمقاطعة تشمل قرى كثيرة منها عاقر * وقطرة * وإدنية * .

وتدلنا خريطة مادبا * على أنه كان هنالك في العصر البيزنطي ، إلى جانب مدينة أسدود التي كانت تدعى أزوتوس هبّوم *Azutus Hippum* مدينة أخرى هي أزوتوس بارالياس *Azutus Paralias* أو أسدود على البحر . وهذه المدينة الأثرية القديمة هي المعروفة باسم « مينة أسدود » أو« مينة القلعة » كما سميت في العهد الإسلامي .

دخلت أسدود في حوزة العرب المسلمين في القرن السابع الميلادي . وقد ذكرها كتّاب المسلمين القدامى باسم أزدود . ويذكر ابن خرداذبة في المسالك والممالك (القرن الثالث الهجري) أن « أزدود » كانت محطة على طريق البريد بين مصر والشام ، ويذكر المقدسي في أحسن التقاسيم « أزدود » بين البلدان التي كان فيها رُبط للمسلمين محصّنة بالابراج على الشواطىء الفلسطينية في القرن الرابع الهجري .

ويبدو أن أسدود فقدت أهميتها القديمة مع الوقت فلمّا احتلّها الصليبيون (زَ : الفرنجة) في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي لم يجدوا فيها سوى قرية صغيرة . وقد عسكر الصليبيون سنة ٥١٢هـ/١١١٨م حول أسدود مدّة ثلاثة أشهر . ويعتقد أن القائد الصليبي فولك الأنجوي حصّن المدينة سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م .

من الآثار الإسلامية في أسدود مسجد أقيم على مزار سلمان الفارسي الصحابي المعروف في عهد الظاهر بيبرس * سنة ٦٦٧هـ/١٢٦٨م . ومقام الشيخ إبراهيم المتبولي وهو ولي مشهور مصري الأصل رحل إلى أسدود إثر خلاف بينه وبين السلطان المملوكي فايتباي ، ثم مات فيها سنة ٨٧٧هـ/١٤٧٢م . وقد عُمّر المقام سنة ١٢٧٥هـ/١٨٥٨م .

وفي أسدود أيضاً مقام يعرف بمقام أحد أبي الإقبال ، وهو شخص لا يعرف عنه أهل البلدة شيئاً . وعلى مقربة من أسدود ، وعند مصب نهر صقرير المجاور لها تلّة صخرية عليها مقام للنبي يونس . وكان في أسدود في أوائل القرن الحالي مسجد جامع يدعى جامع سيدي عامر . وفي هذا الجامع عمود رخامي أبيض قديم يسند أنواس البناية . وجنوبي الجامع خرائب خان قديم جميل ، وحول القرية في أماكن مختلفة عدد من الأعمدة المتكسرة المتناثرة وعدد من الخرب التي تضم آثاراً من بقايا أسدود القديمة .

كانت مساحة الأراضي التابعة لأسدود أيام الانتداب البريطاني ٤٧,٨٧١ دونماً ، منها ١,٠١٦ دونما للطرق والأودية و٢,٤٨٧ دونما ملكها الصهيونيون . وتتوافر مقومات الزراعة الناجحة في هذه الأراضي ، لخصب التربة ، وهطول الأمطار الكافية ، ووجود الآبار التي تراوح أعماقها بين ١٦ و٣٤م . وأهم منتجاتها الزراعية الفواكه والحبوب *، وبخاصة الحمضيات * والعنب * والتين * والقمح * . وكانت الزراعة * هي الحرفة الرئيسة للسكان ، تتلوها حرفة التجارة * ، إذ كان يقام في أسدود كل يوم أربعاء سوق يؤمها سكان القرى المجاورة .

جذب موقع أسدود الهام وموضعها الطبيعي السكان للإقامة فيها ، فنما عدد سكانها من ٢,٥٦٦ نسمة عام ١٩٢٢ إلى ٣,١٣٨ نسمة عام ١٩٣١ ، وإلى ٤,٦٣٠ نسمة عام ١٩٤٥ . وتوسعت القرية عمرانيا حتى أصبحت مساحتها في أواخر الانتداب ١٣١ دونماً ، يشغلها أكثر من ٨٥٠ بيتاً . واشتملت القرية على مسجدين ومدرستين واحدة للبنين وأخرى للبنات . بالإضافة إلى المحلات التجارية المختلفة .

دمّر الصهيونيون القرية عام ١٩٤٨ وأقاموا على أراضيها مدينة وميناء أشدود * .

المراجع :

ـ أحمد سامح الخالدي : أهل العلم والحكم في ريف فلسطين ، عمان ١٩٦٨ .
ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج١ ، ق٢ ، بيروت ١٩٦٦ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة أسدود .
—Barnabas, N.: **Guide to the Holy Land,** London 1923..
— Beyer. G: **Zeitschrift des deutschen Palästina, Vereins, 1933.**

« إسرائيـــل »

جاء في التوراة * (سفر التكوين ٣٢ : ٢٨) أن " الله ظهر

ليعقوب * وقال له : لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب ، بل يكون اسمك إسرائيل لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت " .

وكلمة « إسرائيل » من أصل كنعاني مؤلفة من « إسر » و« أيل » ، ومعناها : عبد أو جندي الإله « أيل » .

بالاستناد إلى رواية التوراة أطلق العبرانيون * من ذرية يعقوب على أنفسهم اسم « بني إسرائيل » . ويأتي ذكر كلمة « إسرائيل » لأول مرة في الشواهد التاريخية على المسلة التي نصبها فرعون مصر « مرنبتاح » بعد غارته على فلسطين حوالي سنة ١٢٢٥ ق.م. ، إذ يقول : "لقد نسفت عسقلان واكتسحت جزر ودمرت إسرائيل واقتلعت جذورها فأصبحت فلسطين أرملة لمصر " .

إن « إسرائيل » هنا قد تعني مدينة أو قبيلة . ولا سبيل إلى الربط مباشرة بين هذه الكلمة وبين يعقوب وذريته الذين هاجروا من حران وتنقلوا بين فلسطين ومصر قبل خمسة قرون على أقل تقدير من عهد مرنبتاح .

وقد أطلق اسم « إسرائيل » أيضاً في التوراة على المملكة التي قامت في فلسطين وحكمها شاؤل وداود وسليمان من حوالي سنة ١٠٢٠ ق.م. حتى ٩٢٢ ق.م. ثم خصّ هذا الاسم بعد انقسام المملكة بالجزء الشمالي الذي شمل عشرة أسباط ، وكانت عاصمته

بن غوريون يعلن قيام إسرائيل ١٩٤٨

السامرة . وقد قضى الأشوريون على هذه المملكة في سنة ٧٢٢ ق.م. ونقلوا سكانها إلى نواحي حران والخابور وكردستان وفارس ، وأحلوا مكانهم جماعات من الآراميين * ، فلم يبق بعد ذلك أثر للأسباط العشرة من « بني إسرائيل » .

أما القسم الجنوبي الذي ضم سبطي يهوذا وبنيامين ، والذي كانت عاصمته « أورشليم » فقد عرف باسم « مملكة يهوذا » التي ظلت تتأرجح بين رحمة المصريين والأشوريين حتى اكتسحها الملك الكلداني نبوخذ نصر (بختنصر) في سنة ٥٨٦ ق.م. ، فدمر مدينة أورشليم ، وحرق الهيكل ، واستولى على خزائن الملك ، وسبى السكان وساقهم إلى الأسر في بابل (رَ : السبي البابلي). ولما أعاد الملك الفارسي قورش هؤلاء الأسرى إلى بلادهم في سنة ٥٣٩ ق.م. ، وسمح لهم بإعادة بناء الهيكل ، عرفوا منذ ذلك الوقت باسم « اليهود » نسبة إلى مملكة يهوذا ، فشاع هذا الاسم عوضا عن « إسرائيل » .

عاش اليهود في العصور التالية تحت حكم الفرس ، ثم البطالمة * ، والسلوقيين * ، والرومان ، وقاموا بعدة ثورات محاولين الاستقلال ، ولكنهم فشلوا ، واضطر القائد الروماني تيتوس في سنة ٧٠ م إلى تدمير « أورشليم » وحرق الهيكل وإزالته من الوجود ، كما قتل عددا كبيراً من اليهود وحكم على الباقين بالعبودية . وكانت آخر ثورة قام بها اليهود على الرومان تلك التي قادها سمعان باركوخبا الذي ادّعى أنه المسيح . وقد استمرت الثورة ثلاث سنوات (١٣٢ ـ ١٣٥ م) حتى استطاع الإمبراطور هادريان إخمادها ، وحوّل مدينة أورشليم إلى مستعمرة رومانية سماها « إيليا كابتولينا » وحرم على اليهود دخولها . وبذلك قُضي نهائياً على الكيان اليهودي .

وقد عاش اليهود منذ ذلك العهد طائفة دينية لها حرية العبادة . ولكنها كانت تتعرض للاضطهاد بسبب تعصبها ، وتطرفها العنصري ، ومعارضتها لتقاليد البلاد التي تسكنها ، ومخالفتها لسياسة الحكومات ومصالحها الوطنية . وكانت التسمية الشائعة للطائفة هي « اليهودية » أو « الموسوية » ، كما كان يطلق على أفرادها اسم « الإسرائيليين » و« العبرانيين » أيضاً . واذا كانت كلمات يهودي (أو موسوي) وإسرائيلي وعبراني أصبحت تفيد المعنى نفسه فإنه ظهر في القرون الأخيرة اتجاه إلى تخصيص اصطلاح « اليهودية » بالناحية الدينية ، و« العبرانية » بالناحية اللغوية ، و« الإسرائيلية » بالناحية السياسية ـ القومية . وتبعا لذلك فإن الكيان الصهيوني الذي اختلقته المؤامرات الاستعمارية في فلسطين قد أطلق عليه اسم (دولة إسرائيل) .

إسـرائيـل في الأمم المتحدة (عضوية ــ) :

نظمت المادة الرابعة من ميثاق الأمم المتحدة أحكام العضوية اللاحقة او العضوية بالانضمام في هذه المنظمة الدولية على النحو التالي :

" ١) العضوية في الأمم المتحدة مباحة لجميع الدول الأخرى المحبة للسلام التي تأخذ نفسها بالالتزامات التي يتضمنها هذا الميثاق ، والتي ترى الهيئة أنها قادرة على تنفيذ هذه الالتزامات وراغبة فيه .

" ٢) قبول أي دولة من هذه الدول في عضوية الأمم المتحدة يتم بقرار من الجمعية العامة بناء على توصية مجلس الأمن " .

وقد فسرت محكمة العدل الدولية في رأيها الاستشاري الصادر في ١٩٤٨/٥/٢٨ نص الفقرة الأولى من المادة الرابعة السالفة الذكر وبينت أن الجهة التي تتقدم للعضوية يجب أن تتوفر فيها الشروط التالية :

١) أن تكون دولة .
٢) أن تكون محبّة للسلام .
٣) أن تقبل التزامات الميثاق .
٤) أن تكون قادرة على تنفيذ تلك الالتزامات .
٥) أن تكون راغبة في تنفيذ تلك الالتزامات .

وكان قبول الأعضاء الجدد في الأمم المتحدة محل نقاش ونزاع شديدين ترتب عليهما عدم قبول أغلب الدول الراغبة في الانضمام . وبذا تعطلت أحكام المادة الرابعة عملياً لمدة تقرب من تسع سنوات . وعرف ذلك باسم « أزمة العضوية » ، وخلاصتها أن قبول العضو الجديد كان يخضع لعوامل سياسية يحت تتمسك بها كل من الكتلتين المتناهضتين في الأمم المتحدة . فالاتحاد السوفييتي * وقف في وجه كل دولة وجدها موالية للغرب مستعيناً على ذلك باستخدام حقه في النقض في مجلس الأمن (الفيتو) . في حين وقفت الكتلة الغربية بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية * في وجه كل دولة رأتها مرتبطة بالاتحاد السوفييتي مستعينة على ذلك بالأغلبية التي تمتعت بها داخل مجلس الأمن والجمعية العامة معاً . وقد ظل هذا النزاع قائماً من يوم ولادة الأمم المتحدة حتى ١٩٥٥/١٢/١٥ ، إذ تم الاتفاق بين العملاقين على ما عرف « بالصفقة الإجمالية *Package Deal* » وبموجبها انتهت أزمة العضوية .

في أثناء أزمة العضوية هذه وصل عدد الطلبات التي تعثرت ، إما في مجلس الأمن أو في الجمعية العامة ، إلى نحو ثلاثين طلباً لم يقبل منها سوى تسعة طلبات فقط : ثمانية منها لدول ساعدها وضعها السياسي المعروف خلال مرحلة إنشاء الأمم المتحدة على الحصول على العضوية ، أما الطلب التاسع الذي حظي بالقبول ، ولأسباب خاصة وشاذة ، فكان طلب الدولة الصهيونية (إسرائيل) . وهكذا كانت (إسرائيل) من الدول التسع المحظوظة التي وصلت إلى عضوية المنظمة الدولية في فترة عزّت فيها العضوية حتى على دول لا مراء في أنها تستحقها .

بدعم وتشجيع من الولايات المتحدة الأمريكية ، تقدمت الحكومة المؤقتة (لإسرائيل) في نهاية عام ١٩٤٨ بطلب انضمامها للأمم المتحدة في محاولة واضحة لإسباغ الشرعية الدولية على هذا الكيان الجديد . وفي الجلسة التي عقدها مجلس الأمن لمناقشة الطلب جرى حوار فقهي حاد بين المندوب السوري من جهة ومندوب الولايات المتحدة الأمريكية من جهة أخرى حول مدى انطباق شروط العضوية على (إسرائيل) . فقد أصر المندوب السوري في سياق مداخلته على أن (إسرائيل) ليست دولة بالمعنى المعروف في القانون الدولي ، فحدودها غير محددة ، كما أنها ليست محبة للسلام ، ولا أدل على ذلك من مسؤوليتها عن مقتل وسيط الأمم المتحدة الكونت فولك برنادوت ذاته ، إضافة إلى طابعها العدواني أصلاً . أما المندوب الأمريكي فقد راح يحاول البرهنة على جدارة إسرائيل بالعضوية ، ورفض الحجة السورية في وجوب كون الكيان السياسي ذا حدود محددة ومعروفة حتى نعدّه دولة بموجب قواعد القانون الدولي . وقد تجاهل بذلك ما استقر عليه التعامل الدولي حتى الآن ، بما في ذلك تعامل حكومته بالذات التي هي طرف في « معاهدة مونتيفيدو » الموقعة في ١٩٣٣/١٢/٢٦ ، والتي تنص على أنه لكي تعدّ الدولة شخصاً من أشخاص القانون الدولي لا بد أن تتوافر فيها أربعة عناصر ثالثها حيازتها « لإقليم محدد » .

في جلسة ١٩٤٨/١٢/٢ غدا واضحاً أن دولتين فقط في مجلس الأمن ، هما الولايات المتحدة الأميركية والاتحاد السوفييتي ، كانتا متحمستين للتوصية بقبول (إسرائيل) في الأمم المتحدة . أما بقية الدول الأعضاء في المجلس فقد كان رأيها أن قبول (إسرائيل) سابق لأوانه . وقد أحال مجلس الأمن ، حسب الأصول المرعية ، طلب القبول إلى « لجنة قبول الأعضاء الجدد فيه » . وبعد خمسة أيام أعلنت اللجنة " عدم تمكنها من جمع المعلومات الضرورية التي تخولها اتخاذ قرار البت في المسألة " .

وخروجاً على الإجراءات المعتادة قرر مجلس الأمن التصويت على القبول . لكن المشروع القاضي بذلك فشل في الحصول على الأصوات السبعة المطلوبة ، فقد صوتت إلى جانبه الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي وأوكرانيا والأرجنتين وكولومبيا وعارضته سورية ،

في حين امتنعت بلجيكا وكندا وفرنسا وبريطانيا والصين عن التصويت .

وفي شباط ١٩٤٩ تقدمت (إسرائيل) بطلب جديد لقبولها عضواً في الأمم المتحدة . وعرض الموضوع على مجلس الأمن في ١٩٤٩/٣/٤ . وعند إجراء الاقتراع صوّت ٩ أعضاء إلى جانب قبولها (الأرجنتين ، وكندا ، والصين ، وكوبا ، وفرنسا ، والنروج ، وأوكرانيا ، والاتحاد السوفيتي ، والولايات المتحدة الأميركية) في حين عارضت مصر هذا القبول ، وامتنعت بريطانيا عن التصويت . وفيما يلي نص قرار مجلس الأمن رقم ٦٩ (١٩٤٩) القاضي بالتوصية بقبول (إسرائيل) عضواً في الأمم المتحدة :

" إن مجلس الأمن ، وقد تلقى طلب إسرائيل الدخول في عضوية الأمم المتحدة ، ونظر فيه ، يقرر أن إسرائيل ، في رأيه ، دولة محبة للسلام وقادرة وعازمة على تنفيذ الالتزامات التي يتضمنها الميثاق . وبناء على ذلك يوصي الجمعية العامة بقبول إسرائيل لعضوية الأمم المتحدة " .

وأحيلت توصية مجلس الأمن هذه إلى الجمعية العامة للنظر فيها . وهناك تجددت المناقشات القانونية والسياسية حادة ودقيقة بين المجموعة العربية والأقلية من الدول الأعضاء التي وقفت معها تعارض قبول (إسرائيل) من جهة ، والأغلبية التي كانت بالغة الحماسة لقبول الدولة الصهيونية من جهة أخرى . وغدا واضحاً من المناقشات أن هذه الأغلبية التي تزعمتها الولايات المتحدة الأميركية خاصة أعارت أذناً صماء لكل الحجج القانونية التي سيقت ضد أهلية (إسرائيل) لعضوية المنظمة الدولية ، وأصرت على تفسير المادة الرابعة من الميثاق تفسيراً سياسياً محضاً بخدم هدفها في إدخال (إسرائيل) إلى الأمم المتحدة بأي ثمن . فقد تقدم لبنان مثلاً باقتراح في الجمعية العامة يدعو إلى إرجاء قبول عضوية (إسرائيل) إلى أن تعلن بوضوح قبولها تدويل القدس " وإعادة أو تعويض اللاجئين . لكن الاقتراح رفض حين حصل على ١٩ صوتاً فقط في حين عارضه ٢٥ دولة . واقترحت تشيلي تعديل مشروع قرار قبول (إسرائيل) بإدخال فقرة شرطية تنص على ما يلي : " إن مجلس الأمن ، إذ يشير إلى قرارات ١٩٤٧/١٠/٢٩ و ١٩٤٨/١٢/١١ والقرار رقم ١٩٤ (د ـ ٣) بخصوص حقوق اللاجئين ، وإذ يحيط علماً بأن الإيضاحات والشروط التي قدمها ممثل حكومة إسرائيل أمام اللجنة الخاصة بشأن تطبيق القرارات سالفة الذكر . . . " . لكن هذا الاقتراح ذاته لقي في البداية معارضة عنيفة من جانب مجموعة من الدول أصرت على وجوب قبول (إسرائيل) في الأمم المتحدة بلا قيد ولا شرط .

وأخيراً ، ولكي يضمن أنصار (إسرائيل) الأغلبية اللازمة لإصدار قرار يضمن لها العضوية كيفما كان ، وافقوا على الأخذ بالاقتراح التشيلي . وكان أن صدر قرار الجمعية العامة رقم ٢٧٣ (٣) بتاريخ ١٩٤٩/٥/١١ ونصه الآتي :

" إن الجمعية العامة ،

" وقد تسلمت تقرير مجلس الأمن بشأن طلب إسرائيل الدخول في عضوية الأمم المتحدة ،

" وإذ تلاحظ أن إسرائيل ، بحسب تقدير مجلس الأمن ، دولة محبة للسلام ، وقادرة على تحمل الالتزامات الواردة في الميثاق ، وراغبة في ذلك ،

" وإذ تلاحظ أن مجلس الأمن قد أوصى الجمعية العامة بقبول إسرائيل عضواً في الأمم المتحدة ،

" وإذ تلاحظ أيضاً تصريح دولة إسرائيل بأنها تقبل ، دون تحفظ ، الالتزامات الواردة في ميثاق الأمم المتحدة منذ اليوم الذي تصبح فيه عضواً في الأمم المتحدة ،

" وإذ تذكر قراريها الصادرين في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ وفي ١١ كانون الأول ١٩٤٨ ، وإذ تأخذ علماً بالتصريحات والإيضاحات التي صدرت عن ممثل حكومة إسرائيل أمام اللجنة السياسية الخاصة فيما يتعلق بتطبيق القرارات المذكورة . . .

" فإن الجمعية العامة ،

" عملاً بنادية وظائفها المنصوص عليها في المادة ٤ من الميثاق والقاعدة ١٢٥ من قواعد الإجراءات :

" ١) تقرر أن إسرائيل دولة محبة للسلام ، راضية بالالتزامات الواردة في الميثاق ، قادرة على تنفيذ هذه الالتزامات ، وراغبة في ذلك .

" وتقرر أن تقبل إسرائيل عضواً في الأمم المتحدة " .

وتجدر الإشارة إلى أن ٣٧ دولة أيدت هذا القرار في حين عارضته ١٢ دولة (أفغانستان ، بورما ، مصر ، الحبشة ، الهند ، إيران ، العراق ، لبنان ، باكستان ، المملكة العربية السعودية ، سورية ، اليمن) ، وامتنعت تسع دول عن التصويت . وهكذا أصبحت (إسرائيل) بدءاً من ١٩٤٩/٥/١١ العضو التاسع والخمسين في الأمم المتحدة .

وعلى إثر إعلان نتيجة التصويت تتابع المندوبون العرب واحداً بعد الآخر يعلنون أن قبول المنظمة الدولية (لإسرائيل) عضواً فيها ، إضافة إلى أنه عمل غير شرعي وفقاً لأحكام الميثاق ، لا يعني ولا يمكن أن يعني بحال من الأحوال اعتراف الدول العربية بها ، فالاعتراف كما يعرّفه القانون الدولي شيء مستقل تماماً عن الوجود مع الدولة المعنية في المنظمة الدولية . وقد تناقش الفقهاء الغربيون كثيراً حول هذه النظرية وانتهت غالبيتهم إلى الإقرار بأنها سليمة .

كان قبول (إسرائيل) في الأمم المتحدة أول قبول شرطي لدولة عضو ، وهو الوحيد حتى الآن . فقد جعلت هذه العضوية مرهونة باحترام الدولة الصهيونية لقرارات الأمم المتحدة الخاصة بالتقسيم ، وبحق العودة للشعب الفلسطيني المهجّر ، والتعويض عليه . غير أن (إسرائيل) التي التزمت رسمياً باحترام هذه القرارات لم تف بالتزاماتها بل ، على العكس تماماً ، اتجهت تصرفاتها قبل العضوية وبعدها في الطريق المضاد . فلا هي احترمت حدود التقسيم (رَ : تقسيم فلسطين) وشروطه ، ولا هي أقرّت ، أو تقرّ ، حق الشعب الفلسطيني في العودة (رَ : العودة ، حق) والتعويض . ورغم هذا كله لم تفكر المنظمة الدولية يوماً ما في مساءلتها عن خرق شروط العضوية ، أو حتى عن إمعانها في خرق التزاماتها بموجب الميثاق . وهو ما يبرر من الناحية القانونية فصلها من الأمم المتحدة عملاً بالمادة السادسة منه .

لقد كان نجاح الحركة الصهيونية وحلفائها في إدخال (إسرائيل) منظمة الأمم المتحدة الانتصار الكبير الثاني من حيث الأهمية بعد إنشاء الدولة ذاتها .

المرجع :

ـ وثائق الأمم المتحدة : السنة الرابعة ، آذار ١٩٤٩ .

« إسرائيل الكبرى » : رَ : التوسعية الصهيونية

أسطول : رَ : معاوية (أسطول ـ)

إسعاد الطفولة (بيت ـ) :

مدرسة أسسها الاتحاد النسائي العربي الفلسطيني * في لبنان عام ١٩٥٧ وظل يتفرد في الإشراف عليها حتى عام ١٩٧٠ حين بدأت مؤسسة الشؤون الاجتماعية ورعاية أسر الشهداء والأسرى * التابعة لحركة التحرير الوطني الفلسطيني * (فتح) بالمساهمة في دعم المدرسة مادياً .

تستوعب المدرسة الأطفال من سن الرابعة فما فوق . وتضم صفوفاً من الحضانة حتى الصف الثالث التكميلي (الإعدادي) . تتكفل المدرسة بجميع نفقات رعاية وتعليم أولاد الشهداء والأسرى والعاملين في صفوف الثورة الفلسطينية بغض النظر عن جنسياتهم . وينطبق هذا أيضاً على الأطفال الأيتام والمحتاجين من الفلسطينيين واللبنانيين على حد سواء . أما غير هؤلاء فإن المدرسة تستقبلهم ، بغض النظر عن جنسياتهم ، مقابل رسوم مقررة للتعليم والإقامة .

تضم المدرسة إلى جانب رياض الأطفال فرعين رئيسيين هما : فرع التعليم النظري الذي يدرس فيه المنهاج المعتمد في وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة في لبنان ، إضافة إلى دروس خاصة عن جغرافية وتاريخ فلسطين ، وفرع التعليم المهني الذي يضم أقساماً لتعليم الحرف المختلفة . وقد زودت المدرسة بما تحتاج إليه من أدوات ومعدات وأجهزة ومختبرات كي تتحقق الأهداف التي وضعت للمدرسة على مختلف الصعد من علمية وثقافية واجتماعية ورقومية .

المرجع :

ـ شؤون فلسطينية : العددان ٦ و ٤٣ ، بيروت .

إسعاف النشاشيبي : رَ : محمد إسعاف النشاشيبي

أسعد الشقيري (١٨٦٠ ـ ١٩٤٠) :

رجل دين ولد في مدينة عكا * وتلقى تعليمه الابتدائي فيها، ثم قصد مصر والتحق بالجامع الأزهر وواظب على حضور حلقة الشيخ جمال الدين الأفغاني وحلقة خلفه الشيخ محمد عبده .

عاد إلى عكا بعد أن أنهى دراسته في الأزهر وعين قاضياً للمحكمة الشرعية في قرية شفاعمرو* . ونقل سنة ١٩٠٤ إلى مدينة اللاذقية قاضياً للتحقيق فيها . وبعد عام رحل إلى الآستانة حيث تعرّف على الشيخ أبي الهدى الصيادي الذي عمل على تعيينه أحد أمناء مكتبة السلطان عبد الحميد* . ثم عيّن رئيساً لمحكمة الاستئناف الشرعية في أدنه . ولكن إقامته لم تطل ، فقد اعتقلته السلطات العثمانية وأبعدته إلى قلعة تبنين في جنوبي لبنان . وبعد إعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ أفرج عنه ، وعاد إلى عكا ، ورشح نفسه لمجلس المبعوثان* العثماني فنجح ، وعاد إلى استانبول .

انضم أسعد الشقيري إلى حزب الاتحاد والترقي * التركي وأصبح من أركانه . وحين أعلنت الحرب العالمية الأولى عيّن مفتياً للجيش العثماني . وأصبح من أقرب المقربين إلى القائد التركي جمال باشا . وقد لجأ عند انتهاء الحرب إلى أدنه حيث أقارب زوجته . ثم عاد بحراً الى حيفا * فاعتقلته السلطات البريطانية مدة ١٤

شهراً ، ثم أطلقت سراحه فعاد إلى عكا ليعمل في الوعظ والإرشاد إلى أن توفي ودفن في مقبرة الشيخ مبارك .

المراجع :

ـ يعقوب العودات : من أعلام الفكر والأدب في فلسطين ، عمان ١٩٧٦ .

أسعد قدورة (١٨٨٠ ـ ١٩٥٩) :

مفتي صفد والقاضي الشرعي في شمالي فلسطين . ولد في مدينة صفد * ، وتلقى دراسته الأولى في دمشق ، ثم انتقل إلى الأزهر حيث تابع دراسته الدينية وتتلمذ على يدي الشيخ محمد عبده في آخر أيامه .

عاد إلى مدينته بعد أن أنهى دراسته وأنشأ فيها مدرسة وطنية في الجامع الأحمر عني فيها بتعليم اللغة العربية . وفي العهد العثماني شغل وظائف كثيرة في سلك القضاء * ، ثم عيّن مفتياً لصفد أثناء الحرب العالمية الأولى .

وفي فترة الانتداب البريطاني شارك أسعد قدورة في الحركة الوطنية ، وبخاصة في الثلاثينات . عينه المجلس الإسلامي الأعلى * قاضياً شرعياً في الناصرة * وعكا * وصفد . وقد قاوم عمليات بيع الأراضي للصهيونيين ، وكان أحد المرقمين على الفتوى الصادرة في ١٩٣٥/١/٢٦ عن مؤتمر علماء فلسطين * المنعقد في القدس بشأن بيع الأرض للصهيونيين ، وجاء فيها : " إن بائع الأرض للبهود في فلسطين ، سواء كان ذلك مباشرة أو بالواسطة ، وإن السمسار والمتوسط في هذا البيع ، والمسهّل له ، والمساعد عليه . . كل أولئك ينبغي ألّا يصلى عليهم ولا يدفنوا في مقابر المسلمين ، ويجب نبذهم ومقاطعتهم واحتقار شأنهم وعدم التودد إليهم والتقرب منهم ولو كانوا آباء أو أبناء أو إخواناً أو أزواجاً " .

شارك في عدد من المؤتمرات ، ومنها المؤتمر العربي الفلسطيني * السابع سنة ١٩٢٨ ، ومؤتمر علماء فلسطين . وبعد نكبة سنة ١٩٤٨ نزح إلى دمشق وفيها توفي ودفن .

المراجع :

ـ عجاج نويهض : رجال من فلسطين ، بيروت ١٩٨١ .

ـ أكرم زعيتر : وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية ، بيروت ١٩٧٩ .

الإسفلت : ر : المعادن

إسكندرونة (نهر ـ) :

ويعرف أيضاً باسم نهر المالح . تتكون بدايات هذا النهر من تجمّع مسيلات مائية موقتة تجري فيها مياه أمطار المنطقة الواقعة بين قرى كفر ندوم والكور وكفر عبّوش . ويسير الوادي المكوّن منها نحو الغرب شمال قرية كفر جمال وفلمة (أو فلامة) . ويعرف النهر هنا بوادي إسكندرونة ، وهو يسير في الأقدام الغربية لجبال نابلس * ويحزّ مجراه في صخورها . وبعد نطع مسافة ١٢ كم يدخل السهل الساحلي الفلسطيني * ، ثم ينعطف نحو الشمال بزاوية قائمة ويسير متعرجاً ماراً ببلدة قلنسوة ، ثم يتخذ بعدها محوراً شمالياً شرقياً حتى أراضي قرية قاقون * . وهناك يرفده وادي زِمّر القادم من جبال نابلس ماراً شمالي طولكرم * . وبعد التقاء النهر برافده زمّر ينحو كيلومترين ينعطف النهر نحو الغرب ـ الشمال الغربي متعرجاً في أرض السهل الساحلي باتجاه البحر المتوسط ، مخترقاً سهل الحوارث ورمال الساحل حتى يصب في البحر عند ميناء أبو زابورة شمالي قرية أم خالد العربية ونتانيا * الصهيونية بين أراضي عرب الفيعات * في الشمال وأراضي عرب الحوارث في الجنوب . ويكون النهر قد قطع مسافة قدرها ٣٧ كم بدأت بارتفاع متوسط قدره ٣٠٠ ـ ٣٢٥م فوق سطح البحر ، وبذا يكون مقدار الانحدار ١ : ١٢٤ تقريباً ، لكنه كبير في المجرى الأعلى ضمن أقدام الجبال والتلال * ، وقليل في السهل الساحلي الفلسطيني .

يقسم مجرى النهر إلى ثلاثة أقسام ، الأول منها واد سيلي يشغل معظم أجزاء النهر العليا والوسطى . والقسم الثاني يصبح فيه النهر مستمر الجريان بما يتلقاه من تغذية روافد وينابيع ومياه جوفية في المجرى الأدنى (رَ : عيون الماء) . أما القسم الثالث فطوله ٢,٦ كم حتى المصب ، وفيه يصبح النهر عريضاً دائم الجريان يتجاوز عرضه ٥٠ م ويصلح لسير الزوارق والمراكب الصغيرة فيه .

مساحة حوض نهر إسكندرونة مع جميع روافده والسيول المنتهية إليه ٥٦١ كم٢ . وهو ، أي الحوض ، مؤلف في أجزائه الجبلية والعليا من صخور رسوبية عائدة للحقبة الجيولوجية الثالثة (السينوماني ـ التوروني) ، ويغلب عليها الحجر الكلسي والدولوميتي (رَ : الصخور) ، في حين تسود بقية قطاعاته (الوسطى والدنيا) ترسبات رباعية لحقية ـ فيضية ومجروفات مائية سيلية من حصى وأحجار ورمال وغيرها من المواد الناعمة المكوّنة لأرض السهل الساحلي الفلسطيني . ويمر النهر في منطقة مصبه بين تلال وكثبان رملية ساحلية بعضها من تلال الكركار الرباعية . وهكذا فإن بناء وبنية حوض النهر بسيطان إذا استثني سير جزء من المجرى الأعلى للنهر على امتداد صدع شرقي ـ غربي ، وكذلك

مسايرة رافده وهو يمرّ في جزء من مجراه الأوسط لصدع شرقي ـ غربي آخر . ومن الجدير بالذكر ان المجاري العليا لهذا الرافد تمر في مناطق صخور سينونية ـ ايوسينية في الأجزاء الغربية من جبال نابلس . ولما كانت انحدارات المقطع الطولي لنهر إسكندرونة وروافده شديدة في الأجزاء الجبلية والتلية المكوّنة من صخور الحقبتين الثانية والثالثة القاسية نسبيا فإن المياه تسيل في واد عميق ضيق محفور في الصخور المذكورة . أما في المنطقة الرباعية في السهل الساحلي الفلسطيني فإن ضعف الانحدار يسبب تعرج النهر وعدم تعمق واديه كثيراً في التوضعات الطرية . ويصبح الانحدار في الكيلومترات الأخيرة من النهر ضعيفاً جداً ، حتى إن الفيضانات تسبب نشوء برك ومستنقعات * على جانبي النهر جفف معظمها وحوّل إلى برك لتربية الأسماك * .

يخضع نظام جريان مياه نهر إسكندرونة للنظام المناخي السائد

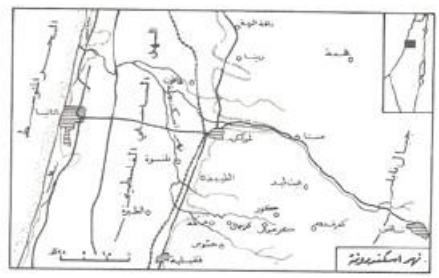

في الساحل الفلسطيني والسفوح الغربية لجبال فلسطين (رَ : المناخ) ، وتهطل في الشتاء أمطار تراوح كمياتها بين ٥٠٠ و ٦٠٠ مم سنوياً ، فتسيل المياه على شكل سيول وفيضانات تملأ الأودية والروافد العليا للنهر ، في حين تنقطع في بقية فصول السنة ، ولا سيما في الصيف ، فتجف بطون الأودية ولا يبقى جارياً من مياه النهر سوى مياه المجرى الأدنى . وإن تبقّى في بعض الحفر شيء من الماء فإن حرارة الصيف العالية (متوسط الحرارة الصيفية ٢٦°) والتبخر الشديد (مقدار التبخر الصيفي في شهر تموز ١,٨٠٠ ـ ٢,٠٠٠ مم) يسببان جفاف الأودية وتبخر مياهها ، عدا ما يتسرب منها ضمن صخور بطن الوادي .

النشاط السكاني ـ الاقتصادي : حوض نهر إسكندرونة من المواطن القديمة التي عمرها الإنسان ، ومارس جوانب نشاطه الاقتصادي المختلفة فيها ، في السهل وفي التلال وفي الجبال ، من ساحل البحر وحتى مرتفعات نابلس . فقد عثر في موقع قرية أم خالد العربية على أدوات وأحجار صوانية (طران) تدل على سكنى إنسان العصور الحجرية في حوض نهر اسكندرونة والسهل الساحلي الفلسطيني (رَ : العصور القديمة) . وتنتشر الخرب والآثار القديمة العائدة لما قبل العهد الروماني ، وتشهد الأسماء الكنعانية والسريانية على نشأتها القديمة (رَ : الخرب والأماكن الأثرية) . واستمر إعمار واستغلال الإنسان لهذه البقعة من فلسطين حتى اليوم ، وما زالت بعض القرى والمدن القديمة قائمة ، منها طولكرم وقاقيلية * وعنبتا * والطيبة * والطيرة * وحتّ وغيرها .

اعتمدت الحياة في حوض النهر على الزراعة * والرعي * ، فقد قامت الزراعات المختلفة من زراعة الحبوب * والأشجار المثمرة ، وفي مقدمتها الحمضيات * والزيتون * ، وازدهرت في الأجزاء المنخفضة والسهل ، إلى جانب تربية المواشي ولا سيما في الأجزاء العليا والتلال . وتزرع الحبوب بعلاً بمساندة قليلة من الري في حين تعد بقية الزراعات مرويّة . أما أشجار الفواكه ، عدا الحمضيات ، فهي أقل أهمية ونعتمد على الري . وقد تراجعت زراعة أشجار الزيتون من السهل أمام انتشار زراعة الحمضيات ، فما عادت أشجار الزيتون تُرى إلاّ في أجزاء المجرى الأعلى للنهر حيث تتوزع مساحات الزيتون على التلال والمرتفعات الغربية لجبال نابلس متناوبة مع حقول القمح * والشعير والخضر * وأشجار الفاكهة . وقد انتشرت تربية المواشي من أغنام ومعز وأبقار في حوض نهر إسكندرونة (رَ : الحيوانات الأليفة) . والبقاع الوحيدة التي تكاد تخلو من الزراعات هي الكثبان الرملية قرب الساحل ، ومناطق الصخور الجرداء في الداخل ، ومناطق المستنقعات التي حوّل معظمها إلى أحواض لتربية الأسماك .

وتنتشر في منطقة حوض النهر شبكة كثيفة من طرق المواصلات البرية للسيارات وللقطارات تربط المنطقة بجميع أنحاء القطر الفلسطيني ، مما يسهل عملية التطور والتنمية وانتشار العمران (رَ : الطرق) . وانطلاقاً من إدراك الصهيونيين للأهمية الاقتصادية لهذه المنطقة بدأوا أعمال استيلائهم على أراضيها بشتى الأساليب ميكرين ، تشهد على ذلك حادثة أراضي سهل وادي الحوارث * (منطقة المجرى الأدنى من نهر اسكندرونة) وتدخّل سلطات الاحتلال البريطاني لصالح الصهيونيين ، واحتلال المنطقة بأكملها بعد ١٩٤٨ ، وطرد سكانها العرب منها ، وإقامة المدن والمستعمرات الصهيونية على أراضيهم (رَ : القرى العربية المندثرة قبل ١٩٤٨) .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٣ ق ٢ ، بيروت ١٩٧١ ، ج ١ ق ٢ ، بيروت ١٩٧٢ .

ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠٠,٠٠٠ ، لوحات نابلوس وطولكرم وسلفيت ويافا ـ تل أبيب .

الإســـلام :

حمل المسلمون رسالة الإسلام في حماسة بالغة إلى الناس في أطراف الجزيرة العربية وما يتلوها من بلاد بعد أن ملك الإيمان عليهم أنفسهم ، ولفت القرآن الكريم أنظارهم إلى عالمية الدعوة ، وكلّفهم تبليغها للناس . ففامت حركة الفتوح الإسلامية لتمهيد الطرق أمام الإسلام الذي وجد طريقه إلى القلوب بالحجة والإقناع .

كانت فلسطين آنذاك تحت حكم الإمبراطورية البيزنطية ، وبحكم موقع البلاد وجوارها لمهد الإسلام كانت من أسبق البلدان التي تطلع المسلمون إليها .

ويرجع تطلع المسلمين إلى نشر الإسلام في فلسطين إلى عهد النبي ﷺ ، وتأتي ذلك كُتُبُ الرسول التي بعثها إلى حكام فلسطين والبلدان المجاورة ودعاهم فيها إلى الإسلام ، والبعوث التي وجهها إلى أطراف بلاد الشام . فقد جهّز بعث مؤتة في السنة الثامنة للهجرة / ٦٢٩م ، ثم خرج النبي ﷺ بجيشه في السنة التي تلتها إلى تبوك . وكان قد أعدّ قبيل وفاته (١١ هـ / ٦٣٢م) جيشاً بقيادة أسامة بن زيد وأمره أن يوطىء الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين .

وسار أبو بكر الصدّيق على النهج الذي بدأه النبي فاختار عمرو بن العاص * ـ أحد أبرز القادة ـ لفتح فلسطين وتحريرها من ربقة الروم . وحينما اتجه عمرو بن العاص إلى فلسطين أوصاه الخليفة الأول وصية أشبه ما تكون بالخطّة العسكرية يُعرف منها حرص أبي بكر على المسلمين ، وسلوك الأمراء مع سكان البلاد التي اتجهوا إليها ، وضرورة الوفاء لهم بعهودهم .

التقى المسلمون بقيادة يزيد بن أبي سفيان * بالروم في وادي عربة سنة ١٣هـ / ٦٣٤م ، وكانت الروم بقيادة سرجيوس بطريق فلسطين ، وكان مقره قيسارية * جنوبي حيفا * . ونجح المسلمون في دحر الروم ، واضطروهم أن يرتدوا إلى غزة * بعد أن أفنوا الكثيرين منهم . كما ألحق عمرو بن العاص الهزيمة بجيوش بيزنطة في أجنادين ـ بلد بين الرملة * وبيت جبرين * ـ واضطرت إلى التراجع نحو بيت المقدس بقيادة الأرطبون . وكان المسلمون قد أحرزوا نصراً حاسماً في اليرموك أدى إلى تسلّمهم زمام بلاد الشام (رَ : اليرموك ، معركة) .

وقد استطاعت الجيوش الإسلامية بعد المعارك الحاسمة التي خاضتها أن تثبّت أقدامها في فلسطين ، وفتحت بيسان * وطبرية * ، وأذعنت لهم كل من : بيت جبرين ، ونابلس * ، واللد * ، وغزة ، ورفح * ، وعسقلان ، ويافا * ، وعكا * ، وعمواس . وفرضوا الحصار على بيت المقدس أربعة أشهر استسلم بعدها البطريق صفرونيوس لهم بشرط أن يتسلم المدينة الخليفة نفسه . فقبل عمر بن الخطاب * ذلك ، ودخل بيت المقدس ، وكتب لأهلها عهداً أنهم فيه على دينهم وأنفسهم وأموالهم وفرض عليهم جزية زهيدة (ر : ايلياء ، عهد) .

كان لفتح بيت المقدس سنة ١٦هـ / ٦٣٦ م وقع عظيم لدى المسلمين لأهميتها الدينية ، فهي مسرى الرسول ﷺ ومنها عرّج إلى السماء ، كما أنها أولى القبلتين . وقد ترك الفتح أثراً واضحاً في معنويات المتحاربين ، فزاد النصر المسلمين إصراراً على إتمام الفتوح ، وبذلوا في ذلك كثيراً من الدماء ، وخذلت بيزنطة وزال نفوذها عن البلاد إلى الأبد ، واستراح السكان من استبدادها الديني والضريبي والسياسي .

وقد أعقب حركة الفتح انتشار الإسلام في فلسطين واستقرار العرب فيها .

وكانت فلسطين معروفة في وقت مبكر من تاريخها عند العرب الذين أقاموا على أرضها وازدادت جموعهم منذ القرن الثالث الميلادي حتى ظهور الإسلام ، ومن ذلك توطن لخم * وجذام * في جنوبي فلسطين (ر : العرب قبل الإسلام في فلسطين) .

ومع موجة الفتوحات الطائرة اتسعت الهجرة ، وزاد استقرار العرب وتوطنهم في البلاد ، ولا سيما بعد أن اتخذت طبرية واللد مراكز رئيسة للأجناد ، كما وضعت حاميات في المدن الساحلية كقيسارية وعسقلان ، ووطنت تلك الحاميات بمنحها الأراضي منذ عهد الخليفتين عمر وعثمان .

وتشير المصادر في مطلع العصر الأموي * إلى القبائل الكبرى في فلسطين ، ومنها كنانة وقيس * وعاملة * وبلقين وكندة * وكلب * ، إضافة إلى لخم وجذام الذين أسلموا بعد الفتح . وقد تفرعت من تلك القبائل بطون وعشائر سكنت فلسطين ، سهلها وجبلها وأطراف صحرائها وأوديتها .

وقد عجّل ذلك التوطن ، واتخاذ بعض الخلفاء والأمراء من مدن البلاد وقراها وغورها مقراً لهم ، وتشييد مدينة الرملة وغيرها من العمائر الإسلامية في الوسط الفلسطيني ، عجّل بصبغ فلسطين بالصبغة العربية الإسلامية ، وما ان حل الصدر الأول من العصر العباسي * حتى كان تعريب البلاد وسيادة الدين الإسلامي قد بلغا الذروة .

ويقسم المجتمع الإسلامي في فلسطين بوجه عام إلى حضر وبدو . والحضر هم أهل المدن والقرى ، وقد اتصفت حياتهم

بالاستقرار ، واشتغلوا بالنشاط الاقتصادي من تجارة * وزراعة * وصناعة * . وكانت مدن فلسطين ، كبيت المقدس والخليل * وبير السبع * وغزة ونابلس والرملة ويافا وحيفا وعكا ، المحور الأساسي لنشاط الحضر ، وكانت مساجدها مراكز إشعاع لنشر الإسلام . وقد أرسل عمر بن الخطاب إلى فلسطين معاذ بن جبل * ، وهو من أعلم الناس بالحلال والحرام ، وعبادة بن الصامت * وعبد الرحمن بن غَنْمْ شيخ أهل فلسطين لتعليم الناس أمور الدين . وظهر بعد هؤلاء كثيرون قاموا بالمهمة نفسها على اختلاف عهود تاريخ فلسطين .

وقد نبغ من أهل فلسطين كثيرون في الإدارة * والسياسة والحرب والعلم والفقه والحديث والتعليم والقضاء * ساهموا ، مع غيرهم من علماء الأمصار الأخرى ، في إقامة الحضارة العربية الإسلامية وازدهارها .

وقد حفلت المدن الفلسطينية بحياة اجتماعية نشطة تجلّت في الأعياد الدينية التي شارك في إحيائها المسلمون كافة ، وحرصوا على إضفاء قدر من البهاء عليها ، لا سيما عيدي الفطر والأضحى ومولد النبي ﷺ ، فضلاً عن شهر رمضان .

أما القبائل فكانت هجرتها إلى فلسطين في صدر الإسلام تقوم على أسس عسكرية واقتصادية ، وشجع الخلفاء الهجرة إلى الأمصار وفق متطلبات الجهاد ، وشحن السواحل بالمقاتلين ، وإقطاع من ينزلها القطائع . كما مُنِحت الأراضي الخالية في الأماكن النائية ، أو الاستراتيجية التي جلا عنها أهلها عند الفتح ، للقبائل المهاجرة وللقبائل التي سبقت بالاستقرار . وكان عثمان بن عفان قد استنّ سياسة إنزال العرب بمواضع نائية من المدن والقرى ، وأذن لهم في اعتمال الأرضين التي لا حقّ فيها لأحد . أما المناطق التي أقام عليها أهلها فقد تركت زراعتها للفلاحين وأهل القرى منهم .

وقد استمرت بعض القبائل على حياة البداوة وتربية الماشية ، واستقر بعضها الآخر في الحواضر والإقطاعات التي منحت لهم . وكان الحكام قد استغلوا الصوافي ـ وهي التي قتل أصحابها أو جلوا عنها ـ في منح الإقطاعات للقبائل أو الأفراد ، فعمّ الاستقرار مناطق متعددة في فلسطين .

إن دخول الأقوام غير العربية في الإسلام جعل مسلمي فلسطين يرجعون إلى أصول جنسية مختلفة ، لكنهم عاشوا في البلاد شعباً واحداً ذا لغة واحدة مدة أربعة عشر قرناً مضت .

ومعظم سكان فلسطين قبل الغزو الصهيوني مسلمون أكثرهم سنيّون ،وهم ينقسمون إلى مذاهب أربعة ، كانت نسب أتباعها على عهد الانتداب البريطاني ٧٠٪ شافعيون ، ٢٠٪ حنفيون ، ٩٪ حنابلة ، أما أتباع الإمام مالك فكانت نسبتهم ١٪ . ولكل مذهب من هذه المذاهب قاض يحكم بين أفراد فقته على أساس مذهبهم الديني (ر : المذهب الشافعي والمذهب الحنفي والمذهب الحنبلي) .

وقد نظر المسلمون إلى أصحاب الديانات الأخرى نظرة تسامح انطلاقاً من دعوة الإسلام إلى بناء العلاقات الإنسانية على أساس من المحبة والعدالة والمساواة .

وقد كانت سياسة المسلمين في فلسطين تقوم على تأمين الناس على أنفسهم وأموالهم ، وأكّدت كتب الصلح هذه السياسة ، فكتاب عمر بن الخطاب إلى أهل بيت المقدس لا يقتصر على منح الأمان لأهل المدينة فحسب ، بل شمل الروم ومن كان بها من أهل الأرض : " من أقام منهم فهو آمن ، ومن شاء أن يخرج إلى الروم كان له ذلك " ، وحينما استردّ صلاح الدين الأيوبي " بيت المقدس من الفرنجة " سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م سار على هدي ذلك التسامح في معاملة الصليبيين المغلوبين .

وقد انتظمت الدولة الإسلامية في فلسطين كل من كان يعيش تحت سمائها في حرية وصفاء ما التزم بشروط الصلح ودفع الجزية . وقد توخى المسلمون العدالة في جباية الجزية التي فرضت على القادرين من الرجال دون النساء والأطفال بشكل يقلّ عما كانوا يدفعونه للروم من ضرائب . كما كانت تجبى في الوقت الملائم فلا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم (ر : الضرائب) .

وإلى جانب تأمين الأنفس والأموال أمّن المسلمون أهل الذمة في عقائدهم ، فلم يرغموا أحداً منهم على الدخول في الإسلام ، بل أعطى عمر بن الخطاب أهل بيت المقدس وأهل لدّ ومن دخل معهم من أهل فلسطين أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبهم وسقيمهم وبريئهم وسائر ملّتهم ، " أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيّزها ولا مللها ، ولا من صُلُبهم ولا من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم " . فعاش أهل الذمة في فلسطين في ظلال وارفة من تسامح المسلمين على امتداد الحكم الإسلامي بوجه عام . وأدّوا شعائرهم الدينية دون أن يتعرّض لهم أحد .

وقد لجأت الدول الإسلامية في معظم فترات تاريخها إلى سياسة التعايش الديني . والإسلام لا يميل إلى استخدام القوة أو العنف لنشره بل يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة ، ويجادل الناس بالتي هي أحسن . وكان دور الفتوحات أن هيأت السبل أمام وصول دعوة الإسلام للناس في فلسطين ، فمن قبلها دخل في جماعة المسلمين ، ومن أبى فليس عليه للمسلمين إلاّ ما عوهد عليه .

وعندما استقر المسلمون في فلسطين تدفقوا في أرجاء البلاد ينشرون دينهم في حماسة دائبة تنفيذاً لأمر الله واقتداء بسنة رسوله ، واتخذوا من دينهم منهجاً يسيرون عليه في حياتهم بعد أن تشبّعوا بروح الإسلام ، وضربوا الأمثلة على التمسك بأصوله وقواعده ، مما يسر أمر انتشاره .

وقد توطّدت الصلات الودية بين المسلمين وسواهم من أصحاب الديانات الأخرى ، وأخذوا في الاندماج السلمي عقب حركة الفتوح ، وأخذ التماثل في العادات والأخلاق يتم تدريجياً ، ونقل ديوان فلسطين من الرومية (اليونانية) إلى اللغة العربية في عهد عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي . ولا شك في أن هذه الأمور مجتمعة قد تركت صدى في الحياة الدينية والفكرية لدى الكثيرين فأقبلوا على دخول الإسلام وتعلم اللغة العربية عن اختيار وإرادة حرة .

وكان الفتح الإسلامي قد أيقظ القرابات القديمة بين عرب فلسطين وإخوانهم من عرب الجزيرة ، وجمعتهم وحدة اللغة والجنس ، فأقبلت قبائل فلسطين على اعتناق الإسلام ، وشاركت في حركة الفتوح الممتدة إلى الغرب والشمال ، وتحقق التواصل الاجتماعي بين العرب الوافدين والسكان المقيمين .

ولا شك في أن الحياة الفكرية التي ازدهرت في العالم الإسلامي منذ القرن الثاني الهجري قد حملت الكثيرين على اعتناق الإسلام ، وغدت فلسطين بلداً عربياً إسلامياً .

المراجع :

ـ توماس أرنولد : الدعوة إلى الإسلام (مترجم) ، القاهرة ١٩٧٠ .
ـ البلاذري : فتوح البلدان ، القاهرة ١٩٥٦ .
ـ جاك ريسلر : الحضارة العربية (مترجم) ، القاهرة .
ـ حامد عبد القادر : الإسلام ظهوره وانتشاره في العالم ، مصر ١٩٥٦ .
ـ ويل ديورانت : قصة الحضارة (مترجم) ، القاهرة ١٩٦٤ .
ـ شكري فيصل : المجتمعات الإسلامية في القرن الأول ، بيروت ١٩٧٣ .
ـ الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، القاهرة ١٩٦٩ .
ـ مصطفى مراد الدباغ : الموجز في تاريخ الدول العربية وعهودها في بلادنا فلسطين ، بيروت ١٩٨٠ .
ـ الواقدي : فتوح الشام ، بيروت ١٩٦٦ .
— The Encyclopaedia of Islam, New Edition, Leiden, 1960.

إسماعيل (النبي) :

إشماعيل ، أو إسماعيل كما اشتهرت لسهولة النطق ، هو جدّ

العرب المستعربة . ويعتقد أنه أول من نطق بالعربية . تختلف المعلومات عنه في تفاصيلها بين كتب الرواة وما تذكره التوراة بشكل خاص . وهو ابن إبراهيم الخليل * من زوجه هاجر (وهي أَمَة سارة زوج إبراهيم الأولى) . تذكر المصادر أن إسماعيل كان مقرباً من أبيه لدرجه أنه ختنه وهو في الثالثة عشرة من عمره . كما تذكر أنه كان على علاقة سيئة بإسحق * أخيه من أبيه وسارة . ويبدو أن تأثير سارة على إبراهيم قد أدّى بالنهاية إلى انفصال إسماعيل ووالدته هاجر عن أبيه إبراهيم .

حقق أولى معجزاته أثناء مساعدته أباه على بناء البيت الحرام ، وكاد يموت من الظمأ إلى أن أمره هاتف بحفر البئر المشهورة زمزم . أنام إسماعيل وهو في طريقه إلى مصر برفقة أمه فترة في صحراء باران (أو فاران) وعاش على الصيد . وتضيف بعض المصادر أنه تزوج للمرة الأولى من إحدى نساء نبيلة جرهم ، وأن والده أكرهه على تركها بعد زيارته إياه للمرة الأولى ، في حين تذكر مصادر أخرى أنه تزوج بإيحاء من أمّه من سيدة مصرية ، وأنه أنجب اثني عشر ولداً من الذكور ، وسكنت جماعته بادية الشام وهادار (أو حدر) ، وتيما ، ويطور ، ونافيش ، وكيديما (أو قيدما) ومن هؤلاء تحدرت اثنتا عشرة قبيلة عربية بادت سريعاً باستثناء نابت وقيدار * اللتين استمرتا لفترات أطول وذكرهما الأخباريون العرب . كما رزق بابنة هي ماهالات أو باشمات . وقد اتخذت ذريته مكاناً لإقامتها بين هافيلا (أو حويلة) وشور في القسم الشمالي من الصحراء العربية . وقد أطلق عليها اسم « الإسماعيليين » أو « الهاجريين » ، وفي أزمنة متأخرة اسم ساراكنس *Saracens* .

تذكر الروايات أنه عندما حضرت إسماعيل الوفاة كان قد بلغ من العمر مائة وسبعة وثلاثين عاماً ، وأنه أوصى بزواج ابنته الوحيدة من ابن عمها عيسو أو العيص بن إسحق ودفن عند قبر أمه هاجر .

المراجع :

ـ جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، بيروت ١٩٦٦ .
ـ سفر التكوين .
ـ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١ ، بيروت ١٩٦٦ .
ـ الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ١ ، القاهرة ١٩٦٧ .
— Fleming: The Dictionary of the Bible London 1910.

إسماعيل بن إبراهيم بن محمد (٧٨٢ ـ ٨٥٢ هـ) (١٣٨٠ ـ ١٤٤٨م) :

ابن شرف المقدسي ، الشافعي ، عماد الدين ، أبو الفداء ، فقيه ، فرضيّ ، حاسب ، متأدب .

ولد ابن شرف في بيت المقدس ونشأ فيه . واشتغل بالعلم فحفظ القرآن ، وحفظ كتباً كثيرة ، وأخذ العلم والحديث عن علماء بلده .

ولازم شهاب الدين بن الهائم المتوفى سنة ٨١٥هـ/١٤١١م ، وقرأ عليه غالب تصانيفه ، وانتفع به كثيرا في العلوم الرياضية وغيرها من العلوم . وحصل منه على الإجازة . ووصف السخاوي تلك الإجازة بأنها إجازة حافلة .

تفوّق ابن شرف وصار إماماً في الحساب بأنواعه ، كما يقول السخاوي . وصار عالما بعلوم الوقت ، والفرائض ، والفقه ، مبرّزاً في النحو ، متقدّماً في الأصول ، واسع الاطلاع في المعقول والمنقول . ووصفه مجير الدين الحنبلي صاحب « الأنس الجليل » فقال : "عين فقهاء الشافعية " .

توجّه إلى مكة حاجّا . ومن ثم رحل إلى القاهرة في سبيل العلم فأخذ عن علمائها ، ومنهم أحمد بن حجر العسقلاني *، وجلال الدين البلقيني ، وولي الدين العراقي ، وغيرهم . وكان ابن شرف عند قدومه عانى الفقر والبؤس ، فكان يبيع البطيخ على باب الجامع الأزهر ، وبلغ أمره أحد العلماء فعهد إليه بتعليم أولاده مقابل أجر .

عاد ابن شرف إلى بيت المقدس وصار أحد أركان العلم فيه ، ودرّس العلوم الشرعية ، والعلوم اللغوية ، والعلوم الرياضية ، بالمدرسة الصلاحية في بيت المقدس .

صنّف ابن شرف مصنفات كثيرة : ففي الفقه والأصول صنّف توضيحاً لكتاب « البهجة الوردية » لزين الدين عمر بن مظفر الوردي المتوفى سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٧م ، في مجلدين . وله مصنف وضعه حول كتاب « التنبيه في فروع الشافعية » للشيخ أبي إسحق إبراهيم بن علي الشيرازي المتوفى سنة ٤٧٦هـ/١٠٨٢ م .

ومنها مختصر كتاب طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي المتوفى سنة ٧٧١ هـ ، ومختصر لكتاب في الألغاز لجمال الدين عبد الرحيم بن حسن الأسنوي الشافعي المتوفى سنة ٧٧٢هـ/١٣٧٠م ، وكتاب وضح فيه ألفية شيخه شمس الدين البرماوي في الأصول .

وشرح ابن شرف هذا مصنفات شيخه ابن الهائم . ولم يوضح السخاوي أو غيره المصنفات التي شرحها ابن شرف من مصنفات شيخه ، وهي كثيرة . وفي أغلب الظن أن ابن شرف عني بمصنفات شيخه في العلوم الرياضية بخاصة . ويؤكد هذا أن من مصنفاته كتاب « اختصار مفتاح ابن الهائم » في الحساب .

ولابن شرف نظم قليل .

توفي ابن شرف في بيت المقدس ودفن بمقبرة الساهرة .

المراجع :

ـ السخاوي : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، القاهرة ١٣٥٣ ـ ١٣٥٥هـ .
ـ السخاوي : التبر المسبوك في ذيل السلوك ، القاهرة ١٨٩٦ .
ـ الشوكاني : البدر الطالع بمن بعد القرن التاسع ، القاهرة ١٣٤٨هـ .
ـ السيوطي : نظم العقيان في أعيان الأعيان ، نيويورك ١٩٢٧ .
ـ مجير الدين الحنبلي : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، النجف ١٩٦٨ .
ـ حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، إستانبول ١٩٤١ .
ـ إسماعيل البغدادي : إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ، إستانبول ١٩٤٥ ـ ١٩٤٧ .

إسماعيل بن أحمد بن إبراهيم (٩٣٧ ـ ٩٩٣هـ) (١٥٣٠ ـ ١٥٨٤م) :

النابلسي الشافعي . اشتغل بالعلم منذ صباه ، وقرأ على جماعة من العلماء العلوم الشرعية ، واللغوية ، والعقلية . درّس في دمشق بالجامع الأموي ، ودار الحديث الأشرفية . كما درّس في المدرستين الشامية البرّانية ، والعادلية الكبرى ، وغيرها . واشتغل بالإفتاء ، وعني بالكتب . وأصبح ، لعلمه وفضله ، من أعيان العلماء في دمشق . واشتغل الشيخ إسماعيل بالزراعة إلى جانب اشتغاله بالعلم .

ومن مصنفاته : « حاشية على صحاح الجوهري » و« رسالة في الردّ على الكفرة » .

المراجع :

ـ نجم الدين الغزي : الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة ، بيروت ١٩٤٥ ـ ١٩٤٩ .
ـ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، القاهرة ١٩٣١ .
ـ عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين ، دمشق ١٩٥٧ .

الأسماك :

في فلسطين مساحات مائية تنتشر في اليابسة ، كالبحيرات والبرك والمستنقعات * ، وأنهار دائمة الجريان تعيش فيها أسماك المياه العذبة . وتشرف فلسطين بسواحل طويلة على البحر المتوسط ، وبساحل قصير على مياه خليج العقبة * في أقصى الجنوب ، وتعيش في هذه السواحل أسماك المياه المالحة . والأسماك جزء من غذاء إنسان فلسطين منذ القدم . وقد تطور استغلال هذه الثروة الغذائية تطوراً كبيراً مع ازدياد الأهمية الاقتصادية للأسماك ، فأقيمت مزارع لتربية السمك في برك وأحواض صناعية مكان البرك والمستنقعات الطبيعية ، أو قربها ، وعلى امتداد بعض الأنهار ، وقرب السواحل .

ولما كانت البيئات المائية في فلسطين متنوعة فإن أنواع الأسماك الموجودة فيها تتغير تبعا لذلك . وتقسم البيئات المائية الحالية في فلسطين إلى :

١) نهر الأردن * وبعض الروافد العذبة المياه الصابة فيه والأنهار الساحلية .
٢) بحيرة طبرية * ومنطقة الحولة .
٣) أحواض تربية الأسماك .
٤) بيئة البحر المتوسط .
٥) بيئة مياه خليج العقبة وشعابها المرجانية .

وتنتمي أسماك البيئات الثلاث الأولى إلى مجموعة أسماك المياه العذبة ، في حين تنتمي أسماك البيئتين الرابعة والخامسة إلى مجموعة أسماك المياه المالحة .

بدأت دراسة الأسماك في فلسطين ، ولا سيما أسماك المياه العذبة ، مبكرة في القرن الثامن عشر ، إذ نشرت عام ١٧٥٧ م أول دراسة حولها قام بها العالم « هاسيلكيست » أعقبتها ، وإلى اليوم ، دراسات ونشرات وتقارير ومقالات وكتب جيدة نشرها عدد من العلماء الاختصاصيين . وهكذا أصبح بالإمكان تقديم صورة دقيقة متكاملة عن الثروة السمكية لفلسطين ، ودراسة صحيحة للأنواع والأصناف التي أضحت معروفة ، ويقدر عددها حالياً بنحو ٤٣٤ نوعاً من الأسماك في المياه العذبة والمالحة .

أ ـ مجموعة أسماك المياه العذبة : يتأثر وجود انتشار الأسماك في المياه العذبة في فلسطين بعوامل كثيرة منها نقاء المياه ونسبة ملوحتها ، ونوع الغذاء وكميته ، ووجود المخابىء بين الطحالب والأحجار ، ودرجات الحرارة القصوى والدنيا للمياه ، وكذلك عمق المياه وسرعة جريانها ، وتركيز الفحمات (الكربونات) الذي يشكل عاملاً مهماً لحياة الأسماك . وقد أدى ذلك كله إلى توزع الأسماك ووجود مواقع كثيرة لها يزيد عددها على ٢٤٠ موقعاً في أنحاء فلسطين المختلفة .

١) أسماك مياه وادي الأردن : هي الأسماك التي تعيش في مياه نهر الأردن نفسه . ومن أهم أنواعها البلطي الزيلي الأخضر *Tilapia Zilli* ، والبلطي الجليلي *Tilapia Galilaea* ، والشبوط الكانس *Barbus canis* والشبوط اللونجيسبس *Barbus longiceps* . وتوجد هذه الأنواع في المجاري العليا لنهر الأردن وبعض الروافد في

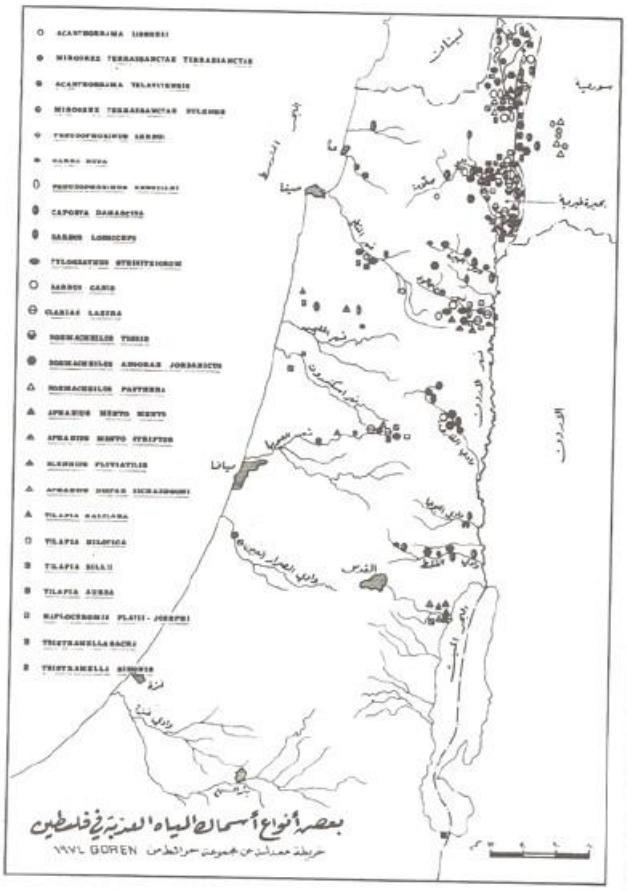

صيد السمك في غزة

منطقة الحولة . أما في نهر بانياس ومنابعه وأمثاله من المجاري المائية السريعة الجريان حيث تنعدم النباتات والحضراوت المائية وتنتشر الأحجار في قيعانها فتكثر أنواع أخرى من الأسماك منها الكركور الأحمر *Gara rufa* ، والكابوتاداماسين *Capoeta Damascin* ، ولخ الأنكورة الأردني *Cheilus Noema ungorae Jordanicus* . ويوجد الكركور الأحمر ، وسمك بطريخ المنتو *Amphanius mento* ، وغيرها في مياه وادي بيسان ومنطقتها وجداولها الصغيرة الرافدة مباشرة أو بشكل غير مباشر لمياه نهر الأردن .

٢) أسماك بحيرة طبرية : تعد بحيرة طبرية أهم مساحة مائية داخلية ذات مياه عذبة غنية بالأسماك ، مساحتها قرابة ١٦٨,٦ كم٢ ، وأكبر عمق فيها يصل إلى ٤٤ م ، وكتلة مياهها نحو ٤,٢٣٦ مليون م٣ . وتتميز مياهها بارتفاع نسبة الكلوريد بالقياس إلى الكربونات ، كما أن نسبة الصوديوم فيها أعلى من نسبة الكالسيوم . وهي ميزات طبيعية لبحيرة داخلية ترتفع درجات الحرارة في منطقتها فيؤدي ذلك إلى تبخر يرفع كميات الأملاح المحمولة إليها من المياه الصابّة فيها . وتتراوح حرارة مياه بحيرة طبرية بين ١٢° و١٥° في الشتاء ، وتبلغ ٣٠° في الصيف . علماً بأن درجة

الحرارة ١٥° تظل ثابتة طوال العام على عمق ٢٠ م فما دون . وتتغير نسبة الأوكسجين في مياه البحيرة فترتفع في فصل الشتاء وتنخفض في الصيف . وأشهر أنواع السمك الموجودة في طبرية منذ العهد الروماني المشط (البلطي) والشبوط والسلور .

أما الأسماك الموجودة المعروفة اليوم فهي جميع الأنواع التي سبق ذكرها من أسماك مياه وادي الأردن (زَ: الغور) ، ما عدا أسماك لخ الأنكورة الأردني ، ولخ بانثيرة *Noemacheilus Panthera* . وتكثر إلى جانب هذه الأنواع أسماك لخ تيجرس ـ الدجلة *Noemacheilus Tigris* ، وبليننيوس النهري *Blennius fluviatilis* ، وتريستاميلا ساكرا *Tristamella sacra* ، وتريستاميلا سيمونيس *Tristamella Simonis* .

وكانت بحيرة طبرية مصدراً هاماً لبيع السمك الطازج في طبرية * وصفد * والناصرة *. أما سمكها المملح فكان يصدّر إلى القدس * ودمشق في العهد العثماني . وكانت الحكومة العثمانية تقاضى خمس المحصول من أصحابه . ولكن هذه الضرائب ألغيت عام ١٩٢٠ وأصبح الصيد مباحاً للجميع شرط الحصول على رخصة للصيد ، مما أدى إلى ازدياد عدد الصيادين وارتفاع كمية ما يصاد من أسماك إلى ٣٠٠ ـ ٣٥٠ طناً في السنة . لكن الحكومة عادت عام ١٩٣٥ فحددت عدد الأفراد المسموح لهم بالصيد ، ثم حددت في عام ١٩٤٠ اتساع عيون الشباك المستعملة في الصيد لمنع انقراض الأسماك في بحيرة طبرية .

كان جميع الصيادين من السكان العرب الذين بلغ عددهم عام ١٩٤٨ نحو ٢٠٠ صياد توارثوا مهنة الصيد في أسرهم ، وكانت نساؤهم يساعدنهم في إصلاح الشباك . وكان اهتمام الصهيونيين بصيد السمك ضعيفاً ، لكن ازداد بعد عام ١٩٤٨ ، وارتفع عدد توارب الصيد في البحيرة فارتفعت كمية السمك المصطاد إلى ٩٥٣ طناً عام ١٩٥١/١٩٥٢ . وأهم مراكز الصيد هي الشواطىء الشمالية والشمالية الغربية والشواطىء الشرقية للبحيرة .

٣) أسماك ينابيع سواحل البحر الميت : لا تسمح الشروط الفيزيائية والكيميائية لمياه البحر الميت * بوجود ثروة سمكية فيها . لذا اقتصر وجود الأسماك على نقاط محدّدة مرتبطة بالينابيع والمجاري المائية القصيرة على سواحل البحر الميت ، وبشكل خاص على الساحل الشمالي الغربي منه . مياه هذه الينابيع ومجاريها ضحلة عكرة بطيئة الجريان تكثر الحجارة والصخور والنباتات في قيعانها . وفيها من الأسماك سمك بطريخ ديسار هاردسوني *Aphanius disper hardsoni* ، وبطريخ ديسار ريتشاردسوني *Aphanius disper richardsoni* ، وبطريخ منتو *Aphanius mento* ، ثم البلطي الزيلي الأخضر *Tilapia Zilli* ، والبلطي الأوريا *Tilapia aurea* .

٤) أسماك الأنهار الساحلية : تصب في البحر المتوسط مجموعة من الأنهار الصغيرة ذات المياه الدائمة الجريان في مجاريها الدنيا كنهر وادي الفرن * والنعامين * والمقطّع * والزرقا * والمفجر وإسكندرونة * والعوجا * وروبين ـ الصرار * . ومياه بعض هذه الأنهار سريع الجريان كوادي القرن الذي توجد فيه أسماك من نوع كابوتا داماسين *Capoeta damascine* . ومعظمها بطيء الجريان وعميق وعريض توجد فيها أنواع من السمك البلطي أهمها البلطي الأخضر ـ الزيلي ، والبلطي الجليلي .

٥) أسماك البرك الصناعية : لبرك تربية الأسماك الصناعية دور رئيس في إنتاج السمك في الأرض المحتلة . وقد تم إدخال أنواع من سمك *Cyprins caripo* في بداية مرحلة استخدام برك المياه العذبة لتربية الأسماك أوائل الثلاثينات ، لكن ذلك لم يعمم إلا بعد عام ١٩٣٩ حين بدأت الساحة المستغلة تزداد من ١٥ هكتاراً في عام ١٩٣٩ إلى ٣,٤٠٠ هكتار في نهاية عام ١٩٥٣ . أما معدل الإنتاج لكل هكتار فقد زاد من ٩٠٠ كغ سنة ١٩٣٩ إلى أكثر من ١,٦٠٠ كغ . وقد بلغ الإنتاج ذروته عام ١٩٤٩/١٩٥٠ ، إذ وصل إلى ١,٧٦٠ كغ/هكتار ، في حين انخفض إلى ١,٤٨٠ كغ/هكتار عام ١٩٥١/١٩٥٢ .

وأهم العوامل التي ساعدت على زيادة الإنتاج طولَ الفترة التي تكون فيها درجة الحرارة ملائمة لنمو الأسماك (وهي ما بين ٢٥° ـ ٣٨°) لمدة ٨ ـ ١٠ شهور، بالإضافة إلى استخدام المخصّبات الصناعية الكيمائية ، وتربية سلالات من سمك الشبوط قادرة على العيش في ظروف البيئة الخاصة من حيث التربة * الملحة والماء ذو النسبة العالية من الكالسيوم . وقد خصص الكثير من البحوث العلمية ، وأجريت التجارب الكثيرة للتغلب على مشكلات تربية الأسماك ، وزيادة الإنتاج ، وإدخال أنواع جديدة من الأسماك لتربيتها في البرك ، وقد ساعدت منظمة الزراعة والأغذية الدولية *(FAO)* على إدخال نوعين من السمك عام ١٩٥٢ هما *Catla catla* و *Ctenophargngodon Edellus* ، وكانت النتائج جيدة بالنسبة إلى تربية سمك البوري *Mygil* . أما سمك *Salmo Irideus* المستورد فلم تنجح تجارب تربيته في البرك، في حين كان نمو سمك *Tinea tinea* بطيئا . وقد أجريت تجارب لتربية بعض الأسماك المحلية في البرك الصناعية مثل سمك البلطي الجليلي الموجود في بحيرة طبرية ، وسمك البلطي النيلي *Tilapia Nilotica* .

ب ـ أسماك المياه المالحة :

١) أسماك البحر المتوسط : تتأثر أسماك البحر المتوسط بعدة عوامل طبيعية أهمها :

(١) درجة الحرارة : الجزء الشرقي الجنوبي من حوض البحر المتوسط عامل للبحار الدافئة المدارية والاستوائية ، إذ تصل درجة حرارة مائه إلى ٢٩° ، وتبلغ حرارات المياه أعلى معدلاتها في شهر أيلول . وتأخذ الحرارة بالانخفاض من السطح باتجاه الأعماق حتى عمق ١٢٥ م حيث تستقر دون ذلك الحرارة بلا تغير على مدار العام . وبما أن الماء الدافىء أقل كثافة من الماء البارد فإن هذا يؤدي إلى طفو مياه الأنهار على السطح .

(٢) المحتوى الأوكسيجيني ودرجة الملوحة : لمياه نهر النيل تأثير كبير على درجة ملوحة مياه البحر المتوسط المقابلة للساحل الفلسطيني . ويراوح معدل درجة الملوحة للشواطىء الفلسطينية ما بين ٣٧ و٣٩,٥ غرام لكل ألف بالوزن . وعادة ما يكون ثابتاً عند ٣٩ غ من شهر تشرين الأول إلى أيار ، ويرتفع في بداية فصل الصيف ، ولكن يحدث انخفاض مفاجىء في شهر آب وأيلول عند وصول مياه الفيضان من نهر النيل بسرعة ١٠ كم في اليوم . وبانخفاض درجة الملوحة يرتفع المحتوى الفوسفاتي لمياه البحر ، مما يؤدي إلى زيادة كمية العالقات النباتية التي تؤلف المصدر الغذائي الأول في السلسلة الغذائية . وقد أثر بناء السد العالي في مصر في درجة الملوحة هذه ، فلم يعد لمياه نهر النيل أثرها السابق في تخفيض درجة الملوحة .

(٣) التيارات المائية المتدفقة عبر قناة السويس : ترجع في أصولها إلى المحيطين الهندي والهادىء . وقد نتج عن هذه التيارات هجرة بعض الأسماك إلى البحر المتوسط ونجاحها في البقاء في المياه الفلسطينية القليلة العمق . ومع الوقت استطاع بعض هذه الأحياء القادمة أن يسود في البيئات الجديدة ، كما حدث لأسماك *Saurida Undosquammis* من عائلة *Sabillidae* ، وأسماك *Eurytho Camplanter* من عائلة *Amphinomidae* . وأصبح هذان النوعان من الأسماك الشائعة في السواحل الصخرية للشاطىء الفلسطيني .

وهناك نوع جديد من الأسماك المهاجرة يدعى *Synaptula Reciprocans* وقد سجل وجوده لأول مرة بمحاذاة الشواطىء الفلسطينية عام ١٩٦٠ ، وهو الآن نوع سائد . ويساعد اتجاه التيارات عبر قناة السويس المهجرة باتجاه البحر المتوسط لمدة عشرة شهور في حين تنعكس هذه التيارات باتجاه البحر الأحمر خلال شهري آب وأيلول .

ومعظم الأحياء المائية التي تنتقل عبر قناة السويس صغيرة أو في الأطوار اليرقية العالقة . وهي تواجه عبر القناة اختلافاً كبيراً في التغيرات الفصلية والملوحة ، ولا يصل منها إلاّ الأنواع القادرة على تحمل التغيرات البيئية الواضحة . وتوجد بعض أسماك البحر الأحمر في السواحل الفلسطينية ، ومنها *Rhonciscus striden* ، *Herklocsichys Punctatus* ، *Autisthes Puta* .

وقد بيّن الصيادون أن كلب البحر وحنكليس السهم *Rays* لم يشاهدا في المياه الساحلية الفلسطينية قبل فتح قناة السويس . وتنتمي الأسماك العظمية القاطنة في الساحل الفلسطيني على البحر المتوسط إلى أكثر من عشرين عائلة هي :

Gadidae (Cod fishes), Pleuronectidae (Flat-Fish), Clupeidae (Herrings), S. Comberesocidae (Skippers), Mugilidae (Gray Mullets), Sphyraenidae(Barracudas), Labridae (Wrasses), Maenidae (Picarels), Sparidae (Sea – Breams), Mullidae (Red Mullets), Triglidae (Gurnards), Percidae (Sea-Perches), Sciaenidae (Meagres), Scombridae (Mackerels), Carangidae (Horse Mackerels), Trichiuridae (Hairtails), Gobiidae (Gobies), Trachinidae (Weevers), Blennidae (Blennies), Amphinomidae Sabillidae.

٢) أسماك خليج العقبة : يتصف خليج العقبة بضيقه وعمق مياهه ، ويعدّ جزءاً من الانهدام السوري ـ الإفريقي ، ويمتد مسافة ١٨٠ كم من مضائق تيران إلى خليج العقبة . وعند طرفه الشمالي يصبح عرضه ٥كم في حين يصل أقصى عرض له الى ٢٨كم . وهذا يوضح أن قعر الخليج على شكل رقم ٧ . وتدرجة حرارة الماء في الشمال أعلى منها في الجنوب ، وتنخفض درجة الحرارة لتصل إلى أدنى مستوى لها في شباط ، كما تصل إلى أعلى مستوى لها في شهري آب وأيلول . ويراوح المعدل السنوي لدرجة الحرارة ما بين ٢١° و٢٦° دون تأثر بالحرارة اليومية أو بالتغيرات الفصلية .

وخليج العقبة جسم مائي هادىء . أما الأمواج فتبدأ بالتكوّن من العقبة وتصل إلى أعلى ارتفاع لها عند قرية ذهب حيث تبدأ بالاختفاء ثانية عند مضائق تيران . ويصل ارتفاع الأمواج إلى أعلى مستوى له وهو ٣,٥ م في العقبة خلال العواصف الجنوبية .

تمتاز العقبة بما تحويه من شعاب مرجانية تنتشر من السطح إلى عمق ١٠٠م، ثم تتناقص دون هذا العمق . وقد ساعدت نقاوة مياه خليج العقبة والتيارات المستمرة الهادئة على نمو الشعاب المرجانية التي أصبحت ملجأ طبيعياً لكثير من الأسماك . وقد ظهر أثر البيئة في الشكل واللون المميزين لأسماك الشعاب المرجانية . وأدّى وجود الشعاب المرجانية وطبيعة خليج العقبة إلى توفر بيئات كثيرة محمية ، وإلى تنوع الأسماك الموجودة في تلك المنطقة . وعلى هذا فإن الأنواع المختلفة من الأسماك تصل إلى ما يزيد على عدة

مئات من الأسماك العظمية ، إضافة إلى عدة أنواع معروفة من الأسماك الغضروفية .

وقد أدّى التقدم الصناعي ، وتلوث البيئة الساحلية ، ومخلفات المصانع إلى نقصان في الأسماك والحيوانات اللافقرية ، وإلى موت بعض المجتمعات الحية ، وخاصة القريبة من الشاطىء ، وإلى تغير الأنظمة البيئية والدورات الطبيعية وتغير الغطاء النطحلبي والأحياء القاطنة في تلك المناطق .

جـ - صناعة السمك في فلسطين : كانت صناعة السمك في فلسطين بشكل عام متأخرة عن ركب التقدم العام . وعلى الرغم من وجود طلب كبير للاسماك في الأسواق المحلية ، وعلى الرغم من طول ساحل فلسطين على البحر المتوسط ، كان ما يستخرج من السمك في فلسطين قرابة ٣٠٠ - ٩٠٠ طن من الأسماك في العام فقط . ويرجع هذا الانخفاض إلى عدة عوامل منها نقصان المرافىء الملائمة ، وصغر حجم أسطول قوارب الصيد ، بالإضافة إلى أن تجارة السمك كانت تسيطر عليها جماعة لبس لها أي دافع لزيادة كمية السمك . كما أن استعمال الصيادين للمتفجرات والمواد السامة قد أثر في كمية الأسماك الموجودة بالمياه الفلسطينية ، وأدّى إلى نقصانها .

ويبين الجدول التالي تطور صناعة السمك بين عامي ١٩٢١ و١٩٣٠ :

١٩٢٥-١٩٢١	١٩٢٨/١٩٢٧	١٩٣٠/١٩٢٩
عدد القوارب ٩١	٢٨٠	٣٤٥
عدد الصيادين ٥٣٤	٩٨٢	١,٠١١
كمية السمك المصطاد/كغ ٢٠٨,٦٣٧	٤٧٨,٧٧٢	٨٧٣,٢٥٤
كمية السمك المستورد/طن ١,٦٧٧	١,٧٢٤	١,٧٥٧

وفي عام ١٩٢٧ صيد ثلاثة أرباع السمك من المياه الإقليمية . وكانت أساليب الصيد بسيطة لا تتعدى استعمال الشباك العادية في المياه القريبة من الشاطىء . ولم تستعمل آنذاك الشباك ذات الكفاءة الأعلى . وكان عدد الصيادين المتفرغين لمهنة الصيد قليلاً معظمهم في مدينتي يافا * وحيفا * . وكان عدد القوارب قليلاً ، وأكثرها مصنوع محلياً ، وبطول لا يتجاوز ثمانية أمتار . وقد لوحظ زيادة نشاط عملية الصيد في الثلاثينات بسبب انتهاج أساليب حديثة في الصيد ، وإقامة صناعة تعليب سمك السردين التي لاقت رواجاً .

والجدول التالي يبين الأهمية النسبية لمرافىء الصيد من أول شهر تشرين الأول ١٩٢٩ إلى تشرين الأول ١٩٣٠ :

المرفأ	كيلوغرام	النسبة
الزيب *	١٩,٢٣٦	٪٢,٠
عكا *	٤٦,١٥٧	٪٤,٩
حيفا	٤٢٤,٢٨٠	٪٤٤,٦
الطنطورة *	٢١,٣٥٠	٪٢,٢
يافا	٣٠٦,٢٧٨	٪٣٢,٢
الجورة *	٧٣,٧٠١	٪٧,٨
غزة	٥٩,٧٨٧	٪٦,٣

وقد بلغت أنواع الأسماك المصطادة من شواطىء البحر المتوسط ، والموجودة في الأسواق المحلية خلال ثلاث السنوات التي تبدأ من شهر تشرين الأول ١٩٢٧ حتى تشرين الأول ١٩٣٠ تسعة وعشرين نوعاً . وأشهر أنواع الأسماك التي تم صيدها خلال هذه الفترة والتي تزيد نسبتها عن ٥٪ من المجموع الكلي للصيد هي : كلب البحر *Acanthias Vuigaris* (٥,١٪) ، والسردين *Clupea Spp* (١٨,١٪) ، والبوري *Mygil Spp* (١٣,٥٪) ، وداواكبر *Epinepheles Spp* (٦,٥٪) ، وموسكار *Sciaena aquila* (١١,٤٪) ، وجونبار *Temnodon Saltator* (٦,٩٪) .

وكانت أعلى نسبة للصيد في شهر آذار من كل عام ، إذ تصل إلى ١٣٪ .

لم تكن السلطات الحكومية تقدم لصناعة الصيد المساعدة اللازمة لتحسينها وتطويرها . لهذا ظلت ضعيفة بدائية في الوقت الذي كان فيه أسطول صيد إيطالي يقوم بالصيد على السواحل الفلسطينية خلال الربيع من كل سنة ، ولم يكن المحصول يباع في الأسواق الفلسطينية بل كان يحفظ وينقل إلى أوروبا .

اشتهرت سواحل قيسارية * وأرسوف وعسقلان وغزة وعكا ويافا وحيفا بصيد الأسماك . وشكلت أسماك السردين نسبة كبيرة من الصيد ، وقد بلغت كمية ما صيد منها ومن البوري الرمادي والأحمر عام ١٩٤٤ قرابة ٢,٨٢٠ طناً .

وخلال الحرب العالمية الثانية ازداد عدد مصائد الأسماك في فلسطين فأصبح خمساً وأربعين بدلاً من اثنتين فقط ، وبلغ عدد الصيادين خلال عام ١٩٤٥ في أنحاء البلاد ٣,٣٥٧ صياداً ، وبمجموع ما صيد ٤,٠٤٠ طناً ، وعدد الزوارق المستعملة في الصيد ٦٧٣ زورقاً .

أما الثروة السمكية في خليج العقبة فلم تكن مستغلة لعدم

وجود طريق معبدة تربط العقبة بالمدن الفلسطينية الأخرى حتى قيام الحرب العالمية الثانية حين أنشئت ثلاجة لحفظ السمك وسفينة للتبريد وتجمع السمك من الصيادين . وقدر السمك المستخرج من خليج العقبة منذ عام ١٩٤٣ وحتى أوائل عام ١٩٤٥ بنحو ٢٥ طناً تم شحنها وبيعها في فلسطين .

وفي عام ١٩٥١/١٩٥٢ كان إنتاج السمك البحري ٢,٣٤٢ طناً متريا ، والإنتاج من داخل فلسطين ٥,٢٩١ طنا متريا . وكان الانتاج في العام نفسه من بحيرة طبرية ٩٥٣ طناً متريا ، ومن بحيرة الحولة * ١٥٢ طناً متريا ومن نهر الأردن ٢٥ طناً متريا ، ويمثل مجموع السمك من الأماكن الثلاثة الأخيرة ١٤,٨٪ من انتاج فلسطين . أما إنتاج مزارع الأسماك فكان ٤,١٦١ طنا ، أو ما نسبته ٥٤,٤٪ من الإنتاج الكلي لعام ١٩٥١/١٩٥٢ .

تقدمت صناعة الأسماك في الأرض المحتلة باستعمال أساليب الصيد الحديثة ، وتم استعمال أول سفينة صيد مجهزة بنيت في النرويج عام ١٩٦١ . وقد جهزت بعض المدن الساحلية بالأجهزة الضرورية لحفظ السمك . ويوجد في فلسطين المحتلة أحد عشر مصنعاً لتعليب الأسماك ، ولا سيما السردين ، أنتجت ١٥ مليون علبة عام ١٩٦٢ .وفي عام ١٩٦٥ قدرت كمية الأسماك المصطادة بنحو ١٧ ألف طن ، وهذه الكمية تمثل ٦٠٪ من الاستهلاك المحلي . وغالباً ما يباع السمك طازجا .

المراجع :

ـ محمد يونس الحسيني : التطور الاجتماعي والاقتصادي في فلسطين العربية ، بافا ١٩٤٦ .

— Bodenheimer, F.S.: **Animal Life in Palestine,** Jerusalem 1935.

— Borgstrom, G.and Paris, C.D.: The Regional Development of Fisheries and Fish Processing, In: **Fish as Food,** New York 1965.

— Goren, M: **The Freshwater Fishes of Israel, 1974.**

— Gunther, A: **Report on a Collection of Reptiles and Fishes from Palestine,** London 1864.

— Hofstede, H.S: **Inland Fisheries in Israel,** FAO 1954.

— Steinitz, H: **The Distribution and Evolution of the Freshwater Fishes of Palestine,** 1954.

الإسمنت : رَ : مواد البناء (صناعة ـ) :

الأسوار :

كانت مدن فلسطين ، كسائر المدن القديمة ، محصنة بأسوار متينة . ومعظم هذه الأسوار دمرها الإهمال والحروب وعوادي الزمن . لكن بعضها ظل قائماً صامداً رغم الأحداث والكوارث .

ويدلّ التاريخ على أن الأسوار كانت تحيط بالقدس * وطبرية * وقيصرية واللد * ونابلس * وسبسطية * وعسقلان وغزة * . كما أن جميع المدن التي بنيت بين الألف الثالث قبل الميلاد والعهد الروماني كانت محصنة بالأسوار . وقد عثر على آثار بعضها أثناء الحفريات التي أجريت منذ أكثر من ستين عاماً . من هذه المدن « لاخيش » التي تدعى اليوم تل الدوير * ، و « بيت شمش » واسمها الحالي عين شمس ، و « جيزر » أو تل الجزر * الآن ، و « تعنّك » التي تعرف اليوم بتل تعنك ، و « مجدّو » * وهي تل المتسلّم حالياً ، وأريحا * القديمة ، واسمها تل السلطان ، و « شروحين » التي تدعى اليوم تل الفارعة ، وغزة واسمها الحالي تل العجول ، و « مزفا » وهي تل النصبة ، و « دبير » أو تل بيت مرسيم حالياً ، و « حاصور » * و « عاي » * وتدعى الأولى اليوم تل القاضي ، والثانية التل .

وكانت أريحا وعاي من المدن الأولى ذوات الأسوار إذ أقيم

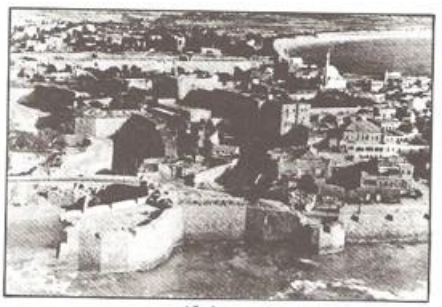

سور مدينة عكا

السور حول كل من المدينتين في أوائل الألف الثالث قبل الميلاد . وقد بني من اللبن والطوب غير المشوي فوق أسس من حجارة الحقول على مرحلتين : فمني سور قائم في المرحلة الأولى ، ثم زيد عليه في المرحلة الثانية حائطان مائلان من الداخل والخارج حتى يدعما القسم القائم من جهة ، وكانا تقدم الأعداء ونقب السور من أسفله من جهة ثانية .

ظل بناء الأسوار يجري على هذا الأسلوب قرابة خمسمائة سنة . ثم تغير الوضع سنة ٢٦٠٠ ق.م. تقريباً ، وأقيمت الأسوار الحجرية ، وجعلت قائمة من الداخل مائلة من الخارج . واستمر البناء على هذا النمط حتى سنة ٢٣٠٠ ق.م. حينما داهم العموريون * المدن الفلسطينية ودمروها شر تدمير .

وعندما عادت الحضارة إلى فلسطين بعد مضي أربعمائة سنة من

الدمار والفوضى ، بنيت مدن جديدة على أنقاض المدن السابقة . وقد حصّنت هذه المدن جميعها بأسوار منيعة من الحجارة الضخمة التي وصفها المؤرخون اليونانيون بالحجارة « الكيكلوبية » لضخامة حجمها . وكانت هذه الأسوار ماثلة من الخارج قائمة من الداخل . وقد يكون القسم العلوي منها مبنياً باللبن . وقد زوّدت هذه الأسوار ، على عكس سابقاتها ، بأبراج كثيرة . وكان للسور باب واحد فقط مكوّن من مدخل محصّنه أربع غرف للحراسة ؛ غرفتان في كل جانب . وهذا المدخل مزود بثلاثة أبواب متتالية لإعاقة المهاجمين . وقد عثر على مثل هذا النوع من الأسوار في « شكيم » التي هي اليوم بلاطة * قرب نابلس ، وفي أريحا ، ومجدو وأماكن أخرى . وظلت المدن الفلسطينية تعتمد هذا الأسلوب في تحصين أسوارها مدة تزيد على سبعمائة سنة .

وتعرضت فلسطين في القرون الرابع عشر والثالث عشر والثاني عشر قبل الميلاد إلى غزوات كثيرة انقضّت عليها من الشرق من قبل أقوام تسميهم النصوص المصرية « الخبيرو » . ومما لا شك فيه أن بعض القبائل الإسرائيلية كانت بين هؤلاء الأقوام . وقد تمكن هؤلاء من السيطرة على القرى غير المحصنة ، لكن المدن المحصنة تمكنت من صدّ الهجمات . وبعد قرنين ونيف ، أي في أوائل الألف الأول ، تمكن الغزاة الإسرائيليون ، بعد نزاع عنيف مع الفلسطينيين من جهة ، والكنعانيين من جهة أخرى ، تمكنوا من احتلال المدن المحصنة والسيطرة على البلاد .

وكان الإسرائيليون عندما استوطنوا فلسطين غير متحضّرين ، ولم يكن في وسعهم بناء أو ترميم الأسوار التي تهدمت بالحروب أو بسبب الإهمال . لذلك التجأ ملوكهم إلى الفينيقيين * في صور لتزويدهم بالمهندسين والبنّائين ، فأقاموا الأسوار حول القدس والسامرة (سبسطية حالياً) وغيرهما . وكانت تبنى بحجارة نحتت أطرافها نحتاً ناعماً في حين ظلت واجهاتها خشنة . وطرأ بعض التغيير على أسلوب بناء الأسوار كما هي الحال في سبسطية ومدينة مجدّو ، فقد بنيت قائمة من دون حيطان الدعم المائلة . لكنها ظلت كما كانت مزودة بأبراج كثيرة . أما المدخل المحصن فقد جعلت فيه غرفتان ، واحدة من كل جانب بدلاً من الغرف التي كانت ، في الألف الثاني ، أربع غرف .

وفي مزفا (تل النصبة) لا يلتقي طرفا السور ليشكّلا دائرة مغلقة ، بل ينحرف الطرف عن الآخر ، ويتباعدان حيث أقيم المدخل بينهما .

ولما جاء الاسكندر دخلت آثار الحضارة الهلنستية إلى فلسطين ، وأضحت المدن تنقل أنماط بناء أسوارها عن الأنماط اليونانية . فبدلاً من الشكل الدائري أصبحت مربعة أو مخمسة . وقد عثر على هذا النمط في مدينة هلنستية أقيمت قرب بيت جبرين * في موقع يدعى « صندحنا » . فالسور المدينة المربع أبواب أربعة لأن المدينة تضم شارعين رئيسين يتقاطعان متعامدين في وسط المدينة ، وقد أقيم باب عند كل طرف من أطراف هذه الشوارع . ولم يعثر على أي برج في هذا السور ، سواء في الزوايا أو في الأطراف ، على عكس سور مدينة سبسطية المزود بأبراج مستديرة .

وقد سار الرومان في بناء تحصيناتهم على نمط الإسكندر فأقاموا الأسوار المربعة حول المدن التي أنشأوها في فلسطين واختطّوا فيها شارعين رئيسين . ووجدت آثار أسوارهم في عسقلان وغزة وقيصرية ، وأبرزها سور القدس . وتتميز الأسوار الرومانية بضخامة حجارتها التي يصل طول بعضها إلى ١٤م . ولا تزال الآثار الرومانية في سور القدس تظهر تحت ما زاده عليها الصليبيون والعثمانيون .

سور مدينة القدس

وكانت أبواب الأسوار الرومانية تعلوها الأقواس ، لذلك كانت أعرض من الأبواب المعروفة في العصور السابقة .

بعد الفتح العربي سار العرب بادىء الأمر على خطوات الرومان والبيزنطيين في بناء أسوار مدنهم . لكنهم أدخلوا فيها بعد ، ولا سيما في القرون الوسطى ، بعض التغييرات الطفيفة .

ولما جاء الصليبيون أدخلوا في بناء الأسوار الطرق الهندسية السائدة في أوربا . فاستعملوا الحجارة المدقوقة دقاً موروباً . وكثيراً ما نقشوا على الحجارة أسماء النحاتين ، كما هي الحال في أقسام سور القدس التي ترجع إلى عهد الصليبيين ، وفي أسوار عسقلان وعكا * وأرسوف * وغيرها من المدن التي حصنها الصليبيون .

ولم يبدل المماليك * شكل الأسوار ، لكنهم رمّموها بحجارة منحوتة مزودة بهوامش على أطرافها الأربعة ، كما يشاهد في سور

مدينة القدس الذي تهدمت أقسامه العليا فأعاد بناءها السلطان العثماني سليمان بن سليم بحجارة جمعها من هنا وهناك وليس لها طابع خاص .

وقد بنى ظاهر العمر * ، فيما بعد ، سوراً حول عكا لا تزال بعض أقسامه قائمة حتى الآن .

المراجع :

— Albright, W.F.: Tell Beit Mirsim I. ASOR XII.
— Flinders Petrie.: **Gaza I - IV,** London 1931 - 34.
— Flinders Petrie.: **Beth Pelet,** London 1930 and 1932.
— Grant, E.: **Ain Shems I, II, III,** 1931 - 1934.
— Kenyon, K.: **Digging Up Jericho,** London 1957.
— Kenyon, K.: **Excavatioas of Jericho,** London 1960.
— Lamon, S. and Shipton, G. M.: **Megiddo I,** 1939.
— Macalester, R.A.S.: **Excavations of Gezer,** London 1912.
— Marquet, Y.: **Les Fouilles de Ay,** Beyrouth 1949.
— Rowe, A.: **The Topograhpy and History of Beth-Shan** U.S.A.1930.
— Starkey, J.L.: **Lachish I - IV,** 1938 - 57.
— Sukenik, E.L.: **Samaria Sebaste, I,** London 1942.

الإسينيون :

فرقة يهودية ظهرت في فلسطين في القرن الثاني قبل الميلاد يطلق على أتباعها اسم « المغتسلين » أو « الأطهار » . وهي تختلف اختلافاً جوهرياً عن سائر الفرق في عقائدها وتقاليدها . فقد كان الإسينيون يؤلفون جماعة ذات قوانين صارمة لها صبغة اشتراكية تحرم الملكية الفردية ونظام الرق يعيش أفرادها حياة العزاب الزاهدين ، بعيداً عن المدن ، ويقيمون في الكهوف والمغاور قرب البحر الميت ، ويحرصون على التقشف والنسك ، ويحتّمون على أنفسهم الطهارة والاغتسال كل صباح في مياه الينابيع الصافية . وكانوا يفلحون الأرض ويرعون الماشية لتدبر أمر معيشتهم ، ويشتركون في الطعام تبعاً لطقوس خاصة . كما كانوا يرفضون تأدية القسم وتقديم الذبائح والقرابين وحضور المراسم في الهيكل .

وقد اكتشف نظام هذه الجماعة وعدد من كتبها بين مخطوطات البحر الميت * التي عثر عليها في كهوف قمران سنة ١٩٤٧ . ويتحدث النظام عن رئيس الجماعة الذي يسمى « معلم العدالة » .

يذهب الباحثون إلى أن الإسينيين قد تأثروا بآراء البراهمة والبوذيين والفيثاغوريين التي كانت منتشرة في فلسطين ملتقى الطرق التجارية العالمية في القرن الأول قبل الميلاد . ومن المحتمل أن يكون يوحنا المعمدان (ر : المسيحية) قريباً من الإسينيين الذين كانوا ينتظرون نزول المسيح لينشىء على الأرض ملكوت السموات ويحقق المساواة والسلام بين البشر . ومن الواضح أن آراءهم كان لها تأثير كبير في المسيحية * .

آمن الإسينيون بيسوع الناصري على أنه أحد أنبياء إسرائيل المصلحين . ولكنهم رفضوا دعوة بولس * إلى العقيدة المسيحية وظلوا متمسكين بالنواميس اليهودية . وقد عرفوا بعد تدمير الهيكل باسم المسيحيين اليهود أو الأبيونيين * .

المراجع :

ـ قاموس الكتاب المقدس ، بيروت ١٩٧١ .
ـ أحد سوسة : العرب واليهود في التاريخ ، دمشق ١٩٧٥ .
— Dupont - Sommer,: **Les Ecrits esséniens découverts près de la Mer Morte,** Paris 1959.

الأشبال (مؤسسة ـ) :

ر : حركة التحرير الوطني الفلسطيني

أشدود (مدينة ـ) :

مدينة صهيونية من مدن قضاء غزة تقع على بعد ٤٠ كم شمالي الشمال الشرقي لغزة * . تأسست على شاطىء البحر المتوسط عام ١٩٥٦ على بعد ٥ كم غربي قرية أسدود * العربية التي دمرها الصهيونيون عام ١٩٤٨ ، وامتدت في نموها العمراني فوق الكثبان الرملية جهة الغرب حتى وصلت إلى شاطىء البحر المتوسط . وكان امتدادها على حساب أراضي عرب صقرير بعد طردهم منها . وقد أعيد تخطيط المدينة القديمة ، وأقيمت مدينة حديثة على الكثبان الرملية ، كما أنشىء لها ميناء واسع وعميق عام ١٩٦١ بمساهمة مالية وفنية من الولايات المتحدة الأمريكية . وفي أوائل الستينات أصبحت أشدود المرفأ الثاني في فلسطين حجماً وأهمية بعد مرفأ حيفا * .

اكتسب موقعها أهمية خاصة لأنها تقع في السهل الساحلي * الجنوبي حيث يسهل اتصالها بجميع جهات فلسطين ، ولا سيما المنطقتين الجنوبية والوسطى اللتين تعدان ظهيرين هامين لميناء أشدود . وترتبط أشدود بما حولها من مدن بشبكة طرق معبدة

رئيسة ، فهي تبعد عن يافا ٣٧ كم ، وعن القدس * ٦٦ كم ، وعن حيفا ١٣٢ كم ، وعن طبرية * ١٧١ كم ، وعن نابلس * ١١٥ كم ، وعن بير السبع * ٨٣ كم . ويمر بها خط سكة حديد القنطرة ـ حيفا ، وينتهي فيها خط سكة حديد إيلات وأنابيب النفط القادمة من هناك (رَ : السكك الحديدية) ومن أشدود يصدر جزء كبير من هذا النفط * إلى الخارج بعد تكريره ، ويوزع جزء آخر منه في الداخل للاستهلاك المحلي .

لميناء أشدود شأن هام في تصدير كميات كبيرة من الحمضيات * التي تنتجها المنطقتان الوسطى والجنوبية من السهل الساحلي . وفي تصدير كميات من البوتاس المستخرج من البحر الميت * . وبعد إغلاق ميناء يافا عام ١٩٦٥ أصبحت لميناء أشدود أهمية كبيرة بالنسبة إلى التجمع العمراني الحضري حول يافا ـ تل أبيب . وأخذ ظهير يافا يعتمد اعتمادا كبيرا على ميناء أشدود في تجارته الخارجية .

ولميناء أشدود أهمية استراتيجية لأنه يعد قاعدة بحرية لسفن الأسطول الإسرائيلي في البحر المتوسط ، وهو يستقبل جزءاً من المعدات الحربية التي يزود بها الغرب (إسرائيل) . ولا يستخدم الميناء لنقل السلع المدنية والمواد الحربية فحسب ، بل يستخدم لنقل المسافرين من فلسطين وإليها . ويدخل عدد كبير من المهاجرين الصهيونيين القادمين إلى فلسطين من هذا الميناء .

ومن الطبيعي أن تتعدد الوظائف التي تمارسها أشدود كمدينة وكميناء ، فالوظيفة التجارية تشغل مكانة هامة بين هذه الوظائف اذ تعمل نسبة لا بأس بها من القوى البشرية في هذه الحرفة . كذلك فإن أشدود مركز صناعي يشتمل على صناعات متنوعة . وقد ساعد على قيام هذه الصناعات وجود الميناء الذي يستورد كثيراً من المواد الخام ويصدر كثيراً من المنتجات الصناعية إلى الخارج ، علاوة على توافر الأيدي العاملة ، إذ يعمل في قطاع الصناعة نحو ٤٠٪ من مجموع القوى العاملة في المدينة . في حين يعمل في قطاع البناء نحو ٣٠٪ . وتشتمل أشدود على محطة كهرباء كبيرة طاقتها ٣٠٠,٠٠٠ كيلوات/ساعة . وأهم الصناعات في أشدود النسيج والسيارات والآلات والكيميائيات . وفيها مصنع « ليلاند » لتركيب هياكل سيارات الركوب الكبيرة وسيارات الشحن ، ومصنع « ألتا » للصناعة الإلكترونية ، ومصنع « ريفلون » لأدوات التجميل ومنتجاتها ، وفيها مصنع نسيج وأقمشة صوفية ومعامل صقل الماس ، ومركز لتعبئة الحمضيات ، ومصنع لإنتاج العصير . وفيها ١٥٠ معملا صناعياً صغيراً ، وعدد من « ورشات » تصنيع الخشب والمعادن والإسمنت وغيرها (رَ : الصناعة) . أما نسبة العاملين في قطاع الزراعة فهي قليلة ، وأهم المنتجات الزراعية حول المدينة الحمضيات * والخضر * وأشجار الفواكه ، ولا سيما العنب * .

نما عدد سكان أشدود نتيجة لإعمار المدينة وإنشاء الميناء فزاد من ٤,٦٠٤ نسمات عام ١٩٦١ إلى ١٩,٤٠٠ نسمة عام ١٩٦٤ ، وإلى ٣٥,٦٠٠ نسمة عام ١٩٦٩ ، وإلى ٤٨,٢٠٠ نسمة عام ١٩٧٣ . ومن المتوقع أن يصل عددهم عام ١٩٨٢ إلى ١٤٠,٠٠٠ نسمة وفقاً لتخطيط المدينة . كما يخطط لتوسيع الميناء وتطويره ليستوعب في الثمانينات حمولة إجمالية تقدر بنحو ٤ ملايين طن سنوياً .

المراجع :

— مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ١ ق١ ، بيروت ١٩٧٣ .
— أنيس صايغ : بلدانية فلسطين المحتلة (١٩٤٨ ـ ١٩٦٧) ، بيروت ١٩٦٨ .
—Spiegel, E.: New Towns in Israel, New York 1966.

الأَشْرَفِيّة (قرية ــ) :

قرية عربية تقع في الجنوب الغربي من بيسان * قرب الحدود الإدارية مع قضاء جنين . وتبتعد مسافة كيلومترين تقريباً إلى الغرب من طريق بيسان ـ الجفتلك ـ أريحا . يتميز موقعها بارتفاعه النسبي عن الأراضي الغورية الممتدة شرقيها ، لذا فهو يشرف على المنطقة الممتدة بين القرية ونهر الأردن * . وبالرغم من ذلك تنخفض القرية نحو ١١٤م دون سطح البحر . وقد اختير موضع القرية المرتفع نسبياً للدفاع عنها ضد هجمات البدو التي كانت تتكرر في الماضي على القرى الزراعية ، ولحماية القرية من أخطار فيضانات وادي المَلّوح الذي يمر بطرفها الغربي متجهاً نحو وادي شويش * أحد روافد نهر الأردن .

مساحة الأشرفية صغيرة لأن مبانيها الليّنة التي لا تزيد على ٥٨ بيتاً متراصّة ليس بينها إلا بعض الأزقة الضيقة . وكان نمو القرية العمراني يجري ببطء باتجاه الشرق .

تبلغ مساحة الأراضي التابعة للأشرفية نحو ٦,٧١١ دونماً منها ١٢٣ دونما للطرق والأودية ، و١,٢٩٣ دونما تسربت إلى الصهيونيين . ومعظم هذه الأراضي مزروع لتوافر مياه الأمطار والينابيع ، وخصوبة التربة وانبساط الأرض . وقد قامت زراعة

ناجحة لمختلف المحاصيل الحقلية ، وللأشجار المثمرة ، كالحمضيات * والموز * والزيتون .

كان عدد سكانها العرب عام ١٩٢٢ نحو ٣٦ نسمة وزاد إلى ٢١٩ نسمة عام ١٩٣١ وإلى ٢٣٠ نسمة عام ١٩٤٥ . وكان معظمهم يعمل في الزراعة * وتربية المواشي . وقد طردتهم سلطات الاحتلال الإسرائيلي عام ١٩٤٨ ودمرت القرية واستغلت أراضيها في الزراعة .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٦ ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠٠,٠٠٠ ، لوحة جنين .

الأشكنازيون :

كلمة « أشكناز » في أساسها اسم لأحد أحفاد نوح ، وقد أطلقت على أحد الشعوب التي ورد ذكرها في سفر التكوين (١٠ ـ ٣) . وفي كتب الربيين للقرون الوسطى كانت العبارة تطلق على ألمانيا ، ولا سيما أرض الهجرة الأساسية في منطقة ماينز وفورمز على ضفاف الراين . وقد أخذت كلمة أشكنازي تطلق على اليهود الألمان بشكل خاص ، وعلى يهود أوربا الغربية بشكل أعمّ ، مع أن ليهود فرنسا مثلاً اسماً آخر هو « أريغاتيم » .

وتقابل عبارة الأشكنازيين (أشكنازيم بالعبرية) عبارة السفرديين * التي تشمل اليهود الشرقيين ويهود إسبانيا الذين هاجروا في القرن الخامس عشر وانتشرت تجمعاتهم في حوض البحر المتوسط ، ويستعمل تعبيرا « سفردي » و« يهودي شرقي » كمفهوم واحد .

ولقد تميز الأشكنازيون عن السفرديين بعدم تقبل حضارات الشعوب التي عاشوا على أرضها ، وبمحافظتهم على لغة « اليديش » الخاصة بهم ، وهي لغة تطورت من اللغة الألمانية ودخلتها بعض الكلمات والمصطلحات العبرية ، كذلك دخلتها فيما بعد كلمات من السلافية .

ويمكن التفريق بين أشكنازيي أوربا الشرقية وأشكنازيي أوربا الغربية في الطقوس الدينية وفي نمط الحياة ، فالأولون أكثر تمسكاً بحرفية نصوص الكتاب المقدس وأشد تزمتاً في أمور الدين ، وهم أقل حضارة .

انتقل الأشكنازيون في أوربا القرون الوسطى من التمركز في مهنة التجارة إلى الإقراض الربوي ، وبصورة خاصة إلى إقراض الأمراء والنبلاء . وتوصل قسم كبير منهم إلى درجة عالية من الغنى عن طريق إدارة أموال هؤلاء الأمراء والنبلاء وتدوين حساباتهم ، إذ كانوا أمناء خزينة ومحصلي ضرائب يحصلونها لحسابهم الخاص لقاء مبلغ مقطوع للخزينة . كما منحت لهم حقوق استثمار احتكارات المالح والمناجم .

وجاء طرد الأشكنازيين من دول أوربا الغربية عقب التطور الاجتماعي هناك ، وعلى أثر ظهور البرجوازية التجارية في بلدان أوربا الغربية التي أرادت الحلول محل اليهود في الأعمال المصرفية والتجارية ، خاصة أن هؤلاء أساؤوا وتعسفوا حتى أصبحوا مضرب المثل في الجشع والاحتكار . وقد شهدت هذه المرحلة أعمال اضطهاد موجه للأشكنازيين أشهرها مجازر وحرائق سنوات ١٣٤٨ ـ ١٣٥٠ في ألمانيا التي سميت بسنوات الموت الأسود . وقد أخرج الأشكنازيون نهائياً من إنكلترا في نهاية القرن الثالث عشر ، ومن فرنسا في نهاية القرن الرابع عشر ، ومن ألمانيا في القرن الخامس عشر . وذهب معظمهم إلى أوربا الشرقية إلاّ أقلية اندمجت تدريجياً بالسكان الأصليين متأثرة بصورة خاصة بظهور حركة الاستنارة اليهودية .

حمل الأشكنازيون الذين هاجروا إلى ليتوانيا وبولونيا وروسيا البيضاء معهم حضارة وأفكار أوربا الغربية ، ونقلوا مهنهم في التجارة والإقراض الربوي وإدارة أموال واحتكارات الأمراء وتعهد مواردهم كما حملوا معهم سلوكهم التعسفي وجشعهم المعهود . ففي دوقية ليتوانيا تسلم الأشكنازيون مثلا بين عامي ١٤٦٣ و١٤٩٤ مكاتب الجمارك في جميع المدن الرئيسة مثل : بيليك وبرينسك وبرشكزن وأردينو وكييف ومينسك ونغورود وجيتومير . وشكل الأشكنازيون في أوربا الشرقية حتى مطلع القرن العشرين أكبر تجمع سكاني يهودي يمتد من بحر البلطيق إلى البحر الأسود ، وكانوا يشكلون نصف عدد يهود العالم . وقد أنشأوا نمطاً حضارياً منفصلا عن المجتمعات الزراعية المحيطة بهم . ويعّد هذا بدء ظهور صورة « الغيتو » * أو الحي اليهودي . وكان ٨٧٪ من أشكناز أوربا الشرقية في القرن التاسع عشر يعملون بالتجارة ، و١٢٪ حرفيين و١٪ يعملون بالزراعة .

وعندما بدأت أوربا الشرقية تنتقل من مرحلة الإقطاع إلى الرأسمالية تكررت هناك مسألة محاربة اليهود على نحو ما حصل في غرب أوربا ، وبدأت هجرة الأشكنازيين إلى أوربا الغربية وأمريكا خاصة بعد التمرد الشعبي الذي قاده « بوغدان شميلنيكي » (١٥٩٥ ـ ١٦٥٧) عام ١٦٤٨ ضد نظام الحكم البولوني في أوكرانيا حيث كان الإقطاعيون والتجار المرابون اليهود مسيطرين . وقد أدّى إقراض اليهود الإقطاعيين أموالاً ضخمة إلى أن تحوّل التجار والمرابون اليهود إلى ممثلين للإقطاعيين في جباية الضرائب

الباهظة من ضياع الإقطاعيين وأملاكهم . وكان من نتيجة هذا التمرد أن قُتل بعض اليهود .

وقد سبّب ذلك كله إعاقة حركة اندماج اشكنازي الغرب في المجتمعات المحيطة بهم . وكان تكاثرهم أسرع من تكاثر اليهود المقيمين من السفرديم ، حتى وصلت نسبتهم في مطلع الثلاثينات من القرن العشرين إلى ٩٤٪ من مجموع عدد يهود العالم ، وزاد عددهم على عدد السفرديم في تلك الدول التي هاجروا إليها ، عدا دول شمال إفريقيا وإيطاليا والشرق الأوسط .

لكن نسبة الأشكنازيين العامة انخفضت إلى ٧٧,٧٪ عام ١٩٤١ وإلى ٥٩٪ عام ١٩٦٣ . وانتقل مركز الأشكناز منذ مطلع هذا القرن من روسيا إلى الولايات المتحدة . ويعتبر الأشكنازيون المؤسسين الفعليين للحركة الصهيونية ، وقد شغلوا المراكز السياسية والاقتصادية والإدارية في الكيان الصهيوني بعد إعلان قيامه . وكانوا يشكلون حتى مطلع الخمسينات من القرن العشرين الأغلبية الساحقة من سكان (إسرائيل) .

لم ينصهر الأشكنازيون مع اليهود الشرقيين في المجتمع الإسرائيلي ، بل حافظوا على نمط معيشتهم الأوربي ، وبقي لهم حاخام مستقل وعدد من الحاخامين الرئيسين للشؤون الدينية . وظلوا ينظرون بكثير من التعالي إلى السفارديم .

كذلك ظهر تمايز بين أقسام الأشكناز حسب الدول التي جاؤوا منها ، فأطلق مثلاً على اليهود الألمان تعبير « بكش » أي اليهود الذين يصعب أن يفهموا (بالعبرية : يهودي كشيه لهفين) .

ورغم أن أبناء الأشكنازيين الذين ولدوا في (إسرائيل) يعتبرون جزءاً من الصابرا * (مواليد البلاد) إلاّ أن مجتمع الأشكناز في (إسرائيل) سيبقى متميزاً ومتفوقاً ما حافظ الأبناء الأشكنازيون على خصائصهم وأصروا على تعاليهم على السفارديم .

المراجع :

— Landshut: **Jewish Communities in Muslim Countries of the Middle East,** London 1950.

— Puppin: **The Jewish Fate and Future,** London 1970.

أشـــور :

يطلق اسم « أشور » على أقدم العواصم الأشورية ، وعلى إله الأشوريين الأعظم ، وعلى البلاد التي استوطنها الأشوريون في شمال العراق ، وعلى الدولة التي أقاموها .

اصطلح المؤرخون على تقسيم التاريخ الأشوري إلى ثلاثة عهود : الأول عهد تأسيسي قديم أشهر ملوكه شمس ـ أدو الأول (١٨١٣ ـ ١٧٨١ ق.م.) الذي كان أول من مدّ نفوذ الأشوريين إلى مناطق خارجية عندما استولى على مدينة ماري (تل الحريري على نهر الفرات في سورية) .

وقعت البلاد تحت نفوذ الملك البابلي حمورابي ، ثم بدأ العهد الثاني بعد سقوط دولة بابل الأولى (حوالي ١٦٠٠ ق.م.) . وحكم خلال هذا العهد عدد من الملوك الأقوياء أشهرهم تغلات بلاسر الأول (١١١٥ ـ ١٠٧٧ ق.م.) الذي كان أول ملوك أشور الذين وصلوا بفتوحاتهم إلى البحر المتوسط .

وجاء العهد الثالث الحديث حوالي سنة ٩١١ ق.م. بعد فترة تراجع عسكري واقتصادي . وفي هذا العهد كان لدولة أشور علاقات قوية بسورية وفلسطين . وشهد قيام إمبراطوريتين أشوريتين عظيمتين . وكان من أشهر ملوك الإمبراطورية الأولى أشور ناصر بال الثاني (٨٨٣ ـ ٨٥٩ ق.م.) الذي غزا سورية ووصل إلى « البحر العظيم » ، أي البحر المتوسط ، لكنه لم يدخل فلسطين . وكان ابنه شلمناصر الثالث (٨٥٨ ـ ٨٢٤ ق.م.) أول ملك أشوري يذكر « إسرائيل » حين تحدث عن الحلف الذي عقد بين ملك دمشق

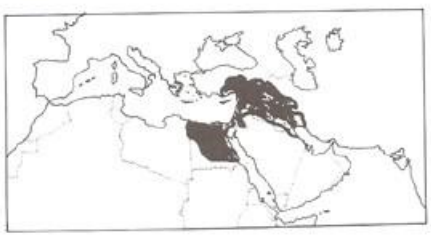

الآرامي بن حدد وآخاب ملك إسرائيل وعدد من المدن السورية للوقوف في وجه الأشوريين في معركة قرقر . وفي حملة ثانية انتصر شلمناصر على الملك الإسرائيلي « ياهو » وفرض عليه ضريبة كبيرة . وحفر شلمناصر أخبار انتصاراته على مسلّته المشهورة « المسلّة السوداء » ، وكان الملك الأشوري أداد نيراري الثالث (٨٠٥ ـ ٧٨٢ ق.م.) أول ملك أشوري يذكر اسم فلسطين .

ضعفت أشور أواخر القرن التاسع قبل الميلاد إلى أن تولى الملك تغلات بلاسر الثالث سنة ٧٤٧ ق.م. وهو يعدّ مؤسس الإمبراطورية الثانية التي وصلت أشور فيها إلى قمة مجدها العسكري والاقتصادي ، وتوالت حملاتها على سورية وفلسطين .

بدأ تغلات بلاسر الثالث عهده بغزو بابل ، ثم قام بهجوم على مدن فلسطين فأوقع الهزيمة بملك غزة ووقعت عمون وآدوم ومآب ويهودا تحت نفوذه . وورد في التوراة * أن « مناحيم » ملك « إسرائيل » دفع له جزية تقدّر بألف قنطار من الفضة . وأطلق

تغلات بلاسر على « إسرائيل » اسم « بيت عومري » . وكان تغلات بلاسر يضطلع بدور كبير في أحداث فلسطين ، ويهبّ لنصرة الملوك الموالين له . ولقّا استعان به « آحاز » ملك «يهودا» لحمايته من « فقح » ملك « إسرائيل » و« رصين » ملك دمشق اللذين عقدا حلفا عليه ضرب تغلات بلاسر جيوش الحلف ، وخلع فقح عن العرش وأقام « هوشع » ملكاً على « إسرائيل » ، وكان الثمن الذي دفعه « آحاز » لهذه الحماية سبباً من أسباب انهيار « يهودا » الاقتصادي فيما بعد .

وثارت « إسرائيل » في عهد شلمانصر الخامس (سنة ٧٢٦ ـ ٧٢٢ ق . م .) فحوصرت السامرة حتى سقطت على يد الملك التالي صارغون الثاني (٧٢١ ـ ٧٠٥ ق.م .) فانهارت بسقوطها دولة إسرائيل (٧٢٠ ق.م .) وحارب صارغون المدن الفلسطينية التي أعلنت العصيان عليه . وفي عهد ابنه سنحاريب (٧٠٤ ـ ٦٨١ ق.م .) تجددت الاضطرابات ، وثار نبلاء عكرة على ملكهم الموالي للأشوريين ، وسلموه إلى « حزقيا» ملك « يهودا » الذي ثار اعتماداً على تأييد مصر له . فغزا سنحاريب المدن الفلسطينية ، وانتصر على الجيش المصري الذي تقدم لنصرتها ، وحاصر القدس التي لم تنج من الدمار إلاّ بتقديم هدايا ثمينة . ورأى الملك أسرحدون (٦٨٠ ـ ٦٦٩ ق.م .) أن استقرار الأحوال في فلسطين يستدعي وضع حد لتدخل دولة مصر فغزاها وأسقط الأسرة الحبشية التي كانت تحكم آنذاك . وتوقف التدخل المصري في فلسطين حتى نهاية الدولة الأشورية . وكان أشور بانيبال آخر ملك أشوري قوي غزا فلسطين وانتصر على « يهودا » ، رأدوم ، ومآب ، وغزة وعسقلان .

يتضح مما ذكر أن علاقة الأشوريين بفلسطين بدأت في القرن التاسع قبل الميلاد ، واستمرت إلى أيام الملك أشور بانيبال الذي انتهى حكمه في سنة ٦٢٥ ق.م . وقام الأشوريون خلال هذه الفترة بدور بارز في الأحداث التي كانت تجري في فلسطين ، وهم الذين أسقطوا دولة « إسرائيل » وتركوا دولة « يهودا » ضعيفة منهارة لتسقط بعد فترة وجيزة على يد نبوخذ نصر الكلداني .

لم تقتصر الحروب الأشورية على المناطق الغربية فقط بل شملت الجهات الشرقية في إيران ، والشمالية في بلاد الأناضول ، والجنوبية في بابل وعيلام . وكان لها أثر بعيد في حياة شعوب هذه المناطق وتاريخها ، وعملت سياسة التهجير التي اتبعت على مزج الشعوب بعضها ببعض .

اهتم الأشوريون اهتماما كبيراً بالأعمال العمرانية فشيّدوا العواصم الكبيرة كنينوى ، وكلخ ، ودور شروكين ، وزينوا قصورهم بالنقوش والتماثيل ، وبذلوا عناية خاصة في أمور لم تكن مألوفة من قبل ، كإقامة حدائق الحيوانات وغرس الأشجار الغريبة في المتنزهات . واهتموا بالشدوين فوصلت منهم كتابات مفصلة لم تكشف عن التاريخ الأشوري فحسب ، بل كشفت عن تاريخ شعوب أخرى ما كان تاريخها ليعرف لولا المدونات الأشورية .

سقطت الدولة الأشورية في سنة ٦١٢ ق.م . على يد الكلدانيين والميديين الذين تحالفوا على إسقاطها بعد أن أنهكتها الحروب المتواصلة .

المراجع :

ـ طه باقر : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، بغداد ١٩٧٣ .

— Luckenbill, D.D.: **Ancient Records of Assyria and Babylonia (ARAB)**, Chicago 1926 and 1927.

— Olmstead, A.T.E.: **History of Assyria**, New York 1923.

إشْـــوَعْ (قـرية ـ) :

قرية عربية تبعد نحو ٢٧ كم إلى الغرب من مدينة القدس * ، وهي على طريق بيت جبرين ـ باب الواد الرئيسة المعبدة . وترتبطها طرق ممهدة بقرى عسلين * وعرطوف * وبيت محسير * ودير أيوب * وكسلة * وصرعه * وبيت سوسين * .

نشأت إشوع في منطقة الأقدام الغربية لجبال القدس * منذ عهد الكنعانيين * ، وأقيمت على ارتفاع ٢٧٥ م فوق سطح البحر وسط واد يتجه نحو الجنوب ، منتهيا في وادي إشوع الذي يرفد وادي الصرار*. وتألفت معظم بيوتها من الحجر ، واتخذ مخططها التنظيمي شكل النجمة إذ امتدت المباني في محور مسايرة للطرق المتفرعة عن القرية . وكان نموها العمراني يتجه نحو الجنوب ، ونحو الشمال الغربي صوب قرية عسلين المجاورة . وبلغت مساحتها في عام ١٩٤٥ نحو ١٨ دونماً . اشتملت إشوع على بعض الدكاكين ، وعلى مسجد ومدرسة ابتدائية ، وكانت تحتوي على بعض الآثار القديمة (ر : الخرب والأماكن الأثرية) . وفي شمالي القرية عين إشوع التي اعتمد عليها الأهالي لتزويدهم بمياه الشرب إلى جانب اعتمادهم على مياه بعض العيون الصغيرة المجاورة ، وعلى آبار الجمع .

مساحة أراضي إشوع ٥,٥٢٢ دونماً جميعها ملك للعرب . وقد استثمرت أراضيها في زراعة الزيتون * والعنب * والفواكه الأخرى ، وكذلك في زراعة الحبوب * . وقد اعتمدت الزراعة * على مياه الأمطار .

كان في إشوع عام ١٩٢٢ نحو ٣٧٩ نسمة ، وازداد العدد في عام ١٩٣١ إلى ٤٦٨ نسمة كانوا يقيمون في ١٢٦ بيتاً . وفي عام ١٩٤٥ قدر عددهم بنحو ٦٢٠ نسمة . اعتدى الصهيونيون عام ١٩٤٨ على إشوع ، وطردوا سكانها ، ثم دمروا بيوتها وأقاموا على أراضيها وأراضي قرية عسلين مستعمرتي « اشتاؤل » و« هارطوف » .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٨ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤ .
ـ أنيس صايغ : بلدانية فلسطين المحتلة ، (١٩٤٨ ـ ١٩٦٧) ، بيروت ١٩٦٨ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة القدس .

الإصلاح (حزب ـ) :

مؤسسه في عام ١٩٣٤ هو الدكتور حسين فخري الخالدي * الذي كان موظفاً في دائرة الصحة العامة في فلسطين أيام الانتداب . وفي عام ١٩٢٨ شغل منصب كبير الأطباء في الدائرة المذكورة . وكان يتحلى بروح وطنية قوية .

وفي سنة ١٩٢٩ وقع حادث سياسي بعيد المدى رفع الدكتور خالدي إلى مركز الصفوة الممتازة من الوطنيين ، وأوجد تقارباً ملموساً بينه وبين الجبهة الوطنية . ففي ٢٣ آب من ذلك العام نشبت في القدس * الثورة التي عرفت بثورة البراق (رَ : ثورة ١٩٢٩) ، واستمرت أكثر من أسبوع وعمت سائر أنحاء فلسطين ، وبصورة خاصة مدينتي الخليل * وصفد * حيث وقعت اصطدامات مسلحة عنيفة بين العرب والصهيونيين .

وزعم الإنكليز والصهيونيون أن أهل مدينة الخليل مثلوا بجثث الصهيونيين الذين قتلوا في الثورة . وتركت هذه الدعاية رد فعل سيئاً ضد العرب في الخارج ، فطلب الحاج محمد أمين الحسيني * واللجنة التنفيذية للمؤتمر العربي الفلسطيني * السابع إجراء تحقيق رسمي في هذا الموضوع ونبش القبور وإخراج جثث القتلى الصهيونيين للمعاينة والتحقيق . ولكن الحكومة البريطانية ، ومن خلفها الوكالة اليهودية * ، عارضت هذا الطلب بقوة .

ظل الوطنيون يصرون على تحقيق مطلبهم هذا ، فأمر الدكتور حسين فخري الخالدي رئيس الأطباء في دائرة الصحة العامة آنذاك ، بإجراء التحقيق متحدياً بذلك الحكومة نفسها ، وعيّن لجنة من الأطباء العرب والإنكليز للقيام بهذه المهمة . وعند اتمام مهمتها ومعاينة الجثث أصدرت اللجنة المذكورة بياناً رسمياً نفت فيه اتهامات الإنكليز والصهيونيين ، وأكدت أنه لم يجر أي تشويه أو تنكيل بأي من القتلى الصهيونيين . فغضب الإنكليز والصهيونيون على الخالدي لهذا الموقف المشرف ، وشنوا عليه حملات مضللة قاسية ، ولكنه لم يكترث لموقفهم في حين سارع زعماء الجبهة الوطنية في البلاد إلى الإعراب عن شكرهم وتقديرهم للدكتور الخالدي .

ونتيجة لهذا الموقف الممتاز الذي وقفه الخالدي ازداد التقارب بينه وبين الوطنيين ، وانطلق الدكتور الخالدي يسدي ما يستطيع من الخدمات والمساعدات للحركة الوطنية .

وفي عام ١٩٣٤ قررت الحكومة البريطانية إجراء انتخابات عامة للمجالس البلدية في فلسطين ، واتجهت أنظار العرب والصهيونيين على السواء ، فضلاً عن الحكومة ، إلى مدينة القدس حيث كانت معركة الانتخابات البلدية أشد عنفاً وضراوة من أية معركة انتخابات بلدية أخرى في فلسطين ، لأن الحكومة والصهيونيين كانوا حريصين على فوز راغب النشاشيبي * في الانتخابات وبقائه رئيساً للبلدية في حين كان الوطنيون يركزون معظم جهودهم لإسقاط راغب النشاشيبي (زعيم المعارضة) في الانتخابات وانتزاع رئاسة بلدية القدس منه لأنه جعل من مجلس بلدية القدس أداة فعالة لمناهضة الحركة الوطنية ومقاومة المجلس الإسلامي * ، ولأنه كان يعمل باستمرار على عرقلة جهود الحركة الوطنية وإحباط العديد من المخططات المرسومة لمقاومة الحكم البريطاني .

ولما بدأت معركة انتخابات بلدية القدس تباحث زعماء الوطنيين في أمر اختيار الشخص الذي يرشحونه لمنافسة راغب النشاشيبي ، وقرروا ترشيح الدكتور الخالدي الذي نزل عند رغبتهم واستقال من وظيفته .

وبعد معركة انتخابية عنيفة وقف فيها الإنكليز والمعارضون إلى جانب النشاشيبي ، والوطنيون إلى جانب الخالدي ، فاز الدكتور الخالدي على النشاشيبي .

كان الدكتور الخالدي حريصاً على أن يظهر أمام الشعب بأنه محايد ومستقل وغير تابع لأي حزب أو زعيم . ومن هنا اتجه تفكيره إلى إنشاء حزب يكون هو زعيمه وقائده ، ويكون قادراً على الصمود في وجه القاومة المنتظرة من مناهضيه ، خاصة أن منافسه راغب النشاشيبي شكل حزب الدفاع الوطني * . فأسرع الخالدي إلى تأسيس حزب الإصلاح الذي انضم إلى عضويته عدد من الأعيان والوجهاء، مما جعل بعض الناس يصفونه بحزب الأعيان. وكان من أبرز

الأشخاص الذين تشكلت منهم لجنة الحزب المركزية : اسحق البديري (القدس) محمود أبو خضرا (يافا) حسني خليفة (عكا) عيسى البندك (بيت لحم) سعد الدين الخليلي (القدس) .

تولى الدكتور الخالدي زعامة الحزب في نفس الوقت الذي كان يتولى فيه رئاسة البلدية ، الأمر الذي أثار موجة من الحملات الصهيونية والإنكليزية ضده . ولم يكن الإنكليز والصهيونيون يخشون حزب الإصلاح ، أو نفوذه ، فقد كان من أحزاب الأقلية المحدودة ، ولكنهم كانوا يمهدون السبيل يومئذ لجعل رئيس بلدية القدس يهودياً .

وذكرت حكومة الانتداب في فلسطين في تقاريرها المرفوعة إلى لجنة الانتدابات الدائمة في عصبة الأمم * وإلى الحكومة البريطانية في لندن أن الحزب العربي الفلسطيني * هو أكبر حزب في البلاد ، ويليه في القوة والنفوذ حزب الدفاع الوطني . أما سائر الأحزاب ومنها حزب الإصلاح فهي أحزاب أقلية .

وعندما تشكلت اللجنة العربية العليا لفلسطين * في ربيع ١٩٣٦ برئاسة الحاج أمين الحسيني ، انضم الدكتور الخالدي إلى عضويتها لأنه رئيس حزب . وأخلص الخالدي في العمل الوطني ووقف في جميع الظروف والمناسبات إلى جانب الجبهة الوطنية . ولما ضاق الصهيونيون والإنكليز ذرعاً بالحركة الوطنية وزعمائها ، وباللجنة العربية العليا لفلسطين وصمودها في وجه المؤامرة المبيتة ضد فلسطين ، أندمت الحكومة البريطانية في تشرين الأول ١٩٣٧ بحجج واهية على حل المجلس الإسلامي الأعلى واللجنة المذكورة واللجان القومية * ، وألقت القبض على الدكتور حسين الخالدي وأحمد حلمي عبد الباقي * وفؤاد سابا ويعقوب الغصين * ورشيد الحاج إبراهيم * وأبعدتهم إلى سيشل .

وفي أواخر عام ١٩٣٨ أفرجت السلطات البريطانية عن المبعدين المذكورين . وعاد الدكتور الخالدي إلى بيروت . ولما تقرر عقد مؤتمر المائدة المستديرة بين العرب وبريطانيا في لندن انتخب الخالدي عضواً في الوفد الفلسطيني (رَ : لندن ، مؤتمر ١٩٣٩) . وانتهى المؤتمر المذكور في صيف ١٩٣٩ إلى الفشل بسبب السياسة البريطانية والنفوذ الصهيوني العالمي ، فعاد الخالدي إلى بيروت وآثر البقاء فيها إثر نشوب الحرب العالمية الثانية .

وعندما أضحت الظروف العامة في فلسطين تسمح باستئناف النشاط السياسي عاد الخالدي إلى الوطن ، واستأنف في عام ١٩٤٣ جهوده السياسية ، وأعاد تشكيل حزب الإصلاح وتنشيطه . ولعب الخالدي دوراً كبيراً وفعالاً في تحقيق هدف الفلسطينيين باشتراك وفد عنهم في اجتماعات اللجنة التحضيرية لإنشاء جامعة الدول العربية . وكان للخالدي فضل كبير في هتك الستار عن المؤامرات التي كانت تحاك ضد قضية فلسطين في ١٩٤٣ / ١٩٤٤ ، وتصدى بجرأة وشجاعة لمشروع المكاتب العربية * .

ظل حزب الإصلاح قائماً حتى حزيران ١٩٤٦ عندما تم إنشاء الهيئة العربية العليا لفلسطين * واختير الخالدي عضواً فيها . فقد أوقفت جميع الأحزاب الفلسطينية نشاطها وأعمالها مع إنشاء الهيئة ولم يعد أي منها إلى العمل بعد هذا التاريخ . وتجدر الإشارة الى أن حسين فخري الخالدي كان الوحيد من أعضاء الهيئة الذي بقي في فلسطين في أعقاب قرار التقسيم (رَ : تقسيم فلسطين) .

المراجع :

ـ مذكرات حسين فخري الخالدي ، مخطوط من ٧ أجزاء محفوظة في مكتبة مركز الأبحاث لمنظمة التحرير الفلسطينية .

الأصمعي (مجلة ـ) :

مجلة اجتماعية نصف شهرية ظهرت في القدس * . وصدر العدد الأول منها حاملاً تاريخ ١٩ آب و ١ أيلول ١٩٠٨ . وهي تعتبر أول مجلة عربية صدرت في فلسطين . سماها صاحبها حنا عبد الله العيسى * « الأصمعي » لولعه بالأصمعي ، وتكنى بكنيته « أبي سعيد » . وقد عالجت المجلة الموضوعات الاجتماعية والسياسية والتربوية والأدبية .

طبعت الأصمعي في القدس في مطبعة جورجي حبيب حنانيا * صاحب جريدة القدس ، أما مكاتب إدارتها فكانت في يافا * .

صدر من المجلة أحد عشر عدداً في مدة خمسة أشهر ونصف ، وتوقفت عن الصدور بعد وفاة صاحبها بتاريخ ١٩٠٩/٩/١٢ .

شارك في تحرير المجلة والكتابة فيها خليل السكاكيني * الذي تكنّى بأبي الطيب لولعه بالمتنبي ، ومحمد إسعاف النشاشيبي * الذي تكنّى بأبي الفضل لولعه ببديع الزمان الهمذاني .

المراجع :

ـ أحمد خليل العقاد : الصحافة العربية في فلسطين ، دمشق ١٩٦٧ .

أصناف الأرض : رَ : الأرض (أصناف ـ)

الأطعمة :

الطعام اليومي في فلسطين طعام بسيط يتألف عادة من

الحبوب * والألبان والخضر * والنباتات الطبيعية * التي ظل الإنسان الفلسطيني يعتمد كثيراً على نتاجها ، وخاصة في الأجزاء الشمالية والغربية من فلسطين حيث تسمح الأمطار بنموّ غطاء نباتي وجد الناس فيه مصدراً خصباً لقوتهم . كما أن هذا الغطاء النباتي ساعد أيضاً على وجود طيور * وحيوانات برّية * كانت مصدراً آخر لغذاء الإنسان . ويضاف إلى ذلك الساحل الفلسطيني الغني بالأسماك * ومختلف صنوف الصيد البحري . وهكذا فإن الأطعمة في فلسطين تتخذ مادتها من خيرات بلد يعتمد على الزراعة * ، والرعي * ، ونبات البر ، وحيواناته ، وصيد البحر .

وكانت فلسطين منذ القديم تتعرض إلى غزوات القبائل البدوية المجاورة التي تتلف الزرع وتنهب المحصولات والمواشي ، كما كانت البلاد تصاب ، أحياناً كثيرة ، بالجفاف * والقحط والأوبئة والجراد . لذلك كان السكان يقلقون دوماً على مصادر معيشتهم ، ولا ينقطعون عن التفكير في « خبزهم اليومي » . فقد كان الخبز ، كما يستدل من روايات الأناجيل ، هو الغذاء الرئيس لعامة الناس . وفي الدعاء إلى الرب إنما يقصد بالخبز كل طعام إطلاقاً . و« الأرغفة الخمسة » « مع السمكتين » التي أعطاها الغلام السيد المسيح (سفر يوحنا ٦ : ٩) هي خبز من الشعير الذي كان هو الشائع .

وإلى جانب الخبز كان طعام السكان في عهد المسيح وقبله وبعده يتألف من الفواكه والخضر مثل : العنب * والزبيب والتين والزيتون * والتمر ، ثم العدس والبازلا والفاصوليا والبصل والبطيخ والخيار . أما اللحم فلم يكن يؤكل إلاّ قليلاً ، ويقتصر أكله عند عامة الناس على المناسبات الخاصة من أعياد وأفراح وولائم ، حتى بعد أن خفف المسيح القيود الشديدة الواردة في التوراة * على أنواع الحيوانات وطريقة ذبحها . ويعكس اللحم كان السمك من الأطعمة الهامة في عهد السيد المسيح . ومن المعروف أن أكثر تلامذة المسيح كانوا من صيادي السمك . وكان السمك يطبخ طازجاً أو يشوى أو يجفف مع الملح .

وفي العصر الحاضر تتنوع الأكلات في شمال فلسطين وساحلها حيث المنتجات الزراعية المختلفة ، ويظهر طابع الرفاه على بعضها . في حين يتميز طعام السكان في أقصى جنوب فلسطين وجنوبها الشرقي من غيره باعتماده على ثلاثة مصادر هي : الألبان ، ولحوم الماشية ، والحبوب .

ومن الضروري أيضاً التمييز بين طعام أهل المدن وطعام أهل الريف ، فهناك هوّة كبيرة بين الاثنين . ومردّ ذلك إلى أن المدينة الفلسطينية ، شأنها في ذلك شأن المدينة في كل مكان من الأرض العربية ، كانت مقاماً للمجموعات العسكرية التركية من دالاتية ، وأكراد ، وأرناؤوط ، ومغاربة .. الخ ، وكانت هذه المجموعات ، فضلاً عن تمتعها بمستوى معيشي مرتفع بالنسبة إلى السكان المحليين الفقراء ، قد جلبت معها إلى الأرض الفلسطينية أكلات أجنبية تركية ، سواء من حيث ماهيتها أو تسميتها على الأقل . وتتسم مآكل المدينة بطابعها البورجوازي إذا ما قورنت بمآكل الفلاحين الذين اعتمدوا على بقول البر ، وحبوب الفلاحة ، وثمار التين والعنب والبطيخ ، وألبان المواشي ، وطبخ كل ذلك بطريقة بسيطة توفر الليونة الضرورية التي يحدثها المرق للخبز الجاف في أحسن الأحوال .

ولا بد من الإشارة إلى وجود فروق بين طعام الرجل وطعام المرأة ؛ إن الطعام الأكثر والأفضل في الوسط الشعبي هو من نصيب الرجال والكبار بالسن أولاً ، ثم النساء والأطفال . وتضطر التقاليد المواطن الفلسطيني إلى إعارة الضيف ومن هو في حكمه كممثلي السلطة اهتماماً خاصاً قد يصل في بعض الحالات إلى تجاهل حقوق الأطفال والنساء في الأسرة .

وفيما يلي أنواع الأطعمة في فلسطين بالتسميات الأصلية مع ذكر أساليب إعدادها وتناولها . وهذه الأطعمة مرتبة ترتيباً هجائياً . ولا بد من التنبه إلى أن أكثر هذه الأطعمة تشبه الأنواع المعروفة في الأقطار المجاورة ، ومن الصعب معرفة أصل كل منها ؛ أهو من فلسطين أم من غيرها ؟ .

١) إبرة العجوز : تطبخ جذوع النبتة البرية التي تحمل الاسم نفسه مع البصل المقطّع والزيت .

٢) الإدرة : وهي مأخوذة من كلمة « قدرة » أي القدر . أكلة شائعة في مدينة الخليل * ، وتتألف من الرز والصنوبر واللحم والسمن البلدي ، توضع في قدر يدفع بها إلى الفرن حتى ينضج ما فيها .

٣) اكريزة : حلويات تصنع من السميد والسكر ويرش على السطح مبشور الجوز .

٤) بابا غنوج : باذنجان مشوي يقدم مع اللبن والثوم وزيت الزيتون .

٥) البازلاء : تطبخ البازلاء الجافة مع مرق اللحم .

٦) البامية : تطبخ « قرون » البامية مع اللحم و / أو البندورة . وفي وسط وشمال فلسطين تقدم « يخنة » البامية مع الرز ، بدلاً من « مريس » اللبن الشائع في جنوب البلاد .

٧) بحبشونة : وهي أكلة الفقراء العدمين . تصنع البحبشونة من الطحين المحمّر في طبق واسع مبلول حتى تتألف حبيبات منه ، ثم تلقى الحبيبات هذه في الماء الغالي . تطبخ البحبشونة أيضاً مع أوراق نبتة الجعدة المجففة .

٨) البحتة : يسلق الرز بالحليب المحلى بالسكر ويصب

الطعام في وعاء حتى يجمد . وقد يضاف إليه بعد أن يجمد شيء من السمن أو الزبدة .

٩) البُخْتة : تطبخ أوراق وعروق هذه النبتة البرية بعد تقطيعها مع الزيت والبصل .

١٠) البرازق : نوع من الكعك المستدير الرقيق المغطى بالسمسم .

١١) برانيط السكوب : أنظر ششبرك .

١٢) بَرَّط حُومِه : يضاف البيض إلى مرق فيه بصل وزيت ، ويفتّ الخبز بالمرق .

١٣) البرغل : هو القمح المسلوق ، وتستعمله الفلاحة الفلسطينية بدلاً من الرز لوفرته ورخصه ، يطبخ مع العدس ، ويدخل في عمل المفتول والكبة .

١٤) بُرَيدة : نبتة برية تنتج حبيبات لذيذة الأكل .

١٥) بَسرم : تؤكل جذوع هذه النبتة البرية نيئة .

١٦) بسيسه : يمزج الزيت وطحين القمح ليتكون منه مزيج لزج القوام يؤكل بغمس حبّات التين المجفف (القَطِين) فيه .

١٧) البصامه : نوع من العجين الرخو المخبوز على « صاج » مدهون بالزيت . وبعد إعداد « الرقاق » تدهن بالسمن والسكر وتقطع بسكين .

١٨) البطاطا : تطبخ مع البصل والزيت واللحم . وقد تؤكل البطاطا مشوية ، أو مسلوقة ، أو مقلية بالزيت ، أو على شكل طبقة مهروسة فوقها طبقة من اللحم وأخرى مهروسة .

١٩) البقدونسيّة : نوع من السلطة المؤلفة من البقدونس المقطّع مع الطحينة المحلولة بالليمون .

٢٠) البُلوظه : يطبخ نشا القمح ويضاف إليه القطر المصبوغ بلون أحمر .

٢١) البندورة : غذاء رئيسي للفقراء ، ومادة تزين « سفرة » الموسرين . وتدخل البندورة في إعداد السلطة والمرق والبخاني .

٢٢) البوزة : هي تخمير الخبز الجاف والخميرة بنقعهما بالماء ووضعهما تحت حرارة الشمس .

٢٣) البيتنجان : يمشى الباذنجان بخلطة من الرز واللحم المفروم والتوابل ويطبخ ، ويكدّس بالزيت بعد حشوه بالجوز ليستعمل مقبلاً . ويطبخ الباذنجان مع البندورة ، كما يؤكل مقلياً ومشوياً . ويدخل في طبخة « المقلوبة » .

٢٤) البيصارة : يطبخ الفول المجروش بالملوخيّة . وهي أكلة ذات جذور فرعونية وكنعانية .

٢٥) البيض : في الثلاثينات من هذا القرن كان سعر البيضة الواحدة يعادل مليماً فلسطينياً وربع المليم . وقد توفر البيض غذاء يومياً للأسر القروية التي كانت تربي كل منها عشرات بل مئات من الدجاج . وهكذا كان البيض يستعمل على نطاق واسع مشوياً ، مقلياً ، مع البندورة في القلّاية ، ومع أوراق « الجعدة المجففة » (جعاجيل) ومسلوقاً مع البطاطا (مفركية) ، ومع اللحم ، ومع الزهرة (القنّبيط) ، ومع « زنابيط » البصل ، وأخيراً ، وفي الأوساط البورجوازية ، محشواً باللحم المفروم المقلي .

٢٦) التمر : يؤلف العمود الفقري للطعام عند بدو أقصى جنوب فلسطين . وفي المناطق المتحضرة شمالاً يصنع منه شراب لذيذ .

٢٧) الثريد : الخبز الجاف المفتوت بمرق أو لبن أو ما شابه ذلك .

٢٨) الجاج : يطبخ الدجاج مع الحساء ويحشى بالأرز والتوابل . وفي الوسط الشعبي يؤكل مع الملوخية والخضار .

٢٩) الجريشة : الأكلة الشعبية الرئيسة في المواسم وعند أضرحة الأولياء . يطبخ مع القمح المجروش بالماء ، ومع اللحم ، أو بدونه .

٣٠) الحصرمية : العدس غير المجروش يطبخ مع الحصرم .

٣١) الحلاوة : تصنع في المصانع ، وعليها إقبال عظيم ، ومنها البيضاء المتحجرة التي تسمى « حلاوة النبي » .

٣٢) حلّي سنونك : مادة مصنوعة من السكر المغلي بالماء حتى يجمد .

٣٣) الحلبة : نوع من الحلويات المؤلفة من السّمبد والسكر والطحين ، وكذلك بذور الحلبة .

٣٤) الحليب والليمون : من أعمدة الغذاء في طول البلاد وعرضها ، ومنهما تشتق عشرات المأكولات والحلويات .

٣٥) الحمام : من هذه الطيور المنزلية تشتق أكلات كثيرة .

٣٦) الحمّص : من الحمّص يقدم صحن الفطور الشرقي المعروف ، ومنه تصنع الفلافل الأكلة الوطنية الشائعة .

٣٧) الحمّصيص : تطبخ جذور هذه النبتة البرية الحامضة الطعم مع العدس أو جريشة الذرة .

٣٨) الحمّيظ : تنظف أوراق هذه النبتة البرية وتقل مع الزيت والبصل .

٣٩) الحُويرة : تؤكل أوراق وجذوع هذه النبتة التي تنمو بالقرب من مصادر المياه ، أو تقل مع الزيت والبصل .

٤٠) الخبّيزة : نبتة برية ذات أوراق خضراء عريضة . تفرم الأوراق وتطبخ مع الزيت والبصل . وقد تطبخ مع الرز .

٤١) الخبيصة : نوع من « الهيلطية » المؤلفة من النشا ومنقوع الخروب .

٤٢) الخَرُوب : تؤكل قرون الخروب المجففة في الشتاء كغذاء وكمادة حلوة .

٤٣) الخميعة : الخبز المفتوت بالحليب .

٤٤) الدّبس : يصنع من التمر ويؤكل بمزجه مع الطحينة أو وحيداً . وربما كان آكلوه مع الطحينة يقلدون الموسرين الذين يأكلون العسل والزبد .

٤٥) الدُّقَّة : أوراق الزعتر المجففة والمدقوقة مع السمسم ونحوه .

٤٦) الدُّقَّة : سلطة غزّاوية يتألف معظمها من الفلفل مع قليل من البندورة .

٤٧) الدّوالي : ورق العنب الملفوف بخلطة من الرز واللحم والبهارات .

٤٨) الرّاحة : معجّنة من السكر والطحين تصنعها المصانع خصيصاً للوسط الشعبي .

٤٩) الرّز : مادة غذائية أساسية . يستعاض عنها في الوسط الشعبي بالبرغل ، وفي الأوساط الفقيرة يظهر الرز في المناسبات الاجتماعية واحتفالات الضيافة .

٥٠) الرّشتة : عجين مقطع يلقى به في ماء غال به عدس . تؤكل هذه الأكلة بعد أن تبرد .

٥١) الرّمّانيّة : أكلة غزاوية تتألف من الباذنجان والعدس والرمان .

٥٢) الزّعمطوط : نبتة برية ذات ورق عريض أخضر مشرب بالزرقة . يطبخ ورق الزعمطوط ملفوفاً بخلطة من الرز واللحم والبهارات .

٥٣) الزّلابية : العجين الرخو المقلي بالزيت . ويمكن تصنيف هذا النوع من المأكولات ضمن مواد النرف في الوسط الشعبي .

٥٤) الزيتون : تؤلف منتجات الشجرة المباركة الجزء الأكبر من غذاء الفلاح الفلسطيني ، فهو يأكل حب الزيتون بأشكال شتى . ويستعمل الزيت تقريباً في كل أكلة من أكلاته .

٥٥) السلطة : خليط من البندورة والفلفل والبصل المفروم مع الملح والزيت .

٥٦) السمك : يتوفر السمك في فلسطين ، في ساحلها الطويل وبحيرة طبريه * ونهر الأردن * ، ويؤلف جانباً هاماً من غذاء الشعب ومصدر رزقه .

٥٧) السّميدة : وهي مجروش القمح أو البرغل ، وتؤلف جزءاً هاماً من طعام الناس في الوسط الشعبي . تؤكل بطبخها مع اللحم ، أو بدونه .

٥٨) الشاكرية : اللحم المطبوخ باللبن .

٥٩) الششبرك : قطع من العجين المحشوة باللحم ونحوه . تطبخ بمرق اللبن .

٦٠) الشعيرية : تصنعها الفلاحة الفلسطينية من عجين القمح لتكون بديلاً للرز ، أو لتخلط معه .

٦١) الصّبر : من ثمار الصيف البرية التي تعوض عن الكثير من الطعام .

٦٢) الطاجن : ما يطبخ في إناء من النحاس من خضار ولحم . وتنتمي أكلات الطاجن لجنوب فلسطين .

٦٣) العدس : طعام الفقراء الذي يغني عن اللحم . يطبخ لصنع الثريد ، أو لخلطه مع الرز أو البرغل .

٦٤) العسل : وهو منتوج وافر في فلسطين ، وعلى الأخص في الساحل والجبل والغور حيث يتوافر غطاء نباتي ضروري لنشاط النحل .

٦٥) العكّوب : نبتة برية ذات جذور تطبخ بعد تنظيفها .

٦٦) الفتّ : يعني إذابة الخبز في مرق اللحم والحساء والحليب ، ومرق اللبن ، وما شابه ذلك من أطعمة ذات قوام رخو .

٦٧) الفريكة : وهي حبات القمح قبيل نضجه مشوية بنار هادئة ، تصنع منها أكلة لذيذة الطعم ، وخاصة مع لحم الطيور .

٦٨) الفلافل : أكلة فلسطينية وعربية مشهورة تحضر من مجروش الحمص مع البهارات ، وتقلى بالزيت . وأكثر ما تؤكل مع الفطور .

٦٩) الفول : طعام شعبي شائع ، يطبخ وهو أخضر ، كما يطبخ الفول المجروش مع اللحم أو بدونه .

٧٠) القرص : تصنع أشكال شتى من الأقراص . وهي عجين يضاف إليه اللحم والزعتر والسبانخ والحلبة والبيض ، الخ .

٧١) القطايف : يرتبط تناول هذا النوع من الحلويات في الذهن الشعبي بأيام رمضان ، وهي إحدى ملامح الأكل في هذا الشهر .

٧٢) القطين : التين المجفف .

٧٣) القمر الدين : يصنع من الفواكه ويكون على شكل رقائق . يستعمل مذاب قمر الدين أكلة خفيفة للسحور في رمضان .

٧٤) الكبة : أكلة فلسطينية شمالية شائعة . وهي بوجه الإجمال برغل منقوع بالماء ومحشّ باللحم .

٧٥) الكعك : على الأغلب يؤكل الكعك في عيد الفطر في الوسط الشعبي ، وفي الأوساط المتقدمة تتنوع أشكاله ومناسبات تناوله .

٧٦) الكفتة : اللحم المطحون والممزوج بالبصل والبقدونس ، تصنع منه كرات تقلى بالزيت أو تطبخ بالمرق .

٧٧) الكوسا : تطبخ بالحساء ، أو تحشى بالرز واللحم .

٧٨) اللحم : تتوفر الماشية والجمال والطيور والحيوانات البرية في فلسطين مما يكوّن مصدراً جيداً للّحم . وقبل الخمسينات من هذا القرن كان من الممكن شراء عنز في سنتها الثانية مقابل جنيه فلسطيني واحد . وكان بعض الناس يحصلون على اللحم من صيد البر الوافر . وفي الغور " كانت تتوافر الجواميس والطيور البرية بصورة كافية .

٧٩) اللزازيق : عجين رخو يخبز على الصاج المحمي .

٨٠) اللّسينة : نبتة برية ذات ورق أخضر خشن . تطبخ الأوراق بعد حشوها بخلطة من الرز واللحم . وهي أكلة ذات نكهة جيدة .

٨١) المجدّرة : البرغل والعدس ، أو الرز والعدس .

٨٢) المدفونة : يدفن اللحم بين حبات الرز ، ويطبخ الجميع بعد إضافة الماء والسمن والبهارات .

٨٣) المسخّن : أكلة فلسطينية أصيلة ، أغلب ما توجد في وسط وشمال فلسطين . يخبز خبز الطابون ويضاف إليه البصل المقلي مع الطيور المحمرة وزيت الزيتون الأصيل . شاع استعمالها فيما بعد كأكلة رسمية .

٨٤) المعمول : الكعك المصنوع من السكر والسميد والسمن .

٨٥) المفتول : أكلة فلسطينية نموذجية تتألف من البرغل المفتول مع الطحين ، والمطبوخ ببخار مرق الدجاج ونحوه . وهي أكلة شعبية .

٨٦) المقلوبة : أكلة شعبية سميت بهذا الاسم لأنها تطبخ وتصب كقالب مقلوب . تتألف من الرز والخضار واللحم .

٨٧) الملفوف : تلف أوراق الملفوف بخلطة من الرز واللحم .

٨٨) الملوخية : أكلة شعبية وتاريخية . وغالباً ما تطبخ أوراق الملوخية مع لحم الطيور .

٨٩) المنسف : أكلة شعبية ورسمية تنتمي إلى جنوب ووسط فلسطين ، وهي غير موجودة في الشمال ، باستثناء مناطق البدو . وفي الأجزاء غير الصحراوية من فلسطين يقدم الرز منفصلاً عن المرق مهما تعدد الحضور . ويرتبط المنسف تاريخياً بالأوساط البدوية . وهو يعطي الفرصة لإطعام عدد كبير من الناس باستعمال أدوات قليلة جداً .

إن ما أورد من قائمة الأطعمة في فلسطين ما هو إلا جزء من قائمة طويلة من الأكلات والحلويات التي عرفها الشعب الفلسطيني ونتجت عن خيرات أرضه المعطاء . إن دراسة الأنكار والعادات المتصلة بالأكل توضح ، إلى حد كبير ، عادات الشعب وواقعه المعيشي ، وهي وجهة نظر نتجت عن التفاعل بين الإنسان وواقع أرضه .

وقد عانى الفلسطينيون الكثير ، وأوذوا في أرزاقهم منذ أن بدأت الهجمة الصهيونية على وطنهم ، وذاقوا مرارة الجوع والعوز . وما زالت رحلة المعاناة من أجل لقمة العيش مستمرة ما دامت رحلة العدوان قائمة ، وما دام الشعب الفلسطيني مصرّاً على تحرير أرضه مصدر قوته ، تلك الأرض التي عرفت منذ القديم بأنها الأرض التي تفيض لبناً وعسلاً ، والتي وصفها رحالة القرن التاسع عشر بأحلى الأوصاف : غطاء نباتي أخّاذ ، وغطاء حيواني وافر ، وطيور تحجب نور الشمس عن الأرض ، ومياه وينابيع تملأ كل مكان .

المراجع :

ـ موسوعة الفولكلور الفلسطيني : ج ٣ ، الأكل الشعبي .

ـ يسرى عرنيطة : الفنون الشعبية في فلسطين ، بيروت ١٩٦٨ .

— Fridric Scrim Geour: **Nazareth of To - day**, London 1913.

— Mary Eliza Rogers: **Domestic Life in Palestine**, London 1863.

— Thomson, W.: **The Land and the Book**, New York 1892.

الأطلسي : رَ : مجلس الأطلسي الأمريكي (تقرير ـ)

اعتداء : رَ : عدوان

الإعلام الموحد (مجلس ـ) :

هو المجلس الذي عبّر خلال عامين من العمل عن الوحدة الإعلامية لمنظمات المقاومة الفلسطينية .

وكانت اللجنة المركزية لحركة فتح قد قررت في جلستها المنعقدة بتاريخ ١٩٧٢/٥/١٩ إنشاء هذا المجلس في إطار الإعلام الموحّد لمنظمة التحرير الفلسطينية " ، وضمن التوجه لتوحيد العمل الفلسطيني الذي سبق أن أقره المؤتمر الشعبي والمجلس الوطني الفلسطينيان المنعقدان في القاهرة في آذار ١٩٧٢ (رَ : المجلس الوطني الفلسطيني) .

أصدر مفوّض الإعلام في فتح كتاباً مؤرخاً في ١٩٧٢/٦/٣ قرّر فيه أن " يصبح اسم جميع الإذاعات التابعة للحركة إعتباراً من يوم الخامس من حزيران ١٩٧٢ : صوت فلسطين ـ صوت الثورة الفلسطينية " . وضمّت هذه الإذاعات أربع محطات هي إذاعة القاهرة و إذاعة درعا وإذاعة بغداد وإذاعة الجزائر . وقرر

المفوض أيضاً أن تصبح جميع مكاتب إعلام حركة فتح ، في دمشق والقاهرة وبغداد والجزائر والكويت وليبيا وتونس ، منذ ١٩٧٢/٦/٥ تابعة لدائرة الإعلام والتوجيه القومي في منظمة التحرير الفلسطينية ، وتتلقى تعليماتها منها .

وعندما اتخذ قرار توحيد أجهزة إعلام الثورة الفلسطينية في جهاز الإعلام الموحّد تولّى مسؤولية هذا الإعلام كمال ناصر * ، فيما كان مسؤول الإعلام في فتح كمال عدوان * . وقد صدرت عن هذا الجهاز صحيفة « فلسطين الثورة » الأسبوعية .

تم تمثيل مختلف منظمات المقاومة الفلسطينية في جهاز الإعلام الموحّد وإن ظلت المساهمة الأساسية لفتح أكثر من غيرها من المنظمات . وألغت فتح نشراتها ومطبوعاتها الخاصة فيما واصلت بقية المنظمات ممارسة نشاطها الإعلامي الخاص ، على الرغم من مساهمتها في الإعلام الموحّد ، إلى أن استشهد كل من كمال ناصر وكمال عدوان فتمّ اتخاذ قرارين ، أولهما اتخذته اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، وينصّ بتعيين مسؤول عن الإعلام ، فيما اتخذت القرار الثاني اللجنة المركزية لحركة فتح ، وكلفت فيه أحد مسؤوليها مهمة إدارة الإعلام المركزي والعلاقات الخارجية لفتح ، إلى جانب الإعلام الموحّد .

وقد أوكل هذا المسؤول اهتماماً خاصاً بمجلس الإعلام الموحّد فأعاد تشكيله من مسؤولي الإعلام في منظمات المقاومة الفلسطينية ، ومدير مركز الأبحاث * ، ومدير مركز التخطيط * (التابعين لمنظمة التحرير الفلسطينية) ، ومدير مؤسسة الدراسات الفلسطينية * . وتولّى مسؤول فتح رئاسة هذا المجلس .

وبعد حرب ١٩٧٣ * برزت مسألة التسوية وثارت الخلافات بصددها في الساحة الفلسطينية . وكان طبيعياً أن تنعكس هذه الخلافات على جهاز الإعلام . وسرعان ما جرى تغيير الجهاز القيادي للإعلام الموحد في كانون الثاني ١٩٧٤ . وفقد الإعلام الموحد ومجلسه مبرر وجودهما بعد أن استفحل الخلاف ، وبذا تعطّل مجلس الإعلام الموحّد على الرغم من استمرار الإعلام الموحد كمؤسسة .

الإعلانات الشرقية (شركة ــ) :

ر : الرابطة الإسرائيلية لمكافحة الصهيونية

ابن الأعور الكناني المدلجي : ر : علقمة بن مجزّز

أغـرانـات (لجنة ــ) :

لجنة شكلتها الحكومة الإسرائيلية في اعقاب حرب تشرين الأول عام ١٩٧٣ (ر : حرب ١٩٧٣) للتحقيق في الأخطاء التي حدثت في تلك الحرب . ففي يوم ١٩٧٣/١١/١٨ اتخذت الحكومة الإسرائيلية قراراً بتشكيل لجنة تحقيق من خمسة أعضاء يختارهم رئيس المحكمة العليا للتحقيق في امرين :

١) المعلومات التي جمعت خلال الأيام التي سبقت حرب « يوم الغفران » عن خطوات « العدو » ونواياه ببدء الحرب وتقديرات ومواقف الجهات العسكرية والمدنية المعتمدة فيما يتعلق بالمعلومات المذكورة .

٢) استنفار الجيش الإسرائيلي للحرب بصورة عامة وتأهبه خلال الأيام التي سبقت الحرب والأعمال التي قام بها في الحرب .

وفي ١٩٧٣/١١/٢١ أصدر رئيس المحكمة العليا شمعون أغرانات قراراً بتعيين لجنة برئاسته تضم :

١) موشي لاندو قاضي المحكمة العليا .

٢) الدكتور يتسحاق نفتسال مراقب حسابات الدولة .

٣) اللواء الاحتياط ييغال يادين رئيس الأركان الأسبق والأستاذ بالجامعة العبرية .

٤) اللواء الاحتياط حاييم لاسكوف رئيس الأركان الأسبق ومفوض شكاوى الجنود .

بدأت اللجنة يوم ١٩٧٣/١١/٢٥ أعمالها بجمع الشهادات ، وعقدت ١٤٠ جلسة واستمعت إلى ٥٨ شاهداً ، كما قدمت إليها مواد خطية أخرى . وفي يوم ١٩٧٤/٤/٣ اصدرت تقريراً أول أدانت فيه الجنرال دافيد اليعازر رئيس الأركان أثناء حرب تشرين ، والجنرال شموئيل غونين قائد الجبهة الجنوبية ، والجنرال زعيرا رئيس شعبة المخابرات آنذاك ، وعدداً من ضباط شعبة المخابرات ، بتهمة التقصير . وبرأت غولدا مائير رئيسة الحكومة الإسرائيلية في ذلك الوقت ووزير دفاعها موشي دايان من هذه التهمة .

وقد أبقت اللجنة مداولاتها سرية ، وكذلك الشهادات التي قدمت إليها .

انتقدت اللجنة في التقرير الأول الذي نشرته تقويمات رئيس شعبة المخابرات في الأركان العامة ومساعده الرئيس المسؤول عن قسم الأبحاث في الشعبة ، وألقت عليهما تبعة التقديرات الخاطئة بالنسبة إلى نيات سورية ومصر بشأن إعلان الحرب وتوقيتها . وقالت اللجنة في تقريرها إن هذين المسؤولين أخفقا لأنهما أعطيا الجيش إنذاراً قبل وقت غير كاف على الإطلاق . ورغم توفر معلومات في موعد أسبق فقد أعلن رئيس شعبة الاستخبارات في حوالي الساعة الرابعة والنصف من صباح يوم الحرب فقط أن « العدو » يزمع بدء الحرب في الساعة ١٨ تقريباً على الجبهتين . وهكذا لم يمكّن هذا القرار القصير المدى القيادات المسؤولة من تعبئة الاحتياط بصورة

منتظمة وكاملة ، واقتضى تعبئة مسرعة لاحتياط القوات البرية لم تتم بموجب الجداول الزمنية وإجراءات التعبئة الاعتيادية . كما أن الساعات الإضافية الأربع بين تقدير رئيس شعبة المخابرات (الساعة ١٨) وبين البدء عملياً بالحرب (الساعة ١٤) قلصت كثيراً المجال الزمني بين دعوة الاحتياط وبدء القتال ، وأدى هذا الخطأ الثاني إلى مزيد من الارتباك في استنفار القوات النظامية على الجبهات وانتشارها السليم ، خصوصاً في جبهة القناة .

وجاء في التقرير أن هناك ثلاثة أسباب لفشل الجهات المسؤولة عن التقويم : أولها تمسك هذه الجهات المتعنت بما كانت تطلق عليه المفهوم الأمني الذي يقول :

١) إن مصر لن تشن حرباً على (إسرائيل) إلاّ بعد أن تضمن لنفسها في الدرجة الأولى القدرة الجوية على مهاجمة (إسرائيل) في العمق ، وخصوصاً المطارات الإسرائيلية الرئيسة لشل سلاح الجو الإسرائيلي .

٢) إن سورية لن تشن هجوماً شاملاً على (إسرائيل) إلاّ بالاشتراك مع مصر .

وبموجب تقرير اللجنة أيضاً لم تكن أخطاء المخابرات العسكرية الأخطاء الوحيدة التي أربكت خطوات الجيش الإسرائيلي في بداية الحرب ، فقد أضيفت إليها أخطاء تتعلق بتطبيق استنفار الجيش خلال الأيام التي سبقت الحرب ، إذ حدث تأخير لا مبرر له في تعبئة الاحتياط . وقد قالت اللجنة : " إننا نعتقد أنه كان على رئيس الأركان ، بناء على المعلومات التي كانت في حيازته ، أن يوصي بتعبئة جزئية لاحتياط القوات البرية منذ بداية الأسبوع الذي سبق الحرب كي يحافظ على التوازن الصحيح بين قوات العدو التي كانت على أهبة الاستعداد الكامل لمهاجمة قواتنا . وكان عليه أن يوصي ، في ضوء الأخبار التي وصلت ، بتعبئة قوات كبيرة منذ صباح يوم الجمعة ٥ تشرين الأول ١٩٧٣ على الأقل ، حتى لو افترض أن نيات العدو لم تكن واضحة في ذلك الوقت " .

أما السبب الثاني فهو : عدم وجود خطة دفاعية جاهزة للاستخدام في حال اضطرار القوة النظامية إلى أن تصد وحدها الهجوم الشامل ، بسبب الاعتماد المطلق على قدرة المخابرات العسكرية على إعطاء تحذير مسبق كاف لتعبئة الاحتياط بصورة منظمة .

والسبب الثالث في رأي اللجنة أن القوات النظامية على جبهة القناة لم تنتشر ، حتى بعد الحصول على الإنذار صباح يوم السبت ١٩٧٣/١٠/٦ ، الانتشار الأمثل في الظروف التي نشأت بموجب الخطة الموضوعة للانتشار الدفاعي للقوة النظامية ، ولم تعط أيضاً في ذلك الصباح توجيهات واضحة من قائد الجبهة الجنوبية ولا ممن هم ادنى منه رتبة كي ترشدها في التأهب لمواجهة الهجوم ، وساد الغموض إصدار الأوامر القتالية وتأكيد تنفيذها .

وبعد أن برأت اللجنة الحكومة بشخص رئيستها غولدا مائير ووزير دفاعها موشي دايان أوصت ، فيما أوصت ، بما يلي :

١) تعيين مستشار خاص لرئيس الحكومة لشؤون المخابرات (من غير أفراد الجيش النظامي) ، ويعمل إلى جانبه فريق صغير ، ولكنه متميز ، لمساعدة الحكومة في تقويم مستقل للمعلومات السياسية والاستراتيجية .

٢) تعزيز قسم الأبحاث في وزارة الخارجية الإسرائيلية وتنظيمه كهيئة مستقلة ضمن إطار الوزارة ، على أن يكون أحد الأهداف الأساسية لهذه الهيئة التقويم المستقل للمعلومات السياسية والاستراتيجية .

٣) إجراء تغييرات أساسية وجوهرية في هيكل شعبة المخابرات العسكرية ، وجهاز المخابرات بكامله ، تضمن جعل مركز الثقل والتقويم ينصب في مجالات معلومات الاستخبارات العسكرية والاستراتيجية والميدانية والتكتيكية ، وتضمن التعبير الملائم بل تشجيع الآراء المختلفة والمتضاربة للعاملين في قسم الأبحاث حول تقويمات شعبة المخابرات العسكرية التي توزعها على الهيئات المختلفة .

٤) أن تحدد بوضوح قواعد تلقّي ، وجمع ، وتوزيع معلومات المخابرات الأولية بواسطة هيئات الجمع ، سواء داخل المخابرات العسكرية أم خارجها ، وسواء أكان ذلك شغلها الرئيسي أو الثانوي ، وتوزع على هيئات البحث المختلفة وعلى وزير الدفاع ورئيسة الحكومة .

٥) إنشاء وحدات ضمن أطر الموساد " تتولى تقويم المواد التي تجمعها الموساد .

وقد ألحقت لجنة أغرانات تقريرها الأول بتقرير إضافي ثان في ١٩٧٤/٧/١٠ . ثم أصدرت تقريرها الثالث والأخير في ١٩٧٥/١٠/٣٠ . وقد أوصت فيه بعدم نشره لأسباب أمنية ، والاكتفاء بنشر مقدمة التقرير وملاحقه ، كما أوصت بعدم نشر محاضر مداولات اللجنة لمدة ثلاثين عاماً اعتباراً من تاريخ تقديم التقرير ، على أن ينشر كله أو بعضه بعد ذلك بموافقة رئيس المحكمة العليا ، وبناء على طلب الحكومة او لجنة الخارجية والأمن ، ويشترط أن يتضمن الطلب مبررات رفع السرية .

وقد أثار الجزء المنشور من التقرير الثالث ردود فعل وتعليقات في الأوساط الشعبية الإسرائيلية ، خصوصاً أن اللجنة لم تجب على كل الأسئلة التي طرحت نتيجة الحرب ، مما كان له أثره البالغ على تطور

الحياة السياسية في الكيان الصهيوني منذ تاريخ نشر هذا الجزء من التقرير .

المراجع :

– يشعياهو بن فورات وآخرون : التقصير (مترجم) ، بيروت ١٩٧٦ .

الأغنام : رَ: الحيوانات الأليفة

الأغنية الشعبية :

تنبثق الأغنية الشعبية عند الأمم من أصل واحد ذي موضوع مشترك يصور البيئة والحالة النفسية والعادات الملازمة لتلك الشعوب . وهذا يصدق على الأغاني الشعبية في فلسطين ، فهي أغان فطرية لا أثر فيها لصنعة متعمدة ارتجلها قرد مجهول من أفراد الشعب بطريقة بدائية لا كلفة فيها ولا « تكنيك » ، وتناقلها الأبناء عن آبائهم والبنات عن أمهاتهن . وترافق هذه الأغنيات صور واضحة عن العادات والخرافات والمعتقدات التي تحرص عليها تلك الشعوب .

وبالرغم من الاختلاف الفني والنظري بين أنواع موسيقى الشعوب ، وبالرغم من التفاوت في مواهبها وعزلتها ، أو استقلالها ، فهناك قاسم مشترك يجمع بينها ، وما ذلك سوى أداء الأغاني الشعبية ؛ إذ يقوم الرجال والنساء والأطفال مجتمعين أو منفردين بتقديمها بشكل بسيط ساذج محوّر من كل قيد ، كالخروج عن اللحن المعروف ، أو الرغبة في التهليل أو الزغاريد . فليس هناك فنان وجمهور بالمعنى المألوف ، والجمهور هو الفنان .

وقد شعر العالم الغربي بأهمية التراث الموسيقي وحفظه فشرع الإنكليز في أوائل القرن التاسع عشر بجمع منظّم منسق للموسيقى الشعبية ، وكانت دراسة التراث تبعاً لعلم الآثار ، ولكن ظهور الرومانسية الأوربية والروح القومية خصتا الفنون الشعبية *Folklore* بدراسة خاصة .

وكان من سوء حظ فلسطين أن أحرت النكبة وتشريد السكان ، منذ ثلاثين سنة عملية جمع الفنون الشعبية ودراستها ، علماً بأن النكبة ونتائجها المباشرة زادت وتزيد أهمية عملية جمع التراث المذكور والفائدة التي لا بد أن تجنى من دراسة الفنون ونشرها .

وقد جاء في كتاب « تطوير الفن الموسيقي » لشارلز بري *Charles Perry* " أن الموسيقى الشعبية تختلف عند الشعوب باختلاف طبائعها ونفسيتها وتقاليدها وحالتها الاجتماعية وحياتها المعيشية " . وقد رسم المؤلف اللوحة التالية :

موسيقى قاتمة = لشعب كئيب عابس .
موسيقى شجية = لشعب شاعري .
موسيقى بسيطة وغير محكمة الصنع = لشعب واقعي .
موسيقى متوحشة = لشعب همجي شرس .
موسيقى مرحة وضعيفة = لشعب نشيط .
موسيقى نبيلة وجليلة = لشعب جاد .

وتميل بعض الشعوب إلى الأنغام العاطفية أكثر من ميلها إلى الأنغام الجذلية . ولكن ما من أمة تميل كلياً إلى أحد النوعين ميلاً كاملاً . فإلى أي نوع يميل الشعب الفلسطيني إذن ؟

إن الفن الموسيقي الفلسطيني فن شعبي عربي واحد انبثق عن ثقافة عربية واحدة تمثل جميعاً فناً عربياً واحداً .

أجمعت الآراء على أن الموسيقى العربية تتصف بالحزن والكآبة والرتابة ، أي أنها تصنف في الفئة الثانية والثالثة من تنسيق بري المذكور أعلاه . ولا شك في أن هذا التصنيف لا يعدو الصواب كثيراً ، ولكن الصفات التي اتسمت بها الموسيقى العربية نتيجة عوامل كثيرة تكونت في عصور الانحطاط والخمول والاستعباد والاحتلال . فالموسيقى العربية ، وإن كانت في ظاهرها تميل إلى النوع العاطفي الشجي الحزين ، تتصف في الوقت ذاته بالحيوية والرجولة ، ويؤيد هذا القول النظر إلى الدبكة*، الرقصة الشعبية ، وما يصاحبها من موسيقى حيوية ، فذلك يزيل عن هذه الموسيقى نقيصة الميوعة والبكاء .

أ ـ مواضيع الأغاني الشعبية : تقسم الأغاني الشعبية الفلسطينية ، كأغاني الشعوب الأخرى ، إلى أنواع وموضوعات . وهي :

١) أغاني الأعياد والاحتفالات الدينية .
٢) أغاني الحب والغزل ، وأغاني الأفراح والأعراس والختان والميلاد .
٣) أغاني الحرب والحماسة والحث على القتال .
٤) أغاني العمل والتجارة .
٥) أغاني الشراب والسياسة والهزل .
٦) أغاني الرقص .
٧) أغاني المآتم والرثاء .
٨) أغاني الروايات والأقاصيص .

ب ـ اللهجات في الأغنية الشعبية الفلسطينية : هناك لهجات كثيرة يتخاطب بها أهل فلسطين ويعبّرون بها عن مرادهم . وهي تصوّر ، بأسلوبها وعفويتها ، أغراض حياتهم المعاشية ، وتعطي فكرة واضحة عن مزاج أهلها وطريقة معالجتهم مختلف القضايا

والأمور التي تعترضهم في دنياهم . إن اللغة العامية ، بلهجاتها الفلسطينية ، تجسّم القيم الجمالية في محتوياتها لا في أسلوبها . وهي مستكملة لمقوماتها كأداة فنية قادرة على تصوير ذات الشعب الفلسطيني والإفصاح عن عواطفه ومعتقداته .

والعامية ، في أي بلد من العالم ، صورة لتفاعل التيارات الحضارية القديمة المختلفة ، وما أكثر تلك التيارات التي تعرّض لها العرب في فلسطين .

وقد تعاقبت على فلسطين منذ أقدم الأزمنة التاريخية حتى اليوم ثلاث لغات هي الكنعانية* ، والآرامية* ، ثم العربية الحديثة . وفي العربية اليوم كلمات آرامية الأصل عرّبها العرب واقتبسوها من السريانية .

وقد كان لنزوح القبائل العربية إلى فلسطين ، قبل الإسلام وبعده ، تأثير في اللهجة الفلسطينية ، لكن تلك التيارات لم تؤثر في اللغة الفصحى التي بقيت لغة الأدب والدين والرسميات .

وهناك قبائل كثيرة استقرت في فلسطين قبل الإسلام (رَ: العرب قبل الإسلام في فلسطين) . وقد تركت تلك القبائل آثاراً ما زالت متأصلة حتى يومنا هذا في كثير من القرى والمدن العربية . وقد أوجدت اللهجات التي أدخلتها هذه القبائل النازحة من الجزيرة العربية ، وما صحبها من تفاعلات ومؤثرات آشورية وفارسية ويونانية ، ثم تركية وإنكليزية ، أوجدت لهجة فلسطينية من خصائصها كلمات وصفات وسمات لغوية تخضع كليا للظواهر : كالكشكشة ، والعنعنة ، والاستنكاء ، وإبدال حروف الحلق ، وإبدال حرف الضاد ، واستعمال مرادفات تؤدي المعنى نفسه ، وتأدية مقاطع معينة بأصوات ذات جرس معين يعطي طابع القرية والمدينة .

وهناك فروق حديثة يصعب الإفصاح عنها بالكتابة المتادة ، كمد الصوت في أحرف العلة (أهل القدس) ، واستعمال نغمة خاصة في آخر الكلمة في صيغة السؤال (أهل غزة) . وهذا التباين في الصفات الصوتية أمر طبيعي يدخل في باب العادات التي يتصف بها كل مجتمع على حدة . وللبيئة دور هام في تكوين هذه الفروق عند الشعوب .

جـ ـ ظاهرة اللحن في الأغنية الشعبية : قد يتصور المستمع المثقف عند سماعه الموسيقى الشعبية لدى الشعوب النامية أنها موسيقى بدائية غير خاضعة لنظام خاص أو أسلوب علمي متبع . ولكن التدقيق في مثل هذه الألحان دلّ على أنها تخضع ، بالرغم من بساطتها وسذاجتها، لأنظمة معيّنة تعطي فكرة ولوناً خاصاً للشعوب التي تنتمي إليها . فهناك ألحان مثلاً يكون مركز الثقل فيها البعد الثالث ، وهناك الرابع أو الخامس ، ويكون بعضها غير موزون ، على حين يدل إيقاع مجتمعات أخرى بوضوح أكثر كدول أوربا مثلاً .

وهناك صفات في اللحن الشعبي الفلسطيني أكسبته لوناً خاصاً ، وهي :

١) قصر الجمل : إن جمل اللحن الشعبي الفلسطيني قصيرة جداً لا تتجاوز موازينها *Measure tune* الصوتية الثمانية . وهناك عدد قليل جداً منها يتجاوز الاثني عشر ميزانا صوتياً . وتتكرر هذه الجمل مرارا . والغريب أن هذا التكرار ، رغم رتابته ، يزيد في حلاوة اللحن ومرونته ، كما يزيد في جذب السامع إليه . ويرجع التكرار في الأسلوب الفني إلى أن فنون الأدب الشعبي جميعاً ترتكز قواعدها على أغاني العمل التي أنشئت لتوجد اتّساقاً بين الحركة الجسمية المتكررة وما يصاحبها من نغم ولفظ ، وإلى أن الكلمة المسموعة تحتاج إلى التكرار لتثبيتها في الذهن والسمع ، على خلاف المطبوعة والمكتوبة التي يرسيها ويجمّدها التدوين .

إن عملية التكرار موجودة في أغلب الألحان الشعبية الأصيلة في العالم ، تلك الألحان البسيطة التي استقرّت عبر الأجيال وفرضت نفسها على بقية أنواع الموسيقى في مراحل تطورها وأثبتت صحة القول المأثور : " البقاء للأفضل " .

ويجب التفريق بين أصالة اللحن وقدمه ، فاللحن الشعبي الأصيل الموثوق به ، المعتمد من الوجهة الاجتماعية ، لا يستحق أن يكتسب رضى المؤرخ أو الباحث الاجتماعي . فأصالة اللحن ترتكز على مدى ما للطبقة الشعبية من أثر في تكوينه وأدائه ، ومدى ما تتجاوب وتنفعل به . كما يحق هذا اللحن أن يكون منتمياً الى الفن التقليدي ، الشفهي المجهول المؤلف المتوارث ، وموطنه القرية ، أو إلى الفن المستحدث ، أدب الطبقة الوسطى ، وموطنه المدينة ،والذي لوسائل النشر والإعلام الحديثة فضل في نشره والإكثار من ترداده .

ويُلاحظ أن اللغة في النوع الأول عامية تجدد القروي من خلالها موقفه من مشاكل الحياة والطبيعة ويدوّن انطباعاته الفكرية والعاطفية . ويشاركه في ذلك أهل المدينة ، فهم بأغانيهم ، الشفهية والمكتوبة، والمعروفة المؤلف أو المجهولة، و الفصيحة اللغة أو العامية ، والمتوارثة عن السلف أو التي أنشأها ملحنون محدثون ، لا يجدون عن السمات والخصائص المشتركة بينهم وبين القرويين .

فالتركيز يجب أن ينصب إذن على الفن القروي والمدني الشعبي على السواء . فالاختلاف يكمن في مواضيع الأغاني ، وفي اللهجات ، وفي طريقة الأداء فقط . أما اللحن والإيقاع فيوضحان آثار نفسيات القروي والمدني .

٢) أبعاد اللحن : البعد هو المسافة بين الصوتين ، وأحد

الصوتين يكون الحد الأعلى للبعد الآخر ، أو الحد الأدنى له . وتقاس المسافات والأبعاد بما تحويه من درجات ، وتكون تسميتها تبعاً لهذا المقياس .

فالمسافات في الألحان الشعبية الفلسطينية بسيطة ، أي أنها تنحصر في دائرة الطبقات الواحدة (أي مرتبة الديوان أو الأوكتاف *Octave*) ، فمسافاتها غالباً ما تتراوح بين المسافة الثانية والخامسة فقط .

٣) الطابع المقامي : بنيت الأغاني الشعبية الفلسطينية على المقامات العربية . وتبيّن من تحليل بعض الأغنيات (بالرغم من أن أكثرها لا يعطي ـ لقصر محوره الطبقي ـ الصورة الكافية لمتطلبات المقام) غلبة مقام البياتي على أغلب الأغنيات ، وكثرة استعمال مقامي الراست والسيكاه . أما الأغاني الدينية عند المسلمين فإن مقام العجم يغلب فيها على المدائح والموالد ويليه مقام الحجاز . وغلبة مقام البياتي على أكثر الأغاني الشعبية يخلق دافعاً كبيراً للتمسك بالسلم الموسيقي الشرقي الحتوي على أرباع الأصوات ، وللصمود أمام موجة التطور الخاطئة الطارئة على الموسيقى العربية الآن .

٤) الجاذبية اللحنية : تتجه جاذبية اللحن في الأغاني الشعبية في فلسطين اتجاهاً منخفضاً ، وتشاطرها ذلك الشعوب التركية والهنغارية ، بعكس الألحان الإسكندنافية والألمانية التي يتساوى فيها سير اللحن الصعودي والانخفاضي .

٥) الزخرفة اللحنية : لعل مما يخلع على اللحن الشعبي صفته العربية تلك الزوائد والتحسينات أو الزخارف التي يستعملها بل يرتجلها المغني أو العازف الشعبي . وقد أصبحت هذه الزخرفة اللحنية من مستلزمات الموسيقى العربية ، حتى الكلاسيكية منها ، إلى اليوم هذا . والمراد بهذه الزخرفة عند المغني الساذج إما لفت الأنظار إليه وإثارة الأهتمام بمقدرته الغنائية الخلاقة ، وإما إعطاء اللحن الذي يغنيه مزيداً من الجمال فهو متأكد أنه ، بعمله هذا ، سيرضي نفسه ويحظى بإعجاب مستمعيه ؛ فوالده كان يغني هذا اللحن بذلك الشكل ، ولكن باستطاعته هو أن يبتكر تحسينات أو زخارف أكثر . وتشبه الأغنية الشعبية بهذا خبراً أو شائعة يضاف إليها في كل مرة تتناقلها الأفواه نكتة صغيرة ، أو خبرٌ مرتجل ، أو نبأ جديد . ولا شك في أن مثل هذه الإضافات تغيّر من معالم الأغنية ومن أصالتها ، وبالتالي تحول دون تحديد عمرها . وهذا مما يزيد عمل الباحث صعوبة وغموضاً غير أن البحاثين والموسيقيين وعلماء الاجتماع اتفقوا على أن الأغنية الشعبية مجهولة العمر ، فلا هي بالقديمة ولا المستحدثة . وقد شبّهوها بشجرة كبيرة جذورها القديمة ضاربة في الماضي البعيد وأغصانها وفروعها وثمارها في نمو مستمر .

٦) الإيقاع : إن إيقاع أغلب الأغاني الشعبية في فلسطين بسيط ، لكنه ذو حيوية ومرونة ، وتكثر في الحانه الأوزان الثنائية والمركبة . هذا وللزخرف والتحسينات تأثير كبير في تجميل الإيقاع كتأثيرها في اللحن ، لكنها لا تخلو من تعقيدات وغموض مما يصعب فهمه على المستمع الأجنبي ومن ثم ضبطه .

د ـ الغناء : صناعة في أداء الألحان المصحوبة بالكلام الدالّ على المعاني . وتشترك الأمم ، على اختلاف فطرتها وتطورها الحضاري ، في هذه الظاهرة الطبيعية . فحنجرة الإنسان تتكوّن من أوتار متفاوتة ، والفرد العربي غناؤه بطريقة فطرية لا شعورية تجعل أوتار صوته تهتز على مداها الكامل فيصدر الصوت وكأنه خارج من الصدر . ويلقّب مثل هذا الصوت تكنيكيا بالصوت الصدري . أما الغربيون فيختلفون بطريقة إصدارهم أصواتهم ، فيجيزون بطريقة مدربة اهتزاز اجزاء من أوتار الحنجرة فقط ، مع ارتخاء بالحلق وتنفس من الأنف . ويعرف مثل هذا الصوت بصوت الرأس .

أما الناحية الفنية في الأغنية الشعبية فهي غير مكتملة ولا واضحة المعالم . ويبدو هذا الضعف في ترجمة الكلمة الموسيقية ، إذ لا يمكن أن تطلق على الأغاني الشعبية الفلسطينية صفة الموسيقى التصويرية ، ففي اللحن الواحد وفي الأغنية الواحدة كلمات توحي بالحزن وأخرى تنم عن غبطة وسرور .

هـ ـ القوالب اللحنية ، أو التآليف في الموسيقى الشعبية : لعل الرابط الوثيق الذي يربط الفنون بعضها ببعض هو التناسق المحكم الذي يجمع شمل وحيها ، ويربط أطراف إلهامها ، ويرسم لها خطة هندسية منتظمة الشكل بديعة الصنع يبني الموحى إليه فكرته عليها . والتناسق في هذه الحال هو العماد الأول في إظهار الجمال ، كما في جميع الأعمال الفنية .

وقد كوّن التناسق مع الزمن نظاماً خاضعاً لكل نوع من أنواع التآليف الموسيقية ، حتى صار اتّباعه حتماً على كل ملحن . إن المؤلفات الموسيقية الشعبية في فلسطين ، بالرغم من بساطتها وبدائيتها ، تخضع أيضاً لأنظمة موسيقية تقليدية ورثتها عن السلف ولا تزال تحاول تطويرها والانطلاق بها إلى أفق أوسع .

إن المؤلفات نوعان : غنائي وآلي . والنوع الأول أكثر عددا فهدف الآلة الأول في الموسيقى الشعبية مصاحبة المغني ومرافقته بل مساندته في غنائه الطويل والتعبير عن المناسبات التي يغني فيها . أما النوع الآلي فإنه في الغالب ألحان بل قوالب غنائية معروفة ، لكن دون كلام . وهناك أمثلة قليلة جدا تكون فيها الموسيقى خاصة بالآلة فقط ، ولا علاقة لها بكلام شعري أو زجلي أو ما شابهها . ولا بد في المؤلفات الغنائية من الإشارة إلى الاندماج

الكامل بين الكلمة والموسيقى . وقد قال بتهوفن : "الشعر جسم الوردة والموسيقى رائحتها" .

فالأغنية هي أساس الشعر لاقترانها بالإيقاع والوزن الموسيقي ، وما يحور الشعر العربي المعروفة إلاّ بقايا ألحان شعبية كانت معروفة منذ القدم .

والمعروف أن الموشح والزجل يعدان من الثورات الكبرى في تاريخ الأدب العربي ، وهما في خصائصها يعبران عن الذهنية الشعبية . ففي المؤلفات الغنائية في الموسيقى الشعبيةالفلسطينية ما يشابه هذه النماذج الشعرية ، فمنها نوع هو أقرب ما يكون إلى القصائد في جرسها وأبياتها وقافيتها ومواضيعها ويمكن تحديد بحرها بمجزوء الرجز أو مجزوء الكامل . ويشمل ذلك قصائد الشروقي ، ويا حلالي يا مالي ، وطلعات السامر .

أما النوع الثاني فيلتزم وزن الرمل ومجزوئه ، ومنه الدلعونة ، وتتكون من أربعة اشطر الثلاثة الأولى منها تأتي على قافية واحدة ، أما الشطر الرابع فينتهي بحرف الألف ، لحاجة اللزاح الماسة إلى سحب الراقصين إلى القفز السريع . ويُصبّ هذا النوع في قالب من ستة أوزان ذات إيقاع ثنائي تتنقل درجاته الصوتية بقفزات صغيرة جداً *Microtonic* فتشترك مجموعة من المنشدين بغناء الكورس ، أو القرار ، أو اللازمة ، وتكون من لحن الأبيات نفسه ، وقد تختلف عن دور الغناء المنفرد كما في الميجانا .

وقد حدد المستشرق المعروف جوستاف دالمان أنواع التأليف الغنائية بالشكل الآتي :

١) التحنين : أغاني الحجاج .
٢) النَدْب : وكانت تقوم به نساء محترفات .
٣) المطوحة : أغنية الزفاف للمرأة البدوية .
٤) القصيدة : ذات القافية الواحدة في السطرين الثالث والرابع [١] .
٥) الموال : على نوعين ، موال مصري ، وموال بغدادي [٢] .
٦) العتابا : اعتبرها موّالا ذا أربعة أسطر .
٧) الهلايا : شطران ينتهيان بكلمة هلايا ، كذلك مطالع المعنى والقريدي .
٨) الجعيدية : نسبة لشاعر مصري معروف بجعيد .
٩) الزجل : ومن مميزاته إعطاء الكلمة الأخيرة في الشعر عنوانه : مثل ميجانا ، حنينا ، مواليا ، زينة ، هويدلي .
١٠) السرويد : تغنّى في الأعراس ، ولدى البدو عند حلب المواشي وفي المراعي .
١١) الحداء : عرّفها دالمان بمشارات البدو أثناء الحرب[٣] .
١٢)املالا : ويغنى في الكروم[٤] .

كما تشمل الشوباش ، والجلوة ، والزغروتة ، وتقال « بـآء» وه يا » في شمال فلسطين ، وه آميها » في جنوب فلسطين ، وتعرف بالمهاهاه .

وللاغنية ، أية أغنية ، طابع خاص يحدد شخصيتها ؛ فالمقام ، وتباعد الدرجات الصوتية وتتابعها ، ومركز الابتداء والقفلة ، وسرعة الأداء والنص ، كل ذلك يساعد في تحديد الشخصية . لبعض الأغاني الشعبية الفلسطينية يحمل سمات مصرية ، أو سورية ، أو لبنانية ، أو عراقية ، أو بدوية ، وهناك القليل يحمل طابعاً تركياً مثل دندرما .

ومن الأغاني ذات الطابع المصري : يا عزيز عيني ، يا مريا . ومن السورية واللبنانية : أغاني المعنّى والفرّادي ، زريف الطول ، هيلا هيلا ليه ، مرمر زماني وغيرها . ومن العراقية : الموال البغدادي والميجانا . ومن البدوية : باقون بعدن عالرجم وغيرها . ولعل أشهر أغنية يتداولها الشعب وتحتضن كل آماله وكل تفكيره وحبه وحنينه ومشاكله السياسية والاجتماعي هي الدلعونة . وتأتي على طريقتين في الأداء يلتزم بإحداهما عازف الناي أو المِجْوز أو الربابة المنفرد .

أما فيما يتعلق بمؤدّي الأغنية فلا بد أن يكون ذا موهبة موسيقية وحس مرهف وقدرة على الارتجال لحنا ونصا . وبالنظر لعدم وجود مكبرات الصوت قديما كان من المفروض أن يكون المغني ذا صوت جهوري قوي ، ومن مؤهلاته أيضاً الذاكرة القوية التي تتيح له حفظ الكثير من الأشعار والأغاني ، ويجابه أكثر من زميل له في الأفراح حيث يتناظران حول مواضيع مختلفة منها : الفلاّحة والمدنية . والشقرا والسمرا ، والعلم والمال ، والسيف والقلم ، وغيرها ، وهو يؤدي أيضاً السحجة * والسامر * .

وهناك فئتان من مؤدّي الغناء الشعبي ، المحترف والهاوي ،

---

(١) الأصح أنها رباعيات تلتزم الأشطر الأولى منها قافية والشطر الرابع قافية ، وهكذا حتى آخر القصيد ، ومن مواضيعها الوصف والغزل .

(٢) المواليا من ابتكار أهل واسط من مدن العراق ، ولعل النكبة التي ألمت ببغداد أيام البرامكة أثرّت في الشعب فاطلقت النساء يبكين الأطلال ويترحمن على ما كن عليه وينهين أقوالهن بكلمة مواليا .

(٣) على شكل مقطوعات قصيرة تتألف من بيتين غير ملتزمين بقافية معينة بل يتغيران بتغير المقاطع .وزنه هو الرجز المعروف ، ويجيء على مجزوئه (كلمة رجز وحداء كانتا في القديم مترادفتين) مثل :

يـاروحي حبيبـتـي	مـا أحلـى طلق زنـادهـا
يـا رب تـكـبـر مـهـرتي	تـكـبـر ونـا خـيـالهـا

(٤) تمتاز بإدخال اللام قبل وبعد بضعة حروف من الكلمة .

وكلاهما لا يقل عن الآخر مرهبة وجمال صوت ومقدرة على العطاء .
وهؤلاء المغنون هم :

١) الحادي ، ويتطلب الشروط المذكورة أعلاه .

٢) الشاعر : يحترف إلقاء الحكايات والقصائد على نغم الربابة . وقد يبرع في تمثيل الأدوار التي يتحدث عنها ، فهو « مونولوجست » وعازف ومقلد .

٣) الشيخ الطبانجي : هو الذي يمارس الغناء الشعبي في مناسبات الموالد والمواسم الدينية ، ويقرأ قصة المولد بما فيها من شعر ونثر بصوت رخيم .

٤) الدراويش: من أصحاب الطرق الصوفية ، وما ينشدونه آيات وسير .

٥) الحكواتي : يحكي بإيقاع منغّم السير والحكايات الشعبية ، ولا يصحبه في أدائه هذا أية آلة موسيقية ، ومسرح عمله يكون غالباً في المقاهي أو المضافات .

٦) المسحّراتي : ذو دور بارز في شهر رمضان ، ويقوم بعمل روتيني كل ليلة ، فهو يحمل الطبلة المعروفة « بالبازة » ويضرب عليها بقطعة من الجلد ليصحو الناس من النوم ليتناولوا طعام السحور . فهو ينشد بأسلوب شجي أناشيد دينية فيها ابتهالات إلى الله ، ومدائح نبوية . وبين الفينة والأخرى ينادي " قوموا لسحوركم خلي النبي يزوركم "، و"يا نايم وحّد الله " .

وقد تكوّنت الخلفيات الاجتماعية والتاريخية للأغنية الشعبية من ظروف المجتمع والبيئةالتي يعيش فيها الشعب الفلسطيني بمختلف أنماط حياته الاجتماعية من البداوة والحياة الزراعية وحياة المدن . وتبيّن دراسة هذه الخلفيات أن أغلب العادات ترتكز على الأسرة كوحدة تقليدية ، فإن الأسرة تعتز بأمجادها محاولة دوما أن تحتكر المكانة الاجتماعية العليا في مجتمعها ، كما أنها تعتز بصلاتها الدموية وتماسكها الوحيد ضمن إطارها . ويمثل ذلك القول المأثور : " أنا وأخي على ابن عمي ، وأنا وابن عمي على الغريب " . والزواج في نظره اتحاد بين أسرتين أكثر مما هو اتحاد بين فردين .

وقد تكونت نتيجة نظم اجتماعية ، مشتركة وعامة ، عصبيات مختلفة منها :

١) عصبيات الأقارب القائمة على تفضيل حق ابن العم حتى على ابن الخال ، وما نتج عن ذلك من مشاكل وإضاعة فرص أفضل للعروسين فيما لو ترك لهما حق الاختيار .

ابن العم يا شعر على ضهري إن حال الموت لا ردّه عل عمري
ابـن العـم يـا تـوبي عليّـا إن حال الموت لا ردّه بايديـا

وفي حال تزويج الأب ابنته من غير ابن عمها طمعا منه بمهر أكبر يقال ويغنى :

يا ابن العم يا كسوة ثـرايب بنات العم آخدوهم الغـراب
يا ابن العم يا رينك للضيوعة بنات العم آخذتهم السبـوعة

٢) إن دائرة العلاقات السائدة في حياة القروي دائرة ضيقة خاضعة لمدى تطور وعيه الطبقي . فالخط الأول بعد أسرته هو خط ترابته يليه مباشرة خط جواره فالفلاح يحتاج إلى جاره ، وهو يشاركه في السراء والضراء . " نمّى الخير لجارك بتشوفه بديارك "، " والجار أولى بالشفعة " ، و" الجار ولو جار " ، " وقال : مين أدرى بحالك ؟ قال ربك وجارك " وغيرها من الأمثال التي تفصح عن أهمية الجار .

أما النسوة فيزغردن ويقلن :

هـا هـي ، يـا فـلان يـا جـار المجـاوري
هـا هـي ، يـا جـار الرضـى مـا إنـتْ جـار عـوّاي
هـا هي ، مـا إنـتْ طـلاّل ع حيـطان جـاراتـك
هـا هي ، ولا يـوم تركتني إلاّ رفعت الضيم عي ..لولولولي

٣) هضم حقوق المرأة : تـرزح المرأة تحت وطـأة التراث التقليدي ، فهي عموما خاضعة . ومع أنها تقوم بقسط كبير في مجال العمل في الحقل وفي الحرف اليدوية * ، يهيمن الرجل ويسيطر ويتحكم في مصيرها ، خصوصا عند الزواج .

عـاليـوم يـا رفـيـقـة لـو الـشـور بـايـديـنـا
كـان قـضـيـنـا الـعـمـر في دار أبـونـا

٤) عصبية الجاه والمركز : إن للطبقية أثرها في حياة الفرد الفلسطيني ، فالأكثرية الساحقة تعيش على هامش الحياة الزراعية . وهناك طبقة من الأثرياء التجار والملاكين وأصحاب العقارات والبيارات والأراضي الزراعية . وكثيراً ما نشير الأغاني الشعبية إلى هذه الفروق فيتباهى أصحاب الجاه والمركز بما لهم من نفوذ كما تفاخر نساؤهن بلبسهن الثمين :

يا عـ العروس افرش منزلك ريش لفت عليك الامارة والدراويش
لفت عليك الامارة راكبين الخيل ومعمّة بالذهب روس الطرابيش
وعـاداتـنـا نـلـبـس مـلـوكـي مـا نـنـاسـب غـير المـلـوكـي
ريـــدونـا ريـــدونـا نـــايـب لا تـــزعـلـــونـا
عـادتـنـا نـلـبـس ثـيـاب مـا نـنـاسـب إلا الاكـابـر
رودونـــا رودونـــا نـــايـب لا تـــزعـلـــونـا

(الملوكي : ثوب العرس) .

٥) روح التعاون المادية والمعنوية التي يظهرها الأهلون بعضهم لبعض في الملمات والأفراح : وبالرغم من أن هذه التقاليد في العرف الشعبي هي فاعدة أخلاقية فإنها في مضمونها الجوهري دَيْن واجب أداؤه . ولو أمعنّا النظر في هذه الظاهرة لوجدنا أنها تنبع من رغبة في التكافؤ المادي والاجتماعي عند أفراد الشعب .

٦) عصبية الأحزاب : خصوصاً القيسية واليمنية . فأكثر القرى وكبرى العائلات في فلسطين تنتمي إلى أحد هذين الحزبين .

وقد كلفت خصومات هذه الأحزاب البلاد كثيراً من الدماء وأثرت فيها تأثيراً مشؤوما . وكان لها مفعولها في الأغاني ، وفي فرص أزياء العرس ، وفي مراعاة تقديم المأكولات أثناء الضيافة .

٧) هناك عادات ومعتقدات شعبية تؤمن بالخرافات والسحر ومفعوله . أو بالعين الحاسدة وتأثيرها . ولا شك في أن أكثر هذه العادات والمعتقدات هي من بقايا وثنية . وقد يقع المرء تحت سيطرة أفكار خرافية لا يعرف طريقاً أفضل منها لمواجهة مشاكل الحياة ومخاطرها . ولا شك في أن الشعب الفلسطيني مرّ بحالات من القلق والأضطراب والشعور بالضعف والعجز أحياناً عن حل مشكلاته . فهو قد عاش صراعاً مباشراً مع أنماط من الاستعمار العثماني والبريطاني والصهيوني ، كما عاش صراعاً طبقياً مع القوى التي ارتبط وجودها بوجود مختلف أنماط وأشكال الاستعمار .

وبما أن الدين شيء أساسي في حياة الفلاح فهو يتعلق بالأنبياء والأولياء ، وينشفع بهم ، ويؤمّ مزاراتهم ، ويتعوّذ بأسمائهم بنطقها ويحتمي بها ، كما يستنجد بالشيوخ ليبعدوا عنه الشر بالأحجبة والرقى والتعاويذ :

سيدي يا نبيخ واكتب لي حجاب أطلقني من التمرة بنويلك ثواب

كذلك :

حرزين من ذهب وحرزين من فضة وحرزين من عند الشيخ مبارك

وعلى الرغم من أن العلم يرفض مثل هذه الأوهام والمعتقدات فإن شيوعها وارتباطها الوثيق بالمعتقدات الشعبية يفرضان الاعتراف بوجودها والإشارة إلى تأثيرها في الشعب .

أما تطور وانتشار الأغنية الفلسطينية فلا شك في أن لوسائل الإعلام الحديثة فضلاً في انتشارها وإن لم يكن دائما مخلصا في الحفاظ على أصالتها . فالإذاعة الفلسطينية التي تأسست عام ١٩٣٦ في القدس ساهمت في نشر الأغنية الشعبية ، وفي تقديمها بشكل مهذب ، أي أنها أبعدتها عن « الاعتباطية » من ناحيتي المعنى واللحن ، سواء في ركاكة المعنى وابتذاله أو في ميوعة اللحن وحزنه واتكاليته . فقد ساهمت الفرقة الموسيقية (أو التخت) بجميع آلاتها من كمان وعود وقانون وناي وآلات إيقاع في إعطاء اللحن والكورس زخما وقوة . كما قام الملحنون فيها بإضافة لازمات موسيقية ، أي جمل بسيطة تربط ما بين الأبيات الشعرية أو ما بين الأبيات والقرار . كذلك أدخلوا فكرة لحنية ثانية على فكرة اللحن الأساسي ، مما أطال في مدة الأغنية ونوّع تصميمها . وهو بالرغم من بساطته بالنسبة إلى القوالب المتطورة أعلى قيمة الأغنية الشعبية . وقد ساهم عدد ليس بقليل من الفلسطينيين في هذا الإنعاش والتطور أداء أو تأليفاً ومنهم: محمد غازي ، ومحمد رضوان ، وفهد نجار ، وفروسو زهران ، وفرنة أولاد أبو السباع ، وعيسى الصوص ، ومتري المر ، وواصف جوهرية ، ويوسف بتروني ، وغيرهم .

وقد ساهمت النكبة واحتكاك الفلسطينيين بالشعوب العربية الأخرى في تغذية هذا اللون الشعبي وصهره في بوتقة واحدة . وكان للتفاعل أثره في إنعاش الأغنية وإيصالها إلى مرتبة استرعت اهتمام وحبّ الشعوب الشقيقة ، فتناقلتها الإذاعات العربية وتداولتها الأندية الموسيقية .

ولا بد من الإشارة إلى اهتمام وجهود الإذاعات العربية في جمع الأغاني والألحان الشعبية الفلسطينية المعروفة والعمل على صقل وتهذيب كلماتها وتحت ألحانها وصياغتها .

المراجع :

ـ يسرى جوهرية حربطة : الفنون الشعبية في فلسطين . بيروت ١٩٦٨ .
ـ شارلز بيري : تطور الفن الموسيقي .

أغودات إسرائيل (حزب ـ) :

يستمد الحزب اسمه من عبارة عبرية تعني « وحدة إسرائيل » وقد تأسس عام ١٩١٢ في بولونيا . وكان الهدف من تأسيسه آنذاك محاولة وقف تغلغل الروح اللادينية بين العمال اليهود . والدفاع عن مصالح اليهود الأرثوذكس العاملين في الصناعة . وكانت قد بدأت تظهر بعض الخلافات بين المتدينين والعلمانيين في المنظمة الصهيونية العالمية * ، مما دفع بعض رجال الدين اليهودي المتطرفين إلى تأسيس هذا الحزب للوقوف بوجه انتشار الأفكار الاشتراكية بين العمال اليهود .

وقد استطاع حزب أغودات إسرائيل أن يستقطب عددا كبيرا من يهود العالم . ولم يكن في بداية ظهوره مقتنعاً بفكرة إنشاء دولة صهيونية في فلسطين ، وحصر نشاطه في بناء المدارس الدينية وتعليم الديانة اليهودية . لكن موقف الحزب من موضوع الدولة الصهيونية تغيّر عام ١٩٢٧ فوافق عليها من حيث المبدأ .

وفي عام ١٩٤٨ قرر الحزب أن ممارسة النشاط السياسي هو الكفيل بتحقيق أهدافه . وقد بدأ الحزب يطالب بدولة " ثيوقراطية " تلتزم بتعاليم الديانة اليهودية ، كما أعلن رجاله معارضتهم لفكرة إصدار دستور مكتوب (لإسرائيل) لأن أي دستور مكتوب من قبل فقهاء دستوريين لن يصل إلى مرتبة الوصايا العشر * . كما حارب الحزب فكرة تجنيد النساء في الجيش أو في الخدمات المدنية الأخرى .

وفي الانتخابات الإسرائيلية التي جرت على امتداد الثلاثين عاماً

الماضية كان حزب أغودات يعارض علمنة المدارس والإدارات المشرفة عليها ، ويرفض إقامة أية علاقات سياسية أو تجارية مع الدول الاشتراكية . وقد قاوم الحزب بضراوة جميع الخطط التي أعدتها السلطات الحكومية في (إسرائيل) لدمج المهاجرين الجدد القادمين من الخارج ، إذ أصر الحزب على ترك هؤلاء يختارون حياتهم الخاصة .

ولا شك أن حزب أغودات قد اكتسب مزيدا من القوة اعتمادا على المهاجرين اليهود القادمين من البلدان العربية في المشرق والمغرب ، ومن بعض البلدان الإسلامية الأخرى والبلدان النامية ، لما لدى هؤلاء من نزعة للتديّن ، كما أن المذهب الأرثوذكسي هو السائد بينهم .

يسيطر هذا الحزب حاليا على حوالي ١٥ قرية زراعية في (إسرائيل) . كما أنه يشرف على إدارة مدرسة زراعية . وأفراده غير منضمين إلى الهستدروت * . أما نفوذه الرسمي سواء في الكنيست * أو في الحكومة فهو ضئيل .

أفانغارد (مجموعة ـ) : رَ : مانسين (منظمة ـ)

الإفـرنج : رَ : الفرنجة

الإفـرنج (وادي ـ) :

يعرف بوادي الخليل ، وبوادي بيت جبرين أو وادي جبرين أيضاً . وله أسماء كثيرة بحسب المناطق والمواقع المختلفة التي يمر بها . يصرف هذا الوادي قسماً من المياه السطحية في منطقتي الخليل وغزة إلى وادي صقرير * الذي ينتهي فيه عند موقع قرية السوافير * الشمالية ، ويعرف عندها بوادي الجلدية .

يبدأ الوادي في الشرق عند قرية بيت كاحل على بعد ٤ كم شمالي غرب مدينة الخليل * حيث يتألف من التقاء شعبين صغيرين يبدآن من ارتفاع ٨٥٠ م . ويتجه الوادي بعد ذلك غرباً مسايراً لشمالي قرية ترقوميا * ، ومتفقا مع الطريق الواصلة بين ترقوميا وقرية بيت جبرين . وبعدئذ يفترق الوادي عن الطريق ليتجه شمالاً بغرب .

يتغذى الوادي في مجراه الأعلى بعدد من الينابيع الغقيرة التي لا تساعد على تكوين مجرى مائي دائم الجريان . وفي هذا المجرى الأعلى تحزّ المياه السيلية خط سيرها في صخور قاسية ، مما يفسر عمق وضيق المقطع العرضي للوادي بالمقارنة مع مجراه الأوسط والأدنى

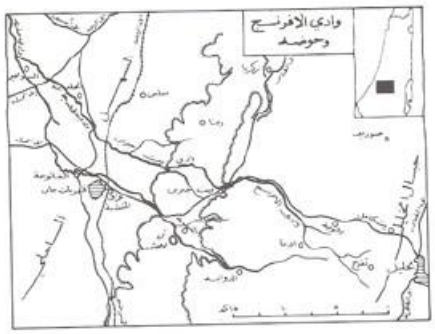

العريض والقليل العمق . هذا إلى جانب سير المجرى الأعلى في منطقة جبال الخليل * وأقدامها الغربية ، وسير مجراه الأوسط والأدنى في أرض السهل الساحلي الفلسطيني * المنبسطة القليلة الانحدار .

يشق الوادي قبل بيت جبرين مجراه في مرتفعات جبلية ذات صخور كلسية ـ دولوميتية قاسية عائدة للكريتاسي (السينوماني والتوروني) (رَ : الصخور) . ويشق طريقه في صخور كلسية ايوسينية أقل قساوة عند أقدام الجبال وبداية السهل الساحلي الفلسطيني . وإلى الغرب من منطقة بيت جبرين يتعرج الوادي ضمن الترسبات اللينة العائدة للحقبة الرابعة الجيولوجية . ويتخذ محوراً شماليا غربيا مع تعرجات واضحة حتى يلتقي وادي صقرير ، بعد أن يكون قد قطع مسافة ٤٠ كم في منطقة تراوح أمطارها بين ٣٥٠ و٥٠٠ مم .

تكثر على امتداد وادي الإفرنج أطلال الخرب وآثار التجمعات السكانية مما يدل على أن حوضه كان معموراً في الماضي (رَ : الخرب والأماكن الأثرية) .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج٥ ق٢ ، بيروت ١٩٧٢ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ لوحات الخليل وبيت جبرين وغزة .
ـ الخريطة الجيولوجية لفلسطين : مقياس ١ : ٢٥٠,٠٠٠ .

الأفضل نور الدين علي : رَ : العصر الأيوبي

أفنيري (مشروع ـ) :

طرح أوري أفنيري مشروعاً لحل القضية الفلسطينية وإقامة

السلام مع الدول العربية ، وشرحه في كتابه (إسرائيل بلا صهيونيين) الذي أصدره عام ١٩٦٨ .

ويتألف المشروع من قسمين : الأول يتناول إقامة جمهورية عربية فلسطينية ترتبط فدراليا مع الدولة الإسرائيلية . وتتألف الجمهورية الفلسطينية من الضفة الغربية وقطاع غزة ، كما يمكن لشرقي الأردن الانضمام إلى الدولة الفدرالية الجديدة إذا أراد مواطنوه ذلك . وتصبح القدس عاصمة الدولة الفدرالية وتكون في الوقت نفسه مركز عاصمتي الدولتين العربية والإسرائيلية . ويسبق إقامة الروابط الفدرالية بين الدولتين عقد معاهدة اقتصادية وسياسية وعسكرية بين الطرفين تضمن أمن (إسرائيل) العسكري القائم على منع دخول أية جيوش عربية إلى الأراضي الفلسطينية . ويتم ذلك بالتنسيق بين جيشي (إسرائيل) والجمهورية العربية الفلسطينية على غرار حلف الأطلسي أو حلف وارسو .

كما يتم بموجب المعاهدة المقترحة إقامة وحدة اقتصادية بين الطرفين . وتنص المعاهدة على إلزام الطرفين بعدم إقامة أحلاف خارجية مع أطراف أخرى بدون موافقة الطرف الآخر .

يؤلف ما تقدم الخطوط العريضة - حسب تعبير أفنيري - للخطة التي يجب أن تتقدم بها الحكومة الإسرائيلية إلى الشعب الفلسطيني العربي المقيم في المناطق التي احتلتها (إسرائيل) بعد عام ١٩٦٧ . وكان أفنيري قبل عام ١٩٦٧ نادى بعودة اللاجئين الفلسطينيين الذين يرغبون في العودة إلى (إسرائيل) وأوضح شروط قبول عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم التي هي اليوم جزء من « الدولة الإسرائيلية » ، وكيفية التعويض عما فقدوه من ممتلكات ، وما لحق بهم من أضرار ، وتعويض من لا يرغب في العودة ، ومنح العائدين الجنسية الإسرائيلية الخ . . لكن احتلال (إسرائيل) ، بعد حرب ١٩٦٧ * ، لأراض يقيم عليها القسم الأكبر من الشعب الفلسطيني جعل المسألة تطرح نفسها من جديد بشكل آخر .

لهذا ذهب أفنيري إلى أن حل مشكلة اللاجئين لا يكون بقبول عودة قسم منهم إلى (إسرائيل) بل بإقامة دولة فلسطينية تضم الفلسطينيين داخل وخارج الأراضي المحتلة والراغبين في إقامة دولة مرتبطة فدراليا بالدولة الإسرائيلية . ويرى أفنيري أن حل القضية الفلسطينية سيكون منطلقا لإقامة السلم الدائم بين (إسرائيل) وجاراتها العربيات .

ويتعرض أفنيري في القسم الثاني من مشروعه إلى إقامة ما يدعوه « الاتحاد السامي » بإقامة كونفدرالية تضم كل دول المنطقة .

ويوضح أفنيري ما يعنيه بتعبير سامي ، فيقول إنه لا يقصد بذلك المفهوم العرقي للكلمة بل التأكيد على التراث التاريخي المشترك للشعوب الناطقة بلغات تنتمي إلى الأسرة اللغوية السامية من عربية وعبرية وأمهرية وغيرها ، والتأكيد كذلك على الثقافة المشتركة والتراث الروحي المشترك لكل شعوب المنطقة . وبالتالي نضم "الأسرة السامية الثقافية" أيضاً الأتراك والأكراد والإيرانيين والذين ينحدرون من أجناس مختلفة ويتكلمون لغات غير سامية إلا أنهم مرتبطون تاريخياً بالعالم السامي وبالديانات السامية العظيمة .

ويتابع أفنيري قائلاً أنه قومي عبري ، ويتوجه بكلامه إلى القوميين العرب عارضاً عليهم مشروع للاتحاد السامي الذي سيجمع القوميتين في إطار كونفدرالي ، على أن تضع (إسرائيل) حداً للحقبة الصهيونية من تاريخها ، وأن تبدأ مرحلة جديدة بالاندماج في « النطقة » والمشاركة في كفاحها من أجل « التقدم والوحدة » . كما أن على العرب بالمقابل الاعتراف بدولة إسرئيل « ما بعد الصهيونية » كجزء من المنطقة لا يجب ولا يمكن القضاء عليها لأنها ستصبح في شكلها الجديد عنصراً هاما في الكفاح المشترك لشعوب المنطقة .

والجدير بالذكر أن مشروع « السلام السامي » لأوري أفنيري لم يحصل في الاقتراع أمام الكنيست * سنة ١٩٦٨ إلا على صوتين اثنين من أصل مئة وعشرين صوتا .

المراجع :

— Avneri, U.: **Israel Without Zionists**, New York 1968.
— Merhav, P.: **La gauche Israelienne**, Paris 1973.

أبو الإقبال : ر : سليم اليعقوبي

إقبالا (خربة ـ) : ر : دير البنات

الاقتصاد الفلسطيني العربي (شركة ـ) :
ر : الإخاء والعفاف (جمعية ـ)

الأقْحُوَانة (معركة ـ) :

كان بين الطامعين في إخراج الفاطميين * من بلاد الشام وإقامة دولة فيها بنو مرداس . وكان مؤسس هذه الدولة صالح بن مرداس الكلابي ، وقد استولى على حلب (٤١٤هـ/١٠٢٣م) منتزعا إياها

من منصور بن لؤلؤ ، وقد كان هذا يحكم حلب نيابة عن الخليفة الظاهر (٤١١-٤٢٦ هـ/ ١٠٢١ - ١٠٣٦ م) . وكان بنو الجراح يطمعون في إقامة حكم لهم في فلسطين ، كما أن سنان بن عليان كان يريد أن يقيم لنفسه ملكاً في بلاد الشام . لذلك قام حلف بين صالح ابن مرداس وحسان بن الجراح وسنان بن عليان ، على أن يتعاونوا على إخراج الفاطميين ويقتسموا البلاد : المرداسيون في شمال بلاد الشام ، وبنو الجراح لهم من الرملة * إلى حدود مصر ، وتكون دمشق وما يحيط بها لسنان وجماعته .

إلاّ أن الخليفة الظاهر لم يكن غافلاً عمّا يخطّطون فأرسل جيشاً حسن التجهيز (٤٢٠هـ/ ١٠٣٠م) أوكل أمره لأمير الجيوش أنوشتكين الدزبري الذي كان بدمشق نائباً عن الظاهر .

والتقى الجيش الفاطمي بقوات الحلف الشامي عند الأقحوانة فانتصر الدّزبري ، وقتل صالح بن مرداس ، وهرب حسّان بن الجراح إلى البيزنطيين . واسترد الفاطميون بذلك النصر جنوب سورية وأواسطها .

والأقحوانة كانت تقوم جنوبي مدينة طبرية * على نهر الأردن * . والمكان هناك ، مثل أماكن أخرى كثيرة في المنطقة ، يقع على الطريق الأردني ـ السوري ـ الفلسطيني .

الإقـــدام (صحيفة ـ) :

جريدة سياسة أسبوعية تأسست في مدينة حيفا * في ١٩٢٦/٨/١ ، وقد أسسها سليم الحلو ويوسف سلوم ، ثم تحول امتيازها إلى طانيوس نصر وجورج عازر .

انتقلت الجريدة إلى يافا * في سنة ١٩٢٩ ، وبقيت تصدر هناك إلى أن انفرد بها سنة ١٩٣٥ طانيوس نصر دون شريكه . واستمرت في الصدور نصف أسبوعية حتى عام ١٩٤٨ حين توقفت نهائياً .

المراجـع :

ـ أحمد خليل العقاد : تاريخ الصحافة العربية في فلسطين ، دمشق ١٩٦٧ .
ـ يوسف خوري : الصحافة العربية في فلسطين ١٨٧٦ ـ ١٩٤٨ ، بيروت ١٩٧١ .

إقْـرِت (قرية ـ) :

قرية عربية من قرى قضاء عكا مجاورة للحدود اللبنانية . ترتفع عن سطح البحر ٦٠٠ م . عرفت في عهد الاحتلال الصليبي باسم « أكْرف » ، وكانت في العهد العثماني من أعمال صور .

بلغ مجموع أراضيها ٢٤,٧٢٢ دونماً ، ولم يستطع الصهيونيون طوال عهد الانتداب تملّك أي جزء منها . ويزرع فيها الزيتون * والتين والكرمة (رَ : العنب) والتبغ والقمح * والشعير . والقسم الأكبر من أراضيها مكسو بأحراج السنديان والصنوبر .

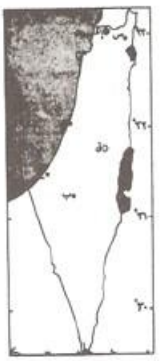

لم يتجاوز عدد سكانها في نهاية عهد الانتداب البريطاني ٥٠٠ نسمة ، وجميعهم من المسيحيين الكاثوليك . ولم تكن فيها مدرسة حكومية بل كانت هناك مدرسة ابتدائية كاملة تابعة لأسقفية الروم الكاثوليك .

من آثارها أرضيات مرصوفة بالفسيفساء وبقايا معصرة خمر ومدافن منقورة في الصخر وصهاريج وأدوات صوانية (رَ : الخرب والأماكن الأثرية) .

تمكنت (إسرائيل) من احتلالها بعد ستة أشهر من احتلالها مدينة عكا (رَ : عكا ، معركة) ، وذلك في ١٩٤٨/١٠/٣١ . وبعد ستة أيام أُمِر سكانها بمغادرتها لمدة أسبوعين فقط بحجة إتمام الأعمال العسكرية في تلك المنطقة . فغادرها أهلها مكرهين إلى قرية الزّامة . ولكن عودتهم إلى قريتهم بعد مدة الأسبوعين المقررة لم تكن إلاّ سرابا . وقد استمرت مفاوضاتهم مع السلطة الغاصبة سنة ونصفا دون جدوى ، فتوجهوا إلى محكمة العدل العليا بشكوى طالبين إعادتهم إلى قريتهم . تقررت هذه في ١٩٥٢/٧/٣١ أنه لا يوجد أي عائق قانوني يحول دون هذه العودة . على أن هذا القرار لم ينفذ ، وعلى عكس ذلك تماما عمد الجيش الإسرائيلي إلى نسف جميع بيوت القرية في ليلة عيد ميلاد المسيح من تلك السنة متحدياً بذلك الشعور الديني للأهلين (رَ : إقرت وكفر برعم ، قضية ـ) .

وما زال في هذه القرية المبادة جماعة من شيوخها يراوح عددهم بين ١٠ و١٥ نسمة مقيمين في كنيسة القرية إقامة دائمة في اعتصام مستمر حتى يومنا هذا .

المراجـع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج٧ ، ق٢ ، بيروت ١٩٧٤ .
— Hadawi, S.: Village Statistics 1945, Beirut 1970.

إقرت وكفر برعم (عملية ـ) : رَ : بيونيخ (عملية ـ)

إقْـرت وكفر برعم (قضية ــ) :

بعد انتهاء العمليات العسكرية في شمال فلسطين بين القوات الصهيونية والقوات العربية في خريف عام ١٩٤٨ (ر : حرب ١٩٤٨) احتل الجيش الإسرائيلي قريتي كفر برعم * وإقرت * والقرى المجاورة لهما في ١٩٤٨/١٠/٣١ . وبعد زمن قصير من الاحتلال أعلنت المنطقة المحاذية للحدود منطقة أمن بموجب أنظمة الدفاع * (الطوارىء) التي سنتها سلطات الانتداب البريطاني في فلسطين سنة ١٩٤٥ ، واستغل وزير الدفاع الإسرائيلي صلاحياته وفق هذه الأنظمة فأعلن أن المساحة الواقعة بين الحدود اللبنانية والسورية شمالاً وطريق نهاريا ـ ترشيحا ـ حرفيش ـ سمسح ـ صفد الرئيسي ، ومن هناك إلى جنوبي بحيرة طبرية * جنوباً ، وبين البحر غرباً ، والحدود السورية ـ الأردنية شرقاً ، أعلن أنها منطقة أمن . وهذه المساحة هي نصف مساحة الجليل تقريباً ، وتحتوي على العديد من القرى العربية . كذلك أعلنت منطقة المثلث المأهولة بالعرب في أواسط البلاد منطقة أمن .

ولقد طبقت هذه الأنظمة أول ما طبقت ضد سكان قرية إقرت ، ففي ١٩٤٨/١١/١٣ أبلغ الجيش الإسرائيلي سكان القرية " بأن هناك هجوماً عربياً وشيكاً ، وأن عليهم في الوقت الحاضر أن يغادروا قريتهم القريبة من الحدود إلى منطقة أخرى بصورة مؤقتة " . ولقد أذعن السكان للأمر وتوجهوا إلى قرية الرّامة التي تقع في وسط الجليل على طرين عكا ـ صفد . وهناك أقيم للمهجرين من إقرت مخيم ، ثم تدبروا أمرهم بالسكن في بعض بيوت الرامة ، وبعد حوالي أسبوعين رفع سكان قرية إقرت طلبات كثيرة إلى السلطات طالبين السماح لهم بالعودة ، إلا أن طلباتهم رفضت . وقد استمرت المفاوضات أكثر من سنتين دون جدوى ، إلى أن أدرك السكان أنهم لن يُعادوا عن طيب خاطر إلى قريتهم فرفعوا قضيتهم إلى المطارنة والأساقفة وزعماء الكنيسة الكاثوليكية ، وحتى إلى البابا نفسه ، فلاقت من الجميع التأييد .

ولما اتضح لسكان قرية إقرت أن هذا الحشد الهائل من التأييد لقضيتهم لم يجد نفعاً توجهوا إلى المحكمة العليا بشكوى ضد وزير الدفاع والحاكم العسكري طالبين إعادتهم إلى بيوتهم .

وفي ١٩٥١/٧/٣١ قررت المحكمة " أنه لا يوجد أي مانع قانوني من إعادة الغروبين ـ وليس اللاجئين ـ الذين يحملون جنسية إسرائيلية إلى أراضيهم " . وأضافت المحكمة أن أراضي إقرت لا تعتبر متروكة ، " ولذا لا يمكن وضعها تحت تصرف القيّم على أموال وأملاك العدو " مثل ما جرى في قرى عربية أخرى .

لكن قرار المحكمة لم ينفذ ، فحاول السكان العودة إلى القرية ، وظلوا أكثر من شهر في نقاش عقيم مع الحاكم العسكري ووزير الدفاع حتى تسلموا آخر الأمر أوامر بالخروج من قريتهم . إلاّ أن السكان تقدموا في الحال باستئناف إلى لجنة الاستئناف التي صادقت على أوامر الطرد بحسب أنظمة مناطق الأمن .

وحتى يقطع سكان إقرت أملهم في العودة إلى قريتهم قامت قوات الجيش الإسرائيلي في ١٩٥١/١٢/٢٥ بنسف جميع بيوت القرية . وفي ١٩٥٢/٢/٦ نظرت المحكمة العليا في شكوى جديدة ترجه بها إليها سكان القرية ، ولكن دون نتيجة .

أما سكان قرية كفر برعم فقد تم ترحيلهم عن قريتهم في ١٩٤٨/١١/١٥ ، أي بعد ثلاثة أيام من ترحيل سكان إقرت ، فتوجهوا إلى قرية الجش المهجورة القريبة من أراضي كفر برعم فأقاموا في الأكواخ والخيام على أمل العودة قريباً إلى قريتهم . إلاّ أن المدة الزمنية المحددة التي أعلنت عنها السلطات العسكرية انتهت دون أن يسمح لسكان القرية بالرجوع .

توجه سكان هذه القرية أيضاً ، بعد تردد ، بشكوى إلى المحكمة العليا التي أصدرت في أوائل أيلول ١٩٥٣ أمراً تمهيدياً يجبر السلطات على إبداء الأسباب التي تمنع سكان القرية من العودة إلى بيوتهم . عندئذٍ قامت القوات الإسرائيلية في ١٩٥٣/٩/١٦ بمهاجمة القرية براً وجواً ودمرتها تدميراً كاملاً . وقد تم تقسيم أراضي كفر برعم بعد ذلك بين كيبوتز برعام وموشاف دوفيف .

لقد صودرت أراضي قريتي إقرت وكفر برعم بموجب قانون استملاك الأراضي * الذي أقرته الكنيست * في ١٩٥٣/٣/٢٠ واستملكت أراضي كفر برعم في ١٩٥٣/٨/٢٧ وأراضي إقرت في ١٩٥٣/٩/٣ . وقام المستوطنون الصهيونيون بتسخير سكان القريتين للعمل أجراء عندهم .

طوال السنوات التي انقضت لم يتوقف أهالي القريتين العربيتين عن المطالبة بإرجاعهم إلى أراضيهم . ولقد علّمتهم التجربة عدم الاعتماد على وعود الأحزاب السياسية الصهيونية بعدما تبيّن كذبها غير مرة .

عرضت السلطات الإسرائيلية بعد ذلك تعويضات على أهالي قريتي كفر برعم وإقرت . وفي صيف ١٩٧٢ ورد على لسان روفين آلوني نائب مدير دائرة أراضي إسرائيل أن تسعين عائلة من كفر برعم قد أعيد توطينها ولكن دون أن توقع على اتفاقيات رسمية بذلك ، إلاّ أن ست عائلات منها تلقت ١٥٥,٠٠٠ ليرة إسرائيلية و ٢٧٢ دونماً من الأراضي مقابل أراضيها . وأشار آلوني إلى أن ثمانين عائلة من قرية إقرت سيعاد توطينها في (إسرائيل) وهذه العائلات تملك ٣,٠٠٠ دونم . وقد وقعت اتفاقيات مع ٥٥ عائلة

فمنحت ٧٠٠ دونم من الأراضي الخصبة وتعويضات وصلت إلى ٧٠٠,٠٠٠ ليرة إسرائيلية مقابل ١,٥٠٠ دونم تملكها .

إلا أن ادعاءات ألوني كانت باطلة من أساسها ، فلقد وقّع سكان قرية إقرت على رسالة مفتوحة نشرت في جريدة هآرتس رفضوا فيها بيانات ألوني ووصفوها بأنها كذب محض ، إذ لم تغادر قرية إقرت أسرة واحدة سواء قبل قيام (إسرائيل) أو بعده . وأكدوا أن عدد العائلات التي رفضت توقيع الاتفاقيات بلغ ١٢٦ عائلة تمثل ٦١٦ شخصاً يملكون ٤,٥٠٠ دونم من الأراضي الزراعية ، وقد قبلت ٣١ عائلة فقط بالتعويضات .

وجدد سكان إقرت وكفر برعم مساعيهم للعودة إلى قريتيهم عام ١٩٧٢ على أثر إلغاء العمل بقانون مناطق الأمن العسكرية . وفي ذلك العام قرر المطران يوسف ريّا مطران الروم الكاثوليك البدء في إعادة ترميم كنيسة إقرت التي أصيبت بأضرار جسيمة عام ١٩٥١ . وفي حين سمحت السلطات الإسرائيلية بإعادة بناء الكنيسة ، لم تسمح للقرويين بالعودة إلى أراضيهم . ولقد انتهز سكان قرية إقرت فرصة السماح لهم بترميم الكنيسة ليثيروا قضيتهم على أعلى المستويات ، وقد أوصلوا هذه القضية إلى رئيسة الوزراء آنذاك غولدا مائير .

اجتمع مجلس الوزراء الإسرائيلي في ١٩٧٢/٧/٢٣ لينظر في مسألة السماح لسكان قريتي إقرت وكفر برعم بالعودة ، وقرر رفض طلب سكان القريتين دون بيان أسباب هذا الرفض . ودل ذلك على خشية السلطات الصهيونية من أن تشكل حادثة القريتين سابقة يستند إليها سكان بقية القرى العربية المستملكة ، مما يضعف الأيديولوجية التوسعية العنصرية .

أثار رفض الحكومة طلب سكان قريتي كفر برعم وإقرت احتجاجات واسعة ، وقام السكان بتوجيه رسائل مفتوحة إلى رئيس الدولة آنذاك زلمان شازار ورئيسة الوزراء غولدا مائير وأعضاء الكنيست والمثقفين اليهود وغيرهم عرضوا فيها مأساتهم . إلا أن ذلك لم يجد نفعاً بالرغم من أنه حرّك بعض المثقفين اليهود إلى جانبهم . ولما حاول بعض سكان القريتين العربيتين الاعتصام في أطلال بيوتهم تصدت السلطات العسكرية الإسرائيلية لهم بناء على طلب من دائرة أراضي إسرائيل التي تدعي ملكية أراضي القريتين وأجلي المعتصمون بالقوة . وقد جرح العديد من السكان وتم الاعتداء على رجال الدين بالضرب كما اعتقل آخرون .

وناد المطران يوسف ريّا في ١٩٧٢/٨/٢٣ عدة آلاف من المتظاهرين اليهود والعرب في مسيرة احتجاجية انطلقت من بوابة يافا في القدس إلى مبنى رئاسة الحكومة الإسرائيلية . ونظم الصهيونيون المتعصبون مظاهرات مناهضة هتفوا فيها ضد العرب متهمين إياهم بأنهم أعداء " يتبعون منظمات التخريب " .

خرجت قضيتا كفر برعم وإقرت الى خارج الأرض المحتلة إذ عرض المطران ريّا القضية على الفاتيكان طالباً التدخل لمساندة السكان ، إلاّ أن (إسرائيل) رفضت مثل هذا التدخل .

وفي عهد حكومة الليكود* الذي كان يتظاهر وهو في المعارضة بالموافقة على إعادة سكان القريتين ، أعيد طرح موضوع إعادة سكان إقرت وكفر برعم ، وكان هناك اتجاه عام في الحكومة ضد عودة أهالي إقرت ، أما بالنسبة إلى سكان كفر برعم فقد انقسم الوزراء أنفسهم . ثم لم يلبث الموضوع أن جمد بعد أن اتخذت اللجنة الإقليمية للتخطيط والبناء في الجليل قراراً يجعل منطقة كفر برعم منطقة غابات وتمنع السكن فيها ، بالإضافة إلى أنها وقرية إقرت تدخلان في نطاق منطقة الأمن .

وهكذا ستظل قضية إقرت وكفر برعم شاهداً حيّاً على مدى الاضطهاد الذي يلاقيه العرب في وطنهم على أيدي الصهيونيين من جهة ، وعلى مدى تمسك العربي بأرضه ووطنه من جهة أخرى .

المراجع :

– صبري جريس : العرب في إسرائيل ، بيروت ١٩٦٧ .

— Amos Alon.: Two Arab Towns That Plumbet Israel's Conscience, New York Times magazine 22/11/1072.

الأقصى : رَ : المسجد الأقصى

الإنطاع :

لا يمكن الإلمام بالجوانب المختلفة لموضوع الإقطاع في فلسطين دون العودة إلى نظام الملكية الذي كان سائداً أثناء الحكم العثماني لفلسطين (رَ : الأرض ، ملكية) . فقد كانت الدولة العثمانية تملك أراضي أميرية شاسعة ، وكانت السلطة تقسم هذه الأراضي إلى قطاعات تدعى « تيمار » ، وهي الأراضي التي تدرّ ريعاً يتراوح بين عشرين ألفاً ومائة ألف درهم . وكانت تهبها لكبار رجال الدولة من مدنيين وعسكريين لقاء خدمات ماضية أو آتية . وقد ألغي نظام المقاطعات بعد تنظيم الجيش العثماني على أسس حديثة ، غير أنه بقي في فلسطين مالكون ورثوا مساحات شاسعة من الأراضي ، وظل هؤلاء المالكون يؤجرون أراضيهم لقاء مبلغ عيني من الحاصلات أو لقاء أجر نقدي معين . وعندما يقوم المزارعون

بدفع التزاماتهم كافة فإنهم يتمتعون بكل الحقوق والامتيازات التي يتمتع بها أصحاب الملكية الفردية بحيث يخلفهم وارثوهم في المزارعة . وقد سجلت هذه الأراضي بأسمائهم عند صدور قانون التمليك (الطابو) سنة ١٢٥٧هـ / ١٨٤١م .

ويمكن تقسيم ملكية الأراضي الفردية في فلسطين إلى نوعين رئيسيين :

١) الأراضي المملوكة التي يتصرف بها صاحبها كيفما يشاء ، ويتصرف بالمنقولات فيجوز له بيعها أو رهنها أو الإيصاء بها ، كما أنه يستطيع توريثها ورثته الشرعيين .

٢) الأراضي الأميرية التي تعود إلى الحكومة غير أن أصحابها يملكون التصرف بها كاملاً من خلال زراعتها .

وفي ظل هذين النوعين من الأراضي ظهر ثلاثة أنواع من المزارعين العرب في فلسطين :

١) المزارع الذي يملك حصة مشاعة من الأراضي لا يحق له بيعها أو فرزها فرزاً نهائياً .

٢) المزارع الذي يستأجر بعض مساحات من الأرض من ملاكي المساحات الشاسعة من السكان .

٣) المزارع الذي يعمل في أرضه الخاصة التي يملكها ويتصرف بها تصرفاً كاملاً .

وكان القانون الذي حدد حقوق الأملاك غير المنقولة في فلسطين أيام الانتداب البريطاني هو قانون الأراضي العثماني المستوحى من الشرع الإسلامي ، كما كان معمولاً به عام ١٩١٤ مضافاً إليه عدد من القوانين والملاحق والتعديلات التي أدخلتها عليه حكومة الانتداب البريطاني .

ويمكن تقسيم الأراضي الزراعية في فلسطين من حيث طريقة التصرف بها واستغلالها ووضعها القانوني بشكل عام إلى الأنواع التالية :

١) الأراضي الملك : ويتمتع صاحبها بمختلف حقوق التملك والتصرف بها كيفما يشاء . وكانت هذه الأراضي منذ القدم تقسم إلى قسمين : الأراضي « العشرية » التي تدفع العشر ، أي عشر المحصول ، والأراضي « الخراجية » التي تدفع الخراج .

٢) الأراضي الأميرية : يستوجب التصرف بهذه الأراضي موافقة الحكومة ، على أن يعطى المتصرفون بها سندات تمليك (طابو) لقاء رسم يدفع مقدّماً للحكومة .

٣) الأراضي المحلولة : عندما تنتهي حقوق التصرف المعطاة له بسند تفويض تصبح الأراضي محلولة ، ثم يحق للدولة أن تفوضها إلى شخص آخر . ويحق للدولة ان تسترد الأراضي إذا أهملت دون زرع ثلاث سنوات متتابعة .

٤) الأراضي الخالية (الموات) : وهي الأراضي التي تبعد عن أقصى العمران مسافة ميل ونصف ، وليست ملكاً لأحد . وكان معظم هذه الأراضي في منطقة بير السبع ، وفي بعض المناطق الجبلية .

٥) الأراضي المتروكة : وتشمل الطرق والمراعي وباقي الأراضي التي ينتفع منها الناس بشكل جماعي .

٦) أملاك الدولة : هذه الأراضي خاضعة لمراقبة سلطات الانتداب البريطاني . وحسب القانون الذي كان سارياً في فلسطين يناط بالمندوب السامي جميع الحقوق في الأراضي العمومية أو الحقوق المتعلقة بها . وله أن يمارس تلك الحقوق بصفته ممثلاً لحكومة الانتداب . وتشمل هذه الأراضي كل ما له علاقة بالمعادن والمناجم سواء أكانت في البر أم البحر . لذلك يمكن القول إن اسم الأراضي العمومية يشمل جميع الأراضي التي تستثمرها الدولة بالطريقة التي تشاء دون مراقبة أو تشريع .

وقد بلغت مساحة أراضي الدولة حسب القيود الرسمية قرابة ١.٤١٠.٠٠٠ دونم .

٧) أراضي الوقف : بنص القانون الذي كان معمولاً به في فترة الانتداب البريطاني على حظر وقف أرض ما في فلسطين إلاّ بوصية ، وبشرط ان يكون « الواقف » قد حصل مسبقاً على إجازة خطّية من حكومة الانتداب البريطاني . وقد عهد القانون إلى المحاكم الشرعية الإسلامية ، وكذلك إلى المحاكم الدينية المسيحية والمحاكم الدينية اليهودية ، بصلاحيات مماثلة .

٨) أراضي الشاع : اعترف القانون المعمول به في فلسطين أثناء الاحتلال العثماني اعترافاً كاملاً بملكية الأملاك غير المنقولة (مثل الأراضي) من قبل شخصين أو أكثر . وليست هنالك معلومات وإحصاءات موثوقة عن مساحة الأراضي المشاع في فلسطين .

هذه هي أهم أنواع الأراضي في فلسطين كما نص عليها القانون المعمول به في فترة الانتداب البريطاني (١٩١٧ ـ ١٩٤٨) . ويلاحظ في هذا الصدد تنوع الأراضي ووجود تعقيدات فيما يتعلق بالنصوص القانونية التي تنظم طريقة الامتلاك والاستثمار والتصرف لمختلف أنواع الأراضي في فلسطين . كما يلاحظ وجود ثغرات قانونية كثيرة مكّنت السلطات والجهات الصهيونية فيما بعد من وضع يدها على مساحات كبيرة من الأراضي تحت ستار القانون .

والسؤال الذي كان دوماً مثار التعليق والتأمل هو : مدى وجود إقطاع زراعي في فلسطين ، وإمكانية مقارنته بالإقطاع الذي كان سائداً في مصر وسورية والعراق ولبنان . إن الإجابة على هذا التساؤل بشكل علمي دقيق يتطلب دراسة الجوانب المختلفة لقوانين التملك ، وعلاقة المالك بالفلاحين ، وغيرها من الأمور قبل إعطاء

رأي نهائي في الموضوع . ولكن يمكن القول إن الإقطاع بالمعنى المتعارف عليه لم يكن موجوداً بشكل حاد في فلسطين كما هي الحال في كثير من البلدان العربية والآسيوية والإفريقية . ويقصد بالإقطاع في هذا السياق متوسط حجم الحيازات الزراعية وطريقة ونمط توزّع الملكيات بين السكان لمعرفة وجود أو عدم وجود تفاوت كبير في الثروة المتاحة للسكان . والدراسات الاختبارية حول هذا الموضوع إما قليلة ، وإما ناقصة ، وإما غير موثوقة بالنسبة إلى المساحات الفعلية التي تصرفت بها مختلف فئات السكان في فلسطين .

تعود أقدم المعلومات التوفرة عن توزع الملكية في فلسطين إلى العام ١٨٨٢م ، وتدل المعلومات على أن متوسطي الملاّك وصغارهم كانوا يملكون ٢٥٪ من أراضي الجليل و ٥٠٪ من أراضي فلسطين الجنوبية . وبعد مرور أربعين عاماً على هذه المعلومات قدّر خبير الأراضي « أوهاجن » أن هاتين الفئتين كانتا تملكان ٢٠٪ من أراضي فلسطين الشمالية و ٢٠٪ من أراضي فلسطين الجنوبية . وإذا ما كانت هذه المعلومات صحيحة فإن ذلك يعني ازدياد ملكية كبار الملاّك على حساب ملكية متوسطي الملاّك . ويمكن القول إن السبب الرئيس لهذا التطور هو طبيعة القوانين العثمانية التي أباحت مصادرة الأراضي التي تبقى ثلاث سنوات متتالية دون زراعة ، والتي أجبرت في الوقت نفسه الملاكين على تسجيل أراضيهم ، بينما لم يقم عدد كبير من صغار الملاك بذلك لارتفاع رسوم التسجيل ونهرباً من دفع الضرائب * ، مما أدى إلى سقوط حقهم في ملكية أراضيهم .

وجاء في أحد التقارير التي نشرتها السلطات التركية في عام ١٩٠٩ أن هنالك ١٦,٩١٠ عائلات في مناطق القدس ونابلس وعكا تعمل في الزراعة * ، وأن هذه العائلات تملك ما مجموعه ٧٨٥,٠٠٠ دونم ، أي بمعدل ٤٦ دونماً للعائلة الواحدة . وجاء في التقرير نفسه أن ٦٧٪ من عائلات منطقة القدس و ٦٣٪ من عائلات نابلس تملك أقل من ٥٠ دونماً للعائلة الواحدة .

وجرى زمن الاحتلال البريطاني لفلسطين تقدير للملكية الزراعية تبيّن منه أن هناك ١٤٤ مالكاً يملكون ٣,١٣٠,٠٠٠ دونم ، أي بمعدل ٢٢,٠٠٠ دونم للمالك الواحد ، وأن ٢٥٠ أسرة فلسطينية كانت تملك ٤,١٤٣,٠٠٠ دونم ، بمعدل قدره ١٦,٥٧٢ دونماً للأسرة ، في حين يملك باقي الفلاحين مساحة مقاربة للمساحة التي تملكها هذه الأسر .

وفي تقرير أعدّه جونسون كروسبي عام ١٩٣٠ اتضح أن حوالي ٦٦٪ من الفلاحين يملكون أراضي ، و ٥٤٪ منهم لا تتجاوز ملكيتهم أربعة دونمات ، وأن ٢٩,٤٪ من الفلاحين هم شركاء أو عمال زراعيون لا يملكون شيئاً ، ويملك الأراضي التي يعملون بها ملاّكون يسكنون خارج القرية .

وجاء في تقرير جون هوب سمبسون حول وضع المزراعين في فلسطين أن الأراضي المشاع كانت تؤلف نحو ٥٦٪ من مجموع أراضي القرى ، وأن نسبة ٤٤٪ الباقية كانت مفرزة (ر : سمبسون ، تقرير) . وكان هذا الوضع سائداً في مطلع العشرينات ، أما في مطلع الثلاثينات فقد انخفضت نسبة الأراضي المشاع إلى ٥٤٪ ، وارتفعت نسبة الأراضي المفرزة إلى ٤٦٪. وقدّر التقرير عدد الأسر التي تعيش على الزراعة بنحو ٦١,٤٠٨ أسرة تزرع ما مجموعه ٥,٦٤٤,٠٠٠ دونم ، بمعدل قدره ٩٢ دونماً لكل منها .

كانت الإحصاءات الزراعية عام ١٩٤١ تشير إلى أن ٣٠٪ من الفلاحين لا يملكون أية أرض ، وأن ٥٠٪ من الفلاحين يملكون أراضي صغيرة لا تكفيهم . أما خبير الأراضي « غرانوت *Granot* » فيؤكد أن الملكية الزراعية في فلسطين كانت تتركز في أيدي عدد قليل من الملاكين حتى ان ١١٦ مالكاً كانوا يملكون ١,١٣٣,٠٠٠ دونم ، بمعدل قدره ٩,٧٥٠ دونماً للفرد الواحد ، وأن ٢٨ مالكاً في قطاع غزة ومنطقة بير السبع كانوا يملكون ٢,٠٠٠,٠٠٠ دونم ، ويملك ١١ منهم ١,٠٠٠,٠٠٠ دونم ، ويراوح ملكية سبعة أفراد منهم ما بين ٣٠,٠٠٠ و ١٠٠,٠٠٠ دونم ، في حين أن ١٦,٩١٠ أسرة من الفلاحين في مناطق نابلس وعكا والخليل يملكون فقط ٧٨٥,٠٠٠ دونم ، بمعدل ٤٦ دونماً للأسرة الواحدة .

وتوضح هذه الأرقام أن هنالك تفاوتاً في حجم الحيازات الزراعية التي كانت سائدة في فلسطين خلال حكم الانتداب البريطاني والاحتلال العثماني قبله . ولعل أكثر الدراسات دقة حول حجم الإقطاع في فلسطين هي تلك التي قامت بها دائرة الأراضي والمساحة في حكومة الانتداب البريطاني ، وكانت تلجأ الى أسلوب « العيّنات » لدراسة هذا الموضوع . فقد قامت الدائرة المذكورة في عام ١٩٣٦ بانتقاء عيّنة عشوائية من القرى في فلسطين بلغ عددها ٣٢٢ قرية ، وعدد سكانها ٢٤٢,٠٠٠ نسمة . وقد اتضح من دراسة هذه العيّنة ان الملكية الصغيرة تؤلف أغلبية الملكية ، مع وجود فروق في حجم الملكية ، فقد بلغ عدد المالكين في تلك القرى ٧١,٧٨٩ مالكاً يملكون ٣,٢٥٢,٧٥٣ دونماً ، بمعدل ٤٥,٣ دونم للفرد . أما معدل توزيع الملكية فكان على النحو التالي :

١٥٠ مالكاً يملك الواحد منهم ١,٠٠٠ دونم .

٥٨ مالكاً يملك الواحد أكثر من ٣,٠٠٠ دونم .

٢٠ مالكاً يملك الواحد أكثر من ٤,٠٠٠ دونم .

١٣ مالكاً يملك الواحد أكثر من ٥,٠٠٠ دونم .

وتبين من الدراسة أن فئة الملاكين الكبار التي تضم ١٣ مالكاً تملك ٦٢٤,٤٣٥ دونماً ، أي حوالي ١٩,٢٪ من مجموع مساحة القرى المدروسة . أما صغار الملاكين والذين تبلغ نسبتهم ٩١,٨٪ فإنهم لا يملكون سوى ٣٦,٧٪ من مجموع المساحة موضع الدراسة .

الإكوادور : ر : أمريكا اللاتينية (دول –)

ألباغيورا (منظمة –) : ر : هاشومير

الألبـــان : ر : المواد الغذائية (صناعـة –)

ألبـانيا : ر : أوربا الشرقية (دول –)

ألتـالينا (الباخرة –) :

دبّت الخلافات بين زعماء المنظمات العسكرية الصهيونية الإرهابية بعد إعلان قيام (إسرائيل) في منتصف أيار ١٩٤٨ . فقد رفض مناحيم بيغن في بادىء الأمر حل منظمة إرغون تسفي لئومي * وضمها إلى الهاغاناه * ، ثم انصاع ووقع اتفاقاً مع قيادة الجيش في ١٩٤٨/٦/٢ ينص على أن تتوقف أرغون عن اقتناء العتاد الحربي لقواتها .

وكان بيغن قبل أيار ١٩٤٨ قد تعاقد على استئجار سفينة اسمها التاليا *Altalene* ، وهو اسم مستعار استعمله فلاديمير جابوتنسكي لتوقيع بعض مقالاته ، لنقل ١٥٠ مدفعاً مضاداً

للطائرات والمدرعات ، و٥ دبابات ، و٣٠٠ رشاش ، و ٥٠٠٠ بندقية ، و٤ ملايين طلقة ، وعدة آلاف من القنابل المختلفة ، و٩٠٠ متطوع مدرب .

غادرت ألتاليا ، رمي الباخرة ١٤١ في سلسلة بواخر تهريب اليهود إلى فلسطين ، بورت دي بوك *Port-de-Bouc* الفرنسي في شهر حزيران باتجاه تل أبيب * .

وأثناء رحلة السفينة اختلف بيغن مع دافيد بن غوريون رئيس الوزراء آنذاك على كيفية توزيع الأسلحة والذخائر بين قوات الهاغاناه والإرغون . وقد وجد بن غوريون في هذا الخلاف فرصة للقضاء على أحد خصومه فصمم على استعمال القوة إذا استمر بيغن في التمسك برأيه بشأن اقتسام حمولة السفينة .

وصلت ألتاليا إلى تل أبيب يوم ١٩٤٨/٦/٢٠ ، وبعد أن نزل المهاجرون المقاتلون أمر بن غوريون بإطلاق نيران المدفعية عليها فاحترقت وانفجرت وقتل أثناء العملية ١٥ شخصاً . وقد اتهم بيغن دافيد بن غوريون بأنه أمر بإطلاق النار على ألتاليا كي يقتله حين كان بيغن على ظهر الباخرة يحاول تفريغ حمولتها .

وقد أدت هذه الحادثة إلى حل منظمة « إرغون » حلا نهائيا ، كما أدت إلى توسيع شقة الخلاف بين الأحزاب الإسرائيلية ، فمنها من أيّد بن غوريون في فعلته ، ومنها من رفض هذا الأسلوب .

المرجع :

– جاك ديروجي وهيزي كارمل : تاريخ إسرائيل السري (١٩١٧-١٩٧٧) ، مترجم ، دمشق ١٩٧٩ .

ألفـرد بطرس روك (١٨٨٥ - ١٩٥٦) :

عضو اللجنة العربية العليا * . ولد في مدينة يافا * حيث تلقى دراسته الابتدائية والثانوية في مدرسة الفرير ، وزاول بعد تخرجه الأعمال الحرة من تجارة وزراعة .

شغله هموم وطنه ، ولا سيما تدفق المهاجرين الصهيونيين على مدينته يافا ، وشارك في اشتباك مع بعضهم سنة ١٩٠٥ أدّى إلى مقتل واحد منهم . فترك يافا ولجأ إلى اليونان . ولكنه عاد إلى فلسطين سنة ١٩١٠ وأخذ على عاتقه شرح القضية الفلسطينية عن طريق المحاضرات والندوات والمؤتمرات ، وقد شهد له معاصروه بحبه الكبير لوطنه وإخلاصه العظيم له .

وعندما أعلن الشريف حسين الثورة العربية سنة ١٩١٦ في الحجاز أظهر ألفرد روك وبعض رفاقه تعاطفهم معها ، ونشطوا

لكسب التأييد لها وشرح غاياتها وأهدافها ، فأبعدته السلطات العثمانية إلى الأناضول . وبعد انتهاء الحرب عاد إلى مدينته ، فوجد أن أمواله قد صودرت ، وبيارته قد أتلفت ، فتردّت أوضاعه المادية بعد ثراء ، ولكن هذا لم يمنعه المشاركة في الحركة الوطنية .

اختير عضوا في الوفود العربية الفلسطينية إلى مؤتمرات كثيرة عقدت من أجل القضية الفلسطينية ، منها مؤتمر لندن ١٩٣٠ ، والمؤتمر البرلماني في القاهرة ما بين ٧ و١٩٣٨/١٠/١١ (رَ: المؤتمر البرلماني العربي) ، ومؤتمر سانت جيمس في لندن أيضاً في ١٩٣٩/٢/٧ (رَ : لندن ، مؤتمر ١٩٣٩) .

وفي شهر نيسان ١٩٣٦ انتخب عضواً في اللجنة المشرفة على تنفيذ الإضراب الكبير في مدينة يافا . كما اختير عضواً في اللجنة العربية العليا لفلسطين ، التي ترأسها الحاج محمد أمين الحسيني * . وفي ١٩٣٦/٨/٢٠ كان أحد الموقعين على بيان زعماء المسيحيين في فلسطين ، وفيه ناشدوا العالم المسيحي إنقاذ الأماكن المقدسة من الخطر الصهيوني ، ولفتوا أنظار مسيحيي العالم إلى ما تجرّه السياسة البريطانية وراءها . وحين حلّت سلطات الانتداب البريطاني اللجنة العربية العليا في ١٩٣٧/١٠/١ ، ونفت بعض أعضائها إلى جزر سيشل كان الفرد روك في جنيف ضمن وفد فلسطيني يدعو للقضية الفلسطينية ، فأفلت من النفي ، ولكنه حظر عليه دخول فلسطين ، ثم سمح له بذلك بعد أن عاد منفيو سيشل .

انتسب إلى الحزب العربي الفلسطيني * ، برئاسة جمال الحسيني * ، وانتخب سنة ١٩٣٥ نائباً لرئيسه . ثم انتخب سنة ١٩٤٤ عضواً في مجلس بلدية يافا ، فكان هذا آخر منصب شغله في فلسطين . وقد كان ضمن وفد بلديته الذي نابل السلطات الأردنية في أوائل سنة ١٩٤٨ طالباً معونات ومددا لإنقاذ يافا من الوقوع في أيدي العصابات الصهيونية (رَ : يافا ، معركة) .

المرجع :

ـ أكرم زعيتر : يوميات الحركة الوطنية الفلسطينية (١٩٣٥ ـ١٩٣٩) ، بيروت ١٩٧٩ .

الألماس (صناعة ـ) :

دخلت هذه الصناعة فلسطين على أيدي مهاجرين صهيونيين من هولندا وبلجيكا ، قدموا إليها إبّان الحرب العالمية الثانية (رَ : الصناعة) . وتقوم هذه الصناعة على استيراد الألماس الخام من أفريقيا الجنوبية وهولندا وبلجيكا والولايات المتحدة وبريطانيا وسويسرا ، فتقوم الأيدي الخبيرة بصقله وإعادة تصدير الجزء الرئيس من الإنتاج ، لأن استهلاك السوق الداخلية منه قليل . وقد استوردت هذه الصناعة عام ١٩٧٦ ألماساً خاماً بمبلغ ٧٦٠ مليون دولار أمريكي ، وأعادت في العام نفسه تصدير الألماس المصقول بمبلغ ٨٠٠ مليون دولار أمريكي .

تحتل هذه الصناعة المركز الأول بين صادرات (إسرائيل) الصناعية . وقد وصلت نسبة صادرات الألماس عام ١٩٧٦ إلى ٣٣,٤٪ من مجموع الصادرات الإسرائيلية للعام نفسه .

نشطت بسبب ذلك صناعة آلات القطع والصقل التي تشترك مع الأيدي الخبيرة في دفع عملية الإنتاج إلى الأمام ، وتقوية هذه الصناعة الهامة .

أما أبرز مراكز الإنتاج فهي تل أبيب * وناتانيا * .

ألمانيا الاتحادية :

ساهمت النازية الألمانية ، برنامجاً وممارسة ، في دفع هجرة اليهود إلى فلسطين . فقد تناولت اتفاقية « هعفراه » التي أبرمت بين الصهيونية والنازيين عشية صعود هتلر إلى الحكم دعم الهجرة اليهودية إلى فلسطين (رَ : النازية والصهيونية) . وتضمّنت مقدّمة قوانين نورمبرغ العنصرية الصادرة في ١٩٣٥/٩/١٥ فقرة حول الصهيونية اليهودية وتبريرها النازي جاء فيها : " لو كان لليهود دولة خاصة بهم يقيم فيها غالبية الشعب اليهودي لأمكن اعتبار المسألة اليهودية منتهية اليوم حتى بالنسبة إلى اليهود أنفسهم ، فقد كان الصهيونيون الغيورون أنفسهم أشد الناس تشددا في معارضة الأفكار الأساسية لقوانين نورمبرغ لأنهم يعلمون أن هذه القوانين هي الحل السليم الوحيد للشعب اليهودي " . وكانت المذابح النازية لليهود من العوامل الهامة التي دفعت اليهود للهجرة خارج أوربا ، وبالتالي للاستقرار في فلسطين في بحثهم عن ملجأ آمن .

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، وتوقيع اتفاقية وكالة التعويضات للدول المتحالفة ، بدأت الصهيونية ، ثم (إسرائيل) بعد قيامها ، تطالب ألمانيا بالتعويضات عن ضحايا الحرب من منطلق قومي تعدّ به نفسها ممثلة للشعب اليهودي كله ومسؤولة عن اليهود من ضحايا النازية . وفي ١٩٥٢/٩/١٠ تمّ توقيع ثلاث اتفاقيات دولية هامة ، اثنتان منها في اللكسمبرغ ، الأولى بين ألمانيا الاتحادية و(إسرائيل) ، والثانية بين ألمانيا الاتحادية ومؤتمر المطالب المادية اليهودية الذي كان يمثل ثلاثا وعشرين منظمة يهودية خارج (إسرائيل) ، وتدفع جمهورية ألمانيا الاتحادية بموجبها ٤٥٠ مليون مارك ألماني (لإسرائيل) لصالح المؤتمر المذكور. أما الاتفاقية الثالثة فكانت بين مؤتمر المطالب المادية اليهودية و(إسرائيل) ،

ووقّعت في نيويورك وأصبح المؤتمر بموجبها خاضعا (لإسرائيل) .

وقد بلغت قيمة التعويضات بموجب الاتفاقية الأولى ٨٢٠ مليون دولار . وأسهمت اتفاقية التعويضات ـ بمختلف جوانبها ـ وقد قدمت نقداً أو سُلفاً أو على شكل مشاريع في تطوير (دولة إسرائيل) . فقد وسّع الألمان بهذه المساعدات مرفأ حيفا ، ومدّوا خط السكة الحديدية إلى بير السبع ، وشيّدوا خمس محطات لتوليد الطاقة وغير ذلك . وفي الوقت الذي قدمت فيه المساعدات على مدى ١٢ عاماللاجئين اليهود أعلن أديناور ـ مستشار ألمانيا آنذاك ـ " أنه ليس للجمهورية الاتحادية الحق ولا المسؤولية لاتخاذ موقف حول مسألة اللاجئين الفلسطينيين " .

وفي عام ١٩٦٤ ، وبضغط من الولايات المتحدة الأمريكية ، قدمت ألمانيا (لإسرائيل) صفقة دبابات بقيمة ٢٥٠ مليون مارك ألماني . وقد توقف ٣٠٪ من الصفقة حين اكتشف أمرها وثارت حولها ضجة عربية . وفي ١٩٦٥/٣/٧ أعلنت ألمانيا رسميا إقامة علاقات ديبلوماسية مع (إسرائيل) ردّا على زيارة أولبرخت ـ زعيم ألمانيا الشرقية ـ للقاهرة في أوائل عام ١٩٦٥ . وفي ١٩٦٥/٥/١٢ أعلن عن إنشاء علاقات ديبلوماسية رسمية بين البلدين إثر تبادل كتابين بين إيرهارد المستشار الألماني واشكول رئيس الوزراء الإسرائيلي نشرت نصوصهما في كل من بون والقدس المحتلة ، وقد ترتّب على ذلك أن قطعت الدول العربية علاقاتها الديبلوماسية مع ألمانيا الغربية، باستثناء ليبيا وتونس والمغرب .

قبيل حرب حزيران ١٩٦٧ أخذت ألمانيا الاتحادية موقفاً منحازاً (لإسرائيل) حين قال المستشار فيللي برانـدت في ١٩٦٧/٥/٣١ : "لسنا مع الحلول من جانب واحد بل مع الحلول التعاقدية ، ولسنا مع استخدام القوة بل مع نبذ القوة ، لهذا السبب تتخذ الجمهورية الاتحادية الموقف بوجوب صيانة مبدأ حرية البحار . وإن مصالح أسرة الأمم تنتهك عندما تقاطع أو تدمر الإنجازات السلمية في بناء الدولة " . وترتّب على ذلك أن أغلقت مصر (الجمهورية العربية المتحدة) قنصليتها في فرانكفورت في اليوم نفسه .

وفي ١٩٦٧/٦/٣ تمّ تسليم الإسرائيليين صفقة أقنعة غاز ألمانية . واستمرت ألمانيا الاتحادية تقدم مساعدة اقتصادية (لإسرائيل) في السنوات التالية تراوح بين ٣٥ و٤٠ مليون دولار سنويا .

وكان أول تغيّر في المواقف الألمانية اشتراكها في التوقيع على وثيقة دول السوق الست التي عرفت بوثيقة شومان ، وذلك في ١٩٧١/٥/١٢ . وقد تحدثت الوثيقة عن انسحاب كامل من الأراضي المحتلة مع تعديلات طفيفة في الحدود وإنهاء حالة الحرب ، وتكوين مناطق منزوعة السلاح ، وتدويل القدس ، وحلّ قضية اللاجئين حسب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ١٩٤ (رَ : العودة ، حق) ، لكن ألمانيا أخذت تتهرب من الاعتراف بالوثيقة فأعلن وزير خارجيتها أن بون تعتبر قرار مجلس الأمن ٢٤٢ * في نصه الإنكليزي أساساً للمفاوضات ، وأن ألمانيا الاتحادية تعتبر تفسير واشنطن ولندن لنص هذا القرار تفسيراً صحيحاً ولا ضرورة للتعهد بانسحاب سابق ، وأن ما يسمى بوثيقة الدول الست مجرد وثيقة عمل لم يوافق عليها كاملة بعد (رَ : الجماعة الاقتصادية الأوربية) .

وفيما بين حربي حزيران ١٩٦٧ * وتشرين الأول ١٩٧٣* اتسع نطاق تأييد حقوق الشعب الفلسطيني في الأوساط الطلابية والأوساط اليسارية الألمانية .

وفي عام ١٩٧٢ ، وبعد عملية ميونيخ * في القرية الأولمبية صيف ١٩٧٢ ، اتخذت ألمانيا الاتحادية موقفاً معادياً للفلسطينيين حين أعلنت حلّ فرعي اتحادي الطلبة والعمال الفلسطينيين ، وأبعدت نحو ٢٠٠ فلسطيني مدّعية الاشتباه في أن سلوكهم السياسي خطر على أمن ألمانيا الاتحادية .

في الموقف من حرب تشرين الأول ١٩٧٣ صرّح وزير الخارجية والتر شيل بقوله : " نحن نسير وراء سياسة التوازن في علاقاتنا تجاه بلدان الشرق الأوسط ، وهي لا تقبل التحيز لأي طرف في النزاع بالشرق الأوسط ، فعلى أساس سياسة عدم الانحياز التي نسير عليها حيال الشرق الأوسط ، ونظراً لعودة علاقاتنا الديبلوماسية فإننا نستطيع أن نراعي في المستقبل اتصالات ودية مع جميع بلدان هذه المنطقة " . وأطلق المستشار برانـدت في العاشر من تشرين الأول نداء لوقف القتال أتبعه بالقول : " إن حياة الباقين على قيد الحياة في إسرائيل مهددة بالخطر " . وأعلنت حكومة ألمانيا الاتحادية احتجاجها على خرق الولايات المتحدة للمعاهدة الألمانية ـ الأميركية المعدّلة في ١٩٥٤/١٠/٢٣ التي لا تعطي الولايات المتحدة حق استخدام الأراضي الألمانية لتزويد مناطق الصدامات المسلحة بالأسلحة ، وذلك بعد انكشاف أمر تزويد أمريكا (إسرائيل) بالسلاح انطلاقاً من المطارات والموانىء الألمانية .

وفي الوقت نفسه استمرت سياسة « الحياد والحذر » ، قياسا على السابق ، تطبع سياسة التحالف الحاكم الجديد بين الحزب الديمقراطي الاشتراكي والحزب الليبرالي الديمقراطي ، إذ اشتركت ألمانيا في إصدار وثيقة ١٩٧٣/١١/٦ لدول السوق الأوربية الوثيقة التي تحدثت لأول مرة عن أن السلام في المنطقة مرهون بتلبية الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني . وامتنعت عن التصويت على القرار

٣٢١٠ في الدورة التاسعة والعشرين للجمعية العامة عام ١٩٧٤ بدعوة منظمة التحرير الفلسطينية للاشتراك في المداولات (رَ : منظمة التحرير الفلسطينية في الأمم المتحدة) ، وامتنعت عن التصويت على القرار ٣٢٣٦ (١٩٧٤) حول الحقوق الثابتة للشعب الفلسطيني * ، لكنها صوتت ضد القرار ٣٢٣٧ الذي يمنح المنظمة مركز مراقب ، وضد قرار تشكيل لجنة الأمم المتحدة المعنية بممارسة الشعب الفلسطيني لحقوقه الثابتة * ، وضد قرار إدانة الصهيونية وقرنها بالعنصرية (رَ : العنصرية والصهيونية) ، ونعت المندوب الألماني هذا القرار بأنه إهانة للإنسانية .

ظلت ألمانيا تؤكد في بياناتها الرسمية الفردية وبياناتها الثنائية مع عدد من الدول الفقرة الخاصة بالشعب الفلسطيني التي جاءت في وثيقة ١٩٧٣/١١/٦ لدول السوق ، ثم تطور موقف دول السوق في بيان وزراء خارجية الدول التسع في روما ١٩٧٥/١٠/٣٠ الذي أعلن أنه " لا بد من الاعتراف الدائم بحق الشعب الفلسطيني في التعبير عن شخصيته الوطنية " . وفي خطاب وزير الخارجية غينشر في الدورة ٣١ للأمم المتحدة في ١٩٧٦/٩/٢٨ قال : "لقد عبّرت ألمانيا الاتحادية عن رأيها في ذلك من فوق هذا المنبر في عام ١٩٧٤ ، وأكّدت أنه لا بد من الأخذ بالاعتبار ، خلال التسوية السلمية ، وعند انتهاء احتلال الأراضي ، حق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير الذي يتضمن في النهاية حقه في إقامة سلطته القومية ، وكذلك حق إسرائيل في العيش ضمن حدود آمنة ومعترف بها " .

وفي ١٩٧٧/٦/٢٩ أصدرت دول السوق التسع وثيقة جديدة طوّرت فيها مواقفها السابقة ،وتحدثت عن أن السلام ليس ممكناً إلاّ إذا تُرجم الحق المشروع للشعب الفلسطيني في إعطاء تعبير فعال لهويته الوطنية إلى واقع يأخذ في الاعتبار الحاجة إلى إقامة وطن قومي للشعب الفلسطيني ، وأن من الضروري اشتراك ممثلي الشعب الفلسطيني في أية مفاوضات . وقد أكّد ممثل ألمانيا الاتحادية في الجمعية العامة في الدورة ٣٢ (١٩٧٧) أن موقف بلاده معبّر عنه في وثيقة حزيران .

وفي ١٩٧٨/٦/٢١ ألقى المستشار هيلموت شميدت خطابا بمناسبة استقباله وليّ العهد السعودي قال فيه : " إن حق تقرير المصير الذي طالبنا به للشعب الألماني يجب ألاّ تحرم الشعوب الأخرى منه . لذلك ، وبناء عليه ، فقد طالبت حكومة ألمانيا الاتحادية دائما وعلناً بوجوب تحقيق الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني . ويبدو لي ضرورة تركيز المناقشات الدولية حول إمكانية الأخذ بعين الاعتبار قضية التوقعات الإقليمية للعرب المشتركين في الأزمة ، وحق تشكيل دولة للفلسطينيين ، وذلك بنفس مقدار مناقشة المصالح الأمنية لدولة إسرائيل " .

وفي حزيران من عام ١٩٨٠ صدر بيان البندقية لدول السوق الأوربية الذي سجل أن اتفاقات كامب ديفيد * زادت التوتر في المنطقة ، لكنه ـ أي البيان ـ تجاهل حق الشعب الفلسطيني في إقامة دولته المستقلة ، وتجاهل الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني ، وأكد تمسك المجموعة الأوربية بالقرار ٢٤٢ وتبنّي اتفاقيتي كامب ديفيد نهجا ومضمونا ، خصوصاً ما يتعلق بتطبيع العلاقات .

وفي ١٩٨٠/١١/٢٤ ألقى شميدت البيان الوزاري للحكومة الائتلافية الجديدة من الحزبين الاشتراكي الديمقراطي والديمقراطي الحر أمام البرلمان وجاء فيه :

"إننا نريد في الشرق الأوسط ، بالاشتراك مع شركائنا في المجموعة الأوربية وبالاعتماد على بيان البندقية ، المساعدة في تحقيق حل سلمي شامل وعادل ودائم " .

وبعد زيارة شميدت للسعودية في نيسان ١٩٨١ قال في مقابلة تلفزيونية عند عودته إلى بلاده : "إن المرء لا يستطيع في الأزمة الفلسطينية إعطاء جانب واحد كل الحق وإدارة ظهره للجانب الآخر . هذا غير ممكن خاصة إذا كان المرء ألمانياً يعيش في أمة مقسمة ويطالب بحق تقرير المصير للشعب الألماني ، حيثئذ يجب على المرء أن يعترف بالمطلب الأخلاقي لحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني " .

وأضاف : "إذا أردنا في الغرب أن ننظر إلى منظمة التحرير على أنها إرهابية دون التفريق بين الكتل المختلفة ضمن المنظمة ـ إذ إن منظمة التحرير ليست إلاّ المنظمة الرئيسة للمنظمات المختلفة ـ إذا استمررنا على ذلك فسندفع المنظمة إلى أحضان موسكو ، وهذا ليس من العقل . يجب أن يتجه الفلسطينيون والإسرائيليون إلى اعتراف كل منهما بالطرف الآخر . إني أتمنى لليهود من صميم قلبي أن يبقى كيان دولتهم هذا وألاّ يتعرض للخطر نتيجة لسياسة لا تنظر بعيدا بما فيه الكفاية " .

وقد أثارت تصريحات شميدت هذه ردّة فعل عنيفة لدى أوساط الحكم الإسرائيلي ، وخاصة لدى رئيس الوزراء مناحيم بيغن .

المراجع :

ـ مؤسسة الدراسات الفلسطينية : الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية، الأعوام ١٩٦٤ ـ ١٩٧٦ .

ـ مصطفى عبد العزيز : إسرائيل ويهود العالم ، بيروت ١٩٦٩ .

ـ شحادة موسى : علاقات إسرائيل مع دول العالم ١٩٦٧ ـ ١٩٧٠ ، بيروت ١٩٧١ .

ـ رجينا الشريف : الصهيونية اللايهودية ـ تعبير عن التواطؤ الصهيوني العنصري

المعادي للسامية ، مجلة العلوم الاجتماعية ، عدد خاص عن فلسطين ، الكويت .

ـ كنيث ليفان : ألمانيا الغربية والشعب الفلسطيني ، شؤون فلسطينية ، عدد ٤٤ ، نيسان ١٩٧٥ ، بيروت .

ـ أسعد عبد الرحمن : المساعدات الأمريكية والألمانية الغربية لإسرائيل ، بيروت ١٩٦٧ .

ـ محمود عباس : الصهيونية والنازية توأمان ، شؤون فلسطينية ، العدد ١١٢ ، آذار ١٩٨١ ، بيروت .

ألمانيا الديمقراطية : ر : أوربا الشرقية (دول ـ)

إلياس مرمورة (١٨٨٧ ـ ١٩٤٧) :

ولد في مدينة الناصرة " وأنهى دراسته الابتدائية في مدارسها . ثم ارتحل إلى القدس " حيث درس في مدرسة صهيون " الإنكليزية الثانوية . ولمّا تخرج عيّن أستاذاً فيها . ثم انتسب إلى كلية الحقوق وتخرج فيها وعاد معلماً في مدرسة صهيون من جديد .

انتسب إلى السلك الكهنوتي عام ١٩٠٨ وأخذ يخدم طائفته الإنجيلية في رام الله " ونابلس " طوال خمسة عشر عاما تقريبا .

نفته السلطات العثمانية مع أسرته خلال الحرب العالمية الأولى إلى أدرنة . ولكنه عاد بعد الحرب إلى نابلس حيث تعلم لغة السامريين وترجم كتابهم المقدس إلى العربية . ولكن مخطوطة الترجمة فقدت . ثم ألف كتابا عن هذه الطائفة يضمّ تاريخاً لمدينتي نابلس وسبسطية " (١٩٣٤) . انتقل إلى رام الله عام ١٩٢٥ وبقي هناك راعيا دينيا حتى نقل سنة ١٩٢٩ إلى القدس .

أسس مجلة « الأخبار الكنسية » عام ١٩٢٤ في القدس وظل يحرّرها حتى عام ١٩٤٠ . وفي عام ١٩٤٣ انتخب بالإجماع رئيسا عاما للمجمع الكنسي في فلسطين وشرق الأردن . وظل في هذا المنصب إلى أن أحيل إلى التقاعد سنة ١٩٤٤ .

اشتهر بحبه للغة العربية ، وتضلعه فيها والدعوة إلى تدريسها لطلبة اللاهوت .

المرجع :

ـ يعقوب العودات : من أعلام الفكر والأدب في فلسطين ، عمان ١٩٧٦ .

إلياف (مشروع ـ) :

آريه إلياف يهودي ولد في روسيا عام ١٩٢١ وهاجر مع أسرته إلى فلسطين وعمره ثلاث سنوات . انضم أيام الانتداب البريطاني إلى صفوف الهاغاناه " وتقلد بعد قيام دولة الاحتلال عدة مناصب عسكرية وسياسية ، كما درس التاريخ والاجتماع في الجامعة العبرية . وقد أصبح عام ١٩٧٧ زعيماً لكتلة " شلي " التي تملك مقعدين في الكنيست " يشغل أحدهما الياف نفسه .

أصدر إلياف عدة كتب منها « أرض الظبي » الذي نشره عام ١٩٧٤ وضمّنه مشروعا لتسوية الصراع العربي ـ الإسرائيلي ركز فيه على وجوب حل المشكلة الفلسطينية لأنها أساس الصراع . وقد أثارت أفكار إلياف في حينها ضجة كبيرة في الأوساط الصهيونية رغم أنها لا تخرج عن إطار الايديولوجية الصهيونية ونظرتها العامة ، لأنه طرح مسألة الاعتراف بالشعب الفلسطيني في حين تنكر القيادات الإسرائيلية وجود هذا الشعب .

وتتلخص أفكار إلياف التي عرضها في كتابه والتي أصبحت تعرف باسم « مشروع إلياف » حول ثلاث قضايا :

١) المشكلة الفلسطينية : فهو يرى أن إنكار وجود مشكلة فلسطينية أو فلسطينيين لا يمكن أن يساعد (إسرائيل) . وأي حل دائم أو مؤقت مع الدول العربية بدون حل المشكلة الفلسطينية لن ينهي النزاع العربي ـ الإسرائيلي ولن تحصل (إسرائيل) بواسطته على السلام الحقيقي . فعلى (إسرائيل) ، كما يقول إلياف ، أن تواجه المشكلة بشكل مباشر . " فالفلسطينيون عاشوا هنا ثلاثة عشر قرناً ، ولم يكونوا عابري سبيل " . " وهم اليوم يعيشون بيننا وداخل حدودنا ، ونحن الآن مسؤولون عن نحو مليون منهم . ومن بينهم خرج وما زال يخرج ألد أعدائنا . وقدرنا أن نستمر في العيش معهم دائما " .

إن ضم المناطق المحتلة إلى (إسرائيل) يخلق مشكلات أمنية وديمغرافية وأخلاقية وديمقراطية كثيرة " وفي مقابل السلام الدائم على إسرائيل أن تتنازل عن جزء من حقوقها التاريخية " . ويجب أن تبادر إلى إعلان استعدادها لإعادة معظم الضفة الغربية وقسم من قطاع غزة إلى العرب الفلسطينيين (وليس الانسحاب منه) ، بحيث يمكن إقامة دولة مستقلة مع الأردن تترك لهم حرية شكل الحكم فيها واسمها (أردنية ـ فلسطينية أو فلسطينية ـ أردنية أو غير ذلك) . وهذا في نظره خير من إنشاء دولة صغيرة في الضفة الغربية وأجزاء من قطاع غزة ، لأنها لا تحل مشكلة الفلسطينيين ، إذ سيكون نصفهم تقريبا خارج هذه الدولة ولن يمدّ ذلك حلا لمشكلتهم .

ويجب أن تفرض هذه الدولة قيوداً تتعلق بأمن (إسرائيل) منها أن يحال بين القوات العربية وعبور نهر الأردن ، كذلك فصل قطاع غزة عن مصر ومنع أي نشاط عسكري فيه ، وتجريد الضفة وقطاع غزة من السلاح ، لا بضمانات الاتفاق المكتوبة بل

بضمانات عملية يجسّدها إشراف إسرائيلي أو مراقبة مشتركة من الدولتين إلى أن تترسخ دعائم السلام النهائي وتصبح العلاقات بين الدولتين طبيعية .

ويعارض إلياف سياسة الأمر الواقع في إقامة المستعمرات في المناطق المحتلة . أما المستعمرات القائمة في الضفة الغربية فيرى إلياف أن يضم بعضها رسميا ونهائيا إلى (إسرائيل) في ختام المفاوضات ، وأن يحول قسم آخر إلى قواعد مؤقتة للقوات العسكرية ودوريات المراقبة الأمنية التي سينص على إنشائها في اتفاقيات السلام . أما القسم الثالث فيبقى ضمن حدود الدولة الأردنية ـ الفلسطينية الجديدة . فالعلاقات الوثيقة التي ستنشأ بين الدولتين سوف تسمح بوجود يهود تتطلب أعمالهم الاستيطان المؤقت أو الدائم في أرض الدولة العربية .

ويرى إلياف أن إقامة الدولة العربية الفلسطينية ـ الأردنية إلى جانب (إسرائيل) يمكن أن يخفف حدة المشكلة السيكولوجية لعرب (إسرائيل) . فهؤلاء ، حسب قوله ، يواجهون مشكلة مزعجة بالنسبة إلى هويتهم ، فهم من جهة جزء من الشعب الفلسطيني لا يرغبون في الاندماج مع اليهود ، واليهود لا يريدون ذلك . ومن جهة ثانية هم مواطنون إسرائيليون . ويمكن لعرب (إسرائيل) ، في حال إقامة دولة عربية فلسطينية ـ أردنية فقط تعيش بسلام مع (إسرائيل) ، يمكنهم أن يشعروا بأنهم رعايا إسرائيليون وأنهم امتداد للشعب الفلسطيني ذي الهوية الخاصة في آن واحد . وقد يختار بعضهم الانتقال مؤقتاً أو نهائياً إلى الدولة الجديدة . ثم يقول " ويمكن الافتراض بأن معظم العرب سيظلون معنا ويشكلون جسرا بين الدولتين ، كما يشكل اليهود في المستعمرات القائمة في الدولة العربية جسرا مماثلاً " . ويتصور إلياف أن " إسرائيل والدولة العربية الجديدة سوف تقيمان مع الزمن سوقاً مشتركة بمد نحبران إلى المشاركة فيها دولا أخرى عربية وغير عربية " .

أما بالنسبة إلى مشكلة اللاجئين فإن إلياف يدعو إلى عدم النظر إليها على أنها مشكلة تخشاها ، فقد يكون فيها حسب رأيه بركة ونفع يستفاد منه . فالمليون لاجيء هم احتياطي من الأيدي العاملة الماهرة التي تستطيع بناء تجمعات مدنية وصناعية جديدة إذا توفر لها التمويل اللازم . وعلى (إسرائيل) أن تساهم في ذلك التمويل الفردي الجماعي . كذلك على دول النفط العربية الغنية والأوساط المالية الدولية أن تساهم أيضاً . وفي إمكان (إسرائيل) أن تبدأ منذ الآن بخطوات عملية في التعامل الجدي مع مشكلة اللاجئين بأن تزيل المخيمات القائمة وتُسكن اللاجئين في مساكن عصرية وأحياء جديدة حول مدن قطاع غزة والضفة الغربية . ولا ينسى إلياف أن يشير إلى أن على (إسرائيل) مطالبة الدول العربية في المستقبل بتعويضات عن أملاك اليهود الذين هاجروا منها إلى (إسرائيل) .

وحول موضوع القدس يقول إلياف بعد أن يستعرض مكانة القدس لدى اليهود والعرب : إن على (إسرائيل) أن توضح بعض الأمور منها :

(١) إن القدس الموحدة هي عاصمة (إسرائيل) وستظل كذلك . ولن تقبل (إسرائيل) بإعادة تقسيمها وعودتها إلى الحكم العربي .

(٢) إن المسلمين يستطيعون أن يصلّوا في مساجدهم في القدس . ولحل المشاكل المعقدة بالنسبة إلى الأماكن المقدسة يمكن إيجاد شكل من أشكال « فتكنة » هذه الأماكن (أي إعطائها وضعا شبيها بوضع الفاتيكان في روما) ، وتحديد منطقة مقدسة تتلقى خدماتها البلدية من المدينة ، ولكن تحظى بنوع من الإدارة الذاتية الدينية .

(٣) من الناحية العربية هناك طابع قومي لمشكلة القدس يمكن حله بخلق ممر إقليمي من الدول الأردنية ـ الفلسطينية عندما يحل السلام ، وهذا الممر يقود إلى منطقة الآثار الإسلامية المقدسة التي يمكن أن توضع تحت سيطرة الدولة الإسلامية .

(٤) يجب أن نوضح للعرب والعالم أننا سنبحث مشكلة القدس في نهاية عملية التصالح والسلام فقط لا في بدايتها .

٢) التسوية مع مصر : يقرر إلياف أن الصهيونية لم تدّع يوما أن لها حقوقا تاريخية في سيناء التي هي أراض خاضعة للسيادة المصرية . فالمسألة إذن محصورة بين (إسرائيل) ومصر ، وليست مسألة حقوق تاريخية وإنما هي مسألة أمن " ذات أهمية حيوية لوجودنا " .

وإذا حدث السلام بين مصر و(إسرائيل) وقامت علاقات طبيعية فإنه ، فيما عدا نوعا من الوجود الإسرائيلي في مضائق تيران ، يجب علينا أن نعيد شبه جزيرة سيناء إلى مصر على مراحل ، بعد أن تكون قد جردت كليا من السلاح ووضعت تحت مراقبة مشتركة وضمانات دولية وثنائية .

٣) التسوية مع سورية : يصف إلياف السوريين بأنهم أكثر الشعوب العربية عداء (لإسرائيل) ولكنهم واقعيون . ويرى في هذه الواقعية الأمل في إمكانية التوصل إلى حل بين سورية و(إسرائيل) . ويضيف إلياف : من أجل ذلك يجب أن نبلور موقفا واضحا بالنسبة إلى هضبة الجولان " . يجب أن تحتفظ (إسرائيل) بالسيطرة العسكرية على هذه السلسلة الجبلية ، وأن يسمح في الوقت نفسه للسوريين بإعادة سكانها المهجرين أو بعضهم على الأقل . ويتطلب هذا الحل ، شأنه شأن الحلول في الجبهات الأخرى ، مفاوضات وتوقيع معاهدة سلام وخطوات مرحلية وتجريداً كاملاً من السلاح وضمانات دولية وثنائية ورقابة مشتركة . ومصير مستعمرات

الجولان سيكون كمصير مستعمرات الضفة الغربية وقطاع غزة ، فمع حلول السلام سيتحول قسم منها إلى قواعد للدوريات والقسم الآخر إلى جزء من سورية السالة (لإسرائيل) والقسم الثالث سيضم إلى (إسرائيل) .

أما بالنسبة إلى لبنان فلن تكون هناك مشكلة في توقيع معاهدة سلام معه بعد توقيع معاهدات سلام مع مصر والفلسطينيين والأردن وربما سورية . وكل ما يريده إلياف هو إقامة حدود مفتوحة في رأس الناقورة * ومرجعيون ونقاط أخرى ، وعبور البضائع والناس من الجانبين .

المرجع :

— Eliav, L.: **Land of The Hart: Israelis, Arabs, The Territories, and A Vision of The Future,** Philadelphia , 1974.

الأليانس :

الأليانس كلمة فرنسية تعني التحالف . والاسم الكامل لجمعية الأليانس هو « التحالف الإسرائيلي العالمي » وبالعبرية « كل يسرائيل حفيريم » أي « جميع اليهود أخوة » .

تأسست هذه الجمعية في باريس في سنة ١٨٦٠ بمبادرة بعض اليهود في فرنسا ، وكان من بينهم أدولف كريميو عضو مجلس النواب والوزير في الحكومة الفرنسية آنذاك . سعت الأليانس لتكون اتحادا عالميا لليهود بهدف تقديم المساعدة السياسية والثقافية لليهود أينما كانوا ، وتنمية المجتمعات اليهودية المختلفة عن طريق التعليم والتدريب المهني من خلال الفكرة الداعية إلى وحدة اليهود في كل أنحاء العالم . وقد نشطت الأليانس في الدفاع عن حقوق اليهود السياسية في مختلف الدول الأوربية وآسيا وإفريقيا . وكان أدولف كريميو أول رئيس لها ، وظل في هذا المنصب حتى وفاته (١٨٨٠) . في سنة ١٨٧١ انفصل عن الأليانس فرعها في إنكلترا وأسس الجمعية الإنكليزية اليهودية .

أبدت الأليانس في سنواتها الأولى تحفظاً من حركة أحباء صهيون * والصهيونية * وسعت إلى نشر اللغة والثقافة الفرنسيتين . واتجهت إلى الاهتمام بالنشاط الثقافي فأوفدت إلى فلسطين سنة ١٨٦٨ كارل نيطر عضو لجنتها المركزية لدراسة أوضاع اليهود . وبعد التقرير الذي قدمه نيطر تقرر إقامة مدرسة زراعية في فلسطين لتعليم أبناء اليهود أصول الزراعة الحديثة . وفي سنة ١٨٧٠ أقيمت مدرسة " مكفيه يسرائيل " الزراعية على أرض مساحتها ٢,٦٠٠ دونم تابعة لقرية يازور * العربية بعد أن تمكنت جمعية الأليانس من استئجارها من السلطات العثمانية . فكانت أول مدرسة زراعية من نوعها عند اليهود . وأصبحت هذه المدرسة مع بداية الاستيطان الصهيوني في فلسطين مصدر تشجيع وتدعيم اليشوف * اليهودي ، ومن العوامل الرئيسة التي خلقت " الفلاح اليهودي " .

نظمت الأليانس سنة ١٩١٩ حملة واسعة لمساعدة يهود بولونيا ، وحملة إغاثة لضحايا المجاعة من اليهود في الاتحاد السوفييتي في سنة ١٩٢٢ . واتخذت بعد الحرب العالمية الثانية موقفاً مؤيداً للأهداف الصهيونية في فلسطين ، وطلبت من لجنة الأمم المتحدة الخاصة بفلسطين * السماح لليهود بالهجرة الواسعة إلى فلسطين . وساعدت الأليانس في تحقيق الأهداف السياسية للحركة الصهيونية ، وذلك بشراء الأراضي في فلسطين وتحويل عدد من صغار الملاك العرب إلى أجراء ، والإسهام في استيعاب المهاجرين اليهود من أوربا الشرقية في مستعمرات زراعية . كما أسست الأليانس شبكة تعليمية في بلاد اللفان وآسيا وشمال إفريقيا وفلسطين . وللأليانس مدارس ابتدائية في القدس * وحيفا * وطبرية * وتل أبيب * ومدرسة للصم والبكم . وفي سنة ١٩٥٠ تسلمت وزارة المعارف والثقافة في (إسرائيل) الإشراف على هذه المدارس وعلى مدرسة "مكفيه يسرائيل " وواصلت توفير الميزانيات اللازمة لها .

وقد بلغ عدد تلاميذ المدارس التابعة للأليانس في سنة ١٩٦٧ نحو ٢٥,٠٠٠ تلميذ منهم ٥,٢٢٧ تلميذاً في (إسرائيل) .

المراجع :

— صبري جريس : تاريخ الصهيونية ، ج ١ ، بيروت ١٩٧٧ .
— عبد الوهاب المسيري : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ، القاهرة ١٩٧٥ .

الأماكن الأثرية : رَ : الحرب والأماكن الأثرية

الأماكن المقدسة : رَ : الحج إلى الأماكن المقدسة في فلسطين

أمان :

إحدى مؤسسات جهاز الاستخبارات الإسرائيلي * . وهي إدارياً قسم من أقسام رئاسة الأركان العامة للجيش ، وتتبع رئيس الأركان ، أما في التخطيط العام فتلتزم بما يقرره مجلس أمن الدولة الأعلى . وهي بذلك تماثل إدارة المخابرات العسكرية او ما

يشبهها في الجيوش الأخرى . وتعتبر أمان ثاني مؤسسة استخبارية بعد موساد * ، بل إنها أصبحت نضاهيها في اتساع مجالات عملها وتنوع نشاطاتها ، وبخاصة بعد أن تم تجهيزها بأدوات ومعدات تقنية حديثة .

يشتق مصطلح أمان من العبارة العبرية « أغاف موديعين » ومعناها مكتب الاستخبارات . وتختص بأمن القوات المسلحة وجمع المعلومات العسكرية الاستراتيجية والعملياتية والتكتيكية والميدانية عن القوات المسلحة العربية والطاقات العربية السياسية والاقتصادية التي يمكن توظيفها لصالح القوات المسلحة واستثمارها في العمليات الحربية . وتقوم أمان بتحليل هذه المعلومات واستقرائها واستخراج النتائج منها وتشارك مشاركة أساسية في وضع الخطط الحربية والتنسيق مع الأجهزة الأخرى . ويقوم بجمع المعلومات ضباط استخبارات الميدان الذين يعملون على الحدود وفي مناطق العمليات ، وضباط الاستطلاع الذين يستخدمون وسائل الرصد والاستطلاع البري والبحري والجوي واللاسلكي والالكتروني والأقمار الصناعية وغيرها من وسائل الرصد والاستطلاع .

هذا عن المعلومات عما يحيط بالحدود ، أما المعلومات الخارجية فتأتي عن طريق الملحقين العسكريين التابعين لأمان والعاملين في السفارات الإسرائيلية . كما تأتي المعلومات أيضاً من شبكات التجسس العاملة في الخارج ومن أجهزة الاستخبارات التابعة للدول المتعاونة مع (إسرائيل) في مجال جمع المعلومات العسكرية وتبادلها .

تضم أمان عدة أقسام منها قسم للاستخبارات التكتيكية وقسم لكل من الاستخبارات البرية والجوية والبحرية . وتشارك أمان في إعداد الدراسات الاستراتيجية الخاصة بتقدير إمكانيات الدول العربية وقدراتها العسكرية وتقييم المواقف السياسية المختلفة . وهي تضم أيضاً قسماً خاصاً بالإعلام ذا صلة وثيقة بالصحفيين الأجانب العاملين في (إسرائيل) ، وبخاصة المراسلين الحربيين . ولهذا القسم حق المراقبة على كل ما ينشر عن الجيش .

المراجع :

– مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام : العسكرية الصهيونية ، القاهرة ١٩٧٤ .

– عبد الوهاب المسيري : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ، القاهرة ١٩٧٥ .

– هيثم كيلاني : المذهب العسكري الإسرائيلي ، بيروت ١٩٦٩

أم بـرج (قـرية –) : ر : خربة أم برج (قرية –)

أم التـوت (قـرية –) : ر : القرى العربية المندثرة

أم خـالـد (قـرية –) :

قرية عربية تنسب إلى امرأة صالحة عاشت ودفنت فيها . تقع القرية على بعد ١٤ كم غربي مدينة طولكرم * ، وكانت تجاور مدينة نتانيا * الصهيونية من الناحية الشرقية . وتمر طريق طولكرم – نتانيا المعبدة الرئيسة جنوبيها ، لذا فهي محطة على هذه الطريق الحيوية التي تربط شاطىء البحر المتوسط بالسهل الساحلي * الفلسطيني .

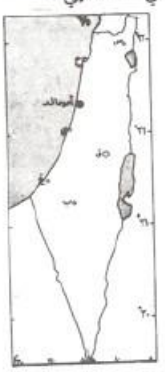

نشأت القرية فوق بقعة مرتفعة نسبياً من السهل الساحلي الفلسطيني (ارتفاعها ٢٥م فوق سطح البحر) لتتحاشى أخطار الفيضانات في المنطقة من جهة ، ولتستفيد من عامل الحماية من جهة ثانية . وقد اشتملت هذه البقعة على آثار كثيرة تعود إلى ما قبل التاريخ وإلى بعض العصور التاريخية (ر : العصور القديمة) . وتضم هذه الآثار بقايا أبراج وقلاع وآبار وخزانات وصهاريج للمياه وأدوات صوانية (ر : الحرب والأماكن الأثرية) .

أبنية القرية من الحجر والطين ، وكانت متلاصقة لا تترك بينها سوى أزقة ضيقة . وقد ضمت القرية في وسطها مسجداً ومدرسة ابتدائية للبنين وأربعة دكاكين لبيع البقالة والأقمشة ، وبلغت مساحتها ٢٣ دونماً ، واتخذ امتدادها شكلاً طولياً من الشمال إلى الجنوب .

تبلغ مساحة الأراضي التابعة للقرية ٢,٨٩٤ دونماً منها ٨٩ دونماً للطرق والأودية . وتتميز هذه الأراضي بخصبها ورطوبتها وتوافر المياه الجوفية فيها ، وتمتد هذه الخزانات الجوفية على عمق ٤٠م تحت سطح الأرض . لهذا تجود في أراضي أم خالد زراعة البطيخ والخضيات * والخضر * والحبوب * . وكان فائض الإنتاج الزراعي يصدّر إلى طولكرم والقرى المجاورة .

يعود قسم من سكان القرية في أصولهم إلى القرى المجاورة . وقد فضلوا الهجرة إلى أم خالد لتوافر فرص العمل الزراعي فيها . لذا نما عدد سكان القرية من ٣٠٧ نسمات عام ١٩٢٢ إلى ٩٧٠ نسمة عام ١٩٤٥ . وقد عمل معظم السكان في الزراعة * وتربية المواشي وتصنيع بعض المنتجات الزراعية والحيوانية كمشتقات الألبان .

طرد العدو الصهيوني سكان أم خالد ودمر قريتهم في عام

١٩٤٨ . وبعد سنوات امتدت مدينة نتانيا الصهيونية عمرانياً فوق أرض أم خالد .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٣ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧١ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة الطيرة .

أم الدَّرَج (عيـن ـ) : ر : العذراء (عين ـ)

أم الزينـات (قـرية ـ) :

قرية عربية تقع جنوب شرق حيفا * وتتصل بها بطريق معبدة عبر جبل الكرمل * طولها ٢٧ كم وأخرى طولها ٢٤ كم عبر مرج ابن عامر * .

تربض القرية فوق قمة شبه مستوية في النهاية الجنوبية لجبل الكرمل على ارتفاع ٣١٧ م عن سطح البحر في منطقة تقسيم المياه بين بعض روافد نهر المقطّع * وبعض روافد الأودية المتجهة غرباً نحو البحر . ومن آبار القرية بئر النظيف وبئر الشمهوريش في شمالها ، وبئر الخراميس في جنوبها .

الشكل العام للقرية يشبه مضرب كرة يده تتجه نحو الشمال الشرقي . وفي عام ١٩٣١ كان في القرية ٢٠٩ مساكن حجرية من النوع المندمج ، وبلغت مساحة القرية ٦٩ دونماً عام ١٩٤٥ ، في حين بلغت مساحة القرية وأراضيها ٢٢,١٥٦ دونماً ملك الصهيونيون ٥١ دونماً منها فقط .

كان عدد سكان القرية ٧٨٧ نسمة من العرب في عام ١٩٢٢ ارتفع إلى ١,٠٢٩ نسمة عام ١٩٣١ وإلى ١,٤٧٠ نسمة عام ١٩٤٥ ، أي بزيادة سنوية مقدارها ٣,٠٢٪ بين عامي ١٩٢٢ و ١٩٣١ ، و ٢,٥٩٪ بين عامي ١٩٣١ ـ ١٩٤٥ . وبذا كانت أم الزينات من قرى قضاء حيفا العشر الأولى عدد سكان ومساحة أرض .

كان في القرية مدرسة ابتدائية للبنين . وقد اعتمد السكان في معيشتهم على زراعة الحبوب * والمحاصيل الحقلية . والتربة السائدة هي التربة الكلسية الطينية أو الطشورية التي تصلح لزراعة الأشجار المثمرة والزيتون * . بلغت المساحة المزروعة زيتوناً ١,٨٣٤ دونماً عام ١٩٤٣ ، (أي ٨,٩٪ من مساحته في قضاء حيفا) ، وقد تركزت في شمال شرق وشمال غرب القرية . وفي العام المذكور كان فيها أربع معاصر يدوية لاستخراج زيت الزيتون ، وإلى جانب الزراعة * عمل السكان في تربية المواشي .

شرّد الصهيونيون سكان القرية العرب عام ١٩٤٨ ودمروها وأسسوا في العام الثاني موشاف « الياقيم » على بعد نحو كيلومتر واحد جنوبي موقع القرية . وقد بلغ عدد سكانه ٦٤٠ نسمة عام ١٩٧٠ .

المراجع :

ـ أنيس صايغ : يلدانية فلسطين المحتلة (١٩٤٨ ـ ١٩٦٧) ، بيروت ١٩٦٨ .
ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ١ ق ١ ، بيروت ١٩٧٣ ، وج ٧ ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٢٥,٠٠٠ ، لوحة أم الزينات .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ١٠٠,٠٠٠ ، لوحة زخرون يعقوب .

أم الشراشيح (قرية ـ) : ر : عرب البواطي (قرية ـ)

أمّ الشـوف (قرية ـ) :

قرية عربية تقع جنوب جنوب شرق حيفا * وتبعد عنها قرابة ٣٧ كم عن طريق مرج ابن عامر * ، وعبر صبّارين * . أما عن الطرق الساحلية فالمسافة بينها وبين حيفا نحو ٤٨ كم .

أنشئت أم الشوف في جبل الكرمل * على ارتفاع ١٣٠ م عن سطح البحر على سفح يطل نحو الشمال على واد صغير يصب في وادي الغدران أحد روافد نهر الزرقاء * . ويؤلف وادي الغدران الحد الشمالي لأراضيها ويفصلها عن أراضي قرية صبّارين . ومن ينابيع القرية عين أم الشوف في شمالها الشرقي ، وعيون طبش في شرقها ، وعين الخضيرة في شمالها الغربي .

الامتداد العام للقرية من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي. وفي عام ١٩٣١ كان فيها ٧٣ بيتاً بنيت من الحجارة والإسمنت ، أو الحجارة والطين . وفي عام ١٩٤٥ بلغت مساحة القرية ٢١ دونماً ، ومساحة أراضيها ٧,٤٢٦ دونما لا يملك الصهيونيون منها شيئا .

كان في أم الشوف ٢٥٢ نسمة من العرب في عام ١٩٢٢ ،

وارتفع العدد إلى ٣٢٥ نسمة في عام ١٩٣١ وإلى ٤٨٠ نسمة في عام ١٩٤٥ .

ضمت القرية جامعا ، ولم يكن فيها خدمات أخرى ، واعتمد السكان على مياه عين أم الشوف في الشرب والأغراض المنزلية .

قام اقتصاد القرية على الزراعة * وتربية المواشي ، وأهم المزروعات فيها الحبوب * بأنواعها . وفي موسم ١٩٤٣/٤٢ كان فيها ٣٢ دونما مزروعة زيتوناً * مثمراً تركزت في غرب القرية وفي شمالها الغربي .

شرد الصهيونيون سكان القرية العرب ودمروها في عام ١٩٤٨ .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٧ ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٢٥,٠٠٠ ، لوحة كفر راعي .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة جنين .

أمّ عجْـرة (قرية ـ) :

تقع مضارب وبيوت أم عجرة إلى الجنوب من مدينة بيسان * بانحراف قليل إلى الشرق . وتربطها بكل من بيسان والزرّاعة * طريق معبدة متفرعة عن طريق بيسان ـ الجفتلك ـ أربحا الرئيسة المعبدة التي تسير بمحاذاة حافة الغور * الغربية . وتربط طرق ترابية ممهدة أم عجرة بالقرى والمواقع المجاورة .

أقيمت مضارب وبيوت أم عجرة فوق بقعة منبسطة من أراضي غور بيسان . ويتراوح انخفاضها ما بين ٢٠٠ و٢٢٥ م عن سطح البحر . وكانت هذه المضارب خالية من المرافق والخدمات العامة ، لذا اعتمد السكان على مدينة بيسان للحصول على حاجاتهم وعلى الخدمات المطلوبة . وتركزت معظم المضارب والبيوت بالقرب من أقدام الحافة الغربية لغور بيسان حيث تكثر ينابيع المياه التي استخدمت في الشرب وري المزارع . وكانت بعض المضارب والبيوت متناثرة داخل المزارع الممتدة نحو الشرق . وأهم عيون الماء عين نصر الواقعة إلى الغرب من أم عجرة ، وتوجد العيون أيضاً داخل التجمع الرئيس لبيوت أم عجرة . وتروى منها مزارع النخيل والخضر . وهناك بعض العيون في الحرب القريبة مثل خربة حاج مكة وخربة سرسق . وتوجد بعض التلال الأثرية في أراضي أم عجرة مثل تل السريم وتل الوحش وتل الشيخ سماد الذي يقع إلى الغرب منه مقام الشيخ سماد (ر : الخرب والأماكن الأثرية) .

تبلغ مساحة أراضي أم عجرة ٦,٤٤٣ دونما منها ١,٢١٨ دونما تسربت للصهيونيين ، وكانت هذه الأراضي تستثمر في زراعة الحبوب * والخضر * وبعض الأشجار المثمرة كالموز * في حين استثمرت في الرعي * بعض الأراضي ، وبخاصة فوق أقدام مرتفعات الحافة الغربية للغور . وقد استفاد سكان أم عجرة من أسواق بيسان لبيع منتجاتهم الزراعية والحيوانية .

كان عدد سكان أم عجرة ٨٦ نسمة في عام ١٩٢٢ ، وازداد عددهم في عام ١٩٣١ إلى ٢٤٢ نسمة كانوا يقيمون في ٤٨ بيتا . وفي عام ١٩٤٥ قدر عددهم بنحو ٢٦٠ نسمة . وقد طرد الصهيونيون في عام ١٩٤٨ هؤلاء السكان ودمروا بيوتهم واستغلوا أراضي أم عجرة في الزراعة * الكثيفة والمختلطة ، وتربية المواشي في المزارع والأسماك * في برك المياه .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٦ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة إربد .

أمّ العقارب (عملية ـ) :

إحدى العمليات الخاصة التي نفذتها المقاومة الفلسطينية في فلسطين المحتلة . ففي الساعة ٨,٣٠ من صباح يوم ١٩٧٤/٦/١٤ قامت مجموعة « أبطال الخالصة » المؤلفة من أربعة فدائيين من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ـ القيادة العامة * بتنفيذ عملية القائد الشهيد أبو علي إياد ضد كيبوتز كفار شامير الواقعة شمال شرق فلسطين في منطقة صفد على الحدود السورية ـ الفلسطينية في موقع أم العقارب بسهل الحولة * على طريق كريات شمونة ـ شامير . وتبعد كيبوتز كفار شامير عن كريات شمونة مسافة ١٢ كم ، وقد تأسست سنة ١٩٤٤ .

اقتحمت مجموعة الهجوم المؤلفة من فدائيين اثنين الكيبوتز ، وتمكنت من احتجاز ٣٢ رهينة من سكانه في المطعم ، في حين رابطت مجموعة الحماية المؤلفة من الفدائيين الآخرين في موقع محدّد لمشاغلة العدو وضرب تعزيزاته . وطالبت المجموعة في بيان باللغتين العربية والعبرية سلّمته إلى السلطات الإسرائيلية إحدى الرهائن بإطلاق سراح مائة فدائي من بينهم عدد من المناضلات والمناضلين المحرمين ، وحددت مهلة تنفيذ مطالبها بست ساعات غير قابلة للتمديد تقوم المجموعة بعدها بتفجير نفسها مع الرهائن .

وحذّرت العدو الإسرائيلي من تجاهل مطالبها ، ومن استخدام أسلوب المماطلة والمراوغة الذي مارسه دوما تجاه هذا النوع من عمليات المقاومة .

بادرت المقاومة إلى الاتصال بالصليب الأحمر الدولي لتأمين عملية نقل الأسرى في حال استجابة العدو الصهيوني لمطالب المجموعة . وتم إبلاغ سفارتي فرنسا ورومانيا بأنهما ستلغان كلمة السر التي سيفرج على أساسها مقاتلو المجموعة عن الرهائن بعد وصول المعتقلين الفلسطينيين إلى دمشق .

وضمن إطار سياسة العدو الإسرائيلي بعدم التسليم بمطالب المقاومة الفلسطينية ولو أدّى ذلك إلى مقتل الرهائن قامت القوات الإسرائيلية بتعزيز قواتها في المنطقة منذ اقتحام المجموعة المقاتلة للكيبوتز ، فتصدت لها مجموعة الحماية واشتبكت معها في معركة عنيفة ، وأعطبت لها آلية عسكرية وسيارة شرطة وقتل وجرح من فيها ، واستشهد عنصرا المجموعة . بعدها حاول العدو اقتحام المطعم واستمرت المعركة حتى الساعة الثالثة بعد الظهر حين نفّذ المقاتلان إنذارهما وفجّرا نفسيهما مع الرهائن .

كانت خسائر العدو مقتل ٣١ رهينة ، ومقتل تسعة من سكان الكيبوتز في شوارع المستعمرة ، ومقتل وإصابة أكثر من ١٥ جنديا وتدمير سيارة عسكرية وأخرى للشرطة .

المرجع :

ـ شؤون فلسطينية : العدد ٣٥ ، تموز ١٩٧٤ ، بيروت .

أمّ العَمَد (قرية ـ) :

قرية عربية تقع جنوبي شرق حيفا * وشمالي غرب الناصرة * . وتبعد عن حيفا قرابة ١٨ كم منها ٦ كم طريق فرعية تصلها بطريق حيفا ـ الناصرة .

نشأت القرية في الطرف الجنوبي الغربي لجبال الجليل * على ارتفاع ١٦٥ م عن سطح البحر فوق سفح يواجه الجنوب الشرقي ويطل على مرج ابن عامر * . ويبدأ وادي الصرارة أحد روافد نهر المقطّع * من شرق القرية . ومن آبار القرية وينابيعها عين الحوارة في شرقها ، وبئر العبيد في جنوبها الشرقي ، وبئر السمندورا في جنوبها ، وبئر البيدر في جنوبها الغربي .

باعت الحكومة العثمانية عام ١٨٦٩ م أراضي هذه القرية مع عدة قرى أخرى في مرج ابن عامر لبعض تجار بيروت ومنهم آل سرسق . في عام ١٩٠٧ باع هؤلاء بدورهم الهيكليين الألمان أراضيها وأراضي قرية بيت لحم الواقعة شرقيها ، فأقاموا على موقع أم العمد مستعمرة أسموها « فالدهايم » .

كانت أم العمد تمتد بصورة عامة من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي فوق مساحة مقدارها مائة دونم ودونمان ، وكان فيها ٧٦ مسكناً حجرياً عام ١٩٣١ . أما مساحة الأراضي التابعة لها فكانت ٩,١٢٣ دونما لا يملك الصهيونيون منها شيئاً .

بلغ عدد سكان أم العمد (فالدهايم) في تعداد ١٩٢٢ نحو ١٢٨ نسمة ارتفع إلى ٢٣١ نسمة عام ١٩٣١ ، منهم ١٦٣ عربيا والباقي من الألمان ، ثم ارتفع إلى ٢٦٠ نسمة عام ١٩٤٥ . وقد عمل السكان في زراعة الحبوب * والمحاصيل الحقلية والخضر * .

شرد الصهيونيون سكان القرية عام ١٩٤٨ . وفي ١٩٤٨/٥/٢٣ أسسوا موشاف « آلوني آبا » في موقع القرية . وقد بلغ عدد سكانه ٢٣٢ نسمة عام ١٩٧٠ .

المراجع :

ـ أنيس صايغ : بلدانية فلسطين المحتلة (١٩٤٨ ـ ١٩٦٧) ، بيروت ١٩٦٨ .
ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين، ج ١، ق١ ، بيروت ١٩٧٣ ، وج ٧ ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٢٥,٠٠٠ ، لوحة نهلال .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ١٠٠,٠٠٠ ، لوحة زخرون يعقوب .

أمّ الفحم (بلدة ـ) :

سميت بذلك نسبة إلى الفحم الخشبي الذي كان ينتج فيها بكثرة لانتشار الغابات حولها . وهي بلدة عربية تقع على بعد ٤١ كم جنوبي شرق حيفا * ، و٢٥ كم شمالي غرب جنين * . وتصلها بها طرق معبدة من الدرجة الأولى ، عدا الطريق الفرعية بين القرية والطريق التي تصل الخضيرة بطريق مرج ابن عامر * عبر وادي عارة .

تربض أم الفحم فوق سطح مرتفع يطل نحو الشمال الشرقي على علو ٤٥٠ م عن سطح البحر في الطرف الشمالي لجبال نابلس * ، وفي منطقة تقسيم المياه بين وادي العراد ووادي السريسة ووادي البصة من روافد نهر المقطّع * العليا ، ووادي الشعور ووادي السلطان من روافد وادي عارة العليا أيضاً . ومن معالمها المشهورة

جبل إسكندر الواقع شرقيها ، ويرتفع ٥١٨ م عن سطح البحر ، ويوجد فوق قمته مزار ديني يعرف بمزار إسكندر . وقد شهد هذا الجبل في كانون الثاني عام ١٩٤٥ معركة مشهورة امتدت حتى قرية اليامون * بين الثوار الفلسطينيين وسلطات الانتداب البريطاني استخدمت فيها هذه السلطات الدبابات والطائرات ، واستشهد فيها ١٥ مجاهداً .

تشتهر القرية بكثرة ينابيعها ، ومنها الشعرة والبر والوسطة وأم الشيد والمغارة وأم خالد وجرار والزيتون وإبراهيم وداود والذروة ، وعين البني الواقعة في جنوب شرقي القرية ، وقد سحبت مياهها عام ١٩٤٠ بأنابيب إلى جوار القرية لاستخدامها في الشرب والأغراض المنزلية .

يشبه الشكل العام للقرية حرف S وهي من النوع المكتظ ، وكان فيها عام ١٩٣١ نحو ٤٨٨ مسكناً بنيت من الحجارة . بلغت مساحة القرية ١٢٨ دونماً عام ١٩٤٥ . وهي أول قرى قضاء جنين في مساحة الأراضي التابعة لها ، إذ تملك ٧٢,٣٤٢ دونما بما فيها أراضي قرى اللجيون * ومعاوية ومشيرفة ومصمص ، وجميعها قرى صغيرة استوطنها سكانها الذين يعودون بأصولهم إلى أم الفحم ليكونوا قرب أراضيهم الزراعية . ولايملك الصهيونيون شيئا من أراضي أم الفحم وتوابعها .

بلغ عدد سكان أم الفحم ٢,١٩١ نسمة عام ١٩٢٢، وارتفع إلى ٢,٤٤٣ نسمة عام ١٩٣١ ، وإلى ٥,٤٣٠ نسمة عام ١٩٤٥ ، ويدخل ضمن هذه الأرقام سكان القرى السابقة الذكر . كان في القرية ثلاث مدارس ابتدائية ، واحدة للبنين أنشئت في العهد العثماني ، وثانية للبنات أنشئت عام ١٩٤٢ ، وثالثة مختلطة .

اعتمد اقتصاد القرية على الزراعة * ، إذ كانت تزرع في مساحات واسعة الحبوب * والمحاصيل الحقلية والأشجار المثمرة والخضر * . ساعد على ذلك توفر مياه السري وكون التربة بازلتية خصبة في مناطق وكلسية في أخرى . وفي عام ١٩٤٤ بلغت مساحة الأراضي المزروعة حبوباً ومحاصيل حقلية ٣٤,٢٢٠ دونما ، ومساحة أراضي الخضر ٣,١٠٠ دونم ، ومساحة أراضي أشجار الفاكهة ١,٩٤٣ دونما ، ومساحة ما زرع زيتوناً * ٣,٥٤٠ دونما ، وهذه المساحة الأخيرة تؤلف نسبة ٤,٤٪ من مساحة الأراضي التي زرعت زيتوناً في القضاء . وقد كان في أم الفحم في العام نفسه ثلاث مصاصر آلية لاستخراج زيت الزيتون . وعمل السكان في تربية المواشي إلى جانب الزراعة . وكان في القرية ٦,٠٠٠ رأس من الغنم، و٢,٠٠٠ رأس من البقر . وأدى وجود ٨,٠٠٠ دونم من الغابات في أراضي القرية إلى قيام صناعة الفحم الخشبي ، وبلغت الكمية المنتجة عام ١٩٤٤ قرابة ٣٦٠ طنا (١,٢٠٠ قنطار) .

وأم الفحم أكبر قرية عربية في فلسطين المحتلة منذ عام

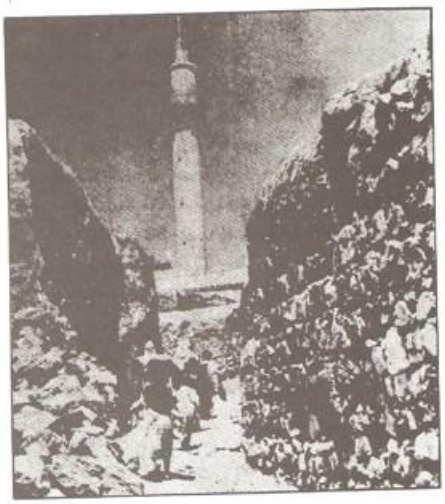

١٩٤٨ . بلغ عدد سكانها عام ١٩٦٩ نحو ١١,٥٠٠ نسمة من العرب ، وارتفع عددهم إلى نحو ١٤,٠٠٠ نسمة عام ١٩٧٤ . وقد صادر الصهيونيون جميع أراضي القرية الواقعة في مرج ابن عامر وأقاموا مستوطنة « مي عمي » في موقع يشرف على القرية .

المراجع .

– أنيس صايغ : بلدانية فلسطين المحتلة (١٩٤٨ - ١٩٦٧) ، بيروت ١٩٦٨ .
– مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٢ ق ٢ ، وج ٣ ق ٢ ، بيروت ١٩٧٠ و١٩٧١ .
– خريطة فلسطين : مقياس ١: ٢٥,٠٠٠ ، لوحة أم الفحم .
– خريطة فلسطين : مقياس ١: ١٠٠,٠٠٠ ، لوحة حيفا .

أمّ الفَـرَج (قريـة –) :

قرية عربيها تقع شمالي مدينة عكا * على الضفة الجنوبية لوادي المفشوخ * ، وعلى بعد ٥ كم من مصبه في البحر المتوسط .

تمر بها طريق ترنيحا ـ الكابري ـ النهر ـ أم الفرج ـ الحميمة ـ مستعمرة نهاريا ـ عكا .

عرفها الصليبيون باسم " لي نيرج " . وقد جرت في موقعها معركة عنيفة بين العرب والصليبيين المعسكرين في قرية الكابري * انتصر فيها العرب نصرا مبينا . ولعل اسم القرية قد جاء من الفرج الذي تحقق للعرب بانتصارهم .

نشأت القرية في أرض سهلية ترتفع ٢٥ م عن سطح البحر وتربتها فيضية (طينية) . وتروى من مياه بركة الفوارة وبركة التل الواقعتين في قرية النهر ، ومن بعض الآبار . كانت مساحة القرية ١٥ دونما ، ولم تتجاوز مساحة أراضيها ٨١٠ دونمات لم يقدر الصهيونيون أن يتملكوا منها شيئا . ولا تزيد مساحة الأرض غير الزراعية على ٥ دونمات . وقد زرع نحو ٧٤٥ دونما بالحمضيات * أما الباقي فتكسوه أشجار الزيتون * أو يزرع خضراً * .

وصل عدد سكان القرية في أواخر عهد الانتداب البريطاني إلى ٨٠٠ نسمة . وهم جميعا يعتمدون على الزراعة * ويعملون بها .

مساكن القرية القديمة مجمعة بشكل مستدير . وقد بدأ بعد عام ١٩٣٦ إنشاء المساكن الحديثة من الحجر والإسمنت مبعثرة في البساتين .

حاول الصهيونيون بعد احتلالهم عكا في ١٩٤٨/٥/٢٠ (ر : عكا ، معركة) إغراء أهل القرية المتبقين فيها (لم يتجاوزوا ٢٥ عائلة) بالتنازل عن أراضيهم والنزوح إلى مكان آخر . لكن الأهالي أبوا ذلك ، فراح الصهيونيون يضيقون عليهم الخناق ، ويقطعون عنهم الماء ، ويحولون بينهم وبين الاتصال بالعالم الخارجي . ولم يستسلم سكان القرية ولم ينهنوا ، فأجبرهم قوة صهيونية عسكرية في حزيران عام ١٩٤٨ على الجلاء ، ونهبت منازلهم ، ودمرت معظمها ، وأحرقت المزروعات . وقد أقام الصهيونيون فوق أراضي القرية مستعمرة « بن عمّي » وأسكنوا فيها صهيونيين مهاجرين من أوربا الشرقية . ورغم ذلك كله ظل في القرية إلى اليوم نفر ضئيل من أهلها العرب .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٧ ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤ .
ـ أنيس صايغ : بلدانية فلسطين المحتلة (١٩٤٨ ـ ١٩٦٧) ، بيروت ١٩٦٨ .
— Hadawi, S.: **Village Statistics 1945**, Beirut 1970.

أم كَلْخَة (قرية ـ) :

قرية عربية تقع على بعد ١٣ كم إلى الجنوب من مدينة الرملة * ، وتمر بطرفها الجنوبي طريق القدس ـ غزة الرئيسة المعبدة ، ويمر بطرفها الشرقي خط سكة حديد القدس ـ يافا ، وتوجد بالقرب منها محطة وادي الصرار . وتربطها دروب ممهدة بقرى قزازة * وخلدة * والمنصورة * وشحمة * وعاقر * .

أقيمت أم كلخة على الضفة الشمالية لوادي الصرار الذي يتجه غرباً ليصب في البحر المتوسط باسم نهر رووين * . وترتفع ١٠٠م عن سطح البحر ، وهي من قرى السهل الساحلي * الأوسط . تألفت من عدد محدود من البيوت المبنية من اللبن والحجر ، وليس لها مخطط واضح ، ولا وجود للشوارع فيها ، وهي مندمجة بصفة عامة وفيها بعض الأزقة الضيقة . وتكاد تخلو من المرافق والخدمات العامة ، وتشرب من بئرها القريبة منها .

تبلغ مساحة أراضي أم كلخة ١,٤٠٥ دونمات منها ٣١ دونماً للطرق والأودية و ٩٦ دونماً تسربت إلى الصهيونيين . وتزرع في أراضيها المحاصيل الحقلية والخضر * والأشجار المثمرة كالحمضيات* والزيتون * . وتعتمد الزراعة * فيها على الأمطار التي تهطل بكميات سنوية كافية ، إلى جانب اعتمادها على بعض الآبار . وتوجد في القرية وأراضيها بعض الآثار التي تضم أسساً ومدافن منقورة في الصخر ومغاور وصهاريج (ر : الحرب والأماكن الأثرية) .

تعد أم كلخة حديثة النشأة تقريباً ، وضمت في عام ١٩٣١ نحو ستة بيوت أقام فيها ٢٤ فرداً . وقدر عدد سكانها في عام ١٩٤٥ بنحو ٦٠ نسمة .

تعرضت أم كلخة لعدوان الصهيونيين عليها عام ١٩٤٨ ، فطردوا سكانها ودمروا بيوتها .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج٤ ق٢ ، بيروت ١٩٧٢ .
ـ خريطة فلسطين ، مقياس ١ : ١٠٠,٠٠٠ ، لوحة الرملة .

الامتيازات الأجنبية :

عندما كانت الدولة العثمانية في أوج مجدها وقوتها منحت بعض

رعايا الدول الأوربية إعفاء من القوانين المحلية أثناء إقامتهم في بعض الموانىء أو محطات القوافل للتجارة . وأول هذه الامتيازات ما أعطاه السلطان سليمان القانوني سنة ١٥٣٥م ملك فرنسا فرنسوا الأول ، ثم ما نالته إليزابث ملكة إنكلترا سنة ١٥٨٠م من السلطان مراد الثالث بلغته المتعالية " قد أعطينا ووهبنا . . . " . لكن هذه اللهجة تغيّرت بعد قرنين عندما أخذت روسيا امتيازات مهمة بعد انتصارها على الدولة العثمانية . وسرعان ما تغيّر الغرض الأساسي من الامتيازات ، وهو تسهيل التجارة ، فلم تكتف الدول الأجنبية بعد ذلك بحماية رعاياها من « الفرنج » ، بل ادّعت فرنسا حماية النصارى الكاثوليك في جميع أنحاء الدولة العثمانية ، وادّعت روسيا حماية الأرثوذكس ، وادّعت بريطانيا حماية اليهود في فلسطين والبروتستانت في جميع الولايات العثمانية .

وهكذا شملت الامتيازات حماية المبشرين وما أسسوه من مدارس ومستشفيات ، كما شملت بعض اليهود والنصارى الذين اكتسبوا جنسية أو حماية دولة أجنبية بالعمل في القنصليات والوكالات التجارية أو المعاهد العلمية . فأصبحت الامتيازات عبئاً ثقيلاً على كاهل الدولة العثمانية وواسطة لتدخل الدول الأجنبية في شؤونها الداخلية . وقد عانت البلاد العربية من شرّ الامتيازات كثيراً ، وبخاصة في فلسطين وسورية ولبنان . ففي منتصف القرن التاسع عشر مثلاً كان التاجر الأجنبي يدفع ٣,٥ بالمئة ضريبة على بضاعته ، ويدفع التاجر المحلي الوطني ١٢ بالمئة . وفي فلسطين أساء اليهود استعمال الامتيازات في عدة نواح ، فكان الذين هاجروا من روسيا يحتفظون بجنسية مزدوجة يفيدون منها في التخلص من أحكام القانون العثماني ، وقد شجعهم قناصل روسيا على ذلك لا محبة بهم بل لزيادة النفوذ الروسي في تركيا .

فلا غرابة أن تختم تركيا نشوب الحرب سنة ١٩١٤ فتسرع إلى إعلان إلغاء الامتيازات الأجنبية دون موافقة الدول صاحبة العلاقة .

المراجع :

ـ فؤاد شباط : المركز الحقوقي للأجانب في سورية ، دمشق ١٩٦٥ .

ـ عز الدين عبد الله : القانون الدولي الخاص ، ١٩٧٢ .

— Tibawi,A. L: **British Interests in Palestine, 1800-1901**, Oxford 1961.

— Tibawi, A.L:**A Modern History of Syria including Lebanon and Palestine**, London 1969.

الأمثال الشعبية :

من أحسن ما قيل في المثل عامة ما أثر عن أبي إسحق النظّام حين وصفه بقوله : " يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام : إيجاز اللفظ ، وإصابة المعنى ، وحسن التشبيه ، وجودة الكناية ، فهو نهاية البلاغة " . ويوصف المثل العربي الشعبي الفلسطيني في هذا الضوء بأنه جملة مفيدة موجزة متوارثة شفهياً من جيل إلى جيل . وهي محكمة البناء بليغة المعنى واسعة الانتشار في الأوساط الشعبية على اختلاف مستوياتها وطبقاتها . كما أنها تلخص تجربة سابقة عاناها الفرد ، أو عانتها الجماعة . ومن ثم فالمثل عند استعماله يحظى بدرجة عالية من التصديق لأنه يثير لدى سامعه صدى تجربة أسلافه ومعاناتهم ، ويواجهه بما كانوا عليه من ذكاء ودراية فلا يسعه آنئذٍ إلاّ أن يحترم ذلك كله ويسارع في غالب الأحيان إلى التسليم بوجهة النظر التي عرضت عليه معزّزة بذلك المثل .

والشعب العربي الفلسطيني ، شأنه في ذلك شأن مختلف الشعوب عامة والعربية خاصة ، ذو ثروة هائلة من الأمثال الشعبية تلتقي إلى حد كبير مع مثيلاتها لدى الشعوب المختلفة ، ولا سيما الشعوب العربية . وتمتاز في الوقت ذاته بخصائص فلسطينية ناجمة عن الظروف التي تميّزت بها الحياة العربية الفلسطينية عبر مسيرتها الحضارية .

ومن نماذج الأمثال الشعبية الشائعة :

العين بصيرة واليدّ قصيرة . العين ما بتعلا على الحاجب . أنا وأخوي على ابن عمي وأنا وابن عمي على الغريب . الدم ما بيصير ميّه . اعمل معروف وارميه في البحر . الجنون فنون . الراس اللي ما فيه كيف حلال قطعه . عين ما تشوف قلب ما يحزن . إنْ لقي أحبابه نسي أصحابه . إنْ دخلت الملايكة خرجت الشياطين . الفرعة ابنتاها بشعر بنت عمها . مثل لُقْرع وين ما ضربته بسيل دمّه . السكافي حافي والمحيّك عريان . لو جحا بدّاد بدّد في بلاده . لو عكا خايفة ما وقفت على شط البحر . شِدّ شِدّ قريت الرملة على اللد . الخواجا ياما نصب . ضربوا اليهودي بعلبة لبن قال : وحياة ديني اني مشتهيها . الزيت مسامير الركب . غنم الدير في زرع الدير . كلامه مثل قواديس البيارة واحد طالع و واحد نازل . العرس في عمّورية وأهل المزارع بترقص .

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (جمعية ـ) :

رَ : ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩

رَ : علماء فلسطين (مؤتمر ـ)

أمريكا اللاتينية (دول ـ) :

أ ـ خلفيات سياسة دول أمريكا اللاتينية نحو القضية

الفلسطينية : منذ بداية الصراع العربي ـ الإسرائيلي ودول أمريكا اللاتينية تلعب دوراً على جانب كبير من الأهمية فيما يتعلق بقضية فلسطين . وقد تجلى هذا الدور بصورة خاصة في أروقة الأمم المتحدة حيث كان للثقل العددي الذي تتمتع به هذه الكتلة أثر واضح في تطور القضية على الصعيد الدولي منذ عام ١٩٤٧ . ثم إن بُعد هذه القارة عن الوطن العربي وعدم وجود صلات اقتصادية أو سياسية وثيقة بين المنطقتين جعلا من الأمم المتحدة المجال الذي تستطيع فيه دول أمريكا اللاتينية أن تؤثر على مجرى القضية الفلسطينية وتطوراتها .

وقفت معظم دول أمريكا اللاتينية إلى جانب (إسرائيل) . ويمكن تفسير هذا الموقف على أنه نتاج عناصر رئيسة هي :

١) ما يسمى النزعة الحقوقية للفكر السياسي في دول امريكا اللاتينية .

٢) النشاط الصهيوني الدائم في تلك الدول والوجود اليهودي فيها .

٣) نفوذ الولايات المتحدة الأمريكية في أمريكا اللاتينية .

١) النزعة الحقوقية : لقد تميزت خطب مندوبي دول أمريكا اللاتينية وتصريحاتهم في الأمم المتحدة بمحاولة تفسير مواقف بلادهم السياسية على ضوء عدة مبادىء عامة مستمدة من نظرة خاصة إلى المجموعة الدولية ترى أن هذه المجموعة مكونة من دول عديدة متفاوتة في الحجم والغنى والقوة ، ولكن متساوية تماماً في الحقوق ومنها حق « الوجود السياسي » للدولة . وهذا الحق مستقل عن اعتراف الدول الأخرى به . ولها حق الدفاع عن سلامتها واستقلالها حتى قبل أن يعترف بها . إن حقوق كل دولة ليست مبنية على تمكّن الدولة من تنفيذها ولكن على حقيقة وجود الدولة كشخصية في نظر القانون الدولي .

ويعني هذا أنه فور إعلان ولادة دولة ما على أراض تسيطر عليها حكومة الدولة الجديدة أو قواتها العسكرية سيطرة فعلية تكتسب هذه الدولة شخصية قانونية دولية ، وتتمتع بجميع حقوق وواجبات الدول الأخرى . ويجب على هذه الدول أن ترحب بالمولود الجديد ، وتعترف به دون إبطاء . ومما يذكر أن إحدى عشرة دولة أمريكية لاتينية كانت بين الدول الاثنتين والعشرين الأولى التي اعترفت بقيام (إسرائيل) .

أما لماذا اعتبرت دول أمريكا اللاتينية أن مساندتها لقيام (إسرائيل) هو تعبير عن هذه المبادىء التي تؤمن بها ، وأنه ليس هناك من تناقض بين هذه المواقف والمواقف التي تؤمن بها ، وليس هناك من تناقض بين هذه المواقف وسلامة الدول وسيادتها وحق الشعوب في تقرير مصيرها ؟ ولماذا هذا التنكر لحقوق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره وسيادته ؟ فإن سر الجواب يكمن في العنصر الثاني، أي النشاط الصهيوني في دول أمريكا اللاتينية .

٢) النشاط الصهيوني : باشرت الحركة الصهيونية عملية تعبئة اليهود في دول أمريكا اللاتينية لصالح الصهيونية وأهدافها في مطلع الأربعينات طبقاً لبرنامج الصهيونية المقرر في مؤتمر بازل لعام ١٨٩٧ (ر : المؤتمر الصهيوني) . وقد باشرت الحركة الصهيونية عملية التعبئة خلال الحرب العالمية الثانية بعد أن توافر لدى الوكالة اليهودية * اقتناع كاف بقرب إنشاء الأمم المتحدة ، وبأن قضية فلسطين سوف تعرض عليها ، وأن الدول الأمريكية اللاتينية العشرين ، آنذاك ، وللقدر انضمامها إلى عضويتها سوف تلعب دوراً فاصلاً فيها . ومن هنا بدأ صهيونيو هذه القارة جهودهم للتأثير على الشخصيات غير اليهودية في البلاد التي يقيمون فيها .

وقد تميزت المداخل النظرية للإعلام الصهيوني في دول أمريكا اللاتينية بالمعالم الرئيسة التالية :

(١) شرح الصلات « التاريخية والدينية » التي تربط اليهود بفلسطين .

(٢) شرح ما تعتبره الصهيونية * الأسانيد « القانونية » ممثلة في وعد بلفور * وصك الانتداب البريطاني على فلسطين * لدعم فكرة الوطن القومي اليهودي في فلسطين .

(٣) التركيز على معاناة اليهود في ظل الحكم النازي وما سبقه من أنظمة مارست اضطهادهم .

(٤) إبراز دور اليهود في المجهود الحربي للحلفاء ، وفي مقاومة الاحتلال النازي لأوربا خلال الحرب العالمية الثانية « دفاعاً عن الحرية » و « المفاهيم الغربية للديمقراطية » .

(٥) دعوة أقطار أمريكا اللاتينية إلى تأييد « الحقوق » اليهودية في فلسطين وهدف اليهود « المشروع» في إقامة دولة لهم فيها تطبيقاً للمبادىء التي تدّعي هذه الأقطار الاهتداء بها في علاقاتها الدولية ، والتي تتمثل في النزعة الإنسانية ، وروح الكاثوليكية وتعاليمها ، وحق الشعوب في تقرير مصيرها ، والمساواة بين الدول .

أما المداخل التطبيقية فأهمها :

تشكيل لجان نصرة فلسطين : وقد بدأت هذه اللجان لنصرة « فلسطين يهودية » أعمالها في حزيران ١٩٤٥ في الكثير من دول أمريكا اللاتينية مثل بوليفيا وتشيلي وكوبا * وكوستاريكا وكولومبيا والمكسيك . وقد كانت شخصيات غير يهودية تؤيد وجود وطن قومي لليهود في فلسطين . ومن أبرز هذه الشخصيات خوسيه فيجريس رئيس جمهورية كوستاريكا ، وأستولفو مور رئيس مجلس النواب التشيلي ، و ومزوكتوسو بيتالوجا وزير خارجية الأورغواي ، وخوسيه جالفس نائب رئيس جمهورية البيرو ، وخوسيه

فاسكونسيلوس المفكر المكسيكي الشهير . وفي أمريكا اللاتينية حيث يتمتع موظفو الحكومة والكتّاب والصحافيون والشخصيات الشعبية ، ولا سيما المثقفون والفنانون المبدعون ، بقدر كبير من الاحترام الشعبي عملت هذه اللجان على الاستفادة من هذه المشاعر وإدراج مثل هؤلاء الأشخاص في صفوفها ، ودعوتهم لرعاية الاجتماعات العامة وحضورها ، وإلقاء المحاضرات وكتابة المقالات وإصدار التصريحات . ومما أعلنه خوسيه جالفيس نائب رئيس جمهورية البيرو السابق بصفته « رئيس لجنة البيرو لنصرة فلسطين » قوله : " لقد أسسنا لجنة البيرو لنصرة فلسطين في ١٩٤٥/٦/٢٧ مع ممثلي الأوساط الثقافية والسياسية والمهنية . وسوف تساعد الشعب اليهودي الديمقراطي الذي يرغب في تنظيم حياته مجدداً في ديمقراطية حقيقية في داخل بلاده . وإننا لنضم أيدينا في سلسلة أمريكية أخوية تمتد من الولايات المتحدة إلى تشيلي دفاعاً عن أهداف الصهيونية " .

أما على المستوى العالمي فقد عقد في واشنطن في شهر تشرين الثاني ١٩٤٥ « المؤتمر الدولي المسيحي من أجل فلسطين » واشتركت فيه ١٤ دولة أمريكية . وقد صدر عن المؤتمر نداء موجه إلى جميع حكومات العالم يطالب بالغاء جميع العوائق في طريق الهجرة إلى فلسطين وشراء الأراضي من قبل اليهود ، وألحّ على الأمم المتحدة بالعمل على أن تصبح فلسطين « وهي الوطن الأم التاريخي للشعب اليهودي » دولة ديمقراطية يهودية في أقرب وقت ممكن . وقد اتخذ المؤتمر توصيات تتعلق مباشرة بقضية الدعاية للمطالب الصهيونية ، وتقرر بموجبها إصدار وتوزيع منشورات دعائية بالإسبانية ، وبثّ البرامج عبر الإذاعات المحلية ، وإنشاء وكالة أنباء يهودية تخدم جميع البلدان الناطقة بالإسبانية ،وإقامة مركزيْ إعلام في مدينتي مكسيكو (المكسيك) ومونتيفيديو (الأورغواي) .

كما قرر المؤتمر إنشاء « اللجنة العالمية من أجل فلسطين » ومهمتها تنسيق نشاط اللجان الوطنية المحلية لنصرة فلسطين التي تؤيد إنشاء الوطن القومي اليهودي فيها . وتم إنشاء هذه اللجنة من أعضاء معظمهم من أمريكا اللاتينية ، وبدأت بإصدار نشرة بالإسبانية .

كان لوكالة الأنباء اليهودية شبكة عملاء تمتد عبر القارة الأمريكية ،وتشرف على الحملة الدعائية الصهيونية في العواصم الرئيسة . وقد دعم هذا النشاط الصهيوني وجود جاليات يهودية في كافة دول أمريكا اللاتينية . فقد استطاع اليهود في الثلاثينات من هذا القرن توطيد أقدامهم في الكثير من دول أمريكا اللاتينية ، وساعدتهم في ذلك التطورات السياسية الهامة التي أعقبت استيلاء هتلر على الحكم في ألمانيا . إذ أنه مع اشتداد حملة النازيين ضد يهود ألمانيا والنمسا هاجر المزيد من اليهود إلى دول أمريكا اللاتينية لأن الحركة الصهيونية لم تفتح لهم أبواب الولايات المتحدة الأمريكية حتى تستطيع استغلال مشكلة " عدم وجود ملجأ ليهود أوربا المضطهدين " للدعوة إلى إنشاء (دولة إسرائيل) واحتلال فلسطين . وترجع هجرة الجاليات اليهودية إلى هذه الدول أصلاً إلى عام ١٨٥٢ و ١٨٩٨ (الأرجنتين وكوبا) . وفي أورغواي بدأت هجرتهم في أوائل القرن الخامس عشر مع طلائع المستعمرين الإسبان . وتملك الجاليات اليهودية مفاتيح الحياة في أغلب دول أمريكا اللاتينية ، وتمارس نفوذها من وراء ستار . واليهود هناك كاليهود في سائر أنحاء العالم أقلية مكروهة ، ولكنها مرهوبة الجانب .

تمكّنت الحركة الصهيونية من « صهينة » جزء كبير من الجاليات اليهودية في دول أمريكا اللاتينية ، فقد نفذت برنامج السنوات الخمس للتثقيف الصهيوني في دول أمريكا اللاتينية ، وضمنت بالتالي ولاء اليهود لأهداف الحركة الصهيونية بشكل كبير .

٣) نفوذ الولايات المتحدة الأمريكية : السيطرة الأمريكية على دول أمريكا اللاتينية قديمة منذ ثورات هذه الدول على الاستعمارين الإسباني والبرتغالي ودعم الولايات المتحدة لها . وقد سيطرت الولايات المتحدة بالفعل على مجرى الأحداث السياسية والاقتصادية والعسكرية في معظم بلدان أمريكا اللاتينية تحت ستار مبدأ مونرو لعام ١٨٢٣ . ومن الطبيعي أن يعكس الترابط الصهيوني - الأمريكي نفسه على مواقف دول أمريكا اللاتينية .

لقد استطاعت (إسرائيل) على ضوء العوامل السابقة أن تتغلب على البعد الجغرافي والتباين الحضاري ، وأن تقيم علاقات وثيقة مع دول أمريكا اللاتينية جميعها . وقد عمدت منذ قيامها إلى تقديم المساعدات الفنية للتنمية ، وأرسلت الخبراء والمستشارين ، وعقدت دورات لتدريب المبعوثين من دول القارة في مجالات الصناعة والتنظيم النقابي .

ب - موقف دول أمريكا اللاتينية من القضية الفلسطينية (١٩٤٧ - ١٩٥٦) : وقفت معظم دول أمريكا اللاتينية إلى جانب قرار تقسيم فلسطين * عام ١٩٤٧ بهدف تمكين اليهود من إقامة دولتهم . فقد أعلنت ١٣ دولة من دول أمريكا اللاتينية تأييدها المطلق لقرار تقسيم فلسطين في جلسات هيئة الأمم المتحدة في ١٩٤٧/١١/٢٩ . وكانت هذه الدول تمثل ٤٠٪ من مجموع الأصوات التي صوتت على القرار في حين عارضت كوبا القرار وامتنعت عن التصويت كل من الأرجنتين والتشيلي وكولومبيا وهندوراس والسلفادور والمكسيك .

وأثناء اندلاع حرب ١٩٤٨ * طالبت دول أمريكا اللاتينية بانسحاب القوات العربية ، كما حثّت هيئة الأمم على دعم

« استقلال إسرائيل » . واعترفت دول أمريكا اللاتينية (بدولة إسرائيل) بعد قيامها مباشرة بشكل واقعي ، ثم تبع ذلك في شباط ١٩٤٩ اعتراف قانوني ورسمي . وكان من نتيجة ذلك أن تقدمت إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة في ١٩٤٩/٥/١٠ سبع دول كانت أربع منها أمريكية لاتينية (غواتيمالا ، وبنما ، وهايتي وأورغواي) بمشروع قرار ينص على قبول (إسرائيل) في عضوية الأمم المتحدة . وعندما جرى التصويت في اليوم ذاته على المشروع صوتت إلى جانبه ١٨ دولة أمريكية لاتينية ، وامتنعت اثنتان (البرازيل والسلفادور) عن التصويت . وكانت دول أمريكا اللاتينية في مقدمة الدول التي تبادلت مع الكيان الصهيوني التمثيل القنصلي والدبلوماسي .

سعت بعض دول أمريكا اللاتينية إلى اقامة علاقات اقتصادية مع بعض الدول العربية في بداية الخمسينات ، كما اقامت بعضها علاقات دبلوماسية معها . إلاّ أن الجانب العربي لم يعمل في اتجاه تنمية هذه العلاقات . وهكذا بقي المجال مفتوحاً أمام الصهيونية و (إسرائيل) لمواصلة نشاطها هناك ، مما ترك أثراً كبيراً على مواقف هذه الدول في تطور الصراع بعد ذلك . فأثناء عدوان (إسرائيل) وفرنسا وبريطانيا عام ١٩٥٦ على مصر (رَ : حرب ١٩٥٦) وقفت دول أمريكا اللاتينية موقف « اللامبالاة » ، وهذا يعود إلى غياب إعلام عربي نشيط في تلك المنطقة . ولكن هذه الدول صوتت في الأمم المتحدة إلى جانب انسحاب المعتدين من بور سعيد لأن الولايات المتحدة أرادت ذلك . ودرجت أكثر دول أمريكا اللاتينية في الخمسينات والستينات على تأييد (إسرائيل) في الأمم المتحدة أسوة بالولايات المتحدة الأمريكية .

جـ - دول أمريكا اللاتينية وقضية فلسطين (١٩٦٣ - ١٩٦٧) : في تشرين الأول ١٩٦٤ قام وزير خارجية (إسرائيل) بجولة في دول أمريكا اللاتينية للحصول على تأييد مشروعها لتحويل مياه نهر الأردن . ويبدو أن الوزير الإسرائيلي وجد تعاطفاً مع رغبات (إسرائيل) هذه . وفي الوقت نفسه ظهرت بوادر حركة مقاومة على المستوى الشعبي ضد النفوذ الصهيوني . فقد قام الشباب الأرجنتيني بمهاجمة المؤسسات اليهودية في بيونس أيرس ، كذلك هاجموا المدارس والمعابد اليهودية . وأمام تزايد الموجات الشعبية المعادية للصهيونية تعمدت وسائل الإعلام الصهيونية في دول أمريكا اللاتينية اتهام جامعة الدول العربية بتحريك التيارات المعادية لليهود هناك ، وخاصة في الأرجنتين .

أخذت نتائج هذا الوضع الجديد تظهر بأشكال مختلفة ، ففي الأمم المتحدة اشتركت البرازيل ودول أخرى مع الولايات المتحدة الأمريكية في تقديم اقتراح « بإدانة اللاسامية »* والتعهد باتخاذ التدابير اللازمة لاقتلاع جذورها من مختلف بقاع الأرض .

وفي مقابل ذلك حاولت بعض حكومات دول أمريكا اللاتينية التقرب من الدول العربية . ففي آب ١٩٦٥ قام وفد أرجنتيني برئاسة نائب رئيس جمهورية الأرجنتين بزيارة لعدة دول عربية . وقد صرح رئيس الوفد بأن للشعب الفلسطيني حقاً في أرضه لأن قضيته قضية حق ، وطالب بتنفيذ قرارات الأمم المتحدة بهذا الشأن . وحين زار إرنستو غيفارا القاهرة في آذار ١٩٦٥ قال إن " إسرائيل صنيعة إمبريالية " . كما دعت كوبا دول أمريكا اللاتينية إلى تفهم أفضل لقضايا العرب العادلة . وفي تموز ١٩٦٥ قام وفد يمثل منظمة التحرير الفلسطينية * بزيارة لدول أمريكا اللاتينية حيث قام بشرح وجهة النظر العربية والتنسيق مع الجاليات العربية هناك . وقد عقد المؤتمر الأول للمغتربين الفلسطينيين في أمريكا اللاتينية في عاصمة تشيلي (سانتياغو) بحضور ممثلين عن الجاليات الفلسطينية في كافة دول أمريكا اللاتينية ووفد من منظمة التحرير الفلسطينية . وقد تحدث في المؤتمر سلفادور ياتين رئيس اللجنة المركزية الفلسطينية التشيلية وطالب بدعم نضال شعب فلسطين . قرر المؤتمر إنشاء لجنة مركزية تمثل كافة العرب الفلسطينيين في دول أمريكا اللاتينية يكون مقرها سانتياغو .

وحين اندلعت أزمة الشرق الأوسط في أيار ١٩٦٧ وقفت دول أمريكا اللاتينية ، باستثناء كوبا ، إلى جانب ادعاء (إسرائيل) حقها " في الملاحة في خليج العقبة " . لقد استطاعت الصهيونية أن تؤثر ، من خلال أجهزة الدعاية ، في توجيه نظرة بلدان أمريكا اللاتينية لصالح السياسة الإسرائيلية . وجاء عدة آلاف من المتطوعين إلى (إسرائيل) من بلدان أمريكا اللاتينية للعمل في القطاعات الصناعية والزراعية ، وللاشتراك في العدوان (حزيران ١٩٦٧) على الشعب الفلسطيني والدول العربية . وقد أبدت دول أمريكا اللاتينية ، عدا كوبا ، (إسرائيل) في عدوانها في ٥ حزيران ١٩٦٧ حين ربطت انسحاب (إسرائيل) من المناطق المحتلة بضرورة قبول العرب بوجود (إسرائيل) والاعتراف بها . وقد عبّر مشروع القرار الذي قدمته كتلة دول أمريكا اللاتينية إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة في تشرين الثاني ١٩٦٧ عن هذا الموقف أدق تعبير (رَ : حرب ١٩٦٧ في منظمة الأمم المتحدة) . أما حكومة كوبا فانفردت بإصدار بيان نددت فيه بالعدوان الإسرائيلي ، وطالبت بوقف إطلاق النار فوراً مع انسحاب جميع القوات إلى المواقع التي كانت تحتلها قبل ٥ حزيران ١٩٦٧ . لكن حكومة كوبا لم تقطع علاقاتها الدبلوماسية مع (إسرائيل) أسوة بأكثرية الدول الاشتراكية ، وانما فعلت ذلك في عام ١٩٧٣ (رَ : كوبا) .

وبشكل عام وقفت دول أمريكا اللاتينية ضد كافة القرارات التي استهدفت إدانة عدوان (إسرائيل) . فقد صوتت هذه الدول في الجمعية العامة ضد المشروع السوفياتي ، والمشروع الألباني ، والمشروع الأسيوي ـ الإفريقي . وكانت هذه كلها في مسالح القضية العربية . وقد وجدت (إسرائيل) في هذا التأييد شبه الشامل من دول أمريكا اللاتينية فرصة ذهبية لتعميق علاقاتها الاقتصادية والسياسية والثقافية والسياحية مع هذه الدول . فوسّع الصهيونيون نفوذهم في الأرجنتين والبرازيل ، وسيطروا على الإذاعات والتلفزيون والصحافة والسينما والأحزاب والمؤسسات الأخرى . كما شنّت حكومة (إسرائيل) هجوماً إعلامياً لكسب تأييد دول أمريكا اللاتينية بصدد ضمها للقدس العربية . فاجتمع أبا إيبان وزير خارجية (إسرائيل) في ١٩٦٧/٦/٢٢ بعدد من مندوبي دول أمريكا اللاتينية في الأمم المتحدة ، في محاولة لتطويق أي رد فعل محتمل من قبل هذه الدول ذات الأكثرية الكاثوليكية تجاه وضع الأماكن المقدسة في فلسطين . وقد أبلغهم أبا إيبان أن (إسرائيل) على استعداد لوضع الأماكن المقدسة في القدس تحت إدارة الأديان الثلاثة التي تعتبرها مقدسة .

د ـ دول أمريكا اللاتينية والمقاومة الفلسطينية : بقيت دول أمريكا اللاتينية على تأييدها (لإسرائيل) حتى بعد أن دانت أكثر دول العالم عدوان (إسرائيل) في عام ١٩٦٧ . ويتضح هذا من المواقف التي اتخذتها حكومات دول أمريكا اللاتينية ، ومن تصريتها على القرارات المختلفة خلال عامي ١٩٦٨ و ١٩٦٩ في الأمم المتحدة ، ويستثنى من هذا قرار مجلس الأمن في ١٩٦٨/٥/٢١ الذي طالب (إسرائيل) بإلغاء جميع التدابير التي اتخذتها من أجل تبديل وضع مدينة القدس القانوني . ولعل هذه هي القضية الوحيدة التي لم تستطع (إسرائيل) أن تكسب تأييد الكتلة اللاتينية لها . وقد عبّر المندوب البرازيلي عن هذه السياسية إذ قال في ١٩٦٨/٥/٢٠ إن حكومته " أيدت باستمرار مبدأ تدويل القدس ولم تعترف بأي عمل قام به الأردن أو إسرائيل من طرف واحد لتبديل وضع المدينة " . ومع تصاعد العمل الثوري الفلسطيني وقفت حكومات دول أمريكا اللاتينية ضد كفاح المقاومة الفلسطينية ، باستثناء كوبا التي عبّرت عن دعمها المطلق للثورة الفلسطينية . وقد عدّت حكومات أمريكا اللاتينية هجمات الفدائيين الفلسطينيين عبر خطوط النار في الجبهتين الأردنية والسورية " خرقاً لاتفاقية الهدنة " . كما هاجمت هذه الحكومات الاتجاه « الثوري اليساري » للنضال الفلسطيني ، وتخوفت من قيام تعاون وثيق بين منظمة التحرير الفلسطينية والقوى الثورية في بلدان أمريكا اللاتينية .

أكدت دول أمريكا اللاتينية تأييدها لسياسة (إسرائيل) ولمطالبها في " حدود آمنة * ومعترف بها " ، كما طالبت بإجراء مفاوضات مباشرة بين العرب (وإسرائيل) . ولعل أوضح تعبير للتأييد السياسي الذي حصلت عليه (إسرائيل) من دول أمريكا اللاتينية هو ما جرى في المؤتمر الدولي لحقوق الإنسان * الذي عقد في طهران بين ١٩٦٨/٥/١٣ و ١٩٦٨/٤/٢٢ تحت رعاية الأمم المتحدة ، وبحضور مندوبين عن ٨٤ دولة . فقد أدخل في جدول الأعمال بند يتعلق بمعاملة السلطات الإسرائيلية للعرب في الأراضي المحتلة ، وتقدمت السودان وإسبانيا والسعودية بمشروع قرار يندّد بإنتهاكات (إسرائيل) لحقوق العرب الإنسانية ويطالب (إسرائيل) بالتوقف فوراً عن سياسة هدم البيوت في الأراضي العربية المحتلة . وأدخلت الوفود العربية في المؤتمر تعديلاً فيما بعد نحواه أن المؤتمر يطالب أيضاً الجمعية العامة للأمم المتحدة بتعيين لجنة خاصة للتحقيق في انتهاكات (إسرائيل) لحقوق العرب الإنسانية . عند ذلك تقدمت الأورغواي وهولندا بمشروع قرار مضاد يطالب باحترام حقوق الإنسان وتطبيقها في الأراضي المحتلة بصورة عامة ، ولم يأت على ذكر (إسرائيل) أو الشرق الأوسط . ولكن هذا المشروع فشل . أما مشروع الدول العربية وإسبانيا فقد نجح ، لكن دول أمريكا اللاتينية كانت من بين الدول التي امتنعت عن التصويت عليه .

استمرت (إسرائيل) في تمتين علاقاتها بدول أمريكا اللاتينية . ففي ١٩٦٨/١٠/٢٤ عقد المؤتمر الخامس للطوائف اليهودية في دول أمريكا اللاتينية في عاصمة أورغواي (مونتيفيديو) حيث اتخذ المؤتمرون قرارات بدعم (إسرائيل) في كافة المجالات . كما رفضت حكومة الأرجنتين ، بضغط صهيوني ، قبول عضوية لجنة ثلاثية خاصة قررت الجمعية العامة للأمم المتحدة تعيينها (١٩٦٨/١٢/١٩) للتحقيق في أحوال معيشة السكان العرب في المناطق التي احتلت في عدوان ١٩٦٧ . وقد حاول وزير خارجية غواتيمالا ، وكان في ذلك الوقت رئيس الجمعية العامة ، أن يعرقل إرسال مثل هذه البعثة ، وذلك من منطلق صداقة بلاده مع (إسرائيل) . وحين اجتمع مجلس الأمن في ١٩٦٩/٣/٢٧ لدراسة الشكوى الأردنية ضد هجمات (إسرائيل) الجوية على الأردن وقفت دول أمريكا اللاتينية إلى جانب (إسرائيل) . وعندما ناقش مجلس الأمن في ١٩٦٩/٩/٩ قضية إحراق المسجد الأقصى وقف مندوبا كولومبيا وباراغواي إلى جانب (إسرائيل) وأعلنا أن " لا مبرر للاعتقاد أن حكومة إسرائيل التي ليست لها مصلحة في الحريق قد تعمدت حرق المسجد الأقصى أو إلحاق الضرر به " وطالبا بإجراء تحقيق غير متحيز في الحادث .

رغم هذا التأييد الأعمى للسياسة الإسرائيلية من أكثر دول

أمريكا اللاتينية التي تسير في ركاب الإمبريالية الأمريكية ظهرت بعض التحولات في مواقف بعض الدول ، منها بيان مجلس النواب التشيلي في ١٩٦٩/٧/٢٥ الخاص بإدانة السياسة الإسرائيلية التوسعية ضد العالم العربي . كما أصدر الحزب الشيوعي المكسيكي وبعض المنظمات اليسارية المكسيكية بياناً في الذكرى الثانية لعدوان ١٩٦٧ حمل فيه بشدة على الإمبريالية الأمريكية التي تدعم (إسرائيل) وتحميها . وقد بلغت مناهضة بعض الفئات التحررية والتقدمية في عدة دول لاتينية لسياسة (إسرائيل) قمّتها حين قامت مظاهرات شعبية كبيرة في أورغواي والأرجنتين تأييداً لحركة المقاومة الفلسطينية . كما جرت عمليات نسف تعرضت لها بعض المؤسسات اليهودية والإسرائيلية على يد القوى الثورية في بعض دول أمريكا اللاتينية .

ومن جهة أخرى أعلن القطاع العمالي في دول أمريكا اللاتينية تأييده لكفاح العمال العرب . كما قام الأمين العام الساعد لاتحاد نقابات العمال العرب في حزيران ١٩٦٩ بزيارة تشيلي والأرجنتين والبرازيل وفنزويلا وبنما والمكسيك ، وأجرى اتصالات عديدة بسياسيين ونقابيين، وشرح لهم أبعاد القضية الفلسطينية وأهداف النضال الفلسطيني ، وفضح أساليب وأهداف الصهيونية حليفة الإمبريالية العالمية . وكان لهذه الجهود أثرها في تقوية التيار الجديد المؤيد للجانب العربي في الرأي العام اللاتيني . ففي تشيلي ،مثلاً ، أعرب الأمين العام للحزب الاشتراكي عن ضرورة تلاحم القوى العمالية في أمريكا اللاتينية مع القوى العمالية العربية ضد الصهيونية والإمبريالية .وانضم إليه في هذه الرغبة زعماء عماليون في الأرجنتين والبيرو والبرازيل . وشهدت بعض دول أمريكا اللاتينية ، وخاصة الأرجنتين والتشيلي ، تزايداً في الجهود المبذولة من قبل أوساط فلسطينية للتعريف بوجهة النظر العربية من ضمنها الجولة التي قام بها روحي الخطيب أمين القدس وزهدي الطرزي (مدير الإعلام السابق في منظمة التحرير الفلسطينية) في أيار ١٩٧٠ . ومع تصاعد العمل الفدائي لوحظ تحول في الرأي العام في دول أمريكا اللاتينية لصالح قضية الشعب الفلسطيني . وقد وجدت الثورة الفلسطينية في حركات اليسار والتقدم في دول أمريكا اللاتينية حليفاً طبيعياً في النضال ضد الإمبريالية والصهيونية . كما أيد شباب الحركة اليسارية الثورة الفلسطينية ، وتعمقت الاتصالات بين ثوار توباماروس والفدائيين من أجل الكفاح المشترك .

هـ ـ التعاون العسكري بين دول أمريكا اللاتينية و (إسرائيل) : عمّقت (إسرائيل) تعاونها العسكري مع دول أمريكا اللاتينية ، وفي مقدمتها البرازيل . فقد اشتمل اتفاق التعاون العسكري المعقود بين البرازيل و (إسرائيل) على إرسال طيارين برازيليين إلى (إسرائيل) للتدرب على طائرات الميراج الفرنسية . كما وافقت (إسرائيل) على إرسال خبراء عسكريين للمساعدة في تنظيم شبكة الدفاع الجوي البرازيلي . واستغلت (إسرائيل) مناسبة حصول الأرجنتين وبيرو وكولومبيا على طائرات ميراج من فرنسا لتعرض على هذه الدول القيام بتدريب طياريها في (إسرائيل) . كما سعت (إسرائيل) لبيع أسلحة خفيفة من صنعها ، ومنها مدافع رشاشة من طراز «عوزي» إلى دول أمريكا اللاتينية ، وخاصة كولومبيا التي زار رئيس أركانها (إسرائيل) في حزيران ١٩٧٢ . ومن جهة أخرى قام القائد المساعد للقوات الجوية في فنزويلا بزيارة رسمية (لإسرائيل) في تشرين الثاني ١٩٧٢ تفقد خلالها المصانع والقواعد العسكرية الإسرائيلية . وكثّفت (إسرائيل) علاقاتها العسكرية مع بنما وبيرو والإيكوادور وبوليفيا وكوستاريكا .

وتوازيا مع التعاون العسكري عمقت (إسرائيل) تعاونها الاقتصادي مع تلك البلدان . فقد وقعت الأرجنتين مع (إسرائيل) اتفاقية اشترت الأولى بموجبها أسلحة مثل الصواريخ والطائرات من (إسرائيل) . كما تعاونت (إسرائيل) مع الأرجنتين في مجال البحث النووي . ويقال الشيء نفسه في علاقة (إسرائيل) بالبرازيل والمكسيك . إلاّ أن (إسرائيل) أخذت في الآونة الأخيرة تفقد زخمها العسكري بسبب التحولات السياسية التي طرأت في أعقاب حرب ١٩٧٣* .

و ـ الصورة الجديدة لمواقف دول أمريكا اللاتينية من القضية الفلسطينية : تعتبر سنة ١٩٧٣ نقطة تحول رئيسة في تقويم دول أمريكا اللاتينية لموقفها تجاه قضية فلسطين . وقد تغيرت بعدها مواقف بعض الدول بشكل واضح بسبب عدة عوامل محلية ودولية منها :

١) الإدراك المتزايد لعدالة القضية الفلسطينية والموقف العربي .

٢) نشاط الأقليات العربية ، وخاصة الفلسطينية ، في دول أمريكا اللاتينية .

٣) تشابك المصالح الاقتصادية بين هذه الدول والعالم العربي .

٤) تصاعد نضال شعوب أمريكا اللاتينية ضد الإمبريالية الأمريكية ، مما يعني أيضاً نضالاً ضد الصهيونية .

٥) الانتصارات السياسية التي حققتها الثورة الفلسطينية على الصعيدين العربي والدولي .

٦) انتصارات العرب في حرب تشرين الأول ١٩٧٣ .

إضافة إلى ذلك دفع فشل سياسة الولايات المتحدة الدولية بعض الدول في أمريكا اللاتينية إلى رسم سياسة خارجية مستقلة . ونتيجة لمواقف دول أمريكا اللاتينية منذ عام ١٩٧٣ برزت ثلاثة تجمعات مختلفة بين دول أمريكا اللاتينية تجاه قضية فلسطين :

١)الدول المؤيدة للقضية الفلسطينية : وتتكون هذه الدول من المجموعة التي انضمت الى حركة عدم الانحياز* ، ومن أخرى متعاطفة معها . ويضم هذا التجمع : الأرجنتين وتشيلي وكوبا وكولومبيا والإيكوادور وغويانا وجامايكا وبنما والبيرو وترينيداد وتوباغو ، وكذلك نيكاراغوا بعد الثورة الساندينية . ومن المفيد إلقاء الضوء على مواقف هذه الدول .

(١) الأرجنتين : أظهر نظام بيرون في مراحله الأولى تأييداً (لإسرائيل) غايته كسب تأييد الجاليات اليهودية في الأرجنتين لهذا النظام . لكن تعاظم القوة الاقتصادية للعرب وازدياد قوة حركة عدم الإنحياز دفعا بالرئيس الأرجنتيني كامبورا في ١٩٧٣/٧/٧ إلى إعلان الأرجنتين دولة غير منحازة، وانضمت بلاده بالفعل إلى دول عدم الانحياز . واشتركت بعضوية كاملة في مؤتمر الحركة الذي عقد في الجزائر في ١٩٧٣/٩/٨ ، وأيدت القرار الصادر عنه بإدانة (إسرائيل) لاستمرارها في احتلال الأراضي العربية ، وبالاعتراف بالحقوق الثابتة للشعب الفلسطيني وبمنظمة التحرير الفلسطينية . كما أيدت الأرجنتين كافة قرارات الأمم المتحدة الصادرة في عام ١٩٧٣ والمؤيدة لحقوق الشعب الفلسطيني ، ودعت (إسرائيل) إلى سحب قواتها من الأراضي العربية المحتلة . وبصدد اتفاقيات كامب ديفيد* امتنعت الأرجنتين عن اتخاذ موقف واضح ، لكنها وصفت المعاهدة بأنها " لا تحقق طموحات شعب فلسطين " . وبالتالي لا تحقق السلام العادل والشامل في منطقة الشرق الأوسط .

(٢) تشيلي : انضمت جمهورية تشيلي في ظل حكم رئيسها الاشتراكي (أليندي) إلى حركة عدم الانحياز لأسباب أيديولوجية ، ولتأكيد استقلالها عن الولايات المتحدة الأمريكية . لكن حكومة أليندي حافظت قبل سنة ١٩٧٣ على علاقاتها الودية (بإسرائيل) ، وعلى الاعتقاد بأن " الصهيونية هي حركة التحرر الوطنية للشعب اليهودي " ورفضت إعطاء جامعة الدول العربية الصفة الدبلوماسية. كما أن أليندي أكد باستمرار أن تحقيق أي سلام في الشرق الأوسط يجب أن يستند إلى قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ . غير أن موقف تشيلي تغير سنة ١٩٧٣ عندما حضرت مؤتمر دول عدم الانحياز في الجزائر بعضوية كاملة ، وصوتت إلى جانب قرار المؤتمر المتعلق بالقضية الفلسطينية ، مما أدى إلى فتور علاقاتها السياسية (بإسرائيل) .

وفي ١٩٧٣/٩/١١ حدث انقلاب عسكري أطاح بحكومة أليندي . ورغم أن الانقلاب من صنع أمريكي إلا أن الانقلاب أعلن عن تأييد بلاده للموقف العربي . لكن حكومة تشيلي الجديدة اختارت العزلة السياسية فيما يختص بأحداث العالم . أما مندوبها في الأمم المتحدة فقد طالب بانسحاب (إسرائيل) من الأراضي العربية المحتلة وباحترام حقوق شعب فلسطين .

(٣) البيرو : أصبحت البيرو ملتزمة دبلوماسياً بمعظم وجهات النظر العربية حول قضايا الصراع العربي ـ الإسرائيلي بسبب التحاقها بحركة دول عدم الانحياز . وقد شاركت في مؤتمر الجزائر بعضوية كاملة إلى جانب كوبا والأرجنتين وغويانا وتشيلي . ونددت حكومة البيرو باستمرار (إسرائيل) في احتلال الأراضي العربية ، وطالبت بضرورة احترام حقوق شعب فلسطين . وقد أيد رئيس البيرو موقف الدول العربية في حرب ١٩٧٣ ، وطالب (إسرائيل) بالانسحاب من الأراضي العربية المحتلة ، وأيد نضال شعب فلسطين . هذا ولم تؤيد حكومة البيرو اتفاقيات كامب ديفيد ، وكانت من الدول التي أدانت ذلك في مؤتمر قمة رؤساء بلدان عدم الانحياز في هافانا عام ١٩٧٩ .

(٤) الإيكوادور : أخذت الإيكوادور إثر الانقلاب الذي وقع فيها في شباط ١٩٧٢ تنحو نحو سياسة عدم الانحياز . وبانضمام الإيكوادور الى منظمة الدول المصدرة للنفط (الأوبك) في تشرين الثاني ١٩٧٣ ازداد تأييدها بالتدريج للقضية العربية . فقد صرح مندوب الإيكوادور في الأمم المتحدة أن للعرب " الحق في استرجاع أراضيهم " . وقد صوتت الإيكوادور في الأمم المتحدة إلى جانب الدول العربية بصدد قضية الشعب الفلسطيني . كما عبر وزير خارجية الإيكوادور صراحة عن أن حقوق الشعب الفلسطيني " غير قابلة للتصرف ، وهي أساسية من أجل تحقيق سلام عادل في الشرق الأوسط " . كما أيدت الإيكوادور حق الفلسطينيين في العودة إلى ديارهم . وكان لها موقف مؤيد للعرب في حرب تشرين الأول ١٩٧٣ .

٢) الدول المحايدة في الصراع العربي ـ الإسرائيلي : والحياد هنا نسبي ، إن هذه الدول تدّعي الحياد بالنسبة إلى القضايا المتعلقة بفلسطين والنزاع في الشرق الأوسط فحسب . وأبرز دول هذه المجموعة البرازيل والمكسيك وفنزويلا وباراغواي وأورغواي .

(١) البرازيل : تعتبر البرازيل من الدول البارزة في مواقفها في الأمم المتحدة ، خاصة أنها امتنعت عن التصويت في الأمور المتعلقة بالقضية الفلسطينية . وقد رسمت سياستها الحيادية على أساس عدم التحيز إلى أي طرف في النزاع العربي ـ الإسرائيلي . وقد أكد وزير خارجيتها أثناء زيارته للقاهرة في ١٩٧٣/١/٢٨ التزام حكومته بعدم توريط نفسها في قضية النزاع العربي ـ الإسرائيلي . كما وقفت البرازيل على الحياد في حرب تشرين الأول ١٩٧٣ ، لكنها طالبت بتنفيذ قرارات الأمم المتحدة الخاصة بقضية الصراع في الشرق الأوسط . وأكدت فيما بعد ضرورة إنسحاب (إسرائيل) واحترام

حقوق شعب فلسطين ، وأدانت الصهيونية بوصفها حركة عنصرية . وفي هذه المواقف الأخيرة ما يقترب بالبرازيل من المجموعة الأولى .

(٢) المكسيك : اتسمت سياسة المكسيك نحو القضية الفلسطينية بالازدواجية ، فمن ناحية عقدت اتفاقيات ثقافية واقتصادية وعسكرية مع (إسرائيل) ، ومن ناحية أخرى طالبت بتنفيذ قرارات الأمم المتحدة بشأن فلسطين . وبعد حرب ١٩٧٣ اتخذت سياسة المكسيك تتجه نحو تأييد متحفظ للعرب . فقد رفضت المكسيك سياسة (إسرائيل) في الاستيلاء على الأراضي العربية ، إلاّ انها طالبت العرب بالاعتراف (بإسرائيل) . وقد تغير موقف المكسيك من منظمة التحرير الفلسطينية عندما أيدت اشتراك المنظمة في كافة المناقشات التي تجري بشأن قضية فلسطين في هيئة الأمم المتحدة . كما صوتت المكسيك ضد (إسرائيل) من خلال وقوفها إلى جانب قرار الأمم المتحدة رقم ٣٣٧٩ الذي دان الصهيونية بوصفها أحد أشكال العنصرية .

ويمكن القول إن موقف المكسيك المتصدي للصهيونية لم يولد نتيجة تعاطف مع الدول العربية وإنما نتيجة لحكمها وفق الاتجاه السائد لدى الرأي العام العالمي . وقد برّر وزير خارجية المكسيك موقف بلاده هذا أثناء اجتماعه بالسياسي الإسرائيلي يغال آلون بقوله : " إن المكسيك تعارض الصهيونية طالما استمرت هذه الحركة تنكر على شعب فلسطين حقه في تقرير المصير " وقال " إن الصهيونية حركة توسعية " . وقد غضبت (إسرائيل) لهذا الموقف ، واستخدمت جماعات الضغط الصهيونية ضد حكومة المكسيك . وقال رئيس المؤتمر اليهودي الأمريكي * : " إن الملايين منا نحن اليهود الأمريكيين يتملكهم الخوف من انحياز المكسيك إلى الكتلة العربية ـ السوفييتية في برنامج سياسي لمعاداة السامية " . وأثار الضغط الصهيوني سلسلة من الردود المرتبكة من جانب السياسيين في المكسيك . وقال بعضهم : "إن تصويت المكسيك ضد إسرائيل كان عملاً حكومياً من جانب واحد لم يكن الشعب المكسيكي طرفاً فيه " . وبعد حرب ١٩٧٣ سعت المكسيك إلى توطيد علاقاتها الاقتصادية والسياسية مع العالم العربي في الوقت الذي ظلت تحتفظ فيه بعلاقات ودية مع (إسرائيل) في كافة المجالات .

(٣) فنزويلا :كانت فنزويلا وما زالت دولة محايدة في الصراع العربي ـ الإسرائيلي . وامتنعت في الأمم المتحدة عن التصويت على عدد من القرارات التي صدرت حول القضية الفلسطينية . وقد ذكر وزير خارجية فنزويلا في ١٩٧٣ أن " بلاده مهتمة بالإبقاء على العلاقات الودية مع كل دول الشرق الأوسط " .

من ناحية أخرى تتطابق مصالح فنزويلا الاقتصادية بوضوح مع مصالح كثير من الدول العربية لكونها عضواً بارزاً في منظمة الأوبيك . لكن هذا الترابط في المصالح لم يؤد إلى تغير ملحوظ في سياسة فنزويلا نحو الشرق الأوسط .

(٤) باراغواي وأورغواي : ليس لهاتين الدولتين أي نشاط سياسي في الشرق الأوسط . وقد امتنعتا عن التصويت على القرارات المتعلقة بالقضية الفلسطينية في هيئة الأمم المتحدة .

٣) الدول المؤيدة (لإسرائيل) : وأهمها :

(١) بوليفيا : تعتبر حكومة بوليفيا العسكرية التي توجهها المخابرات الأمريكية متحمسة في تأييد (إسرائيل) ، وقد عبرت بوليفيا عن تأييدها (لإسرائيل) في المحافل الدولية كما أيدت (إسرائيل) في نظرية « الحدود الآمنة » ، وأيدت مطالبها في المفاوضات المباشرة مع العرب . وكانت غير مرة « صهيونية » أكثر من (إسرائيل) نفسها . وقد تعهدت بوليفيا بتأييد كفاح (إسرائيل) ضد ما تسميه " الإرهاب الفلسطيني " .

(٢) كوستاريكا ، الدومينيك ، نيكاراغوا : حافظت هذه الدول على دعمها (لإسرائيل) بسبب اعتماد هذه الحكومات على الدعم الكامل للمخابرات الأمريكية وخضوعها للاحتكارات الصهيونية والأمريكية . وهي تصوت إلى جانب (إسرائيل) باستمرار ، فقد كانت بوليفيا والدومينيك مثلاً الدولتين الوحيدتين اللتين صوتتا مع الولايات المتحدة و(إسرائيل) ضد قرار الجمعية العامة ٣٢١٠ (د ـ ٢٩) القاضي بدعوة منظمة التحرير للمشاركة في مداولات الجمعية العامة حول القضية الفلسطينية . كما كانت بوليفيا وكوستاريكا ونيكاراغوا والتشيلي (بعد أليندي) بين من صوّت ضد القرار التاريخي رقم ٣٢٣٦ (د ـ ٢٩) بإقرار حقوق الشعب الفلسطيني . وهناك تعاون عسكري واقتصادي وإعلامي وثيق بين هذه الدول و (إسرائيل) . لكن الثورة الساندينية في نيكاراغوا التي وضعت حداً لحكم سوموزا المعروف بتواطئه مع الصهيونية أخرجت نيكاراغوا من فئة الدول المؤيدة (لإسرائيل) ، ووضعتها في الفئة الأولى المؤيدة للقضية العربية .

المراجع :

ـ منذر عبيدلوي : أضواء على الإعلام الإسرائيلي ، بيروت ١٩٦٨ .

ـ مؤسسة الدراسات الفلسطينية : الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية ، بيروت .

ـ إبراهيم عبد الله إبراهيم : الصهيونية وإسرائيل في أمريكا اللاتينية ، مجلة الكاتب ، العدد ١٣٨ ، أيلول ١٩٧٢ ، القاهرة .

ـ غلوريا لويز : المكسيك في اطار الصهيونية والإمبريالية ، مجلة مركز الدراسات الفلسطينية ، العدد ٢٥ ، كانون الأول ١٩٧٧ ، بغداد .
ـ نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ١٦/٥/١٩٧٤ ، بيروت .
— **American Jewish yearbook,** 1971, V. 72, Prepared by the American Jewish Committee, New York 1971.
— Glick, E.: **Latin America and the Palestine Problem,** New York 1958.
— Glinkin, A: Changes in Latin America, **International Affairs,** Moskow , Vol 1.1975.
— Jeol Barrom.: Latin America and Israel: A case Study in Latin American Behavior at the U.N. General Assembly, **Middle East Review,** Vols. III, IV, 1975.
— Leopold Lauver.: **Israel and the Developing Countries: New Approaches to Cooperation,** New York 1967.
— Murray Zuckoff: Chiles Jews after Allende, in: **Israel's Horizons,** Vol. 21. No 9. 1973.
— Shimeon Amir: **Israel's Development Cooperation with Africa, Asia and Latin America,** New York 1974.
— Victor Alba: Latin American Relations with the Middle East, The Contribution Actors, **Middle East Information Service** Vol, XXII. 1973.
— Weiser, B.: The Pro - Zionism in Latin America, **Jewish Frontier,** XV, October, 1948.

الأمريكيين من أجل تفهم الشرق الأوسط (جمعية ـ) :

تأسست هذه المنظمة في عام ١٩٦٧ ، وسجلت في ولاية نيويورك كمنظمة ثقافية معفاة من الضريبة . ومن أعضائها المؤسسين جاك صندرلاند ، والدكتور هنري فيشر عالم الآثار المصرية في متحف الآثار المركزي للفنون في نيويورك ، والدكتورة هيلن هيلينغ المستشارة السابقة للشرق الأوسط للعناية الصحية . يتألف مجلس مديري المنظمة والمجلس الوطني من رجال أعمال وقادة كنسيين وأكاديميين وإداريين سابقين في مجال النفط وموظفين في وزارة الخارجية وغير ذلك من المؤسسات .

والعامل المشترك لهذه المجموعات المتباينة هو الاهتمام " بمصالح الولايات المتحدة الأمريكية الحيوية " في الشرق الأوسط ، وانحسار هذه المصالح نتيجة دعم الولايات المتحدة غير الحصيف (لإسرائيل) خلال العقدين الماضيين .

أما أهداف المنظمة الرئيسة فهي تعزيز :

١) التفهم المتزايد في أمريكا لتاريخ وأهداف وقيم جميع شعوب الشرق الأوسط .

٢) التفهم الأوسع للمعتقدات الدينية والأوضاع الاقتصادية والعادات الاجتماعية في الشرق الأوسط .

٣) الصداقة المتينة بين جميع شعوب الشرق الأوسط وشعب الولايات المتحدة .

٤) تفهم القوى التي تصنع أو تؤثر في صنع السياسة الأميركية في الشرق الأوسط .

تسعى المنظمة جادة في تنفيذ أهدافها عن طريق برنامج خدمات إعلامية . فهي تصدر مجلة نصف شهرية بعنوان " الرباط *The Link* " وتوزعها مجانا . ولديها برنامج لتوزيع الكتب عن الشرق الأوسط بأسعار مخفضة . كما أنها تعيد طباعة مقالات وخطب ووثائق حول الشرق الأوسط وتوزعها كذلك مجاناً ، وتعدّ من حين لآخر مجموعة من الرسائل الإعلامية للمدرسين والمجموعات الطلاب . ويركز كثير من هذه البرامج على فلسطين . وما يدل على ذلك أن معظم المواد التي تنشرها مجلة الرباط خلال السنوات العشر الماضية خصصت لفلسطين . وتتناول هذه المواضيع بخاصة حقوق الإنسان للفلسطينيين ومعاملة سجنائهم في المعتقلات الصهيونية وقرارات الأمم المتحدة بشأن قضية فلسطين ، وكذلك نقد المواقف الأميركية من هذه القضية .

الأمطار : رَ : المناخ

أملاك الغائبين (قانون ـ) :

كان الصراع على ملكية الأرض * في فلسطين منذ البداية واحداً من أهم مظاهر الصراع العربي ـ الصهيوني إن لم يكن أهمها على الإطلاق وانعكس في شراء المؤسسات الصهيونية المختلفة الأراضي ، وطرد الفلاحين العرب ، والمقاومة العربية لعمليات الشراء والإخلاء ، والحملات الصهيونية السياسية والدعائية المناهضة لبعض القيود التي فرضتها سلطات الانتداب البريطاني بين الحين والآخر على انتقال ملكية الأراضي . كما كان لهذا الصراع دور كبير في تحديد مجرى الصراع العسكري قبيل إعلان قيام الكيان الصهيوني في فلسطين وبعده .

ومن الطبيعي أن تتخذ السلطات الإسرائيلية بعد إعلان قيام (الدولة) سلسلة من الإجراءات لتسهيل نقل ملكية الأراضي من الأيدي العربية إلى الإسرائيلية . وفي هذا الصدد يعدّ قانون أملاك الغائبين الصادر سنة ١٩٥٠ ذا أهمية كبرى لأنه جاء تتويجا لسلسلة من الإجراءات والقرارات الصادرة منذ سنة ١٩٤٨ من جهة ، ولأنه من جهة أخرى الأساس الذي استندت إليه السلطات الإسرائيلية في مصادرة جزء كبير من الأراضي العربية في فلسطين المحتلة . ثم أنه من جهة ثالثة خرق رسمي صريح لنص قرار تقسيم

فلسطين * الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في سنة ١٩٤٧ . كذلك يبلور هذا القانون بصورة نهائية الموقف الإسرائيلي المعارض لعودة الفلسطينيين إلى ديارهم وممتلكاتهم خلافا لما قضت به قرارات الأمم المتحدة .

ومما يلفت النظر في هذا القانون تعريفه كلمة " غائب " الواردة في الفقرة ب من مادته الأولى. وتنص هذه الفقرة على أن " الغائب " يعني :

" ١) الشخص الذي كان ـ في أي وقت يقع بين يوم ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ واليوم الذي يعلن فيه أن حالة الطوارىء التي أعلنها مجلس الدولة المؤقت في ١٩ أيار ١٩٤٨ قد ألغيت ـ كان المالك الشرعي لأية ملكية تقع في منطقة إسرائيل ، أو كان منتفعا بها ، أو واضعا يده عليها إما بنفسه أو بواسطة غيره ، وكان في أي وقت خلال تلك الفترة :

(١) من رعايا لبنان أو مصر أو سورية أو العربية السعودية أو شرقي الأردن أو العراق أو اليمن ، أو

(٢) في إحدى هذه الدول أو في جزء من فلسطين خارج منطقة إسرائيل ، أو

(٣) كان مواطنا فلسطينيا غادر مكان إقامته المعتاد في فلسطين إلى مكان خارج فلسطين قبل الأول من أيلول ١٩٤٨ ، أو إلى مكان في فلسطين كانت تسيطر عليه في ذلك الوقت قوات سعت إلى منع إقامة دولة إسرائيل أو حاربتها بعد إقامتها .

"٢) مجموعة من الأشخاص كانت ، في أي وقت من الفترة المحددة في الفقرة ١ ، المالكة الشرعية لأية ملكية تقع ضمن منطقة إسرائيل ، أو منتفعة بها ، أو واضعة يدها عليها إما بنفسها أو بواسطة غيرها ، وكان جميع أعضائها والشركاء فيها أو مالكي أسهمها أو مديريها من الغائبين حسب المعنى المحدد في الفقرة ١ ، أو التي تقع إدارة عملها بشكل آخر تحت يد غائبين من هذا القبيل بشكل واضح ، أو التي يكون كل رأسمالها في يد غائبين من هذا القبيل " .

هذا التعريف الشامل يجعل كل مالك فلسطيني غائباً إذا كان قد غادر قريته أو مدينته إلى إحدى البلاد المجاورة لتدبير بعض شؤونه في أي وقت منذ تاريخ إصدار قرار تقسيم فلسطين . وهذا أمر تعوّد كثير من سكان القرى والمدن العربية أن يفعلوه . كما يعتبر الفلسطيني غائباً إذا ترك قريته وانتقل إلى إحدى المدن والقرى المجاورة كما فعل ويفعل سكان القرى العرب حين تحتل القوات الإسرائيلية مناطقهم . بل يجعل القانون المالك الفلسطيني غائبا إذا انتقل من حي إلى آخر ضمن إحدى المدن الكبيرة ، أو إذا نقلته قوات الاحتلال الصهيوني بالقوة من مكان إلى آخر .

يتألف قانون أملاك الغائبين من تسع وثلاثين مادة ، وقد أقرته الكنيست * الإسرائيلية في ١٩٥٠/٣/١٤ ونشر في "كتاب القوانين " في ١٩٥٠/٣/٣٠ ، واعتبر قانوناً معدلاً لأنظمة الطوارىء (أملاك الغائبين) الصادرة في ١٩٤٨/١٢/١٢ وبديلاً لها ابتداء من ١٩٥٠/٣/٣١ .

وكانت المنظمات الصهيونية حتى قبل إعلان قيام (الدولة) قد اتخذت عددا من الإجراءات للعمل على الاستيلاء على أية أملاك عربية تقع تحت يد القوات الصهيونية . ففي آذار سنة ١٩٤٨ أقامت الهاغاناه * لهذا الغرض "لجنة الأملاك العربية في القرى " . وعين قيّم عام على أملاك العرب في الشمال في نيسان سنة ١٩٤٨ بعد احتلال حيفا . وتلا ذلك تعيين قيّم آخر في يافا بعد احتلالها في ١٩٤٨/٥/١٤ . ثم أنشئت دائرة سميت " دائرة أملاك العرب " مهمتها مراقبة الأملاك العربية التي تسيطر القوات الإسرائيلية عليها . وفي تموز سنة ١٩٤٨ عين قيّم عام على أملاك الغائبين ، وفي كانون الأول سنة ١٩٤٨ أصدرت الحكومة الإسرائيلية أول مجموعة أنظمة بشأن أملاك الغائبين . وكان الهدف الواضح من هذه الأنظمة التي اتخذت أساسا لقانون عام ١٩٥٠ منع عودة أي من المهاجرين العرب إلى الأراضي أو الممتلكات التي تركها قبيل حرب ١٩٤٨ * ، أو أثناءها ، أو بعدها . كما أصدرت الحكومة الإسرائيلية في حزيران وأيلول وتشرين الثاني وكانون الأول سنة ١٩٤٩ قوانين تحدد مفعول الأنظمة المذكورة .

وبحسب أحكام المادة الرابعة من قانون أملاك الغائبين لعام ١٩٥٠ تصبح جميع أملاك الغائبين حسب تعريف القانون لهم منوطة بالقيّم على أملاكهم . وهذا القيّم يعينه وزير المالية الإسرائيلي (المادة الثانية ، وتنتقل إليه تلقائيا كافة الحقوق التي يتمتع الغائب بها في أية ملكية . كما يحق له وضع اليد على أية ملكية حين يجد ذلك مناسبا (المادة الرابعة) .

وللقيّم أيضاً أن يقوم بإدارة أي عمل تجاري يعتبر من أملاك الغائبين ، وتصفية العمل إذا كان يعود إلى شخص واحد ، أو حل الشركة إذا كان العمل يعود إلى مجموعة من الشركاء (المادة الثامنة) .

وإذا كانت أية ملكية من أملاك الغائبين محتلة من قبل شخص لا يحق له احتلالها حسب تقدير القيّم يكفي أن يصدر القيّم وثيقة يعلن فيها ذلك لكي يصار إلى إبعاد ذلك الشخص عن الملكية . وتعتبر أية وثيقة يصدرها القيّم من هذا القبيل حكماً قضائياً . وعلى الشخص المبعد ، أو الذي صدرت وثيقة من هذا النوع بحقه، اللجوء إلى محكمة مختصة لإبطال فعل الوثيقة إذا كان له الحق في

احتلال الأرض خلافاً لتقدير القيّم على أملاك الغائبين (المادة العاشرة) .

كما يحق للقيّم ايقاف أي عملية بناء تجري على ملكية من أملاك الغائبين دون إذن منه ، وهدم أية أبنية تمت إقامتها ، وتغريم الشخص المسؤول عن البناء أو الأشخاص المتفذين بدفع تكاليف الهدم . ويعتبر أي شخص يحاول عرقلة الهدم مرتكباً جنحة (المادة الحادية عشرة) ، ويتعرض لعقوبة السجن أو الغرامة أو كليتهما معا (المادة الخامسة والثلاثون) .

ويحصر القانون حق شراء أملاك الغائبين غير المنقولة بسلطة تنمية تشكل بموجب قانون يصدر عن الكنيست (المادة التاسعة عشرة) . وقد شكلت سلطة للتعمير والإنشاء بقانون أقرته الكنيست بعد خمسة أشهر من صدور قانون أملاك الغائبين .

ويحتوي القانون على عدد من المواد التعسفية الأخرى التي تعطي القيّم حرية شبه مطلقة في وضع اليد على الأراضي وتجعل الاعتراض على إجراءاته أمراً بالغ الصعوبة. فالمادة السادسة عشرة تعفي القيّم ، أو أي شخص يعمل بناء على توصياته ، من أية مسؤولية مدنية إذا قام بإجراءات بحق ملكية ما على أساس أنها من أملاك الغائبين وهي في الواقع ليست كذلك ، تعفيه إذا كان تصرفه بناء على اعتقاد نزيه ومعقول . ولا تحدد المادة أي مقياس لتقرير نزاهة مثل هذا الاعتقاد الخاطىء أو معقوليته .

كما تقضي المادة السابعة عشرة بأن أية صفقة تعقد بحسن نية بين القيّم وشخص آخر بصدد ملكية اعتقد القيّم في حين عقد الصفقة أنها ملكية منوطة به (أي من أملاك الغائبين) لا تصبح باطلة المفعول وتبقى نافذة ولو ثبت أن الملكية لم تكن في ذلك الحين منوطة بالقيّم .

وتنص المادة الخامسة على أن " كون هوية الغائب غير معروفة لا يمنع أن تكون ملكيته من أملاك الغائبين " .

ولم يكن التعسف في طبيعة مواد هذا القانون ونصوصها فحسب بل كان تطبيقها أشد تعسفا في معظم الحالات . ففي المدن مثلاً كانت كل ملكية عربية تعتبر من أملاك الغائبين إلا إذا استطاع صاحبها أن يثبت العكس . وقد طبق القانون حتى على أملاك سكان المثلث العربي الذين ضمت مناطقهم إلى (إسرائيل) وفقاً لاتفاقية الهدنة الدائمة بين الأردن وإسرائيل * المعقودة في نيسان سنة ١٩٤٩ ، رغم أن الاتفاقية تنص صراحة على التزام (إسرائيل) بالمحافظة على حقوق هؤلاء السكان الكاملة . كذلك طبق القانون على أملاك الوقف الإسلامي . وأصبح تحرير أية أرض أو ملكية من قبضة القيّم على أملاك الغائبين مسألة من أكثر المسائل تعقيدا في (إسرائيل) .

وقد تعرض هذا القانون لانتقادات شديدة ، ولمعارضة فئات مختلفة عربية ويهودية . وطرحت على الكنيست عدة مشاريع قوانين مضادة لهذا القانون ، أو معدلة له ، ولكنها رفضت جميعا . وأصدرت الكنيست في شباط سنة ١٩٥٦ تعديلاً أضيفت بموجبه فقرة جديدة إلى المادة السابعة عشرة . ولكنه كان تعديلا طفيفا لا يمس جوهر القانون .

وقد طبق القانون على نطاق واسع جداً إذ استولى القيّم على أراضي حوالي ثلاثمائة قرية عربية متروكة أو شبه متروكة تزيد مساحتها على ثلاثة ملايين دونم ، أي الغالبية العظمى من أراضي الملكية الخاصة في الأرض المحتلة . وشملت الأراضي المستولى عليها مساحات واسعة من الأراضي العربية الجيدة الخصبة تقدر بحوالي ٢٨٠ ألف دونم منها الكثير من البيارات والأراضي المزروعة بالأشجار المثمرة .

كما استولى القيّم في المدن على ما يزيد على ٢٥,٠٠٠ بناء تحوي أكثر من ٥٧,٠٠٠ مسكن و١٠,٠٠٠ محل تجاري أو صناعي ، وحولت هذه الأبنية إلى شركة " عميدار " لإسكان المهاجرين اليهود فيها .

واستولت السلطات الإسرائيلية بموجب هذا القانون على ما يزيد على ربع مليون دونم من أراضي المواطنين العرب الذين ظلوا في الأرض المحتلة بعد عام ١٩٤٨ .

وهكذا كان قانون أملاك الغائبين الغطاء القانوني لنقل ملكية جزء كبير جدا من الأراضي العربية نقلاً تعسفيا ظالما إلى الأيدي الصهيونية . وقد كان هذا هدفا من أهداف الصهيونية منذ قيامها .

المراجع :

— Landau,J.M.: **The Arabs in Israel: A Political Study,** London 1969.
— Lucas, N.: **The Modern History of Israel,** London 1974.
— Sachar, H.M.: **A History of Israel , From the Rise of Zionism to Our time,** Oxford 1977.

الأمم المتحدة :

رَ : إسرائيل في الأمم المتحدة (عضوية ـ)
رَ : التوفيق (لجنة ـ الدولية)
رَ : الصحة (منظمة ـ العالمية)
رَ : العمل (منظمة ـ الدولية)
رَ : فلسطين في الجمعية العامة للأمم المتحدة
رَ : القدس في الأمم المتحدة
رَ : لجنة الأمم المتحدة الخاصة المعنيّة بالتحقيق في الممارسات

الإسرائيلية التي تمسّ حقوق الإنسان لسكان الأراضي المحتلة
ر : لجنة الأمم المتحدة للتوفيق بشأن فلسطين
ر : لجنة الأمم المتحدة المعنيّة بممارسة الشعب الفلسطيني لحقوقه الثابتة
ر : اللجنة الخاصة للأمم المتحدة بشأن فلسطين
ر : منظمة التحرير الفلسطينية في الأمم المتحدة
ر : وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى
ر : اليونسكو

أمناء جبل البيت (جماعة ــ اليهودية) :

ر : الحرم القدسي الشريف (تمويد ــ)

الأمن الإسرائيلي (مناطق ــ) :

ر : الطوارىء (قوانين ــ ١٩٤٩)

الأمن الإسرائيلي (نظرية ــ) : ر : حرب ١٩٧٣

الأمــة (صندوق ــ) :

كان إنقاذ الأراضي العربية في فلسطين بمنع تملّك اليهود لأي منها في طليعة أهداف وهموم النضال العربي الفلسطيني ضد الانتداب البريطاني والهجرة الصهيونية . فما إن وافقت عصبة الأمم * عام ١٩٢٢ على صك الانتداب * حتى اندفعت الحركة الصهيونية تشتري الأراضي العربية ، ولا سيما في الساحل الفلسطيني ، مغتنمة في ذلك سوء الأوضاع الاقتصادية لعرب فلسطين نتيجة لامتداد التخلف الاقتصادي إبّان العهد العثماني بسبب ظروف الحرب العالمية الأولى . وقد وجدت الحركة الصهيونية في الضرائب * التي دأبت الحكومة البريطانية المنتدبة على فرضها على الأراضي بنسب عالية لا تتلاءم مع القدرات المالية لأصحابها منفذاً آخر لنشاطاتها في شراء الأراضي . وكانت قد بادرت لإنشاء مصرف صهيوني مصرف تحت ستار " بنك أنكلو ـ فلسطين " أي البنك البريطاني ـ الفلسطيني ، ومؤسستي الكيرين هايسود * ، أي مؤسسة تملك الأراضي ، والكيرين كايميت * ، أي مؤسسة رأس المال الإسرائيلي . وعلى الرغم من كل ما بذلته الحركة الصهيونية من الأموال وشرائها لبعض الأراضي المملوكة لعائلات غير فلسطينية لم تزد مساحة الممتلكات اليهودية من الأراضي حتى حرب ١٩٤٨ * على ٨,٦ بالمائة من مجموع مساحة فلسطين .

وكان في مقدمة الأسباب التي أوقدت ثورة شهر آب عام ١٩٢٩ المشهورة باسم ثورة البراق (ر : ثورة ١٩٢٩) النقمة على امتناع الحكومة المنتدبة عن وضع تشريع لمنع بيع الأراضي العربية .

وعندما اندلعت ثورة عام ١٩٣٣ في يافا (ر : يافا ، ثورة) استقدمت الحكومة البريطانية خبيرا بريطانياً اسمه ستركلند *Strickland* وضع تقريراً أوصى فيه بمنع بيع الأراضي الزراعية العربية لليهود في مناطق معينة من فلسطين (ر : ستركلند ، تقرير) . لكن الحكومة المنتدبة لم تنفذ توصيات التقرير . وعندها استقر الرأي العربي ، بدعوة من المجلس الإسلامي الأعلى * والمؤتمر العربي الفلسطيني * عام ١٩٣٥ ، على إنشاء لجنة باسم لجنة صندوق الأمة غايتها إنقاذ الأراضي المعرضة للبيع واستغلالها لصالح العرب وقد تولى رئاستها أحمد حلمي عبد الباقي * .

كان من مهام اللجنة صدّ محاولات البيع بالإقناع وجمع المال لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من الأراضي المعرضة للبيع . وكانت خطة اللجنة عزل الأراضي المملوكة لليهود بإحاطتها بحزام من الأراضي العربية التي يشتريها الصندوق . أو حث أصحابها على تحويلها إلى ممتلكات وقفية .

لكن الهمّ كان أكبر كثيراً من أن تستوعبه الأموال الزهيدة المتحصلة من التبرعات والرسوم المالية على بعض المشتريات كتذاكر السفر والسينما وغيرها . ومع ذلك استطاعت اللجنة إنقاذ نحو ألف دونم في قريتي بيت حنون وجولس * في منطقة غزة ، وبعض المساحات في قرية عاقر * بمنطقة يافا وغيرها . كما قامت اللجنة بمنح قروض صغيرة لبعض المزارعين لتمكينهم من استغلال أراضيهم بسبب عدم وجود أي مصرف زراعي في ذلك الوقت . ولقد تأثرت نشاطات الصندوق بعد نفي الزعماء الفلسطينيين إلى جزيرة سيشل وتشرد غيرهم خارج الوطن الفلسطيني .

وقد توقفت أعمال الصندوق عند ابتداء الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ لما جمّدت الحركة الصهيونية عمليات شراء الأراضي . وحالما شعر رئيس اللجنة بتجدد التيار الصهيوني لشراء الأراضي بسبب تغير مجرى الحرب آنذاك لصالح الحلفاء عام ١٩٤٣ بادر إلى إحياء اللجنة وتجديد تشكيلها . إلّا أن المال استنزم العقبة الكأداء. فبالرغم من التوسع في فرض الجباية على المشتريات ازدادت الأعباء المالية على العرب شدة بسبب توقف تصدير الحمضيات * التي كانوا مضطرين لإنفاق المال لقطفها وردمها تحت الأرض تجنباً لأضرار عفنها .

ولما نشطت عام ١٩٤٦ حركة موسى العلمي لإنشاء المشروع

الإنشائي العربي * ضاعف رئيس اللجنة نشاط صندوق الأمة وضم إلى لجنته بعض زعماء الحركة الوطنية .

لكن المنافسة المؤسفة بين المشروع واللجنة ، وما رافق ذلك من خلافات جانبية حزبية ، أدت إلى شل حركة الصندوق والمشروع معا .

ولدى عقد الجلسات الاستثنائية لمجلس جامعة الدول العربية في بلودان في ١٩٤٦/٦/١١ ، وتشكيل الهيئة العربية العليا لفلسطين *، تم إنشاء لجنة خاصة لإنقاذ أراضي فلسطين ، وتخصيص مبلغ مليون جنيه فلسطيني لها سنويا (ر : بلودان ، مؤتمر ١٩٤٦) . لكن القرار تجمد ، فقد داهمت فلسطين حرب العصابات الإرهابية الصهيونية ، وتكاثرت المشاغل السياسية التي أثارها تقرير لجنة هيئة الأمم المتحدة عام ١٩٤٦ بتقسيم فلسطين ، وعرض القضية على هيئة الأمم المتحدة ، وانسحاب الحكومة البريطانية المنتدبة تاركة وراءها ذلك الفراغ الذي استغلته العصابات الصهيونية عام ١٩٤٨ .

الأمة الإسلامية الفلسطينية (مؤتمر ـ) :

انعقد هذا المؤتمر في فندق الملك داود بمدينة القدس * في ١٩٣١/١٢/١١ . وكان الهدف الرئيسي للداعين اليه مواجهة المؤتمر الإسلامي العام * الذي دعا إلى عقده الحاج محمد أمين الحسيني * .

حضر المؤتمر نحو ١,٥٠٠ شخص من الأعيان ورجال الدين والمحامين العرب الفلسطينيين . وتولى راغب النشاشيبي * رئاسة المؤتمر .

ألقى بعض أعضاء المؤتمر كلمات انتقدوا فيها بقسوة المجلس الإسلامي الأعلى * ، والمؤتمر الإسلامي العام ، والحاج محمد أمين الحسيني بشخصه .

وقرر المؤتمر :

١) تسمية هذا المؤتمر " مؤتمر الأمة الإسلامية الفلسطينية " .

٢) مطالبة الحكومة بتنفيذ مشروع قانون المجلس الإسلامي وفقا للاقتراحات التي تقدمت بها المعارضة للحكومة .

٣) مطالبة الحكومة بمحاسبة المجلس الإسلامي الأعلى من طرف محاسبين رسميين فنيين .

٤) نزع الثقة من رئيس المجلس الإسلامي الأعلى وعدم الاعتراف به كرئيس للمؤتمر الإسلامي " لأن فلسطين لم تشترك في هذا المؤتمر ولأن تصرفاته في الدعوة للمؤتمر كانت شخصية بحتة " .

٥) مطالبة الحكومة باستقلال إدارة القضاء الشرعي عن المجلس الأعلى تأميناً لمصالح المسلمين الشرعية .

٦) تحية الوفود الإسلامية التي حضرت إلى فلسطين لحضور جلسات المؤتمر الإسلامي العام .

٧) مفاوضة الهيئات الإسلامية في جميع الأقطار الإسلامية لعقد مؤتمر إسلامي عام في أحد الأقطار الإسلامية .

٨) المحافظة على الأماكن الإسلامية المقدسة في فلسطين وإرجاع ما فقد أو تغير منها إلى ما كان عليه .

٩) مطالبة الحكومة بتنفيذ مطالب الوفد العربي الفلسطيني الأخير " وهي المطالب التي توصل البلاد إلى استقلالها وأمانيها القومية وتدفع خطر الصهيونية " .

١٠) إصدار بيان برأي هذا المؤتمر تجاه المؤتمر الإسلامي العام .

وقد تألفت لجنة لمتابعة تنفيذ هذه المقررات .

المراجع :

ـ كامل محمود خلة : فلسطين والانتداب البريطاني ١٩٢٢ ـ ١٩٣٩ ، بيروت ١٩٧٤ .

ـ جريدة فلسطين (يافا) ١٩٣١/١٢/١٢ .

الأمة العربية (بنك ـ) :

أسس هذا البنك الاقتصادي الكبير أحمد حلمي عبد الباقي * عام ١٩٣٧ بعد أن استقال من البنك العربي * .

وقد استهدف بنك الأمة العربية تقديم القروض إلى المزارعين العرب لآجال تصل إلى عام في الوقت الذي كانت فيه المصارف * التجارية تمنح قروضها لمدة لا تزيد على ثلاثة أشهر .

وقد استمر بنك الأمة العربية في نشاطه حتى نهاية فترة الانتداب . لكنه لم يستأنف نشاطه المصرفي خارج فلسطين ، وظلت له ديون كبيرة على المزارعين العرب الذين لم يتمكنوا من الوفاء بالتزاماتهم تجاهه بسبب طردهم من أملاكهم .

كذلك أدى توجه مؤسس بنك الأمة العربية نحو العمل

السياسي وترؤسه حكومة عموم فلسطين * إلى توقف المصرف عن العمل في نهاية الانتداب عام ١٩٤٨ .

المرجع :

ـ سعيد حمادة : النظام الاقتصادي في فلسطين ، بيروت ١٩٣٩ .

الأمويون : ر : العصر الأموي

الأمويين (قصور ـ) : ر : المفجّر (خربة ـ)

أمين الحسيني : ر : محمد أمين الحسيني

أمين عادل التميمي (١٨٩٢ ـ ١٩٤٤) :

أحد مناضلي الرعيل الأول في فلسطين ، ولد في مدينة نابلس * وتلقى تعليمه الابتدائي فيها ، ثم توجه نحو إستانبول (الآستانة) لتكملة دراسته العالية ، وهناك تعرف على عدد كبير من أحرار العرب ، وخاصة أعضاء المنتدى الأدبي * ، وجمعية العربية الفتاة * . لذلك ما إن دخل الجيش العربي دمشق بقيادة الأمير فيصل حتى ترجه أمين التميمي نحو سورية ليشترك مع رفاقه أعضاء جمعية العربية الفتاة في تدعيم هذا العهد .

انتخب أمين التميمي في الهيئة الإدارية الجديدة لجمعية العربية الفتاة في ١٩١٨/١٢/٢٠ ، ثم أصبح السكرتير العام للجمعية ، وفي ١٩٢٠/٥/١٣ انتخب عضوا مؤسساً في الجمعية . وحمل رقم ١٦٩ ورمز ١٠،١٠٠ .

وبعد انتهاء الحكم العربي في سورية عاد أمين التميمي إلى فلسطين مع أعضاء حزب الاستقلال * ، وهو الواجهة العلنية لجمعية العربية الفتاة ، وانخرط في الحركة الوطنية الفلسطينية فكان من أبرز قادتها وأعلامها . كما تولى عدة مناصب رسمية في هذه الحركة ، ففي سنة ١٩٢١ كان أحد أعضاء الوفد العربي الفلسطيني الذي سافر إلى لندن (ر : الوفود العربية الفلسطينية إلى لندن) وفي سنة ١٩٢٣ كان أحد أعضاء الوفد الفلسطيني إلى سويسرا * لحضور مؤتمر الحلفاء وتركية في مونتريه . وفي سنة ١٩٢٥ أصبح عضوا في المجلس الإسلامي الأعلى * برئاسة الحاج محمد أمين الحسيني * ثم انتخب لمركز نائب الرئيس فانتقل إلى القدس * وأقام هناك .

وفي أواخر سنة ١٩٣٧ غادر أمين التميمي القدس إلى لبنان ليلتحق بالحاج محمد أمين الحسيني وبقي فيه حتى بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية ، ولكنه اضطر إلى مغادرة لبنان سرًّا في أواخر سنة ١٩٣٩ متجهاً إلى بغداد بعد المحاولة التي قام بها الفرنسيون للقبض على زعماء الحركة الفلسطينية .

وفي العراق اشترك في حركة رشيد عالي الكيلاني سنة ١٩٤١ . وبعد فشل الحركة اتجه نحو إيران برفقة الحاج محمد أمين الحسيني وعدد من أبناء الأقطار العربية الأخرى ، ولكن الإنكليز تمكنوا من القبض عليه بعد إخفاق الحركة بمالايا ، واعتقل مع عدد من رفاقه في سجن الأحواز أولاً ، ثم نفي إلى معتقل بريطاني في سالسبري (روديسيا) في إفريقيا فتردت صحته نتيجة لسوء المعاملة ، ورفض الانكليز نقله إلى لبنان أو مصر للمعالجة ، وتوفي في معتقله .

الأنبـاء (صحيفة ـ) :

جريدة يومية إسرائيلية ناطقة باللغة العربية صدرت في القدس * اعتباراً من ١٩٦٨/١٠/٢٤ . وتعد الأنباء الشكل الجديد لجريدة اليوم التي كانت تصدر باللغة العربية في تل أبيب منذ عام ١٩٤٨ حتى أيار ١٩٦٨ .

وتصدر الجريدة بالتنسيق بين " مكتب مستشار رئيس الوزراء للشؤون العربية " رهيئة تحريرها . أما الذين تتابعوا على إدارتها ورئاسة تحريرها فهم من الإسرائيليين . وكان رئيس التحرير حتى سنة ١٩٧٠ يتسحاق بار ـ موشه ، وتبعه المحامي اليهودي العراقي يعقوب خزمة . ويشارك في تحرير الجريدة عدد من الصحافيين المرتبطين بسلطات الاحتلال ، والمروّجين لسياستها انسجاما مع مصالحهم .

تصدر الأنباء في ست صفحات باستثناء عدد الجمعة فهو بثماني صفحات . وتعالج الجريدة الشؤون السياسة والاقتصادية والثقافية . وتلعب دورا خطيراً على صعيد التشكيك في الأمة العربية . وتعمل على تشويه الحقائق وترويج الأكاذيب ، وتتسترّ بغطاء التعايش الزائف بين العرب والإسرائيليين ، وتدعو إلى بلورة " قيادة محلية " من رجالات الضفة الغربية كهيئة تمثيلية ناطقة باسم الفلسطينيين .

المرجع :

ـ علي الخطيب : الصحافة العربية في الأرض المحتلة ، مجلة مركز الدراسات الفلسطينية ، العدد ٢٢ ، أيار ـ حزيران ١٩٧٧ ، بغداد .

الأنبـــاط :

في أعقاب انكفاء الامبراطوريات الرافدية والشرقية ، وتوغل المدّ اليوناني في قلب آسيا ، وتفتته إلى دويلات هلنستية ، نشأت في شمال الجزيرة العربية وفي الهلال الخصيب ممالك وإمارات عربية اضطلعت بدور سياسي وعسكري واقتصادي بالغ الأهمية أحياناً ، ومنها مملكة الأنباط .

وأصل الأنباط عربي ثابت يجمع عليه الباحثون تقريباً بدليل موطنهم (العربية الحجرية) ، واللغة العربية التي تظهر في كتاباتهم بالآرامية ، وأسماء أعلامهم (الحارث وعبادة ومالك . .) ، وأسماء آلهتهم (ذو الشرى واللات والعزّى ومناة وهبل . .) وبدليل ما ورد عنهم في المصادر اليونانية واللاتينية . ويرى بعض المؤرخين أنهم قدموا من جنوب الجزيرة العربية واستقروا زمناً في الحجاز . ويرى آخرون أنهم حجازيون أصلاً حلّوا محلّ الأيدوميين * في موطنهم ، وأخذوا اللغة الآرامية * عنهم . وأسسوا مملكة هامة . أما ما يرد في المصادر العربية الإسلامية من كلمات « الأنباط ، والنبط ، والنبيط » فلا يدل على هؤلاء الأنباط ، بل يدل على السكان المحليين العاملين في الزراعة ولا سيما فلاحي سواد العراق .

ويرجح أن الأنباط قدموا في القرن السادس قبل الميلاد وإن كان وجودهم التاريخي الواضح الهام يراوح بين القرنين الرابع قبل الميلاد والثاني بعده . وقد تركزت مملكتهم في البلاد التي كانت تعرف في المصادر التاريخية القديمة باسم « العربية الحجرية *Arabia Petraea* » مع امتداد نحو الحجاز والبحر الأحمر والبحر المتوسط والشام وبادية الشام حتى الفرات . وكانت جبال الشراة (في شرقي الأردن) العمود الفقري لأرضهم ، فيها أعظم حواضرهم وهي البتراء .

اتصف الأنباط بالمنعة وحب الحرية والغزو والصبر على الجوع والعطش ، ويذكر المؤرخون أنهم لم يخضعوا لأحد ،ولم ينجح أحد في السيطرة عليهم . واعتمد اقتصادهم على تجارة القوافل وتجارة البحر ، وسيطروا على طرق التجارة العالمية مستفيدين من موقعهم الممتاز الذي تتلاقى عنده أهم طرق القوافل . وقد نظم الأنباط شؤون القوافل الخاصة بهم والعابرة بأراضيهم ، وأمّنوا حمايتها ، ووضعوا المكوس على العبور وعلى البيع والشراء ، وبنوا لأنفسهم مملكة قوية غنية في القرن الثاني قبل الميلاد معتمدين على تجارتهم الغنية وعاصمتهم المنيعة .

كانت علاقة الأنباط السياسية بالبطالمة * والسلوقيين * ثم بالرومان ، وصراعهم مع اليهود الأشمونيين المكابيين في فلسطين مبنيّين في أكثر الحالات على أساس الرغبة في تأمين السير الطبيعي المأمون لتجارتهم الناجحة . وكانت معظم حروبهم موجهة لهذه الغاية .

ويقسم تاريخ الأنباط السياسي والاقتصادي إلى فترتين أساسيتين :

١) الفترة الهلنستية : وتبدأ من أيام البطالمة والسلوقيين وتنتهي في عام ٦٤ ق.م . الذي تمّ فيه للرومان احتلال جنوب سورية . وقد اختفى البطالمة ثم السلوقيون في إخضاع المملكة النبطية . ومن ملوك الأنباط في هذه الفترة الحارث الأول والحارث الثاني وعبادة الأول والحارث الثالث . وقد اصطدم الأنباط باليهود المكابيين الذين هددوا مصالحهم الاقتصادية لما استولوا على ميناء غزة * . وقد هزم ملكهم عبادة الأول عام ٩٣ ق.م . الملك اليهودي اسكندر جانوس عند مدينة جدرة (أم قيس فوق الحمة *)، كما هزم عبادة السلوقيين بقيادة أنطيوخوس الثاني عشر في النقب * عام ٨٥ ق.م . وقد بلغت دولة الأنباط درجة عالية من القوة حتى ضمت دمشق إليها في عهد الملك الحارث الثالث الذي سيّر أيضاً جيشاً جراراً إلى القدس * يحاصرها .

٢) الفترة الرومانية : استطاع الرومان في بداية هذه الفترة أن يتزعموا الأنباط ويدفعوهم إلى ترك حصار القدس ، وقد دار النزاع في هذه المرحلة بين الأنباط وهيرود الذي نصبه الرومان ملكا على اليهود (وهو غير يهودي) وهيرود انتيباس الذي خلفه . ومن أبرز ملوك هذه الفترة الحارث الرابع (٨ق.م. ـ ٤٠ ب.م.) الذي يعدّ عهده أطول العهود وأزهاها . وقد ظل الرومان يهددون مصالح الأنباط الاقتصادية ووجودهم السياسي إلى أن ألحق الإمبراطور تراجان مملكة الأنباط بولاية سورية وأسس ولاية جديدة باسم الولاية العربية في ١٠٦/٣/٢٢ م عاصمتها بصرى ، وضمت مملكة الأنباط مضافاً إليها حلف المدن العشر * (ديكابوليس) .

ظلت حضارة الأنباط مستمرة بعد نهايتهم السياسية ، ولكن بمظهر روماني . وقد تمسك قسم من الأنباط بديانتهم القديمة زمناً بعد انتشار المسيحية * . وفي القرن الرابع الميلادي قويت المسيحية بينهم وأصبح للبتراء أسقف اشترك في مجمع نيقيا عام ٣٢٥ م .

تروي المصادر شيئاً عن تنظيم الدولة النبطية ، فالملك رأس الدولة تشاركه زوجته أو أخته أو أمه . وله حاشية بمنزلة الوزراء المستشارين ، وهناك مجلس للشعب يقدم له الملك حساباً عن

عمله . وكان للنساء منزلة رفيعة لدى الأنباط . وكان التآزر سائداً بمجتمعهم . وقد عبدوا ، كالعرب قبل الإسلام ، أربابا ترمز إلى عناصر الطبيعة وإلى بعض القيم التي يتعلق بها الناس كالشجاعة والعدالة . وكانوا يمثلونها تمثيلاً رمزياً إلى أن قوي عندهم تأثير الديانات اليونانية ـ الرومانية فنزعوا إلى التشخيص وتقريب النصب من الأشكال البشرية . ومن أربابهم ذو الشرى (منسوب إلى جبال الشراة) والعزّى واللات ومناة .

والفن النبطي فن محلّي متأثر بفن جنوب الجزيرة العربية والرافدين . وقد طبع بطابع هلنستي . وتجلى أكثر ما تجلى في العمارة* ، ولا سيما عمارة المدافن . وقد تركز معظم فن العمارة في العاصمة البتراء ، وتجلّى بنحت الصخر الرملي الجميل وإنشاء الأوابد في أعماقه أو على ذراه . وبرز نحت الواجهات المعمارية الزخرفية الرشيقة للمدافن . وقد أبدع فن العمارة النبطي طرزاً جديدة من تيجان الأعمدة فيه اختزال وجمال .

أما النحت النبطي فهو أقل طرافة وأهمية ، وظهر في منحوتاتهم مزج الفن الإغريقي والتقاليد المحلية . وقد مالوا إلى النقش البارز أكثر من ميلهم إلى التماثيل .

وكان إبداع الأنباط أعظم في ميدان صناعة الفخار* ، فقد تركوا إلى جانب الفخار العادي فخاراً رقيقاً ناعماً جيّد الشيّ ذا لون وردي أو طحيني ، مزخرفاً بلون زهري أو خمري أو قاتم . واستخدموا في زخرفهم أشكالاً نباتية ، ثم أكثروا في طور متأخر من عناصر زخرفية هندسية في داخلها طلاء أبيض .

كان أول من زار البتراء وكشف موقعها بوركهارت عام ١٨١٢ م ، ثم تلاه عدد من الرحالة والعلماء . وكثر المستكشفون الألمان في مطالع القرن العشرين . وأشهرهم فيغاند *Th . Weigand* الذي قام بدراسة هندسية عن البتراء خلال الحرب العالمية الأولى . وتعود أعمال التنقيب الأولى إلى عام ١٩٢٩ . ثم قامت مديرية الآثار الأردنية منذ عام ١٩٥٤ بأعمال التنقيب والترميم المختلفة بمشاركة البعثات الأثرية الأجنبية أو باتفاق مع منظمة اليونسكو . ومن المواقع النبطية التي تلي البتراء أهمية من الناحية الأثرية : الحِجْر ، أو مدائن صالح ، وواحة العلا ، وواحة الجوف ، أو دومة الجندل ، ومأدبا وسبع .

المراجع :

ـ جواد علي : المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، بيروت ، ١٩٦٩ .

— Contineau, J.: **Le Nabatéen,** Paris 1930.1932.
— Dalman, G.: **Petra und seine Felsheiligtümer,** Leipzig 1908.
— Hammoad, Ph.: **The Nabataens, Their History , Culture, and Archaeology,** Lund 1973.
— Kammerer, A: **Petra et la Nabaténe,** Paris 1929.
— Linder , M.: **Petra und das Königreich der Nabatäer,** Bad Windsheim 1974.
— Musil, A.: **Arabia Petraea,** Wien 1907.
— Musil, A.: **The Northern Hezaz,** New York 1926.
— Shippan, I.Sh.: **The Nabataean State and its culture** (in Rassian), Moscow 1976.
— Weigand, Th: **Petra,** Berlin 1921.

الانتداب على فلسطين (صك ـ) :

أ ـ وعود الحلفاء : كانت فلسطين العربية ولاية عثمانية ، ثم تحررت من هذه التبعية بفضل نضال العرب وتضحيات جيشهم الذي كان ميمنة القوات التي دخلت فلسطين بقيادة « اللنبي » عام ١٩١٧ . وقد احتلت جيوش الحلفاء فلسطين بزعم تحريرها وضمان استقلالها ، ولم تكن الصفة الاستعمارية لهذا الاحتلال واضحة آنئذ ، وثمة أكثر من دليل على هذا :

١) فقد صرح الرئيس الأمريكي ولسن في شهر كانون الأول سنة ١٩١٥ بأن " الفتح والاستيلاء ليسا داخلين في برامج الحكومات الديمقراطية ولا يتفقان مع مذاهبها " .

٢) وصرح الجنرال اللنبي يوم دخوله القدس في ١٩١٧/١٢/٢٩ بأن " غاية الاحتلال البريطاني هي تحرير فلسطين من النير التركي وإنشاء حكومة وطنية حرة فيها " .

٣) وأعلن لويدجورج رئيس وزراء بريطانيا في خطاب ألقاه في اجتماع نقابات العمال البريطانية في ١٩١٨/١/١٥ " أن بريطانيا تعترف بحق فلسطين وسورية والعراق والجزيرة العربية في الحرية والاستقلال وتكوين حكومات وطنية فيها " .

٤) وفي ١٩١٨/٢/٨ أرسل بلفور صاحب التصريح الشهير (ر : بلفور، وعد) برقية إلى الشريف حسين بن علي باسم الحكومة البريطانية ودول الحلفاء جاء فيها "وحكومة صاحب الجلالة البريطانية تؤكد مرة أخرى وعودها السابقة بتأييد استقلال العرب ومساعدة البلاد العربية التي لم تنل استقلالها بعد على الحصول عليه بعد الحرب " .

٥) وأصدرت بريطانيا وفرنسا في ١٩١٨/١١/٧ تصريحاً (ر : البيان الانكلو ـ فرنسي ١٩١٨) أكدتا فيه أن السبب الذي حاربتا من أجله في الشرق هو تحرير الشعوب العربية ، وإقامة حكومات وإدارات وطنية تستمد سلطتها من اختيار الأهالي الوطنيين فيها اختياراً حراً " .

وإذاً فقد التزم الحلفاء صراحة وعلناً بتأييد استقلال فلسطين وإنشاء حكومة وطنية فيها يختارها شعب فلسطين العربي . وهذا ما تمسك به العرب منذ البداية على لسان فيصل بن الحسين أمام مؤتمر فرساي في القرارات التي أصدرها المؤتمر السوري العام " عام ١٩١٩ . أي أن حق فلسطين في الاستقلال التام حق ثابت قانونياً .

لكن الحلفاء تعاموا عن هذه الحقيقة الواضحة لأن أغراضهم الحقيقية كانت عكس ما وعدوا به العرب . كانت أغراضهم الحقيقية هي الحلول محل الاحتلال العثماني ، واقتسام مناطق نفوذه فيما بينهم ، وتهيئة فلسطين العربية لتكون دولة الحركة الصهيونية الموعودة . وتكشفت نواياهم هذه في اتفاقية سايكس ـ بيكو " الشهيرة عام ١٩١٦ . وقد قرروا وضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني لتحقيق أهدافهم في خدمة الصهيونية مستندين إلى نص في ميثاق عصبة الأمم " يقدم الاستعمار التقليدي في « زي جديد » .

ب ـ نظام الانتداب في عهد عصبة الأمم : يستند الانتداب البريطاني على فلسطين من الناحية القانونية إلى المادة ٢٢ من عهد عصبة الأمم التي تنص بعض فقراتها على :

" ١) أن تطبق المبادىء التالية على المستعمرات والأقاليم التي لم تعد بعد الحرب تحت سيادة الدول التي كانت تحكمها من قبل والتي تسكنها شعوب غير قادرة على أن توجه نفسها بنفسها ولا سيما في ظروف مدنية العالم الحديث القاسية . إن رفاهية وتقدم هذه الشعوب يعتبران أمانة مقدسة في عنق المدنية ، ويجب أن يحوي العهد الحالي ضمانات للوفاء بهذه الأمانة .

" ٢) إن الطريقة الفضلى لتحقيق هذا المبدأ هي أن يعهد بالوصاية على هذه الشعوب إلى أمم راقية تمكنها مواردها وتجاربها ومركزها الجغرافي من تحمّل تلك المسؤولية وتقبل تحملها فوراً . إنها تمارس تلك الوصاية بصفتها منتدبة باسم العصبة .

" ٣) إن بعض الجماعات التي كانت تتبع الدولة العثمانية قد بلغت درجة من الرقي والتقدم تجيز الاعتراف بها أمماً مستقلة ، بشرط أن تسدي إليها الدولة المنتدبة النصح والمعونة حتى يأتي الوقت الذي تستطيع فيه أن تعتمد على نفسها ، ويجب ان يكون لرغبات هذه الجماعات الاعتبار الأساسي في اختيار الدولة المنتدبة " .

والواضح من نص الفقرة الأولى للمادة أن غاية نظام الانتداب ، أو الحكمة التي ادّعاها أربابه من ورائه ، هي رفاهية الشعوب التي توضع تحت نظام الانتداب ورقيها . وقد عدت تلك الغاية أمانة مقدسة في عنق المدنية عمل عهد عصبة الأمم على تحقيقها عن طريقين إجرائيين هما :

١) إجراء عام : هو نظام الانتداب ذاته . لذلك نصت الفقرة الثانية من المادة ٢٢ على أن يتحرى في اختيار الدولة المنتدبة أن تكون من الدول الراقية التي يمكنها أن تقوم بهذه المهمة فعلاً بسبب مواردها وتجاربها ومركزها الجغرافي .

٢) إجراء خاص : هو الالتزامات المحددة التي يتضمنها صك الانتداب والتي يشترطها مجلس العصبة على الدولة المنتدبة لضمان حسن قيامها بواجبها نحو رفاهية وتقدم شعوب الأقاليم الموضوعة تحت الانتداب .

كذلك تنص الفقرة الرابعة من المادة ٢٢ على أن الجماعات التي كانت تتبع الدولة العثمانية فيما مضى (ومنها بالطبع فلسطين) قد وصلت في تقدمها إلى مرحلة تؤهلها أن تكون أمماً مستقلة . وقد حصرت الفقرة المذكورة مهمة الدولة المنتدبة في تقديم النصح والمعونة فحسب ، واعتبر الانتداب في هذه الحالة من الدرجة أ . ولما كانت الفقرة الأولى تنص على أن الدولة المنتدبة تستمر في تقديم النصح والمعونة حتى يأتي الوقت الذي تستطيع فيه الجماعات التي كانت تتبع الدولة العثمانية أن تعتمد على نفسها فقد ثار التساؤل حول السيادة على الأقاليم التي تسكنها هذه الجماعات وإلى من تعود

تلك السيادة خلال الانتداب . وقد ظهرت في ذلك نظريات شتى أقربها إلى منطق المادة ٢٢ ذاتها تلك التي تقول إن السيادة على أقاليم الانتداب لم تنتقل إلى الدول الكبرى أو إلى عصبة الأمم او إلى الدولة المنتدبة بل ظلت ملكاً لشعب الإقليم الخاضع للانتداب لأنه صاحب السيادة أصلاً .

وما دام الانتداب ، على ما يوجه إليه من انتقادات أخلاقية وقانونية ، يستند في مبرره القانوني إلى نص المادة ٢٢ من عهد العصبة فإن صك الانتداب يجب أن يتقيد بأحكام المادة كما أن نصوصه يجب أن تفسر عند الشك أو الغموض على هدي المادة المذكورة ، ومن ثم فإن ما قد يحويه صك الانتداب على الأقاليم التي سلخت عن تركيا من مخالفات للمادة ٢٢ يعتبر باطلاً قانوناً ولا يجوز إقراره ، وتُسأل الدولة المنتدبة عن تنفيذه طبقاً لأحكام المسؤولية الدولية . فإلى أي حد روعيت المادة ٢٢ من ميثاق العصبة في فرض الانتداب البريطاني على فلسطين ، من حيث اختيار الدولة المنتدبة ، أو من حيث التزاماتها تجاه شعب الإقليم ؟

جـ ـ الانتداب على فلسطين : تنص الفقرة الرابعة من المادة ٢٢ من عهد العصبة على أنه " يجب أن يكون لرغبات هذه الجماعات (أي الجماعات التي توضع تحت الانتداب) الاعتبار الأساسي في اختيار الدولة المنتدبة " .

لكن الحلفاء لم يراعوا حتى هذا الإجراء الشكلي ، فقد اتفقوا في مؤتمر سان ريمو * الذي عقد في ١٩٢٠/٤/٢٥ على وضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني ، وتقدموا بمشروع صك الانتداب إلى عصبة الأمم دون أي اعتبار لرغبات شعب الإقليم . وهذه المخالفة وحدها ترتّب بطلان الانتداب من أساسه . وقد وصف العلامة هنري رولان ذلك التصرف بقوله : " ما دام الأمر قد جرى على هذه الصورة فالأولى بنا أن نقول إن ذلك ليس إلاّ بيعاً تجارياً ، وإن مجلس الدول الخمس الكبرى المتحالفة (بريطانيا ، والولايات المتحدة الأمريكية ، وفرنسا ، وإيطاليا ، واليابان) لم يفعل في سان ريمو في ٢٥ نيسان ١٩٢٠ باقتسامه البلاد العربية بين أعضائه ، إشباعاً لمطامع غير شرعية ، غير ما فعله في ٧ أيار عام ١٩١٩ عندما اقتسم المستعمرات الألمانية " .

واستنكر الأمين العام لعصبة الأمم ـ في مذكرة قدمها إلى مجلس العصبة بتاريخ ١٩٢٠/٧/٣٠ ـ عمل المجلس الأعلى للحلفاء ، وقال : " إن توزيع الدول الكبرى للانتدابات ليس قانونياً ولا يمكن الاعتراف به " . وأيد المسيو هيماش (مندوب بلجيكا) هذه النظرية وأعلن أن قيام المجلس الأعلى بتوزيع الانتدابات يخالف عهد العصبة وأحكام القانون .

وأكد الفقيه فوشيل " أن اختيار الدول المتحالفة الكبرى بريطانيا العظمى للانتداب على فلسطين قد جرى خلافاً لأحكام ونص المادة ٢٢ من ميثاق العصبة . فهو إذن باطل من الوجهة القانونية ولا يقام له وزن " .

لكن الحلفاء الذين فرضوا بريطانيا دولة منتدبة لم يكونوا من الناحية العملية ليعيروا أي اهتمام لأهداف العصبة أو عهدها بل كان همهم الرئيسي إضفاء الشرعية على وعد بلفور * الذي كان يفتقر إلى مثل هذه الشرعية ووضعه موضع التنفيذ . ومَنْ أفضل من بريطانيا التي صدر عنها الوعد لمثل هذه المهمة ؟ ومن أفضل من مجلس العصبة (التي هي في التحليل النهائي منظمة أقامها الحلفاء لتكريس انتصاراتهم) لمباركة قيام بريطانيا بمهمتها ؟

هذا ما يؤكده صك الانتداب ذاته الذي أقره مجلس عصبة الأمم في ١٩٢٢/٧/٢٤ والذي تسلمت بموجبه بريطانيا رقي رعاية العصبة " مهمتها التاريخية " في فلسطين .

د ـ مضمون الصك : تقول مقدمة الصك : " ولما كانت دول الحلفاء الكبرى قد وافقت أيضاً على أن تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن تنفيذ التصريح الذي أصدرته في الأصل حكومة صاحب الجلالة البريطانية في اليوم الثاني من شهر تشرين الثاني عام ١٩١٧ ، وأقرته الدول المذكورة لصالح إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين على أن يفهم جلياً أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن يضر بالحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية الموجودة الآن في فلسطين أو بالحقوق والوضع السياسي مما يتمتع به اليهود في أية بلاد أخرى .

" ولما كان قد اعترف بذلك بالصلة التاريخية التي تربط الشعب اليهودي بفلسطين وبالأسباب التي تبعث على إعادة إنشاء وطنهم القومي في تلك البلاد . . . " .

وتنص المادة الثانية من الصك على أن " تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن وضع البلاد في أحوال سياسية وإدارية واقتصادية تضمن إنشاء الوطن القومي اليهودي وفقاً لما جاء في ديباجة هذا الصك ، ومن ترقية مؤسسات الحكم الذاتي ، وتكون مسؤولة عن صيانة الحقوق المدنية والدينية لجميع سكان فلسطين بغض النظر عن الجنس والدين " .

وهكذا يتضح ، ومن غير حاجة إلى استنتاج أو تكهن ، أن السلطة المنتدبة على فلسطين لم تكن غايتها ، كما نصت المادة ٢٢ من عهد العصبة ، تحقيق رفاهية وتقدم شعب الإقليم الأصلي كأمانة مقدسة في عنق المدنية بل بكل بساطة التمهيد والتهيئة لترجمة وعد بلفور إلى واقع عملي ، وإقامة الدولة اليهودية في فلسطين . أما سكان البلاد وأغلبيتهم الساحقة يومئذٍ من العرب فكل ما التزمت به بريطانيا تجاههم هو عدم المساس بحقوقهم المدنية والدينية (لا السياسية) فقط .

ويمضي صك الانتداب في تجاهل الشعب الفلسطيني الذي يفترض أن الانتداب أقيم من أجل إيصاله إلى الرفاهية والتقدم والاستقلال الناجز ، فلا ينص في أية مادة منه على تعامل سلطة الانتداب مع هيئات تمثله ، ولو على غرار الوكالة اليهودية * . أما اليهود وهم يومئذٍ أقلية قليلة فقد خصص الانتداب لهم من يمثلهم ، وألزم السلطة المنتدبة بالتعامل مع هذا الممثل . وفي هذا تنص المادة الرابعة منه على ما يلي :

" يعترف بوكالة يهودية ملائمة كهيئة عمومية لإسداء المشورة إلى إدارة فلسطين والتعاون معها في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية وغير ذلك من الأمور ، ولتساعد وتشترك في ترقية البلاد على أن يكون ذلك خاضعاً دوماً لمراقبة الإدارة .

" ويعترف بالجمعية الصهيونية كوكالة ملائمة ما دامت الدولة المنتدبة ترى أن تأليفها ودستورها يجعلانها صالحة ولائقة لهذا الغرض . ويترتب على الجمعية الصهيونية أن تتخذ ما يلزم من التدابير ، بعد استشارة حكومة صاحب الجلالة البريطانية ، للحصول على معونة جميع اليهود الذين يبغون المساعدة في إنشاء الوطن القومي اليهودي " .

ولما كان الحلفاء يعلمون أن اليهود في فلسطين كانوا ، عند إقامة نظام الانتداب ، قلة قليلة في البلاد لا تملك من الأراضي إلا النزر اليسير فقد نصوا في صك الانتداب على تشجيع هجرة يهود « الشتات * ـ الدياسبورا » إلى فلسطين ، ومنحهم الجنسية وتمليكهم الأراضي بأسهل الشروط . وفي هذا تقول المادة السادسة " على إدارة فلسطين أن تسهل هجرة اليهود في أحوال ملائمة مع ضمان عدم إلحاق الضرر بحقوق فئات الأهالي الأخرى وأوضاعهم ، وأن تشجع بالتعاون مع الوكالة اليهودية المشار إليها في المادة الرابعة حشد اليهود في الأراضي الأميرية والأراضي الموات غير المطلوبة للمقاصد العمومية " .

أما المادة السابعة فتنص على أن " تتولى إدارة فلسطين مسؤولية سن قانون الجنسية . ويجب أن يشتمل هذا القانون على نصوص تسهل اكتساب اليهود الذين يتخذون فلسطين مقاماً دائماً لهم الجنسية الفلسطينية " .

ويجب ألاّ يغرّنا ما ورد في المادة السادسة السالفة الذكر من ضرورة ضمان " عدم إلحاق الضرر بحقوق ووضع فئات الأهالي " ، فالشعب العربي الفلسطيني في نظر أرباب صك الانتداب ليس أكثر من « أهالي » . وقد بينت مواد الصك الأخرى أن الحقوق والأوضاع التي يجب ألاّ تمس لهؤلاء « الأهالي » هي الحقوق المدنية والدينية لا أكثر . ثم كيف يعقل منطقياً أن يفتح باب إقليم ما على مصراعيه أمام هجرة أجانب أغراب عنه فينالوا بأيسر الشروط حق التجنس والتملك دون أن يؤثر ذلك في حقوق أغلبية السكان وأوضاعهم، حتى المدنية ؟ كلها أسئلة تغافل عنها أرباب الصك الذين ما تركوا مجالاً لاجتهاد في أن « الوطن القومي » الذي وعد به بلفور اللورد روتشيلد هو في الواقع « دولة يهودية » . فهذا نص المادة ١١ من صك الانتداب يوضح أن " إدارة البلاد تتفق مع الوكالة اليهودية (دون سواها) على أن تقوم هذه الوكالة بإنشاء أو تسيير الأشغال والمصالح والمنافع العمومية ، وترقية مرافق البلاد الطبيعية بشروط عادلة ومنصفة ، ما دامت الإدارة لا تتولى هذه الأمور بنفسها " .

وهذا نص المادة ٢٢ من الصك يقضي بأن " تكون الإنكليزية والعربية والعبرية اللغات الرسمية في فلسطين . وكل عبارة أو كتابة بالعربية وردت على طابع او عملة يستعملان في فلسطين يجب أن تكرر بالعبرية . وكل عبارة أو كتابة بالعبرية يجب ان تكتب بالعربية " .

ويذهب بعض الكتاب في محاولة للتقليل من آثار صك الانتداب السياسية والقانونية السلبية على الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني إلى التفتيش عن التناقضات او التباينات التي احتواها الصك سواء في صياغته أو في مضمون بعض مواده . ومن ذلك مثلاً أن الصك تكلم عن هيئتين : الدولة المنتدبة وحكومة فلسطين ، وجعل الدولة المنتدبة مسؤولة عن بعض الضمانات وجعل حكومة فلسطين مسؤولة عن بعضها الآخر، مما يؤكد في نظرهم "أن حكومة فلسطين ليست هي الدولة المنتدبة" . ويخلص هؤلاء إلى أن ما قرره عهد العصبة من استقلال فلسطين وما جاء به صك الانتداب في مختلف نصوصه يفترض أن هناك "سلطات وطنية لفلسطين تقوم الدولة المنتدبة بمساعدتها بصورة غير مباشرة عن طريق النصح والإرشاد" لتحقيق أهداف عصبة الأمم من نظام الانتداب أصلاً ، ونعني تحقيق رفاهية وتقدم الشعب الموضوع في ظل هذا النظام . أما ما أسلفنا من نصوص دامغة في صالح تحقيق الدولة اليهودية (كتعبير حقيقي عن المقصود بالوطن القومي لليهود) فيرتب ـ في نظر هؤلاء الكتاب ـ على السلطة المنتدبة وحدها الالتزام بذلك ، وفي حدود روح ونص المادة ٢٢ من عهد عصبة الأمم . ومن شأن ذلك ، فيما يرى هؤلاء ، أن ما ورد من نصوص لصالح اليهود في صك الانتداب لا يمكن جعله على أكثر من اعتبارهم أقلية تستحق الرعاية دون أن تؤدي هذه الرعاية إلى الإضرار بحقوق الأغلبية العربية ومصالحها .

والحقيقة أن مثل هذه الآراء وسواها قد تصلح لجدل فكري مجرد حول صك الانتداب على فلسطين . ولكن الواقع الذي طبق هذا الصك من خلاله يجعل هذه الآراء ، على وجاهتها ، أقرب إلى ما كان يجب أن يحصل مما حصل فعلاً تحت سمع وبصر عصبة

الأمم والعالم كله . إن المشكلة في صك الانتداب على فلسطين ليست فيما حواه من تناقضات وتباينات داخل إطاره ، وهي كثيرة ، بل في تناقضه البيّن مع المادة ٢٢ من عهد العصبة نصاً وروحاً ، وهذا ما يجعله في رأي الكثيرين من المحللين باطلاً شكلاً وموضوعاً . ولا أدل على ذلك من أن أكثر من عضو في اللجنة السياسية الخاصة للجمعية العامة للأمم المتحدة قد طرح قبيل اتخاذ الجمعية قرار التقسيم الشهير موضوع سؤال محكمة العدل الدولية عن شرعية هذا الصك في ضوء عهد عصبة الأمم . غير أن العوامل السياسية ذاتها التي فرضت صك الانتداب على فلسطين بالشكل والموضوع اللذين طبقا فيه حالت دون وصول هذا السؤال إلى المحكمة الدولية لتقول كلمة الحق والعدل فيه .

والحقيقة التاريخية أن هذا الصك ، رغم عدم شرعيته ، طبق كما اشتهت الحركة الصهيونية تماماً ، وآل إلى ما لم تكن تنص عليه المادة ٢٢ من ميثاق العصبة ، وإلى ما لا يحقق العدالة والإنصاف لشعب فلسطين ، فكان فصلاً من فصول مأساة فلسطين العربية التي يعيشها العالم حتى اليوم .

المراجع :

- محمد طلعة الغنيمي : قضية فلسطين أمام القانون الدولي ، ١٩٦٧ .
- محمد عزة دروزة : حول الحركة العربية الحديثة ، بيروت ١٩٦٠ .
- محمد عزيز شكري : التنظيم الدولي العالمي بين النظرية والواقع ، دمشق ١٩٧٣ .
- Charles Ayoub : **Les Mandats Orientaux,** Paris 1924.
- Koliar : **Droit International et Histoire Diplomatique de 1815 à 1950,** Paris 1955.
- Ridslob : **Le Système des Mandats Internationaux,** Paris 1925.
- Zeindeen : **Le Régime du contrôle des Mandats.**

الانتدابات الدائمة (لجنة ـ) : رَ : عصبة الأمم

انتقال الأراضي (قانون ـ ١٩٢٠) :

كانت القوانين والأنظمة العثمانية عقبة أمام انتقال الأراضي إلى الصهيونيين ، فقد حصرت القوانين الانتقال برعاياها وفيهم الفلسطينيون . أما بالنسبة إلى الشركات فقد وضع القانون العثماني الصادر بتاريخ ٢٢ ربيع الأول ١٣٣١هـ (١٩١٣م) المتعلق بحق الشركات في امتلاك الأراضي قيوداً على الشركات التي تؤسس بقصد الزراعة من أهمها :

١) أن تكون أسهمها اسمية ، وهذا يحول دون حصول الأجانب عليها .

٢) أن يكون حامل الأسهم من التبعية العثمانية .

٣) أن يصرح في نظامها المصدق من الحكومة بصلاحيتها لتملك العقارات .

٤) ألّا تكون الأراضي مجاورة للقدس .

وقد وصف وايزمن خطورة القوانين العثمانية التي ظلت نافذة في فلسطين لمدة قصيرة بقوله : "لا يمكن أن يكون في فلسطين وطن قومي بدون أرض . وإن تضييق هجرتنا لأسباب سياسية ، أو وضع قانون يجعلنا غير قادرين على شراء الأراضي اللازمة لإنشاء مستعمراتنا معناه الفعلي محو سياسة الانتداب نفسها " . لكن الإدارة العسكرية لفلسطين بين عامي ١٩١٨ و١٩٢٠ كانت إدارة مؤقتة تمثل مرحلة انتقالية . وإذا كانت قد قامت بتقييد عمليات شراء الأراضي ، وأقفلت دوائر السجل العقاري بعد أن نقل الأتراك أو أتلفوا بعض سجلاتها ، فإن هذه الدوائر عادت تفتح أبوابها في أيلول ١٩٢٠ بعد أن أصبحت فلسطين تحت الانتداب البريطاني برئاسة مندوب سام بريطاني صهيوني هو هربرت صموئيل وقد استخدم هذا جميع سلطاته لتنفيذ المخططات الصهيونية ، ولا سيما في مجال تغيير القوانين العثمانية ، والاستعاضة عنها بقوانين جديدة تضفي الشرعية على عمليات انتقال الأراضي إلى الصهيونيين . فكان قانون انتقال الأراضي الذي صدر في أيلول ١٩٢٠ أول قانون يمهد الطريق أمام اليهود لامتلاك الأراضي . وكان ذلك إرضاء لوايزمن الذي ادّعى أن سبب الجمود الذي تعاني منه حياة البلاد الاقتصادية يرجع إلى إغلاق السجل العقاري ، وقال : " إن بناء الفنادق والمنازل وافتتاح المشاريع الصناعية والعمرانية وسواها من التحسينات التي تبرز الحاجة إليها ملحّة يجري وقفها نتيجة للقيود المفروضة على انتقال الأراضي " .

وزعم أو . أ . سكوت من موظفي وزارة الخارجية البريطانية أن هدف الإدارة من إصدار القانون وإعادة فتح دوائر السجلات العقارية هو مساعدة السكان أثناء البلاد وإعطاؤهم فرصة " إشباع حاجاتهم ، والاستقرار باطمئنان قبل بدء الهجرة الصهيونية التي من المحتمل أن يشرع بها فور تشكيل الإدارة المدنية " .

لكن الحقيقة كانت غير ذلك لأن قانون انتقال الأراضي وضع الشروط الملائمة لاستيلاء الصهيونيين على الأرض . فقد جاء في ديباجته " رئي من المناسب أن يصرح بمعاملات يكون الغرض منها استعمال الأرض وزرعها حالا " ، أي أن القانون سمح بتسجيل

أعمال البيع والشراء . وحدد في المادة السادسة شروط امتلاك الفرد العقارات بما يلي :

١) الإقامة في فلسطين .

٢) أن ينوي زراعتها أو إعمارها بنفسه حالا .

٣) ألا يزيد الحد الأقصى لمساحة الأرض المسموح بنقل ملكيتها على :

(١) ٣٠٠ دونم في الأراضي الزراعية .

(٢) ٣٠ دونماً داخل المدن .

أما الأراضي التي تزيد مساحتها على الحد الأعلى فقد أعطي المندوب السامي البريطاني سلطة الموافقة على انتقالها (المادة الثامنة) . وإذا كان المشتري غير مقيم في فلسطين تسجل الأرض باسم « المصلحة العامة » التي تعني في نظر المندوب السامي ـ كما حددها صك الانتداب * ووعد بلفور * ـ إنشاء الكيان الصهيوني في أوسع مساحة ممكنة من الأرض الفلسطينية . وإذا أضيف إلى هذا التفسير للمصلحة العامة السلطات الواسعة التي يتمتع بها المندوب السامي أمكن إدراك الخطورة الفعلية لهذا القانون لأن المندوب السامي لم يكن يتوانى عن إعطاء موافقته ، بل استغلال نفوذه ، لتمليك الصهيونيين أكبر مساحة ممكنة من الأراضي الزراعية في فلسطين .

عمد القانون الجديد إلى إزالة جميع القيود المفروضة على انتقال الأراضي إلى الشركات الصهيونية . فقد أجاز لأي شركة تشتغل بالصرافة أو بالأعمال التجارية أن تمتلك الأراضي للقيام بمشروعها ، إذ نصت المادة الثامنة على أنه " يجوز للمندوب أن يخول أية شركة تتعاطى الصرافة حق ارتهان الأراضي ، وأن يجيز لأية شركة تجارية مسجلة في فلسطين امتلاك الأراضي الضرورية لمشروعها ، ويجوز له ـ مع مراعاة الشروط الواردة في القانون العثماني ـ أن يوافق على انتقال أية أرض الى أية هيئة مسجلة " . فالقانون إذن اشترط الإقامة في فلسطين لبيع أية أرض إلى أية هيئة أو شركة مسجلة .

ولتنفيذ مخطط شركات الصرافة عملت إدارة المندوب السامي على إغلاق المصرف الزراعي ، وهو الوحيد في فلسطين . فاضطر الفلاح الفلسطيني إلى اللجوء إلى شركات الصرافة الصهيونية للحصول على القروض . وإذا لوحظت الفوائد العالية التي كانت تؤخذ على القروض ، والضرائب الباهظة التي كانت تثقل كواهل الفلاحين ، أمكن إدراك خطورة الأمر ، لأن قانون انتقال الأراضي نصّ على جعل المال غير المنقول مرتهناً ، بل أجاز بيع الأموال غير المنقولة تنفيذاً لحكم أو وفاء لرهن .

وقد تضمن قانون انتقال الأراضي لعام ١٩٢٠ بعض القيود التي تمنع المضاربات في شراء الأراضي ، ووجوب موافقة المندوب السامي على البيع ، لكن هذه القيود أتت شكلية . وعلى الرغم من ذلك أصدرت حكومة الانتداب عام ١٩٢١ ، بتأثير الصهيونيين ، تعديلاً ألغى المواد التي اعتبرها هؤلاء عقبة في سبيل تملكهم للأرض . وبهذا التعديل فتحت الأبواب على مصاريعها لحيازة الأرض العربية .

بعد تسع سنوات من وضع القانون موضع التنفيذ صرّح مدير دائرة الأراضي إلى لجنة شو* " أن القانون لم تتضح معالمه في حال من الأحوال " . وقد انتقلت مساحات واسعة من الأراضي الفلسطينية إلى اليهود (نحو نصف مليون دونم في منطقة الحولة ووادي الحوارث * ومرج ابن عامر *) . وجدير بالذكر أن هذه الأراضي كانت من أملاك أسر لبنانية وسورية تعيش خارج فلسطين .

لقد نتج عن عمليات الاستيلاء على الأراضي وجود طبقة من الفلاحين الذين لا يملكون الأرض ، فبين العائلات العربية البالغة ٨٦,٩٨٠ عائلة لم يكن ثلثها يملك أرضا لزراعتها والعيش منها . والأخطر من ذلك موقف الصهيونيين الذين كانوا يرفضون تشغيل العامل العربي . وهكذا غدت عملية تشريد الفلاحين ، بنتيجة هذا القانون وأمثاله ، خطرا سياسيا واجتماعيا على الشعب الفلسطيني .

المراجع :

ـ إبراهيم أبولغد : تهويد فلسطين ،بيروت ١٩٧٢ .

ـ دورين انغرامز : أوراق فلسطين ١٩١٧ ـ ١٩٢٢ ، بذور القضية ، بيروت ١٩٧٢ .

ـ نقابة المحامين الأردنية : موسوعة التشريع الأردني ، ج ٤ ، عمان .

ـ عادل حامد الجادر : التشريعات البريطانية لتهويد فلسطين ١٩١٧ ـ ١٩٤٨ ، مجلة مركز الدراسات الفلسطينية ، عدد ١٣ ، بغداد ١٩٧٥ .

انتقال الأراضي (نظام ـ ١٩٤٠) :

قدر تقرير رسمي بريطاني نشره جون هوب سمبسون * عام ١٩٣٠ أن مساحة الأراضي الصالحة للزراعة في فلسطين ـ إذا استثنيت منطقة بير السبع لاستحالة استغلالها ـ تبلغ ٦,٥٤٤,٠٠٠ دونم يملك اليهود منها مليوناً واحداً ، أي نسبة ١٤٪ . ونتيجة لسياسة الحكومة المنتدبة أصبحت فيما بعد الأراضي الصالحة للزراعة التي يملكها العرب لا تكفي للمحافظة على مستوى لائق لمعيشتهم . وقد اضطر عدد كبير منهم إلى ترك أراضيهم ، وأصبح ٢٩٪ من العائلات العربية بدون أرض . ومن هذا يمكن إدراك مدى الخطر الذي كان يتهدد العرب في ضوء حقيقة أن الحركة

الاستيطانية الصهيونية آنذاك حرّمت استخدام العرب في مشاريعها . فقد جاء في دستور الوكالة اليهودية * " أن المبدأ العام الذي ينبع في جميع الأشغال او المشاريع التي تقوم بها الوكالة أو تنشطها هو استخدام العمال اليهود فقط " . فالعربي لم يحرم من الأرض فقط بل منع من العمل فيها أجيراً . هذا إضافة إلى الأوضاع السيئة التي كان الفلاح العربي يرزح تحتها ، والمتمثلة في إغراقه في الفقر والديون والضرائب وحرمانه من المساعدات المادية والعلمية التي كان ينعم بها الفلاح اليهودي . وقد اعترف سمبسون في تقريره بأن " البلاد لا تتسع لكائن جديد " وإثر ذلك أصدرت الحكومة المنتدبة الكتاب الأبيض عام ١٩٣٠ ، ونص على تحسين أساليب الزراعة لزيادة الفائدة من الأرض وحماية مستأجريها . ولكنه بقي حبراً على ورق (ر : باسفيلد ، كتاب ـ الأبيض ١٩٣٠) .

ازدادت أوضاع المزارعين العرب سوءاً بين عامي ١٩٣٦ و ١٩٣٩ نتيجة قيام شعب فلسطين بثورته الكبرى والإضراب الشامل الذي واكبها (ر : ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩) . ولقد قامت تلك الثورة احتجاجاً على استمرار تدفّق المهاجرين وانتقال الأراضي العربية إلى اليهود ، وإثقال كاهل الفلاح بالضرائب ، وإهمال إنشاء المصارف الزراعية ، مما جعل العرب يقعون فريسة لجشع المرابين الصهيونيين .

عندما اشتدت المعارك الحربية بين ثوار فلسطين من جهة والصهيونيين وحلفائهم الإنكليز من جهة أخرى ، كادت الأمور تفلت من يد الدولة المنتدبة في وقت كانت فيه الحرب العالمية الثانية على الأبواب ، وبريطانيا في أمسّ الحاجة لتحسين موقعها في المنطقة . لذلك عمدت الحكومة البريطانية ـ كعادتها ـ إلى إرسال لجنة تحقيق وإصدار توصيات لحل النزاع . وقد أرسلت هذه المرة لجنة بيل * عام ١٩٣٧ .

وما كاد تقرير بيل ينشر حتى عمّت الثورة المسلحة جميع أنحاء فلسطين ، في حين أعربت الدول العربية المجاورة لفلسطين عن عدم ارتياحها للتقرير ، فعادت بريطانيا لإصدار ما سمي الكتاب الأبيض عام ١٩٣٩ (ر : ماكدونالد ، كتاب ـ الأبيض ١٩٣٩) محاولة منها لكسب العرب إلى جانبها في الحرب العالمية الثانية ، أو على الأقل جعلهم على الحياد . وفي إثر هذا الكتاب أصدرت بريطانيا نظام انتقال الأراضي في ٢٨/٢/١٩٤٠ . وجاء هذا النظام تنفيذاً للمادتين ١٦ و١٧ من الكتاب الأبيض . وهو يهدف إلى تخفيف حدة التوتر وحالات العنف في البلاد . وقد قسمت فلسطين بموجبه إلى مناطق هي :

١) المنطقة الأولى : تشمل المناطق الجبلية الفقيرة اقتصادياً والقسم الجبلي الداخلي ومنطقة الجليل الغربي وجزءاً من منطقة غزة وبير السبع . وفي هذه المناطق يمنع انتقال الأراضي إلاّ إلى العربي الفلسطيني ، مع وجود بعض الحالات الاستثنائية ، إذ مُنح المندوب السامي في البند (د) من المادة الثالثة سلطة تخوّله السماح بنقل ملكية الأرض إلى غير العرب الفلسطينيين . وكثيراً ما استغل المندوب السامي هذه السلطة لنقل الأراضي إلى اليهود . وأمثلة ذلك كثيرة منها أن المندوب السامي أصدر أمراً " بالسماح بانتقال أية أرض " من أراضي قرية العنب (أبو غوش) " أو أي جزء منها أو أي حق فيها أو في قسم منها لأي شخص ليس من العرب الفلسطينيين " .

٢) المنطقة الثانية : وتشمل مرج ابن عامر * وشرقي الجليل والسهول الساحلية الممتدة من حيفا * والطنطورة * وجنوب الرملة إلى القسم الجنوبي من قضاء بير السبع . وتقيّد فيها عملية انتقال الأراضي التي يملكها الفلسطينيون العرب إلى اليهود بموافقة المندوب السامي . ومما يجدر ذكره أن المندوب السامي كان يمنح موافقته لغير العرب بحجة توحيد أو توسيع أو تسهيل شؤون أي ممتلكات تكون في ذلك الحين بتصرف المنقول إليه ، أو بتصرف طائفة خاصة ، إذا كانت مجاورة لتلك الممتلكات ، لأجل مشاريع العمران أو الإفراز . إضافة إلى أن المادة الرابعة من نظام انتقال الأراضي تجيز انتقال الأراضي التي يملكها العرب غير الفلسطينيين ، كالعائلات اللبنانية والسورية ، إلى اليهود .

٣) المنطقة الثالثة : تشمل جميع مناطق البلديات ، ومنطقة حيفا الصناعية ، وبصورة عامة الساحل الفلسطيني من الطنطورة إلى الحد الجنوبي لقضاء الرملة . وهذه المناطق لا تنطبق عليها القيود المفروضة على المنطقتين الأولى والثانية . فانتقال الأراضي فيها إلى اليهود كان مباحاً بلا قيد ولا شرط .

يرى المدقق في هذا النظام أنه اعتمد على نيات المندوب السامي وخوّله سلطة السماح بانتقال الأراضي أو منعه . وقد جاءت الوقائع تؤكد أن المندوبين السامين لم يتركوا فرصة إلا أكّدوا فيها ، بالفعل لا بالقول ، تعاطفهم مع اليهود فسمحوا لهم بامتلاك الأراضي العربية . إلى جانب ذلك كانت الأراضي الزراعية الجيدة الموجودة في المنطقة الثانية التي هي ممتلكات للعرب غير الفلسطينيين أجازت المادة الرابعة من نظام انتقال الأراضي انتقالها . ولم يكتف الصهيونيون بذلك كله بل تمكنوا ، بمساعدة المندوب السامي وسلطاته الواسعة ، من امتلاك مساحات واسعة من الأراضي الأخرى في الأقسام المحظور نقل الملكية فيها إلى غير العرب . واستطاعت الشركات الصهيونية الاحتيال على نظام انتقال الأراضي للعرب الفلسطينيين ، وابتاعت الكيرين كايمت * بين

عـامي ١٩٤٠ و١٩٤٧ حوالي ٨٢,٥٠٠ دونم في المنـاطق الأولى والثانية ، إضافة إلى ٧٠,٠٠٠ في المنطقة الثالثة .

المراجـع :

ـ جلال يحيى : مشكلة فلسطين والاتجاهات الدولية ، الإسكندرية ١٩٦٥ .
ـ عادل حامد الجادر : التشريعات البريطانية وتوبيد فلسطين ، مجلة مركز الدراسات الفلسطينية ، العدد الثالث ، كانون الأول ١٩٧٥ ، بغداد ١٩٧٥ .
ـ عمر رشدي : الصهيونية وربيبتها إسرائيل ، القاهرة ١٩٦٥ .

الإنجيـل : رَ : المسيحية

إنْـدور (قـريـة ـ) :

قرية عربية تقع في جنوب شرق الناصرة * ، وتبعد عنها قرابة ٢٢ كم عن طريق العفولة * منها ٢٠ كم طـريق معبدة من الـدرجـة الأولى وكيلومتـران غير معبـدين . وكان خط أنابيب نفط العراق يمرّ على بعد نحو ٢,٥ كم شمالي القرية .

أنشئت إندور في القسم الجنوبي من جبال الجليل * (الجليل الأدنى) فوق سطح ينحدر نحو الشمال الشرقي على ارتفاع ٢٠٠ م عن سطح البحرٌ ، ويقع جبل الـدحي (٥١٥ م) وتل العجول (٣٣٢م) في جنوبها الغربي . أمـا تل العُنيـزة (٣٣٩ م) فيقع في جنوبها على بعد ١,٥ كم . وتبدأ من أراضيها عدة أودية ترفد وادي البيرة * الذي يصب في نهر الأردن * جنوبي جسر المجامع . وأهم هـذه الأودية وادي عين الصّفصافة ، ووادي خلّة الشيخ حسن ، ووادي دبـوش الـذي يكوّن الحد الفاصل بين أراضيها وأراضي نزية نين الواقعة في غرب انقـرية مـع الانحراف نحـو الجنوب . وتقع عين الصّفصافة على بعد قرابة كيلو متر واحد شمـالي شرق القرية .

كانت إندور قائمة على بقعة بلدة كنعـانية تـدعى عين دور أي عـين المأوى . وذكـرها الفـرنجة * في العصـور الوسطى بـاسمهـا الحـالي ، مما يـدل على أنها حـافظت عـلى اسمها ردحـاً طويـلاً من الزمن .

في قرية إندور بقايا بعض المغاور والصهـاريج والمـدافن . وفي الطرف الجنوبي الغربي منها تل أثري يدعى تل العجول ،وهوغير تل العجول الذي يقع قرب غزة * (رَ : الحرب والأماكن الأثرية) .

الشكل العام للقرية شريطي ، وتمتد من الجنوب الشرقي نحو الشمـال الغربي ، ويتفق ذلـك مع اتجـاه السفح الـذي تقـع عليـه القرية . وفي عام ١٩٣١ كان في القرية ٧٥ مسكناً بنيت من مواد البنـاء المختلفـة كـالحجارة والإسمنت ، أو الحجـارة والـطين ، او الإسمنت المسلح . وفي عام ١٩٤٥ كانت مساحة القرية ٢٩ دونماً ، ومساحة أراضيها ١٢,٤٤٤ دونماً لا يملك الصهيونيون منها شيئاً .

عاش في إنـدور ٣١١ نسمة من العرب في عام ١٩٢٢ ،وارتفع عددهم إلى ٤٥٥ نسمة في عـام ١٩٣١ ، وإلى ٦٢٠ نسمة في عـام ١٩٤٥ .

ضمّت القرية مـدرسـة ابتـدائيـة للبنـين أنشئت في العهـد العثماني ، وكان يدرس فيها أيضاً أطفال قرية نين ، ولكنها أغلقت في العهد البريطاني .

اعتمد اقتصاد القرية على الزراعة * وخاصـة الحبوب * ، وفي موسم ١٩٤٢ / ١٩٤٣ كان فيهـا ١٨٠ دونماً مزروعة زيتـوناً * مثمراً ، وفي عام ١٩٤٥ كـان فيها ٢٤ دونماً مزروعة برتقـالاً ، وزرعت أنواع أخرى من الأشجار المثمرة ، وتركزت بساتين الأشجار المثمرة في شرق وجنـوب وغرب القـرية ، وحـول عين الصفصـافة شمـالي شرق القـرية . وإلى جـانب ذلك عمـل السكان في تربيـة المواشي .

شهـدت القـرية في ليلة ١٩٣٦/٨/٢٩ معـركـة بـين الثـوار الفلسطينيين والجيش البريطاني أسقطت فيها طائرة بريطانية فانتقم البريطانيون بنسف بعض منازل القرية وفرض الغرامات الماليـة على سكانها (رَ : ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩) .

احتل الصهيونيون هذه القرية العربية عام ١٩٤٨ وتـركوا فيها سكانها العرب الذين بلغ عددهم ٢٩٩ نسمة في ١٩٤٩/١٢/٣١ . لكنهم عادوا فطردوهم فيما بعد .

المراجـع :

ـ أنيس صايغ : بلدانية فلسطين المحتلة (١٩٤٨ ـ ١٩٦٧) ، بيروت ١٩٦٨ .
ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٧ ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٢٥,٠٠٠ ، لوحة أندور .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة العفولة .
ـ الوقائع الفلسطينية : العدد ١٣٧٥ ، الملحق رقم ٢ ، ١٩٤٤ .

أنشـــاص (مؤتمر ـ) :

تحت وطأة الحملات ضد الدول العربية وجامعة الدول العربية إثر ظهور تقرير لجنة التحقيق البريطانية الأمريكية المشتركة في ١٩٤٦/٤/٢٢ (رَ : الأنكلو ـ أمريكية ، لجنة التحقيق ـ) شعر المسؤولون العرب بأن الظرف القائم يحتم عليهم توكيد تمسكهم بقضية فلسطين ، وإقناع الرأي العام العالمي والعربي بأنهم حريصون على سلامة هذه القضية ، وأنهم يعتزمون القيام بأعمال جدية لإنقاذها ، فتقرر دعوة مجلس جامعة الدول العربية إلى عقد دورة استثنائية في بلودان بسورية في ١٩٤٦/٥/١٨ (رَ : بلودان ، مؤتمر ١٩٤٦) .

ويبدو أن رؤساء الدول العربية أنفسهم أثلقهم الأمر ، وشعروا بخطورة الحملات الموجهة إلى الدول العربية والجامعة ، وأدركوا أنهم أنفسهم لم ينجوا من هذه الحملات ، فقرروا وجوب العمل على

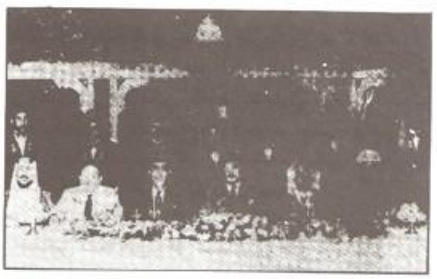

إقامة الأدلة على صدق نياتهم واستعدادهم للعمل المجدي المفيد .

جرت اتصالات مستعجلة بين رؤساء الدول العربية لتدارك الموقف . وقام الأمين العام للجامعة ببذل الجهود والمساعي لإقناع رؤساء الدول العربية بوجوب عمل شيء ما ، واقترح عقد مؤتمر لهم .

وقد تم الاتفاق بين الرؤساء العرب على عقد مؤتمر قمة لهم ، هو في الحقيقة أول مؤتمر قمة عربي ، في أنشاص قرب القاهرة بمصر في ١٩٤٦/٥/٢٧ . وتقرر إرجاء موعد الدورة الاستثنائية لمجلس جامعة الدول العربية إلى ما بعد انعقاد مؤتمر القمة .

عقد مؤتمر القمة في أنشاص واستمر يومي ٢٧ و٢٨ أيار ١٩٤٦ . وقد اشترك فيه ملوك ورؤساء مصر والسعودية واليمن والعراق والأردن وسورية ولبنان . وألقى الأمين العام لجامعة الدول العربية بيانًا مطولاً عن الأوضاع العربية عامة وأوضاع فلسطين خاصة . وعند انتهاء المؤتمر صدر بيان يعلن أن الملوك والرؤساء العرب قرروا :

١) رفض تقرير لجنة التحقيق البريطانية ـ الأمريكية المشتركة .

٢) التمسك باستقلال فلسطين وصيانة عروبتها .

كذلك تناول الملوك والرؤساء بالبحث في مؤتمرهم موضوع الاختلافات الناشبة بين الفلسطينيين فقرروا وجوب العمل على إزالة هذه الاختلافات وأسبابها ، وتشكيل هيئة فلسطينية تمثل جميع الفلسطينيين وتنطق باسمهم . وأحيل هذا القرار إلى مجلس جامعة الدول العربية لوضعه موضع التنفيذ .

وجددت الدعوة لعقد دورة استثنائية لمجلس الجامعة ، وتقرر عقدها في بلودان في ١٩٤٦/٦/٨ .

أنطـــون داود (١٩٠١ ـ ١٩٦٩) :

مناضل فلسطيني من أسرة عربية فلسطينية هاجرت من مدينة بيت لحم * واستقرت في بوغوتا عاصمة جمهورية كولومبيا في أمريكا اللاتينية وفيها ولد ونشأ وتعلم .

عاد إلى فلسطين سنة ١٩٣٦ ليشارك في ثورة شعبه (رَ : ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩) . وبعد أن توقفت هذه الثورة اشتغل سائقا للقنصل الأمريكي العام في القدس ، وكان هذا القنصل يتردد دائما على دار الوكالة اليهودية * للاتصال بالمسؤولين فيها ، ولذا كان حرس الوكالة يعرفون أنطون داود .

بعد قرار تقسيم فلسطين * أخذ يعمل سرا مع المناضلين العرب . وفي ١٩٤٨/٣/١١ عبأ سيارة القنصل بالمتفجرات الموقوتة ودخل بها دار الوكالة وتركها هناك فانفجرت ، ودمرت الجناح الشمالي لدار الوكالة تدميراً كاملاً ، وصدعت باقي الأقسام ، وشبّ حريق هائل أتى على أكثر الملفات والسجلات ، كما دمرت في الانفجار عمارة صحيفة الجيروزاليم بوست ، وأصيبت بنايات أخرى بأضرار جسيمة ، وقتل نحو ٣٦ صهيونياً كان من بينهم عدد من المسؤولين في الوكالة اليهودية ، وجرح ٤٠ آخرون (رَ : الوكالة اليهودية ، نسف مبنى) .

وبعد نكبة سنة ١٩٤٨ نزل أنطون داود القاهرة ، ثم عاد سنة ١٩٥٠ إلى بوغوتا . وقد انضم إلى الثورة الكوبية بقيادة فيدل كاسترو وحمل رتبة كولونيل .

بقي بعض الوقت في كوبا ، ثم عاد إلى المشرق العربي للمشاركة في الثورة الفلسطينية الحالية . وزار الكويت ثم جاء الأردن حيث وافته المنية في ١٩٦٩/٨/٤ .

المراجـع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج٨ ، ق٢ ، بيروت ١٩٧٤ .

ـ عارف العارف : النكبة ، ج ١ ، بيروت ١٩٥٦ .

أنطيوخس العسقلاني (-٦٩م) :

ولد في عسقلان على ساحل البحر المتوسط بين يافا* وغزة* . أسس الأكاديمية الخامسة في أثينا ، كما أسس غيرها من المدارس الفلسفية القائمة على نظرية الانتقال من الشك إلى اليقين (رَ : عسقلان ، أكاديمية) . ويعدّ بحق من عباقرة الفلسفة اليونانية الذين كان لهم الباع الطويل في تطويرها . من أهم تلامذته الكاتب الروماني المعروف شيشرون الذي كتب حول معلمه ملاحظات هامة .

الإنقاذ : رَ : جيش الإنقاذ

إنقاذ أراضي فلسطين (لجنة ـ) :
رَ : الأمة (صندوق ـ)

إنقاذ فلسطين (جمعية ـ) :

شكلت في أربعينات هذا القرن في العراق لجان وجمعيات على المستوى الرسمي والشعبي لنصرة الشعب العربي الفلسطيني . ومن هذه اللجان " لجنة الأحزاب العراقية للدفاع عن فلسطين " التي تألفت على أثر صدور تقرير لجنة التحقيق الأنكلو ـ أمريكية* احتجاجا على مقترحات هذه اللجنة . وقد حلّت لجنة الأحزاب العراقية نفسها في ١٩٤٦/٨/١٤ على أن يستقل كل حزب بأسلوب معالجته قضية فلسطين في ضوء خطته السياسية .

ثم آلت اختصاصات لجنة الأحزاب العراقية إلى جمعية الدفاع عن فلسطين التي شكلت في العراق بعد انعقاد مجلس جامعة الدول العربية في بلودان (سورية) في حزيران سنة ١٩٤٦ (رَ : بلودان ، مؤتمر) .

وفي كانون الأول سنة ١٩٤٧ تأسست جمعية إنقاذ فلسطين ، ومركزها العام في بغداد . أما غرضها فكان العمل على إنقاذ فلسطين من الصهيونية عن طريق :

١) جمع المال والتبرعات بالوسائل المشروعة .

٢) التعاون مع المؤسسات والهيئات التي تتفق مع هذه الجمعية في غايتها داخل العراق وخارجه .

٣) بث الدعوة لنصرة فلسطين ، وتحقيق غاية الجمعية بالاستعانة بجميع وسائل النشر والدعاية .

أصدرت الجمعية عدة منشورات ومطبوعات أهمها كتاب " ١٥ أيار ١٩٤٨ كارثة فلسطين " الذي ألفه محمود فهمي درويش سكرتير الجمعية وتناول فيه أهم أحداث فلسطين في تلك المرحلة ومعارك القوات العربية في الجبهات الفلسطينية (رَ : حرب ١٩٤٨) .

وقد حلّت الجمعية في عام ١٩٦٥ لأنها ـ استناداً إلى قانون الجمعيات رقم ١ لسنة ١٩٦٠ ـ لم تمارس أعمالها مدة تزيد على سنة .

المراجع :

ـ نظام جمعية إنقاذ فلسطين في العراق ، بغداد ١٩٥٤ .
ـ محمود فهمي درويش : ١٥ أيار ١٩٤٨ كارثة فلسطين ، بغداد ١٩٤٩ .

الأنكلو ـ أمريكية (لجنة التحقيق ـ) :

كان صدور كتاب ماكدونالد " الأبيض في ١٩٣٩/٥/١٧ مؤشراً على استفاد الصهيونية للدور البريطاني في خدمة أهدافها في فلسطين . وكان واضحا أن هذا الكتاب الأبيض ، رغم ما قوبل به من رفض عربي ، لا يماشي الأهداف الصهيونية ، وخاصة لتحديده الهجرة اليهودية إلى فلسطين خلال السنوات الخمس التي تلي سنة إصداره بخمسة وسبعين ألف نسمة فقط ، ووضعه قيوداً على عمليات انتقال الأراضي من العرب إلى اليهود .

وكان هذا الكتاب الأبيض محاولة واضحة من بريطانيا لامتصاص النقمة العربية التي تفاقمت بعد فشل مؤتمر لندن* لحل القضية الفلسطينية (٢/٧ ـ ١٩٣٩/٣/١٧) ، لكنه لم يَحُل دون أن تحقق الصهيونية أهدافها . فقد أدى نشوب الحرب العالمية الثانية وتسلم تشرشل المعروف بميوله الصهيونية لمقاليد الحكم في بريطانيا (أيار ١٩٤٠) ، وخمود الثورة الفلسطينية بعد أن استنزفت قوتها وتعرض قادتها للتصفية والملاحقة ، ولجوء الصهيونية إلى العنف في مواجهة الانتداب البريطاني وقيام منظمات الهاغاناه* والشتيرن* والإرغون تسفاي لئومي* الصهيونية بسلسلة من أعمال العنف ضد الحكومة البريطانية وسلطات الانتداب ، أدى ذلك كله إلى تمكين الصهيونية من مواصلة تحقيق أهدافها في فلسطين .

ولم يعمل الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩ دون أن تستمر بريطانيا في تقديم العون والتسهيلات اللازمة لليهود في فلسطين . وكان في مقدمة ذلك تأليف اللواء اليهودي* عام ١٩٤٤ واستمرار تدفق الهجرة الصهيونية إلى فلسطين* .

وخلال الفترة الممتدة من صدور الكتاب الأبيض وحتى انتهاء الحرب العالمية الثانية وخروج الولايات المتحدة الامريكية منها قوية ظافرة أخذت الحركة الصهيونية تراهن على الحصان الأمريكي

إحساساً منها ببداية نهاية الدور البريطاني في خدمة الحركة الصهيونية . وقد ركّزت الحركة الصهيونية نشاطاتها لكسب الولايات المتحدة لتكون بديلا عن بريطانيا في خدمة الأهداف الصهيونية مستثمرة المطامع الأمريكية في المنطقة العربية مستغلة في الوقت نفسه حاجة بريطانيا إلى المساعدات الأمريكية بعد أن خرجت من الحرب مهيضة الجناح مدمرة الاقتصاد.

وكان مؤتمر بلتمور في نيويورك (رَ : برنامج بلتمور ١٩٤٢) البداية العلنية للتحرك الصهيوني باتجاه الولايات المتحدة بعد محاولات مستمرة تمكنت خلالها الحركة الصهيونية من التغلغل في مراكز القوى في الإدارة الأمريكية (رَ : الولايات المتحدة الأمريكية) . وقد استمر هذا التحرك في التنامي على مختلف الصُعُد حتى وصل إلى قمة إنجازاته بتولي الرئيس ترومان الحكم في الولايات المتحدة عام ١٩٤٥ .

ظهرت أول استجابة أمريكية رسمية وعلنية كاملة للضغوط

الصهيونية في ١٩٤٥/٨/٣١ حين طلب ترومان من رئيس وزراء بريطانيا كليمنت أتلي السماح بإدخال مائة ألف مهاجر يهودي إلى فلسطين . وقد استغلت بريطانيا هذا الطلب ، رغم معارضتها الظاهرة للتدخل الأمريكي فيما اعتبرته من شؤونها الخاصة ، فسعت للحصول على المساعدات الأمريكية . ووجدت في الوقت نفسه أن هذا التدخل الأميركي سيتيح لها التخلص من الانتداب الذي حققت هي والصهيونية الغرض منه فاقترحت على لسان وزير خارجيتها بيفن (١٩٤٥/١١/١٤) إرسال لجنة تحقيق إنكليزية - أمريكية مشتركة تكون الرئاسة فيها دورية لبحث مسألة يهود أوربا ، وللقيام باستعراض آخر لمشكلة فلسطين . وحدد بيان بيفن عمل اللجنة على النحو التالي :

١) فحص الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية في فلسطين ، وتأثيرها على الهجرة والاستيطان اليهوديين .

٢) فحص حالة اليهود في الأقطار الأوربية حيث كانوا ضحية للاضطهاد النازي والفاشي ، والتدابير التي اتخذت أو المنويّ اتخاذها لإنقاذهم ، وتقدير عدد الذين يودّون منهم الهجرة إلى فلسطين أو غيرها من الأقطار .

٣) سماع آراء الشهود من ممثلي العرب واليهود بشأن مشكلات فلسطين وعلاقتها بأحوال اليهود ، وتقديم التوصيات لحكومتي بريطانيا والولايات المتحدة لمعالجة هذه المشكلات .

وفي ١٩٤٥/١٢/١٠ أعلن في كل من لندن وواشنطن عن تشكيل لجنة التحقيق الأنكلو - أمريكية من ١٢ عضوا نصفهم من البريطانيين ونصفهم الآخر من الأمريكيين . وتذهب المصادر التاريخية الموثوقة إلى أن معظم أعضاء اللجنة كانوا منحازين إلى وجهة النظر الصهيونية .

بدأت اللجنة عملها في ١٩٤٦/١/٤ في واشنطن وسط جو من الضغوط الصهيونية المحمومة . وعقدت عدة جلسات لم تسمع فيها كلمة واحدة تمثل وجهة النظر العربية . ثم اتجهت اللجنة إلى لندن حيث بدأت عقد جلساتها في ٢٥ كانون الثاني وسط جو مماثل من التطرف الصهيوني . وفي ١٩٤٦/٢/٤ انقسمت اللجنة إلى عدة لجان لزيارة مختلف الدول الأوربية بحجة الاطلاع على أوضاع اللاجئين اليهود في كل من ألمانيا وبولونيا وتشيكوسلوفاكيا والنمسا وإيطاليا واليونان . واستمرت هذه الجولات حتى ٢٨ شباط حين اتجهت اللجنة إلى القاهرة واستمعت إلى وجهة نظر جامعة الدول العربية بلسان أمينها العام عبد الرحمن عزام . ثم توجهت اللجنة إلى فلسطين ولبنان وسورية والمملكة العربية السعودية والعراق وشرق الأردن .

وفي فلسطين اجتمعت اللجنة باللجنة العربية العليا لفلسطين * التي أدلت بشهادتها وقدمت تقريراً ضافياً يشرح مراحل القضية الفلسطينية ومطالب الشعب العربي الفلسطيني ، في حين قاطع اللجنة حزب الكتلة الوطنية * وعصبة التحرر الوطني * وبعض الشخصيات الفلسطينية .

غادرت اللجنة فلسطين في ١٩٤٦/٣/٢٨ متوجهة إلى سويسرا حيث عكفت على كتابة تقريرها الذي أصدرته في ١٩٤٦/٤/٢٠ .

جعلت اللجنة تقريرها في مقدمة وعشر توصيات وبعض الملاحق . وجاءت كل توصية مشفوعة بتعليق . وفيما يلي موجز لأهم هذه التوصيات :

١) العضلة الأوربية : لا يمكن الاعتماد على فلسطين وحدها في حل مشكلة اللاجئين اليهود ، ويبدو أن الأكثرية الساحقة منهم ستبقى في أوربا . ولذا فإن اللجنة توصي كلاً من بريطانيا وأمريكا

بالسعي لإيجاد مساكن جديدة لليهود ، والسعي لضمان أحكام ميثاق الأمم المتحدة .

٢) هجرة اليهود إلى فلسطين : دعت اللجنة إلى إصدار إجازة سريعة تبيح لليهود الهجرة إلى فلسطين . وقدرت العدد المطلوب السماح له بمائة ألف مهاجر (وهو الرقم الذي كان يطالب به ترومان) .

٣) لا دولة عربية ولا دولة يهودية : رفضت اللجنة فكرة أن تكون فلسطين دولة يهودية أو دولة عربية ، وقالت إن الشكل النهائي للحكم يجب أن يضمن مصالح الديانات الثلاث ، الإسلام والمسيحية واليهودية .

٤) الانتداب ووصاية الأمم المتحدة : استمرار الانتداب البريطاني إلى أن يتم الاتفاق على تنفيذ وصاية الأمم المتحدة .

٥) سياسة الهجرة المستقلة : مطالبة سلطات الانتداب بتسهيل الهجرة اليهودية ، مع عدم الإضرار بحقوق الطوائف الأخرى .

٦) سياسة الأراضي : طالبت اللجنة بإلغاء القوانين المتعلقة بانتقال ملكية الأراضي الصادرة عام ١٩٤٠ (ر : انتقل الملكية ، نظام ١٩٤٠) وذلك يعني إلغاء القيود التي وضعها الكتاب الأبيض على عمليات بيع الأراضي .

أما التوصيات الأخرى فهي تتعلق بالتطور الاقتصادي والتعليم والحاجة إلى استتباب السلم في فلسطين .

سارع الرئيس الأمريكي ترومان إلى الترحيب بالتقرير بعد نشره ، وألف لجنة وزارية ذات سلطات واسعة لتنفيذ توصيات اللجنة ، ولا سيما التوصية المتعلقة بتهجير مائة ألف يهودي حالا . أما رئيس الوزراء البريطاني كليمنت أتلي فقد دعا إلى الأخذ بالتقرير كله لا ببعضه . وأعلنت الحكومة البريطانية عن رغبتها في التعاون مع الولايات المتحدة لمواجهة أعباء القضية الفلسطينية .

استقبلت الحركة الصهيونية التقرير بالترحاب ، وطالبت بسرعة تنفيذ ما يتعلق بالهجرة وحرية انتقال ملكية الأراضي .

أما العرب فقد كان وقع التقرير عليهم صاعقا وعنيفا ، فأعلنت فلسطين الإضراب العام يوم ١٩٤٦/٥/٣ ، وعقدت اللجنة العربية العليا جلسة في ١٩٤٦/٥/١ قررت فيها رفض التقرير ، وأرسلت المذكرات وبرقيات الاحتجاج ، وعمّ السخط أنحاء البلاد العربية كلها . وقامت المظاهرات في كل من سورية ولبنان ومصر وشرق الأردن ، وعقد في مصر مؤتمر أنشاص * لملوك ورؤساء الدول العربية ، وعقدت جامعة الدول العربية مؤتمراً على مستوى رؤساء الوزارات ووزراء الخارجية في بلودان * ١٩٤٦/٦/٨ ، واتخذ الكثير من القرارات العلنية والسرية .

لكن ذلك كله لم يحُل دون تنفيذ توصيات اللجنة واستمرار التنسيق البريطاني ـ الأمريكي في التآمر على الشعب الفلسطيني ، ذلك التآمر الذي تبلور لاحقا في مشروع موريسون * ثم في قرار التقسيم * .

المراجع :

ـ عبد الوهاب الكيالي : الموجز في تاريخ فلسطين الحديث ، بيروت ١٩٧١ .

ـ محمد عزة دروزة : القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها ، صيدا ، بيروت ، ١٩٦٠ .

ـ الأمانة العامة لجامعة الدول العربية : الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين ١٩٤٦ ـ ١٩٥١ ، القاهرة .

ـ أميل توما : ستون عاما على الحركة القومية العربية الفلسطينية ، بيروت ١٩٧٨ .

ـ فلاح خالد علي : فلسطين والانتداب البريطاني ١٩٣٩ ـ ١٩٤٨ ، بيروت ١٩٨٠ .

ـ هنري كتن : فلسطين في ضوء الحق والعدل ، بيروت ١٩٧٠ .

أنور السادات (مشروع ـ) :

أعلن الرئيس المصري أنور السادات في ١٩٧١/٢/٤ ضمن سلسلة مبادرات إحلال السلام في الشرق الأوسط " أن مصر تعتبر نفسها ملتزمة بمسؤولية تحرير جميع الأراضي العربية المحتلة منذ عام ١٩٦٧ " . ولكنه أعلن استعداده لقبول نداء الأمين العام للأمم المتحدة يوثانت بضرورة وقف إطلاق النار على قناة السويس . وقد وافق الرئيس المصري بالفعل على وقف لإطلاق النار لمدة ٣٠ يوماً فقط من تاريخ خطابه ، وقال : " إننا نرغب أن يتحقق في هذه الفترة انسحاب جزئي للقوات الإسرائيلية على الشاطىء الشرقي للقناة ، وذلك كمرحلة أولى على طريق جدول زمني يتم وضعه بعد ذلك لتنفيذ بقية بنود قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ لعام ١٩٦٧ . وإذا تحقق ذلك فإننا على استعداد أن نبدأ فوراً تطهير قناة السويس وفتحها للملاحة الدولية وإجراء اتصالات دولية " . وأضاف : "إن الموقف يتلخص في حقيقتين ، الأولى : إن وقف إطلاق النار ليس هو القضية ، ولكن القضية هي تحرير الأراضي العربية كلها ، ورد الحق العربي لشعب فلسطين ، والثانية : إننا مقتنعون بأن العدو لن يرتدع بغير القوة ولن يتراجع إلاّ تحت ضغطها " .

وجاء الرد الإسرائيلي بعد أيام قليلة من خطاب الرئيس السادات مخيباً لآمال الرئيس المصري . ففي ١٩٧١/٢/٩ ألقت رئيسة وزراء (إسرائيل) غولدا مائير خطابا أمام الكنيست * الإسرائيلية رفضت فيه مقترحات الرئيس المصري ، وأتبعت ذلك بطرح مشروع إسرائيلي مضاد . وقالت غولدا مائير إنها على استعداد

للتفاوض مع السادات حول موضوع تنظيف قناة السويس للملاحة الدولية ، وطالبت بضرورة السماح لسفن (إسرائيل) بعبور القناة . وقد رد المسؤولون المصريون على ذلك بأن السفن الإسرائيلية سيكون بإمكانها استعمال قناة السويس إذا ما فتحت . ولكن ذلك لن يكون إلاّ بشرط حل مشكلة " اللاجئين الفلسطينيين " .

وعاد الرئيس المصري أنور السادات فشرح الأبعاد الحقيقية والكاملة لموقف مصر من الصراع العربي ـ الإسرائيلي ، وذلك في مقابلة صحفية مع مراسل مجلة نيوزويك الأمريكية بتاريخ ١٩٧١/٢/١٥ جاء فيها : " ما نص عليه قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ واضح وكامل ، ولكني ما زلت أنبّه إلى أن حقوق شعب فلسطين هي أساس المشكلة . . لست في حل من أن أقرر شيئاً للفلسطينيين . لا بد أن يقرروا هم بأنفسهم لأنفسهم " .

لكن (إسرائيل) رفضت من جديد أي اعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني . ففي ١٩٧١/٤/٤ أعلنت غولدا مائير أن نهر الأردن * يشكل الحدود الشرقية (لإسرائيل) ، وأن الجولان * إسرائيلية ، وأن قطاع غزة إسرائيلي . أما سيناء فإنه يمكن التفاوض بشأنها .

لكن الرئيس السادات عاد مرة أخرى في مقابلة صحفية مع مراسل المجلة الأمريكية السابقة نشرتها الأهرام في ١٩٧١/١٢/٧ فطالب (إسرائيل) بأن تقوم بانسحاب جزئي من سيناء ، وهدد باستعمال القوة لتحرير الأرض .

شهد عام ١٩٧٢ محاولات متعددة من الرئيس أنور السادات لحمل أمريكا على الضغط على (إسرائيل) من أجل تحقيق تسوية سلمية . لكنه لم يجد آذاناً صاغية لدى المسؤولين الأمريكيين الذين نصحوه باتباع " سياسة الأمر الواقع والدخول في مفاوضات ثنائية مع الحكومة الإسرائيلية " . عندها بدأ الرئيس المصري يستعد مع سورية لمعركة عسكرية ضد (إسرائيل). وجاءت حرب ١٩٧٣ * لتثبت مقدرة الأمة العربية على الدفاع عن حقوقها ، وتمكنت القوات العربية أثناء الحرب من تحقيق انتصارات عسكرية كان بالإمكان أن تحقق انتصارات سياسية لو أحسن استغلالها . إلاّ أن الرئيس المصري فاجأ العالم بعد عشرة أيام من القتال ، أي في ١٩٧٣/١٠/١٦ ، ووجه نداءه من " أجل السلام " من على منبر مجلس الأمة المصري . وقد طرح الرئيس السادات في ندائه شروطه لوقف القتال وتحقيق السلام مع العدو الصهيوني . ومن بين هذه الشروط :

١) انسحاب (إسرائيل) الكامل إلى خطوط ما قبل ١٩٦٧/٦/٥ بإشراف دولي .

٢) عقد مؤتمر دولي تحت إشراف الأمم المتحدة لتحقيق السلام في الشرق الأوسط ، على أن يشترك في المؤتمر " ممثلو الشعب الفلسطيني " .

وفي ١٩٧٣/١٠/٢٢ قرر مجلس الأمن الدولي الموافقة على مشروع سوفياتي ـ أمريكي حول تسوية النزاع في الشرق الأوسط ، وحمل القرار رقم ٣٣٨ . ويقضي هذا المشروع بإجراء مفاوضات بين الأطراف ذات العلاقة في نزاع الشرق الأوسط لإقامة سلام عادل وشامل .

في ١٩٧٣/١١/١٥ نشرت وكالات الأنباء تصريحاً لأحد أعضاء مركز الدراسات الاستراتيجية في واشنطن جاء فيه : "إن الولايات المتحدة تقوم حاليا بوضع مشروع تسوية سلمية لأزمة الشرق الأوسط على أساس إنشاء دولة فلسطينية في الضفة الغربية لنهر الأردن ونطاع غزة مقابل اعتراف عربي بإسرائيل . ويتضمن مشروع أمريكا محاولة إخراج مصر من النزاع العربي ـ الإسرائيلي بطريقة حاسمة وبهائية عن طريق ممارسة الضغوط على إسرائيل لقبول مبدأ سيادة مصر على شبه جزيرة سيناء " .

سار الرئيس السادات بعد ذلك في طريق الاستسلام للعدو ومطالبه فوقّع على اتفاقيتي كامب ديفيد * ، ثم على معاهدة الصلح المصرية ـ الإسرائيلية * في ١٩٧٩/٣/٢٦ مضحيا بالحقوق الوطنية الثابتة للشعب الفلسطيني ، ولا سيما حقه في العودة وتقرير المصير ، ومنفصلا عن مسيرة الأمة العربية ونضالها من أجل حقوقها .

المرجع :

ـ مهدي عبد الهادي : المسألة الفلسطينية ومشاريع الحلول السياسية ١٩٣٤ ـ ١٩٧٤ ، بيروت ١٩٧٥ .

الأهالي (حزب ـ) :

أنشىء هذا الحزب في نابلس * سنة ١٩٢٥ ، وكان لعبد اللطيف صلاح * وعادل زعيتر * الفضل الأكبر في ذلك ، وقد انضوى تحت لواء الحزب بعض الأشخاص البارزين من مدينة نابلس .

تبنّى الحزب في منهاجه سياسة وطنية من أسسها إلغاء وعد بلفور * ونظام الانتداب ، وقيام حكم وطني برلماني دستوري في فلسطين ، والحدّ من الهجرة اليهودية ، وتحديد بيع الأراضي .

قام الحزب ببعض النشاط السياسي الوطني فقدّم المذكرات والمطالب ، واحتجّ على مواقف سلطات الانتداب . لكن هذا النشاط لم يدم طويلاً وأخذ يتضاءل في عام ١٩٢٧ .

المرجع :

ـ عادل حسن غنيم : الحركة الوطنية الفلسطينية من ١٩١٧ ـ ١٩٣٦ .

الأورانيـــوم : ر : المعادن

أوربا الشرقية (دول ـــ) :

صوتت دول أوربا الشرقية الأعضاء في الأمم المتحدة في عام ١٩٤٧ على قرار جمعيتها العامة بتقسيم فلسطين * ، باستثناء يوغسلافيا * التي امتنعت عن التصويت . كما أقدمت هذه الدول على الاعتراف (بإسرائيل) بعد إعلان قيامها في ١٩٤٨/٥/١٥ ، وهي ما زالت تعترف بوجودها . كما أقامت معها علاقات دبلوماسية واقتصادية واجتماعية وثقافية وعسكرية . وقد حاربت (إسرائيل) الجيوش العربية عام ١٩٤٨ بسلاح ورد قسم منه من بعض هذه الدول كتشيكوسلوفاكيا وبولونيا .

كذلك صوتت جميع دول أوربا الشرقية الأعضاء في الأمم المتحدة في عام ١٩٤٩ على قرار الجمعية العامة بقبول (إسرائيل) عضوا فيها ، رغم ما شاب هذا القبول من مطاعن سياسية وقانونية (ر : إسرائيل في الأمم المتحدة ، عضوية) .

لكن هذه الدول أبدت في الوقت نفسه الموقف العربي من بعض قرارات الأمم المتحدة كالقرار رقم ١٩٤ (الدورة الثالثة) الصادر في ١٩٤٨/١٢/١١ والخاص بعودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم ، والقرار رقم ٣٠٣ (الدورة الرابعة) الصادر بتاريخ ١٩٤٩/١٢/٩ والخاص بوضع القدس . غير أن مثل هذا التأييد لم يكن يعبّر عن موقف ثابت لهذه الدول إلى جانب القضية العربية ، إذ يمكن القول إن موقف دول أوربا الاشتراكية من القضية الفلسطينية كان أميل إلى الجانب الإسرائيلي حتى وقوع العدوان الثلاثي على مصر في أواخر عام ١٩٥٦ . ويرجع ذلك إلى عدة أسباب منها :

١) موقف الاتحاد السوفياتي * المؤيد لإقامة (إسرائيل) واستمرار وجودها ، وتأثيره المباشر على مواقف الدول الاشتراكية الأوربية الأخرى الحليفة له (باستثناء يوغسلافيا) .

٢) تحارب الدول الأوربية الاشتراكية ، على اختلاف الدرجة ، مع الاحتلال النازي ومعاناتها منه . وقد أفادت الحركة الصهيونية من هذا ، وخاصة مما أصاب يهود تلك الدول من عنت على يد المحتل النازي ، فصورت للعالم أن إقامة (إسرائيل) هي الحل الأمثل لما أسمته المشكلة اليهودية .

٣) انعدام الصلات الفاعلة بين الدول العربية والدول الاشتراكية حتى منتصف الخمسينات ، بل اتخاذ بعض الدول العربية مواقف اعتبرتها الدول الاشتراكية موالية للغرب .

مع كسر سورية ومصر لطوق العزلة الغربية عليهما وانفتاحهما على الدول الاشتراكية تدريجيا ، ولا سيما في مجال التسلح منذ عام ١٩٥٤ ، ومع العدوان الثلاثي على مصر في عام ١٩٥٦ (ر : حرب ١٩٥٦) ، بدأت الدول الاشتراكية تراجع مواقفها وتعدلها في المحافل الدولية ، وأخذت تقترب من الجانب العربي .

غير أن عدوان (إسرائيل) عام ١٩٦٧ (ر : حرب ١٩٦٧) كان نقطة البداية الفعلية في تحديد مواقف جديدة للدول الأوربية الاشتراكية حيال القضية الفلسطينية . وكان أهم مظاهره قطع جميع هذه الدول ، باستثناء رومانيا ، علاقاتها الدبلوماسية بالكيان الصهيوني .

وقد تحدد هذا الموقف الجديد من القضية الفلسطينية في البيان الصادر عن اللجنة السياسية الاستشارية للدول الأعضاء في حلف وارسو الذي يضم دول أوربا الشرقية السبع (الاتحاد السوفيتي وبلغاريا وهنغاريا وألمانيا الديمقراطية وبولونيا ورومانيا وتشيكوسلوفاكيا) والمنعقد في بوخارست في شهر تشرين الثاني ١٩٧٦ . وكذلك في البيان الصادر عن هذه اللجنة العليا نفسها عقب اجتماعها المنعقد في موسكو في شهر تشرين الثاني ١٩٧٨ .

أما البيان الأول فقد تضمن ، بالنسبة إلى القضية الفلسطينية ، العناصر الأساسية الآتية :

١) تأكيد الدعم لنضال الدول العربية من أجل الحل السياسي العادل لقضية الشرق الأوسط .

٢) التأكيد بالإجماع على أن هذا الحل يتطلب انسحاب جميع القوات الإسرائيلية من الأراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧ ، وإحقاق الحقوق الثابتة للشعب الفلسطيني * بما فيها حقه في إنشاء دولته الخاصة ، وضمان حق الوجود المستقل لجميع الدول المشاركة في النزاع ، وانهاء حال الحرب بين الدول العربية المعنية و(إسرائيل) .

٣) إدراج هذه الموضوعات في جدول أعمال مؤتمر جنيف الخاص بالشرق الأوسط تحت إشراف منظمة الأمم المتحدة ، وبرئاسة الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية المشتركة ، وبحضور جميع الأطراف المعنية بما فيها منظمة التحرير الفلسطينية * " لأن دول أوربا الشرقية تعتقد أن هذا المؤتمر الذي انعقد في نهاية ١٩٧٣ ما زال الوسيلة الشرعية الوحيدة للتسوية المطلوبة " (ر : السلام للشرق الأوسط ، مؤتمر) .

وقد جاء في البيان الثاني للجنة السياسة الاستشارية لحلف وارسو أن المجتمعين يؤكدون من جديد موقفهم المبدئي إلى جانب إحلال السلام العادل والدائم في الشرق الأوسط ، وإلى جانب التسوية السياسية الشاملة لمسألة الشرق الأوسط ، هذه التسوية التي يجب أن تتضمن : انسحاب القوات الإسرائيلية من جميع الأراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧ ، والاستجابة لحق الشعب العربي

الفلسطيني الكامل في تقرير مصيره بنفسه ، ومن ذلك حقه في إقامة دولته ، وتأمين الوجود المستقل والآمن لجميع دول المنطقة وفيها (إسرائيل) . ومن أجل هذه التسوية التي لا يمكن التوصل إليها إلاّ عن طريق مشاركة كل الأطراف المعنية ، وفيها منظمة التحرير الفلسطينية ، ستواصل الدول الاشتراكية نضالها مع الدول والشعوب العربية ومع القوى التقدمية كافة .

وقد استكمل هذا الموقف المبدئي للدول المذكورة من القضية الفلسطينية ببيان خاص صدر عن اجتماع اللجنة الاستشارية المُشار إليه في عام ١٩٧٨ ووقعته دول الحلف جميعها - باستثناء رومانيا - وقد جاء فيه :

" إن قادة الأحزاب الشيوعية والعمالية والحكومات يدينون بشدة سياسة الصفقات المنفردة المصرية - الإسرائيلية ، تحت رعاية الولايات المتحدة الأمريكية ، التي لن تقود إلاّ إلى تعقيدات خطيرة جديدة في المنطقة ، ويعربون عن يقينهم بأن مثل هذه الصفقات المنفردة المعادية للعرب تتعارض مع مصالح تحقيق تسوية سياسية شاملة لأزمة الشرق الأوسط وفقاً لصالح جميع شعوب المنطقة ومن بينها الشعب الإسرائيلي ، وتتناقض مع مصالح الأمن الدولي ومقررات هيئة الأمم المتحدة . وهم يعلنون عن تأييدهم لقرارات مؤتمر بغداد ، ويعتقدون أن هذه القرارات ستلعب دوراً إيجابيا هاماً في النضال من أجل تسوية نعّالة وعادلة لقضية الشرق الأوسط ، وفي سبيل مصلحة السلام في الشرق الأوسط ، ومصلحة السلام العالمي " .

فدول حلف وارسو ، بحسب ما جاء في هذه البيانات ، تقف إلى جانب إيجاد حل سياسي شامل لمسألة الشرق الأوسط وللقضية الفلسطينية على أساس انسحاب القوات الإسرائيلية من جميع الأراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧ ، وإحقاق الحقوق الثابتة للشعب العربي الفلسطيني ، وفيها حقه في إقامة دولته المستقلة الخاصة به ، مع مراعاة تأمين الوجود الآمن والمستقل « لجميع دول المنطقة » . إلاّ أنها - باستثناء رومانيا - تصرّ منذ توقيع اتفاقيات كامب ديفيد * ومعاهدة الصلح المصرية - الإسرائيلية * ، والمفاوضات الجارية بشأن ما يسمى الحكم الذاتي ، تصر على انعقاد مؤتمر السلام في جنيف ، وتدين هذه الاتفاقيات والمفاوضات اعتقاداً منها بأنها لن تؤدي إلى الحل الشامل والعادل المنشود ، وهي في نظرها عقبة في سبيل هذا الحل ، ونهج ينال من الحق العربي ويلحق ضررا جسيما بالحقوق والمصالح العربية .

هذا من حيث الموقف المبدئي العام للدول المذكورة من القضية الفلسطينية وتطوراتها الأخيرة . أما من حيث موقف كل من هذه الدول من القضية ، عدا يوغسلافيا (راجع : يوغسلافيا) ، فيمكن إيجازه فيما يلي :

أ - رومانيا : تميّز الموقف الروماني بخروجه على إجماع دول حلف وارسو بشأن القضية الفلسطينية وتفرده عنها . ففي ١٩٦٧/٦/٩ لم توقع رومانيا على بيان اجتماع موسكو القاضي بقطع العلاقات الدبلوماسية مع (إسرائيل) إثر عدوانها على الدول العربية في ١٩٦٧/٦/٥ بل انفردت بالإبقاء على هذه العلاقات ، واعتذرت عن عدم حضور اجتماع الحلف المنعقد في بودابست بتاريخ ١٩٦٧/٧/١١ الذي تمت فيه مناقشة موقف الدول الاشتراكية من مسألة الشرق الأوسط بعد العدوان الإسرائيلي المذكور .

وفي عام ١٩٦٩ رفعت رومانيا درجة تمثيلها الدبلوماسي مع الكيان الصهيوني من مفوضية إلى سفارة غير آبهة بردود الفعل العربية .

إلاّ أن تحسناً طرأ على الموقف الروماني بإعلان الرئيس شاوشيسكو في نيسان ١٩٧٠ ضرورة انسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧ ، واعتبار الإجراءات الإسرائيلية بضم مدينة القدس إجراءات باطلة ، وضرورة إيجاد تسوية لمشكلة " اللاجئين الفلسطينيين " وفق مصالحهم المشروعة . كما أن رومانيا خطت في العام نفسه خطوة أخرى متقدمة بتوقيعها على بيان حلف وارسو الذي أكد متابعة دعم دول الحلف للنضال العادل الذي تخوضه الدول العربية ، وفيها " الشعب الفلسطيني " ، ضد العدوان الأميريالي من أجل تحرير أراضيها .

أما بعد حرب ١٩٧٣* فقد قام الرئيس شاوشيسكو بزيارة للمنطقة العربية التقى فيها لأول مرة برئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ياسر عرفات وتم الاتفاق على فتح مكتب للمنظمة في بوخارست ، مع الاعتراف بالمنظمة كممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني ، كما أيدت رومانيا إقامة دولة فلسطينية مستقلة في الضفة الغربية وقطاع غزة .

بعد هذه الزيارة توافق الموقف الروماني وموقف بقية دول الحلف من حيث الأسس التي ينبغي أن يقوم عليها حل القضية ، إلاّ أن هذا الوقف لم يَخْلُ بعد ذلك من بعض السلبيات . ففي عام ١٩٧٥ أعلنت رومانيا تأييدها لاتفاقية سيناء الثانية بل اعتبرتها خطوة في طريق الحل الشامل . وفي عام ١٩٧٧ أيد الرئيس الروماني مبدأ المفاوضات المباشرة بين مصر و(إسرائيل) ، ودعا إلى ضرورة إشراك أطراف عربية أخرى في هذه المفاوضات ، واعرب ، تمهيداً لاستئناف مؤتمر السلام للشرق الأوسط * في جنيف ، عن تأييده لمؤتمر تمهيدي في القاهرة ولدعوة الأمين العام للأمم المتحدة

فالدهايم إلى عقد مؤتمر تحضيري في نيويورك . أما بالنسبة إلى منظمة التحرير الفلسطينية فبدا الموقف الروماني آنئذ أميل إلى تأييدها كممثل شرعي ، ولكن ليس وحيدا ، للشعب الفلسطيني .

في عامي ١٩٧٨ و١٩٧٩ اتسم الموقف الروماني بتأييده للمفاوضات المصرية ـ الإسرائيلية وللبحث عن إطار دولي مناسب لإشراك أطراف عربية أخرى في هذه المفاوضات . واعتبر محادثات « بلير هاوس » في واشنطن والتوقيع على معاهدة الصلح المصرية ـ الإسرائيلية خطوة إيجابية في سبيل التوصل إلى الحل الشامل . وبالنسبة إلى اتفاقيتي كامب ديفيد كان الموقف الروماني إلى جانب ما جاء فيهما حول سيناء . ولكن رومانيا اشترطت فيما يتعلق بالضفة الغربية وقطاع غزة وبمفاوضات الحكم الذاتي أن تؤدي آخر الأمر إلى تمكين الشعب الفلسطيني من ممارسة حقه في تقرير المصير والتوصل إلى الحل الشامل المنشود . ولا تزال رومانيا تدعو إلى عقد مؤتمر دولي للسلام وتعتبر أنه ليس بديلا عن المفاوضات الثنائية بل متابعا لها يمكّن أطرافا أخرى معينة من المشاركة .

وقد حافظت رومانيا على علاقات اقتصادية وثقافية وطيدة مع كل من (إسرائيل) وعدد من الدول العربية في آن واحد .

ب ـ تشيكوسلوفاكيا : يمكن القول إن الصراع بين الشعب التشيكوسلوفاكي والصهيونية العالمية قديم العهد ، فالصهيونيون كانوا المالكين الرئيسيين للمؤسسات الاقتصادية والثقافية في البلاد ، وكانت منظماتهم على تعاون وثيق مع النازية قبل الحرب العالمية الثانية وأثناءها ، وقد أوضحت ذلك الوثائق التي نشرتها صحيفة « تريبونا » الناطقة بلسان اللجنة المركزية للحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي عام ١٩٧٢ (ر : النازية والصهيونية) .

كما أنه قد أصبح معروفاً أن عددا من الصهيونيين التشيك كانوا من منظري الثورة المضادة (١٩٦٨) والداعين لها والمساهمين فيها .

وقد جاء في تقرير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي عام ١٩٧٣ ، وبمناسبة مرور خمس سنوات على القضاء على الردة اليمينية التي تعرضت لها البلاد ما يلي :

١) أثبتت أحداث عام ١٩٦٨ الارتباط العضوي ووحدة الهدف في تشيكوسلوفاكيا بين قوى الرجعية والانتهازية واليمينية والصهيونية .

٢) كما ثبت أن لليهود دوراً كبيراً في تنظيم ما يسمى بـ (ميثاق الـ ٧٧) المتعلق بحقوق الإنسان في تشيكوسلوفاكيا .

ينسجم موقف تشيكوسلوفاكيا انسجاما تاما مع مواقف بقية الدول الاشتراكية في إدانتها للسياسة العدوانية الإسرائيلية على الأقطار العربية ، وفي مطالبتها بالانسحاب الإسرائيلي التام من الأراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧ وإحقاق الحقوق الوطنية الثابتة للشعب الفلسطيني . وقد عبّر عن ذلك بوضوح المؤتمران الرابع عشر والخامس عشر للحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي اللذان عقدا بعد القضاء على ثورة ١٩٦٨ المضادة ووضعا الخطوط العريضة والمبادىء الأساسية للسياسة الخارجية التشيكوسلوفاكية . كما أكدته تشيكوسلوفاكيا في توقيعها على بياني اللجنة السياسية الاستشارية للدول الأعضاء في حلف وارسو الصادرين في بوخارست (تشرين الثاني ١٩٧٦) وفي موسكو (تشرين الثاني ١٩٧٨) . وتجدر الإشارة إلى أن لمنظمة التحرير الفلسطينية مكتبا في براغ منذ عام ١٩٧٥ يتمتع بالامتيازات والحصانات الدبلوماسية أسوة بسائر البعثات الدبلوماسية فيها .

جـ ـ المجر : لم يتطرق حزب العمال الاشتراكي المجري في المقررات الصادرة عن لجنته المركزية إلى النزاع العربي ـ الإسرائيلي إلاّ بعد العدوان الإسرائيلي على الأقطار العربية في ١٩٦٧/٦/٥ . فقد جاء في بيان اللجنة عن قضية الشرق الأوسط الصادر بتاريخ ١٩٦٧/٦/٢٣ ما يلي : " قومت اللجنة المركزية الوضع الناشىء في الشرق الأوسط نتيجة للعدوان الإسرائيلي ، وهي توافق على إجراءات ومواقف الحكومة والمكتب السياسي ، وعلى بيان الحكومة المجرية في السادس من حزيران حول قطع العلاقات الدبلوماسية بين المجر وإسرائيل ، وعلى بيان دول المنظومة الاشتراكية الصادر عن اجتماع موسكو في التاسع من الشهر المذكور .

" ونرى اللجنة المركزية أن حكومة إسرائيل قد خرقت المبادىء والحقوق المتعارف عليها دوليا وقامت بعدوان مسلح ومخطط له مسبقاً على كل من الجمهورية العربية المتحدة وسورية والأردن وتوغلت في أراضي هذه الدول .

"وتدين اللجنة المركزية العدوان الإسرائيلي ، كما تدين محاولات إسرائيل الهادفة لضم أراضي الحكومات العربية المجاورة إليها وطرد السكان العرب العزل من قبل السلطات العسكرية الإسرائيلية من أراضيهم .

"وتؤكد على أن الإمبرياليين الألمان الغربيين والإنكليز والأمريكيين شركاء في الجريمة والمسؤولية في الدعم والإعداد للعدوان المسلح . وتعتبر أن الهجوم على الدول العربية هو جزء من السياسة الإمبريالية الشاملة والهادفة إلى ضرب حركات التحرر الوطنية وحرمان الشعوب التي اختارت طريق التقدم من استقلالها الوطني ، وإعاقتها عن تقرير مصيرها بنفسها محاولة منها لابقائها مرتبطة بالنظام الاستعماري أو إعادتها إليه بشكل آخر " .

وقد أكدت المجر مواقفها المذكورة ببيانات اللجنة المركزية المتابعة ومن أبرزها بيانات ١٩٦٧/١١/٢٤ ، و١٩٦٨/٨/٧ ، و١٩٧٠/٧/١٦ ، و١٩٧١/١/٢٨ ، و١٩٧٢/١١/١٥ ، وبيانا

اللجنة المركزية ومجلس الوزراء في ١٩٦٩/٣/٦ و١٩٧١/٨/٤ . وقد جاء في بيان اللجنة المركزية الصادر بتاريخ ١٩٧٢/١١/١٥ :

"إننا متضامنون مع الأقطار العربية المكافحة ضد العدوان الإسرائيلي ، ومع نضال الشعب الفلسطيني المعادي للإمبريالية ، وندعم التسوية العادلة لأزمة الشرق الأوسط وتحرير الأراضي العربية المحتلة وتحقيق الحل السلمي وفقا لقرار مجلس الأمن الدولي " .

أما بيانات اللجنة المركزية لحزب العمال الاشتراكي المجري الصادرة عقب حرب ١٩٧٣ فقد كان أبرزها البيان الصادر عن اللجنة بتاريخ ١٩٧٣/١١/١ الذي جاء فيه : "أن اللجنة المركزية بحثت الوضع في الشرق الأوسط فأكدت أن تجدد الحرب تتحمل مسؤوليته الكاملة حكومة إسرائيل التي فجّرت حرب ١٩٦٧ " ، ومنذ ذلك الحين تتبع سياسة العدوان والتحدي . . . وأنها تحمي وتدعم قرار مجلس الأمن لوقف إطلاق النار الصادر بتاريخ ١٩٧٣/١٠/٢٢ بناء على اقتراح مشترك من الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية ، وأن تنفيذ قرارات مجلس الأمن سيفسح المجال للتسوية العادلة للمشاكل الخطيرة لجميع الشعوب التي تعيش في المنطقة " .

وجاء في البيان الصادر عن اللجنة المركزية بتاريخ ١٩٧٤/٧/٢٠ : "أن السلام الدائم في الشرق الأوسط لا يمكن أن يتم إلاّ بالجلاء عن جميع الأراضي العربية المحتلة ، وبإعادة الحقوق المشروعة لشعب فلسطين وضمان أمن جميع دول المنطقة ، وبمشاركة جميع الأطراف المعنية بمؤتمر جنيف للسلام . . . وتحيي اللجنة الخطوة التي اتخذتها منظمة الأمم المتحدة بطرحها لمسألة حقوق الشعب الفلسطيني ودعوة ممثلها الشرعي منظمة التحرير الفلسطينية إلى الاجتماع في الأمم المتحدة " . وقد تأكد هذا الموقف مجددا ببيان اللجنة المركزية الصادر في ١٩٧٥/٥/١٦ .

وقد شجبت المجر زيارة الرئيس السادات للقدس وما تبعها . ورأت في اتفاقيتي كامب ديفيد " خرقا للقانون الدولي وتعارضا مع قرارات الأمم المتحدة " ، في حين وجدت اللجنة المركزية في بيانها الصادر بتاريخ ١٩٧٩/٣/٢٨ :

" أن المعاهدة الإسرائيلية ـ المصرية المنفصلة التي تمت بوساطة الولايات المتحدة الأمريكية لن تُنهي النزاع بل ستزيد حالة التوتر في الشرق الأوسط " .

ولم تؤثر على مواقف المجر الرسمية حيال القضية زيارة عدة وفود شعبية إسرائيلية بدعوة من مجلس السلم الهنغاري ، وزيارة وفد حزبي مجري (لإسرائيل) خلال عام ١٩٧٩ .

د ـ بلغاريا : لم يخرج موقف بلغاريا عن مواقف بقية دول المنظومة الاشتراكية في شجبها للأعمال العدوانية والتوسعية الإسرائيلية ، وفي دعمها لنضال الأمة العربية في سبيل استرجاع الأراضي العربية المحتلة وإحقاق الحقوق الوطنية الثابتة للشعب العربي الفلسطيني .

ولعل من أبرز المقررات التي اتخذها الحزب الشيوعي البلغاري في هذا الصدد تلك التي صدرت عن مؤتمره الحادي عشر المنعقد عام ١٩٧٦ والتي جاء فيها ما يلي :

"ما زالت الإمبريالية وحلفاؤها تؤجج لهيب الحرب في الشرق الأوسط ، وما زال خطر حرب جديدة في المنطقة قائما باستمرار للأسباب التالية :

١) متابعة احتلال الأراضي العربية التي اغتصبت عام ١٩٦٧ .

٢) حرمان الشعب العربي الفلسطيني من إمكانية إقامة دولة له .

٣) عدم خلق الظروف المناسبة لكي تعيش جميع الدول والشعوب في المنطقة بسلام وأمان .

"هذا ويمكن التوصل إلى حل عادل ودائم لمشكلة الشرق الأوسط فقط عن طريق مؤتمر جنيف وبمشاركة منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي والوحيد للشعب العربي الفلسطيني " .

إلاّ أن بلغاريا ، حيال خطوات الرئيس السادات منذ عام ١٩٧٧ وخروجه عن الإجماع العربي ، لم تعد ، كسائر دول المنظومة الاشتراكية ، ترى جدوى في انعقاد مؤتمر جنيف . وقد أعلن الرئيس البلغاري جيفكوف عقب توقيع معاهدة الصلح المنفرد بين مصر (وإسرائيل) أن بلغاريا ستقدم الدعم الكامل لنضال الشعب العربي ضد جميع الاتفاقيات المنفردة ، ومن أجل إقامة سلام عادل ودائم على أساس الانسحاب الكامل من جميع الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧ ، وإحقاق الحقوق المشروعة للشعب العربي الفلسطيني ، وتقرير مصيره بنفسه ، وإقامة دولته المستقلة والخاصة به . وقال وزير الخارجية البلغارية "إن بلغاريا ، حزباً وحكومة وشعباً ، تندد بالمعاهدة ، وتعتبر الرئيس السادات ، بخروجه عن الاجماع العربي ، خائناً لقضية أمته ، وأن المعاهدة لن تحقق السلام في المنطقة وستكون عاملاً في تأزم الموقف ، وبداية لانطلاق شرارة الحرب ، وأن السلام العالمي قد أصبح في خطر بعد توقيعها " .

وجاء في البيان السوري ـ البلغاري المشترك الصادر عقب زيارة الرئيس جيفكوف للجمهورية العربية السورية (٢١ ـ ١٩٨٠/٤/٢٤) :

" دان الجانب البلغاري بشدة الصفقات المنفردة والحلول الاستسلامية التي تم التوصل إليها بالمشاركة النشيطة للولايات المتحدة الأمريكية ، والتي تمثلت باتفاقيتي كامب ديفيد ، وبمعاهدة الصلح المنفرد ، وبتطبيع العلاقات المصرية ـ الإسرائيلية الموجهة جميعها ضد حقوق ومصالح الأمة العربية " . كما "أعرب الجانب البلغاري عن اقتناعه الراسخ بأن ما يجري في إطار اتفاقيتي كامب ديفيد تحت خدعة ما يسمى بـ (الحكم الذاتي) لن يؤدي إلى تحقيق الحقوق الوطنية الثابتة للشعب العربي الفلسطيني بل يستهدف التنكر لهذه الحقوق ، وتكريس الاحتلال الإسرائيلي للأراضي العربية بمحاولة إضفاء الشرعية على استعمار إسرائيل الاستيطاني لهذه الأراضي " .

هـ ـ بولونيا : بالرغم من التزام بولونيا بالخطوط العامة للسياسة الخارجية المتبعة من قبل المنظومة الاشتراكية إلاّ أنها ، قبل عام ١٩٦٧ وفي تحليلها للقضية الفلسطينية ، كانت تتخذ موقفاً أقرب إلى الانحياز إلى جانب (إسرائيل) ، وذلك لعدة عوامل أبرزها ـ إضافة لما ورد في القسم الأول من هذا البحث ـ عدد اليهود الكبير في بولونيا وتغلغلهم في مختلف الأجهزة الحساسة للحزب والدولة وسعيهم ، بالتعاون مع الحركة الصهيونية ، إلى جعل بولونيا ممراً للنفوذ الصهيوني في دول أوربا الشرقية . وقد كانت زيارة ناحوم غولدمان رئيس المؤتمر الصهيوني العالمي * آنذاك لبولونيا عام ١٩٦٥ واستقباله فيها استقبال رؤساء الدول ظاهرة معبرة عن هذا المخطط . وجدير بالذكر أن الشعب البولوني ما زال يذكر معارك الغيتو * في وارسو ومعتقلات أوشفيتز أثناء الاحتلال النازي .

إلاّ أنه بعد قطع بولونيا علاقاتها الدبلوماسية (بإسرائيل) في أثر عدوان ١٩٦٧ ، وما رافق ذلك من اضطرابات قامت بتنظيمها والإشراف عليها عناصر صهيونية في بولونيا ، جرت حملة تطهير واسعة أسفرت عن طرد عدد كبير من الصهيونيين من مناصب هامة في الحزب والدولة وفي الجامعات البولونية .

وقد زاد بعد ذلك اطلاع البولنديين على حقيقة (إسرائيل) ، وعلى سياستها العدوانية والتوسعية ، وعلى تحالفها الوثيق مع الإمبريالية ضد الحقوق والمصالح العربية . ورافق ذلك اطلاعهم على حقيقة القضية الفلسطينية ومشكلة الشرق الأوسط ، وقد انعكس أثر ذلك كله في مقررات حزب العمال البولوني الموحد وتصريحات كبار المسؤولين في الحزب والدولة . ومن بين هذه التصريحات ما قاله « إدوارد غيريك » الأمين الأول للحزب آنذاك في خطاب ألقاه بتاريخ ١٩٧١/٣/١٩ في مسطفة شلنسك : "إن مبدأ سياستنا السلمية لا يسمح بأن نغفل وجود قوى واتجاهات في العالم الإمبريالي تسعى لزيادة حدة التوتر الدولي ولإشعال الحروب ، ولا يزال احتلال الأراضي العربية قائماً على حين ترفض إسرائيل باستمرار الاقتراحات البناءة التي من شأنها أن تحد من الخطر ومن استفحال نتائجه " .

وفي ١٩٧١/١٠/٥ قال وزير الخارجية البولوني في خطابه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة : " إن المجتمع الدولي لا يستطيع أن يتسامح في تحدي إسرائيل ومؤيديها . إن الحل السلمي لمشكلة الشرق الأوسط يمكن أن يتم فقط بضمان الحقوق الكاملة للشعب الفلسطيني ضحية العدوان الإسرائيلي وبانسحاب (إسرائيل) من جميع الأراضي العربية " .

ووصفت الحكومة البولونية معاهدة الصلح المنفرد بين مصر و(إسرائيل) بأنها عملية استسلام أخرج السادات بها مصر من صف المواجهة مع (إسرائيل) ، واستفادت منها الولايات المتحدة بدعم وجودها ونفوذها العسكري في المنطقة ، ورأتها تشكل خطراً واقعياً بالنسبة لدول الشرق الأوسط والدول الإفريقية ، كما أنها عقّدت مشكلة الشرق الأوسط ، وأبعدت تحقيق الحل الشامل والعادل . وقد تأكد هذا الموقف في البيان المشترك الصادر عقب زيارة وزير خارجية بولونيا لسورية في أواخر عام ١٩٧٩ .

و ـ ألمانيا الديمقراطية : تعدّ جمهورية ألمانيا الديمقراطية في طليعة دول المنظومة الاشتراكية في دعمها لنضال الأمة العربية لتحرير أراضيها من الاحتلال الإسرائيلي واسترجاع الحقوق المغتصبة للشعب العربي الفلسطيني . وهي أول دول المنظومة التي سمحت لمنظمة التحرير الفلسطينية بإقامة مكتب لها في برلين منذ عام ١٩٧٣ ، وكان ذلك تمهيداً للاستقبال الكبير الذي أعدته لوفد فلسطين برئاسة ياسر عرفات . وهي تقيم سنويا أسبوعاً للتضامن مع الشعب العربي تعبر فيه عن تأييدها للقضايا العربية ، وعلى رأسها القضية الفلسطينية ، وعن دعمها لمنظمة التحرير الفلسطينية بصفتها الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني ولحقوقه الوطنية الثابتة وفيها حقه في تقرير المصير وفي العودة وفي إقامة دولته المستقلة الخاصة به .

وقد تميز موقف ألمانيا الديمقراطية بشأن مشكلة الشرق الأوسط والقضية الفلسطينية بإدانة صارمة لأعمال (إسرائيل) التوسعية والتعسفية المتتابعة منذ عدوان عام ١٩٦٧ . وتعددت بعد ذلك زيارات كبار رجالات الحزب والدولة الألمانية الديمقراطية إلى بعض الأقطار العربية لتأكيد وقوفها إلى جانب النضال العربي ، ولتوسيع وتعميق التعاون السياسي والاقتصادي والعلمي مع هذه الأقطار .

ويلخص البيان الذي أصدره المؤتمر الثامن للحزب الاشتراكي

الألماني الموحد في حزيران ١٩٧١ الموقف الألماني الديمقراطي بالعناصر الرئيسة الآتية :

١) الاعتراف بحق (إسرائيل) بالوجود كدولة .

٢) أن أسباب الصراع في الشرق الأوسط تعود إلى العدوان الإسرائيلي وتأثير الأوساط الإمبريالية الأمريكية على الأوساط الحاكمة في (إسرائيل) .

٣) أن إزالة النفوذ الأمريكي في المنطقة وتغيير ميزان القوى لصالح القوى التقدمية كفيلان بخلق الشروط المناسبة لإقامة سلم دائم في المنطقة .

٤) دعم الحقوق المشروعة للشعب العربي الفلسطيني .

٥) انسحاب (إسرائيل) من جميع الأراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧ .

وقد وقفت ألمانيا الديمقراطية موقف المستنكر من اتفاقيتي كامب ديفيد . وشنّت أجهزة الإعلام فيها حملة شديدة ضد معاهدة الصلح بين مصر و(إسرائيل) .

وفي البيان المشترك السوري ـ الألماني الصادر في ١٩٧٨/١٠/٥ إثر زيارة رئيس الجمهورية العربية السورية لألمانيا الديمقراطية أعرب الجانب الألماني عن : " رفضه بحزم سياسة الاتفاقيات المنفردة . ودان بشكل خاص الاتفاقيات التي تمت المساومة عليها أخيراً في كامب ديفيد من وراء ظهر الأمة العربية والتي تستهدف شق الصف العربي وفرض شروط المعتدي الإسرائيلي ، وهو يرى أن هذه السياسة تعيق التوصل إلى حل شامل عادل ودائم للنزاع في الشرق الأوسط على أساس قرارات الأمم المتحدة ، وتشكل في حقيقتها مؤامرة معادية للعرب وتهديداً خطيراً للسلام والأمن الدوليين " .

ز ـ ألبانيا : يتميز موقف جمهورية ألبانيا الشعبية الاشتراكية من مواقف دول المنظومة الاشتراكية حيال القضية الفلسطينية بأنها لا تعترف بوجود (إسرائيل) وتنطلق في موقفها من ضرورة إزالة " الدولة الصهيونية " باعتبارها قاعدة للإمبريالية في المنطقة قامت على العدوان . وتؤيد ألبانيا حركة التحرر الوطني في الأقطار العربية وترى الثورة الفلسطينية إحدى فصائلها الأكثر ثورية ، ولذلك فإن ألبانيا في موقفها من مشكلة الشرق الأوسط ترفض القرار ٢٤٢ وغيره من قرارات منظمة الأمم المتحدة ، وتعتبر أن تسوية المشكلة لا تتم إلاّ عن طريق النضال الثوري الطويل الأمد الذي يعتمد على التحولات الاجتماعية ، وعلى ربط هذه التحولات بالنضال ضد الصهيونية والأمبريالية . وعلى هذا الأساس تقف ألبانيا ضد الحلول السياسية مهما كانت وتنادي بالنضال الثوري ضد (إسرائيل) مقدرة أن الثورة الفلسطينية يمكن أن تكون نواة الثورة في سائر الأقطار العربية .

أورغواي : رَ : أمريكا اللاتينية (دول ـ)

أوريهودا (مستعمرة ـ) :

مستعمرة ريفية أقيمت عام ١٩٥٠ على أراضي قريتي ساقية * وكفر عانا * العربيتين في قضاء يافا . تقع هذه المستعمرة شرقي الجنوب الشرقي لمدينة يافا * على بعد ١٣ كم عن وسط تل أبيب * وتتبع حالياً مقاطعة تل أبيب . موقعها الجغرافي هام لوجودها في السهل الساحلي الفلسطيني * بين طريقين رئيسين : طريق تل أبيب ـ مطار اللد شمالها ، وطريق بيت دجن ـ مطار اللد جنوبها .

تقوم المستعمرة على رقعة منبسطة من أراضي السهل الساحلي ترتفع قرابة ٥٠م عن سطح البحر . مناخها معتدل وتهطل عليها الأمطار بكميات سنوية كافية لنمو جميع المحاصيل الزراعية . مياهها متوافرة تحصل عليها من الآبار ومن مياه مشروع نهر الأردن ـ النقب . تنتمي تربتها إلى نوع تربة البحر المتوسط الحمراء، وهي من التربة الخصيبة التي تصلح للزراعة معظم المحاصيل الزراعية، وبخاصة الحمضيات * .

تأسست المستعمرة على يد جماعة من الصهيونيين المهاجرين من ليبيا وتركيا سنة ١٩٤٩ ، ثم تبعهم مهاجرون من العراق ورومانيا . بلغ عدد سكانها ١١,٦٠٠ نسمة عام ١٩٦١ ، وارتفع عددهم إلى ١٦,٦٠٠ نسمة عام ١٩٧٣ . وهي مركز صناعي هام يضم مؤسسات صناعية وتجارية كثيرة ، واقتضت زيادة مساحة المستعمرة توسيع مبانيها أفقياً وعمودياً وزيادة المرافق العامة فيها .

المراجع :

ـ أنيس صايغ : يلدانية فلسطين المحتلة (١٩٤٨ ـ ١٩٦٧) ، بيروت ١٩٦٨ .

ـ مكتب الإحصاء الإسرائيلي : نشرة إحصائية عن سكان المستعمرات الصهيونية ، ١٩٧٤ .

ـ خريطة فلسطين ؛ مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة يافا .

الأوقـــاف : رَ : الأرض (ملكيـة ـ)

أونـــروا :
رَ : وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى .

ابن أبي إياس العسـقلاني : رَ : آدم بن عبد الرحمن بن محمد

إيبـــان (مشـــروع ـ) :

هـو من أوائل المشروعات الإسرائيلية لحل قضية الصراع العربي ـ الإسرائيلي . وقد قدمه آبا إيبان ضمن بيانه الذي ألقاه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة يوم ١٩٦٨/١٠/٨ (الدورة ٢٣) . وكان بومذاك يشغل منصب وزير خارجية (إسرائيل) . وقد تضمن بيان آبا إيبان نقاطاً تسعاً هي :

١) إن الوضع الذي يعقب وقف إطلاق النار يجب ان يكون سلاماً عادلاً ودائماً ، تجري مناقشته بكل دقة ويعبر عنه باتفاقات تعاقدية . ويجب أن يتضمن هذا السلام الشروط الدقيقة لتعايش (إسرائيل) مع جيرانها وخارطة متفقاً عليها للحدود الآمنة * والمعترف بها . إن جوهر السلام هو أنه يجب ان يسمح لكلا الطرفين بامكانية القول إن نزاعهما الذي استمر عقدين من الزمن قد انتهى نهائياً .

٢) في إطار السلام تستبدل بخطوط وقف إطلاق النار حدود دائمة وآمنة ومعترف بها بين (إسرائيل) وبين كل واحدة من الدول العربية المجاورة . وتجري إعادة ترتيب وضع القوات وفقاً للحدود التي ستقام في ظل السلام النهائي .

٣)بالإضافة إلى إقامة حدود إقليمية متفق عليها يجب بحث موضوع إقامة ترتيبات أمنية أخرى متفق عليها لتجنب الوضع الحساس الذي سبب انهيار السلام في عام ١٩٦٧ . ويجب أن تتضمن الاتفاقية التي سيقام بموجبها السلام تعهدات متبادلة بعدم الاعتداء .

٤) عندما يتم التوصل إلى إقامة السلام على أساس حدود دائمة يجب الإبقاء على حرية الانتقال والحركة الفائمة الآن عبر الحدود في المنطقة ، وبخاصة في القطاع الإسرائيلي ـ الأردني .

٥) إن الترتيبات الخاصة بضمان حرية الملاحة يجب أن تكون دقيقة وغير مشروطة ومقامة على أساس المساواة الكاملة في الحقوق والالتزامات بين (إسرائيل) وكل الدول الأخرى ذات السواحل وجميع أعضاء مجموعة الدول البحرية .

٦) يجب عقد مؤتمر لدول الشرق الأوسط بالاشتراك مع الدول التي تساهم في إغاثة اللاجئين ووكالات الأمم المتحدة المختصة لوضع خطة لخمس سنوات لحل مشكلة اللاجئين في إطار السلام الدائم ودمج اللاجئين في البيئات التي يقيمون فيها . ويمكن الدعوة لهذا المؤتمر قبل محادثات السلام . ويجب أن يكون إنشاء لجان مشتركة لإعادة توطين اللاجئين ودمجهم من الأمور المنصوص عليها في اتفاقيات السلام .

٧) لا تسعى (إسرائيل) من أجل ممارسة السيطرة من الناحية القانونية ، ومن جانب واحد ، على الأماكن المقدسة للمسيحية والإسلام . وهي ترغب في كل الأحوال في إيجاد وضع خاص لهذه الأماكن ، وفي التوصل الى تفاهم مناسب مع الأطراف المعنية . وسياسة (إسرائيل) هي أن الأماكن المقدسة المسيحية والإسلامية يجب ان تكون تحت مسؤولية الجهات الدينية التي تقدسها .

٨) يجب عقد اتفاقيات تعاقدية بين حكومة (إسرائيل) وكل واحدة من حكومات الدول العربية تتضمن اعترافاً متبادلاً بسيادة ووحدة أراضي كل دولة وحقها في بناء حياتها القومية . ويجب أن يتبع ذلك منطقياً أن تسحب الدول العربية جميع التحفظات التي وضعتها على المواثيق والاتفاقيات الدولية بسبب انضمام (إسرائيل) إليها .

٩) إن السلام يقتضي دراسة مسألة إيجاد تعاون مشترك في بعض الموارد ووسائل الاتصالات في المنطقة في محاولة لوضع أسس مجموعة شرق أوسطية من الدول المستقلة .

يمثل مشروع آبا إيبان هذا جوهر الفكر الصهيوني في معالجة قضية فلسطين وتسوية الصراع العربي ـ الإسرائيلي . وليس هذا المشروع سوى التفسير الإسرائيلي لقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ الصادر في ١٩٦٧/١١/٢٢ . وهو مشروع يعكس نتائج عدوان حزيران عام ١٩٦٧ (رَ : حرب ١٩٦٧) . ولم تكن (إسرائيل) تسعى ، بمشروع وزير خارجيتها ، إلى إيجاد تسوية للصراع وإنما كان هدفها إطالة أمد احتلالها للأراضي الفلسطينية والعربية تمهيداً لتحقيق أهدافها في التوسع والاستعمار . ولم يكن مشروع آبا إيبان أكثر من ظاهرة دعائية تُعلن على منبر المنظمة الدولية . وقد تجاهل المشروع ، عن قصد مبيّت ، حقوق الشعب الفلسطيني والانسحاب من الأراضي المحتلة ، واكتفى بتحديد أهداف (إسرائيل) من عدوان حزيران ١٩٦٧ . ولهذا لم يكن الاهتمام بالمشروع في المنظمة الدولية وخارجها ظاهراً لأن المشروع كان بعيداً جداً عن مفهوم السلام العادل ومقوماته .

ومن الجدير بالذكر أن وزير خارجية (إسرائيل) أعلن مشروعه هذا أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في الوقت الذي كان غونار

بارنغ الممثل الشخصي للأمين العام للأمم المتحدة يباشر مهمته تنفيذاً لقرار مجلس الأمن ٢٤٢ .

المرجع :

ـ محاضر الدورة ٢٣ (١٩٦٨) للجمعية العامة للأمم المتحدة .

الأيتـام (دُور ـ) :

ظهرت مشكلة اليتم في فلسطين في القرن العشرين عندما اضطر أبناء هذا البلد إلى حمل السلاح وخوض المعارك ضد الاستعمار والصهيونية ، هذه المعارك التي خلّفت وراءها كثيراً من الأيتام ، فكان لا بد من التصدّي لهذه المشكلة . وهذا ما حدث ، إذ كان عدد دور الأيتام في فلسطين قبل عام ١٩٣٠ أربعاً فقط ، لكن هذا العدد ازداد بسرعة خلال ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ * وما تبعها من أحداث ومجازر .

أ ـ التوزيع الجغرافي لدور الأيتام : بلغ عدد دور الأيتام التي تقدّم العناية للأيتام ١٨ داراً في سنة ١٩٦٧ وهي موزعة كما يلي (انظر الملحق) .

المحافظة	عدد الدور	عدد السكان
محافظة نابلس	٣	٢٥٦,٠٠٠
محافظة القدس	١٣	٣٠٩,٠٠٠
محافظة الخليل	١	١٤٠,٠٠٠
قطاع غزة	١	٥٠٠,٠٠٠
المجموع	١٨	١,٣٠٥,٠٠٠

يتضح من ذلك أن دور الأيتام تتركز في محافظة القدس ، وخاصة في مدينتي القدس * وبيت لحم * ، بينما تعاني محافظة الخليل وقطاع غزة من نقص واضح . فقطاع غزة الذي يزيد عدد سكانه على نصف مليون نسمة لا يوجد فيه سوى دار واحدة . بالإضافة إلى التركز العددي هذا يوجد تركز مماثل في قدرة الدور على الاستيعاب ومستوى الخدمات التي تقدمها . لكن معظم الدور لا تحصر خدماتها في منطقة معينة بل تقبل الأيتام من فلسطين كلها ، وبعضها يقبل الأيتام من الدول العربية المجاورة كلجنة اليتيم العربي (القدس) ومدرسة دار الأيتام الإسلامية الصناعية الجديدة (القدس) .

ب ـ شروط القبول : تركز بعض الدور على الأطفال في الروضة دون سن الخامسة ، كروضة الزهور (القدس) وحضانة الأطفال (الكريش) (بيت لحم) . لكن السن المفضل للقبول في معظم الدور يراوح بين ست سنوات وثماني عشرة سنة ، وإن كانت دور أخرى تستمر في تقديم خدماتها لأبنائها حتى الدراسة الجامعية وربما بعد ذلك ، مثل المعهد العربي الأردني في أبو ديس ، وجمعية البر بأبناء الشهداء في أريحا . أما الدين فهو ليس شرطاً للقبول ، فجميع الدور ترحب بالأيتام من جميع الأديان . وتخصص دور للإناث كدار اليتيمات التابعة للاتحاد النسائي (نابلس) والبيت الإنجيلي للبنات ، وتوجد دور مختلطة تحوي أقساماً خاصة حسب الجنس . ومعظم هذه الدور تفضل يتيم الأبوين والفقير المعدم حسب تقرير من الباحثة الاجتماعية المختصة .

جـ ـ أهم وارداتها : تعتمد دور الأيتام في فلسطين على موارد غير ثابتة باستثناء القليل الذي حصل على أموال مكّنته من استثمارها والاعتماد على عائداتها . فهي تعتمد على :

١) تبرعات الأفراد والمؤسسات في فلسطين والخارج .

٢) منح الأمانة العامة للمؤتمر الإسلامي والمؤسسات الإسلامية والسيحية .

٣) مساعدات الاتحاد العام للجمعيات الخيرية وريع اليانصيب الخيري .

٤) ريع الحفلات والأسواق الخيرية التي تعرض فيها بعض الدور منتوجاتها اليدوية .

٥) دعم اللجنة الأردنية الفلسطينية المشتركة لدعم صمود الأهل في الأرض المحتلة .

وقد قدرت نفقات دور الأيتام في فلسطين عام ١٩٨٠ بما يزيد على مليون دينار أردني .

د ـ نشاطها : يقدر عدد الأيتام الذين يستفيدون من الخدمات التي تقدمها دور الأيتام بنحو ٤,٠٠٠ يتيم يضم القسم الداخلي قرابة ١,٥٠٠ منهم فيقدم لهم المأوى والملبس والغذاء والعناية الصحية والتعليم بمراحله المختلفة من الروضة حتى الدراسة الجامعية مروراً بالدراسة الابتدائية والثانوية . وعلى سبيل المثال تقدم كل من دار السلام للأيتام (القدس) ودار اليتيم العربي (طولكرم) بعثات ومنحاً جامعية في فلسطين أو خارجها ، بالإضافة إلى الرعاية الروحية ومحاولة تعويضهم عمّا فقدوه من عطف الوالدين وحنانهما ، كما تعمل على تأهيلهم مهنياً بتعليمهم الأشغال اليدوية كالخياطة والتطريز والتجليد وصناعة الأحذية لتزويد اليتيم بمهنة تؤمّن للعضو وأسرته مصدر دخل مستقل يكفل لهم جميعاً العيش الكريم .

وفي حين تفضل الأقسام الداخلية يتيم الوالدين فقير الحال ، وبخاصة ذلك الذي يكون عمره دون سن العاشرة ، تقبل الأقسام الخارجية الأيتام في سن المدرسة ، ابتدائية أو إعدادية أو ثانوية .

وتوجد مدرسة ثانوية كاملة في كل من دار الطفل العربي (القدس) والبيت الإنجيلي للبنات والصبيان (رام الله) . وتقوم دور الأيتام التي لا يوجد فيها مدارس أو صفوف ثانوية كاملة بإرسال طلابها إلى المدارس الحكومية والخاصة .

ويلاحظ أن نشاط القسم الخارجي يتركز على التعليم بفروعه المختلفة ؛ الأكاديمية منها والمهنية . ومن أشهر مؤسسات هذا القسم مدرسة دار الأيتام الصناعية الجديدة (القدس) التي تضم أقساماً للنجارة والدهان والطباعة والتجليد والخياطة والتفصيل والتدبير المنزلي وصناعة الأحذية والخيزران .

وتضم دار اليتيم العربي معهداً للخدمة الاجتماعية بالإضافة إلى بعض فروع التعليم التجاري .

مما تقدم يتضح أن دور الأيتام قد شملت بخدماتها نسبة كبيرة من الأيتام في فلسطين واستطاعت أن تؤمن لهم متطلباتهم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية . ومما يجدر ذكره أن القسم الداخلي لا يتقاضى رسوماً عن الأطفال في حين يتقاضى القسم الخارجي رسوماً رمزية ، وتصل نسبة الإعفاءات بين الأطفال إلى ٣٣٪ .

يقدر عدد العاملين في دور الأيتام بنحو ٣٠٠ شخص من الإداريين والمعلمين والموجهين التربويين ، إضافة إلى المشرفات الاجتماعيات وعمّال التنظيفات والطهاة وغيرهم .

يلاحظ أن الجمعيات الخيرية * في السبعينات من هذا القرن قد أخذت تهتم بالأيتام ، ومن هذه الجمعيات : جمعية المرابطات (قلقيلية) ، وجمعية الهلال الأحمر (جنين) ، وجمعية أصدقاء المجتمع (البيرة) ، وجمعية مشاغل تأهيل الفتيات في الضفة الغربية والقطاع .

المراجع :

- اتحاد الجمعيات الخيرية : تقرير موجز عن أعمال الجمعيات الخيرية في الضفة الغربية ، القدس ١٩٧٦ .
- الاتحاد العام للجمعيات الخيرية في الأردن : دليل الجمعيات الخيرية في الضفتين الشرقية والغربية ، عمان ١٩٨٠ .
- الجمعية الخيرية الإسلامية (الخليل) : تقرير عن نشاطاتها وأهدافها عام ١٩٧٧ .
- لجنة اليتيم العربي : تقرير سنوي عن نشاطها عام ١٩٧٨ وعام ١٩٧٩ .
- مدرسة دار الأيتام الإسلامية الصناعية الجديدة : تقرير عن أهدافها ونشاطاتها ، القدس ١٩٧٨ .

دور الأيتام في فلسطين

الرقم	اسم الدار	الجهة المسؤولة	مركز نشاطها	تاريخ تأسيسها
١	دار اليتيم العربي	مستقلة	طولكرم	١٩٦١
٢	دار اليتيمات	الاتحاد النسائي العربي	نابلس	١٩٥٢
٣	دار حضانة أبناء الشهداء والأيتام	جمعية رعاية الطفولة والأمومة السائبة	نابلس	١٩٦٦
٤	بيت الطفولة (الكريش)	مستقل	بيت لحم	—
٥	البيت الإنجيلي للبنات والصبيان	مستقل	رام الله	١٩٥٤
٦	دار حضانة أبناء الشهداء	جمعية البر بأبناء الشهداء	أريحا	١٩٥٢
٧	دار السلام للأيتام	مستقلة	القدس	—
٨	دار الطفل العربي	مستقلة	القدس	١٩٤٨
٩	دار الأولاد	مستقلة	القدس	١٩٤٨
١٠	روضة الزهور	مستقلة	القدس	١٩٥٢
١١	لجنة اليتيم العربي	مستقلة	القدس	١٩٤٠ حيفا
١٢	قرى الأطفال	مستقلة	بيت لحم	١٩٦٥
١٣	مدرسة دار الأيتام الإسلامية	الأوقاف الإسلامية	القدس	١٩٢١
١٤	الملجأ الخيري الأرثوذكسي	مستقل	القدس	—
١٥	المعهد الأردني	مستقل	أبو ديس	١٩٥٧
١٦	ميتم راهبات الوردية	مستقل	بيت لحم	١٨٩٣
١٧	البيت الخيري للأيتام	الجمعية الخيرية الإسلامية	الخليل	١٩٦١
١٨	معهد الأمل للأيتام	—	غزة	—

الائتمان اليهودي (صندوق ـ للاستعمار) :

رَ : المنظمة الصهيونية العالمية

إيخود (جمعية ـ) :

حركة يهودية يمينية تزعمها نفر من مفكري اليهود سنة ١٩٤٢ ، وعلى رأسهم الحاخام الدكتور يهودا مغنيس أول رئيس للجامعة العبرية (١٩٢٥ ـ ١٩٤٨) ، وإسرائيل شاحاك ، وموشي سميلانسكي ، وشمعون شرشفكي . وأيّد الحركة ألبرت إينشتاين ومارتن بوبر .

أما الباعث على إنشاء الحركة في إطار جمعية اسمها « إيحود ـ أي التوحيد » فمرده إلى اعتقاد منشئيها أن تقسيم فلسطين * وإقامة دولة يهودية لا ينهيان الخلاف بين العرب واليهود . وأما أهدافها فيمكن إجمالها فيما يلي :

١) إقامة دولة متحدة ثنائية القومية في فلسطين يتساوى فيها العرب واليهود في الحقوق والواجبات .

٢) فتح الأبواب للهجرة اليهودية على ألاّ يزيد عدد اليهود على النصف .

٣) ضم فلسطين وشرقي الأردن وسورية ولبنان في اتحاد اقتصادي ـ سياسي يتسع ليشمل بلاداً عربية أخرى .

٤) السماح لعدد معين من اللاجئين اليهود بالإقامة في دول الاتحاد جميعها .

٥) أن تكون القدس مركزاً وعاصمة للاتحاد .

٦) ضم هذا الاتحاد إلى اتحاد إنكليزي ـ أمريكي يكون مسؤولاً عن الطمأنينة والرفاهية الاقتصادية .

وبعد قيام (إسرائيل) اقتصر نشاط الحركة على معالجة مشكلات الهرب كالدعوة إلى التعويض عن أراضيهم ، وإلغاء الحكم العسكري ، وإلقاء المحاضرات ونشر المذكرات . وقد أصدرت الحركة مجلة « نير » (الشعلة) بالعربية والعبرية . وبرز من أعضائها كورت غروشارن وماركوس ليفنجر ، وانضم إليهم نفر ضئيل من العرب لأن معظم العرب عارضوا الجمعية معارضة شديدة وأحجموا عن التعاون معها . ثم إن رد الفعل على نشاط الحركة كان ضعيفاً عند اليهود أنفسهم بداية ونهاية .

أيخمان (قضية ـ) :

ترتبط قضية ادولف ايخمان بالصراع الرير بين الحركة النازية واليهود . وقد اعتقد هتلر أن اليهود كانوا وراء الهزائم التي لحقت بألمانيا في الحرب العالمية الأولى كما اتهمهم في كتابه المشهور « كفاحي » بأنهم سبب انهيار معنويات شعب ألمانيا . وحين أصبح أدولف هتلر في عام ١٩٣٣ زعيماً لألمانيا قام بإصدار قوانين تمييزية وإجراءات ضد اليهود . فهاجر الكثيرون منهم إلى فلسطين والولايات المتحدة الأمريكية وامريكا اللاتينية (رَ : النازية والصهيونية) .

وكان من أبرز الضباط الذين اشتركوا في تنفيذ هذه الإجراءات ادولف ايخمان الذي اتهم بالذات بالإشراف على تعذيب اليهود وإبادتهم في معسكرات الاعتقال .

بعد انهيار القوات الألمانية في أيار ١٩٤٥ أخذ عدد كبير من ضباط النازيّة يهربون إلى بلدان أمريكا اللاتينية . وكان ادولف ايخمان واحداً من هؤلاء فسافر في عام ١٩٥٠ إلى عاصمة الأرجنتين « بيونس ايرس » حيث حصل في عام ١٩٥٢ على هوية باسمه الجديد « ريكاردو » .

أسهم في عملية اكتشاف شخصية ايخمان في الأرجنتين المدعي العام في ألمانيا الغربية « فريتز بادر » الذي وضع المعلومات التي حصل عليها تحت تصرف المخابرات الإسرائيلية (رَ : الاستخبارات ، جهاز ـ الإسرائيلي) . وقد أوفدت (إسرائيل) مجموعة من رجال مخابراتها إلى بيونس ايرس للتحقق من شخصية ايخمان وسوقه إلى (إسرائيل) . اختطفه هؤلاء يوم ١٩٦٠/٥/١٠ ، ثم نقلوه بعد عشرة أيام مُخدراً متخفياً في زي مضيف جوي على متن طائرة إسرائيلية جاءت إلى الأرجنتين تحت ستار نقل وفد إسرائيلي رسمي للاشتراك في احتفال الأرجنتين بالذكرى المائة والخمسين لاستقلالها .

بدأت محاكمة ايخمان في ١٩٦١/٤/١١ في القدس المحتلة حيث وجه اليه المدعي العام الإسرائيلي تهمة المشاركة في قتل اليهود الألمان . وقد حكم عليه بالموت في ١٩٦١/١٢/١٥ ونفذ فيه حكم الإعدام شنقاً في ١٩٦٢/٥/٣١ في سجن الرملة ، وحرقت جثته وألقي رمادها في البحر خارج المياه الإقليمية . وقد هللت بعض الصحف الألمانية الموالية للصهيونية لإعدام ايخمان . أما الأحزاب الألمانية فأيدت دون تحفظ إعدام ايخمان ، ولم يشذ عن ذلك سوى الحزب الوطني الألماني الذي رأى في عملية الإعدام جريمة صهيونية ترتكب ضد ضابط ألماني قام حسب العرف العسكري بتنفيذ أوامر صدرت إليه .

كان لعملية ايخمان مضاعفات دولية ، فقد اعتبرت الأرجنتين عملية خطفه انتهاكاً إسرائيلياً غير مشروع ولا أخلاقياً على سيادتها الوطنية ، وطالبت مجلس الأمن الدولي بتعويض ملائم . عُرضت الشكوى الأرجنتينية على المجلس خلال يومين اثنين . وعبر المندوب

الإيطالي عن الشعور السائد في مناقشات المجلس فقال إن المسألة كانت تتجلى في التوفيق بين « الأخلاق والقانون » . وقد انتهى الأمر إلى إصدار قرار جاء فيه أن ما قامت به (إسرائيل) إذا تكرر يمكن أن يهدد السلام والأمن الدوليين ، وأن على (إسرائيل) أن تعوض الأرجنتين . وقُبِل اعتذار (إسرائيل) وإعلانها أن من قام بعملية الخطف قد خرق القانون الأرجنتيني كتعويض كاف ، وأسدل الستار على الرواية .

المراجع :

— Hilgruber, : **Staatsmanner und Diplomaten bei Hitler**, Hamburg 1966.

— Jacques Derogy: **Histoire Secrète D'Israel 1917-1977**, Paris 1978.

إيدن (مشروع ـ) :

وقعت اشتباكات خطيرة بين مصر و (إسرائيل) على حدود النقب في آب ١٩٥٥ انتهت باحتلال (إسرائيل) لمنطقة العوجة . وسبقت ذلك صفقة شراء مصر للأسلحة من تشيكوسلوفاكيا . وقد استشفت إنكلترا والولايات المتحدة من ذلك أن محاولاتهما لكسب المنطقة العربية ضد ما يسمى « الخطر السوفييتي » ستبقى فاشلة حتى يُسوّى النزاع العربي ـ الإسرائيلي . وتبين لإنكلترا بعد مقابلة تمت بين أنطوني إيدن رئيس الوزراء البريطاني والجنرال برنز كبير المراقبين الدوليين أنه لا الأمم المتحدة ولا الدول الكبرى في وضع يمكنها من إرغام (إسرائيل) على الانسحاب واحترام قرارات الأمم المتحدة .

في هذا الجو جرت مشاورات بين إيدن ودالاس وزير الخارجية الأمريكية للوصول إلى حل يحسم النزاع . وفي ١٩٥٥/٨/٢٦ أعلن دالاس مقترحاته في الموضوع (رَ : دالاس ، مشروع) . ثم تبعه إيدن فعرض مشروعاً لحل القضية الفلسطينية في خطاب ألقاه يوم ١٩٥٥/١٠/٩ أثناء الوليمة التقليدية لرئيس بلدية لندن . وقد أشار إيدن في خطابه إلى تردّي الوقف في العوجة ، وتدفق الأسلحة السوفييتية إلى المنطقة ، وضرورة بذل محاولة جديدة لتسوية النزاع . ثم أشار إلى اقتراحات دالاس التي لم تلق الترحيب ، ولكنه أعاد الكرّة واقترح الاهتداء بها . ووضّح مشروعه في النقاط التالية :

١) يستند موقف (إسرائيل) إلى الواقع العسكري المتمثل بحدود رسمتها اتفاقيات الهدنة عام ١٩٤٩ بينما يستند موقف الدول العربية إلى قرارات الأمم المتحدة " وبالتحديد قرار التقسيم لعام ١٩٤٧ " .

٢) ترى الحكومة البريطانية أن الاختلاف بين الموقفين ليس على درجة كبيرة من الاتساع بحيث لا يمكن لأية مفاوضات مجدية أن تجد حلاً له . ولا بد من أن يقدم الطرفان العربي والإسرائيلي تنازلات لسد الثغرة بين الموقفين المتعارضين .

٣) لا يمكن إهمال قرارات الأمم المتحدة ، كما أنه لا يمكن تطبيقها بحرفية دون تعديل . " ليس من الحق تجاهل قرارات الأمم المتحدة ، ولكن كذلك هل يمكن الجزم بأن قرارات الأمم المتحدة بشأن فلسطين يمكن الآن تطبيقها كما هي ؟ "

٤) لا بد من وضع حد لمأساة اللاجئين ، وذلك عن طريق تقديم مساعدة مالية لتسوية مشكلتهم .

٥) تبدي الحكومة البريطانية استعدادها للمساعدة في الوصول إلى حل وسط وتقديم الخدمات الممكنة لتحقيق تسوية سلمية عن طريق المفاوضات .

رفض رئيس وزراء (إسرائيل) دافيد بن غوريون مشروع إيدن ، على أساس أن " غزو الدول العربية أرض إسرائيل في حرب ١٩٤٨ * جعل كافة قرارات الأمم المتحدة حول فلسطين لاغية وباطلة " ، ووصف المقترحات البريطانية بأنها " لا يبررها القانون ولا الأخلاق ولا المنطق " .

أما في الجانب العربي فقد صرح الرئيس المصري جمال عبد الناصر * يوم ١٩٥٥/١١/٢٨ " أن إيدن لم يتقدم بأية مقترحات محددة تتطلب دعماً مصرياً بل عاد إلى التقاط قرارات الأمم المتحدة من جديد ، مما يشكل في نظر مصر اعترافاً بحقوق الشعب العربي الفلسطيني الذي اغتصب وطنه عندما كان خاضعاً للانتداب البريطاني " . وأعلنت الحكومة الأردنية على لسان ناطق رسمي أنها لن تتخذ أي قرار بشأن اقتراحات إيدن ما لم توافق عليها حكومات الدول العربية الأخرى . وقال الناطق " هذه هي المرة الأولى التي تقترب فيها اقتراحات غربية من وجهة النظر العربية التي تطالب بتنفيذ مشروع الأمم المتحدة في التقسيم " .

وبالنظر للنيات الإسرائيلية التوسعية لم يلق مشروع إيدن تأييد الكيان الصهيوني فطوي .

المرجع :

ـ مهدي عبد الهادي : المسألة الفلسطينية ومشاريع الحلول السياسية ١٩٣٤ ـ ١٩٧٤ ، بيروت ١٩٧٥ .

الإيدوميون :

يستخلص من المصادر المقدسة والكتابات القديمة والآثار ان

الإيدوميين *Edomites* أو الادوميين ، قوم من العناصر ذات الأصول العبرانية والعربية ومن سكان البلاد الأصليين التي استوطنت المنطقة جنوبي البحر الميت * وأطلقت عليها اسمها إيدوم ، وإن كانت تسمى في بعض مواضع التوراة * باسم بلاد سعير ، نسبة إلى جبال المنطقة ، كما سمي الإيدوميون بالعماليق . وتنتسب هذه الجماعات ـ حسب التوراة ـ إلى « آدوم » أي الأحمر بالعبرية ، وهو الاسم الثاني لعيسو الابن التوأم الأصغر لإسحق * بعد يعقوب * أو إسرائيل . ومن نسل آدوم تحدر الإيدوميون . وتذكر المصادر أن الإيدوميين كانوا أكثر الأقوام التي احتك بها العبرانيون * في فلسطين وكانت علاقاتهم بهم تراوح ما بين الجوار الحسن الذي يدلّ عليه إطلاق العبرانيين عليهم لقب «الإخوة» والنعمة العسكرية وبخاصة في حالات الضائقة الاقتصادية في فلسطين والاضطرار إلى احتكار تجارة البحر الأحمر .

ويعتبر التاريخ السياسي والحضاري للإيدوميين من أغمض تواريخ الأقوام التي استوطنت فلسطين ، وجنوبها بشكل خاص . ترد أول إشارة إلى هؤلاء عندما أرسل موسى * عليه السلام من قادش ، وكان في طريقه من مصر إلى كنعان * (فلسطين) ، أرسل رسولاً يطلب إليه مفاوضة ملك الإيدوميين من أجل السماح للعبرانيين بالمرور عبر أراضي مملكته واعداً إيّاه بعدم التعرض للكروم والحقول والمياه . ولكن الملك الإيدومي رفض وهدد بقتال موسى وقومه ، مما اضطر موسى إلى اتخاذ طريق أطول للوصول إلى أريحا * بداية الأرض التي يريد الوصول إليها . وعندما اشتد ساعد العبرانيين بعد تأسيس أول ممالكهم في عهد داود (١٠٠٤ ـ ٩٦٣ ق.م.) أخضعوا الإيدوميين لسلطانهم . وفي أواخر حكم ابنه سليمان (٩٦٣ ـ ٩٢٣ ق.م.) تحررت آدوم من السيطرة العبرانية ، ولكن ذلك لم يمنع استمرار العلاقات بين الشعبين لدرجة أن يورام أو يهورام ملك إسرائيل (المملكة العبرانية الشمالية بعد انفصالها) استعان بالإيدوميين عندما قام حوالي عام ٨٤٢ ق.م. بحملة ضد المآبيين . وقد ساءت العلاقات في عهود بعض ملوك يهودا (المملكة العبرانية الجنوبية) اللاحقين . وتخبر المصادر أن الإيدوميين ثاروا من ملك يهودا يورام بن يهوشاناط ، فقام أحد خلفائه ، وهو أمصيا بن يؤاش (٧٩٥ ـ ٧٨٦ ق.م.) بتجريد حملة هزمت الإيدوميين ، كما استولى ابنه عزريا (٧٨٦ ـ ٧٤٠ ق.م.) على مدينة أيلة على خليج العقبة * وحصّنها .

ويبدو أن الإيدوميين تمكنوا بعد ذلك من الانتقال من مرحلة الخضوع إلى مرحلة ردّ العدوان على أراضيهم ، إذ تذكر المصادر أن ملك يهودا آحاز بن يوثام طلب من الأشوريين مساعدته في صدّ الغزوات الإيدومية المتكررة على قومه . بيد أن الإيدوميين لم يتمكنوا على ما يبدو من فرض سيطرتهم لفترة طويلة على فلسطين الجنوبية ، إذ تضيف المصادر نفسها ان آدوم اضطرت بعد فترة قصيرة إلى دفع الجزية للأشوريين أسوة بما كانت تدفعه فينيقية وعمون ومآب . وأنه عندما قام صارغون الثاني عام ٧١١ق.م. بتوجيه حملة ضد أشدود الثائرة استخدم قوات إيدومية، كما استخدم بعد ذلك الملك البابلي نبوخذ نصر الإيدوميين ضد الأورشليميين قبل حملته الشهيرة التي انتهت بسبي اليهود الثائرين عليه إلى بابل عام ٥٨٦ ق.م. (رَ : السبي البابلي) . وخلال فترة السبي قام الإيدوميون ، بنتيجة ضغط القبائل العربية من الجنوب ، بالتوسع في فلسطين الجنوبية واستولوا على أقسام من أراضي دولة يهودا . ولكنهم سرعان ما خضعوا ، مع بدايات القرن الثاني قبل الميلاد ، للسيطرة اليهودية وأكرهوا على اعتناق اليهودية بحدّ السيف . وحوالي منتصف القرن الأول قبل الميلاد استولى الرومان على سورية وانضمت المنطقة الجنوبية من فلسطين إلى روما باسم إيدومية *Edomea* .

لم يخلف الإيدوميون معالم حضارة بارزة ، وكل ما يمكن استخلاصه من المصادر أنهم اعتمدوا في فترة ما مدينة « حبرون » عاصمة لهم ، وأنهم كانوا يتحدثون بلهجة شديدة الشبه بالعبرية والمآبية والعمونية ، وأنهم احتكروا في فترات قوتهم تجارة البحر الأحمر الشمالية .

المراجع :

ـ فيليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، بيروت ١٩٥٨ .
ـ نجيب ميخائيل إبراهيم : مصر والشرق الأدنى القديم ، سورية ١٩٦٦ .
— **Encyclopedia International**, vol 6, S.V. Edom.
— **New Standard Encyclopedia**, vol 4, S.V. Edomites.

أيزنهاور (مشروع ـ) :

في أول بيان أميركي صدر منذ العدوان الثلاثي على مصر (رَ : حرب ١٩٥٦) وجه الرئيس الأميركي أيزنهاور يوم ١٩٥٧/١/٥ رسالة إلى الكونغرس بعنوان " ضمان الأمن والاستقلال في الشرق الأوسط ودعم السلام العالمي " أعلن فيها مقترحات محددة عرفت باسم مشروع أيزنهاور . وتضمن البيان إشارات قليلة إلى الأفكار والمخاوف والمشاعر التي انتظمت الوطن العربي إثر العدوان الثلاثي : " منذ وقت قريب نشبت حرب توطدت فيها دول غربية تمارس نفوذاً كبيراً في المنطقة . لقد نوّى الهجوم الإسرائيلي الكبير نسبياً الفروق الأساسية بين إسرائيل وجيرانها العرب ، واستغلت

الشيوعية الدولية كل هذا العجز .. وهذا المشروع لن يحل جميع مشكلات الشرق الأوسط .. هنالك مشكلة فلسطين ، وعلاقات إسرائيل بالدول العربية ، ومستقبل اللاجئين العرب ، وهنالك مشكلة مستقبل قناة السويس .. وقد تضاعف خطر هذه المشكلات بسبب تهديد الشيوعية الدولية الذي ينبغي إبعاده " .

وبما أن العدوان الثلاثي على مصر كان قد نقض البيان الثلاثي * لعام ١٩٥٠ القاضي بالمحافظة على الوضع الراهن في الشرق الأوسط فقد عملت الولايات المتحدة الأمريكية على تطويق مضاعفات انحسار النفوذ البريطاني والفرنسي من المنطقة العربية مدّعية مواجهة احتمالات غزو سوفييتي ، فأعلنت منفردة تحملها مسؤولية المحافظة على الوضع الراهن ، وأذاعت مشروع أيزنهاور الذي قصد منه أساساً أن يعالج ما يسميه " احتمالات الغزو الشيوعي الباشر وغير الباشر " . وعلى الرغم من أن أيزنهاور وصف أحداث العدوان الثلاثي بأنها « حرب » و « هجوم إسرائيلي كبير نسبياً فقد رأى أنها ليست بذات بال إذا قيست بما أسماه بخطر الهجوم الشيوعي الدولي .

والمشروع الامريكي يهدف إلى ملء « الفراغ » الذي تركه الغرب في الشرق الأوسط على صعيدين : اقتصادي بمساعدة أية دولة شرق أوسطية على تنمية أحوالها الاقتصادية ، وعسكري باتخاذ تدابير عسكرية تشمل استعمال القوات الأمريكية المسلحة « لضمان وحماية » الكيانات الإقليمية والاستقلال السياسي للدول التي تطلب هذا العون في سبيل " مواجهة أي عدوان مسلح مكشوف من قبل أية دولة تسيطر عليها الشيوعية الدولية " .

في ١٩٥٧/٣/٩ صادق الكونغرس الأمريكي على مشروع أيزنهاور ، وجرى تصنيف دول الشرق الأوسط بحسب موقفها من المشروع إلى موالية للغرب وغير موالية له .

وفي ٢٣ آذار أعلنت واشنطن أنها ستنضم إلى اللجنة العسكرية لحلف بغداد * ، وأرسل أيزنهاور مبعوثه جيمس رينشارد إلى الشرق الأوسط فاستطاع أن يكتسب لصالح المشروع بعض الحكومات العربية ودول المنطقة ، فأعلنت ليبيا وتونس والمغرب وباكستان وإيران وتركيا موافقتها على المشروع ، وقبل العراق به على أن تكون المساعدة غير مشروطة ، وهاجمته سورية ، ورفضته مصر . وكان لبنان في عهد رئاسة كميل شمعون الدولة العربية الوحيدة التي التمست المساعدة العسكرية في إطار مشروع أيزنهاور عندما تفاقمت الاضطرابات فيها .

أما (إسرائيل) فقد أعلنت يوم ١٩٥٧/٥/٢١ تأييدها للمشروع ، ورحبت بالعون الأمريكي وبوجوب بذل كل جهد لتحقيق السلام الدائم في الشرق الأوسط وفي العالم . ولهذه الغاية تتعاون مع الولايات المتحدة والحكومات الصديقة ، وتعبّر عن تقديرها للحكومة والشعب الأمريكي لاهتمامها بتقدم حكومة (إسرائيل) وبذل المساعدة لها . ونوهت الحكومة الأمريكية في اليوم نفسه بالبيان الإسرائيلي المساند لمقترحات أيزنهاور ، وأعلنت أنها تشارك في المبادىء والأهداف التي وردت في البيان المذكور وتزيدها . وبذلك أدمجت الإدارة الأمريكية (إسرائيل) صراحة بأهداف سياستها تحت ستار التركيز على تهديد شيوعي مزعوم في الشرق الأوسط متجاهلة نزعة (إسرائيل) العدوانية وتهديدها للسلم والأمن في المنطقة .

إلى جانب ذلك قامت الولايات المتحدة بحملة ضغط وتحريض على سورية ومصر للحيلولة دون سيرهما في طريق التحرر والوحدة .

أما الاتحاد السوفييتي فقد نظر إلى مشروع أيزنهاور بوصفه محاولة لنسف قواعد النفوذ البريطاني ـ الفرنسي في الوطن العربي وإحلال النفوذ الأمريكي الاقتصادي والعسكري محله . وأرسلت موسكو إلى واشنطن مذكرة تحتوي على ستة مبادىء تصلح أساساً لعلاقات الدول الكبرى مع بلدان الشرق الأوسط ، وتستند إلى تسوية النزاعات بالطرق السلمية ، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية ، والكف عن محاولات زج بلدان الشرق الأوسط في التكتلات العسكرية ، وإزالة القواعد العسكرية ، وسحب الجيوش الأجنبية ، وحظر شحن السلاح ، وتنشيط التطور الاقتصادي دونما شروط عسكرية ملحقة به . وقد رفضت الولايات المتحدة هذه المبادىء .

تجاهل مشروع أيزنهاور أسباب النزاع العربي ـ الصهيوني ، وجوهره قضية فلسطين ، فنجح مؤقتاً في تثبيت الوضع الراهن في المنطقة وأخفق في حل القضية الفلسطينية على أي نحو معقول يعيد إلى الغرب اعتباره في نظر الدول العربية . وبما أن الاستعمار الغربي هو المسؤول عن غصب حقوق العرب في فلسطين وتمزيق الوطن العربي عموماً فلم يكن التلويح بالخطر الشيوعي مفيداً للغرب ولا مقبولاً لدى العرب .

ونجم عن التجاهل الأمريكي لأصول قضية فلسطين تزايد التقارب العربي ـ السوفييتي ، وبالمقابل توثق التقارب الإسرائيلي ـ الأمريكي الذي تجلى بالدعم الأمريكي للكيان الصهيوني دبلوماسياً واقتصادياً وعسكرياً بداعي موازنة السلاح الذي اشترته بعض الدول العربية من الكتلة الاشتراكية للدفاع ضد الغزو الصهيوني والامبريالية الداعمة له .

لم ينقض زمن طويل على مشروع أيزنهاور حتى انهار في المنطقة في إثر الهبة الشعبية العربية ضد المشاريع الغربية الاستعمارية (مثل حلف بغداد ومشروع أيزنهاور) ، وقيام الوحدة

بين مصر وسورية في شباط ١٩٥٨ ، وانسحاب العراق من حلف بغداد بعد انهيار النظام الملكي وظفر الثورة في ١٤/٧/١٩٥٨ .

المراجع :

— John C. Campbell: **Defense of the Middle East,** New York 1960.
— John C. Campbell.: **The Middle East in the Muted Cold War,** Denver 1964.
— **Kessing's Contemporary Archives.**

إيسكـــرا : رَ : الرابطة الإسرائيلية لمكافحة الصهيونية

إيـــلات (المدمرة ــ) :

في أثر العدوان الإسرائيلي في ٥/٦/١٩٦٧ (رَ : حرب ١٩٦٧) ازداد التوتر على خطوط وقف إطلاق النار بين الدول العربية و(إسرائيل) وكثرت الاعتداءات والتحرشات الإسرائيلية .

دخلت المدمرة الإسرائيلية "إيلات " المياه الإقليمية المصرية في ٢١/١٠/١٩٦٧ ، وحينما اقتربت إلى مسافة ١٠ أميال من بور سعيد ، أي داخل المياه الإقليمية المصرية بميلين ، تصدى لها زورقا طوربيد من القوات البحرية المصرية من طراز " كومار " وأطلقا عليها صواريخ أصابتها ، فغرقت المدمرة بسرعة . وكان على متنها من البحارة ٢٠٢ قتل وغرق ٤٧ منهم وجرح ٩١ ونجا الباقون .

كانت المدمرة إيلات البريطانية الأصل إحدى مدمرتين تملكهما (إسرائيل) وكانت مزودة بأحدث المعدات الالكترونية ، وبعشرة مدافع ، وثمانية صواريخ طوربيد ، وأربعة مدافع لإطلاق قنابل الأعماق .

وقد قدمت مصر و(إسرائيل) في ٢٢ تشرين الأول مذكرتين عن الحادث إلى مجلس الأمن الدولي . واجتمع مجلس الوزراء الإسرائيلي * لدراسة الحادثة ونتائجها وما يجب عمله . وصرح رئيس الوزراء بعد الاجتماع أن " الهجوم الإجرامي " الذي لا مبرر له على المدمرة إيلات ، هو خرق خطير للقوانين البحرية الدولية . وقال : " إن هذا العمل العدواني المتعمد يجعل معنى لا يمكن قبوله " . وشبّه وزير الدفاع الإسرائيلي إغراق المدمرة بإغلاق خليج العقبة * في أيار ١٩٦٧ ، وأعلن أن هذه الحادثة تعدّ استئنافاً للقتال من قبل مصر .

وفي ٢٣/١٠/١٩٦٧ فتحت المدفعية الإسرائيلية المتمركزة على الجانب الشرقي لقناة السويس نيراناً كثيفة على ميناء السويس ومصافي النفط فيه فأحدثت حرائق أنزلت أضراراً بالميناء والمصافي . وردت المدفعية المصرية على النار بالمثل وتمكنت من إسكات المدفعية المعادية . ثم قدمت مصر شكوى إلى مجلس الأمن وطلبت اجتماع المجلس لدراسة الموقف الناجم عن هذا الاعتداء . وفي الوقت ذاته قدمت (إسرائيل) شكوى بشأن إغراق المدمرة إيلات . فاجتمع المجلس يومي ٢٤ و ٢٥ / ١٠ /١٩٦٧ وأصدر قرارا رقمه ٢٤٠ (١٩٦٧) شجب فيه خرق وقف إطلاق النار ، وأكد " ضرورة الامتثال لقرارات وقف إطلاق النار " ، وطلب من الدول المعنية "أن تمتنع فورا عن القيام بأي نشاطات عسكرية ممنوعة في المنطقة" .

كان لحادث إغراق المدمرة إيلات أثر معنوي ونفسي كبير في الجماهير العربية ، فقد وجدته أول انتصار على الغطرسة العسكرية الإسرائيلية بعد هزيمة حرب حزيران ١٩٦٧ ، ورأت فيه بارقة أمل في استعادة القوات العسكرية العربية قوتها المعنوية وقدرتها على مجابهة العدو المحتل .

المراجع :

ــ مؤسسة الدراسات الفلسطينية : الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٧ ، بيروت ١٩٦٩ .
ــ اليوميات الفلسطينية : المجلد السادس ، بيروت ١٩٦٨ .
— **Kessing's Contemporary Archives,** November 1967.

إيـــلات (مدينة ــ) :

أقام الصهيونيون هذه المدينة في موقع أم رشرش السعربي على الرأس الشمالي الغربي لخليج العقبة * . وأنشىء ميناؤها الذي ساهم في تطوّر ونمو المدينة عام ١٩٥١ . وإيلات اسم المدينة الإيدومية القديمة التي كانت تقع على الخليج قرب مدينة العقبة الحالية . وقد ذكرتها التوراة في حديثها عن تيه بني إسرائيل فقالت إنهم مرّوا بها عند خروجهم من مصر (القرن الرابع عشر أو الثالث عشر قبل الميلاد) . وفي ذلك الوقت كان الإيدوميون * أصحاب السيادة على هذه المنطقة التي تمتد من البحر الميت حتى خليج العقبة . وقد اشتهرت بلاد الإيدوميين هذه بثروتها المعدنية وبموقعها التجاري مما جعلها ملتقى طرق التجارة بين الجزيرة العربية ومصر والشام والبحر المتوسط . ودلّت النقوش على أن المصريين القدماء قاموا باستغلال مناجم النحاس والحديد والمنغنيز التي كانت تمتد من شمال وادي عربة إلى خليج العقبة في أوائل الألف الثاني قبل الميلاد .

كانت ثروة إيدوم وازدهارها السبب الرئيس للحرب التي شنّها عليها الملك داود في القرن العاشر قبل الميلاد ، وهي الحرب التي أدّت إلى انتصاره وتحكّمه في رأس الخليج . وفي أواسط القرن العاشر قبل الميلاد أنشأ ابنه الملك سليمان مدينة عصيون جابر واستخدمها ميناء له على البحر الأحمر للاتجار مع جنوب جزيرة العرب وشرق إفريقيا . ودلّت الحفريات التي قام بها نلسون غلوك وفريتز فرانك في تلّ الخليفة الذي يقع على مسافة ثلاثة أميال إلى الشمال الغربي من مدينة العقبة الحالية على أن هذا التل هو موقع عصيون جابر وإيلات القديمة ، وأن الموقع كانت تشغله مستوطنة حصينة تحيط بها أسوار قوية بين القرن العاشر والقرن الرابع قبل الميلاد . ويعتقد بعض العلماء أن عصيون جابر وإيلات لم تشغلا الموقع نفسه وإنما كانتا مدينتين متجاورتين . ودلّت الحفريات كذلك على أنه كانت لعصيون جابر تجارة نشيطة مع المعينيين في جنوب جزيرة العرب . ويبدو أن حروب الإسرائيليين مع الإيدوميين استمرت عشرات السنين . ويروي العهد القديم (سفر الملوك : ٢/ ٤ ، ٢/ ٧) أن الملك أمصيا احتل سلع حاضرة الإيدوميين وقتل عشرة آلاف منهم وألقى بعشرة آلاف آخرين من قمة أحد الجبال ، ثم أخذ آلهتهم إلى القدس . وفقدت إيدوم أيضا ميناءها على البحر قرب العقبة الحالية ، واضطر الإيدوميون إلى قبول إقامة مستعمرة تجارية يهودية . لكن الحرب ظلّت بعد ذلك سجالا بين الطرفين حتى اضطر اليهود إلى الانسحاب نهائياً من عصيون جابر ومنطقة خليج العقبة كلها في عهد الملك آحاز (٧٣٥ - ٧١٥ ق.م.) .

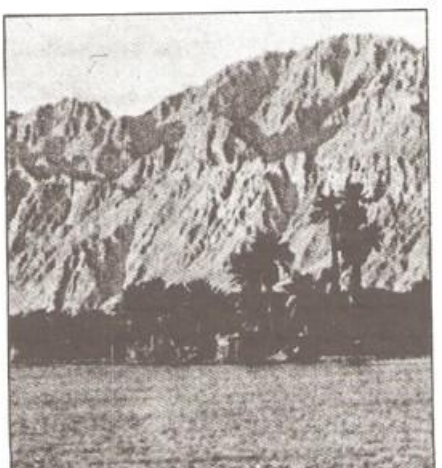

وظلّ الإيدوميون في إيلات بعد ذلك قرابة ثلاثة قرون إلى أن احتلها الأنباط * ربما في القرن الرابع قبل الميلاد .

وفي هذا القرن حلّ الأنباط محل الإيدوميين في المنطقة وأصبحت أيلة ميناء الأنباط على البحر الأحمر . وكان الأنباط هم أول من استعمل اسم « أيلة » المشتق من اسم إيلات الاسم الإيدومي القديم . وقد نقل الأنباط أيلة من موقعها القديم قرابة ٣ أميال باتجاه الجنوب الشرقي إلى حيث تقع مدينة العقبة الحالية الآن .

ازدهرت أيلة ازدهارا كبيرا مع ازدهار دولة الأنباط الاقتصادي لأنها كانت هي والبتراء عاصمتهم تقعان على خطين هامين من خطوط التجارة العالمية آنذاك بين الشام وجنوب الجزيرة العربية وآسيا من جهة ، وبين الشام ومصر من جهة أخرى . وكانت هناك طريق تجارية هامة تصل بين أيلة وغزة (رَ : الطرق) .

وفي أثناء حكم البطالمة * أصبح اسمها بيرينكة *Berenike* ، وظلّت تتمتع بمركز تجاري هام مع شرق إفريقيا وجنوب جزيرة العرب . وفي سنة ١٠٦ ق.م. تمكّن الامبراطور الروماني تراجان من قهر الأنباط ، واحتل البتراء وأيلة ، وبنى طريقا تبدأ من أيلة وتنتهي بدمشق . وأصبحت بلاد الأنباط ولاية رومانية أطلق عليها اسم بروفنسيا أرابيا (الولاية العربية) ، وأصبحت أيلة مقرا للفرقة الرومانية العاشرة وغدت حصنا عسكرياً جنوبي فلسطين .

وفي عهد البيزنطيين احتفظت أيلة بمكانتها التجارية فكان ينقل عبرها الحرير والتوابل إما إلى بلاد اليونان عن طريق غزة وإما إلى مدن الشمال في سورية . وفي سنة ٣٢٥ م أصبحت أيلة مركزاً لأسقفية كان بعض أساقفتها من العرب . وفي الفترة التي سبقت ظهور الإسلام حكمها ملوك الغساسنة * باسم الدولة البيزنطية .

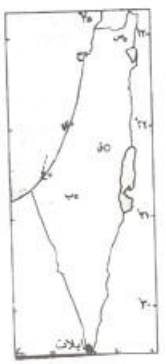

ظهر اسم أيلة لأول مرّة في التاريخ الإسلامي سنة ٩هـ/ ٦٣٠ م ؛ فعندما وصل الرسول عليه السلام إلى تبوك في تلك السنة قدم يوحنا بن رؤبة مطران أيلة على النبي فصالحه على جزية قدرها ٣٠٠ دينار في السنة ، وعلى قرى من يمر بأيلة من المسلمين . وكتب الرسول لهم كتابا أن يُحفظوا وأن يُمنعوا « وأن لا يحل أن يُمنعوا ماء يردونه ولا طريقا يريدونه من بر أو بحر » . وأهدى يوحنا إلى النبي بغلة بيضاء ، وأهدى النبي إليه بردة من بروده .

وعندما زار الخليفة عمر بن الخطاب * الشام بعد طاعون

عمواس خرج للقائه بأيلة جمهور كبير من الناس . وقضى ليلة في ضيافة مطران البلدة .

ومنذ بداية العهد الإسلامي أصبحت أيلة ملتقى الحجيج المصري والشامي وانتعشت التجارة فيها . وكان بها في العهد الإسلامي وبعده قوم يذكرون أنهم من موالي عثمان بن عفان ، وكانوا سقاة الحج . وفي عام ١٩١ هـ في خلافة هارون الرشيد امتنع أهل أيلة بقيادة أبي النّداء عن دفع الضرائب ، وتمردوا على الحكومة العباسية ، فبعث إليهم الرشيد بجنوده فظفروا بهم وأرسل أبو النّداء إلى بغداد حيث قتل .

أصبحت أيلة في القرن الثالث الهجري تحت حكم الطولونيين . وذكر أن خمارويه (توفي ٢٨٢هـ/٨٩٦ م) عبّد طريقها ورمّم الجبل العالي « ذا العقبة » الواقع ازاءها ليسهل وصول القادمين إلى المدينة .

وعلى الرغم من وقوع أيلة عند ملتقى أقطار ثلاثة هي الشام ومصر والحجاز فقد كانت في الغالب « تعد في بلاد الشام » . وشهدت المدينة نمو ازدهارها في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي . ووصفها المقدسي ٣٧٥ - ٣٧٦هـ/٩٨٥ - ٩٨٦ م في « أحسن التقاسيم » فقال : « مدينة عامرة جليلة ذات نخيل وأسماك ، فُرضة فلسطين وخزانة الحجاز . وفي أيلة تنازع حصل بين الشاميين والحجازيين والمصريين وإضافتها إلى الشام أصوب لأن رسومهم وأرطالهم شامية ، وهي فُرضة فلسطين » .

أصيبت أيلة في القرن الخامس الهجري بنكبتين ، ففي سنة ٤١٥هـ/١٠٢٤ - ١٠٢٥ م نهبها عبد الله بن أدريس الجعفري مع جماعة من بني الجرّاح . وفي سنة ٤٦٥هـ/١٠٧٢ - ١٠٧٣ م حدثت في البلاد زلزلة هائلة أهلكت أيلة ومن فيها .

وقد جلبت فترة حكم الصليبيين (رَ : الفرنجة) إلى أيلة كثيرا من المصائب التي أدّت إلى تدمير قسم كبير من المدينة . ففي سنة ٥٠٩ هـ/ ١١١٦م احتل بغدوين الأول ملك القدس مدينة أيلة وضمّها إلى بارونية الكرك التابعة لمملكة القدس * . وحاول الصليبيون استغلال موقعها العسكري ليمنعوا الاتصال بين الشام ومصر والحجاز . فأنشأوا حصنا على جزيرة فرعون المجاورة للشاطئ وبنوا أسطولاً في العقبة أبحر في عام ٥٥٥هـ/١١٦٠ م .

وفي سنة ٥٦٦هـ/١١٧٠م تمكّن صلاح الدين الأيوبي * من استرداد أيلة بعد معركة برية وبحرية ، فطرد الفرنجة وترك حامية في المدينة . لكن رينو دي شاتيون أمير الكرك الصليبي تمكّن من احتلال أيلة فترة قصيرة عام ٥٧٨ - ٥٧٩هـ / ١١٨٢ - ١١٨٣م في سياق حملته ضد الأماكن المقدسة في الحجاز . وكان قد بنى السفن في عسقلان ونقلها إلى أيلة وشرع يهاجم سفن المسلمين في البحر الأحمر . بيد أن حسام الدين لؤلؤ قائد صلاح الدين دمّر أسطول رينو سنة ٥٧٩هـ/١٨٣ م ، وعادت أيلة إلى أصحابها .

عاد الصليبيون إلى أيلة مرّة أخرى ، ثم استرجعها منهم نائبا السلطان الظاهر بيبرس * عام ٦٦٥هـ/١٢٦٧م ، لكن المدينة كانت في حالة من الخراب . وبزوال الخطر الصليبي عادت أيلة ملتقى للحجاج القادمين من مصر والشام . وفي أوائل القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي بنى السلطان قانصو الغوري ٩٠٦ - ٩٢٢هـ/١٥٠١ - ١٥٢٢م قلعة على شاطىء أيلة رممها السلطان العثماني مراد الثالث سنة ٩٩٦هـ/١٢٩٦م . وكان هنالك قبل هذه القلعة قلعة أخرى قديمة تحمي أيلة في جزيرة فرعون الفريدة وقلعة أخرى بناها الصليبيون على الأرجح سنة ٥٧٨ أو سنة ٥٧٩/١٨٨٢ - ١١٨٣م . ولم يعد لهذه الأخيرة من أثر اليوم .

أصبحت أيلة ابتداء من القرن السادس عشر الميلادي تدعى باسمها الجديد « العقبة » . وهذا الاسم اختصار لعقبة أيلة . وكان هذا الاسم ، أي عقبة أيلة ، قد أطلق على المدينة من القرن الرابع عشر الميلادي حتى القرن السادس عشر الميلادي . وابتداء من القرن السادس عشر الميلادي أسقطت كلمة أيلة واقتصر الاسم على العقبة . وتشير عقبة أيلة إلى الممر الوعر الذي مهّده ملوك مصر ابتداء من خمارويه الطولوني حتى الناصر محمد بن قلاوون (٧١٩ هـ / ١٣٣٠م) في جبل أمّ نصيلة المجاور للمدينة ليسهل الوصول إليها .

ظلّ خليج العقبة تحت السيادة العربية الكاملة إلى أن قام الاحتلال الصهيوني بتأسيس ميناء إيلات عام ١٩٥١ . وظلّت القوات الملكية المصرية المتمركزة في شرم الشيخ تحاصره حتى عام ١٩٥٦ عندما شنّت دول العدوان الثلاثي هجوما على مصر (رَ : حرب ١٩٥٦) ، ونتج عن ذلك العدوان تمركز قوات الطوارىء الدولية في شرم الشيخ ، والسماح للسفن الإسرائيلية وسفن الدول الأخرى بالمرور في خليج العقبة . لذلك أخذ ميناء إيلات منذئذ يزدهر تدريجيا ، وتجلى ازدهاره في تطور ثم مدينة إيلات سكاناً وعمراناً .

بدأ ميناء إيلات يقوم بدور حيوي في تجارة الكيان الصهيوني الخارجية منذ عام ١٩٥٦ ، وبخاصة مع دول شرقي إفريقيا وجنوب شرق آسيا وأوستراليا . وتمّ ربط إيلات بمدينة بير السبع * وميناءي أسدود * وعسقلان على البحر المتوسط بطريق رئيسة معبدة تخترق إقليم النقب . وتنتقل البضائع على هذه الطريق بالشاحنات الضخمة ، وتمّ أيضا ربط إيلات بمنشآت البوتاس في أسدوم وبمركز التفاعل النووي في ديمونة * بطريق رئيسة معبدة أخرى تخترق وادي عربة * . وترتبط إيلات أيضاً بمناجم الفوسفات * في النقب *

بطريق متفرعة من طريق إيلات ـ بير السبع . وهنالك خطّان من أنابيب النفط يصلان بين إيلات وكل من حيفا * وعسقلان . ويبلغ طول الخط الأول قرابة ٤٠٠ كم ، وقطره نحو ٤٠ سم ، وتجاوزت طاقته ٦ ملايين طنّ سنوياً . أما الخط الثاني فيبلغ طوله ٢٥٦ كم ، وقطره نحو ١٠٥ سم ، ووصلت طاقته إلى ٢٠ مليون طنّ سنويا ، وقد تصل طاقته في المستقبل إلى ٥٠ مليون طنّ سنويا .

ولشركة زيم الصهيونية للملاحة خطوط منتظمة عبر البحر الأحمر إلى أثيوبيا وكينيا وتانزانيا وملاغاشي وموزامبيق وجنوب إفريقيا . وتدير الشركة خطوطا منتظمة إلى الموانىء اليابانية وهونغ كونغ وماليزية وسنغافورة وأستراليا . وأهم الصادرات الإسرائيلية إلى أفريقيا والشرق الأقصى ، عبر إيلات ، البوتاس والفوسفات والإسمنت والنحاس والإطارات والمنسوجات ومسحوق الصابون والمبيدات والحمضيات * . وأهم الواردات النفط * والمنتجات الصناعية والحديد والطاط الصناعي وزيت جوز الهند والأرز والذرة والعلف . وقد ساهم ميناء إيلات في أكثر من ٧٪ من مجموع النقل البحري للكيان الصهيوني في عام ١٩٨١ . ويقدّر مجموع كمية الصادرات والواردات عبر ميناء إيلات (باستثناء النفط) بنحو ثلاثة أرباع مليون طن من البضائع .

بلغ عدد سكان إيلات في عام ١٩٥٢ نحو ٢٧٥ نسمة ، وازداد عددهم إلى ٢,٦٠٠ نسمة عام ١٩٥٦ ، وإلى ١١,٠٠٠ نسمة في عام ١٩٦٦ ، وإلى ١٤,٠٠٠ نسمة في عام ١٩٧٣. ويقدّر عددهم بنحو ٢٠,٠٠٠ نسمة في عام ١٩٨١ . يعود غالبية سكانها في أصولهم إلى صهيونيين مهاجرين من شمال إفريقيا والمجر ورومانيا وبولونيا وهولندة . وفيها مطار هو الثاني في فلسطين المحتلة بعد مطار اللد ، ويبعد نحو كيلومترين عن الساحل على الجانب الغربي من الطريق العامة . ولإيلات مرفأ مدني وآخر عسكري . وفيها عدد من المصانع كمصنع قطع الأحجار وصقلها ، ومصنع صقل الماس ، ومصنع الخمر ، ومصانع لتعليب الأسماك ، ومصنع للنحاس ، ومعمل لخياطة الملبوسات ، ومعمل لتعقيم الحليب . وفيها أيضاً مصفاة للنفط ، ومحطة لتقطير المياه تنتج أكثر من مليون غالون ماء يوميا لسد حاجة المدينة من المياه ، ومحطة للقوة الكهربائية . وإيلات مركز تجاري وترفيهي وسياحي .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، بيروت ١٩٦٦ .
ـ حامد سلطان : مشكلة خليج العقبة ، القاهرة ١٩٦٧ .
ـ موسى عبود سمحة : مدينة العقبة وميناؤها ، القاهرة ١٩٧٣ .
ـ الياس مرمرجي : بلدانية فلسطين العربية ، بيروت ١٩٤٨ .
ـ المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ليدن ١٩٠٦ .
ـ فؤاد بسيسو : تأثير المقاطعة العربية على الاقتصاد الإسرائيلي ، عمان ١٩٧١ .
— The Economist Intelligence Unit. **Quarterly Economic Review**, «Israel», London 1981.
— **Encyclopedia Britannica**, Chicago 1974.
— **Encyclopedia of Islam**, Vol I. Leiden 1960.
— Lindner M. (ed.): **Petra und das Koenigreich der Nabataer**, Bad Windsheim 1974.

إيليـــاء (عهد ـ) :

ينسب هذا العهد تارة إلى المدينة « إيلياء » أي بيت المقدس ، أو القدس * ، وتارة إلى عمر بن الخطاب * الخليفة الثاني الذي تم في خلافته فتح فلسطين ومنها بيت المقدس .

منذ انتصار المسلمين على الحامية البيزنطية في دائن بأرض العربة في فلسطين ، وحتى عام ١٦هـ/٦٣٧م تقريبا ، كان قد تم تحرير فلسطين باستثناء قيسارية * وبيت المقدس . ثم دخلت الأخيرة في أمان المسلمين عام ١٦هـ ، وقيل عام ١٧هـ ، وقيل عام ١٥هـ . وتختلف الروايات حول من أعطى الأمان من جانب المسلمين لأهل بيت المقدس ، وحول من قام من أهل بيت المقدس بأخذ الأمان ، ثم تختلف بعد ذلك في مضمون العهد وشروط الأمان: فمن جانب المسلمين قيل إن العهد كان على يد قادة المسلمين في بلاد الشام ، وقيل إنه كان على يد الخليفة عمر بن الخطاب . ويبدو أن الذي تولّى الصلح هو عمر بن الخطاب بنفسه بناء على إصرار أهل إيلياء . وكتب عمر لهم العهد وأشهد فيه قوّاد المسلمين .

أما من جانب أهل إيلياء فقيل إن صفرونيوس بطرك إيلياء هو الذي تولى الصلح مع المسلمين وطلب من أهل إيلياء أن ينزلوا ويعقدوا الأمان معهم . وقيل بل كان قد لحق بمصر ، وإن الذي تولى مصالحة المسلمين هم العوام من أهل إيلياء والرملة * . وقيل إن أبا الجعيد ـ رجل من المستعربة ـ نزل في ناس من عظماء إيلياء وصالحوا المسلمين . وقيل اليهود ، ولكن اليعقوبي يقول : والمجمع عليه النصارى .

أما بخصوص العهد فقد ذكر الأزدي وابن أعثم أن أهل إيلياء سألوا العهد والميثاق والذمة والإقرار بالجزية فأعطوا ذلك ودخلوا فيما دخل فيه أهل الذمة من أهل الشام . يقول ابن أعثم : "وكتب لهم (أي عمر ابن الخطاب) كتابا يتوارثونه إلى يومنا هذا (عصر ابن أعثم) والله أعلم " .

ويقدم اليعقوبي نصا للعهد جاء فيه :

"بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب كتبه عمر بن الخطاب

لأهل بيت المقدس ، انكم آمنون على دمائكم وأموالكم وكنائسكم ، لا تسكن ولا تخرب إلاّ ان تحدثوا حدثا عاما " . وأشهد شهودا .

ونصّ العهد عند ابن البطريق يماثل تقريبا ما جاء عند اليعقوبي ، جاء عند ابن البطريق :

"بسم الله الرحمن الرحيم . من عمر بن الخطاب لأهل مدينة إيلياء انهم آمنون على دمائهم وأولادهم وأموالهم وكنائسهم الاّ تهدم ولا تسكن " . وأشهد شهودا . ولا يذكر "إلاّ أن تحدثوا حدثا عاما " .

وجاء عند عبد الرحمن بن الجوزي على النحو التالي :

فلما قدم عمر بن الخطاب بيت المقدس كتب لهم : " إني قد أمنتكم على دمائكم وأموالكم وذراريكم وصلاتكم وبيعكم ولا تكلفوا فوق طاقتكم ، ومن أراد منكم أن يلحق لأمنه فله الأمان وأن عليكم الخراج كما على مدائن فلسطين " .

ولكن العهد في تاريخ الطبري يأتي أوسع ، وجاء فيه :

"بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان ، أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ، ولكنائسهم وصلبانهم ، وسقيمهم وبريئهم وسائر ملّتهم أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ، ولا ينتقص منها ولا من حيّزها ، ولا من صليبهم ، ولا من شيء من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ولا يضارّ أحد منهم ، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود . وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن (مدائن الشام) وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصّوت (اللصوص) فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن أقام منهم فهو آمن ، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلّي بيعهم وصليبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصليبهم حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل "فلان " فمن شاء منهم قعد ، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ، ومن شاء سار مع الروم ، ومن شاء رجع إلى أهله ، فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم ، وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية " . شهد على ذلك خالد بن الوليد وعمرو بن العاص * وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان * .

ثم يظهر التوسع في العهد في تاريخ ابن عساكر والحنبلي ، وتكثر شروطه وتتنوع بشكل يختلف كثيرا عما عرفت به عهود الرسول (صلعم) مع أهل مقنا * وبرحنا بن رؤبة صاحب أيلة وغيرهم ، وعمّا عرفت به عهود المسلمين لأهل مدائن الشام ، ثم يصبح العهد عاما لجميع النصارى ، ويطلق ابن قيّم الجوزية عليه اسم « الشروط العمرية » .

المراجع :

ـ أحمد بن اعثم : الفتوح ، حيدر آباد ١٩٧٠ .
ـ سعيد بن البطريق : التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ، بيروت ١٩٠٩ .
ـ علي بن محمد بن الأثير : الكامل في التاريخ ، بيروت ١٩٦٥ ـ ١٩٦٧ .
ـ علي بن الحسن بن عساكر : تهذيب تاريخ دمشق ، بيروت ١٩٧٩ .
ـ إسماعيل بن كثير : البداية والنهاية ، بيروت ١٩٦٦ .
ـ محمد بن عبد الله الأزدي : فتوح الشام ، كلكتا ١٨٥٤ .
ـ احمد بن يحيى البلاذري : فتوح البلدان ، القاهرة ١٣١٩ هـ .
ـ محمد بن جرير الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، مصر ١٩٦٠ .
ـ أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، بيروت ١٩٦٠ .
ـ مجير الدين الحنبلي : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، عمان .
ـ عبد الرحمن بن الجوزي : فضائل القدس ، بيروت ١٩٧٩ .
ـ ابن قيم الجوزية : أحكام أهل الذمة ، دمشق ١٩٦١ .

الأيـوبيـون : رَ : العصر الأيوبي

أيونيدس (مشروع ـ) :

رَ : الأردن (استثمار مياه نهر ـ ورواقده)